صدر بمناسبة الذكرى السادسة لوفاة الدكتور مصطفى جواد

في التراث العربي

التاريخ - الخطط - الأدب - اللغة - التراث الشعبي - النقد

الجزء الأول

تأليف

الدكتور مصطفى جواد

قدّمَ له وأخرَجَهُ ونَصَّصَهُ وفهرَسَهُ

محمد جميل شلش عبد الحميد العلوجي

منشورات وزارة الاعـــلام ـ الجمهوريـة العراقيـة
١٩٧٥ ـــــــــــــــ سلسلة كتب التراث
(٣٩)

في التراث العربي

التاريخ - الخطط - الأدب - اللغة - التراث الشعبي - النقد

الجزء الأول

تأليف

الدكتور مصطفى جواد

قَدَّمَ لَهُ وأَخْرَجَهُ ونَصَّصَهُ وفَهْرَسَهُ

محمد جميل شلش عبد الحميد العلوجي

المقدمة

الحديث عن المرحوم الدكتور مصطفى جواد .. ذو شجون ، ونحن في مواجهة حياته الناشطة لعاجزون عن الالمام ببعض هوامشها بله أعماقها المور ّارة ، ولذلك شئنا ان نقدمه ، هنا ، شاخصاً في ملامح عامة مشدودة بهذا السياق الزمني :

١٩٠٨ ولد في محلة القشل ببغداد .

١٩١٢ انتقل مع أبيه الى دلتاوة (مدينة الخالص في محافظة بعقوبة) .

١٩١٣ دخل كتّاب الملّة صفية في دلتاوة ، فتعلّم الابجدية العربية وحفظ القرآن .

١٩١٥ دخل المدرسة الابتدائية في دلتاوة (المكتب) .

١٩١٧ ترك الدراسة بعد ان نجح الى الصف الثالث .. وذلك على اثر اقتحام الانكليز لمدينة دلتاوة .

١٩١٨ عاد الى بغداد ، ودخل المدرسة الجعفرية الاهلية ، ثم حملته الفاقة على تركها ليستقر في مدرسة باب الشيخ الابتدائية ، ولكنه رحل من جديد الى دلتاوة .

١٩٢٠ اجتاز الدراسة الابتدائية في دلتاوة .

١٩٢١ دخل دار المعلمين الابتدائية في بغداد .

١٩٢٤ أكمل دراسته في دار المعلمين ، وأخذ ينشر بعض خواطره في جريدة الصراط المستقيم ببغداد .

١٩٢٥ أصبح معلماً في مدرسة الناصرية الابتدائية ، وراح ينظم الشعر، وينشره في مجلة المعلمين التي كان يصدرها هاشم السعدي ، وقد عرف بتأييده لثورة عبدالكريم الخطابي في المغرب العربي.

١٩٢٦ نقلته وزارة المعارف الى مدرسة السيف الابتدائية في البصرة .

١٩٢٨ انتقل الى احدى المدارس الابتدائية في الكاظمية ، وتزوج. ثم نقل الى مدرسة دلتاوة الابتدائية ، وفي هذه المدرسة اعتاد أن ينظم لتلاميذه مفردات المنهج تسهيلا لحفظها . وعاد الى بغداد ليعمل (كاتب تحريرات) في وزارة المعارف ، ثم نقل الى المدرسة المأمونية . وفي هذه الفترة ظهر نتاجه في مجلة لغة العرب ومجلة العرفان ، وجريدتي : العراق والعالم العربي.

١٩٢٩ أسهم في تحرير جريدة النهضة العراقية .

١٩٣٠ أخذ ينشر تحقيقه العلمي في مجلة لغة العرب .

١٩٣١ كتب بحوثاً نفيسة لمجلة لغة العرب .

١٩٣٢ ترك التعليم الابتدائي الى الثانوي ، فاصبح مدرساً في المتوسطة الشرقية ببغداد . ونشر عدداً من الدراسات في مجلتي : سومر والمقتطف .

١٩٣٣ زوّد مجلة الرسالة ، وجريدة بغداد بطائفة من المقالات .

١٩٣٤ رشح في بعثة علمية الى الولايات المتحدة للتخصص بالآثار.. ولكنه استوعر الطريق ، فبدّل وجهته الى فرنسا ، وسافر الى الى القاهرة مستمعاً في كلية الآداب ، وهناك تعلم مبادىء اللغة الفرنسية .. ثم دخل جامعة السوربون بباريس . وفي هذه الفترة نشر ببغداد تحقيقه لكتاب (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة) لكمال الدين ابن الفوطي ، وتحقيقه للجزء التاسع من (الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير) لابن الساعي البغدادي .

١٩٣٦ انتهت مدة التعهد (وكانت ثلاث سنوات) فأوعز محمد فاضل الجمالي باستعادته للتدريس في العراق ، وغادر السربون الى بغداد قبل اتمام الدراسة .

١٩٣٧ جدد التعهد سنتين ، وعاد الى باريس لاكمال الدراسة .. ونشر بعض المقالات في جريدة الزمان .

١٩٣٩ تخرج في السوربون عن اطروحة بالفرنسية موضوعها (سياسة الدولة العباسية في آخر عصورها) . ورجع الى بغداد حيث دعي الى خدمة الاحتياط ، ثم عيّن استاذا مساعدا في دار المعلمين العالية . وفي هذه الفترة نشر عددا من الدراسات في مجلة المعلم الجديد .

١٩٤٠ نشر عدة مقالات في جريدة النصر البغدادية .

١٩٤١ نشر بحوثاً رصينة في مجلة غرفة تجارة بغداد .

١٩٤٢ أخذ يعلم فيصل الثاني القراءة الخلدونية .

١٩٤٣ عجز عن الجمع بين التدريس في دار المعلمين العالية وتعليم فيصل الثاني ، فأصبح ملاحظاً فنياً في مديرية الآثار القديمة. وقد اتيح له أن ينشر بعض آثاره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، وأن يضع دراسة عن مشهد الكاظمين كتبها على الآلة الطابعة واهداها الى مكتبة المتحف العراقي .

١٩٤٤ نشر عددا من البحوث في جريدة البلاد البغدادية .

١٩٤٧ أسهم في تحرير مجلة عالم الغد (البغدادية) .

١٩٤٩ اختير عضوا في المجمع العلمي العراقي ، وأخذ ينشر دراساته في مجلتي : البيان والاعتدال ، وجريدة الاخبار .

١٩٥٠ أسهم في تحرير مجلة المجمع العلمي العراقي ، ونشر في بغداد

دراسته عن ابي جعفر النقيب ، وطبع في بيروت كتابه (سيدات البلاط العباسي) وفي القاهرة كتابه (المباحث اللغوية في العراق) .

١٩٥١ نشر في بغداد تحقيقه للجزء الاول من (المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد) للحافظ ابن الدبيثي – انتقاء الذهبي . وطبع (خارطة بغداد قديماً وحديثاً) بالاشتراك مع الدكتور أحمد سوسة واحمد حامد الصراف ، وظهرت بين مطبوعات المجمع العلمي العراقي .

١٩٥٢ كتب ما يتعلق بآثار بغداد الاسلامية في الدليل التاريخي على مواطن الآثار في العراق الذي طبع في بغداد .

١٩٥٦ أصبح استاذاً في دار المعلمين العالية ، قسم اللغة العربية . ونشر بعض دراساته في مجلة كلية الآداب والعلوم . وطبع له المجمع العلمي العراقي كتاب ابن الاثير (الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمأثور) الذي حققه بالاشتراك مع الدكتور جميل سعيد. وعرّب نظماً (رباعيات السيدحسين قدس نخعي) وطبعت في مدينة لاهاي بهولندا .

١٩٥٧ ظهرت له في بغداد قصة (الامير خلف وأميرة الصين) للأب دوتروكول ، وقد ترجمها عن الفرنسية . وطبع له المجمع العلمي العراقي تحقيقه لكتاب (تكملة اكمال الاكمال في الانساب والاسماء والالقاب) لجمال الدين ابن الصابوني .

١٩٥٨ ظهر بين مطبوعات المجمع العلمي العراقي كتابه (دليل خارطة بغداد) الذي وضعه بالاشتراك مع الدكتور أحمد سوسة .

١٩٦٠ نشر كتاب الفتوة لابن المعمار البغدادي الذي حققه بالاشتراك مع الدكتور محمد تقي الهلالي والدكتور عبدالحليم النجار وأحمد ناجي القيسي . وطبع في القاهرة تحقيقه لكتاب نساء

الخلفاء المسمى جهات الائمة من الحرائر والاماء لتاج الدين ابن الساعي البغدادي • وفي بغداد ظهر له (دليل الجمهورية العراقية) الذي وضعه بالاشتراك مع محمود درويش والدكتور أحمد سوسة •

١٩٦١ طبع في القاهرة دراسته عن عصر الامام الغزالي •

١٩٦٢ راجع وعقّب على الترجمة العربية لكتاب (بغداد مدينة السلام) لريچارد كوك ، وقد ترجم هذا الكتاب فؤاد جميل عن الانكليزية • وظهر جزؤه الاول في بغداد في هذه السنة •

وفي دمشق ظهر الجزء الاول من تحقيقه لكتاب (مجمع الآداب في معجم الالقاب) لكمال الدين ابن الفوطي • كما ظهر له في بغداد الجزء الثاني من تحقيقه لكتاب (المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد) لابن الدبيثي ـ انتقاء الذهبي ، وقد نشر في هذه السنة بعض آثاره في مجلة المعرفة السورية، وجريدة الايام البغدادية •

١٩٦٣ أخذ ينشر شيئاً من نتاجه في مجلة التراث الشعبي البغدادية•

١٩٦٤ أسهم في تحرير مجلة المناهل البغدادية •

١٩٦٥ أخذ يزوّد مجلة الاقلام بمقالاته •

١٩٦٧ حضر مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الثالثة والثلاثين • وفي هذه الفترة ظهر الجزء الثاني من كتاب (بغداد مدينة السلام) في بغداد ، والجزء الرابع من (تلخيص مجمع الآداب) في دمشق •

١٩٦٨ أسهم في تأليف كتاب (بغداد) الذي نشرته نقابة المهندسين العراقيين ببغداد •

١٩٦٩ هيأ للطبع الترجمة العربية لرحلة ابي طالب خان وطبع كتاب

(دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة والرسم) في بغداد، واشرف على تصحيح تحقيقه لتاريخ ابن الكازروني ، وانجز تحقيقه لكتاب (رسائل في النحو واللغة) بالاشتراك مع يوسف يعقوب مسكوني ، وأخذ ينشر بعض دراساته في مجلة العربي الكويتية . وفي ١٧ كانون الاول من هذه السنة وافاه الاجل رحمه الله .

وقد نعته وزارة الاعلام ببيان اذيع من محطتي اذاعة وتلفزيون الجمهورية العراقية . وفي صباح يوم الخميس ١٨–١٢–١٩٦٩ خرجت بغداد بجموع غفيرة تشيع عالمها الفذ ، وقد كان على رأس المشيعين القائد المناضل احمد حسن البكر – رئيس الجمهورية ، ومن ورائه عدد غفير من الوزراء والمسؤولين الذين يمثلون مؤسسات الدولة ودوائرها الثقافية والعلمية ، اضافة الى المئآت من رجال الفكر ، وكانت مبادرة الرئيس البكر خير دليل على رعاية قادة الثورة لرجال الفكر والادب والعلم .

وقد اولت وزارة الاعلام الفقيد الراحل اهتمامها بما يليق بمكانته العلمية ، فأقامت حفلا تأبينيا كبيرا لمناسبة مرور اربعين يوما على وفاته ، حفل بنشاطات مختلفة.. وكان منها اقامة معرض لمخلفاته وآثاره الشخصية والعلمية .. وها هي اليوم تضع بين ايدي تلامذته ومحبيه وجمهوره ثمرة طيبة من ثمار جهده ... وقد عقدت العزم على جمع تراثه القيم ، وطبع مؤلفاته ، احياء لذكراه واعترافاً بفضله واسهاماته الجليلة في خدمة العلم والادب .

والذي لايدعو الى أيما شك أن إرث الدكتور مصطفى جواد غزير، عريض ، ممدود .. ولكنه مبعثر ، متفرق في مئات الجرائد والمجلات . وقد حاولنا رصده والهيمنة عليه ، فكلفنا ذلك أنفس ما نملك من جهد ووقت . وفي خاتمة المطاف .. رسخ اختيارنا على عدد من المباحث والدراسات ، شئنا توزيعها على التاريخ والخطط والادب واللغة

والفولكلور والنقد .. لتكون قوام الجزء الاول من تركة الدكتور الراحل في التراث العربي . وقد وقع الاصطفاء على :

١ ــ الناصر لدين الله (المنشور في مجلة العربي الكويتية ، العدد ١٢٤، مارت ١٩٦٩ ، ص ٥٨ ــ ٦٥) .

٢ ــ أشهر عالمة عراقية قديمة : فخر النساء شهدة (المنشور في مجلة المعلم الجديد العراقية ، المجلد السادس ، ١٩٤٠ ــ ١٩٤١ ، ص ١٠٧ ــ ١١٧) .

٣ ــ بقية الادراسة في مصر (المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثالث عشر ، ١٩٦٦ ، ص ٣٧٤ ــ ٣٨١) .

٤ ــ عمارات القرن السادس الضخمة (المنشور في مجلة سومر ، المجلد الثاني ، ١٩٤٦ ، ص ٥٥ ــ ٧٦ و ١٩٧ ــ ٢١٣) .

٥ ــ المعاهد الخيرية النسوية القديمة في العراق (المنشور في مجلة كلية الآداب والعلوم العراقية ، المجلد الاول ، ١٩٥٦ ص ٤٤ ــ ٦٤) .

٦ ــ الضائع من معجم الادباء (المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد السادس ، ١٩٥٩ ، ص ١٠١ ــ ١٧٣) .

٧ ــ طيور الفتوة وأثرها في الادب (المنشور في مجلة العربي ، العدد ١١٤ ، أيار ١٩٦٨ ، ص ٩٩ ــ ١٠٤) .

٨ ــ أصفهان معقل الادب العربي في ايران (المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد العاشر ، ١٩٦٣ ، ص ٦٩ ــ ٩٤) .

٩ ــ مشكلات اللغة العربية وحلّها (المنشور في مجلة المعلم الجديد ، المجلد الخامس ، ١٩٤٠ ، ص ٩٨ ــ ١١٠) .

١٠ــ اللغة العربية والعصر (المنشور في مجلة الاقلام العراقية ، المجلد الثاني ، ١٩٥٤ ، العدد الاول ، ص ٥ ــ ١٤) .

١١ـ أقول في المقول (المنشور في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ١٨ ، ١٩٤١، ص ٣٤٥ ـ ٣٥٢ و ٤٤٩ ـ ٤٥٦و٥٣٨ـ٥٤٥).

١٢ـ دراسة المعجمات العربية : المصباح المنير (المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد السادس ، ١٩٥٩ ، ص ٢٣١ ـ ٢٦٣) .

١٣ـ أوابد العرب الجاهليين والاسلاميين وما بقي منها عند أخلافهم (المنشور في مجلة التراث الشعبي ، العدد ٦ ـ ٧ ، أيلول ١٩٦٥، ص ٢ ـ ٤ و ٩) .

١٤ـ الشعر العامي العراقي : المواليا ، الكان كان ، القوما ، الدوبيت، الزجل (المنشور في مجلة التراث الشعبي ، العدد الاول ، ايلول ١٩٦٣ ، ص ٢٦ ـ ٣١) .

١٥ـ مجالس ثعلب (المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الثالث ، ١٩٥٤ ، ص ١٥٩ ـ ١٨٠) .

١٦ـ عين اخرى على «العين» (المنشور في مجلة المورد العراقية ، العدد ١ ـ ٢ ، المجلد الاول ، ١٩٧١ ، ص ١٩٨ ـ ٢٠٦) .

١٧ـ مؤرخ العراق ابن الفوطي (المنشور فيمجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد السادس ، ١٩٥٩ ، ص ٣٧١ ـ ٥٤٧) .

وفي مواجهة هذه المادة الغزيرة نهضنا بمسؤولية التنصيص (أي الامعان في تحرّي النصوص) وتوثيق ما كان مخطوطا منها بالمطبوع . وأثبتنا عددا من الحواشي ميزناها بعلامة (*) وأضفنا أحيانا الى حواشي المؤلف ما رأيناه جديرا بالذكر ، وجعلنا هذه الزيادات مسبوقة بعلامة (+) . وفضلا عما ذكرناه قمنا بأصلاح جميع الاوهام المطبعية (وما اكثرها) .. ثم اثقلنا الكتاب ، في نهاية الامر ، بفهارس وافية ، نافعة ومن الله التوفيق .

بغداد

محمد جميل شلش
عبد الحميد العلوجي

التاريخ

الناصر لدين الله العباسي

كانت اوائل القرن السادس للهجرة طلائع نهضة واستقلال للدولة العباسية في أواخر عصورها ، وتلكم النهضة وذلكم الاستقلال كانا حصيلة مجهود عظيم وكفاح جسيم بدأ بهما الخليفة المسترشد بالله (٥١٢ـ٥٢٩هـ) وابنه الراشد بالله، واخوه المقتفي لأمر الله (٥٣٠ـ٥٥٥هـ) وابنه المستنجد بالله (٥٥٥ـ٥٦٦) ثم انتكست الخلافة العباسية بعض الانتكاس على عهد الخليفة المستضيء بأمر الله (٥٦٦ ـ ٥٧٥ هـ) فهيأ الله تعالى لها الخليفة الناصر لدين الله بن المستضيء بأمر الله (٥٧٥ ـ ٦٢٢ هـ)، وهو الخليفة الهمام الذي وحد العرب وغيرَهم من المسلمين ، وبلغ درجة التقديس عندهم ، وبقيت سيرته من اعجب السير العالمية ، وسياسته من مفاخر السياسات العربية، واخباره من نوادر اخبار ذوي السلطان في الدنيا، لا يكاد التصديق يَطُور (*) بساحتها لغرابتها وبراعتها واراباتها(**) حتى يجدها من الاخبار الصحيحة ، التي اجمع عليها المؤرخون وأيدتها الآثار والافعال وعضدها التواتر ، واذا نطق العمل صدق القول .

ولد الخليفة الناصر لدين الله احمد بن المستضيء بأمر الله الحسن بدار الخلافة العباسية بالجانب الشرقي من بغداد ، يوم الثلاثاء عاشر رجب من سنة (٥٥٣ هـ) وأمه جارية تركية اسمها (زمرد) وتلقب بخاتون ، وقد ادركت خلافته وعاشت من سنيها اربعا وعشرين سنة ، قال ظهير الدين الكازروني الاصل البغدادي المؤرخ « كانت راغبة في الخير والصدقة وافعال البر ، ولها من الصدقات والوقوف ببغداد وغيرها شيء كثير » .

(*) يطور بالشيء : يقربه ويحوم حوله .
(**) الاراب والارابة : جودة الادراك .

كان مولد الناصر لدين الله على عهد ابى جده الخليفة المقتفي لأمر الله ، المشار اليه آنفا ، قبل وفاته بسنتين ، وقضى طفولته وصباه في عهد جده المستنجد بالله • فالمقتفي كان خليفة هماما أتم محاولة اخيه المسترشد بالله ، لاعادة سلطة الخلافة العباسية، والتخلص من هيمنة الدولة السلجوقية عليها ، والاستقلال في الحكم بالعراق ، وهو ايامئذ من تكريت في الشمال الى البصرة في الجنوب ، ومن عين التمر في الغرب الى البندنيجين[1] في الشرق • وقطعت على عهده الخطبة ببغداد والعراق باسم السلطان السلجوقي في سنة ٥٤٧ وهي سنة وفاة السلطان الجبار مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي الذي كان يُخطَب له بلقب السلطنة ببغداد بعد ذكر الخليفة الذي هو امير المؤمنين والمقدم في الدين على الولاة والامراء والسلاطين ، وبعد ذكر ولي عهده في الخطبة ايضا ، كما جرت عادة الخلفاء العباسيين في عصورهم الاخيرة• وكان هذا السلطان الجبار قد واطأ(*) الاسماعيلية الباطنية على اغتيال الخليفتين الناهضين : المسترشد بالله وابنه الراشد بالله ، وشاركه في هذه المواطأة الشنيعة السلطان سنجر بن ملكشاه السلجوقي ملك خراسان وما اليها ، وهو يومئذ اكبر السلاطين السلجوقيين بالشرق، وكان سلاجقة كرمان وسلاجقة بلاد الروم دونه مقاماً •

وكان جد الخليفة الناصر لدين الله المستنجد بالله قد شارك اباه الخليفة المقتفي لامر الله في النِفاح** عن استقلال الدولة العباسية، وكفاح اعدائها من سلجوقيين واتباعهم من امراء الاطراف والاتباع والولاة ، وكان شديد الوطأة عليهم ، غيورا على ناموس الدولة الذى اقامه هو وابوه ، واستعد للاحداث بجمع العساكر وحارب المفسدين والمعتدين ، واحكم الحصون التي على حدود العراق واستنقذ الحِلَّة وهي من مدن العراق المهمة من بني اسد ، وكثرت الحروب في ايامه ، وكثر عدوان اتباع السلاجقة على بلاده،

(١) تطور اسمها على اختلاف العصور وتعرف اليوم باسم مندلي .

(*) واطاه على الامر : وافقه عليه وساهمه .

(**) النفاح : الدفـاع .

فاضطر الى القسوة في الحرب والاعدام، والى رمي الخارجين عليه بالتكفير واللعن لهم على المنابر ، فضلا عن حشد الجيوش لمقاومتهم • وكانت شبهتهم الكبرى في تنقّص اطراف العراق والنهب للاموال في مدنه ، هي وجوب اعادة السلطنة السلجوقية الى العراق والخطبة للسلطان ارسلان شاه بن طغرل الثاني بن محمد بن ملكشاه ، وهو صبي يومئذ يتولى اتابكيته (اي تربيته) امير تركي اسمه (ايلدكز) ويحكم في بلاد مملكته التي اهم مدنها اصفهان والري وهمذان وعدة مدن في اذربيجان من البلاد المعروفة اليوم بايران •

وتنافس الامراء السلجوقيون في طلب الخطبة بالسلطنة ببغداد والعراق حتى قال ابن الاثير في حوادث سنة ٥٦٣ هـ : « في هذه السنة ارسل آقسنقر الاحمديلي صاحب مراغة الى بغداد ان يخطب للملك الذي هو عنده وهو ولد السلطان محمد شاه (بن محمود بن محمد بن ملكشاه) ويبذل انه لا يطأ ارض العراق ولا يطلب شيئا غير ذلك ويبذل مالا يحمله (الى الخليفة) اذا اجيب الى ملتمسه ، فاجيب بتطييب قلبه ، وبلغ الخبر ايلدكز صاحب البلاد فساءه ذلك فجهز عسكرا كثيفا وجعل المقدم عليهم ابنه البهلوان وسيرهم الى آقسنقر، فوقعت بينهم حرب أجلت(*) عن هزيمة آقسنقر وتحصنه بمراغة ، ونازله البهلوان وحصره وضيق عليه ثم ترددت الرسل بينهم فاصطلحوا وعاد البهلوان الى ابيه بهمذان » •

واذا كان نصف السياسة اختيار رجالها لا نجد بدا من أن نهضة الدولة العباسية الاخيرة استندت فيمن استندت اليهم الى عون الدين ابي المظفر يحيى بن هبيرة كاتب الخليفة المقتفي لامر الله ، ثم وزيره العالم السياسي المستيقظ المؤلف المتوفى سنة ٥٦١ هـ على عهد المستنجد بالله • قال ابن الاثير في تاريخه : « كان حنبلي المذهب ، ديّناً عالما يسمع حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) وله فيه التصانيف الحسنة ، وكان ذا رأي سديد ، ونفق على المقتفي نَفاقا عظيما حتى ان المقتفي كان يقول : لم يَزِر لبني

(*) انفرجت •

العباس مثله . ولما مات قبض على اولاده واهله » . فهذا الوزير كتب وحسب ونظم وساس وحارب والف وانفق على العلم ، وايده ابناه عز الدين محمد وشرف الدين ظفر ، فكان جزاؤه بعد موته وتمهيده استقلال الدولة العباسية ان قبض على ابنيه المذكورين وأعدما بطريقة الغدر والاحتيال ، وهذه الافعال المنكرة اعني التنكيل بالمخلصين للدولة تدل على اختلال الحكم فيها .

ان الذي ارتكب هذه الجرائم باسم السياسة رجل فارسي ، دخل هو وابوه في خدمة الدولة وتدرج في المراتب حتى صار استاذ دار الخلافة بعد ابيه ، وهو عضد الدين ابو الفرج محمد المعروف بابن رئيس الرؤساء وبابن المسلمة ، وايده اباؤه . وكان الخلفاء العباسيون في عصورهم المتأخرة قد استحدثوا منصباً جديدا تحت الوزارة سموه (نيابة الوزارة) فاستناب الخليفة المستنجد بالله بعد موت الوزير الكبير ابن هبيرة قاضي القضاة ابا البركات جعفرَ بن عبدالواحد الثقفي . ثم رأى تحكّم استاذ الدار عضد الدين بن المسلمة المذكور في امور الدولة فبحث عن وزير أيّد(*) حازم ضابط ، فوجده وهو احد ولاته ويدعى شرف الدين احمد بن محمد بن البلدي . وكان ناظرا بواسط وذا كفاية عظيما . قال ابن الاثير في حوادث سنة ٥٦٣ : « في هذه السنة استوزر الخليفة المستنجد شرف الدين ابا جعفر احمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن البلدي. وكان عضد الدين ابو الفرج بن رئيس الرؤساء قد تحكم تحكما عظيما فتقدم(٢) الخليفة الى ابن البلدي بكفّ يده وايدي اهله واصحابه ففعل ذلك » . وكان الخليفة المستنجد بالله راغبا في اتباع آثار الخلفاء الصالحين.

واراد هذا الوزير ان يجرى حكم الشريعة فى السرقة وينفذ حدودها، فقبض سنة ٥٦٤هـ على احد موظفي الدولة واسمه الحسين بن محمد السيبي

(*) الايد : القوي .

(٢) تقدم فلان بكذا : اي امر به ، وهو الغالب في الاستعمال على هذا الفعل .

وعلى اخيه الاصغر ــ وكانا ابني عمة استاذ الدار عضد الدين ــ فأمر بقطع يد الحسين ورجله وحمله الى المارستان فمات فيه ، قال ابن الاثير : « قيل انه كان عنده صنج(*) يقبض بها ، ويحمل الى الديوان بالصُنج الصحيحة. وكان الاصغر عامل المارستان » • وبيان ذلك انه كان عنده عيار اثقل من عيار الدولة الصحيح يستوفي به حقوق الدولة لان الدنانير كانت تستوفى في الغالب بالوزن لا بالتعداد ، ويحمل الى بيت المال بالعيار الصحيح ، ويستولي على الفرق • فلذلك عُدّ سارقا ، وطُبقت عليه اغلظ العقوبات في حدود السرقة المعنية • والذي يبعث الاسى والاسف على هذا الرجل السيىء الحظ انه كان اديبا شاعرا •

وبهذه الحادثة تحول التنافس الشديد بين استاذ الدار عضد الدين والوزير ابن البلدي الى عداوة زرقاء ، تراق فيها الدماء ، ونرتكب فيها اسوأ الاسواء • واخذ استاذ الدار يهتبل الفرص للايقاع بالوزير ، فانضوى أولاً الى مقدم الجيوش العباسية ايامئذ وهو قطب الدين قايماز التركي الاصل ، المقتفوي (نسبة الى الخليفة المقتفي لامر الله لانه كان من مماليكه) وفي سنة ٥٦٦ هـ مرض الخليفة المستنجد بالله مرض الموت ، او مرضا حادا • وكان قطب الدين قايماز واستاذ الدار عضد الدين قد خافا منه اشدّ الخوف ، وخشيا اعظم الخشية من تأييده الوزير ابن البلدي ، فاتفقا على الائتمار به مع طبيبه المعروف بابن صفيّة بشبهة الطب ، فوصف له الطبيب دخول الحمام مع انه كان مصابا بالحمى المحرقة (اي التيفوئيد) فأبى ان يدخل الحمام لضعفه ، ولكنهم ادخلوه اياه مرغما ، واغلقوا عليه الباب فمات وكان ذلك في تاسع شهر ربيع الآخر من سنة ٥٦٦ هـ •

قال ابن الاثير «كان المستنجد بالله من احسن الخلفاء سيرة مع الرعية، عادلا فيهم، كثير الرفق بهم، واطلق كثيرا من المكوس (يعني أبطلها) ولم يترك بالعراق شيئا منها، وكان شديدا على اهل العيث والفساد والسعاية

(*) ما يوضع في الميزان من اثقال ليوزن به •

بالناس [٣] . وذكر بعد ذلك حكاية نادرة تدل على شدة انكاره للسعاية .
وهكذا قضى نحبه هذا الخليفة العادل المتيقظ ، فقد أئتمر به الخونـــة
الغَدَرة من رجال الدولة فاسرعوا* وفاته، قيل انه امر وزيره ابن البلدي
باستئصال زعيمهم ، فتريث في ذلك وفاتته الفرصة ، وقرع سنه ندما ودعي
الى دار الخلافة لمبايعة الخليفة الجديد وهو ابو محمد الحسن بن المستنجد
بالله فلما دخلها ادخله خصماه عضد الدين وقطب الدين في موضع منها ،
وأمرا رجالا مسلحين من اصحابهما بقتلـه وتقطيعـه اربا اربا ، ثم رموا
اشلاءه في نهر دجلة ، واستولى الخصمان المذكوران على جميع ما فـي
داره ، فرايا فيها فيما رأيا اوامر من الخليفة المستنجد بالله يأمره فيهـا
بالقبض عليهما وجوابه بالكف عنهما ، ولكن العداوة لا تعرف الحدود .

يأبى النظام الوراثي فـي الحكم الا أن ينتكس وينعكس ، وهكذا
انتكست الدولة العباسية فى نهضتها الاخيرة ، وولي خليفـة مستضعف
ولقب « المستضيء بامر الله » وشَرَطَ المؤتمران بابيه ان يكون عضد الدين
وهو احدهما وزيرا ، ويكون ابنه كمال الدين عبيدالله استاذ دار الخلافة
ويكون قطب الدين قايماز مقدم الجيوش وهو المؤامر الآخر ، ولبـث
الخليفة المستضيء بامر الله كالمحجور عليه بدار الخلافة . واتفق في عهـده
انقراض الدولة الفاطمية بمصر سنة ٥٦٧هـ والخطبة باسمه فيها. وكان ذلك
بسعي صلاح الدين يوسف بن ايوب السلطان المشهور وعلى عهد سلطنة
الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي التركي الاصل .

ولم تهدأ احوال الخلافة العباسية ، فقد بدأ النزاع بين المتآمرَيْن
الاثنين قطب الدين قايماز وعضد الدين محمد الوزير ، فكل منهما يريـد
السلطنة العليا والتحكم التام فى الدولة . وقد كان الغلَب لصاحب الجيش
قطب الدين ، فألزم الخليفة المستضيء بأمر الله بعزل الوزير فعزلـه ولـم

(٣) وذكر ظهير الدين الكازروني في مدحه اكثر من ذلك حتى قال « كـان آخر من عمل بقواعد الخلفاء الماضين » قاله في كتابه مختصر التاريخ .

(*) اسرع فلان الشيء : جد فيه وعجـل .

تمكنه مخالفته ، واستنيب في الوزارة ابو الفضل يحيى بن عبد الله بن جعفر صاحب المخزن ، والمخزن ايامئذ ديوان تجهيزات الدولـة جميعها.

وفي سنة ٥٦٩ هـ احس قطب الدين بأن الخليفة المستضيء يريد اعادة عضد الـدين الى الوزارة فحاصر دار الخلافـة ، وأجبر الخليفة الى ترك ما اراده ، ولم يقنع بذلك بل اراد اخراج عضد الدين من بغداد ، ثم اجتزأ من ذلك بما يسمى اليوم (فرض الاقامة الجبرية عليه مدة) .

وقد شهد الناصر لدين الله ، وهو اميـر ، جميـع هـذه الهزاهز والاضطرابات والائتمارات ، وكانت تبدو منه امارات الشهامة ، وعلامـة الشجاعة والغيرة والتيقظ والتأثر الشديد بما يجرى على الخلافة وما يقاسي ابوه من تحكم رجال الدولة وسوء تصرفهم في شوءونها وادارتها ، وكـان لما سمع بمحاصرة قطب الدين قايماز مقدم الجيوش لدار الخلافة رقي قبـة عالية من قصر التاج وهو أحد قصور دار الخلافة الفخمة فسقط منها الـى ارض القصر ولكنه سلم ونجا . وكان معه مملوك له اسمه (نجاح) . فلما هوى الامير أسقط المملوك نفسه معه فقيل له : لم ألقيت نفسك ؟ فقال : ما كنت اريد البقاء بعد مولاي . فرعى له الامير ذلك . ولما تولى الخلافـة جعله شرابيا لنفسه ، ولقبه بالملك الرحيم عز الدين وقدمـه على الامـراء جميعهـم .

وتقدم عند الخليفة المستضيء رجل اسمه ظهير الدين منصور بن نصر الحراني المعروف بابن العطار فرتبه صاحب المخزن . وهذه الوظيفة مـن اعلى الوظائف في الدولة العباسية في اواخر عصورها ، فحصلت نفرة بينه وبين قطب الدين قايماز مقدم الجيوش . وكان ظهير الدين رجـلا متعصبـا لمذهبه تعصبا اعمى ، لكنه مقرب من الخليفة المستضيء جدا وله منه رعايـة بالغة ، فأرسل قطب الدين يستدعي ابن العطار ليحضر عنده فهرب والتجـأ الى دار الخلافة ، فأحرق قطب الدين داره، وكان ذلك سنة ٥٧٠هـ وحالف اغلب الامراء في الجيش ، وطلب منهم المساعدة والمظاهرة له وجمعهم وقصد

دار الخلافة بالجانب الشرقي من بغداد ، لعلمه ان ابن العطار ملتجيء اليها. فلما علم الخليفة المستضيء بذلك ، ورأى الغلبة صعد الى سطح قصر من قصور دار الخلافة وظهر للعامة ــ وكان نادر الظهور لهم ــ وامر خادما من خدمه ان يصيح ويستغيث ويقول للعامة : « مال قطب الدين لكم ، ودمه لي » يحضهم على نهب أمواله دون التعرض له بما يؤدي الى قتله، فقصدت جموع الناس وخصوصا الرعاع الغوغاء والعيارين دار قطب الدين لنهب ما فيها ، وايد الخليفة يومئذ مملوك حبشي من مماليك جده المقتفي اسمه عماد الدين صندل [٤] ، وكان استاذ دار الخلافة اذ ذاك . وهو الرسول الذي حمل خِلَعَ الخليفة لنور الدين وصلاح الدين لما قرضا الدولة الفاطمية بمصر ، فسار في جماعة من الجند واحرق دار قطب الدين بقوارير النفط الطيار التي تقابل اليوم القنابر[٥] المحرقة فاضطر قطب الدين الى الهرب من بغداد ، وقصد الى الموصل فتوفي قبل بلوغه اياها ، ونجا ظهير الدين بن العطار من عدوه وكذلك عضد الدين محمد بن المسلمة، فاستدعاه الخليفة المستضيء ــ اعني عضد الدين ــ وولاه الوزارة ثانية، وبقي ظهر الدين في رتبته (صاحب المخزن) وزاد نفوذ كلمة الامراء الاحباش كعماد الدين صندل المذكور وقرينه مجاهد الدين خالص وهو الذي رآه ابن جبير الاندلسي الرحالة في دخوله بغداد سنة ٥٨٠ هـ فقال :

ورونق هذا الملك انما هو على الفتيان والاحابش المجابيب منهم فتى اسمه (خالص) وهو قائد للعسكرية كلها ، ابصرناه خارجا احد الايام وبين يديه وخلفه امراء الاجناد من الاتراك والديلم وسواهم ، وحوله نحو خمسين سيفا مسلولة في ايدي رجال قد احتفوا به فشاهدنا من امره عجبا

---

(٤) له قبر بزاويته بالجانب الغربي من بغداد لا يزال معروفا ، وقد اتخذت زاويته مسجدا ونسبت اليه المحلة المجاورة لقبره وتعرف اليوم بمحلة الشيخ صندل وكان صلاح الدين الايوبي يعظمه في مراسلته ويمضي رسالته اليه بالاسماء المتواضعة جدا مثل « الخادم صلاح الدين » .

(٥) هو الاسم الصحيح لما يسمى بالقنابل التي هي تصحيف .

في الدهر ، وله القصور والمناظر على دجلة » ولم نعرف السبب في عجب ابن جبير فقد اجبر الخليفة المقتفي على شراء المماليك الاحباش .

واستتبت احوال الخلافة العباسية بعد هذه الاضطرابات والاشتباكات بعض الاستتباب . ثم ظهر استبداد ظهير الدين بن العطار بالتدريج واستؤنفت المنازعات بين ارباب الدولة ففي سنة ٥٧١ هـ ، قبض على عماد الدين صندل استاذ الدار وولي مكانه ابو الفضل هبة الله بن علي بن هبة الله المعروف بابن الصاحب ، وهو من ابناء اسرة خدمت الدولة العباسية منذ ابتداء نهضتها على عهد الخليفة المسترشد بالله ، واستؤنف تعدي امراء الاطراف على العراق بشبهة استمرار الدولة العباسية على عدم الاعتراف بالدولة السلجوقية وترك الخطبة لسلطانها ببغداد والعراق ، وارسلوا جماعة من الباطنية الاسماعيلية ففتكوا بالوزير عضد الدين بن المسلمة وهو بالجانب الغربي من بغداد وقد عزم على سلوك طريق الحج ، وكان ذلك في رابع ذي القعدة من سنة ٥٧٣ هـ وتم استبداد ظهير الدين بن العطار بأمر الخلافة ، وظهرت الفتن المذهبية ببغداد ، وثار العوام على الحكام الطغاة ، وحدث غلاء ووباء ، ثم عقب ذلك وفاة الخليفة المستضيء بأمر الله في ثاني ذي القعدة من سنة ٥٧٥ هـ .

خلف المستضيء بأمر الله من الابناء اثنين احدهما ابو العباس احمد الذي مر ذكره غير مرة ، وابو منصور هاشم ، وكان احمد هو الاكبر وارادت جماعة من رجال الدولة صرف الخلافة عنه الى أخيه هاشم الا أن حزب الناصر وفيهم حظية والده السيدة (بنفشة) واستاذ الدار مجدالدين هبة الله بن الصاحب ، والقائد عماد الدين صندل حملوا والده المستضيء على ان ينص عليه قبل وفاته ، فبويع بالخلافة صبيحة يوم الاحد غرة ذي القعدة ، على قول ، او ثاني ذي القعدة على قول آخر ، من سنة ٥٧٥ هـ .

وظن رجال الدولة استمرار الضعف فيها طبيعيا كما كان على عهد

آبيه ، فانتقم بعضهم من بعض ، وقبض على ظهير الدين منصور بن نصر ابن العطار الحراني النائب في الوزارة ، وقيد في دار الخلافة ، وبحث عن أمواله وودائعه ثم قُتل واخرُج من دار الخلافة ثاني عشر ذي القعدة ميتا على رأس حمال سرا ، فغمز به بعض الناس وثارت به العامة فالقوا جثته عن رأس الحمال وكشفوا سوأته وشدوا بها حبلا وسحبوه ببغداد وكانوا يضعون بيده مغرفة قد غمسوها بالعذرة ــ تشبيها لها بالقلم ــ وهم يقولون (وقّع يا مولانا) استهزاء وتهكما ، لما رأوا منه من العسف والجور والظلم والتعصب الشنيع .

وجرت العادة عند انتقام بعض رجال الدول من بعض بتمهيد الطريق الى الاستبداد وما يسمى اليوم باستغلال الاستقلال ، فلا غرابة في ان ينحو هذا النحو استاذ دار الخلافة مجد الدين هبة الله بن الصاحب، وقد اخطأ هذا الرجل خطأ عظيما في تحكمه بشؤون الدولة وكان عليه ان يدرس نفسية الخليفة الجديد ، ويسبر غوره ، ويختبر امره ، فقد كان الناصر لدين الله قوى النفس شجاعا ذكيا المعيا جريئا مدهش السياسة ظاهر الكياسة جميل الخَلق والخُلُق ، عالما بحقيقة منصبه ، عارفا بالواجب عليه للدين وللامة ، فمثل هذا الخليفة ينبغي ان لا يفتات عليه ، ولا يقطع امر دون موافقته واستئماره ، وقد رآه ابن جبير عند قدومه بغداد سنة ٥٨٠هـ وقال: « وقد يظهر الخليفة في بعض الاحيان بدجلة راكبا في زورقه ، وقد يصيد في بعض الاوقات في البرية ، وظهوره على حالة اختصار ، تعمية لأمره على العامة ، فلا يزداد امره مع تلك التعمية الا اشتهارا ، وهو مع ذلك يحب الظهور للعامة ، ويؤثر التحبب لهم وهو ميمون النقيبة عندهم قد استسعدوا بأيامه رخاء وعدلا وطيب عيش فالكبير والصغير منهم داع له . ابصرنا هذا الخليفة[٦] المذكور وهو أبو العباس احمد الناصر لدين الله ابن المستضيء بنور الله (كذا) ابي محمد الحسن ابن المستنجد بالله ابي المظفر يوسف،

(٦) قوله « هذا الخليفة » سببه أنه كان في مراكش وما حولها ملك من الموحدين يدعى الخلافة وهو من بني عبدالمؤمن .

ويتصل نسبه الى أبي الفضل جعفر المقتدر بالله الى السلف فوقه من اجداده الخلفاء (رضوان الله عليهم) بالجانب الغربي امام منظرته ، وقد انحدر عنها صاعدا في الزورق الى قصره بأعلى الجانب الشرقي على الشط ، وهو في فتاء من سِنته ، أشقر اللحية صغيرها ، كما اجتمع بها وجهه ، حسن الشكل ، جميل المنظر ، أبيض اللون ، معتدل القامة ، رائق الرداء ، سنه نحو الخمس وعشرين سنة ، لابسا ثوبا ابيض شبه القباء برسوم ذهب فيه ، وعلى رأسه قلنسوة مذهبة مطوقة بوبر اسود من الاوبار الغالية القيمة ، المتخذ للباس الملوك مما هو كالفنك[7] واشرف ، متعمدا بذلك زي الاتراك ، تعمية لشأنه ، لكن الشمس لا تخفى وان سترت وذلك عشية يوم السبت السادس لصفر سنة ثمانين وخمسمائة » .

وقال ظهير الدين الكازروني في مختصر التاريخ « قال من شاهده يوم المبايعة : رأيته وهو شاب ابيض مُترَّك الوجه ، مليح العينين ، اقنى الانف ، رقيق المحاسن ، خفيف العارضين ، نقش خاتمه : (رجائي من الله عفوه) ، وكان قبل المبايعة قد اهلك النّاسَ الجدبُ وغلوةُ الاسعار وقلة المعاش وكثرة الامراض والوباء ، فلما بويع بالخلافة زال ذلك ببركة بيعته حتى درت الامطار ، وتراخت الاسعار وهنأ الناس بعضهم بعضا ببركته .. فجمع الله شمل الاسلام والمسلمين ببره وجوده ثم انه عمر المساجد وجدد المشاهد » .

وجد الناصر لدين الله العباسي ان عليه ان يصلح امور الدولة الداخلية اولا ثم يسيطر على العالم العربي والعالم الاسلامي لتوحيدهما ، فنظم ادارة الدولة احسن تنظيم واحكم قواعدها احسن احكام ، ولما رأى اصرار استاذ الدار مجد الدين ابن الصاحب على استبداده بأمور الدولة واعتماده على الطائفية المذهبية أمر بقتله فقتل . قال ابن الاثير « كان مجد الدين ابن الصاحب متحكما في الدولة ليس للخليفة معه حكم ، وكان هو القيم بالبيعة ،

(٧) الفنك : جنس من الثعالب اصغر من الثعلب المعروف وفروته من احسن الفراء واغلاها .

وظهر له اموال عظيمة اخذ جميعها » • وجاء في عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ما يدل على انه خنق ثريا فأخذ ماله •

وكانت سياسة الناصر لدين الله تعتمد على احسان انتخاب الرجال للاعمال ، فأدخل في خدمة الدولة طائفتين كانتا متعاديتين بينهما ومعاديتين للدولة العباسية ، وهما العلويون والحنابلة ، وقطع دابر الطائفية من دولته، وأزال آثار الاعاجم التي تذكر الشعب بسلطتهم وسلطانهم ، حتى لقد رأى لوحا كان السلطان مسعود السلجوقي قد أمر بالصاقه على جدار ، وكتب فيه ابطالا لبعض المكوس ، فقال الناصر « اقلعوه فلا حاجة لنا بآثار الاعاجم » وأمر بنقض دار السلطنة السلجوقية في شمال بغداد الشرقي ليزيل اثر الاستعباد من البلاد •

وصرف همته الى تجنيد الجنود وتحشيد الحشود ، فالف جيشا كبيرا وامر السلطان تكش الملقب بخوارزمشاه بأن يزحف الى السلطان السلجوقي (طغرل الثالث) ويزيل سلطنته ، فزحف اليه سنة ٥٩٠ وقتله وحمل رأسه الى بغداد • ووسع اطراف مملكته ، واحتل عربستان واصفهان والري وهمذان وجهز جيشه لانقاذ صلاح الدين من حملة ريتشارد قلب الاسد الصليبية ، الا ان امراء صلاح الدين اجبروا صلاح الدين على عقد هدنة مع الافرنج لئلا يجيء جيش الناصر لدين الله ويكون الحكم له في بلاد الشام وفضلوا مصالحهم على مصالح الامة •

كان يخرج منه في احتفال العيد حَسْبْ (مائة وخمسون الف جندي) ؛

وكانت جميع ملوك الاطراف تتصرف بحسب امره الا شمالي افريقية وبعض الاندلس فانهما كانا في حكم الموحدين ، ومع ذلك فقد اوعز الى بني غانية اعداء الموحدين ان يقاتلوا الموحدين، فساروا منجزائرهم واحتلوا تونس (اي افريقية القديمة) ، وخطبوا فيها للناصر لدين الله ، ثم تدارك الموحدون الامر وغلبوا بني غانية • وجدد نظام الفتوة في العالمين العربي والاسلامي وادخل اغلب السلاطين والملوك والامراء فضلا عن الرعايا فيها،

وكان هو رئيس الفتوة في جميع البلاد ، وقد كان دخل فيها بأسمه الملك العادل ابو بكر بن ايوب ملك مصر والشام وابناؤه الثلاثة ، الملك الكامل محمد ، والملك المعظم عيسى والملك الاشرف موسى والملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين ونشّأ للبلاد الاسلامية جيلا قويا شجاعا يجمع بين الديانة والصيانة والمتانة . ووضع جهازا ومؤسسة للاستخبارات في داخل العراق وخارجه ، واستعمل انواع حمام الزاجل لنقل الاخبار . حتى كان لا تخفى عليه خافية في الداخل والخارج ، ولا يخفى عليه سر من اسرار الدول ، بحيث ظن الناس ان الجن كانت تنقل اليه الاخبار ، كما ذكر شمس الدين الذهبي في تاريخه ، وتدل انباء استخباراته على ان الدول العصرية التي افتتت اعظم افتتان في التجسس لم تبلغ ما بلغه هو في الاطلاع على اخفى الامور واكتم الشؤون في أدنى الارض واقصاها .

ودعا الاسماعيلية الباطنية الى تجديد اسلامهم والدخول في جمهور المسلمين ، وتحداهم بسيرته وديانته وامامته ، فاستجابوا لدعوته سنة ٦٠٧هـ وانشأوا المساجد والمعابد واعترفوا له بالامامة العليا ، ذكر ذلك جميع مؤرخي عصره ، وعنى بنشر الثقافة والعلم وانشأ لوالدته مدرسة للشافعية ورباطا للصوفية بجانب تربتها المعروفة اليوم بقبر الست زبيدة في مقبرة معروف الكرخي بالجانب الغربي من بغداد ، ووضع الوف كتب في المدرسة النظامية وفي قصره الذي ذكره ابن جبير المعروف قديما بدار المسناة وحديثا بالقصر العباسي ، وفي رباط المأمونية المنسوب الى والدته . والف كتابا في الحديث النبوي سماه « روح العارفين » رواه عن شيوخه الثقات الاثبات واجاز للعلماء المشهورين روايته في مشارق الارض ومغاربها وشرحه جماعة من المشتغلين بالحديث .

وجدد نظام الرمي في مذهب الفتوة ، ووضع له القواعد والاحكام واوضح اصناف الطيور التي تصطادها الرماة الفتيان وهي المسماة تارة (طيور الواجب) وتارة (الطير الجليل)[٨] . وقد جدد الناصر شباب الامة

الاسلامية بتجديد الفتوة •

وعاصرت خلافته الطويلة الامد ظهور جنكيز خان ملك المغول السفاح المجتاح ، فكان على البعد يخشى من الخليفة الناصر، ويطبع اسمه على نقوده حتى تروج بين العالمين ، ولما خرج عليه قطب الدين محمد بن تكش الملقب بخوارزمشاه ، وحرك المغول على العالم الاسلامي بسوء سياسته وكثرة عدوانه ، وسمع الناصر بتقدم المغول الى الغرب استكثر من الجنود ، وجدد المواضع الضعيفة من سور بغداد ، ولا سيما باب سورها الشرقي المعروف بباب الحَلْبة ، وقد عرف بين الناس بباب الطلسم ، لوجود صورة رجل مسيطر على ثعبانين في جانبيه وكانت عمارة هذا الباب سنة ٦١٨ هـ وكان هذا الباب من اجمل المباني التحصينية ، وقد نسفه الاتراك العثمانيون بالبارود الذي كان مخزونا فيه ليلة احتلال الانكليز لبغداد في اليوم الحادي عشر من آذار سنة ١٩١٧ م • وقد ارخ هذا الاحتلال Edmund Candler (*) في كتابه The Long Road to Baghdad وريجارد كوك (**) في كتابه Baghdad the City of Peace والاب انستاس ماري الكرملي في كتابه (خلاصة تاريخ العراق) واشار ريجارد كوك الى نسف الباب بالبارود ، وذكرنا ذلك في (دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠) •

---

(٨) انظر العربي العدد ١١٤ ص ٩٩ • (+) يشير الدكتور مصطفى جواد ، هنا الى بحثه المنشور في مجلة العربي (العدد المذكور) بعنوان (طيور الفتوة واثرها في الادب).

(*) نشر ادموند كاندلر كتابه (الطريق الطويل الى بغداد) بجزئيه الاول والثاني في لندن سنة ١٩١٩ .

(**) نهض الدكتور مصطفى جواد وفوءاد جميل بترجمة كتاب المؤرخ Richard Coke الى العربية ، وطبعاه في بغداد بعنوان (بغداد مدينة السلام) سنة ١٩٦٢ .

ولما توفي الناصر لدين الله ، وذلك في سنة ٦٢٢ كان قد أتم توحيد العالم العربي وتوحيد العالم الاسلامي وبلغ فيهما درجة التقديس ، فقد دامت خلافته (٤٧) سنة وهي اطول خلافة لبني العباس ، وترك من المآثر والآثار مالا يحصى كثرة ، ولا يستقصى وفرة ، ولولا نزق سلطان خوارزم لنجى العالم الاسلامي من طوفان المغول وطغيانهم ومجازرهم البشرية وعدوانهم وعيثهم وافسادهم الا ان ذلك السلطان الاحمق جنى بخروجه على خليفة المسلمين على نفسه ومملكته والعالم الاسلامي • قال جلال الدين السيوطي في (تاريخ الخلفاء) وقال قبله ابن نباتة في كتابه (الاكتفاء بتاريخ الخلفاء) نقلا عن تاريخ محب الدين محمد المعروف بابن النجار وكان معاصرا للناصرلدين الله «دانت له السلاطين، ودخل في طاعته من كان من المختلفين وذلت العتاة والطغاة ، وانقهرت بسيفه الجبابرة والبغاة ، واندحض اعداؤه واضداؤه ، وكثر انصاره واولياؤه، وفتح البلاد العديدة، وملك من الممالك ما لم يملكه مَنْ بعده من الخلفاء والملوك ، وخطب له ببلاد الاندلس وبلاد الصين ، وكان اسد بني العباس ، تتصدع لهيبته الجبال ، وتذل لسطوته الاقيال ، وكان حسن الخُلق ، لطيف الخلْق • كامل الظرف ، فصيح اللسان، له التوقيعات المسددة ، والكلمات المؤيدة ، وكانت ايامه غرّة في وجه الدهر، ودرة في تاريخ الفخر » •

وقد ذكرت آنفا قول ظهير الدين الكازروني في مختصر التاريخ : « انه عمر المساجد ، وجدد المشاهد » وقال بعد ذلك : « وبنى الاربطة والمدارس واثر الآثار الجميلة •• ثم انه جدد عزيمته في قطع سلاطين العجم السلجوقية وغيرهم عن بغداد ، ومحا آثارهم وملك عربستان بجيوشه التي انفذها اليها ، وملك بلد دقوقا وقلعة تكريت وقلعة الحديثة ، وله من الفتوح شيء كثيرة كولاية همذان وغيرها ، وقتل طغرلبك السلجوقي وحمل رأسه الى بغداد •• ثم انه عمر دار المضيف للصادر والوارد من الحاج وغيرهم للفطور في شهر رمضان ووقف الكتب المفيدة الفقهية ، وغيرها في خزائن الكتب ، وجعلها لمن عساه يشتغل بالعلم ، وفي ايامه انتزع بيت المقدس على

يد صلاح الدين يوسف بن ايوب •• وأنشأ الرباط الذي بمشرعة الكرخ والتربة المجاورة له ، ودفن فيه جهته[٩] السعيدة سلجوقي خاتون ابنة قليج ارسلان ملك الروم وكانت صالحة محبة لافعال البر والقُرب ــ رحمها الله ــ » •

وهذا اخصر ما يكتب من سيرة هذا الخليفة الهمام الذي كان من اكبر ساسة العالم واذكياء العالمين ، وابطالهم ، وكان فخرا للعرب والمسلمين •

(٩) الجهة عندهم ايامئذ كناية عن الزوجة المحترمة ولـم نقـل « الزوج » خشية الالتباس •

فخر النساء شهدة[1] الكاتبة العالمة

ان مما يبتهج به ذو العلم واللب والادب ان يجد في تاريخ العراق اخبار امرأة عراقية عالمة مؤدبة محدثة ، ملأت اخبارها بطون الكتب وذاع اسمها في اقطار الدنيا شرقا وغربا وانتشر علمها وادبها بين الناس دانيهم وقاصيهم واسرع اليها العلماء من اكثر آفاق الارض ليقتبسوا من علمها ويسمعوا حديثها وما ترويه من الآثار ، حتى لقد اصبحت « اشهر عالمة عراقية مؤدبة محدثة كاتبة » في التاريخ ، وغطت شهرتها على كل نساء العالم العربي الماهرات في المعارف العربية والاسلامية .

تلك هي فخر النساء شهدة بنت ابي نصر احمد بن الفرج بن عمر الابري[2] زوجة ثقة الدولة ابي الحسن علي بن محمد بن يحيى المعروف بابن الانباري، باني المدرسة المنسوبة الى لقبه الذي لقبه به الخليفة الامام المقتفي لامر الله (اعني المدرسة الثقتية) فكان نعم الزوج وكانت نعم الزوجة، قال تاج الاسلام ابو سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني في مادة «الابري» من كتاب (الانساب) . ما صورته : « واما ابنته شهدة بنت الابري فهي

---

(١) الشهدة في اللغة هي القطعة والشواية من العسل غير المصفى وقال الثعالبي في فقه اللغة (ص ٣٤) : الشواية : الشيء الصغير من الكبير كالقطعة من الشاة .

(٢) الابرى : منسوب الى الابر جمع ابرة وهي التي يخاط بها وينسج ، وكان الابرى ابو شهدة محدثا صدوقا، توفى في جمادى الاولى سنة٥٠٦ هـ، ذكره السمعاني في مادة «الابرى» من (الانساب) وسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (مختصر . ص ٢٧) وابن خلكان في ترجمة «شهدة».

صاحبة الخط الحسن وكانت لها قربة الى امير المؤمنين المقتفي لامـــر اللـــه وكانت يقال لها الكاتبة • سمعت (في رواية الحـــديث النبوي) اباهـــا وابا عبدالله الحسين بن احمد بن طلحة النعالي وغيرهمـــا ، وكتبت عنهـــا اوراق يسيرة في دارها برحبة الجامع » [٣] •

فمما يدل على جلالة قدرها وسعة علمها ونبلها وفضلها ان تاج الاسلام ابا سعد السمعاني نقل عنها من علوم تلك العصور وكتب عنها اوراقا يسيرة وكانت اذ ذاك شابة ، ثم ان السمعاني توفي قبلها باثنتي عشرة سنة ، فانـــه مات سنة ٥٦٢ هـ ، وقال ابو المظفر يوسف المعروف بسبط ابن الجوزي في تاريخه مرآة الزمان : « يقال لها فخر النساء ، سمعت الحديث الكثير وكتبت الخط الحسن وكانت مخالطة لدار الخلافة وكان لها بر ومعروف وصدقات وكانت جليلة القدر ، توفيت ليلة الاثنين رابع عشر المحرم (من ســـنة ٥٧٤) وصلي عليها بجامع القصر وازيل الشباك الذي في المقصورة : مقصورة الخطابة (وصلى الخليفة) فيقال ان الخليفة (المستضيء بامر الله الحســـن بن المستنجد بامر الله) صلى عليها وشهدها ارباب الدولة ودفنت ببـــاب ابرز ، سمعت مشايخ العراق وجعفر بن احمد السراج وروت عنه (كتاب) مصارع العشاق وسمعت من طراد الزينبي وغيرهما وقرىء عليها الحديث وعمرت حتى قاربت المائة ، وذكرها جدي (ابو الفرج عبدالرحمن بن علـــي ابن الجوزي) في المشيخة وقال: اخبرتنا شهدة الكاتبة بقراءتي عليها في صفر سنة سبع وخمسين وخمسمائة • وروى عنها جماعة منهم جدي وابو محمـــد عبدالعزيز بن دلف وعبدالعزيز (المعروف بابن الاخضر الجنابذي) وكانت صالحة ثقـــة » •

فتلميذها ابو محمد عبدالعزيز بن دلف المعروف بالخازن والناسخ من كبار الذين ذكرهم تاريخ العرب والاسلام ، كان من اهل الجانب الغربي

---

(٣) الجامع هو جامع القصر المعروف قديما ايضا بجامع الخليفة ومن بقاياه جامع سوق الغزل والرحبة قد اصبح موضعها اليـــوم دورا ودكـــاكين وعلاوي وكنيســـة ومدرسة للكرمليين •

من بغداد قال ابو عبدالله محمد بن سعيد الدبيثي الواسطي : «قرأ القرآن الكريم بالقراءات على جماعة من الشيوخ منهم ابو الحارث احمد بن سعيد العسكري وابو الحسن علي بن عساكر البطائحي وابو يعقوب بن يوسف الحربي وسمع منهم (الحديث النبوي) ومن خديجة بنت احمد النهرواني والكاتبة فخر النساء شهدة بنت احمد بن الفرج الابري ومن بعدهم » ثم ذكر ان الخليفة الامام ابا العباس احمد الناصر لدين الله ولاه خزن الكتب في دار الكتب [4] التي وقفها بتربة زوجته سلجوقي خاتون على ضفة دجلة بالجانب الغربي من بغداد عند مشهد عون ومعين ، وتولى خزن الكتب بالمسجد الكبير الذي بناه الشريف ابو الحسن علي بن احمد العلوي المعروف بالزيدي المتوفى سنة ٥٧٥ ، بناه بسوق الثلاثاء ويعرف اليوم بجامع القبلانية وهو قريب من المستنصرية ، ثم قال ابن الدبيثي « وشكرت سيرته وحمدت طريقته ولم يزل مشتغلا بالخير مجدا في قضاء حوائج الناس ساعيا في ما يكتسب به الثناء والاجر ، حدث بشيء من مسموعاته . ومولده في

(٤) ممن راى دار الكتب هذه القاضي الموءرخ العلامة كمال الدين ابو حفص عمر بن احمد المعروف بابن العديم الحلبى المتوفى سنة ٦٦٠ هـ ، وقد نقل من علمها شيئا، فمن ذلك قصة «الاعسر بن مهارش الكلابي والصقيل بنت طراد الاسدي» قال في كتابه «بغية الطلب من تاريخ حلب» وهو خطى : «قرات الحكاية في مجموع عتيق مكتوب في ايام سيف الدولة او قريب من عصره وشاهدتها في المجموع على الصورة التي اذكرها بخط بعض الاخباريين في جزء وقفت عليه في وقف الامام الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بالخلاطية في الجانب الغربي من بغداد» وقد راى التربة الرحالة « نيبهر » الدنيمركي في أواخر القرن الثامن عشر للميلاد . ورأي فيها كتابة ذهب اولها وها هي ذه مع بعض الاصلاح (هذه تربة سلجوقي خاتون بنت) « الملك العادل قليج أرصلان بن الملك مسعود بن العادل قليج ارصلان من طائفة سلجوق وذلك في سنة اربع وثمانين وخمسمائة » (راجع بعثة ماسنيون ج ١ ، ص ٥٠) ولم يعرف الاستاذ ماسنيون حقيقة البناية ، ولكنه ذكر ان سكان المحلة حدثوه بان البناية خربت قبل سنة ١٩٠٩ بستين سنة ، والظاهر ان دجلة استولت عليها واخربتها وكانت في المحل المعروف اليوم بخضر الياس .

سنة ٥٥٢ او ٥٥١ ، تقريبا ، وفقه الله » وذكره شمس الدين الذهبي في (طبقات القراء) وقال «ابو محمد البغدادي خازن كتب المستنصرية ... كتب الكثير وعني بالحديث وكان صالحا عابدا تام المروءة كثير الصدقة بادي المحاسن ولي مشيخة رباط الحريم وكان المستنصر بالله قائلا به [٥]، توفي الى رحمة الله في صفر سنة ٦٣٧ » وقال سبط ابن الجوزي في ترجمة الخليفة الامام المستنصر بالله : « انه كان يزور الشيخ عبدالعزيز الناسخ بالحريم الطاهري ويغشاه كثيرا فقال له يوما : انا لا اثاب على ما افعله . فقال له عبدالعزيز : الله الله يا مولانا اذا لم تثب انت فمن يثاب ؟! فقال : لان المال الذي انفقه في ابواب البر ماله عندي قدر بل مثل التراب والثواب انما يكون على قدر المشقة » [٦] .

ولما فتحت المدرسة المستنصرية (اعني في غضون سنة ٦٣١) نقل الى خزانتها كثير من الكتب النفيسة والربعات (*) الشريفة . وكان عدد الحمالين الذين حملوا الكتب (مائة وستين) واستدعي الشيخ عبدالعزيز المذكور الى المدرسة لاثبات الكتب واعتبارها واستدعي ابنه ضياء الدين خازن كتب المستنصر بالله وهو ابن الشيخ عبدالعزيز المذكور فرتب كتب المستنصرية احسن ترتيب مفصلا لفنونها ليسهل تناولها ولا يتعب مناولها، وفي بعض ايام جمادى الآخرة من تلك السنة حضر الخليفة المستنصر في المدرسة وحضر الشيخ عبدالعزيز بين يديه وسلم عليه واعقب دعاءه بان قرأ قوله تعالى « تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا » فظهر خشوع المستنصر بالله وتقاطرت دموعه [٧] .

---

(٥) اي معتقدا انه ولي من اولياء الله .

(٦) مرآة الزمان (مختصر ص ٤٨٩) .

(*) صناديق اجزاء المصحف .

(٧) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ص ٥٤ — ٥٥ .

وقد ذكر ابن الفوطي ترجمة عبدالعزيز بن دلف المذكور في وفيات سنة ٦٣٧ فقال : « وفيها توفي عبدالعزيز بن دلف الخازن المعروف بالناسخ، شيخ رباط الحريم الطاهري ، كان شيخ وقته ومقدم اهل زمانه بفضائل اجتمعت فيه وكان يقضي حوائج الناس عند الخليفة وغيره ، كثير الصلاة والصيام يتلو القرآن دائما وروى الحديث عن جماعته ودفن الى جانب معروف الكرخي » (٨) .

فهذه اخبار تلميذ واحد من تلاميذ فخر النساء شهدة البغدادية ، وهي تدل على ان سرد اخبارهم يحتاج الى عدة اجزاء. ومن عظيم شهرتها وشيوع ذكرها في آفاق العلم والأرض ان ابن خلكان لم يخل كتابه «وفيات الاعيان» من ترجمتها فقال : « فخر النساء شهدة بنت ابي نصر احمد بن الفرج بن عمر الابري الكاتبة الدينورية الاصل البغدادية المولد والوفاة كانت من العلماء (كذا) وكتبت الخط الجيد وسمع عليها خلق كثير وكان لها السماع (الحديثي) العالي ، الحقت فيه الأصاغر بالاكابر . سمعت من ابي الخطاب نصر بن احمد بن البطر وابي عبدالله الحسين بن احمد بن طلحة النعالي وطراد بن محمد الزينبي وغيرهم مثل ابي الحسن علي بن الحسين بن ايوب وابي الحسين احمد بن عبدالقادر بن يوسف وفخر الاسلام ابي بكر محمد بن احمد الشاشي واشتهر ذكرها وبعد صيتها وكانت وفاتها يوم الاحد بعد العصر ثالث عشر المحرم سنة اربع وسبعين وخمسمائة ودفنت بباب ابرز قريبا من المدرسة التاجية وقد نيفت على تسعين سنة من عمرها » .

وترجمها صلاح الدين الصفدي في كتابه «الوافي بالوفيات»(٩) وزاد على غيره انها كانت شاعرة واورد لها قطعة شعر جميلة لكنه شك في صحة نسبة ذلك الشعر اليها .

ذكرنا ممن نقلوا العلم عن شهدة : ابن الجوزي والشيخ العلامة الصالح عبدالعزيز بن دلف الخازن المعروف

---

(٨) الحوادث الجامعة ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥ .

(٩) مخطوط بدار الكتب الوطنية بباريس (٢٠٦٥ عربي ، ورقة ١٧٤) .

بالناسخ واشرنا الى ذكر ابي محمد عبدالعزيز بن ابي نصر محمود بن المبارك المعروف بابن الاخضر الجنابذي الاصل البغدادي التاجر البزاز المولود سنة ٥٢٤ المتوفى ببغداد سنة ٦١١ وكان حافظ العراق في زمانه، وله حلقة بجامع القصر للحديث، وكان قد حصل الاصول(اي الكتب) التي وقع فيها الاساتذة فانه اشتراها مغاليا في اثمانها وظل يحدث نحوا من ستين سنة وصنف تصانيف مفيدة للفوائد وكان ثقة صالحا دينا عفيفا مأمونا كثير السماع واسع الرواية ظريفا نبيلا ، ذكره ابن الدبيثي في ذيل تاريخ بغداد ، قال : « ولم أر في شيوخنا اوفر مشيخة ولا اغزر سماعا مع معرفة بحديثه وشيوخه وفهم لما يرويه حدث بالكثير وكانت له حلقة بجامع القصر الشريف يقريء فيها الحديث ويقرأ عليه ، سمع الناس بها سنين كثيرة وسمعنا منه وكتبنا عنه وانتفعنا بمجالسته وكتبه ونعم الشيخ كان ... توفي يوم السبت سادس شوال سنة احدى عشرة وستمائة وحضرنا الصلاة عليه بجامع القصر الشريف يوم الاحد سابع الشهر المذكور والجمع كثير وشيعنا جنازته الى الجانب الغربي حتى دفن بمقبرة باب حرب عند قبر ابي بكر المزرقي [١٠] » . وذكره شمس الدين الذهبي في (تاريخ الاسلام) ووسع ترجمته[١١] وترجمه ابو شامة في (ذيل الروضتين) [١٢] .

ومن تلامذتها الخليفة الامام الناصر لدين الله ، فانه روى عنها في كتابه الذي الفه وسماه « روح العارفين » قال الامام جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء « واجاز للناصر لدين الله جماعة منهم ابو الحسين عبدالحق اليوسفي وابو الحسن علي بن عساكر البطائحي وشهدة واجاز هو لجماعة فكانوا يحدثون عنه في حياته ويتنافسون في ذلك رغبة في الفخر لا في

(١٠) ذيل تاريخ بغداد (دار الكتب الوطنية بباريس ، رقم ٥٩٢٢ ورقة ١٧٤).

(١١) تاريخ الاسلام او مختصره (دار الكتب الوطنية بباريس ، رقم ١٥٨٢ ورقة ١٨٨) .

(١٢) الذيل على الروضتين (دار الكتب الوطنية بباريس رقم ٥٨٥٢ ورقة ٩٦)

الاسناد [١٣] » .

ومن تلاميذ تلاميذها ابو منصور عبدالله بن ابي السعادات الانباري الاصل البابصري الملقب نجم الدين خطيب جامع المنصور ، كان من محلة باب البصرة بالجانب الغربي من بغداد (اي في شرقي موضع محلة الجعيفر فالى الغرب) . روى بالواسطة عن فخر النساء شهدة العالمة كتاب (موطأ القعنبي) وكان فاضلا ، توفي ببغداد سنة (٧١٠هـ) ودفن بمقبرة جامع المنصور » [١٤] .

ومنهم الامام الحافظ ابو علي الحسن بن خلف بن معزوز التلمساني المغربي المعروف بالكومي ، روى عن فخر النساء شهدة (كتاب الاموال) للامام العظيم الحافظ الحجة ابي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ وهذا نص قراءته : « قرىء على الشيخة الصالحة الكاتبة فخر النساء شهدة بنت ابي نصر احمد بن الفرج بن عمر الابري الدينوري بمنزلها ببغداد في الحادي عشر من شعبان سنة ٥٦٤ : اخبرنا النقيب الكامل ابو الفوارس طراد بن محمد بن علي الزينبي في ثاني ذي الحجة من سنة ٤٩٠ اخبرنا ابو الحسن احمد بن علي بن الحسن البادي اخبرنا ابو علي حامد بن محمد الهروي اخبرنا علي بن عبدالعزيز البغوي حدثنا ابو عبيد القاسم بن سلام الازدي (رض) قال : باب حق الامام على الرعية وحق الرعية على الامام ... » [١٥] .

ومن تلامذة شهدة عبدالله بن احمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، قرأ عليها (كتاب الاموال) ، قال : « قرأت هذا الجزء وما قبله من كتاب الاموال لابي عبيد (رح) على شهدة بنت احمد بن الفرج الابري من اصل سماعها

---

(١٣) قال الذهبي : (منهم ابن سكينة وابن الاخضر الجنابذي وابن النجار وابن الدامغاني وآخرون) (تاريخ الخلفاء للسيوطي) .

(١٤) تقي الدين المكي : منتخب المختار ، ص ٦٨ — ٦٩ .

(١٥) ابو عبيد القاسم بن سلام : كتاب «الاموال» : ص ٣ و١٢٣ و٢٤٦، و٤٤٨ ، ومقدار صفحات الكتاب «٦١٥» طبع بمصر سنة ١٣٥٣ .

من النقيب طراد (رح) وعورض به هذه النسخة . وسمعها منها الفقيه ابو اسحق ابراهيم بن عبدالواحد بن علي بن سرور المقدسي وابو محمد عبدالله بن ابي الحسن بن ابي الفرج الشامي الجبائي وابو محمد طلحة بن مظفر بن محمد بن غانم الثعلبي العراقي وعبدالرحمن بن عمر بن علي الدمشقي وذلك في مجالس آخرها صفر سنة ٥٦٧ وكتب عبدالله بن احمد المقدسي خطه بذلك » (١٦) .

ومنهم الحسن بن هبةالله بن محفوظ بن الحسن بن محمد بن صصري الثعلبي الدمشقي ، فانه قرأ عليها كتاب الاموال المذكور وقال : « سمع جميع هذا الجزء وما قبله من الاجزاء على الجهة العالمة الكاتبة فخر النساء شهدة بنت الشيخ ابي نصر احمد بن الفرج بن عمر الابري نفعنا الله بها بعد العرض على نسخة فيها سماعها من النقيب طراد (رح) في ذي الحجة سنة ٤٩٠ عن ابي الحسن احمد بن علي بن البادا ... » (١٧) .

ومنهم الشيخ ابو اسحق ابراهيم بن مسلم بن سلمان الاربلي وابنه محمد ، سمع عليها كتاب الاموال ، قال : « وذلك في يوم الثلاثاء رابع وعشرين ذي القعدة من سنة ٥٦٧ بدار المسمعة بحضرة جامع القصر وصح وثبت ولله الحمد » ومنهم الشيخ الفاضل ابو محمد عبدالملك بن عثمان بن عبدالله بن سعد المقدسي(١٨) . ومنهم ابو الفضل يحيى بن ابي الفتح بن عمر الطباخ الحراني وابو الخليل احمد بن الاسعد بن وهب الخباز المقريء وابو بكر عبدالله بن معالي بن احمد النعال المقريء ، سمع هؤلاء كلهم عليها كتاب الاموال وذلك بقراءة كاتب السماع محمد بن خلدة بن راجح بن بلال المقدسي وكان الفراغ من سماعهم في شعبان من شهور سنة ٥٦٧ وصح لهم ذلك » (١٩) .

---

(١٦) المرجع المذكور (ص ٦١٥ .

(١٧) المرجع المذكور .

(١٨) المرجع السالف الذكر .

(١٩) المرجع المذكور ، ص ٦١٦ .

وكتبت شهدة توقيعها على السماع وكان بمثابة (الشهادة) التي في عصرنا ، ونصه : «صحيح ذلك وكتبته شهدة بنت احمد بن الفرج بن عمر المعروف بالابري ــ رحمه ــ حامدة لله تعالى على نعمه ومصلية على سيدنا محمد وآله ومسلمة » [٢٠] .

ولقد بنت شهدة العالمة رباطا للمتصوفة والزهاد برحبة جامع القصر من بغداد، وذكرنا ان دارها كانت بالرحبة ايضا، وكان الرباط المذكور مقرأة للحديث النبوي ، قال ابو عبدالله ابن الدبيثي في ترجمة العلامة الكبير ابي بكر محمد بن موسى الحازمي المتوفى سنة (٥٨٤ هـ) ما صورته : قرأت على الحافظ ابي بكر محمد بن موسى ابن عثمان الحازمي ببغداد برباط الكاتبة شهدة برحبة جامع القصر الشريف ..» [٢١] ثم ذكر حديثا في فضل قبيلة الازد ووقفت (رحم) على الرباط اوقافا حسنة ، قال ابن الدبيثي في ترجمة (عبدالله بن خميس) ما صورته : « عبدالله بن خميس ابو المظفر الفقيه الشافعي من اهل اهر بلدة من بلاد اذربيجان ، قدم بغداد وتفقه بها وحصل بها معرفة المذهب والخلاف[٢٢] وتكلم في المسائل وناظر واعاد (الدروس) بالمدرسة النظامية والمدرس بها القاضي ابو علي يحيى بن الربيع الواسطي . ومن بعده ولي خدمة الصوفية برباط الكاتبة شهدة بنت احمد الابري برحبة جامع القصر الشريف والنظر في وقفه وانقطع الى ذلك وترك الاعادة بالمدرسة النظامية واجاز له سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على كافة الانام الناصر لدين الله (خلد الله ملكه) وحدث عنه بجامع القصر الشريف وغيره » [٢٣] .

---

(٢٠) المرجع المذكور ، ص ٦١٥ .

(٢١) ابو عبدالله ابن الدبيثي / تاريخ بغداد (دار الكتب الوطنية بباريس رقم (٥٩٤١ ورقة ١٤٨) .

(٢٢) الخلاف في اصطلاح الفقهاء معرفة القضايا بجميع وجوهها الناشئة عن اختلاف الفقهاء في الاحكام والآراء والاخبار .

(٢٣) ابن الدبيثي «تاريخ بغداد ٥٩٢٢ ورقة ٩٢» من نسخة دار الكتب الوطنية بباريس .

وكان من المتولين لامور رباط شهدة والناظرين في اوقافه قبل ذلك « نفيس بن هلال بن بدر » المتوفى سنة ٦١٢ . قال شمس الدين الذهبي في وفيات هذه السنة : « نفيس بن هلال بن بدر البغدادي ، صحب الكبار وحج وكان شيخ رباط شهدة الكاتبة والناظر في امره ، توفي في رجب [٢٤] » .

اما كتاب « مصارع العشاق » الذي روته العالمة شهدة عن مؤلفه شيخها ابي محمد جعفر بن احمد بن الحسين السراج المتوفى سنة (٥٠٠هـ) فقد طبع الطبعة الاولى بمصر سنة ١٣٢٥ هـ ــ ١٩٠٧ م من دون اسناد وقوامه (٤٤٨) ص ، ولكن نسخة المتحفة البريطانية بلندن لا تزال محتوية على اثر فخر النساء شهدة الكاتبة ، فقد جاء في «ذيل فهرست المخطوطات العربية» في المتحفة المذكورة (ص ٧١٣ رقم ١١٣٣) ما صورته : «مصارع العشاق ... اخبرتنا الكاتبة فخر النساء شهدة بنت احمد بن الفرج بن عمر الابري قراءة عليها ونحن نسمع بمنزلها برحبة جامع القصر الشريف في مجالس آخرها يوم السبت ثالث جمادى الآخرة من سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، قيل لها : حدثكم ابو محمد جعفر بن احمد بن الحسين السراج من لفظه في المحرم من سنة ثلاث وتسعين واربعمائة » .

ونقلت شهدة ايضا العلم عن زوجها ثقة الدولة العباسية ابي الحسن علي بن محمد بن يحيى الدريني الانباري ، وكان من اعيان العراق واماثله متوددا متواضعا خيرا كثير الصدقات ، اديبا شاعرا مقتدرا لطيفا ، وكان خصيصا بالامام الخليفة المقتفي لامر الله فكان يشاوره ويدنيه ومن الساعين جد السعي لاعادة استقلال الدولة العباسية بالعراق ، وبنى مدرسة لاصحاب محمد بن ادريس على شاطىء دجلة بباب الازج[٢٥] من بغداد ، فعرفت

---

(٢٤) الذهبي : تاريخ الاسلام أو مختصره (١٥٨٢ ورقة ١٩١) .

(٢٥) باب الازج محلة كبيرة من محلات بغداد وكانت في موضع في محلة السيد سلطان علي ممتدة حتى المربعة والحاج فتحي فراس سوق القاطرخانة من جهة الجنوب .

باسم «المدرسة الثقتية» نسبة الى ثقة الدولة وباسم «مدرسة الاصحاب» نسبة الى اصحاب محمد بن ادريس ، وبنى ايضا الى جانبه رباطا للصوفية واوقف عليهما وقوفا حسنة ، وزاد نفسه جلالة وتقى انه روى الحديث النبوي عن النقيب ابي الفوارس طراد بن محمد بن علي الزينبي وابي عبدالله الحسين بن احمد بن طلحة النعالي وابي الخطاب نصر بن احمد بن عبدالله البطر . وقد تقدم ذكرهم وكونهم من شيوخ زوجته فخر النساء شهدة بنت الابري فلعلهما نقلا العلم معا وحصل الاتصال بينهما في مجالس العلم ومواضع الرواية حتى تم بينهما الزواج ، ثم ان ثقة الدولة روى الحديث وانشد شعره واملاه ، فممن نقل عنه رجل هو احد تلامذة زوجته واسمه « ابو محمد عبدالعزيز بن محمود الجنابذي المعروف بابن الاخضر » وقد سلف ذكره ، وكان يقرأ الحديث على ثقة الدولة وعلى زوجته فخر النساء معا . توفى ثقة الدولة ابن الانباري في يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان سنة (٥٤٩ هـ) ودفن في داره برحبة جامع القصر ثم نقل من مدفنه بعد موت زوجته فخر النساء (اعني في خلال سنة ٥٧٤) فدفنا معا بباب ابرز قريبا من المدرسة التاجية في المحرم من السنة المذكورة .

قال محب الدين محمد بن محمود ابن النجار مؤرخ بغداد وفخر المؤرخين : « قرأت على ابي بكر عبدالعزيز بن احمد بن عمر العدل بالقاهرة عن شهدة بنت احمد بن الفرج بن عمر الابري قالت انشدنا (زوجي) الاجل ثقة الدولة ابو الحسن علي بن محمد الانباري لنفسه :

ألاهل لايام الصبا من يعيدها فيطرب صب بالغضا يستعيدها[٢٦]؟!

(٢٦) ان ابا عبدالله الدبيثي نقل في ترجمة «ابى محمد بن الاخضر» المذكور هنا غير مرة ما صورته«وانشدنا ابو محمد ايضا قال انشدنا أبو منصور المظفر بن أردشير العبادي الواعظ ببغداد في مجلس وعظه وانا اكتب عنه « الا هل لايام الصبا من يعيدها » وذكر خمسة ابيات ، فالظاهر ان ابا منصور المظفر رواها عن ناظمها ثقة الدولة وكانا متعاصرين (ذيل تاريخ بغداد ٥٩٢٢ ورقة ١٤٧ من نسخة باريس) .

وهل عذبات الدوح من رمل حاجر ... يميل الى نوحي مع الورق عودها ؟
سـقى الله ايامي بهـا كل مزنـة ... تصوب ثراهـا بالحيـا وتجودها
ورد لياليـنا بجرعـاء مالـك ... فقد طالما ابيضت من العيش سودها
ارى الارض والاوطان فيها فسيحة ... وما يستميل القلب الا زرودهـا
وما العذل الا جذوة بين اضلعـي ... فليت عـذولي والرقيب وقودهـا
وكيف فكاك القلب مـن يد ظبية ... وقد اسرته مقلتاها وجيدهـا [٢٧]

وقد نقل قاضي القضاء شمس الدين ابن خلكان في ترجمـة فخـر النساء شهدة من كتابه الوفيات كثيرا من ترجمة زوجها ثقـة الدولـة ابن الانبـاري المذكور ، وترجمه قبل هذين المؤرخين عمـاد الدين الاصفهاني كاتب الملك الناصر صلاح الدين الايوبي في كتاب « خريدة القصر وجريدة العصر» فقال في ما قاله :

«ثقة الدولة الدريني المعروف بابن الابري[٢٨] ابو الحسن علي بن محمـد من بغداد من اركان دولة المقتفي: مجموع الكرم والفضل والدين... وقف على اصحابه[٢٩] مدرسة سماها «الثقتية» وكان جاهه على نفع ذوي الحاجات موقوفا ، وما له في وجوه الخير مصروفا توفي سنة ٥٤٩ ومن نظمه :

اذا ما حساها بالدجنـة شـارب ... ظنناه بالبـدر المنـير تلثمـا
وكم ليلـة لـم يبد منهن كوكب ... اقض حباب الكأس فيهن انجما[٣٠]

اما « المدرسة الثقتية » التي سار ذكرها في البلاد وتعلم فيها مئات

---

(٢٧) ابن النجار في كتاب «التاريخ المجدد لمدينة بغداد» رقم (٢١٣١ ورقـة ٢٩ ، ٣٠) من نسـخـة دار الكتب الوطنية بباريس .

(٢٨) كذا ما رأينا ولعله « ابن الانباري » لانه كان ختن الابري والد فخـر النساء شهدة كما هومعلوم .

(٢٩) الضمير في اصحابه يعود الى محمد بن ادريس ، وقد حذفنـاه قصدا الى الاختصار ومراعاة لمقتضى الحال .

(٣٠) عماد الدين في : خريدة القصر (رقم ٣٣٢٦ ، ورقة ٨ من دار الكتب المذكـورة .

من العلماء ودرس فيها جماعة كبيرة من عظماء المدرسين ، فللكلام على تاريخها « بحث مفرد » وليس هو من موضوعنا هذا غير اننا نستطرد الى ذكر خطأ اورد في « رسالة المدرسة المستنصرية » في اثناء الكلام على المدرسة الثقتية ، فقد جاء فيها ما نصه « مدرسة باب الازج الثانية بنيت لثقة الدولة ابي الحسن علي بن محمد القزويني » وجاء : « ١٤ ــ مدرسة الاصحاب بناها ثقة الدولة ابن الانباري [٣١] » والصحيح ان هذه الاسماء الثلاثة اطلقت على مدرسة واحدة هي المدرسة الثقتية التي عرفت ايضا بمدرسة الاصحاب (كما ذكرناه) ولله الحمد ومنه التوفيق للسداد والرشاد .

(٣١) السيد ناجي معروف في (المدرسة المستنصرية) ، ص ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

بقية الأدارسة في مصر

نشر الدكتور المحقق الفاضل حسين مؤنس في المجلد الحادي عشر من هذه المجلة[1] مقالة بارعة في أدارسة صقلية ، أشملها تمهيدا ونظـرة عامة في تاريخ الأدارسة وسيرة الشريف الادريسي العالم الجغرافي المشهور، وأدارسة صقليّة وختمها بقوله : « وفي غضون هذه الاضطرابات اختفى بنو حمود (الادارسة) فلم نعد نسمع لهم ذكرا ، وقـد يكونون غادروا الجزيرة عندما استبانت لهم استحالة المقام وضياع الامن وانقطاع الآمال في الصلاح . قد يكونون غادروا الجزيرة في صمت وحلّوا في أي بلد من بلاد الاسلام كما دخلوا صقلية واستقرّوا فيها في سكون ولسان حالهم يردّد هـذه الابيات الجميلة التي تنسب الى اعظم مـن نزل منهم صقلية وهو الشريف الادريسي .. » وذكر أبياتا رائية خمسة .

وقد خطرت ببالي معلومات تخص اولئك الأدارسة لم يحتوها البحث النفيس المقدم ذكره ، من ذلك ما ذكـره عبدالملك بن بـدرون ، قـال : « والقاسم بن علي بن حمود (الادريسي) قتله ابن أخيه ادريس[2] » وقد ذكر ابن عنبة «ادريس بن عبدالله المحض » الذي نسب اليه الادارسة وعقبه حتى انتهى الى «حمود» وقال : « ومنهم حمود وهو ابن ميمون بن احمـد بن علي بن عبدالله بن عمر » وانهى قوله بهذه الجملة التامّة « وبنو ادريس

---

(١) ص ٨٨ ـ ١١٧ سنة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م . (+) ويقصد : مجلـة المجمع العلمي العراقي .

(٢) شرح البسامة قصيدة ابن عبدون «طبعة مطبعـة السـعادة بمصـر» ص ٢٢٤ .

كثيرون وهم في نسب القطع يحتاج مَن يُعزى اليهم الى زيادة وضوح في حجّته لبعدهم عنّا وعدم وقوفنا على أحوالهم » وذكر فيمن ذكر منهم شاعرا قال : « ومنهم الشيخ الشاعر الضرير بمصر الحسن بن يحيي (بن) القاسم كنون بن ابراهيم بن محمد بن القاسم المذكور [٣] » .

وذكر القلقشندي « بني حمود » في كتابه في أنساب العرب قال : «بنو حمّود بطن من الادارسة من بني الحسن السبط من بني هاشم من العدنانية وهم بنو حمود بن يعقوب [٤] بن أحمد بن علي بن عمرو بن ادريس .. وأول من ملك منهم علي بن حمود بن ميمون ثم أخوه القاسم ابن حمود وتلقب بالمأمون ثم يحيى المعتلي بن علي بن حمود ثم الموفق ادريس ابن يحيى بن صنوان ثم ادريس المتأيد بالله ثم المأمون القاسم بن حمود ثم ابنه المعتصم محمد ثم ابنه الواثق القاسم » وعمرو المذكور في النسب هو تصحيف عمر .

وذكر ابن الفوطي خلفاء منهم (أعني الادارسة) قال : «المأمون أبو محمد القاسم بن حمود بن أبي العيش ميمون الحسني الخليفة بالاندلس، (هو) القاسم بن حمّود بن ابي العيش ميمون بن حمّود بن علي بن عبدالله بن عبدالحسن المثنى بن الحسن بن عليّ ، لما قتل أخوه الناصر [٥] علي

(٣) عمدة الطالب في أنساب آل ابي طالب «طبعة بمبي ١٣١٨ هـ » ص ١٣٨ — ١٤٠ .

(٤) كذا هو في نهاية الارب في معرفة انساب العرب طبعة مطبعة الرياض ببغداد ، ص ٢٠٠ وطبعة مطبعة النجاح وقد تقدم انه « ميمون » وسيؤيده القلقشندي نفسه في كلامه التالي لذاك .

(٥) قال ابن عنبة : «اعقب حمود من رجلين القاسم الملقب بالمأمون وعلي الملقب بالناصر لدين الله ملك الاندلس وقلع بني مروان عنها واعقب على الناصر لدين الله ملك الاندلس يحيى الملقب بالمعتلي وادريس الملقب بالمتأيد وليا الخلافة بالمغرب فأعقب يحيى المعتلي ادريس الملقب بالمعالي والحسن الملقب بالمستنصر ، دعي لهما بالخلافة هناك ، واعقب القاسم المأمون بن احمد بن حمود بن ميمون — وكان قد ولي بعد اخيه — محمدا

ابن حمود بويع لأخيه القاسم ولقب المأمون فما غيّر على الناس عادة ولا مذهبا ، فبقي المأمون الى شهر ربيع الاول سنة اثنتي عشـرة واربعمائة ، فقام عليه ابن اخيه يحيى بن الناصر فهرب المأمون من قرطبة بلا قتال وصار باشبيلية (كذا) ثم اجتمع للمأمون جماعة وأخرجوا يحيى من قرطبـة الـى مالقة ، وقتل المأمون خنقاً سنة احدى وثلاثين واربعمائة ، ومدة ولايته ستة اعوام ، ويقي محبوسا عند ابن أخيه المعتلي يحيى بن علي ست عشرة سنة ومات (خنقاً) وله ثمانون سنة [٦] » .

وقال ابن الفوطي : «المتأيد بالله أبو أحمد (وأبو) منصور ادريس بن الناصر بن حمّود العلوي الحسني الخليفة بالاندلس ، قال صاحب تاريخ الاندلس : لما قتل المعتلي بالله يحيى ين عبدالله في المحرم سنة سبع وعشرين واربعمائة رجع ابو جعفر أحمد بن أبي موسى ين بقية ونجا الخادم الصقلي وهما مدبّرا دولة الحسنيين فأتيا مالقة وكان أخوه ادريس ين علي بسبتة فاستدعياه الى مالقة وبايعاه بالخلافة وتلقب بالمتأيد بالله ، فبقي كذلك الـى سنة ثلاثين (واربعمائة) وحدث القاضي محمد بن اسماعيل بن عباد نفسـه بالتغلب على البلاد وكان المتأيد محب الادب ولم يزل مطـاع الامر الى أن توفي في المحرم سـنة احـدى وثلاثين وأربعمائة وكانت مدتـه أربـع سـنين [٧] » .

وقال : «المعتلي بالله أبو اسـحاق يحيى بن علي بن حمـود العلوي الحسني نزيل الاندلس الخليفة بالمغرب ، أمه لبونة بنت محمد بن الحسن

الملقب بالمهتدي ملك الجزيرة الخضراء بالمغرب » ، (عمدة الطـالب ، ص ١٣٩) وجاء في حاشية الكتاب « وكانت وفاة الناصر لدين الله علي بن حمود سنة ثمان واربعمائة ، وكانت وفاة يحيى المعتلي بالله سـنة سـبع وعشـرين واربعمائـة وكـانت وفـاة الحسـن المستنصر بالله سنة اربع وثلاثين واربعمائة » .

(٦) مجمع الآداب في معجم الالقاب (طبعة لاهور ، المجلد ٥ ، الترجمة ٤٤ من الميم) .

(٧) مجمع الآداب (الترجمة ٩٠ من الميم) .

ابن فنون . مولده في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وكـان أعين أكحل . بويع له بالخلافة بقرطبة سنة ثلاث عشرة واربعمائة ثم هرب الى مقالة سنة أربع عشرة ثم سعى قوم من المفسدين في رد دعوته الى قرطبة سنة ست عشرة (واربعمائة) الا انه تأخر عن دخولها ، واستخلف عليها عبدالرحمن بن عطّاف اليفرني، وكان عبيده وأصحابه يدخلون الىالاسواق يأخذون اموال التجار ، وبقي الامر الى سنة أربع عشرة وأربعمائة ، ثم قطعت خطبته عن قرطبة وأطاعه جماعة من البربر وأقام بقرمونة وقتل يوم الخميس النصف من المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة[٨] » .

وقال : « المستعلي بالله أبو عبدالله محمد بن المعالي ادريس بن يحيى (بن) حمود العلوي الحسني الخليفة بالمغرب . ذكره الغرناطي في تاريخه وقال : لما توفي المعالي سنة ست وأربعين وأربعمائة ، قام بأمره بعده ولده محمد وتلقب بالمستعلي ولم يخطب له بالخلافة ، وعلى يده كـان انقراض دولة الفاطميين من آل حمود بالمغرب . وفي سنة سبع وأربعين (واربعمائة) تغلب عليه باديس بن حبّوش صاحب غرناطة وأخرجه من مالقة . فجملـة دولة الفاطميين بالاندلس سبع سنين وسبعة أشهر وثمانية عشـر يومـا ، والباقي من هذا انما هو تغلب وفتنة [٩] » .

وترجم ابن الفوطي في معجمه للالقاب « الموفق أبا علـي ادريس بن يحيى بن حمود العلوي الحسني الخليفة » ولكن ترجمته ضاعت فيما ضاع من ألفاق أوراق هذا الجزء المطبوع في لاهور أعني الجزء الخامس وبقـي اسمه فقط [١٠] .

هذه معلومات لم تكن مجموعة ولا منقولة في كتب هذا العصـر قدمتها بين يدي البحث عن «بقية الادارسة» .

---

(٨) المرجع المذكور (الترجمة ١٣٠٨ من الميم) .

(٩) المرجع المذكور (الترجمة ١٠٨١ من الميم) .

(١٠) المرجع المذكور (الترجمة ١٩٠٩ من الميم) .

وقد بان لي من أثناء مطالعتي لكتب التراجم والادب أن من الادارسة المذكورين آنفا من انتقل الى مصر ودخل في غمار العامة الا انه حافظ على نسبه ، وقد صرح ياقوت الحموي بنسب بعضهم غير مرة في كتابه ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ، قال ياقوت في ترجمة أبي الفتح عثمان بن عيسى البلطي : « لم يذكر العماد وفاته وانما اخبرني بوفاته وما بعده الشريف أبو جعفر محمد بن عبدالعزيز بن أبي القاسم بن عمر بن سليمان بن الحسن ابن ادريس بن يحيى العالي بن المعتلي وهو الخارج بالمغرب والمستولي على بلاد الاندلس ابن حمود بن ميمون بن أحمد بن عمر بن ادريس بن ادريس ابن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأخبرني الشريف المذكور وكان من تلامذته قال : كان البلطي رجلاً طوالاً جسيما طويل اللحية واسع الجبهة أحمر اللون » [11] .

وكان ياقوت قد ذكر هذا الشريف في أوائل كتابه ولم يبسط نسبه هذا البسط ، قال في ترجمة ابن الزبير أحمد بن علي الغساني : « وكان السبب في تقدمه في الدولة المصرية في أول أمره ما حدثني به الشريف أبو عبدالله[12] محمد بن أبي محمد عبدالعزيز الادريسي الحسني الصعيدي ..[13] » وقال في ترجمة الظهير الحسن بن الخطير النعماني: «حدثني بجميع ما أورده عنه هاهنا من خبره ووفاته تلميذه الشريف أبو جعفر محمد بن عبدالعزيز الادريسي الحسني الصعيدي بالقاهرة سنة ٦١٢هـ قال : كان الظهير يكتب على كتبه في فتاويه (الحسن النعماني) فسألته عن هذه النسبة فقال : أنا نعماني أنا من ولد النعمان بن المنذر ومولدي بقرية تعرف بالنعمانية ... »[14] .

(١١) معجم الادباء (طبعة مرغليوث ٥ : ٤٣) .

(١٢)كناه بابي جعفر في المواضع الاخرى وقد قدمته موضعا منها .

(١٣) معجم الادباء ١ : ٤١٨ .

(١٤) المرجع المذكور ٣ : ٦٥

وله ترجمة في لسان الميزان قال مؤلفه : « محمد بن عبدالعـزيز بن عبدالرحيم بن عمر بن سليمان الشريف الادريسي المقريء الأجلح القاوي المولد نزيل القاهرة ، قدم أبوه فولد له هذا بواد من صعيد مصر ، فـي رمضان سنة ثمان وستين (وخمسمائة) ونشأ بمصـر وسمع من البوصيري وابن ياسين والأرتاحي وعبدالمجيب بن زهير وفاطمة بنت سعد الخير فـي عدد كثير ، وسمع بالاسكندرية وغيرها ، وتصدّر بالعمرية بالقاهرة ، أخذ عنه الدمياطي والشريف الحسيني وأحمد يوسف الاربلي وابو صـادق بن الرشيد العطار وآخرون ، قال القطب[١٥] : كان اماما عالما ومحدثا حافظـا عارفا بالتاريخ والادب والحديث والنسب وله كتاب (المفيد في ذكر من دخل الصعيد) وكتاب في الاهرام جيد ، وذكره ابن مسدي في معجمه وقـال : ذكر لي أنه من ولد ادريس بن ادريس الحسني ، ورأيت المطاعن عليه بمصر في ذلك ، وكان متسامحا في باب الرواية ، متساهلا فيه الى الغاية ، وقـد سمعت منه فوائد من اصل سماعه وربما حسن حاله بأخرة في تصانيفـه ، وأنشـد له :

ولم أر علماً كالحديث[١٦] فنونـه تطـول اذا عددتهنّ وتكثـر
ويحسب قوم أنـه النقـل وحده ونقلُ شروری منـه عندي أكثـر

وشروری[١٧] بفتح المعجمة والراء وسكون الواو بعدها زاي مقصورة جبل معروف وكانت وفاة المذكور سنة اربع واربعين وستمائة »[١٨].

وذكره السيوطي في حسن المحاضرة في أخبار مصر والقـاهرة فـي

---

(١٥) المراد بالقطب : قطب الدين عبدالكريم بن عبدالنور ، الحلبي الاصـل موءرخ مصـر .

(١٦) في اللسـان المطبوع « في الحديث » وهو ضد مراد القائل .

(١٧) في المطبوع «شروزي» وهو تصحيف وشروری كما في معجم البلدان جبل مطل على تبوك في قول ولبني سليم في قول آخر .

(١٨) لسـان الميزان ٤ : ٢٦٢ .

المؤرخين قال : «محمد بن عبدالعزيز الادريسي الشريف العلوي ، كان من فضلاء المحدثين وأعيانهم سمع الكثير وألف (المفيد في اخبار الصعيد) • ولد في رمضان سنة ثمان وستين وخمسمائة ، وتوفي بالقاهرة في صفر سنة تسع واربعين وستمائة [١٩] » وذكره استطرادا في بغية الوعاة في ترجمة سليمان بن بنين المصري الدقيقي ، قال : « قال اليغموري في تذكرته بعد سردها : هذا آخر ما وجد من تصانيفه بخط وجيه الدين الصبان وقد نقله من خطه الشريف الادريسي أبو عبدالله[٢٠] محمد بن عبدالعزيز••»[٢١]•

وذكر أبو شامةادريسياً آخر لم أعرف له صلةنسب بأبيجعفر المذكور، نقلا من تاريخ يحيى بن ابي طي الحلبي في سيرة صلاح الدين قال يحيى في حوادث سنة ٥٦٤ : «حدثني الشريف الادريسي نزيل حلب قال : كنت بالاسكندرية يومئذ[٢٢] ••• » •

ثم قال : « قال الادريسي : كنت في جملة من خرج من المراكب فلما وصلنا الى ميناء عكا أخذنا واعتقلنا في معصرة القصب [٢٣] » •

وتاريخ الاهرام الذي ألفه الشريف ابو جعفر محمد الادريسي هو «انوار علو الاجرام الكشف عن أسرار الاهرام» ومنه نسخة بدار الكتب الوطنية بباريس ارقامها (٢٢٧٤) جاء في أولها «تأليف السيد الشريف الشيخ جمال الدين محمد بن عبدالعزيز بن القاسم (كذا) بن عمر بن سليمان الادريسي ، نفع الله تعالى به ••• » وفي كشف الظنون « انوار علو الاجرام

(١٩) حسن المحاضرة (طبعة المطبعة الشرفية) ١ : ٢٣٨ .

(٢٠) في المطبوع «ابى عبدالله بن محمد» وهو خطأ .

(٢١) بغية الوعاة ص ٢٦١ .

(٢٢) كتاب الروضتين طبعة مطبعة وادي النيل ١ : ١٦٨ .

(٢٣) المرجع المذكور ١ : ١٦٩ .

في الكشف عن اسرار الاهرام للشريف جمال الدين ابي جعفر محمد بن عبدالعزيز الادريسي ، مختصر أوله الحمد الذي جعل ما أبقاه الخ . ذكر أنه ألفه للملك الكامل محمد بن خليل (كذا) سنة ٦٢٣» ، والصواب «محمد بن خليل أمير المؤمنين « العادل » الايوبي .

ومن الكتاب نسخ اخرى في خزائن اخرى ، وقال الشيخ ابراهيم الدروبي في كتاب بعث به الي سنة ١٩٤٣ : « تحية واحتراما وبعد فقد عثرت في احد بيوتات بغداد القديمة على كتاب معنون بكتاب (المقصد الحرام في عجائب الاهرام) للشيخ عبدالقادر بن عمر البغدادي ، يشتمل هذا الكتاب على عشرة فصول ، يحتوي على مائة وسبع وعشرين صفحة ، كل صفحة على واحد وعشرين سطرا . ان الناظر الى مؤلف الكتاب يذهل لاول وهلة الى انه صاحب خزانة الادب ، والحال ان الكتاب مخطوط في ١١ شوال سنة ١٠٢٠ لا يخفى على سعادتكم ان صاحب الخزانة ولد سنة ١٠٣١هـ فما هذا التفاوت والتناقض في التاريخين فيما اذا قطعنا انه لصاحب الخزانة ؟ يشير المؤلف المشار اليه في الفصل الرابع من هذا الكتاب ما هذا نصه حرفيا (ويوم شروعنا في هذا الكتاب في شهور سنة ثلاث وعشرين وستمائة للهجرة ، الخ البحث) . فيرجى التفضل بارشادي عن صاحب الكتاب وعن التناقض في التاريخين مع بيان ماهية الكتاب . هذا واقبلوا مني فائق الاحترام والامتنان سيدي العزيز ، ٢٧ حزيران سنة ١٩٤٣ م » .

واذكر أني اجبته بالحقيقة وهي أن الكتاب للشريف محمد بن عبدالعزيز الادريسي وأن عبدالقادر بن عمر البغدادي الاديب النحوي المشهور استخرجه من درج قديم ، فقد جاء في اول نسخة باريس ما هذا نصه « هذا الكتاب استخرجه من درج قديم الشيخ الفاضل عبدالقادر بن عمر البغدادي النحوي وكان أديبا مبرزا في اللغة العربية والفارسية قرأ على

الشهاب الخفاجي المصري والشيخ ابراهيم الميموني والشيخ ياسين الشامي والحريري وقرأ الصحيحين على الشيخ احمد العجمي المصري وصنف كتبا منها شرح شواهد شرح الكافية للرضي الاسترابادي، وشرح شواهد الشافية له ايضا وله حاشية على المغني لابن هشام وحاشية على شرح الوردية وحاشية على شرح بانت سعاد لابن هشام ومشكلات لغة المنهاج وغيرها توفي بمصر سنة اثنتين وتسعين بعد الالف » .

الخطط

عمارات القرن السادس للهجرة في بغداد

(١)

فى الجانب الشرقي من بغداد خارج دار الخلافة

دار الخلافة العباسية في أواخر أيامها

بنيت المدرسة المستنصرية على دجلة فيما يلي دار الخلافة من جهة الشمال ، وذلك يعنى ان دار الخلافة كانت فيما يلي المستنصرية من الجنوب ، وقد كتب گاي لسترنج المستشرق الانكليزي فصلا في دار الخلافة المذكورة وفصلا في سورها وأبوابه[١] ، وقارب الحقيقة في تعيين حدها الشمالي بقوله « وكان في أعلى ابواب سور دار الخلافة[٢] باب الغربة[٣] نسبة الى اسم نوع من الاحطاب كان ينمو في هذا الموضع وكانت على دجلة قرب هذا الباب مشرعة الابريين ، ولعلها كانت عند النهاية الشرقية للجسر المتأخر[٤] » يعنى الجسر الذي كان ببغداد ايام تأليفه الكتاب سنة «١٩٠٠م» وفي موضعه اليوم جسر المأمون الحالي(*) والفرق بينه وبين الحقيقة عدة مئات أمتار ، وسبب زلته الخططية هذه

---

(١) راجع : بغداد في عهد الخلافة العباسية ص ٢٠٧ وما يليها من الترجمة العربية للاستاذ بشير فرنسيس ، و ص ٢٤٢ من الاصل بالانكليزية .

(٢) سماه المؤلف «القصر» على عادته .

(٣) هي واحدة الغرب (بفتح الغين والراء) .

(٤) الكتاب المذكور (ص ٢٢٥) من الترجمة العربية و (٢٦٥) من الاصل .

* وهو ، الآن ، جسر الشهداء .

أنه جعل المدرسه المستنصرية في عداد الابنية التي كانت داخل دار الخلافة فاضطره ذلك الى ظنه انها كانت حقا في جنوب باب الغربة [٥] فكأن فهم من الحريم الداخل لا الخارج .

وصف دار الخلافة الشرقية بعد لسترنج باحث فرنسي اسمه جورج سالمون ، فوهم وهما عظيما ، وتباعد عن الحقيقة[٦] . ولو اعتمد على لسترنج في هذا البحث كما اعتمد عليه في غيره لكان لبحثه فضل خططي مرعى ، ثم كتب الاستاذ يعقوب سركيس فصلا في حريم دار الخلافة العباسية الاخيرة عيّن به موضعها من بغداد الشرقية الجديدة ، وقد احسن تحديدها ولا سيما الحد الشمالي ، وأثبت ان ذلك الحد هو ما نسميه اليوم بشارع السمؤل وكان في زمان الترك الاخير سوقا ضيقة متعرجة[٧] ثم قال : « ولما كان حريم دار الخلافة على شكل نصف دائرة بمقدار ثلث بغداد وان فيه جامع القصر وهو اليوم جامع سوق الغزل وحواليه فلابد من وصول رأس نصف الدائرة المستطيل الاسفل الى دجلة نحو شريعة المربعة الحالية او فيها ... والمسافة بينها وبين شريعة المصبغة نحو كيلومتر [٨] .

وكنا نشرنا خارطة بينا فيها الحد الشمالي لدار الخلافة وما كان قريبا من دار الخلافة كدار سوق التمر العظيمة ودار الريحانيين والبدرية[٩] ونقل لسترنج المستشرق وصفا لفخامة دار الخلافة الشرقية

---

(٥) ص ٢٢٦ من الترجمة العربية وص ٢٦٦ من الاصل .

(٦) Georges Salmon, L'Introduction Topographique a L'Histoire de Baghdad.

+ وهو مقدمة طوبوغرافية لتاريخ بغداد للخطيب البغدادي . وقد طبع في باريس سنة ١٩٠٤ .

(٧) مجلة لغة العرب ، المجلد ٥ ص ٤٤٩ .

(٨) المرجع المذكور ، ص ٤٥٤ .

(٩) مجلة سومر ج ٢ ص ٦٨ .

في زمن الخليفة المقتدر بالله ، في اثناء خبر الرسول الرومي الوافد على الخليفة سنة ٣٠٥ هـ ــ ٩١٧ م [١٠] وذكر مما شيد في اوائل القرن السادس «باب الحجرة» وهي الحجرة التي بناها الخليفة المسترشد ببغداد. وهي دار عظيمة البنيان كان الخليفة يخلع فيها على الوزراء واليها يحضرون في ايام الموسم للهناء[١١] .

وكانت دار الخلافة من اعاجيب الدنيا في سعتها وكثرة قصورها ودورها ومنازلها وزواياها وخباياها وأثاثها وآلاتها ورياشها ، وحسن مبانيها وجمال بساتينها وفخامة مناظرها ، ونفاسة كنوزها ومذاخرها وخزائن كتبها ، واحتفالاتها واعيادها ومواسمها . ونقف عند الايماء اليها والى حدودها ونعود الى ذكر العمارات الفخمة التي كانت من خارجها في القرن السادس فنبدأ بذكر (رباط بهروز الاعلى) وهو رباط الخدم الذي بناه مجاهد الدين بهروز .

رباط الخدم

التزمنا في بحثنا عن عمارات بغداد الفخمة التي بنيت في القرن السادس بالجانب الشرقي منها أن نسير على طراز دجلة الشرقي أي شطها الشرقي ، فأول بناية قريبة من دار المسناة في الجنوب هي رباط الخدم الذي بناه مجاهد الدين بهروز الخادم[١٢] الابيض مملوك السلطان محمد ابن ملكشاه السلجوقي وقد ولى الامارة بالعراق نيفا وثلاثين سنة وبنى رباطا للصوفية على دجلة ، عند سوق المدرسة النظامية وبنى رباطا آخر للخدم بأعلى البلد على شاطىء دجلة وعمر النهروان وأجرى فيه الماء بعد

(١٠) بغداد في عهد الخلافة العباسية ص ٢١٨ من الترجمة العربية و ص ٢٥٥ من الاصل بالانكليزية .

(١١) مراصد الاطلاع في (باب الحجرة)

(١٢) الخادم هنا بمعنى الخصي قال السمعاني « الخادم .. هذه لفظة اشتهر بها الخصيان الذين يكونون في دور الملوك وعلى أبوابهم ويختصون بخدمة الولد ويقال لكل واحد منهم الخادم»(مختصر الانساب) منمختصراتنا .

أن كان قد خرب سنين ، قال جمال الدين محمد بن سعيد ابن الدبيثي : كان حسن السيرة ، ذكر ابو الفضل احمد[١٣] بن صالح بن شافع أن بهروز توفي في رجب سنة أربعين وخمسمائة ودفن برباط الخدم الذي أنشأه بعد أن صلى عليه بجامع السلطان بظاهر البلد . [١٤] ولابى الفرج ابن الجوزي كلمة طريفة فيه[١٥] . وعرف هذا الرباط برباط الخدم لانه كان يفضى اليه من درب الخدم او سمى الدرب بدرب الخدم لانه يفضي الى رباط الخدم . وقد جاء ذكر هذا الدرب في ترجمة الحسن بن عبدالله الرومي أحد الزهاد المنقطعين الذين قدموا من بلادهم فأقاموا ببغداد ، سكن اولا بالجانب الغربي من بغداد في مسجد على دجلة يعرف بمصلى معروف ثم انتقل الى رباط السيدة زمرد خاتون في المحلة المأمونية بالجانب الشرقي من بغداد ثم فارق الرباط المذكور وسكن اعلى البلد نحو درب الخدم الى أن توفى ثامن شوال سنة «٥٩٩هـ» وصلى عليه بمدرسة الشيخ أبى النجيب عبدالقاهر السهروردي[١٦] ثم حمل الى مقبرة الخيزران المجاورة لتربة الامام ابى حنيفة فدفن هناك بوصية منه [١٧] .

(١٣) كان أبو الفضل أحد الشهود المعدلين ببغداد والرواة الثقات ، ولد ببغداد سنة ٥٢٠ هـ وتوفى سنة ٥٦٥ ، ودفن قرب الامام احمد بن بن حنبل بالجانب الغربي من بغداد «اصول التاريخ والادب مج ٢٠ ص ١٣ » و «المنتظم ج ١٠ ص ٢٣ » وغيرهما . وكان قبر ابن حنبل في غربي الكاظمية .

(١٤) اصول التاريخ والادب ، مج ٢ ص ١٠١ ، نقلا عن ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي .

(١٥) «المنتظم ج ١ ص ١١٧ » ومختصر المجلد الثامن من مرآة الزمان ص ١١٢ وزاد على جده ان رباط الخدم قائم في زمانه . وقد ورد في ص ٧ «الجانب الغربي» والصحيح «الشرقي» .

(١٦) هو صاحب القبر الذي قبالة دار الضباط من جهة الشرق ، يفصل بينهما الطريق .

(١٧) اصول التاريخ والادب مج ٢ ص ١١٩ نقلا عن ذيل تاريخ بغداد المذكور آنفا .

وعلى هذا رأينا ان « رباط الخدم » كان في ارض المجلس النيابي الحالي أي البناية التي سكنها الملك فيصل الاول مدة ، وكانت قبل ذلك مدرسة للصنائع، وكان فيها عدة قبور وعلى حسب ما ذكرنا كان قبر مجاهد الدين بهروز أحدها ، وقد أزيلت هذه القبور قبل عدة سنوات .

وكان تحت هذا الرباط نحو الجنوب جسر ، وكنا قد ذكرنا مواضع الجسرين اللذين أشار اليهما الرحالة الاديب ابن جبير وذكر أن دجلة طغت مياهها فحملت أحد الجسرين فكان كثير من الناس يعبرون بالزوارق ليلا ونهارا[18] ، فهذا الجسر الذي ذكرناه هو اما الجسر الجديد الذي صنع بعد انكسار الجسر الذي ذكره ابن جبير وغيروا موضعه ، واما جسر صنع بعد ذلك العصر . فقد ذكر ابن الطقطقى ان الخليفة الظاهر هو الذي عمل الجسر الجديد القائم في زمانه أي أواخر القرن السابع وصار ببغداد جسران وصفهما موفق الدين ابن ابي الحديد بأبيات بارعة التشبيه[19] وكانت تشرف على الجسر المدرسة العلائية الشاطئية ، فقد بنيت بحضرته وكانت راكبة على كرسيه، وباني هذه المدرسة هو علاء الدين علي بن عبدالمؤمن بن كرد مير التركستاني الامير المعروف بالسكرجي ، قال ابن الفوطي : « وهو الذي سمت همته العلية الى عمل المدرسة العلائية بحضرة الجسر العتيق من مدينة السلام وحضر القاضي بدر الدين محمد بن علي بن ملاق الرقي ومعه جماعة من الفقهاء والرؤساء وهي في موضع حسن رأيتها وهي جميلة البناء شاهقة الارجاء[20] وكان وضع اساس المدرسة العلائية يوم الاحد رابع عشرى رجب سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، ووضع الملبن على الباب في سابع

(١٨) مجلة سومر ج ٢ ص ٧٠ .

(١٩) التاريخ الفخري ص ٢٤٢ طبعة المطبعة الرحمانية سنة ١٩٢٧ م .

(٢٠) حذفنا من هنا قوله «واجتمعت بعلاء الدين المذكور في اوجان من اذربيجان سنة خمس وسبعمائة » لانه مقحم في وصف المدرسة .

شعبان وذبحوا بقرة تصدقوا بلحمها على الفقراء » [٢١] . وقال في ترجمة أخيه عزالدين مودود بن عبد المؤمن « وهو اخو الامير علاء الدين علي صاحب المدرسة الشاطئية ، فقد بنيت بحضرته وكانت راكبة على مدرسة الشيخ ضياء الدين ابى النجيب عبدالقاهر السهروردي » [٢٢] .

فالمدرسة العلائية كانت في ارض دار الضباط الحالية اي نادي الضباط السابق ، وهذه الارض هي المحاذية لتربة الشيخ أبى النجيب السهروردى القائمة حتى اليوم ، وهذه التربة فى الاصل رباطه الذى بناه ثم دفن فيه ، وقد وهم شمس الدين ابن خلكان أو وهم الناسخ لتاريخه في عده رباط الشيخ المذكور من بنايات الجانب الغربي[٢٣] وكان رباط السهروردي ومدرسته متصلين [٢٤] .

وكان بازاء رباط ابى النجيب السهروردى ومدرسته تحت المدرسة العلائية قبر سعد الدولة كوهرائين احد كبار أمراء الدولة البويهية ثم الدولة السلجوقية ، توفى سنة ٤٩٣ ، قال ابو الفرج ابن الجوزى : « .. حمل الى بغداد فدفن بها في الجانب الشرقى وتربته مقابل رباط ابى النجيب » [٢٥] . والظاهر أنها القبر الذى بقى فى بناية وزارة الداخلية أى بناية وزارة المعارف في هذه الايام ، في زاوية بينها وبين دجلة على يسار الداخل اليها من باب السراى ، وقولنا « والظاهر » ليس معناه العلم القطعي .

---

(٢١) تلخيص مجمع الاداب على معجم الاسماء فى معجم الالقاب « مج ٤ ص ١٧٨» من نسختنا الخطية .

(٢٢) المرجع المذكور ، ص ٢٠٨ .

(٢٣) الوفيات ج ١ ص ٢٩٩ (طبعة بولاق) .

(٢٤) المنتظم ج ١ ص ٢٢٥ والتاريخ المجدد لمدينة السلام لابن النجار في «اصول التاريخ والادب مج ٢٣ ص ١٧» .

(٢٥) المرجع المذكور ج ٩ ص ١١٦ .

رباط بهروز الثاني قرب المدرسة النظامية

لقد ذكرنا قبل هذا أن مجاهد الدين بهروز بنى رباطاً ثانيا على دجلة عند سوق المدرسة النظامية[٢٦] ، وكان هذا الرباط في موضع قهوة الشط الحالية ، وكان الخارج ، في القرن السابع ، من باب الغربة [٢٧] ، من أبواب دار الخلافة العباسية يمر من جهة اليسار على مشرعة الابريين ثم رباط بهروز ثم مشرعة سوق المدرسة النظامية [٢٨] ، ثم المدرسة البهائية ثم رباط شيخ الشيوخ ثم مسجد الحظائر [٢٩] ثم دار الزعيم سنقرجا ثم المدرسة المستنصرية ، وكان رباط بهروز هذا من المجامع الثقافية الكبيرة ببغداد قال ابو الفرج ابن الجوزي في حوادث سنة (٥٠٢هـ ــ ١١٠٨م) : « وبنى بهروز رباطا للصوفية قريبا من النظامية»[٣٠] قال سبط ابن الجوزي « وهو قائم الى الآن » [٣١] . وفي سنة (٥٤٤ هـ ــ ١١٤٩ م) انهدم رباط بهروز بالزلازل [٣٢] ، ولا شك في ان المؤرخ عنى بالانهدام سقوط بعض بنايته ، لانه كان له أوقاف محبوسة عليه ، فأصلح ورمم وانفق على ذلك من اوقافه ، وكان في سنة (٦٥٤ هـ ــ ١٢٥٦ م) قائما وهو المراد بقول سبط ابن الجوزى « الى الآن» . وقد أصابه الحريق قبل سنة ٥٤٤ ولم يؤثر فيه تأثير ازالة وابادة ، قال سبط ابن الجوزى فى حوادث سنة ٥١٠ هـ ــ ١١١٦ م «وفيها احترقت بغداد من الجانب (الشرقي) حريقا لم ير قط مثله بحيث

---

(٢٦) راجع خارطة المدرسة النظامية ففيها بيان موضع الرباط « مجلة سومر ج ٢ ص ٦٨ »

(٢٧) هو الباب الشمالي لسوق المستنصر الحالي وشارعه .

(٢٨) هي مشرعة المصبغة .

(٢٩) هو مسجد الخفافين ولنا فيه فصل آت .

(٣٠) المنتظم ج ٩ ص ١٥٩ .

(٣١) مختصر المجلد الثامن من مرآة الزمان ص ١٧ .

(٣٢) المنتظم ج ١٠ ص ١٣٨ .

أكلت النار جذوع النخيل ودور الخليفة والنظامية واحترقت الشاطئية ومنها رباط بهروز وغيرها ، كان ذلك عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن افتكر»[٣٣] ، فليس من شك في أن الرباط رمم وأصلح بعد الحريق •

وممن ولي اوقافه ورئاسته في أواسط القرن السادس للهجرة أبو القاسم عبدالله بن أبي عبدالله محمد الصوفي وكان من مشاهير الشيوخ الصوفية، قال ابن الدبيثي «جعل ابو القاسم عبدالله هذا شيخا للصوفية•• ومن قبله كان يتولى رباط بهروز بسوق المدرسة ايضا مشيخة ونظرا وكان سريا جميلا »[٣٤] • ثم ذكر ان مولده كان سنة ٥٤٢ ووفاته حدثت سنة ٥٩١ هـ •

ووليه أبو عبدالله محمد بن كمال الدين حمزة بن علي بن طلحة بن علي الرازي الاصل البغدادي المولد والدار ، وكان أبوه كمال الدين أحد الاعيان وهو مؤسس المدرسة الكمالية المشهورة عند مؤرخي بغداد ، أما محمد فاشتغل بالحديث والتصوف في آخر عمره واقام برباط بهروز على دجلة متقدما فيه على الصوفية ومتوليا لوقفه الى أن توفى فى سنة (٥٩٠هـ) وكانت ولادته سنة ٥١٦ هـ[٣٥] •

ويطول بنا تعداد من سكنه من الزهاد والمتصوفة والمنقطعين ، وانما يغنينا كثيرا أن أبالوقت عبدالاول بن عيسى بن شعيب السجزي ، المحدث الثقة المشهور راوي صحيح البخاري في الخافقين ومسند الدنيا ، نزل فى هذا الرباط أيام قدومه واقامته ببغداد ، وقد روى فيه كثيرا من الاحاديث النبوية ، قال ابن خلكان : « وكان الشيخ أبو الوقت قد وصل الى بغداد يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من شوال سنة اثنتين وخمسين

(٣٣) مختصر المجلد الثامن من مرآة الزمان ، ص ٣٩ .

(٣٤) اصول التاريخ والادب ، مج ٢١ ص ٤ (نقلا عن ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي) .

(٣٥) المرجع المذكور مج ١٩ ص ٤٠ ــ ٤١ .

وخمسمائة ونزل في رباط بهروز [٣٦] وبه مات وصلى عليه فيه ثم صلوا عليه الصلاة العامة في الجامع [٣٧] ، كان الامام في الصلاة الشيخ عبدالقادر الجيلي وكان الجمع متوافرا ودفن بالشونيزية[٣٨] في الدكة المدفون فيها رويم[٣٩] الزاهد ... » [٤٠] .

وقال ابن الدبيثي : «أخبرنا ابو اسحاق ابراهيم بن أبي نزار البزاز قراءة عليه وانا أسمع برباط بهروز ، ... عن أبي هريرة قال رسول الله (ص) : ان الله تجاوز لامتي عما وسوست به انفسها ما لم يعمل به أو تكلم به » ثم ذكر أن وفاة ابراهيم هذا كانت في ذي الحجة من سنة ٦٠٩هـ[٤١] .

ولم أجد ذكرا لرباط بهروز هذا بعد القرن السادس وأوائل السابع الا أن موضعه اتخذ في اواسط القرن الثامن «دار شفاء» أي مستشفى ، وكان ذلك في عهد السلطان أويس بن الشيخ حسن الكبير الجلايري ، بمساعي امين الدين مرجان بن عبدالله بن عبدالرحمن الاولاقايتي ، قال غياث الدين عبدالله بن فتح الله البغدادي : «واتفق في زمان السلطان أويس عمارة عظيمة لم تتفق في دور احد السلاطين مثلها ، منها المدرسة المرجانية ودار الشفاء واسواق وخانات عمرها مرجان آقا ، كان طواشيا وفي الاصل يلقب امين الدين مرجان ... وكان مرجان رجلا خيرا استأنف

---

(٣٦) في الاصل «فيروز» وهو تحريف .

(٣٧) الظاهر انه جامع القصر أي جامع سوق الغزل الحالي وما حوله وغير الظاهر انه جامع المنصور بالجانب الغربي من بغداد .

(٣٨) هي مقبرة الجنيد الحالية في الشمال الغربي من مقبرة الشيخ معروف على مئات امتار منها .

(٣٩) هو رويم الزاهد المتصوف ثم الوكيل المحترف المتوفى سنة ٣٠٢ هـ (الخطيب البغدادي ج ٨ ص ٤٣٠ ، و المنتظم ج ٦ ص ١٣٦ ، وشرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد مج ٤ ص ١٣٣ وغيرها).

(٤٠) الوفيات ج ١ ص ٣٣٢ (من طبعة العجم) .

(٤١) اصول التاريخ والادب « مج ٢ ص ٧٧ » (نقلا عن ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي) .

عمارات وجدد عمارات داثرة من قديم [٤٢] أوقف عليها العقار والضياع ـ كما نطقت به وقفيته[٤٣] ونقر ذلك على جدران العمارات وكان له خيرات على الفقراء والمساكين حتى اطعم السنانير والزراريق[٤٤] وحيتان الشط والطيور من اللحم والخبز والشيلم في صحن دار الشفاء ، وصحنها على جانب دجلة وكان ثلثا الوقف لدار الشفاء والثلث للمدرسة ... وكانت دار الشفاء علىجانب دجلةفبنى السلطان أحمد فيوجهها القلندرخانه»[٤٥] . ولعلها كانت رباطا للقلندرية « او أضيف اليها رباط شيخ الشيوخ وكان قلندرخانة فأطلق اسمه عليها .

وقد صرح مرجان بموضع (دار الشفاء) ونقش في باب خانه (خان الاورتمه) المعروف اليوم بدار الآثار العربية شيئا من اسماء أوقافه وهذا بعض نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بانشاء هذا التيم والمنازل والدكاكين المولى المجدد الصاحب الاعظم الاعدل ملك ملوك الامراء فى العالم .. أمور السلطنة عضد الامارة وحاوى مرتبة الامارة والوزارة ، افتخار شهد الاوان وقفها على المدرسة المرجانية ودار الشفاء بباب الغربة ... » .

فذكر الوقفية المنقوشة ان دار الشفاء بباب الغربة اي مشرعة سوق

---

(٤٢) رباط بهروز كان داثرا وهو الظاهر .

(٤٣) نقل هذه الوقفية العلامة السيد محمود شكري الالوسي في كتابه «مساجد بغداد وآثارها» ص ٦٥ـ٦٩ وهي منقوشة على جدران مصلى المدرسة المذكورة المعروفة اليوم بجامع مرجان .

(٤٤) الزراريق جمع زريق وهو الطائر الذي يرى غالبا في دجلة ببغداد يشبه البطة . قال جمال الدولة على ابن افلح يهجو بعض الوزراء .

لو لا السواد وذقنه	ما بان في وقت السلام
كزريق دجلة كله	ريش وباقيه عظام

(٤٥) مختصر التاريخ الغياثي ص ١٠ (من نسختنا) وعلى هذا كانت القلندرخانة في موضع الخان المقابل لقهوة الشط من الشمال اي موضع المدرسة البهائية وما حولها (راجع الخارطة) .

السمؤل الحالية وذكر الغياثي لها بأنها على جانب دجلة لا يدعان شكا في أنها كانت في ارض قهوة الشط وهذه الارض هي موضع رباط بهروز ــ كما أسلفنا من البحث بتفصيل وتطويل ــ ولا نعلم ما صارت اليه دار الشفاء بعد ذلك ، لندور المراجع التاريخية الخاصة ببغداد ؛ وربما صارت من مرافق «القلندرخانة» التي ذكرنا خبر بناء السلطان أحمد بن أويس الجلايري لها ، فان القلندرخانة اتخذت دارا في سنة (٨١٤ هـ = ١٤١١م) في عهد ولاية بخشايش احد ارباب دولة السلطان المذكور ومماليكه ، بعد قتل السلطان سنة (٨١٣ هـ = ١٤١٠م) وقد خطب بخشايش الوالي بنتا من بنات دوندي سلطان ابنة أخي احمد بن أويس ، فلم تقدر على المخالفة واجابته الى ذلك ، قال الغياث : «ثم حضر بخشايش في الجاثليق[٤٦] وعمل عرسا عظيما ثم شرب الى نصف الليل وقام حتى يجيء الى القلندرخانة يدخل على العروس ، فحينما حط رجله في الركاب ليركب ، واذا قد ضرب عنقه ، وجعل رأسه على رمح وجثته على الفرس وواحد خلفه قد مسكه والرأس قدام الفرس على الرمح والدفوف قدامه تضرب الى الصبح » وقتل ابن البليقي وحكم شخص يقال له عبدالرحيم ، كل ذلك باشارة السلطانة عن لسان [٤٧] السلطان أحمد[٤٨] وليس لدينا من أخبار دار الشفاء اكثر مما ذكرنا .

---

(٤٦) سيأتي الكلام عليها في «دار الفلك» في اثناء « بحث بنايات القرن السادس الفخمة » داخل دار الخلافة .

(٤٧) قال المؤرخ قبل هذا « لما قتل قرايوسف السلطان احمد وارسل ولده الشاه محمد الى بغداد قال أهل بغداد : ان السلطان حي وهو مختف ببغداد وأصروا على الباطل » .

(٤٨) مختصر التاريخ الغياثي ، ص ٣٨ (من نسختنا) وفي قتل بخشايش قال المقريزي « ثم قامت ببغداد ضجة عظيمة في الليل قتل فيها بخشايش واصبح ملقى في بعض الشوارع واشيع ان الذي امر بقتله احمد بن اويس وانه في بعض الدور ببغداد (اصول التاريخ والادب مج ٢٣ ص ٨٠) نقلا عن السلوك .

مسجد السيدة بنفشة :

تشير ترجمة هذه السيدة العظيمة وآثارها الى انها كانت زوجة الخليفة المستضي بأمر الله ، وقد بنت مسجدا بالجانب الشرقي من بغداد سنة (٥٧٣ هـ = ١١٧٧ م) قال أبو الفرج ابن الجوزى في اخبار هذه السنة : «وانشأ امير المؤمنين مسجدا كبيرا في السوق عند عقد الحديد وتقدم بعمارته فعمر عمارة فائقة وكسي وقدم فيه عبدالوهاب بن العيبي ابنتي فصلى فيه بعد النصف من شعبان واجريت له مشاهرة • وتقدم الي فصليت فيه بالناس التراويح ليلة وكان الزحام كثيرا فدخل على قلوب اهل المذاهب[٤٩] ما شاء الله من الغم لكونه أضيف الى الحنابلة وقد كان يرجف به لغيرهم[٥٠] • قلنا : وسبب جعله للحنابلة أن السيدة بنفشة كانت حنبلية وهو مسجدها وانما اضافه المؤرخ الى تاريخ المستضيء ــ على عادة مؤرخينا ــ في نسبة آثار السيدة الى زوجها في الغالب • اما عقد الحديد[٥١] فهو من المواضع المعروفة يومئذ بنهر المعلى وهي محال سوق العطارين حتى شارع الامين واكثر سوق الثلاثاء معدود من نهر المعلى وكذلك دار الخلافة واعلاها شارع السمؤل الحالي، قال ياقوت الحموي المتوفى سنة (٦٢٦ هـ = ١٢٢٨م) : « نهر المعلى هو اليوم أشهر وأعظم محلة ببغداد وفيها دار الخلافة المعظمة وهو نهر يدخل من باب يبرز[٥٢] وهو باق الى الآن مستمده من الخالص فيسير تحت

---

(٤٩) في الاصل «المذهب» والصواب ما ذكرنا .

(٥٠) المنتظم ج ١٠ ص ٢٧٣ .

(٥١) العقد هو العقادة اي الحنيرة المبنية من الطابوق وما اشبهه من الحضرة ، وكانت كل محلة من محال بغداد يدخل اليها من باب معقود يكون كراس مثلث يتفرع منه طريقان ذات اليمين وذات الشمال هما ضلعا المثلث ، والظاهر أن عقد الحديد وثيقا موءيدا بالحديد فسمى « عقد الحديد » .

(٥٢) باب يبرز وباب ابرز واحد لان الهمرة استثقلت في اول الاسم فقلبت ياءا وكذلك القول فى « يلملم والملم وتل يعفر وتل اعفر » ، وكان باب ابرز غربي مقبرة الشيخ عمر السهروردي المعروفة اذ ذاك بالوردية .

الارض حتى يدخل دار الخلافة وهو المسمى بالفردوس .. » [٥٣] وزاد ابن الحق على ذلك قوله : « ولا أثر له الآن [٥٤] والمحلة المذكورة من عقد الحديد الى عقدى المصطنع والشارع الاعظم ومن منظرة الريحانيين وباب النوبي الى باب جامع القصر الى العقدين وفيه السوق والدكاكين»[٥٥].

وبهذا التحديد تدخل أرض سوق الغزل في مواضع نهر المعلى ، وكذلك الشورجة لان عقد المصطنع كان في اول القشل من جهة موضع قاضي الحاجات ، عند مركز الشرطة الحالي أو على امتار منه [٥٦] . وليس من اليسير تعيين (عقد الحديد) هذا من بغداد الحديثة : الا آن في الاخبار والتراجم ما يجعله من المواضع القريبة من دار الخلافة من جهة الشمال الشرقي يكاد يتصل بها ومنها ما يثبت كونه من سوق الريحانيين ، وكانت هذه السوق وراء أرض جامع مرجان ، قال ابو عبدالله محمد بن النجار (المتوفى سنة ٦٤٣) في ترجمة ابى جعفر عمر بن خلف بن ابى المنى البندنيجي (المتوفى سنة ٥٤٨) : كان شيخا صالحا كبير السن ... منقطعا في مسجد بالريحانيين عند عقد الحديد » [٥٧] . ويبقى على الباحث أن يعلم أجددت السيدة بنفشة هذا المسجد فنسب اليها ام أنشأت مسجدا جديدا ؟ فان هذا المترجم توفى سنة ٥٤٨ وكان قبل ذلك منقطعا في المسجد المذكور فالمسجد عتيق اذن ، وينبغي أن يكون غير الذى بنته السيدة ، فقد جاء في خطط بغداد ذكر مسجد آخر في هذا الموضع هو مسجد عفيف

---

(٥٣) معجم البلدان في « نهر المعلى » .

(٥٤) توفى ابن عبدالحق سنة ٧٣٩ هـ .

(٥٥) مراصد الاطلاع على الامكنة والبقاع في رسم «نهر العلى» .

(٥٦) راجع مادة «قراح» من معجم البلدان فان ياقوتا الحموي وصف طريق السالك من رحة جامع القصر اي سوق البقالين السفلى وما حوله من الدور والمخازن شمالي الجامع سالكا نحو الشرق شارعا فشارعا ومحلة فمحلة ومقبرة فمقبرة حتى باب ابرز ومقابرها .

(٥٧) اصول التاريخ والادب (مج ٢٢ ص ١٣١) .

الدين أبي الفرج صدقة بن الحسين بن الحسن بن بختيار الناسخ المؤرخ الفقيه الحنبلي المعروف بابن الحداد المتوفى سنة ٥٧٣ هـ وله تاريخ الذيل على تاريخ أبي [٥٨] الحسن بن الزاغوني ، [٥٩] ، وفيه الحوادث والوفيات الى حين وفاته قال: «وكانت له معرفة حسنة بالفرائض والحساب وقسمة التركات وعرف طرفا من علم الكلام والجدل وتكلم في المسائل • اقرأ الناس مدة وتخرج به جماعة وكان مورقا حسن الخط كتب الكثير ومعاشه من ذلك ، مقيما بمسجد بين عقد الحديد والبدرية المحروسة يؤم فيه أوقات الصلوات ويغشاه الناس فيه » ثم ذكر ان وفاته كانت في رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ٥٧٣ هـ [٦٠] • وقال سبط ابن الجوزي «وفيها توفى صدقة بن الحسن ابو الفتح الناسخ الحنبلى ويعرف بابن الحداد واقام بالمسجد الذى بين العقد والبدرية ببغداد ••• وحكى لي شيخنا عبدالوهاب بن برغش[٦١] المقرىء وكان جاره قال : دخلت عليه يوما في ايام الفتنة في بغداد فرعدت السماء رعدا مزعجا فرفع رأسه الى السماء وقال : « خباط في الارض وخباط في السماء»[٦٢] • والظاهر أن مسجده كان مجاورا لمسجد صدقة ابن الحداد •

---

(٥٨) لمعرفة ذيول تاريخ الطبري تراجع ترجمة «ثابت بن سنان» من تاريخ الحكماء .

(٥٩) قال القفطي : « وكمل على تاريخ ابن الهمذاني ابو الحسن ابن الزغواني فأتى بما لا يشفى الغليل ، اذ لم يكن ذلك من صناعته فأوصله الى سنة سبع وعشرين ثم كمل عليه العفيف صدقة الحداد الى سنة نيف وسبعين وخمسمائة ثم كمل عليه ابن الجوزي الى بعد سنة ثمانين ثم كمل عليه ابن القادسي الى سنة ست عشرة وستمائة » .

(٦٠) اصول التاريخ والادب ، مج ٢٠ ص ٢٠٢ — ٢٠٣ (نقلا من ذيل تاريخ بغداد) وترجمه ابن الجوزي وازرى عليه في المنتظم ج ١٠ ص ٢٧٦ ونقل ذلك سبطه «مختصر المجلد الثامن من مرآة الزمان ص ٢١٨» .

(٦١) بضم الباء الموحدة « ابن العماد الحنبلي في الشذرات ج ٥ ص ٥١ » .

(٦٢) مختصر المجلد الثامن من مرآة الزمان ، ص ٢١٨ .

وجاء في حوادث سنة ٥٧٥ هـ . ان جماعة من الحمالين اخرجوا من دار الخلافة جثة قتيل . فلما بلغوا عقد الحديد ، احس الناس به فرموه بالآجر . [٦٣] وفي هذا دلالة على قرب عقد الحديد من دار الخلافة ، كما أشرنا اليه . وجاء في حوادث سنة ٤٥٨ هـ=١٠٦٥م في تاسع جمادى الآخرة منها ما هذا نصه : « وفي هذا اليوم عند مغيب الشمس وقع حريق بنهر معلى في دكان خباز فاحترق من باب الحديد الى آخر السوق الجديد في الجانبين وتلف من المال والعقار مالا يحصى ونهب الناس بعضهم بعضا وكان الذي احترق مائة دكان وثلاث دور » [٦٤] . جاء في حوادث سنة ٥٦٧ هـ = ١١٧١ م قول المؤرخ نفسه : « وفي سابع عشر شوال وقع حريق عظيم في السوق الجديد من درب حديد (كذا) قريبا من عقد الحديد احترقت فيه الدكاكين من الجانبين » [٦٥] .

ومنه يتبين ان عقد الحديد كان قريبا من السوق الجديد ، وقد جاء في وقفية المدرسة المرجانية تعيين للسوق الجديد ، وذلك في قوله « ... بالريحانيين اربعة واربعين دكانا واثنتي عشرة عصارة في السوق الجديد المجاور للمدرسة والصاغة » [٦٦] . فالمدرسة المرجانية كانت بجوار السوق الجديد، وكان مسجد السيدة بنفشة قريبا من عقد الحديد،اذن كان وراء ارض جامع مرجان الحالي . وهنا انقطعت عنا اخباره فلم نعلم شيئا من تاريخه الاخير .

مسجد السيدة زمرد خاتون

كان يعرف ايضا بمسجد الحظائر بالاضافة الى الموضع الذى انشيء فيه ويعرف اليوم بجامع الخفافين وجامع الصاغة . والحظائر جمع حظيرة

(٦٣) المرجع المذكور ص ١٠٩ .

(٦٤) ابو الفرج ابن الجوزي ، المنتظم ج ٨ ص ٢٤١ .

(٦٥) المرجع المذكور ج ١٠ ص ٢٣٨ .

(٦٦) السيد محمود شكري الآلوسي : تاريخ مساجد بغداد وآثارها ، ص ٦٦ .

ولها معان منها انها « جرين النسر » اى موضع تجفيفه وجمعه من النخل الا أن أهل بغداد اتسعوا في استعمال « الحظائر » فجعلوها لمخازن الحطب وغيره من الوقود • وبها سميت محلة الحظائر ببغداد •

وكانت الحظائر بالجانب الشرقي من بغداد على شاطىء دجلة فوق دار الخلافة اي فوق شارع السمؤل الحالي ــ كما قلناه غير مرة ــ لان النهر كان ضروريا فى قربه منها من حيث افراغ الحطب من السفن وتفريغها منه ومن حيث اطفاء الحريق ان شبت النار فيها • وكانت المدرسة النظامية في محلة الحظائريين وبذلك كانت معرضة للحريق كلما شبت النار فى تلك الحظائر ، واذ كانت هذه المدرسة فى ارض سوق الخفافين الحالية ــ على ما ذكرنا ــ علم ان الحظائر كانت في موضع سوق الكمرك وخان جغان وما حولهما ، وقد حول خان جغان الى سوق صاغة وسويقات بز وقماش •

وفي الاخبار التي ورد فيها ذكر النظامية مقارنا بعض المقارنة لذكر الحظائر ما ذكره ابو الفرج ابن الجوزي فى حوادث سنة ٥١٠ هـ ــ ١١١٦م قال : « فمن الحوادث فيها انه وقعت النار في حظائر الحطب ودكاكين الحطب التي على دجلة واكلت النار الاعواد الكبار وجذوع النخل وتطاير الشرار الى دور باب المراتب (٦٧) فأحرق كنابثها(٦٨) واحترقت الدور التي بدرب السلسلة والدور الشارعة على دجلة • ومن جملتها دار نور الهدى •• ورباط (٦٩) بهروز الذي بناه للصوفية ودار الكتب التي بالنظامية الا أن

(٦٧) باب المراتب كانت محلته في أرض راس الساقية وقبر السيد سلطان علي .

(٦٨) الكنابث والكنابيث اعالى الدور كالقباب، وفي الاصل (المنتظم ج٩ ص١٨٤) كنائسها وهو خطأ وقد اخطأ مصححه الصواب في ص ٢٨ ايضا ففيها «كنيسة الخان» والصحيح « كنبثة الخان » والكنبثة لغة في الجنبذة ، قال الفيروز ابادى في القاموس «والجنبذة وقد تفتح او هو لحن كالقبة » .

(٦٩)اي الرباط الذي كان في ارض قهوة الشط (يراجع كلامنا عليه قبل هذا) .

الكتب سلمت وحملها الفقهاء الى مكان يؤمن فيه من النار وهذا الحريق كان بين العشائين » [٧٠] .

وذكر عز الدين ابن الاثير خبر هذا الحريق مختصرا على عادته . الا انه ذكر ان عدة من الدور التى تطاير اليها شرر النار بباب المراتب احترقت على كونها بعيدة من مشب الحريق [٧١] .

وجاء في اخبار سنة (٥٨٣ هـ ــ ١١٨٧م) انه « في ربيع الآخر وقع حريق في الحظائر ببغداد واحترقت احطاب كثيرة وسببه ان فقيها [٧٢] بالمدرسة النظامية كان يطبخ طعاما يأكله فغفل عن النار واتصلت فاحترقت جميعها واحترق درب السلسلة وغيره ، مما يجاوره » [٧٣] وفي هذا الحين ورد اسم النظامية مقارنا للحظائر بحيث ان نارا اوقدت في النظامية فأحرقت الحظائر .

أما السيدة زمرد خاتون فهي زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله ، وأم الامام الناصر لدين الله ، وقد اشرنا الى تربتها ذات القبة القائمة حتى اليوم عند مقبرة الشيخ معروف الكرخي بالجانب الغربي من بغداد المعروفة بقبة الست زبيدة [٧٤] . ونحن ذاكرون ترجمتها بعد الكلام على مسجدها هذا ، فانها من شهيرات نساء العالم وعظيماته .

لم نجد فيما وقع الينا من التواريخ سنة بناء هذا المسجد ، الا اننا نعلم ان السيدة مشيدته توفيت سنة ٥٩٩ هـ ــ ١٢٠٢ م وانه لما تم بناؤه جعل فيه الشيخ ابو جعفر عمر بن يوسف بن محمد بن نيروز بن عبدالجبار اماما ، وكان يحج في كل سنة عن الامام المستضيء بأمر الله ، وكان مقرئا

---

(٧٠) المنتظم ج ٩ ص ١٨٤ .

(٧١) الكامل فى التاريخ في «عدة حوادث من سنة ٥١٠» .

(٧٢) اي تلميذا يدرس الفقه ويقال له ايضا « متفقه » .

(٧٣) الكامل في «عدة حوادث» من سنة ٥٨٣ .

(٧٤) مجلة سومر ج ٢ ص ٦٣ .

مجودا فاضلا صالحا سليم الباطن قال ابو عبدالله ابن النجار : « ورتب اماما في المسجد الذي بنتــه ام الخليفة الامام الناصر لدين الله بالحظائريين على شاطىء دجلة » [٧٥] •

وقال جمال الدين ابن الدبيثي : قد قرأ آبو جعفر بالقراءات الكثيرة•• وأم بالناس في المسجد الذى انشأته الجهة[٧٦] الشريفة والدة سيدنا ومولانا المفترض الطاعة على كافة الانام الناصر لدين الله ــ خلد الله ملكه ورضى عنها ــ بمشرعة المزملات سنين الى حــين وفاتــه وكان خيرا ثقــة حســن الطريقـــة •• » [٧٧] •

وبذلك علمنا ان المشرعة التي كانت عند مسجد الحظائر أي جامــع الخفافين كانت تسمى مشرعة المزملات ، والمزملات هي الاوعية التي تملأ ماءا وتغطى ليبرد ماؤها ولا سيما الحباب فانها مشهورة الاستعمال عند أهــل بغداد ، وفي سنة (٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ م) في خلافة المستعصم بالله غــرقت بغداد وغرق هذا المسجد مع علو أرضه ، قال ابن الفوطي « ونبع الماء من أساس حائط المدرسة المستنصرية ومن دار سنقرجا زعيم خوزستان المجاورة للمستنصرية ومن مسجد الحظائر المعروف بام الناصر المجاور لهذه الدار وامتلأت الطريق وامتنع الناس من الجواز الى هناك من باب سوق المدرسة الى باب المدرسة الى باب مشرعة الابريين»[٧٨] • وكان هــذا في شوال من

---

(٧٥) اصول التاريخ والادب مج٢٣، ص٨(نقلا عن التاريخ المجددلمدينةالسلام) ولد سنة ٥٤١ هـ وتوفى سنة ٦١١ هـ .

(٧٦) ذكرنا ان الجهة تعنى عندهم السيدة العظيمة .

(٧٧) اصول التاريخ والادب مج ٢١ ص ١١٠ نقلا عن ذيل تاريخ بغداد، ولعمر هذا ترجمة في تاريخ الاسلام للذهبي « اصول التاريخ والادب مج ٢٤ ص ١٩٥» .

(٧٨) الحوادث الجامعة ص ٢٣١ ومجلة سومر ج ١ ص ١٢٢ وسوق المدرسة ههنا هو سوق المدرسة النظامية لا سوق المدرسة التتشية وان كانت قريبة من النظامية والمستنصرية .

السنة ، وزاد ماء دجلة في ذي الحجة من السنة و « خرج من باب الغربة[٧٩] فرمى ما بين يديه من الحيطان والخانات وغشى رباط شيخ الشيوخ وما يجاوره ودخل درب السلسلة فلم يبق به دارا الا هدمها » [٨٠] ومن المعلوم في الخطط ان مسجد الحظائر كان مجاورا لرباط شيخ الشيوخ وان رباط بهروز الاسفل كان قرب باب الغربة فالظاهر أن الغرق كان قد اصابهما .

وليس عندنا من المراجع ما يفصل لنا تاريخ هذا المسجد بعد الايام التي ذكرنا ولا ما يشير اليه اشارة ، اما في ايامنا فلم يبق من بنائه الاصلي الا منارته الاصلية العمارة الوثيقة الاساس التي كابدت احداث الزمان وقطعت القرون وشهدت الدول تتلو الدول والحكومات تتبع الحكومات. وهي قائمة راسخة شاخصة تحول ولا تزول ، فان الزمان الذى يبلى كل شيء أثر فيها وضعضع منها فهي اليوم محتاجة الى ترميم وتقويم وتأييد وتبنيد وتوقير وتأزير .

ان هذه المنارة الخالدة هي اعتق المنائر ببغداد واقدمها زمنا ، وفيها من اصالة الفن البنائي ما جعلها اما لكل المنائر التي بنيت بعدها ولا سيما المبنيات في العصور المتأخرة ، ولا يزال مثالها محتذى عليه وشكلها مقيسا اليه وفي رأسها جملة جميلة من الاشكال الهندسية النقشية من نجمية وغيرها وقد زخرف بالآجر الازرق المعروف بالكاشي وغيره ، وفي حوضها من العقود التي تشبه الاواوين الصغيرة ما يشهد لمعمارها بالبراعة والابداع وفي الجانب الشرقي من الحوض قطع صغيرة من الآجر الازرق موضونة* على شكل معينات وقد بنيت بعدها بعدة سنوات منارة الشيخ معروف

---

(٧٩) قلنا عدة مرات انه «باب شارع المستنصر الحالي وسوقه» .

(٨٠) الحوادث الجامعة ص ٢٣٢ .

(*) اي : منضدة بتشديد الضاد .

وتاريخها على ما ذكرنا سنة ٦١٢ هـ = ١٢١٥ م ولعل بناءا واحدا بناهما فانهما متقاربتان في العقد والعمارة والسمك والهيئة ، هذا وان الآجر الازرق الذى استعمل في منارة مسجد زمرد خاتون من اقدم انواعه في البنايات الاسلامية كالذى كان فى تربة المظفر بن أردشير العبادي في القرن السادس بالجانب الغربى من بغداد •

وكنت قد قلت في وصف هذا المسجد ومنارته :

« بنيت هذه ألمنارة على طراز عجيب يشبه طراز منارة معروف الكرخي ويسمى هذا المسجد اليوم بجامع الخفافين وهو على دجلة تحت المدرسة المستنصرية كان بينه وبين هذه المدرسة دار لاحد امراء الدولة العباسية وقد ضمت هذه الدار الى دائرة المكوس التي هي في الحقيقة المدرسة المستنصرية• ولما انتقلت ادارة المكوس سنة ١٩٣٢ م من هذا الموضع بقى مخزنا للبضائع المصدرة والمستوردة ، وقد ذكر هذا المسجد ابن الفوطي ايضا •••» (٨١) هذا اكثر ما ذكرناه قبل ثلاث عشرة سنة في وصف المنارة والمسجد •

قد ذكر هذا المسجد السيد العلامة محمود شكري الآلوسي وقال : « جامع الصاغة على شاطىء دجلة قريب من المستنصرية في جهتها الشرقية ويسمى جامع الخفافين لان عند بابه سوقا تصنع فيها الخفاف الحمر • فيه مصلى واسع على النهر ، عن يمينه مئذنة وفيه مدرسة عامرة وحجر اخرى، لم يزل تقام فيه الجمع والاعياد والصلوات المكتوبة ، فيه خطيب ومدرس وامام وواعظ وخدم وفيه خزانة كتب تشتمل على مخطوطات قديمة العهد والكثير منها تلف بتداول الايدى عليها كما أن غالب كتب مدارس بغداد جرى عليها ما جرى على هذه بل ان منها ما لم يبق لها عين ولا اثر ولله الامر • وليس في جدران الجامع كتابات تنطق بما جرى عليه من العمارات ولا نعرف الذى خطه وابتدأ عمارته • والقائم بشؤنه اليوم متوليه من آل

---

(٨١) مجلة الهلال مج ١ (١٩٣٣) ج ٨ ص ١٠٦٢ .

مصطفى سليم » [٨٢] ولم ينتبه أحد الى أن المنارة عتيقة جدا وانها من أبنية القرن السادس للهجرة • ولا شك في انها قد رمت •

وخلاصة ترجمة السيدة زمرد خاتون مؤسسة هذا المسجد الذى جمع بين الفائدتين الفنية والدينية هي انها كانت جارية تركية الاصل . فجعجع بها الرق وساحت بها العبودية حتى دخلت بغداد بصحبة احد الجلابين فاشتريت في سوق النخاسة للامير أبى محمد الحسن بن الامير يوسف العباسيين ، قبل سنة ٥٥٢ وهما اللذان صارا بعدئذ خليفتين ولقب يوسف المستنجد بالله وابنه الحسن المستضيء بأمر الله •

وفي هذه السنة (أعنى سنة ٥٥٢هـ) ولدت زمرد للامير ابى محمد الحسن ولدا ذكرا هو الامير أبو العباس احمد الذى صار بعد موت أبيه خليفة ولقب بالناصر لدين الله ، ثم أعتقها أبو محمد وتزوجها ، كانت شافعية تقية مع ميل الى الحنابلة ورعاية عظيمة لهم . جارية في ذلك على طريقة زوجها المستضيء فانه كان شافعيا كثير الصغو الى الحنابلة وكانت من ارغب النساء في فعل الخير واكثرهن له فعلا ولها بر وافضال فضلت بهما أمثالها من الصدقات الجارية وعمارة المشاهد والاربطة والمساجد والمدارس وغير ذلك مما لا خفاء به على نظر متأمل • فمن عماراتها مسجد الحظائر ومدرستها [٨٣] التي كانت قرب تربتها التي قلنا انها تعرف اليوم بقبة الست زبيدة ، والرباط الذي كان الى جانب المدرسة ، ورباط كان قرب

---

(٨٢) تاريخ مساجد بغداد وآثارها ، ص ٤٢ •

(٨٣) قال العلامة السيد محمود شكري الآلوسي في مسجد زبيدة وهو من بنايات زمرد خاتون على ما ذكرنا «هذا المسجد كان قرب مسجد الشيخ معروف الكرخي وقد اندرس سنة ١١٩٥ هـ وكان واسعا رصين البناء قوى الاركان ، ولما بنى سليمان باشا الكبير والي بغداد سور الجانب الغربي استعملت انقاضه في بناء السور ولم يبق اليوم سوى قبر زبيدة من ذلك المسجد . » (تاريخ مساجد بغداد ، ص ١٢٥) .

مشهد عبيدالله [٨٤] ورباط بالمحلة المأمونية [٨٥] قال شمس الدين الذهبي : « كانت كثيرة البر والصدقة والصلة مقبلة على الخير منعمة على الفقراء والمساكين متفقدة لذوى الحاجات والفاقات رحيمة للايتام ، بنت المدارس والربط والمساجد وعمرت السبل والجوامع والمشاهد ووقفت الوقوف السنية وتصدقت بالصدقات الوافرة الهنية وكانت متفضلة على أهل العلم والدين ملاحظة لاهل الصلاح والمنقطعين حجت البيت الحرام ويروى عنها أنها في طريق مكة المشرفة وجدت في ثوبها قملة فقالت : الحمد الله الذي(*) شاركت الفقراء (كذا) في تعب السفر ومشقة الطريق . وتصدقت بسبب ذلك بمائة دينار ، ولم تزل في علو من شأنها وتوفيق من الله تعالى لافعال الخير الى أن اختار الله تعالى لها ما عنده فتوفيت في ليلة الاثنين سادس عشر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمسمائة »[٨٦] .

قال سبط ابن الجوزي : « حجت وانفقت ثلاثمائة الف دينار على ما بلغني وكان معها نحو من ألفي جمل وتصدقت على أهل الحرمين وأصلحت البرك والمصانع وعمرت التربة عند قبر معروف الكرخي والمدرسة

---

(٨٤) الظاهر لنا انه قبر ابي رابعة الحالي فى شرقي الاعظمية .

(٨٥) المحلة المأمونية وقد قدمنا ذكرها في بحث «رباط الخدم» كانت في ارض محلة عقدالقشل والهيتاويين وصبابيغ الآل الى الصدرية ، وكانت قد اسست في هذا الرباط خزانة كتب جليلة في دار كتب، وكان فيها كتاب الفنون لابن عقيل الحنبلي ذكر الذهبي انه في «٤٩٠» مجلدا وقال سبط ابن الجوزي « هو مائتا مجلدة جمعه طول عمره .. واختصر منه جدي عشر مجلدات فرقها في تصانيفه وقد طالعت منه في بغداد في وقف المأمونية نحوا من سبعين وفيه حكايات ومناظرات وغرائب وعجائب وأشعار » (مختصر المجلد الثامن من المرآة ص ٥١) وكان فيها كتاب «الفصول» للمعري (معجم الادباء ج ٦ ص ٣٢٥) .

(*) لعل الصواب (انني) .. وبه تستقيم العبارة .

(٨٦) اصول التاريخ والادب ، مج ١٣ ، ص ١٠٠ نقلا عن عيون الاخبار ونزهة الابصار لمحمد الصديقي .

الى جانبها واوقفت عليها الاوقاف » (٨٧) .

وقال أبو عبدالله بن النجار في أخبـــار كسوة القبر النبوي المطهر بالمدينة المنورة : « ثم جاءت من الخليفة المستضيء ســـتارة مـــن الابريسم البنفسجي عليها الطرز والجامات البيض المرقومة ، وعلى دوران جاماتهـا مكتوب بالرقم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وظاهرها اسم المستضيء . فلما ولي الامام الناصر لدين الله انفذ بستارة اخرى من الابريسم الاسود وطرزها وجاماتها من الابريسم الابيض فعلقت فوق تلك ، فلما حجت الجهة أم الخليفة (رض) وعادت الى العراق عملت ستارة من الابريسم الاســود أيضا على شكل المذكورة فنفذ بها فعلقت على هذه ففي يومنا هذا علــى الحجرة ثلاث ستائر بعضهن على بعض ... » (٨٨) .

وقال ابن الاثير عزالدين في وفيات سنة(٥٩٩) «وفي ربيع الآخر توفيت زمرد خاتون ام الخليفة الناصر لدين الله واخرجت جنازتها ظاهرة(٨٩) وصلى خلق كثير عليها ودفنت في التربة التي بنتهــا لنفسها (٩٠) وكـــانت كثيرة المعــــروف » (٩١) .

---

(٨٧) مختصر المجلد الثامن من مرآة الزمان ص ٣٣٣ ونقل قوله ابو شامــة في ذيل الروضتين ونقل بعضه ابن تغري بردى في النجوم الزاهرة .

(٨٨) اصول التاريخ والادب مج ١٠ ص ٢٦ (نقلا عن كتاب «الدرة الثمينة في اخبار المدينة » لابن النجار) .

(٨٩) في هذا القول اشعار بان بني العباس كانوا يتسترون في اخراج جنائز النساء منهم ، وكان من رسم الدين ايضا ان تخرج الجنائز من دار الخلافة ليلا لا نهارا ، وانما خالفوا الرسم تعظيمـا لتلـك الســيدة الجليلة النبيلة .

(٩٠) لم يذكر ابن الاثير موضع التربة ههنا الا انه ذكر في وفاة الملك المعظـم على بن الناصر لدين الله سنة ٦١٢ هـ انه « لما توفي اخرج نهارا ومشى جميع الناس بين يدي تابوته الى تربة جدته عند قبر معروف الكرخي فدفن عندها » . ومعلوم ان جدته زمرد خاتون .

(٩١) الكامل في سنة ٥٩٩ هـ .

وقال سبط ابن الجوزي بعد كلامه الذي نقلناه : « وحزن الخليفة عليها حزنا لم يحزنه ولد على والده وفعل في حقها ما لم يفعله أحد ، صلى عليها في صحن السلام ومشى بين يدى تابوتها الى دجلة من ناحية التاج ثم حملت في شبارة [٩٢] نهارا والوزير (نصير الدين ناصر) بن مهدي قائم مشدود الوسط ، وارباب الدولة في السفن وصعدوا بتابوتها الى القرية وأمر الخليفة ان يمشي الناس من دجلة الى تربتها المجاورة لمعروف والمسافة بعيدة ، وكان الوزير سمينا فكاد يهلك وقعد في الطريق نحواً من ثلاثين مرة [٩٣] . وعمل العزاء شهرا كاملا وانشدت المراثى وختمت الختمات طول الشهر وتكلمت في العزاء ... وفرق الخليفة بعد الشهر اموالا كثيرة في الزوايا والربط والمدارس وخلع على الاعيان ومن لم يخلع عليه أعطاه مالا وأمر بأن يفرق جميع ما خلفته من ذهب وفضة وحلى وجواهر وثياب في جواريها ومماليكها فقسم بينهم وحمل ما كان في خزائنها من الاشربة والمعاجين والعقاقير الى المارستان[٩٤] العضدى وكان يساوى الوفا وحزن عليها اهل بغداد حزنا عظيما لانها كانت محسنة الى الناس [٩٥] .

وقال صلاح الدين الصفدى: «وحملت الى تربة معروف الكرخي... ولبس الناس ثياب العزاء ورفعت الغرز[٩٦] والطرحات والبسملة[٩٧] من بين يدى الامراء وانزلت في الشبارة والناس في السفن قيام ، ولم يضرب طبل ولا شهر سيف ودام العزاء سنة كاملة » [٩٨] .

(٩٢) الشبارة ، ضرب من السفن يشبه اليخت الصغير في هذه الايام .

(٩٣) هذا من مبالغات ابى المظفر .

(٩٤) كان هذا المارستان في الجانب الغربى من بغداد عند معبر عربات القطار على ما استرجحناه . + وهو ضمن منطقة العطيفية اليوم .

(٩٥) مختصر المجلد الثامن من مرآة الزمان ، ص ٣٣٤ .

(٩٦) ظاهر الفرز أنها كالاعلام تغرز في الارض .

(٩٧) البسملة هي بسم الله الرحمن الرحيم مكتوبة معلقة .

(٩٨) اصول التاريخ والادب مج ١١ ص ٣٨ (نقلا عن الوافى بالوفيات) .

واخبار هذه السيدة الفاضلة كثيرة عجيبة تدل على نبل وشرف وتقى وصحة ديانة وكرامة واستقامة وصيانة ، فهي من شهيرات نســاء العــالم وعظيمات نساء الخلفاء وفضليات امهاتهم وفي سيرتها المثل الاعلى لكل امرأة تريد ان تكون خالدة السيرة عزيزة على الامة بعيدة الهمة سامية النفس • فمن سمو نفسها أن ضرتها السيدة بنفشة توفيت قبلها بعدة أشهر فتولت أمرها وجهزتها الى دار البقاء أحس جهاز ودفتها في « تربتهــا المجــاورة لمعروف الكرخي » ــ على ما ذكر سبط ابن الجوزى في مرآة الزمان. ونقله عنه أبو شامة في ذيل الروضتين ، وهذا من أشرف اعمال النساء في العالم وأندرها حدوثا •

مسجد سوق السلطان

لقد أشرنا في هــذه المحلة الى ســوق السلطان ومســجد ســوق السلطان [٩٩] ، وذكرنا المسجد مع عمارات الخليفة الناصر لــدين اللــه، وقلنا : «الظاهر لنا أنه كان في القلعة ولم يبق من آثاره الا منارة عتيقــة حوضها مجدد تشبه منارة جامع الخفافين في المواد والبناء وهي في مسجد حديث البناء بالنسبة اليها » ثم قلنا : « سوق السلطان هو سوق الميدان ولا يشترط في مثل هذا التعبير ان يكون محافظا فيه على مواضع الابنيــة والدكاكين لان العمارات تتبدل دون الاسماء وقد كنا جعلنا قسما من القلعة معدودا في سوق السلطان لان منارة جامعها العتيقة على الراجع هي منارة مسجد سوق السلطان الذى بناه الناصر لدين الله العباسي • وقد اخطــأ العلامة لسترنج وجرنا معه الى الخطأ مدة بجعله اياها سوق الثلاثاء وجعلها من موضع باب الاغا الى باب المعظم » [١٠٠] ولا يغــرب عن بال المتأمل أن من المساجد ما تنهدم احواض منائره كجامع ابراهيم الفضل في الحيدرخانة

(٩٩) مجلة سومر ج ٢ (١٩٤٥) ص ٧٦ حاشــية ٥٠ ص ٨١ حاشــية ٧٧ ، ويراجع لمعرفة قول لسترنج ، ترجمة كتابه الى العربية ص ٢٤٠ نقل الاستاذ بشير يوسف فرنسيس •

(١٠٠) المصدر السالف الذكر •

ومنها ما يبنى مساكن وتبقى منائره كمنارة مسجد بباب الاغا تعرف بالمنارة المقطومة فالسراة الاتقياء هم الذين يعيدون مثل هذا المسجد الى هيئته الاولى بتجديد الشراء والوقف •

ونرى آثر ذي أثير تعيين سوق السلطان ومحلتها ، لكي تفهم الاقوال ولا تكون مبنية على الظن والتحكم ، فنقول : كانت سوق السلطان تبتدىء من باب السلطان وهو باب المعظم ، والسلطان الذي أضيف اليه الباب هو محمد طغرلبك السلجوقي ، قال على بن الحسين بن أبى الفرج البصري في دخول طغرلبك بغداد « ثم ان السلطان ضرب خيمة بباب بغداد في الموضع الذي فيه الآن جامع السلطان وبنى الجامع [١٠١] هناك [١٠٢] » وكان لهذا الباب عقد كما كان لكل أبواب بغداد ، يعرف بعقد سوق السلطان • وذكر هذا الموءرخ نفسه ان خوارزم شاه تكش بن ايل ارسلان لما قتل السلطان طغرل الثالث آخر السلاطين السلجوقيين بالجبال سنة ٥٩٠هـ أرسل برأسه الى الخليفة الناصر لدين الله وادخل الرأس بغداد من عقد سوق السلطان على خشبة طولها أربع أذرع وعلى الخشبة اثر الدم وسنجقه وراءه منكسا وفي عينيه اثر نشابة وكان طويل الشعر ، فعلق بباب النوبى في مسمار [١٠٣] • وجاء في معجم البلدان ومراصد الاطلاع أن درب منيرة ببغداد محلة بشرقيها في اواخر سوق السلطان مما يلي نهر المعلى • وهذا يدل على انها كانت كبيرة ••

وكانت هذه السوق في اول امرها سوق الجند والغرباء ولذلك كثرت فيها الخمور • ومن العادات البشرية ان تكون دور الزنا وحصر الخواطىء

---

(١٠١) المعروف في هذا ان السلطان ملكشاه هو الذي بنى الجامع على ان ذلك لا ينفي ان يكون طغرلبك وضع قواعده أو بناه بناءا ضعيفا فجدده ملكشاه .

(١٠٢) اصول التاريخ والادب ، مج ٩ ص ٨٢ (نقلا عن المناقب العباسية والمفاخر المستنصرية) .

(١٠٣) المرجع المذكور ص ٨٤ .

قرب الحانات . وفي سنة ٥١٤ هـ أمر الخليفة المسترشد بالله باراقة الخمور التي بسوق السلطان ونقض بيوتها [١٠٤] . وورد في حوادث سنة ٤٥٣ هـ ان العامة ببغداد نهبوا طعاما لألبقش كونخر أحد امراء السلاجقة كان مدخرا في مخزن بسوق السلطان وان المعسكر السلجوقي كان يرتفق ويمتار من سوق السلطان . وكان في سور بغداد قرب السوق باب يعرف بالباب الجديد او الباب الحديد فسده الخليفة المقتفي لامر الله عشية الثلاثاء سادس جمادى الآخرة سدا قاطعا ليمنع العسكر من دخول البلد ، ولكنهم فتحوا في السور فتحات مما يلي باب الجعفرية ثم بعثوا رجالا فنقضوا البناء الذي خلف العقد [١٠٥] وكانت سوق السلطان قريبة من دجلة فقد ذكر مؤرخ أن محمدا البلخي الزاهد المتوفى سنة ٦٠٢ هـ كان مقيما في مسجد بسوق السلطان قريب من دجلة [١٠٦] .

وقال العماد الاصفهاني في حوادث سنة ٥٥٠ في اخبار الملك المستجير سليمان بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وملاذه بالخليفة المقتفي لامر الله ودخوله بغداد : « دخل البلد وخرق الأسواق من باب سور الحلبة [١٠٧] الى ان جاوز فرضة الرحبة [١٠٨] وحين وصل الى باب النوبي [١٠٩] أنزلوه وألزموه بتقبيل العتبة وقد اكرهوه ، وهناك حجر اذا وصل الرسل ومقدموا

---

(١٠٤) ابو الفرج ابن الجوزي في المنتظم ج ٩ ص ٢١٨ .

(١٠٥) المرجع المذكور ج ١٠ ص ١٣٣ .

(١٠٦) محيى الدين القرشي في « الجواهر المضية في طبقات الحنفية » ج ١ ص ١١٨ .

(١٠٧) وهو ما يقابل محلة باب الشيخ الحالية بين مضارب الارمن وفواخير الفخار .

(١٠٨) اي رحبة جامع القصر وقد ذكرنا انها كانت فى ارض سوق البغالين السفلى وما حولها من الدور والعمارات والاسواق التي تجاور جامع سوق الغزل من الشمال .

(١٠٩) كان على الظاهر عند الدرب الذي سكنه ابن الجرجفجي الحاج امين وهو يفضى الى شارع الرشيد من جهة الشرق .

الحاج نزلوا عنده ولثموه وعظموه . وما قبل تلك العتبة قبل سليمان سلطان سلجقي ولا ملك ديلمي[110] وكان منهم شقي وسعيد وخرقوا به السوق حتى عبروا به باب سوق السلطان وانزلوه بدار السلطنة » .

ثم اشتهر سوق السلطان حتى نسب اليه الباب فكانوا يقولون « باب سوق السلطان » لا « باب السلطان » فقد جاء في حوادث سنة (٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ م) ان الخوانق (أي الخناق) فشت في أهل بغداد وان امرأة منهم رأت في المنام امرأة من الجن تكنى « آم عنقود » وانها اشارت الى بئر داخل باب سوق السلطان[111] وقالت « ان ابنى عنقودا مات في هذا البئر ولم يعزني فيه احد فلهذا اخنقكم » فشاع ذلك في الناس فقصد البئر جماعة من العوام والنساء والصبيان ونصبوا عند البئر خيمة واقاموا هناك العزاء[112] .

وجاء في اخبار قصد الشاه محمد بن قره يوسف من آل قره قوينلو سنة (٨١٤ هـ = ١٤١١م) ، وقد مر بعضها في البحث عن تاريخ رباط بهروز الاسفل : أن الشاه محمدا سار الى بغداد حتى وصل الى باب سوق السلطان وفي اضطرابات بغداد قتل الامير بخشايش[113] ، على أن عبارة

---

(١١٠) اما ملك سلجقي فصحيح واما ملك ديلمي فلا ، فان الملك الرحيم آخر ملوك بني بويه بالعراق كاد يقتله طغرلبك فانقذه القائم بامر الله العباسي ، ولما وصل الرحيم عتبة باب النوبي قبلها شكرا لله تعالى فصار التقبيل سنة بعده . (ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات ج ١ ص ٢٠٣) .

(١١١) قال ابن دقماق «خاطبتها من بئر ملاصقة لسور سوق السلطان تقول لها : «أنا جنية اعرف بأم عنقود» (اصول التاريخ والادب مج ٩ ص٩٧) نقلا عن «نزهة الايام في تاريخ الاسلام » لابراهيم بن محمد بن دقماق .

(١١٢) ابن الفوطي في «الحوادث الجامعة ص ٢٢٥» وابن دقماق في المرجع المذكور ، وام عنقود هذه ظهرت خرافتها اول مرة سنة «٦٠٠» هـ وظهرت قبلها خرافة «سيدوك» ملك الجن (الكامل في حوادث سنة ٤٥٦) .

(١١٣) عباس العزاوي في «تاريخ العراق بين احتلالين» ج ٣ ص ٣٠ .

غياث الدين عبدالله بن فتح الله البغدادي في موت السلطان احمد بن اويس والتمويه على الناس بأنه حي هي : «ووقع السيف ببغداد وقتل خلق كثيرة وكل من قال السلطان مفقود قتل ، مضي على هذا مدة ثمانية شهور والشاه محمدناصر على باب دروازة سوق السلطان الى قبة جلوخان الى قبة عبيدالله وباقي الابواب من باب النصر (كذا) الى باب الحلبة الى باب قرية العقاب مفتحة والناس تروح وتجيء وكذلك من الجانب الغربي من قلة عساكر الشاه محمد »[١١٤] . فقوله « باب دروازة سوق السلطان » من سوء تأثير اللغة الفارسية والا فان الدروازة هي الباب فما معنى هذه الاضافة ؟ .

ولم نجد ذكراً لباب سوق السلطان بعد التاريخ المذكور . لان اكثر سوق السلطان دخل في ساحة القلعة ولان الاسماء تتغير فليس بقاؤها مضمونا في علم الخطط .

واذا كانت عدة محلات ببغداد في شرقيها وغربيها قد سميت بأسماء العقود كعقد الحديد وعقد المصطنع أو باسماء الاسواق كسوق الثلاثاء وسوق المدرسة ، لم يكن غريبا ان تسمى المحلة التي يخترقها سوق السلطان والمواضع التي يجاورها بمحلة « سوق السلطان » وهي محلة الميدان الحالية ، وقد ذكر في حوادث سنة (٦٠١ هـ = ١٢٠٤ م) أنه وقعت في ليلة السبت تاسع رمضان فتنة بين أهل سوق السلطان والمحلة الجعفرية منشأها خصومة رجل منهم مع آخر من أهل سوق السلطان، فاقتتلوا بباب الجعفرية تلك الليلة الى آخرها ويوم السبت وسكن الامر بعد جرح كثير من الفريقين وحدوث مصائب[١١٥] .

أما مسجد سوق السلطان الذي عقدنا له هذا الفصل فنزرة اخباره

---

(١١٤) مختصر التاريخ الغياثي ، ص ٣٨ (من اختصارنا) .

(١١٥) ابن الساعي في الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، ج ٩ ص ١٤٨ - ١٤٩ .

وان بقي ــ على قولنا ــ بعض آثاره وكان قبالة سوق العميد [١١٦] ، وعلى هذا تكون سوق العميد شعبة من سوق السلطان وقد اشتهرت بمدرسة للحنفية كانت فيها تعرف بمدرسة زيرك[١١٧] « راجع الخارطة » • ولم نعلم بعد متى بنى هذا المسجد ، الا أن أحد أئمته رتب فيه سنة ٦٠٣هـ=١٢٠٦م، قال ابن الساعي في حوادثها في شهر ربيع الاول من سنة ثلاث وستماية المذكورة «رتب عبدالسميع بن عبدالعزيز بن غلاب المقرىء صدرا بجامع واسط مع خاله ابن الدباس ورتب خاله المذكور مقرئا بالمسجد الذي انشأه الامام الناصر لدين الله (رض) بسوق السلطان» [١١٨] •

وابن الدباس هذا أبو الحسن على بن أحمد بن سعيد المقرىء الواسطى ، ذكر ابن الدبيثي أنه كان أحد عدولها وانه قرأ القرآن الكريم بالروايات في عدة مدن وقدم بغداد مرارا ، فلما أتقن القراءة شرع يقرىء الناس بالمسجد الجديد بسوق السلطان الذي تقدم الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين ببنائه ثم ذكر انه توفى ببغداد ليلة السبت سابع عشرين رجب سنة ٦٠٧ هـ عن ثمانين او تسع وسبعين سنة وصلى عليه يوم السبت بجامع السلطان [١١٩] ودفن الى جانب ابى موسى المكي الزاهد محاذي الجامع المذكور في الحد الشمالي[١٢٠] •

وترجمه الذهبي في طبقات القراء وتاريخ الاسلام بما لا يخرج عما

---

(١١٦) اصول التاريخ والادب ، مج ٢١ ص ١٢٤ (نقلا عن ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي) •

(١١٧) المرجع المذكور ، ص ٢٣ ، ٤٥ •

(١١٨) وكان عبدالسميع احد المقرئين المشاهير ذكره الذهبي في طبقات القراء وذكر انه توفى سنة ٦١٨ (اصول التاريخ والادب مج ٢١ ص ١٥٦)•

(١١٩) ذكرنا انه كان في أرض محلة العيواضية الحالية •

(١٢٠) اصول التاريخ والادب ، مج ٢١ ، ص ١١٩ ــ ١٢٠ •

ذكرنا من حيث الخلاصة [١٢١] ، ورتب بعده في المسجد المذكور ابو الحسن علي بن الانجب بن أبي البقاء بن التقي العلوي الحسني الواسطي وكان هذا قد حفظ القرآن الكريم بواسط وقرأ بها على الشيوخ وقدم بغداد وتفقه بها على مذهب الامام الشافعي بالمدرسة النظامية وغيرها ، قال ابن الدبيثي: « وأم بالناس في الصلاة بالمسجد الجديد الذي أمر ببنائه سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على سائر الانام الناصر لدين الله امير المؤمنين (خلد الله ملكه) بسوق السلطان مقابل سوق العميد ، وسمع بها من شيخنا أبي الفرج بن كليب وامثاله وحدث بالمسجد المذكور باجازته الشريفة من الخدمة الشريفة الناصرية (ثبت الله دعوتها) وهو الآن [١٢٢] قاطن بها مصل بالمسجد المذكور [١٢٣] » . ولم استطع معرفة تاريخ وفاته .

فالمسجد الناصري اتخذ موضعا للتحديث بالاجازة عن الخليفة الناصر لدين الله بما رواه عن شيوخه من الاحاديث التي ضمنها كتابه « روح العارفين» ومسند الامام أحمد بن حنبل وغيرها، وكان موضعا لاقراء القرآن الكريم ــ كما ذكرنا ــ وكانت اجازة الناصر خرجت سنة ٦٠٦ هـ ، قال سبط ابن الجوزي في حوادث هذه السنة « وفيها أظهر الخليفة الاجازة التي اخذت له من الشيوخ وذكرهم في كتابه روح العارفين ...[١٢٤] ودفع

---

(١٢١) المرجع المذكور ص ١٥٣ و مج ٢٤ ص ١٦٥ .

(١٢٢) اخرج ابن الدبيثي نشرتين من تاريخه ، الاولى سنة ٦١٦ هـ ومنها مجلد في خزانة كمبريج والثانية سنة ٦٢١ وهي النسخة التي نقلنا عنها . فقوله الآن يعنى سنة ٦٢١ هـ .

(١٢٣) أصول التاريخ والادب ، مج ٢١ ، ص ١٢٤) .

(١٢٤) قال « وقد شرحت هذا الكتاب وهو وقف في دار الحديث الاشرفية بدمشق » .

الخليفة الى كل مذهب اجازة عليها مكتوب بخطه : أجزنا لهم ما سألوا على شرط الاجازة الصحيحة وكتب العبد الفقير الى الله تعالى ابو العباس أحمد أمير الموءمنين » (١٢٥) •

ولم يقع الي ّ شيء من اخبار مسجد الناصر لدين الله بعد الزمن الذي ذكرت أعنى سنة ٦٢١ هـ لخفاء المراجع التاريخية ولندور من يعنى بمثـــل هذه الامور فى ذلك العصر •

---

(١٢٥) مختصر المجلد الثامن من مرآة الزمان ، ص ٣٥٤ .

نهر الصراة
دجلة
المخرم
الشارع الأعظم
الرملة
رباط الاخلاطية ومسلخ خاتون
تربة الاخلاطية
جامع السلطان
دار المسناة
رباط الخدم وقبة قبر
باب بدر
سوق العميد
درب الخدم
رباط ابي النجيب السهروردي
جامع قمرية
رباط البسطامي
قطيعة عيسى
العقبة
نهر عيسى
مشرعة التاج
مدرسة سعادة
درب دينار الصغير
تربة غريبة خال الخليفة المقتدر بالله
قصر بني المأمون
دار القرآن
المدرسة المستنصرية
جامع الخفافين
دار سنقرجا
مسجد زمرد خاتون
رباط شيخ الشيوخ
سوق العطر
دار الخلافة
(المقياس نسبي)
خارطة بغداد في القرن السادس والسابع للهجرة وقسم مشتمل رجال زمانا عاشوا فيها
الرسام عبد القادر سهيل

(٢)

فــي دار الخــلافة العباســية

تمهيد في (سور دار الخلافة وابوابه)

١ ـ ابواب سور الحريم

لقد بينــا أن دار الخلافــة العباسية فــي اواخــر عهدهــا كــانت محـــدودة مــن الغــرب بنهــر دجلــة ومن الشــمال بارض شــارع السـؤل الحــالي ومــن الشــرق بشــارع الرشــيد او بحــد ممتــد من شرقي المدرسة المرجانية بقليل جدا مواز لشارع الرشيد ومن الجنوب بطريق شريعة المربعة [١٢٦] على ان الحد الجنوبي يصعب علينا تبيان موضعه بالتحقيق ، فخمسون مترا او مائة متر فوق الحد الذي كان مقدرا يمكننــا ان نحذفها في التحديد ، فيكون الحد الجنوبي لدار الخلافة عند قبر السيد سلطان علي من محلة رأس القرية ، فليس لنا هناك اثر عتيق ولا موضــع معروف بالعتق فنستطيع بهما تحرير [١٢٧] التحديد ، ولا مندوحة لنا اذن عن التقدير في مثل هذه الامور .

ويعنينا هنا ان نذكر سور دار الخلافة وابوابها ، فنقول : ذكر ابو بكر الخطيب البغدادي ان دار الخلافة التي على شاطيء دجلة تحت نهــر المعلّى كانت قديما للحسن بن سهل وزير المأمون وتسمى «القصر الحسني» فلما توفي الحسن بن سهل صار القصر الى ابنته خديجة بنت الحسن المشهورة ببوران ، فاستنزلها عنه الخليفة المعتمد على الله وعوّضها عنه ثم وان ابن اخيه الخليفة المعتضد بالله استضاف الى القصر مما جــاوره من الارضين

(١٢٦) سومر ج ٢ ص ٦٦ سنة ١٩٤٥ و ج ١ ص ٥٥ سنة ١٩٤٦ .

(١٢٧) ورد في وفيات الاعيان مج ٢ ص٤٧٩ (من طبعةالعجم): «وحرر عسكر الصفار فكانت مساحة معسكره ميلا في ميل » اي احكم قياسه .

ومنها بعض وقوف الحسن بن سهل فوسعه وكبره وعمل على كل ذلك سورا وحصنه وجدّد بنايات على دجلة واستأنف عمارات في سنة (٢٨٠) وغيرها وانفق عليها مالا عظيما واتخذها دار خلافة وامر ببناء مطامير[١٢٨] في القصر رسمها للصناع فبنيت بناءا لم ير مثله على غاية ما يكون من الاحكام والضيق وجعل تلك المطامير محابس فلما استخلف ابنه المكتفي بالله سنة (٢٨٩ هـ) ابتنى على دجلة البُنيان الذي عرف بعد البناء بالتاج وعمل وراءه من القباب والمجالس ما تناهى في تعليته وتوسيعه وامر بهدم المطامير المقدم ذكرها وبنى في موضعها مسجدا جامعا وهو جامع القصر اي قصر التاج[١٢٩] ثم ولي الخلافة المقتدر بالله فزاد في عمارة دارالخلافة واستحدث فيها مرافق قال الخطيب البغدادي : حدثني هلال بن المحسن قال حدثني ابو نصر خواشاذه خازن عضد الدولة قال : طفت دار الخلافة عامرها وخرابها وحريمها[١٣٠] وما يجاوزها ويتاخمها فكان ذلك مثل مدينة شيراز • قال هلال : وسمعت هذا القول من جماعة آخرين عارفين خبيرين » [١٣١] •

فاول خليفة جعل ذلك الموضع من بغداد الشرقية بعد سامراء دار خلافة واتخذ لها سورا هو ابو العباس المعتضد بالله ، على حسب ما ذكرنا

---

(١٢٨) المطامير جمع مطمورة وهي الديماس والسرب أي موضع مبنى تحت وجه الارض يتخذ سجنا او مخزنا او مخبأ .

(١٢٩) هو الذي سمى أيضا «جامع الخليفة» وقد ذكرنا مرات ان من بقاياه جامع سوق الغزل الحالي .

(١٣٠) جاء في المراصد « الحريم ... اصله من حريم البئر وهو ما حولها من مرافقها ثم اتسع به لكل ما يتحرم به ويمنع منه فقيل له حريم فمنه حريم دار الخلافة ببغداد ... » .

(١٣١) يراجع فى كل ذلك تاريخ بغداد للخطيب ج ١ ص ٩٨ ؛ ص ٩٩ ، ص ١٠٠ ، ١٠٩ ومن نقل عنه كمختصر مناقب بغداد ص ١٥ ، ٢١ ونشوار المحاضرةواخبار المذاكرة لابى على التنوخي ج٨ ص١٥ والمنتظم لابن الجوزي ج ٥ ص ١٤٣ و ج ٦ ص ٣٣ ومعجم البلدان لياقوت الحموى فى رسم «التاج» .

من الاخبار ، ومما ايد ذلك وجود ابواب لذلك السور فمنها «باب الخاصة»، وكانت ارضه متصلة بارض المدرسة المرجانية من الجنوب والغرب ــ على ما تحققناه ــ قال ابن عبدالحق في وصف «منظرة الريحانيين» :

« وهي بباب بدر وهو احد ابواب دار الخلافة ، كان اولا يسمى باب الخاصة يدخل منه من ست منزلته ثم نسب بعد ذلك الى بدر احد خواص الخدم » [١٣٢] . وقد عنى به بدرا المعتضدي الصغير صاحب جيش المعتضد بالله الذي قتل سنة (٢٨٩ هـ) وهي سنة وفاة سيده المعتضد بالله لا بدرا الكبير المعروف بالحمامي المتوفي سنة(٣٣١) وهو وال على بلاد فارس[١٣٣] .

وقد جاء ذكر « باب الخاصة » هذا في خبر ابن المغازلي البغدادي الحاكي المضحك مع الخليفة المعتضد بالله وفي خبر وفود الرسول الرومي على المقتدر بالله سنة (٣٠٥ هـ) فانه اخرج مع صاحبه الذي وفد معه من باب الخاصة من ابواب دار الخلافة الى نهر دجلة واقعدا وسائر أصحابهما في شذاة من الشذوات الخاصة واصعدا الى حيث انزلا من الدار المعروفة يومئذ بدار صاعد [١٣٤] .

وورد في حوادث سنة (٣٢٠هـ) في خلافة المقتدر انه ركب يوم الجمعة لتسع ليال خلون من المحرم من السنة في قباء تاختج وعمامة سوداء وعلى رأسه شمسة تظله وبين يديه اولاده الكبار ركبانا وهم سبعة وجميع الأمراء والقواد معه وبين يديه فسار من (باب الخاصة) الى المجلس الذي في طرف الميدان وقد ضرب له قبة شراع ديباج فدخلها ثم انصرف وظهر للعامة ودعا

(١٣٢) مراصد الاطلاع في «منظرة الريحانيين» .

(١٣٣) المنتظم ج ٦ ص ٣٤ ، ١٨٠ وتاريخ بغداد للخطيب ج ١ ص ١٠ و ج ٧ ص ١٠٥ والمسعودي في مروج الذهب ج ٢ ص ٤٧٥ (من طبعة المطبعة البهية سنة ١٣٤٦ هـ).

(١٣٤) تاريخ الخطيب ج ١ ص ١٠٥ ويراجع الخبر دون ذكر الموضع تجارب الامم لمسكويه ج ٥ ص ٥٣ (طبعة آمدروز) والمنتظم ج ٦ ص ١٤٣ .

الناس له [١٣٥] • وجاء في اخبار دار الخلافة انه لم يكن في اوائل القرن الرابع في شمالي دار الخلافة باب سوى « باب الخاصة » المذكور ومنه يفضى الى دجلة وفيه يسر من يدخل الدار المذكورة حين يقصدها من جهة الشط • قال هلال بن المحسن الصابي : حدثني ابراهيم بن هلال جدي قال حدثني المكنّى ابا علي الحسن بن محمد الانباري قال : كنت اخط بين يدي دلويه الكاتب وهو يتولى كتابة « سلامة اخي نجح » الملقب في ايام القاهر بالله بالمؤتمن وسلامة اذ ذاك حاجب القاهر بالله وكنت في دهليز باب الخاصة الذي على دجلة من دار السلطان فاخدم صاحبي ما يستخدمني فيه [١٣٦] ، فقوله على دجلة يدل على ما اشرنا اليه لانه لم يكن بينه وبين دجلة باب آخر • وكان عند « باب الخاصة » دهليز الحجبة ، فقد ورد في اخبار سنة (٣٠٦ هـ) ان ابا بكر ابن قرابة قال : لما خلع على ابن الفرات للوزارة الثالثة كنت اول من لقيه في دهليز الحجبة « بباب الخاصة » وجاء في حوادث سنة (٣١٢) ان مؤنسا المظفر الامير المشهور في خلافة المقتدر بالله انحدر بابي الحسن ابن الفرات الوزير الى دار الخلافة العباسية ولما وصلوا الى باب الخاصة خارجين من دجلة صعد جمع عظيم من السميريات التي بدجلة لرجم ابن الفرات وولديه وكتابه بالآجر حتى حوربوا واحتيج الى رميهم بالسهام » وورد في حوادث سنة (٣١٧هـ) ان القاهر بالله وابا الهيجاء ابن حمدان اشرفا من دار الخلافة على دجلة يوم احاطة اصحاب المقتدر بهما فرأيا الرجالة في السلاح من نهر المعلى منتظمين متراصين الى التاج والى باب الخاصة لا يحصيهم عدد [١٣٧] •

وانما سمي باب الخاصة «لانه كان لدار الخلافة اذ ذاك باب لعامة

---

(١٣٥) عريب في «صلة تاريخ الطبري» ، ص ٨٦ (من طبعة مصر) •

(١٣٦) «اصول التاريخ والادب مج ٢ ص ٢١٥ » (نقلا عن رسوم دار الخلافة للصابي المذكور ، نسخة العلامة الاب انستاس ماري الكرملي) •

(١٣٧) مسكويه في تجارب الامم ج ٥ ص ٦٧ ، ١٢٦ ، ١٩٦ (من طبعة مصر سنة ١٣٣٢ هـ = ١٩١٤ م) وتراجع حاشية ص ٣٩٣ منه •

الناس يعرف بـ « باب العامة » ورد ذكره في اخبار رسول الروم الى الخليفة المقتدر سنة (٣٠٥هـ) وقد اشرنا الى ذلك الرسول ــ قال الخطيب او من نقل هو عنه « وعدد البسط والنخاخ[١٣٨] الجهرمية والدرابجردية والدورقية في الممرات والصحون التي وطيء عليها القواد ورسل صاحب الروم من حد (باب العامة الجديد) الى حضرة المقتدر بالله » قال « وادخل رسل صاحب الروم من دهليز باب العامة الاعظم الى الدار المعروفة بخان الخيل وهي دار اكثرها أروقة بأساطين رخام » [١٣٩] وقال ابن الطقطقى في سيرة المعتصم بالله : « هدم عمورية وعفى آثارها واخذ بابا من ابوابها وهو باب جديد عظيم الحجم فاحضر الى بغداد وهو الآن على احد ابواب دار الخلافة يسمى باب العامة»[١٤٠] • فالظاهر من هذا ان باب العامة الاعظم هو الاول الذي وضع فيه باب عمورية وان الباب الجديد هو الباب الداخل • وذكر الخطيب ايضا ان المعتصم جاء بباب عمورية الى العراق وانه باق الى زمانه سنة (٤٦٣ هـ) منصوب على احد ابواب دار الخلافة وهو الباب الملاصق للمسجد الجامع بالقصر [١٤١] • يعني جامع القصر وهو الذي قلنا مرات ان من بقاياه مسجد سوق الغزل الحالي الحديث البناء • وفي هذا الخبر ما نستدل به على حد « سور الحريم ــ حريم دار الخلافة » من جهة الشرق بالنسبة الى شرقي بغداد ، متصورين له على هيئة نصف دائرة تقريبية (على مثل ما وصفه به جماعة من البلدانيين والسياح وعلى حسب ما نحن ذاكروه فيما بعد) •

---

(١٣٨) النخاخ جمع نخ وهو بساط طويل .

(١٣٩) تاريخ بغداد للخطيب ، ج ١ ص ١٠٢ .

(١٤٠) الفخري ، ص ١٧٢ (من طبعة مصر سنة ١٩٢٧) .

(١٤١) تاريخ بغداد للخطيب ج ٣ ص ٣٤٤ وعلى هذا يكون داخلا في ارض جامع القصر ورحبته العظيمة موضع كنيسة اللاتين وما حولها من مدارس ودروب وبعض كنيسة السريان فما يجاورها من الشرق من دور وكنائس واديار .

ومن الغريب ان اسم «باب الخاصة» لم يتجاوز تاريخه منتصف القرن الرابع من حيث البقاء فلم اجد له ذكرا بعد ذلك وحلّ محله «باب بدر» نسبة الى الامير بدر غلام المعتضد بالله . وكنا اشرنا الى ذكره ونقلنا قول صاحب المراصد في «منظرة الريحانيين» . انها بباب بدر وانه احد ابواب دار الخلافة وكان يعرف بباب الخاصة (راجع الخارطة) .

وفي خلافة الطائع لله العباسي (سنة ٣٦٣ ـ ٣٨١ هـ) استحدث باب جديد باسم ذلك الباب (اعني باب الخاصة) وكان الخليفة الطائع نفسه هو الذي أحدثه ، قال ياقوت الحموي : « باب الخاصة كان احد ابواب دار الخلافة المعظمة ببغداد احدثه الطائع تجاه دار الفيل وباب كلواذى واتخذ عليه منظرة تشرف على دار الفيل وبراح واسع واتفق ان كان الطائع يوما في هذه المنظرة فجوّزت عليه جنازة ابي بكر عبدالعزيز بن جعفر الزاهد المعروف بغلام الخلال(١٤٢) فرأى الطائع منها

(١٤٢) هو المعروف قبره اليوم بقبر الشيخ الخلاني بشارع راس الساقية من محلة باب الشيخ عبدالقادر الجيلى ، وقد سماه بعض الناس «محمد بن عثمان السمان» المتوفى سنة ٣٠٥ فأضل بذلك العوام ترجمة الخطيب البغدادي وذكر انه ابو بكر عبدالعزيز بن جعفر بن احمد بن يزداد بن معروف الفقيه الحنبلي وانه ولد سنة ٢٨٢ هـ وذكر جماعة وافرة روى عنهم الحديث وان له مصنفات حسنة في فقه الحنابلة منها المقنع في نحو من مائة جزء وكتاب الشافعي في نحو من ثمانين جزءا وزاد المسافر وكتاب الخلاف مع الشافعي وكتاب القولين ومختصر السنة وكتب غيرها في التفسير والاصول واثر الخطيب انه توفي ببغداد لعشر ليال بقين من شوال سنة ٣٦٣ هـ وقيل لسبع ليال بقين منه ، ودفن عند دار الفيل « تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٤٥٩ » رأيت من كتبه «احاديث ترك التوكل» المطبوعة بدمشق سنة ١٣٤٨ وترجمه ابن الجوزي في المنتظم ج ٧ ص ٧١ وقال « دفن عند دار الفيل بمقبرة باب الازج » وترجمه ايضا في مناقب احمد بن حنبل ص ٥١٦ وذكره عزالدين ابن الاثير في وفيات سنة ٣٦٣ من الكامل وله ترجمة في شذرات الذهب ج ٣ ص ٤٥ ووهم ابن تغري بردى وسماء (عبدالعزيز بن =

ما اعجبه فتقدم بدفنه في ذلك البراح الذي تجاه المنظرة وجعل دار الفيل وقفا عليه ... » [١٤٣] .

وجاء ذكر « باب الخاصة » الجديد في خبر تقليد الطائع لله الملك عضد الدولة البويهي سياسة الممالك الاسلامية واضافة « تاج الملة » الى القابه سنة (٣٦٩هـ) فان عضد الدولة مثّل بحضرة الخليفة المذكور في دار الخلافة ، وفوّض اليه السلطة ، وامر ان يخلع عليه ويتوج ويعطى لوائي الولاية ويعقدا له ، وقلده سيفا مضافا الى السيف الذي قلده اياه مع الخلعة ، قال ابو الحسين هلال الصابي « ولما اراد عضد الدولة ان ينصرف راسل الطائع لله وقال : اني اتطير ان ارجع على عقبي واسأل ان يتقدم بفتح هذا الباب لي ـ واومأ الى الباب الدواري المفتح من السدليّ الى الحدائق وكان للحدائق باب يفتح الى دجلة ـ فاذن في ذلك . قال ابن حاجب النعمان : وشوهد في الحال نحو ثلاثمائة صانع قد اعدوا حتى هيء للفرس مسقاف (كذا) قدم عليه ابنه (كذا) والطائع لله يراه وركب وسار وحده راكبا وسار الجيش يمشون في طول الرّقة بين الشوك والدغل الى ان خرج من « باب الخاصة » ثم ركب القواد والجنود من هناك وسار في البلد[١٤٤] ولتصور موضع « باب الخاصة » ـ على حسب ما ذكرناه من الاخبار ـ يلزم المتصور ان يجعل قبر الشيخ الخلاني اصلا لتقديره ، فيتخيل منظرة الخليفة الطائع في آخر دار الخلافة بحيث يستطيع الجالس فيها ان يرى ارض المقبرة رأي العين، وكانت خالية على ما ذكر ياقوت الحموي وعلى ذلك يجوز لنا مع المتصورين ان نقدر موضع « باب الخاصة » قرب ارض جامع الحاج فتحي في نهاية العباخانة اي ملتقى طريق العوينة الاوسط

= احمد بن جعفر) عادا جده اباه (النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٠٥-١٠٦) وغلط طابعوه بظنهم ان تقديم «جعفر على احمد » خطأ وتراجع لغة العرب (٨ ـ ٤٨٩) ومجلة الاعتدال (١ ـ ٧٧) .

(١٤٣) معجم البلدان في رسم «باب الخاصة» .

(١٤٤) اصول التاريخ والادب مج ٢ ص ٢١٧ ـ ٢١٩ (نقلا من كتاب «رسوم دار الخلافة» نسخة الاب انستاس) .

وسوق المربعة وسوق العباخانة « راجع الخارطة » .

واذ علم القارىء ان «باب الخاصة» العتيق كان في شرق ارض المدرسة المرجانية وان «باب الخاصة» الجديد كان في شرقي ارض العباخانة الحالية استحال عليه ان يظن تقارب مواضعهما وان اتحدت اسماؤهما ، قال ابن عبدالحق : «باب الخاصة كان احد ابواب دار الخلافة من اسفلها احدثه الطائع لله وعليه منظرة مقابل دار الفيل التى جعنت مقبرة وفيها ابو بكر عبدالعزيز غلام الخلال ودرس فلم يبق له اثر »[١٤٥] . ومما نرى لزوم الاشارة اليه ان تشابه الاسمين للبابين المذكورين اوقع غير باحث في الخطأ فالمستشرق الفاضل گاي لسترنج قال في كتابه : « وذكر ياقوت ان باب بدر سدّ منذ قيام الفتن في عهد الخليفة الطائع لله اي منذ سنة ٣٦٨ هـ ــ ٩٧٨ م حيث اصبح عضد الدولة البويهي امير بغداد الا ان ياقوتا نفسه زعم ان الخليفة الطائع جدّد هذا الباب وكانت تجاهه دار الفيل ... وذكر انه لم يبق اثر في ايامه اي في اوائل القرن السابع (القرن الثاني عشر الميلادي) لباب البدرية العتيق ...» [١٤٦] .

وهذا وهم ظاهر من المستشرق الفاضل فان ياقوتا لم يسمّ «باب الخاصة» الجديد بباب بدر فيحق للمستشرق ان يقول « وزعم ان الخليفة الطائع جدّد هذا الباب »[١٤٧] ثم ان ياقوتا ذكر ان الطائع انشأه انشاءا

(١٤٥) مراصد الاطلاع : «باب الخاصة» والذي درس هو الباب لا قبر غلام الخلال الذى قلنا انه معروف اليوم بالشيخ الخلاني وخلافة الطائع بين سنة ٣٦٣ وسنة ٣٨١ .

(١٤٦) بغداد في عهد الخلافة العباسية (ص ٢٧٠ ــ ٢٧١) من الاصل الانكليزي و ص ٢٣٠ من الترجمة العربية .

(١٤٧) وقد كرر المستشرق المذكور خطأه بدعواه ان ياقوتا غلط في ذكره ان «باب بدر» كان قرب باب المراتب في سور دار الخلافة عند باب المدينة المعروف بباب كلواذى مع ان اول هذين البابين واقربهما الى باب بدر على مسافة منه لا تقل عن ميل واحد واشار الى ان ابن عبدالحق وهم كوهم ياقوت (حاشية ص ٢٧١) =

لا جدّده تجديدا كما قال المستشرق ، ومن اغرب الاوهام التي احدثها تشابه الاسمين ان كاتبا فاضلا نقل خبر حادثة وقعت في عهد القاهر بالله العباسي (٣٢٠ هـ ــ ٣٢٢هـ) جاء فيها ذكر «باب الخاصة» العتيق ، فعلق عليه بوصف «باب الخاصة» الجديد ونقل ان الطائع لله احدثه واسمه واذ كانت خلافة الطائع من سنة ٣٦٣ الى سنة ٣٨١ هـ ــ كما ذكرنا آنفا ــ فكيف يكون الباب موجودا في سنة (٣٢٢هـ) وهو لم ينشأ الا بعد «احدى واربعين سنة» من ذلك الحادث على التقريب ؟ اي سنة ٣٦٣ لا فيما بعدها [١٤٨] .

ب ــ سور الحريم

اما وقد انهينا الكلام على معضلة من معضلات خطط بغداد فنعود الى الكلام على «سور دار الخلافة» فننقل ما ذكره صاحب المراصد قال :

« ... حريم دار الخلافة ببغداد وهو في وسطها عليه سور دائر يتحيز به يبتدي من دجلة وينتهي اليها ثلاثة اضلاع ورابعها دجلة وله ابواب وفي بعضه مساكن للناس يقطع بينه وبين دار الخلافة حائط ممتد يفصل ما بينهما» فالخارج من دار الخلافة يومئذ يجتاز السور الاول الذي وصفه ابن عبدالحق بأنه « حائط » ثم يمر في حريم دار الخلافة ثم يجتاز سور الحريم ذا الابواب والاضلاع الثلاث ، والابواب تلك هي التي اشار اليها ابن جبير في وصف بغداد الشرقية بقوله « وداخلها في الاسواق ابواب كثيرة » [١٤٩] على ما نرى .

= والحقيقة ان المستشرق هو المخطيء وانهما مصيبان فياقوت لم يذكر ان باب بدر كان قرب باب المراتب ولا ذكر ابن عبدالحق ذلك كما في المراصد ، ص ٥٥ (من طبعة العجم) فتأمل .

(١٤٨)وقع هذا الوهم في مجلة منبر الاثير (الجزء الخاص ص ٧٩ الحاشية ٥٠) .

(١٤٩) ابن جبير في : تقييد السياحة ص ٢٠٨ (من طبعة مطبعة السعادة ١٣٢٦ هـ ــ ١٩٠٨م) .

وقد فصل ياقوت الحموي ابواب سور الحريم دون ابواب دار الخلافة فانه لم يذكر منها الا ثلاثة قال : « اولها من جهة الغرب » (باب الغربة) وهو قرب دجلة جدا وقال في موضع آخر «اولها باب الغربة على دجلة» ثم باب سوق التمر وهو شاهق البناء واغلق في ايام الناصر لدين الله ابن المستضيء واستمر غلقه الى الآن ، ثم باب النوبي[150] وعنده باب العتبة التي تقبلها الرسل والملوك اذا قدموا ببغداذ وهي (يعني العتبة) قطعة من عمود رخام ابيض مطروحة امام هذا الباب طولا ، ثم باب العامة وهو باب عمورية »[151] وبين هذين البابين (يعني باب النوبي وباب العامة) محال يسكنها عامة الناس بينهم وبين دار الخلافة سور آخر فيه عدة أبواب منها « باب الدوامات » وباب عليان وباب الحرم وغير ذلك ، ثم يمتد السور من باب العامة نحو ميل لا باب فيه الا باب بستان (دار الخلافة)[152] تحت المنظرة التي تنحر تحتها الضحايا في الاعياد ، ثم باب المراتب بينه وبين دجلة من جهة باب الازج نحو رميتي سهم • وقال في معجم البلدان « وجميع ما يشتمل عليه هذا السور من دور العامة ومحالها وجامع القصر وهو الذي تقام فيه الجمعة ببغداد يسمى الحريم ، وبين هذا الحريم المشتمل على منازل الرعية وخاص دار الخلافة التي لا يشركها فيه احد سور آخر يشتمل على دور الخلافة وبساتين ومنازل نحو مدينة كبيرة » وقال في المشترك « وجميع ما يشتمل عليه السور يسمى حريم دار الخلافة فيه محال واسواق وخانقاهات ودور كثيرة للرعية كاكبر مدينة وبين منازل الرعية وبين دجلة سور آخر من دونه

---

(١٥٠) ذكرنا ان هذا الباب منسوب الى سعيد النوبي الذي كان حاجبا فيه ، المتوفى سنة ٣١٤ هـ .

(١٥١) قدمنا كلمة فيه في اثناء هذا البحث .

(١٥٢) في الاصل « في آخر المامونية » المشترك ص ١٣٠ . وفي معجم البلدان «باب بستان قرب المنظرة التي ....»

دور الخلافة لا يشركه فيه شيء من منازل غيره »[153] . وقد رسمنا سور الحريم على هيئة نصف دائرة اخذا بقول ياقوت الحموي في معجم البلدان.

وقد اصبحت بغداد في ايامنا على حال يستحيل معها تعيين موضع السورين سور الحريم وسور دار الخلافة بالضبط والتحرير لان رحاب الابواب وساحاتها التي تكون بين ايديها ــ كونا اعتياديا في طراز القدماء ــ قد بنيت فيها بنايات وصارت دورا وقصورا ودروبا ومساجد ، بَلْه ان البلدانيين لم يذكروا لنا حدودا معينة ، فياقوت الحموي ــ كما رأيت ــ عد من حريم دار الخلافة « جامع القصر » ومن بقاياه جامع سوق الغزل الحالي ــ كما هو معلوم ــ وكنانقلنا من تاريخ الخطيب البغدادي ان باب العامة ملاصق لجامع القصر ، ولا نعلم بعد ذلك اكان جامع القصر داخلا كله في الحريم أم اكثره ام بعضه ، الا اننا استرجحنا القول الاول فليس لنا غير الاسترجاح .

دار الريحانيين

نترك الآن القول في حريم دار الخلافة ونخلص الى الكلام على عمارات القرن السادس الفخمة في ذار الخلافة العباسية فقد كنا رأينا من كمال البحث واكماله ان نذكر القصور التي بنيت داخلها في عصر تأسيس دار المسناة ، واولها « دار الريحانيين » وقد بناها الخليفة المستنجد بالله (٥٥٥ هـ ــ ٥٦٦ هـ) وذكرها سبط ابن التعاويذي الشاعر . ودونك ما جاء في ديوانه خاصا بها وهذا نصه : وقال يمدح الامام المستنجد بالله امير المؤمنين ويهنئه بالدار التي انشأها بالريحانيين[154] .

(١٥٣) ياقوت الحموى في «الحريم» من معجم البلدان والمشترك وضعا والمختلف صقعا ص ١٢٩ ، ١٣٠ والاستاذ يعقوب سركيس في «لغة العرب مج ٥ ص ٤٤٩ » وما يليها .

(١٥٤) الريحانيون اسم سوق يعرف بسوق الريحانيين كان قريبا من دار الخلافة واظهر الاقوال عندنا انه كان بين ارض جامع مرجان الحالى وما يتصل بها من شرقى شارع الرشيد نحو الجنوب .

تهنّ بها اشرف الارض دارا
جمعت العلاء لها والفخارا
والبستها هيبة من علاك
ملأت النواظر منها وقارا
قضاها بالطف تدبيره
فاحسن فيما قضاه اختيارا
فكادت وقد رفعتها النجوم
تلقي النجوم عليها نثارا [155]

ولم نجد في سائر القصيدة ما ينعت لنا شيئا منها ، وقد جاء في الاخبار انها كانت في سنة (٥٦٠ هـ ــ ١١٦٤ م) متكاملة البناء مسكونة ، قال سبط ابن الجوزي « وفي رجب عمل الخليفة (المستنجد) دعوة في الدار الجديدة واحتفل بها وحضرها ارباب الدولة والعلماء والفقهاء والصوفية والقراء والوعاظ ووعظوا وقرأوا ونصبت الموائد عليها فنون الاطعمة والحلوى وغنى المغنون ورقص الصوفية نهارهم وليلهم ثم خلع على جميع من حضر وصار ذلك رسما مقررا في رجب كل سنة »[156] ولم يشر ابن الجوزي في خبر الدعوة الى الدار وانما قال « وعملت الدعوة في دار الخلافة يوم الثلاثاء ثامن عشري جمادى الآخرة وحضر ارباب الدولة والصوفية على عادتهم وخلع عليهم وفرّق عليهم مال » [157] . وورد ذكر الدعوة في حوادث سنة (٥٦٢ هـ ــ ١١٦٦ م) قال سبط ابن الجوزي « وفيها تزوج المستنجد بابنة عمه ابي نصر[158] بن المستظهر بالله ودخل بها في رجب ليلة الدعوة التي كان يعملها كل سنة للصوفية وغيرهم وقد

(١٥٥) ديوان سبط ابن التعاويذي ص ١٧٧ ــ ١٧٨ .

(١٥٦) مختصر المجلد الثامن من مرآة الزمان ، ص ١٥٦ .

(١٥٧) المنتظم ، ج ١٠ ص ٢١١ .

(١٥٨) هذا وهم من الناسخ الماسخ فانه « ابو طالب نصر بن المستظهر بالله» كما في الكامل ج ١١ ص ٤٠ و ١٣٧ .

عى المعني في هذه الليلة .... » . وجاء اسمها بصورة «دار البدرية»(١٥٩)
قال ابو الفرج ابن الجوزي فيحوادث سنة (٥٦٦ هـ ــ ١١٧٠ م): «وارجفه
على الخليفة (المستنجد) بالمرض لانه انقطع عن الركوب ثم ركب وتصدق
بالخبز والبقر وعملت دعوة في دار البدرية وخلعت الخلع وضربت الطبول
للبشارة بسلامته » (١٦٠) .

ولم يذكر هذه الدار المستشرق گاي لسترنج وانما ذكر ان الخليفة
المستنجد بالله حفيد المستظهر بالله شيّد منظرة في سوق الريحانيين عند
باب بدر وكانت المنظرة تشرف على السوق المذكورة . وقال « ولعلها
المنظرة التي ذكرها الرحالة ابن جبير ، فانه رأى (كذا) فيها الخليفة الناصر
لدين الله يستمع الى الوعظ الموعوظ به في جامع القصر (كذا) كما مر
بيانه ، والظاهر ان متأخرى الخلفاء كانوا يقضون كثيرا من اوقاتهم في دار
الريحانيين وفي بستان فناء الدار على مقربة من ظهر المنظرة » (١٦١) .

قلنا : ولقد فات المستشرق العلامة انه كان فيما يقرب من هذه الدار
« دار سوق التمر » (١٦٢) وذكر ياقوت الحموي «دار الريحانيين » وذكر

(١٥٩) ذكرنا ان البدرية منسوبة الى بدر مولى المعتضد وانه قد كان
في هذا الموضع باب يسمى باب بدر من ابواب دار الخلافة وسميت
المحلة به ويظهر لنا انها (اعنى البدرية) كانت قرب جامع مرجان
وكانت أرض الجامع خالية من البناء تتخذ ساحة للبدرية وموقفا
للناس .

(١٦٠) المنتظم ، ج ١٠ ص ٤٣٢ .

(١٦١) Le Strange (Baghdad during the Abbasid Caliphate p. 273.

+ ولهذا الكتاب طبعتان في اكسفورد ، الاولى سنة ١٩٠٠ ، والثانية
سنة ١٩٢٤ .

(١٦٢) فيالمراصد « دار سوق التمر هي الدار المتصلة بباب الغربة ومن
الجهة الاخرى بالبدرية وهي دار عظيمة من دار الخلافة مشرفة
على مشرعة الابريين لها باب عال ودزكاه في صدر المخلطين » واذ
كان سوق التمر في موضع سوق السموءل لزم ان تكون الدار في
محل البنك الشرقي والخان الذى فيجواره منالشرق نحو المشرعة.

انها في دار الخلافة مشرفة على سوق الريحانيين وانها إستجدّها المستظهر اي شيدها وزاد عليه مؤلف المراصد قوله « خرب اكثر هذه الدار وبقي بستانها لا غرس فيه ولا زرع الى قريب فعمر وغرس به غرس يسير»[١٦٣]. ومؤلف المراصد توفي سنة (٧٣٩) هـ .

وورد ذكرها مع منظرتها في مراصد الاطلاع قال مؤلفه «منظرة الريحانيين : منظرة على السوق المشهور المعروف بالريحانيين في وسط بغداد تباع فيه الرياحين والفواكه ويتصل بسوق الصرف وغيره وهذه المنظرة احدثها المستظهر بالله وهي متصلة بالدار التي كان يسكنها الخليفة ومن ورائها بستان كبير متسع وفيه خزانتان متقابلتان للكتب انشأهما الامام الشهيد المستعصم بالله من وراء المنظرة وهي بباب بدر وهو احد ابواب دار الخلافة ، كان اولا يسمى باب الخاصة ، يدخل منه من سمت منزلته ثم نسب بعد ذلك الى بدر احد خواص الخدم » [١٦٤] . فالمنظرة من ابنية المستظهر بالله والدار من ابنية حفيده المستنجد بالله .

وكان في هذه الدار او المنظرة رواق يسمى « رواق[١٦٥] عزيز » على حسب التركيب الفارسي، والاسلوب العربي يقتضي ان يقال«الرواق العزيز» لان من رسوم الدولة العباسية نعت مؤسساتها ودواوينها بنعوت المدح والتعظيم . فقد قالوا « الديوان العزيز » و « الجيش المنصور » و «العرض الاشرف» وما اشبه ذلك . قال صفي الدين الارموي الكاتب الموسيقي « ان الخلافة وصلت الى المستعصم فعمر خزانتي كتب متقابلتين برواق عزيز

---

(١٦٣) المراصد في مادة « دار الريحانيين » .

(١٦٤) المراصد في مادة «منظرة الريحانيين» .

(١٦٥) يسمى اهل بغداد الدرب الدائر حول جامع مرجان من سوق العطارين نحو الجنوب فالشرق سوق الرواق حتى اليوم واخبار خزانة الكتب المستعصمية في الحوادث الجامعة في ص ١٦٣ ، و ١٨٤ .

وامر أن يختار لهما كاتبان يكتبان ما يختاره »[١٦٦] . وورد في اخبار الشيخ حسن الكبير المعروف بحسن بزرك مؤسس الدولة الجلايرية بالعراق واذربيجان انه توجه في سنة (٧٤٩ هـ ـ ١٣٤٨ م) الى ششتر ثم عاد الى بغداد فوجد نوابه قد وجدوا في رواق عزيز ببغداد ثلاثة احباب نحاس طول كل حب ذراعان ونصف مملوءة ذهبا مصريا وفي بعضه سكة[١٦٧] الامام الناصر لدين الله احد خلفاء بغداد ، وكان وزن ذلك اربعة آلاف رطل بالبغدادي يكون ذلك خمسمائة الف مثقال »[١٦٨] .

قلنا : ولعل الخرافة السائرة بين عوام العراقيين من كون الكنوز دائما في احباب مربوطة يحرسها جني ، مردّها الى هذه الحادثة العجيبة ، والظاهر ان موضع الرواق العزيز كان مطمورة لكنوز من الدنانير طمرها اما الناصر لدين الله او ابن حفيده المستعصم بالله ، ففي سنة (٨٦٧ هـ ـ ١٤٦٢ م) في عهد حكم بير بوداق بن جهانشاه بن قره يوسف التركماني القره قوينلي ببغداد ، كان احد الامراء واسمه سيدي علي يعمر ارضا برواق عزيز المذكور فوجد سردابا فيه ذهب عظيم المقدار ، من اخلص الذهب مضروب دنانير مفتونة الابريز تامة الوزن والعيار وازنة كلها مسكوكة بسكة الخليفة الناصر لدين الله . فاعلم بالامر الامير بير بوداق ووزن الذهب فكان سبعمائة منّ « بوزن تبريز » اي سبعة قناطير حلبية (على ما ذكر الغياثي) . وكانت من اموال الناصر المذكور قد دفنها وزرع فوقها النارنج وغيره من الشجر حتى لا يفطن لها وكان قد عزم الامير سيدي علي

---

(١٦٦) اصول التاريخ والادب ج ٦ ص ٩ و مج ١٦ ص ١٨٢ (نقلا عن الوافي بالوفيات للصفدي والمنهل الصافي لابن تغري بردى) .

(١٦٧) في الاصل « صكة » .

(١٦٨) اصول التاريخ والادب مج ١٦ ص ١٦٢ (نقلا عن المنهل الصافي المذكور) وراجع : حيرة الكتاب في رواق عزيز في «لغة العرب ٦ـ٣٤٨» (نقلا عن الدرر الكامنة لابن حجر) واشتهرت ببغداد ايضا « خرابة عزيز » ومن اهلها « عمر بن يوسف المقرىء » (اصول التاريخ والادب مج ٢٣ ص ٨) .

ان يجعل تلك الارض ديوانخانة ، فعثر على ما قدمنا ذكره [١٦٩] .

الدار المستضيئيــة في دار الرواشن من دار الخلافــة

ورد ذكر هذه الدار في حوادث سنة (٥٧٠ هـ ــ ١١٧٤ م) متكاملة البناء مسكونة الاجزاء ، قال ابن الجوزي : « وفي اول يوم من رجب حضر ارباب الدولة للهناء بباب الحجرة ثم انصرفوا الى الدار الجديدة التي عمرها المستضيء مقابلة المخزن وحضر العلماء والمتصوفة والقراء واستدعيت مع القوم فقرأوا ختمة واكلوا طعاما وانصرف قاضي القضاة[١٧٠] في جماعة من الاكابر وانصرفت معه وبقي المتصوفة فباتوا على سماع وخلعت علــى الكل خلع وفرق عليهم مال [١٧١] .

وكانت هذه الدار في دار الخلافة العباسية لانها كانت مقابل المخزن وكان المخزن في دار الخلافة ، ذكر هذه الدار سبط ابن التعــاويذي فــي ديوانه وجاء فيه ما هذا نصه : وقال يمدح الامام المستضيء بامر الله امير المؤمنين ويعرض بذكر الدار المستجدة التي انشأهــا بالــدار المعروفــة بالرواشين[١٧٢] وكان يعمل بها في كل سنة في مستهل رجب وليمة يحضر فيها ارباب الدولة والامراء والقضاة والشهود والاماثل والمدرسون والفقهــاء ومشايخ الربط والصوفية واهل الدين وارباب الفضل والمشهورون مــن

---

(١٦٩) الفياثي في «مختصر تاريخه ص ٥٦» (من نسختنا الخطية) .

(١٧٠) كان قاضي القضاة من شهر ربيع الاول سنة ٥٧٠ الى بعده ابو الحسن علي بن احمد بن علي بن محمد بن علي بن الدامغاني الحنفي ، وهـــو ممن اشتهروا بالسيرة المستقيمة توفى في سنة ٥٨٣ (اصول التاريخ والادب مج٢١ ص١١٨ نقلا من تاريخ ابن الدبيثي و مج٢٤ ص١٠ نقلا من تاريخ الاسلام للذهبي) والكامل في حوادث سنة ٥٨٣ ومحيي الدين القرشي فى الجواهر المضية ج ١ ص ٣٥٠ ، وشذرات الذهب ج ٤ ص ٢٧٦ .

(١٧١) المنتظم ج ١٠ ص ٢٥٢ .

(١٧٢) الرواشن جمع الروشن وهو الجناح اي البالكون ، ويجوز ان يقـال « الرواشين » كما قالوا الزواريق.

التجار ويخلع عليهم حسب احوالهم ويبرز لهم الجوائز في آخر الليل عليها اسماؤهم ويطلق في هذه الوليمة مال وافر :

غاداك من بحر الرواعد مسبل
وسقتك احلام الغيوم الحفل
فاسلم امير المؤمنين مشيدا
ما شيدوا ومؤثلا ما اثلوا
ورأيت من حسن اختيارك منظرا
عجبا تحار له العقول وتذهل
دارا رفعت بناءها ووضعتها
للجود فهي لكل راج موئل
دارا اقام بها السرور فما له
عن اهلها عمر الزمان تحوّل (١٧٣)

وذكر ابن الجوزي دعوة اخرى اقيمت في هذه الدار على عهد المستضيء بامر الله ايضا على الرسم الجاري في رجب كل سنة وكانت الدعوة في سنة (٥٧١ هـ) ودعوة ثالثة في سنة (٥٧٢ هـ) ودعوة رابعة في سنة (٥٧٣ هـ) ودعوة خامسة في سنة (٥٧٤ هـ) (١٧٤) .

دار المستضيء الثانية

وورد ذكر دار اخرى ، قيل ان الخليفة المستضيء بامر الله بناها . فقد جاء في ديوان سبط ابن التعاويذي ما هذه صورته : وقال يمدحه ويهنئه بدار اخرى استجدها في سنة (٥٧٤ هـ) :

---

(١٧٣) ديوان سبط ابن التعاويذي ، ص ٣٢٦ ، وما بعدها .

(١٧٤) المنتظم (ج ١٠ ص ٢٥٧ ، ص ٢٦٤ ، ٢٧٠ ، ٢٨٤) ويظهر لنا ان هذه الدار هي التي سنعنون البحث عنها « بدر المستضيء الثالثة » ويدل على صحة ذلك قول مرتب الديوان : وقال يمدح الامام المستضيء بأمر الله امير المومنين ويعرض بذكر الدار المستجدة . ولو كانت القصيدة للتهنئة بافتتاحها لقال « يهنيء المستضيء بدار استجدها » وما اشبه ذلك

لولاك يا خير من يمشي على قدم
خاب الرجاء وماتت سنة الكرم
بنيت دارا قضى بالسعد طالعها
قامت لهيبتها الدنيا على قدم
سمت على كل دار رفعة وعلت
علو همة بانيها على الهمم
تعنو الكواكب اجلالا لعزتها
وتستكين لها الافلاك من عظم
كأنها ارم ذات العماد وان
زادت بمالكها فخرا على ارم
طفنا باركانها طوف الحجيج فمن
مسلم حولها منا ومستلم
حللتموها فيا لله كيف حوت
تيار بحر بموج الجود ملتطم [175]

والظاهر لنا ان هذه الدار كانت في دار الخلافة ولعلها دار سوق التمر التي اشرنا اليها في الحواشي السابقة ، نقلا عن مراصد الاطلاع ، وهي الدار التي كانت فيها السيدة زمرد خاتون زوجة المستضيء المذكور ، فلما تولى الخلافة ابنه الامام الناصر لدين الله انزل فيها زوجة ابيه الثانية السيدة بنفشة جزاءا حسنا لها بما اعانته على ولاية الخلافة [176] ثم عرفت بدار بنفشة ، فقد جاء في سيرة الامير جمال الدين قشتمر الناصري مملوك الناصر لدين الله ان الخليفة المذكور رفع رتبته ونقله الى الدار المنسوبة الى بنفشة مجاورة باب الغربة[177] .

---

(١٧٥) ديوان سبط ابن التعاويذي ، ص ٣٧٧ ؛ وما بعدها .

(١٧٦) سبط ابن الجوزي في « مختصر المجلد الثامن من مرآة الزمان ص ٣٣٢ » .

(١٧٧) ابن الفوطى فى الحوادث الجامعة ، ص ١٣٢ .

دار المستضيء الثالثة او هي الاولى

وجاء ذكر دار ثالثة للمستضيء ففي ديوان سبط ابن التعاويذي، ما نصه [١٧٨] : وقال يهنيء المستضيء بالله امير الموءمنين بدار استجدها، في سنة (٥٦٨ هـ) :

احق دار وأولى أن نهنيها
دار على السعد قد شيدت مبانيها
لها الهناء وللدنيا بملككم
يا من بهم تفخر الدنيا ومن فيها
تختال تيها على الجوزاء شرفتها
وغير بدع ان اختالت بكم تيها
اذا تفاخرت الآثار فاحتبت ال
أهرام للفخر والايوان تاليها
فهل يُعَدّان ملكا مثل مالكها
او يفخران بباب مثل بانيها
بالمستضيء أمير المؤمنين علت
اركانها وسمت مجدا مراقيها

وقد مضى من الكلام على هذه الدار في حاشية سابقة ما يغني عن التكرار والايضاح .

دار قطب الدين قيماز المقتفوي

قطب الدين قيماز المقتفوي كان مملوكا ارمني الاصل وصار مقدم الجيوش العباسية في زمن المستنجد بالله وعلى عهد المستضيء بامر الله ثم سولت له نفسه الاستبداد بالدولة فاداه ذلك الى الهلاك، وكان ابتداؤه لبناء داره في سنة (٥٦٦ هـ ــ ١١٧٠م) فقد جاء في حوادث هذه السنة ما هذه صورته « وفي ثامن شعبان نقضت الدور التي اشتراها قيماز ليعملها دارا

(١٧٨) ديوان سبط ابن التعاويذي ، ص ٤٥٢ .

كبيرة وكان من جملتها دار ابن الطيبي [١٧٩] وكانت بعيدة المثل قد غرم عليها الوفا فاعطى منها الفا وكذلك اخذ ما حولها من الدور المثمنة بثمن بخس واخرج اهلها وتشتتوا » . وذكر في حوادث سنة (٥٦٧ هـ) ما هذا نصه : « وفي هذه الايام فتح قيماز بابا من داره التي بدار الخلافة الى السوق مما يلي دكاكين الاساكفة ونصب عليه بابا من حديد فأنكر ابو بكر ابن العطار صاحب المخزن ذلك وحسَّن للخليفة (المستضيء) التقدم بسده فتقدم بذلك » . ثم ذكر في حوادث سنة (٥٧٠ هـ — ١١٧٤ م) ان ناحية قيماز ضربت بقوارير النفط فنقب حائطا من داره الى درب بهروز وخرج من البلد ضاحي نهار ومعه تنامش ... وعدد يسير من الامراء ودخل العوام دار قيماز ودور الامراء الذين هربوا معه فنهبوها واخذوا اموالا زائدة على الحد واحرقوا من الدور مواضع كثيرة » [١٨٠] . واحراق دار قيماز قد اشير اليه في ديوان سبط ابن التعاويذي فقد جاء فيه ما نصه : وقال يمدح الامير عماد الدين ناصر الاسلام ابا الفضائل صندل [١٨١] وهو يومئذ استاذ الدار

(١٧٩) هو سعد ابو عبدالله الحسين بن علي بن احمد بن عبدالواحد بن شبيب الطيبي الكاتب ، كان من الاعيان الفضلاء واهل الادب . اختص بالامام المستنجد بالله وخدم دولته ومن بعده خدم المستضيء بامر الله وقد تولى اشراف المخزن مدة وعزل عنه سنة وفاة المستنجد وخلافة المستضيء (٥٦٦ هـ) ثم تولاه مديدة في عهد الناصر لدين الله. وكان شاعرا وآية في حل الالغاز توفى سنة ٥٨٠ (اصول التاريخ والادب مج ٢٠ ص ١٤٢ نقلا عن ابن الدبيثي ، ومج ١٣ ص ١٧٨ نقلا عن العماد الاصفهاني و مج ٩ ص ١٦٤ نقلا عن شمس الدين الجزري المورخ وفوات الوفيات ج ١ ص ١٤٠ — ١٤١ والمنتظم ج ١٠ ص ٢٣٣) .

(١٨٠) ابو الفرج بن الجوزي في المنتظم ج ١ ص ٢٣٥ ، ٢٣٧،٢٥٤ .

(١٨١) هو المعروف اليوم بالشيخ صندل المدفون في الجانب الغربي من بغداد ، كان من خيلية المقتفي لامر الله وترقى حتى صار عميد الجيوش ثم تولى النظر في الاعمال الواسطية على عهد المستنجد بالله وارسله ديوان الخلافة العباسية رسولا الى صلاح الدين غير مرة الى الشام وصار استاذ دار الخليفة المستضيء بأمرالله ثم عزل من =

العزيزة ويذكر بلاءه في حرب الاتراك حين نهضوا على الدولة وحاولوا الفتك في الحريم الشريف ويهنئه بالظفر بهم وبهزيستهم واحراق دورهم بقوارير النفط وحسن التدبير في نوبتهم حتى دفع الله شرهم ويصف الاتراك الذين كانوا معه بالحسن والنجدة وذلك في الايام المستضيئية :

يا خير منتصر لخير امام
حقا دعيت بناصر الاسلام
رعت العدو بكل اسمر راعف
غل الكماء وكل ابيض دام
قذفوا بشهب من سطام ثواقب
شبت عليهم من ورا وامام
فديارهم وقلوبهم للنار في
ارجائها والخوف اي ضرام
كانوا ملوكا بالعراق فاصبحوا
لما بغوا نزلاء اهل الشام(١٨٢)

ولم تخرب هذه الدار في تلك الحادثة ولعلها اصلحت ثم سكنت فقد جاء في حوادث سنة (٦٠٤ هـ ــ ١٢٠٧ م) ان ابا الحسن محمد بن محمد ابن البابا ي ولي فيها ديوان الزمام للدولة العباسية واسكن في الدار المقابلة لباب الحرم المعروفة بدار قطب الدين قيماز المستنجدي(١٨٣) . وزاد ابن

= الاستاذدارية وبقي ملازما لخدمة الخلفاء حتى عجز عن الحركة فأستأذن الخليفة الناصر لدين الله فى الانقطاع في موضع جعله مدفنا لنفسه بالجانب الغربي قريب من جامع العقبة فسكن هناك الى حين وفاته سنة ٥٩٣ هـ ــ ١١٩٦ م .

(١٨٢) اصول التاريخ والادب مج ٩ ص ١١٤ و مج ٢٠ ص ٢٠٦ و مج ٢٤ ص ٧٠ و مج ٢٧ ص ١٠٤ ومراجع كثيرة .

(١٨٣) اصول التاريخ والادب ، مج ١٩ ص ١٢٦ (نقلا عن ابن الدبيثي المؤرخ المقرى) .

الساعي في ذكر محل الدار انها كانت داخل باب النوبي[184] ويؤكد كونها في باب النوبي داخل دار الخلافة ما ورد من خبر استيزار ابي المعالي سعيد ابن علي بن حديد الانصاري الحنبلي وزير الناصر لدين الله فانه وزر للخليفة المذكور سنة (٥٨٤ هـ ــ ١١٨٨ م) ولقب «معز الدين» واجلس في ديوان الوزراء ثم نهض الى الدار المعدة له بباب النوبي وتعرف بدار قطب الدين قيماز[185] .

دار الفلك الناصرية

جاء ذكر هذه الدار في حوادث سنة (٥٨٦ هـ ــ ١١٩٠ م) قال سبط ابن الجوزي : « وفيها بنى الخليفة (الناصر لدين الله) دار الفلك ورتب فيها ابنة السيد العلوي ويقال لها بيت الخدور[186] » فهذه الدار ابتناها الامام الناصر لدين الله لتكون رباطا للنساء او منقطعا للزاهدات منهن في الدنيا ، على نحو ما تفعل ثلة من نساء النصارى في ازمان مختلفة ثم ان جعل « ابنة السيد العلوي » شيخة للرباط وتسميته بيت الخدور دليلان على ما قلنا : وهذا السيد العلوي من رجال العراق المعروفين في التاريخ، وكانت هذه الدار داخل دار الخلافة ايضا ، فقد جاء ذكرها في حوادث سنة (٦٥٠ هـ ــ ١٢٥٢ م) وذلك ان علاء الدين الطبرسي الظاهري الملقب بالدويدار الكبير المتوفى تلك السنة كان قد بنى بدار الخلافة دارا على شاطيء دجلة تجاه الرباط المعروف بدار الفلك ولم يكن ببغداد مثلها ؛ ثم ورد ذكر هذه الدار في حوادث سنة (٦٥٢ هـ ــ ١٢٥٤ م) في ان المستعصم بالله وقف دار الشط المذكورة المجاورة لدار الفلك وجعلت رباطا للنساء وجعلت الشريفة بنت المهدي شيخة فيه، ولما استولى هولاكوخان على بغداد

(١٨٤) الجامع المختصر ، ج ٩ ص ٢٣٠ .

(١٨٥) اصول التاريخ والادب ، مج ٢٠ ص ١٨٦ (نقلا عن ابن الدبيثي) .

(١٨٦) مختصر المجلد الثامن من مرآة الزمان ، ص ٢٥٦ .

سنة (٦٥٦ هـ ــ ١٢٥٨ م) صدر من الديوان امر الى الجاثليق [١٨٧] بالاستيلاء على دار علاء الدين الدويدار الكبير المذكور فعمر فيها البيعة الجديدة واستولى على دار الفلك قبالتها وكانت رباطا للنساء وعلى الرباط البشيري المجور لها ، وهدم الكتابة التي كانت على البابين وكتب مكانها بالسرياني ، ووضع فيها تماثيل . وبقيت الحال على ذلك ، حتى حدثت فتنة دينية ببغداد سنة (٦٦٣ هـ ــ ١٢٦٤ م) نقل بعدها منصب الجثلقة الى اربل ولكن الدار المذكورة بقيت على حالها الى عهد السلطان محمود غازان ابن ارغون خان بن ابقا خان بن هولاكو خان فانه امر في سنة (٦٩٤ هـ ــ ١٢٩٤ م) باخذ دار علاء الدين الدويدار الكبير من النصارى في عهد جثلقة يابالاها الثالث ونقلها الى بغداد فاخذت وازيل ما فيها من التماثيل والخطوط السريانية واستعيد رباط دار الفلك المقابل لتلك الدار . وكان النصارى قد جعلوا الدار مدفنا لأكابرهم فازيلت القبور منها وصارت مجلسا للوعظ جلس فيه الشيخ شرف الدين محمد بن علي الواعظ وكان خلق كثير يجتمعون عنده [١٨٨] وزاد عمرو بن متي عليه وقال : لما اخذ المسلمون هذه البيعة من النصارى امروا ان تنبش المقابر وتؤخذ الموتى منها فاجتمع النصارى الى البيعة المذكورة يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة (٦٩٥ هـ) الهلالية ونقلوا اجساد الابوين اللذين دفنا في البيعة المذكورة وهما مكيخا ودنحا المذكوران قبل هذا وذهبوا بهما الى بيعة سوق الثلاثاء [١٨٩] .

(١٨٧) هو مكيخا النصيبي (الحوادث الجامعة ص ٣٠٠ ، ٣٥٤ ، وعمرو ابن متى في اخبار فطاركة المشرق ص ١١٩ وما بعدها) .

(١٨٨) ابن الفوطي في الحوادث الجامعة ص ٢٦٥ ، ٢٧٤ ، ٤٨٤ .

(١٨٩) كانت بيعة سوق الثلاثاء بدرب دينار وهو دار دينار ايضا . والمسترجح عندنا انه (اعني الدرب المذكور) هو شارع المأمون الحالي الذي فيه مديرية الآثار القديمة ، والظاهر انه شرع في سنة ٧٣٤ هـ ــ ١٣٣٣م على عهد ابو سعيد الايلخاني ، في عمارة جامع بدرب دينار وكان بيعة كبيرة جدا ، فهي هي بعينها (ابو الفداء وذيل تاريخه ج ٤ ص ١١٧) .

واغتم المؤمنون من النصارى لذلك غما عظيما [190] ،
ويظهر من استقراء الحوادث ان ازالة الجثلقة من هذه الدار لم تزل اسمها فبقي عليها اسم « الجاثليق » ومن ذلك ما ورد في اخبار سنة (٨١٤ هـ ــ ١٤١١ م) على عهد دندي سلطان من آل جلاير ونصه : تم حضر بخشايش في الجاثليق وعمل عرسا عظيما ثم شرب الى نصف الليل وقام حتى يجيء الى القلندرخانة [191] يدخل على العروس فحينما حط رجله في الركاب ليركب واذا قد ضرب عنقه وجعل رأسه على رمح وجثته على الفرس وواحد خلفه قد مسكه » . وكذلك ما ورد في اخبار سنة (٨٣٦ هـ ــ ١٤٣٢ م) من محاصرة الامير اسبان بن قره يوسف القره قوينلي لاخيه الامير محمد ببغداد وهذا نصه « ودخل جميع العسكر ... ووقفوا من باب الحلبة الى قبة الخضر ... فلما طلع الفجر جعل مزيد جوره مقدم العسكر الى سور سوق السلطان ومنه الى الجاثليق ونزل اسبان الجاثليق وارسل الامير خليل (كذا) الى باب القلندرخانة[192] » . هذا آخر ما علمنا من اخبار (دار الفلك الناصرية) .

رباط السيدة بنفشة

ومن المباني التي بنيت في عصر دار المسناة « رباط السيدة بنفشة » زوجة الامام المستضيء بامر الله وقدمنا ذكر اسمها فيما اسلفنا من البحث، وخبر هذا الرباط جاء في حوادث سنة (٥٧٣ هـ ــ ١١٧٧ م) قال ابو

(١٩٠) عمرو بن متى في اخبار فطاركة المشرق ص ١١٢ .

(١٩١) ورد ذكر القلندرخانة في سيرة السلطان اويس بن الشيخ حسن الجلايرى وامين الدين مرجان فان مرجان بنى دار الشفاء على شاطىء دجلة فبنى السلطان احمد بن اويس القلندرخانة قبالتها «الغياثي مختصره ص ١٠ من نسختنا » وكانت كل هذه الابنية خارج دار الخلافة .

(١٩٢) الغياثي « مختصره ص ٣٨ ، ٤٣ » .

الفرج بن الجوزي : « وبنت الجهة [١٩٣] المعظمة المسماة بنفشة رباطا في سوق المدرسة للصوفيات وفتحته اول رجب وعملت فيه دعوة وتكلمن فيه وافرد لاخت ابي بكر الصوفي شيخ رباط الزوزني وفرقت الجهة [١٩٤] عليهم [١٩٥] مالا » [١٩٦] .

ولم نر لهذا الرباط بعد هذا الخبر ذكرا الا ان كونه في سوق المدرسة يجعله قريبا من دار الخلافة فالمشهور بسوق المدرسة اولا « سوق المدرسة التتشية » وثانيا « سوق المدرسة النظامية » وكانت احداهما قريبة من الاخرى ففي مراصد الاطلاع « تتش : التاءان والشين معجمة ، اسم رجل نسب اليه موضع ببغداد وسوق يقال له العقار التتشي ظاهر مدرسة منسوبة اليه قرب النظامية ، وبيمارستان بباب الازج [١٩٧] » . وقد قدمنا في تعيين محلة القرية التي بالجانب الغربي من بغداد ما يدل على ان «سوق المدرسة النظامية» كان له مشرعة وهذه المشرعة تقابل محلة القرية في الجانب الشرقي . ويفهم من ذلك ان اطلاق «سوق المدرسة» يعني «سوق المدرسة التتشية» وقد جاء في حوادث سنة (٥١٦ هـ ــ ١١٢٢ م) ان ابا طالب كمال الملك علي بن احمد السميرمي وزير السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي كان ببغداد فعزم على المسير مع السلطان الى همذان فدخل الحمام ثم خرج منه وبين يديه الرجال والخيالة وهو في موكب عظيم وكان على دجلة جادة فلم يمكنه سلوكها لزيادة الماء هناك فقصد سوق المدرسة التي بناها خمارتكين التتشي واجتاز من المنفذ الضيق الذي فيه

---

(١٩٣) الجهة عندهم كناية عن زوجة الخليفة والسلطان وهي تقابل في المعنى «خاتون» عند الترك وكنا قد ذكرنا ذلك الا ان التكرار واجب في امثال هذا الامر .

(١٩٤) المرجع السالف الذكر .

(١٩٥) كذا ما في الاصل المطبوع . الصواب «عليهن» .

(١٩٦) المنتظم ، ج ١٠ ص ٢٧١ .

(١٩٧) المراصد في « تتش» .

حظائر الشوك ، فضربه باطني بسكين وهرب الى دجلة ، [١٩٨] وقد اثبتنا في خطط بغداد العتيقة ان مسجد الحظائر « وهو مسجد الخفافين الحالي » فوق المدرسة التتشية لم يكن بعيدا من المستنصرية .

(مستدرك على ما بني خارج دار الخلافة)

الكشك المستضيئي

ومن الابنية التي شيدت في عصر دار المسناة (اعني القرن السادس للهجرة) كشك الخليفة المستضيء بامر الله ، والكشك لفظ فارسي معرّب اصله « كوشك » واسمه بالفرنسية (Pavillon) على ان الفرنسيين قد فرنجوا لفظ الكشك وقالوا « كيوسك » (**Kiosque**) [١٩٩] وهو كالمنظرة وقد جاء خبر الكشك المستضيئي في حوادث سنة (٥٧١ هـ ـــ ١١٧٥ م) قال ابو الفرج ابن الجوزي : « وفي يوم السبت رابع ذي القعدة وقت الضحى خرج امير المؤمنين (المستضيء) الى الكشك الذي عمل له خارج السور وخرج ارباب الدولة مشاة وخرج الناس ينظرون اليه ويدعون له فدخل الكشك فاقام فيه ساعة ثم خرج فمصى نحو القورج ثم عاد فدخل من باب النصر وقت الظهر » . وذكر المؤرخ في اخبار سنة (٥٧٢هـ) خبرا لخروج الخليفة الى الكشك ايضا قال « وفي يوم الاثنين سابع ربيع الاول خرج امير المؤمنين عند استواء طلوع الشمس الى الكشك ثم عاد بعد الظهر الى قصره » [٢٠٠] . وكان موضع هذا الكشك او غيره فـي جهـة باب الحلبة [٢٠١] ، على ما ورد في اخبار سنة (٦٩٥ هـ ـــ ١٢٩٥ م) من الحوادث

---

(١٩٨) ابو الفرج ابن الجوزي « المنتظم ج ٩ ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ » وابن الاثير في « الكامل ج ١٠ ص ٢١٣ ـــ ٢١٤ » .

(١٩٩) ومن انواعه اكشاك باعة الجرائد والمجلات بباريس .

(٢٠٠) المنتظم « ج ١٠ ص ٢٥٩ ، ٢٦٢ » .

(٢٠١) قدمنا ذكر باب الحلبة وكونه في محل الباب المعروف بباب الطلسم ، وهو الذي نسفه الاتراك سنة ١٩١٧ وموضعه كالهوة قرب باب الشيخ ومحلة الارمن .

الجامعة « وهو ان الامير توختا الذي بعثه السلطان محمود غازان لتصفح اعمال العراق وسعد الدين اسد بن علي الذي سيره السلطان المذكور مشرفا على امور العراق ، جمعا كلاهما جراية وافرة من السلاح (كذا) وخرجا بها في شوال من تلك السنة الى الكشك بظاهر باب الحلبة »[٢٠٢] •
وكن قرب بغداد كشك يعرف بكشك الملكية • واخبار هذا الكشك متصلة ففي سنة (٦١٤ هـ ــ ١٢١٧ م) غرقت[٢٠٣] بغداد وغرقت حولها قرية الملكية والكشك[٢٠٤] • وفي سنة (٦٣٥ هـ ــ ١٢٣٧ م) ركب الخليفة المستنصر بالله الى الكشك فنزل به للاطلاع على حركات الجنود المعدة لحرب المغول • وفي سنة (٦٤٢ هـ ــ ١٢٤٤ م) قطع ساع من السعاة مسافة ما بين دقوقا وبغداد في بياض يوم واحد فوصل الى كشك الملكية[٢٠٥] ودخله وكان المستعصم هناك ومعه مقدم الجيوش شرف الدين اقبال الشرابي وهو استاذ الساعي المذكور ثم خرج (اعني الساعي) وعاد الى الوقف[٢٠٦] • ثم رجع الى الكشك وقد تخلف من النهار ساعة ونصف فقبل الارض بين يدي الخليفة[٢٠٧] • وحيثما يكن مكان الكشك فانه لا يتعدى ان يكون خارج السور لا داخله ، وبناء الكشك لا يلتبس ببناء الدار كما تلتبس ابنية المدارس بالربط والمساجد •

---

(٢٠٢) ابن الفوطي في الحوادث الجامعة ، ص ٤٩٠ ــ ٤٩١ .

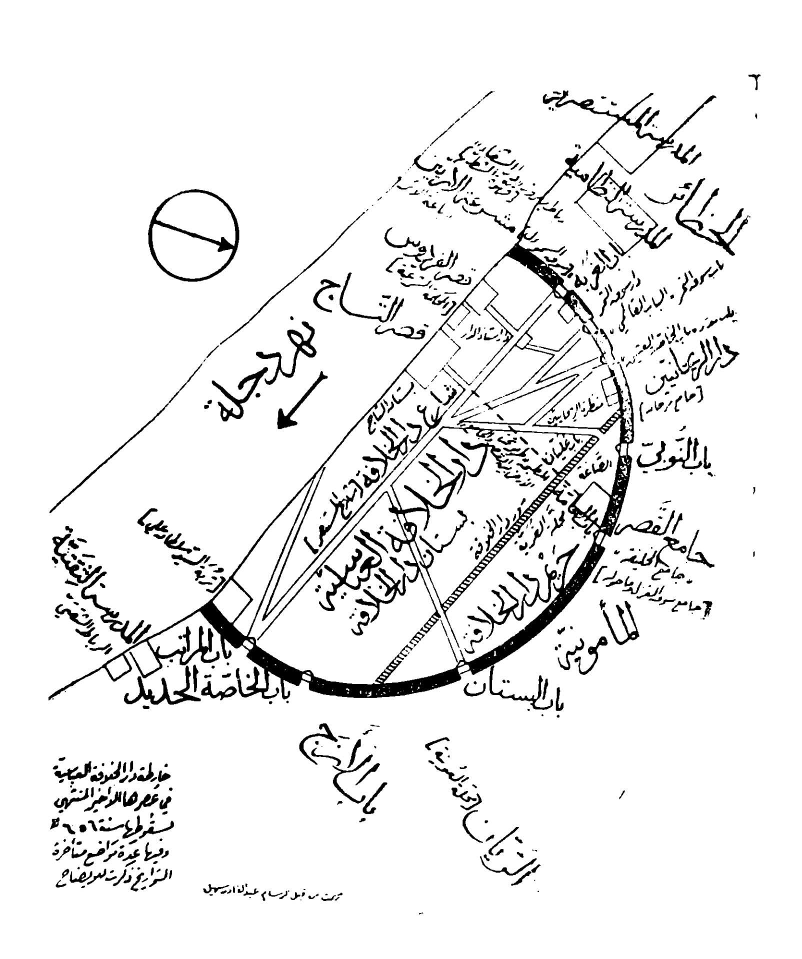
(٢٠٣) ابن الاثير في الكامل ، ج ١٢ ص ١٢٨ .

(٢٠٤) المرجع السالف الذكر .

(٢٠٥) هكذا ورد في الاصل وهذه الاضافة تدعو الى التبصر والتفكر ، فلعل الكشك كانت قريبة منه قرية الملكية فقيل «كشك الملكية» .

(٢٠٦) في مراصد الاطلاع «الوقف موضع تحت سور من بلاد الحلة المزيدية » وهذا الموضع غير مراد ههنا ، وانما هو وقف آخر .

(٢٠٧) ابن الفوطي فى الحوادث الجامعة ، ص ٢٩١ .



خارطة دار الخلافة العباسية في عصرها الأخير المنتهي بسقوطها سنة ٦٥٦ هـ وفيها عدة مواضع متأخرة التواريخ ذكرت للإيضاح

المعاهد الخيرية النسوية القديمة في العراق

يراد بالمعاهد الخيرية القديمة المؤسسات الاجتماعية المنشأة لخدمة الدين والمجتمع والثقافة وخاصة الثقافة المعتمدة على علوم الدين من مدارس ودور كتب ومارستانات أي مستشفيات وربط عرفت أيضا بالخانقاهات والخانكاهات أي التكيات وجوامع ومساجد . ووصفها بالخيرية يطبعها بطابع الفردية أعني ان افرادا من الامة ينشئونها بصفتهم الشخصية لاستجلاب الثواب في الآخرة واكتساب الثناء الحسن في الدنيا ايضا وهذا الضرب من الاتجاه انما هو من محاسن الدين فلولا ايقان المنشيء منهم والمنشئة منهن بحصول المكافأة على الاعمال والافعال بالثواب أو العقاب ما أسست تلك المؤسسات الاجتماعية التي ذكرت أسماءها ولحرم المجتمع ما نتج منها من منافع ومحاسن وخدمات كما يقول العصريون اليوم .

وتقدر قيم تلك المنافع بالنسبة الى عصرها ايام لم تكن الدول الاسلامية ملزمة بنشر المعارف على اختلاف انواعها ولا بالمحافظة على صحة الامة ، ولا بايواء الفقراء المنقطعين الى العبادة ولا غير ذلك من المنافع العامة الا بمقدار ما تريد هي من الاجر والثواب اللهم الا تأسيس الجوامع لصلاة المسلمين فيها ايام الجمع والا ما يمس مصلحة الشعب في المعاملات الدنياوية كالحسبة التي هل أصل سليم لما عرف في أيام الاتراك بالبلدية وقام مقام (المحتسب) رئيس البلدية . وكانت الحسبة مع ذلك من الشؤون الادارية لا من المعاهد وما حملته لنا الاخبار من انشاء جماعة من الخلفاء والملوك والسلاطين والامراء من معاهد خيرية انما انشؤوه بصفاتهم الشخصية

لا صفاتهم الحكومية ولذلك وشحوا معاهدهم بالادعية التي تستنزل لهم من الله الرحمة والغفران والعفو والاحسان في الدار الآخرة •

والمعاهد الخيرية النسوية القديمة بالعراق قليلة لضآلة دور المـرأة في المجتمع في العصور الاسلامية القديمة ولضخامة النفقات وكثرة الاموال التي تنفق في انشاء المعاهد المذكورة وكانت الثروة المالية محتكرة فـي العصور التي أشرت اليها اكثر مما هي عليه الآن فالأثرياء الاغنياء عدتهم قليلة جدا ولذلك يجب ان نولي وجوهنا شطر نساء الخلفاء والسلاطين والامراء قبل غيرهن عند البحث عن تأريخ هذه المعاهد الخيرية وينبغي ان لا يفوتنا ان انشاء المعهد الخيري كان يتأدى الى الزوال ما لم توقف علـى المعهـد وقوف (أي أوقاف) تكفل باستدامة المنفعة الاجتماعية منه وهذا يصور لنـا مقدار العسر والصعوبة في الانشاء من حيث هو نوع من الصدقات الاجتماعية الدارة المستدامة المستمرة • وكثير من المعاهد الخيرية زالت بعـد انشائها لانها لم تضمن استدامتها بالاوقاف ومنهـا ما زال باستيلاء الظَلَمَة علـى اوقافه أو أمرهم بهدمه انتقاما •

واول ما ظهر من المعاهد الخيرية النسوية (أي التي من انشاء النساء) هي (المارستانات) اي المستشفيات لان الفقـراء كانوا احـوج الى حفظ ابدانهم من الامراض والعلل منهم الى حفظ عقولهم من الجهل والخطل ولا يقال هاهنا ان حفظ عقولهم من الخطل قد ينفي عن ابدانهم العلل لان الامية والخرافات والجهل هي الصفات الغالبة على المجتمع يومئذ فالنساء خاصة كن مثلا يعتقدن ببغداد في خلال قرن كامل أي مئة سنة ان مرض الخوانيق اي الدفتريا تقوم به جنية اسمها (ام عنقود) لان ابنها عنقود مات ولم تقم له نساء بغداد مأتما ولا عزاء فالشعب كان يحتاج الى ملايين دنانير ومئات سنين لتعليمه وتثقيفه الثقافة التي تقفه على طرائق حفظ الصحة وتنجيه من الخرافات •

واول مارستان نسوي (أي : مستشفى) أسس ببغـداد هو مارستان

السيدة شغب (بسكون الغين) ومنهم من يسميها شغب (بفتح الغين) واشتهرت بلقب (السيدة) على الاطلاق فاذا قيل في التاريخ (السيدة) فقد اريد به (شغب) المذكورة • وهي زوجة الخليفة المعتضد بالله وآم الخليفة القتيل المقتدر بالله ففي المحرم من سنة ٣٠٦ هـ في خلافة ابنها المقتدر أمرت بفتح مستشفاها في سوق يحيى على دجلة من الجانب الشرقي ببغداد وكان سوق يحيى على تقديري في محلة السفينة بالاعظمية الحالية وقد تولى فتحه وترتيب الاطباء فيه (سنان بن ثابت الصابي) احد كبار الاطباء المشهورين وكان مبلغ النفقات الشهرية عليه ستمائة دينار[1] (أي ما يعادل ستة آلاف دينار من دنانير اليوم من حيث القيمة الشرائية للدينار) • وذكر بعض المؤرخين ان نفقات المارستان السنوية سبعة آلاف دينار[2] •

ومختصر سيرة السيدة شغب ام الخليفة المقتدر بالله مذكور في الجزء الاول من كتابي (سيدات البلاط العباسي) • وقد ذكرت فيه ان اسمها الاول (ناعم) فلما ولدت للمعتضد ابنا وهو جعفر المقتدر سماها (شغب) فكأنها كانت شغبا على سائر نسائه[3] وكانت من ذوات السير الحافلة بالحوادث والاعمال ولم تكن سيرتها أقل شأنا من سير كبريات النساء في العالم من ملكات ومتحكمات ومشاركات في السلطة او منتزعات لها •

وفي اواسط القرن الخامس من الهجرة ظهر في العراق نوع جديد من المعاهد الخيرية اقتضته طبيعة التطور الاجتماعي وهو انشاء المدارس الليلية المنفقة والربط الصوفية الوقفية أي الخانقاهات • اما المدارس فأمرها معلوم واما الربط فهي مساكن موقوفة على جماعات نذروا انفسهم للعبادة ورغبوا في الزهد عن الدنيا ورابطوا فيها لمحاربة انفسهم (أي عواطفهم) لان

---

(١) ابن الجوزي في المنتظم ج ٦ ص ١٤٦ ، وعيون الانباء في طبقات الاطباء ، ج ١ ص ٢٢ .

(٢) ابن تغري بردى في النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٣ ص ١٩٣ .

(٣) سيدات البلاط العباسي ، ج ١ ص ٨٨ .

النفس عندهم هي العدوّة الكبرى . وكانت الربط من المعاهد الثقافية ايضا فكان المتصوفون يؤلفون فيها ويدونون الحديث ويسمعونه ويدرسون ويحدثون بالحديث النبوي الشريف وغيره وينشدون الاشعار ولي مقالة طويلة في تأثير الربط في الثقافة الاسلامية نشرتها في مجلة (سومر) اوضحت فيها ذلك كل الايضاح [٤] .

ومن الامور التي لا شك فيها ان خلفاء بني العباس المتأخرين ومن لف لفهم من السلاطين والملوك كنورالدين وصلاح‌الدين أقبلوا على‌التمسك بالدين والقيام بفرائضه والواجبات له والدفاع عنه بعكس أكثر أسلافهم الذين اشتهر عنهم شراب الخمر باسم النبيذ واللهو باسم الغناء والفن والعبث باسم المجون فلا نبيذ ولا غناء ولا لهو ولا لعب من الالعاب التافهة عند المتأخرين وذلك انهم ايقنوا ان ابتعادهم عن الدين انزل على رؤوسهم المصائب والنكبات وسلط عليهم الاجانب واورثهم الذلة والقلة بعد العزة والكرامة بله انه مناقض لما تصبو انفسهم من اجله من كونهم نواباً عن الله في ارضه وخلفاء نبيه أو نواباً عن نوابه .

وفي الحق ان من حماقة الحاكم باسم الدين او المحصل شرف الاسرة به ان يتجافى عنه أو يخل به او يتهاون به وهو يعلم ان الدين مصدر حكمه أو منبع شرفه ،فالامة لم توله الحكم او لم ترض بأن يكون حاكما او لم تعتقد به الشرف الا لرعايته الدين واجرائه احكامه أو تأدبه بآدابه وكونه قدوة للناس في الاخذ به . اجل ان ذلك من الحماقة الحمقاء لو كانوا يعلمون فالامة تعلم الطيب من الخبيث ولسان الامة لسان الله عزوجل .

هذا ونحن اذا راعينا التسلسل الزمني في تعرف تأريخ المعاهد الخيرية النسوية ظهر لنا اسم السيدة (تركان خاتون بنت طراج) من ذرية افراسياب ملك الفرس القدماء وهي‌زوجة السلطان‌ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي وام ابنه محمود ففي سنة (٤٨٥) أمر السلطان ملكشاه هذا ان يبنى في

---

(٤) سومر مج ١٠ (١٩٥٤) ج ٢ ص ٢١٨ — ٢٤٩ .

دار السلطنة السلجوقية بالمخرم (اي العلوازية الحالية) سوق للتجارة والشؤون الاخرى كالصباغة وخانات للتجار ودور لهم وجامع لصلاة الجمعة لأن دار السلطنة كالمدينة المستقلة واذا استقلت المدينة استحقت الجامع شرعا • وامرت زوجته تركان خاتون ببناء دار ضرب (اي سكه خانه) هناك ونودي ببغداد انه لا يصح التعامل الا بالدنانير • وامرت ايضا ببناء مدرسة لطائفة الحنفية لان الدولة السلجوقية كانت حنفية المذهب ومنها اخذ الاتراك العثمانيون المذهب الحنفي كما هو معلوم مشهور •

وكانت تركان خاتون قد رتبت الامور لأبنها الصغير محمود وجعلته سلطانا بعد موت ابيه ملكشاه سنة (٤٨٥) ودفنه في مقبرة الشيخ جنيد بالجانب الغربي من بغداد • ثم اضطرب امر المملكة السلجوقية وكثر النزاع على السلطنة بين ابناء ملكشاه الكبار خاصة وهم محمد وبركيارق وسنجر حتى صدر امر سنة (٤٩٦ هـ) بهدم الاسواق ومدرسة تركان خاتون وكانوا قد انفقوا على بنائها اموالا جمة • فنقضت كلها• قال جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي : « كانت تركان خاتون حازمة حافظة شهمة وكان معها من جند الاتراك الى حين وفاتها عشرة آلاف وقد ذكرنا كيف زمت الامور حين وفاة السلطان ملكشاه وحفظت امواله واستولت على اصفهان ودبرت امر الجيوش وباشرت الحروب بنفسها ثم توفيت في شهر رمضان سنة (٤٨٨ هـ) فانحل امر ابنها السلطان محمود وعقدت السلطنة لبركيارق بن ملكشاه ••• »(٥) •

واذا كان الاقتداء من طبائع البشر وخصوصا في الافعال الخيرية فان ابنة ملكشاه الخاتون السلجوقية التي تزوجها الخليفة المستظهر بالله العباسي امرت ببناء مدرسة الحنفية على دجلة برأس درب زاخي من الجانب الشرقي وتولى ذلك مملوكها الموفق بن عبدالله الخاتوني ولذلك كانت تسمى ايضا (المدرسة الموفقية) وقد دفن الموفق في المدرسة • ودرب زاخي على تحقيقي هو شارع المتنبي الحالي المؤدى الى المحاكم فتكون المدرسة على هذا

---

(٥) المنتظم ج ٩ ص ٦٠ ، ٦٩ — ٧٤ ، ٨٤ ، ١٣٥ .

التقرير في موضع مديرية الطابو ووزارة العدلية بالقشلة[٦] وقد ذكرت مختصر سيرة هذه الخاتون في الجزء الاول من كتابي (سيدات البلاط العباسي)[٧] الا اني لم اذكر مدرستها هناك .

ثم اننا اذا اتبعنا التسلسل التأريخي الذي قدمنا الاشارة اليه وبنينا البحث عليه ظهرت لنا في اواسط القرن السادس للهجرة (فخر النساء شهدة بنت أحمد الابري البغدادية الشافعية) الكاتبة الاديبة المحدثة التي طبقت شهرتها الآفاق في عصرها وفيما بعده فقد انشأت هذه السيدة رباطا للمتصوفين وقد قلنا انهم طائفة زهدوا في الدنيا وانقطعوا الى عبادة الله والدراسة والسماع في نوع من المنازل والدور سماه اهل العراق (الرباط) لأن المتصوفين يرابطون فيه كما يرابط المجاهدون في الثغور والحدود ويجاهدون فيه نفوسهم الامارات بالسوء كما يدعون وسمى الرباط ببلاد العجم والشام (الخانقاه) و (الخانكاه) .

لم يذكر المؤرخون الذين ترجموا فخر النساء شهدة انها انشأت رباطا وانما وجدت ذكره في الاخبار استطرادا : ذكر المؤرخ جمال الدين ابو عبدالله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي الواسطي في ذيل تأريخ بغداد في ترجمة بعض الصوفية (أي احدهم) وهو ابو المظفر بن خميس الأهري قال هو :

(عبدالله بن خميس أبو المظفر الفقيه الشافعي من اهل أهر وهي بلدة من اذربيجان قدم بغداد وتفقه اي درس الفقه بها . وحصل معرفة المذهب والخلاف (اي الفقه المقابل) وتكلم في المسائل الفقهية وناظر الفقهاء واعاد (الدروس) بالمدرسة النظامية والمدرس بها يومئذ القاضي ابو علي يحيى ابن الربيع الواسطي الشافعي. واعاد لمن بعده. وولى خدمة الصوفية برباط الكاتبة شهدة بنت احمد الابري برحبة جامع القصر الشريف . وتولى النظر في وقفه ثم انقطع الى ذلك وترك اعادة الدرس بالمدرسة النظامية واجاز له

(٦) المختصر المحتاج اليه ، ج ١ ص ١٧٨ .

(٧) في الصفحة ١٤٦ .

رواية الحديث النبوي سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على كافة الانام ابو العباس احمد الناصر لدين الله (خلد الله ملكه) وحدث عن الامام بجامع القصر الشريف وغيره »[٨] .

ولم يذكر وفاته لانه ختم تأريخه وهو حي ساكن في رباط السيدة شهدة وكان ختام تأريخ ابن الدبيثي هذا سنة (٦٢١ هـ) . ومن تأريخه علمنا ان السيدة شهدة الى فضلها وعلمها وتقواها انشأت رباطا ببغداد برحبة جامع القصر وجامع القصر من بقاياه اليوم جامع سوق الغزل الذي انشأه على قسم من انقاضه والى بغداد (ابو سعيد سليمان باشا الكبير) سنة ١١٩٣ في عصر الاتراك العثمانيين[٩] ولم يبق من البناء العتيق الا منارة وهي المنارة التي بناها علاء الدين الجويني والى بغداد والعراق في عهد السلطان آبغا من هولاكو بن طولي بن جنكيز خان ولا تزال قائمة كالمارد الجبار في وسط سوق الغزل وهي اعظم المنائر في البلاد الاسلامية قاطبة .

ورحبة جامع القصر كانت ارضا فضاءا بباب هذا الجامع يصلى فيها الناس اذا ضاق بهم الجامع وتكون بعد الصلاة ساحة للمسلمين للتجارة السيارة والاسواق المتنقلة والغرائب والالعاب والصلاة على جنائز جماعة من العلماء وغيرهم . وكانت المحلة المحيطة برحبة الجامع قد اخذت هذا الاسم فيقال في التأريخ مثلا (كان فلان يسكن برحبة الجامع) اي في محلة رحبة الجامع وهناك كان رباط شهدة .

وممن سكن رباط السيدة شهدة بنت الابري : أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن الحازمي الشافعي . قال جمال الدين ابن الدبيثي في ترجمة هذا المحدث : « قرأت على الحافظ أبى بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي كتابه ببغداد برباط الكاتبة برحبة جامع القصر الشريف وتوفى الحازمي ليلة الاثنين الثامن والعشرين من جمادى الاولى سنة اربع

(٨) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس (٥٩٢٢ ، الورقة ٩٢) .

(٩) تأريخ مساجد بغداد ص ٣٩ ــ ٤٠ .

وثمانين وخمسمائة ولم يبلغ الاربعين وصلى على جنازته جمع كثير برحبة جامع القصر الشريف»[10] .

وهذا الحازمي هو مؤلف كتاب (الناسخ والمنسوخ) من الاحاديث النبوية وكتاب (المؤتلف والمختلف من أسماء نقلة الحديث من الرجال والنساء) و (عجالة المبتديء في الانساب) وغيرها من الكتب النافعة وكان قبل ذلك يسكن برباط البديع الزنجاني ببغداد وكان يدخل حجرته في كل ليلة يطالع ويكتب الى الفجر فقال البديع الزنجاني صاحب الرباط للخادم : لا تدفع اليه الليلة دهنا للسراج فلعله يستريح ؛ فلما جن الليل طلب الحازمي من الخادم دهنا للسراج فاعتذر اليه الخادم تنفيذا لامر شيخ الرباط من نفاد الدهن . قال « فدخل الحازمي حجرته وصف قدميه ولم يزل يصلى ويتلو القرآن الى ان طلع الفجر » [11] .

ذكرت ذلك لتعلم صفات سكان الرباط في ذلك العصر والظاهر ان السيدة شهدة بنت الابري قلدت زوجها في انشاء هذا المعهد الديني الخيري وزوجها هو ثقة الدولة أبو الحسن على بن محمد الدريني المعروف بابن الانباري او الابري . كان وكيلا للخليفة المقتفي لامر الله مجدد الدولة العباسية ومعيد استقلالها وكان من الاعيان الاماثل فلقبه الخليفة(ثقة الدولة) لامانته وشهامته وقد بنى ابو الحسن الدريني زوج شهدة مدرسة حسنة للشافعية بباب الازج على الشط وبنى الى جانبها رباطا للمتصوفة[12] . وباب الازج محلة كبيرة تشمل اكثر جنوبي بغداد الحالية من الباب الشرقي الى محلة المربعة فباب الشيخ وكانت المدرسة والرباط على تقديري قرب مديرية كمرك بغداد وقصر النقيب . وقد توفى ثقة الدولة سنة (٥٤٩هـ) ودفن بداره برحبة جامع القصر ولما توفيت زوجته شهدة سنة (٥٧٤) دفنت

---

(١٠) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس – الورقة ١٤٧ .

(١١) تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ١٠١ – ١٠٣ .

(١٢) راجع المراجع المذكورة فيها آنفا ؛ وخريدة القصر : قسم العراق ج ١ ص ١٤٤ .

بمقبرة باب ابرز قرب المدرسة التاجية الخاصة بالشافعية ونقل هو من مدفنه بداره الى جانب زوجته شهدة[١٣] والظاهر ان ذلك كـــان بوصيـــة منهـــا (رحمة الله عليها) والمدرسة التاجية كانت قرب جامع الفضل في محلـــة الفضل ولعلها كانت في موضع الجامع نفسه .

وسيرة شهدة مستفيضـــة في كتب التأريخ وذكرها مشهور في كتب الحديث وهي التي روت فيما روت كتاب (مصارع العشاق) عن مؤلفـــه ابن السراج توفيت وقد جاوزت التسعين من العمر ولهـــا ذكـــر أيضا في معجـــم التراجم العالميـــة الفرنسي المســـمى (بيوگرافى أونيفرسل)* المطبوع بباريس ســـنة (١٨٤٣ م) فقـــد ترجمهـــا الكاتب الفرنسي المسيو جوردن في باب (الايف) باسم فخر النساء شهدة بنت آحمـــد ــ وقـــال : « بغدادية انصرفت الى دراسة الفقه واللاهوت فبلغت في هذه العلوم درجة عالية ودروسها كانت مجمعا للعلماء المشهورين جدا في ايامهـــا وكـــانوا شديدي الرغبة في السماع منها ولذلك اجتمع عندها كثير من طبقات الناس ويظهر ان هذه الشهرة العظيمة وعلوها هما اللذان انالاها لقب (فخر النساء) ومعناه (مجد النساء) ولا نعرف لها كتابا وان كان كثير من العلماء افتخروا أن يكونوا في عداد تلاميذها »[١٤] .

ونحن انما نقلنا كلام هذا الاديب الفرنسي لانه دليل على اهتمـــــام القوم بأهل العلم والثقافة لا لانه كلام جديد لا نعرفه او موثوق به لا تقال فيه كلمة ونحن ادرى بتأريخ نسائنا . وقد ذكر شمس الدين الذهبي مـــن تلامذتها الكبار الذين حدثوا عنها في البلاد الاسلامية شرقا وغربا : أبا القاسم على بن عساكر الدمشقي مؤرخ دمشق وقد توفى قبل وفاتها بثلاث

(١٣) تاريخ ابن النجار (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس الورقة ٢٩ ، ٣٠) وتراجع بقية اخبار الرباط فـــي مجلة ســـومر ج ٢ مج ١١ (١٩٥٥) ص ١٩٠ .

(*) Biographie Universal .

(١٤) بيوگرافي اونيفرسل ج ١٣ ص ٣٤٠ .

سنين والحافظ عبدالغني بن نقطة وموفق الدين بن قدامة المقدسي والحافظ عبدالقادر الرهاوي ونصر بن عبدالرزاق بن عبدالقادر الجيلـي المعـروف اليوم بالكيلاني وناصح الدين بن الحنبلي وابن راجح والشيخ العمـاد وابراهيم بن الخير وابا الحسن الجميزي المصـري وابراهيم الكاشغري والاعز بن عليق وأبا محمد عبداللـه الجونى وابا عبداللـه الاربلى (أي الاربيلي) وعبدالرزاق بن سكينة البغدادي وابا بكر قاضي حران وعلـي ابن حميدان وأبا بكر بن الخازن ومحمد بن أبي البـدر وآخر من روى عنها ورآها ابو القاسم بن قميرة وقد توفى سـنة (٦٥٠ هـ) [١٥] اي بقى بعد وفاتها (٧٦) سنة .

ويدعونا التسلسل التأريخي الى ذكر السـيدة (بنفشـة) ومـن المؤرخين من يقول بنفشـا بنت عبدالله حظية الخليفـة المستضيء بآمر الله المتوفى سنة (٥٧٥ هـ) والظاهر انها بقيت على رقها وعبوديتها الى آخر وفاتها[١٦] فقد جرت عادة بنى العباس الخلفاء ان الواحد منهم يشترى الجارية فاذا ولدت له ابنا أو بنتا حررها من العبودية وعقد عليهـا عقـد الزواج فتكون زوجة (أي حرة متزوجة) ولكن السيدة بنفشة لم تلـد للمستضيء ولدا وانصرفت الى اعمال البر والخير وكانت تسكن بدار الخلافة العباسية في موضع عمارة الدامرجي الحالية وما يليها الى شـط دجلـة مـن شارع السموأل الحالي وكانت دارها تسمى «دار سوق التمر» .

قال تاج الدين ابن الساعي البغدادي في كتابه (نساء الخلفاء) هي :

« بنفشا بنت عبدالله الرومية مولاة الامام المستضيء بأمر الله (رضى الله عنه) كانت من خواصه وسراريه ولهـا المكانـة الرفيعـة عنده والمنزلة

(١٥) المختصر المحتاج اليه من تأريخ بغداد لشمس الدين الذهبي ، الورقة ١٣١ (من نسخة المجمع العلمي العراقي المصورة) .

(١٦) عـددتها في سيدات البلاط العباسي (ج١ ص ١٦٣) معتقة حرة ولكني استرجع العكس، ويوءيد ذلك، قول ابن الساعي انها «مولاة المستضيء» كما سيأتي في النقل .

العاليه والحكم النافذ والامر والنهى وكانت صالحة كثيرة الخير فائضه المعروف متفقدة للفقراء والمساكين كثيرة الصدقة والبر • جعلت دارها بأسفل بغداد على شاطىء دجلة مدرسة ووقفتها على الحنابلة ووقفت عليها وقوفا وبنت قنطرة على نهر عيسى وعقدت جسرا على دجلة وبنى لها الامام المستضيء بأمر الله دارا مجاورة لباب الغربة (يعنى باب شارع المستنصر الحالي من الشمال) فجاءت عالية البناء واسعة الفناء تشتمل على مقاصير وحجرات ومناظر ومنتزهات ويجاور هذه الدار اربعة دواليب تسقى الماء من دجلة الى دار الخلافة المعظمة كل واحد أعلى من الآخر فيأخذ الاول من دجلة والثاني من الاول والثالث من الثاني والرابع من الثالث • ولما تمت هذه الدار أمرت بانشاء جسر جديد ينصب بين يدى هذه الدار الى باب الرقة (يعنى محلة الشواكة) بالجانب الغربي فصار ذلك فرحة الانام ومتنزه الخاص والعام • وبنت مسجدا كبيرا بسوق الخبازين (يعنى جامع الامام طه الذي ادخل في الشارع أو أصل جامع الحيدرخانة) قريبا من العقد الجديد • وسمعت انها كانت في عيد الفطر في كل سنة تخرج زكاة الفطر صاعا من تمر ثم تقول هذا ما فرضه الشرع علي وانا لا اقنع من مثلى بهذا فتخرج صاعا من الذهب العين (اي الدنانير) وتأمر بتفرقته على الفقراء واعتقت خلقا من الموالى والجوارى والمماليك وتوفيت يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وصلى عليها بعد صلاة العصر بصحن السلام من دار الخلافة وحملت في دجلة الى الجانب الغربي فصلى عليها بباب تربة الجهة السعيدة زمرد خاتون والدة الامام الناصر لدين الله رضى الله عنه المجاورة للشيخ معروف الكرخي (رحمة الله عليه) (يعنى قبر الست زبيدة الحالي) ثم دفنت داخل التربة المذكورة وذلك قبل وفاة صاحبة التربة زمرد خاتون » [١٧] • فهي مدفونة اذن تحت قبة الست زبيدة اي قبة زمرد خاتون •

اما الدار التي جعلتها مدرسة للحنابلة لانها كانت حنبلية المذهب

---

(١٧) نسخة الاستانة ، الورقة ٣٩ .

لا شافعية كصاحبها الخليفة المستضيء فقد كانت بباب المراتب قرب باب الازج المحلة التي ذكرناها آنفا وكانت الدار ملكا للوزير نظام الدين أبى نصر المظفر بن علي بن جهير وزير الخليفة المقتفي • قال ابو الفرج بن الجوزي في تأريخه : « وفي يوم الخميس خامس عشر من شعبان أي الخامس والعشرين من شعبان من سنة (٥٧٠ هـ) سلمت الي المدرسة التي كانت دارا لنظام الدين أبى نصر بن جهير وكانت قد وصلت ملكيتها الى الجهة المساة بنفشة فجعلتها مدرسة وسلمتها الى أبى جعفر بن الصباغ فبقى المفتاح معه اياما ثم استعادت منه المفتاح وسلمته الي من غير طلب كان مني وكتب في كتاب الوقف ان المدرسة وقف على اصحاب احمد بن حنبل وتقدم الى (اي امرت) يوم الخميس المذكور بذكر الدرس فيها فحضر قاضي القضاة وحاجب الباب وفقهاء بغداد وخلعت علي خلعة وخرج الدعاة بين يدي والخدم ووقف أهل بغداد من باب النوبي الى باب المدرسة كما يكون في العيد واكثر وكان على باب المدرسة ألوف والزحام على الباب فلما جلست لالقاء الدرس عرض كتاب وقف المدرسة على قاضي القضاة وهو حاضر مع الجماعة فقرىء عليه وحكم به وانفذه وذكرت بعد ذلك الدرس فألقيت يومئذ دروسا كثيرة من الاصول والفروع وكان يوما مشهودا لم ير مثله ودخل على قلوب اهل المذهب (الحنبلي) غم عظيم لانهم حسدوني»[١٨] • وقال سبط ابن الجوزي ابو المظفر يوسف بن قزاغلي « وكان جدي يقول : والله لولا أحمد بن حنبل والوزير ابن هبيرة لانتقلت عن المذهب فاني لو كنت حنفيا أو شافعيا لحملني القوم على رؤوسهم»[١٩]• وكذا كانت عادة ابن الجوزي لا يجد فرصة لمدح نفسه الا انتهزها •

ثم قال ابن الجوزي « وفي رمضان سنة ٥٧١ هـ كتب على حائط المدرسة التي وقفتها الجهة بنفشة وسلمتها الى « وقفت هذه المدرسة الميمونة الجهة المعظمة الشريفة الرحيمة بنفشة وهي المعروفة بدار الرواشن في ايام

(١٨) المنتظم ج ١ ص ١٢٥ ، ٢٥٢ ومرآة الزمان ج ٨ ص ١٩٥ ، ٣٢٦ •

(١٩) المرآة ج ٨ ص ٣٢٦ •

سيدنا ومولانا الامام المستضيء بأمر الله امير المؤمنين على اصحاب الامام أحمد بن حنبل وفوضت التدريس بها الى ناصر السنة ابى الفرج ابن الجوزي » [٢٠] .

وقد جرت العادة القديمة في بناء المدارس ان تبنى دار للمدرس فيها وانما قلنا ذلك لان ابن جبير الرحالة الاندلسي المشهور دخل بغداد بعد افتتاح هذه المدرسة بعشر سنين أي سنة ٥٨٠ هـ فرأى ذات يوم مدرسها ابا الفرج بن الجوزي يعظ الناس بازاء الدار التي كان يسكنها بالمدرسة فظنها داره قال: (ثم شاهدنا مجلس الشيخ الفقيه الامام الاوحد جمال الدين أبى الفضائل بن علي بن الجوزي بازاء داره على الشط بالجانب الشرقي وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة وبمقربة من باب البصيلة آخر أبواب الجانب الشرقي فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو وزيد وفي جوف الفرا كل الصيد آية الزمان وقرة عين الايمان رئيس الحنبلية والمخصوص في العلوم بالرتب العلية ، امام الجماعة وفارس هذه الصناعة، والمشهود له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة ، مالك ازمة الكلام في النظم والنثر والغائص في بحر فكره على نفائس الدر) [٢١] .

وفي سنة ٥٧٣ هـ انشأت السيدة بنفشة رباطا للنساء الصوفيات في رجب من السنة المذكورة وعملت فيه دعوة للصوفيات فأكلن من الاطعمة النفيسة ثم خطبن في الرباط خطبا ثم فرقت فيهن دنانير وجعلت المشيخة في الرباط لاخت الشيخ أبى بكر محمد بن أحمد الزوزني الصوفي [٢٢] .

ونرى من الانصاف ان نذكر ان السيدة بنفشة لم تكن اولى مؤسسات الرباط النسوي فقد سبقتها الى انشاء مثل هذا المعهد الديني الخيري واحدة من عرض الشعب هي السيدة فاطمة بنت الحسين الرازية الاصل البغدادية

---

(٢٠) المنتظم ج ١ ص ٢٥٨ .

(٢١) رحلة ابن جبير ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ (طبعة هولاندة) .

(٢٢) المنتظم ١٠ : ٢٧١ .

وكانت واعظة فأنشأت رباطا تعظ فيه النساء وتجتمع فيه الزاهدات وكانت قد سمعت الحديث النبوي من الشيوخ منهم ابو بكر الخطيب مؤلف تأريخ بغداد وابو جعفر بن المسلمة قال ابن الجوزي: وقد سمع منها الحديث شيخنا أبو الفضل محمد بن ناصر وقرأ عليها كتاب (ذم الغيبة) تأليف ابراهيم الحربي وحدثت بمجالس ابن سمعون الواعظ ومسند الامام الشافعي وغير ذلك وتوفيت في ربيع الاول (سنة ٥٢١ هـ) وقد سمع منها ابن الجوزي بعض مسموعاتها (٢٣) •

ونهي كلامنا على هاتين السيدتين لنتعطر بذكر السيدة زمرد خاتون زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله وام الخليفة الناصر لدين الله وهي صاحبة القبة الفخمة والتربة الضخمة القائمة بجوار تربة الشيخ معروف الكرخي بالجانب الغربي من بغداد وتعرف عند العامة غلطا بالست زبيدة كما ذكرنا والسيدة زمرد كانت في الاصل مملوكة تركية ثم ولدت اولادا لسيدها المستضيء فأعتقها اكراما لها عن العبودية (٢٤) •

وقد عاشت زمرد في خلافة زوجها وقضت من خلافة ابنها الناصر أربعا وعشرين سنة وانشأت ربطا ومساجد وعمرت مدارس ومشاهد وكان لها مبرات واوقاف للخيرات واحسان كثير الى العباد والزهاد والعلماء والفقراء وكانت تتفقد ذوي الحاجات والايتام وقد حجت سنة ٥٨٥هـ وانفقت في حجها نحوا من ثلاثمائة الف دينار وكان في قافلتها نحو من الفي جمل واصلحت في طريق مكة البرك والمصانع (أي مخازن الماء) وحكي عنها انها في طريقها الى مكة وجدت في ثوبها قملة فقالت : الحمد لله شاركت الفقراء في تعب السفر ومشقة الطريق • وتصدقت من اجل ذلك وحده بمائة دينار • وقد توفيت في شهر ربيع الآخر من سنة ٥٩٩ هـ وفرق ما خلفته من ذهب وفضة وجواهر وثياب في جواريها ومماليكها وحمل ما في خزائنها

---

(٢٣) المنتظم ١٠ : ٧ ــ ٨ •

(٢٤) تراجع ترجمتها في سيدات البلاط العباسي ج ١ ص ١٧٤ •

من الاشربة والمعاجين والعقاقير الى المستشفى العضدي بالجانب الغربي من بغداد على الشط وكان ذلك يساوي الوف دنانير • وكانت قد انشأت مدرسة للشافعية قرب تربتها التي قلنا انها تسمى اليوم (الست زبيدة) ووقفت عليها اوقافا وبنت الى جانبها رباطا أي خانقاه للفقراء وبنت تربتها (أي قبة قبرها) بجوارهما وهي التربة القائمة الى اليوم التي ذكرت انها بجوار تربة الشيخ معروف وان الناس يسمونها (الست زبيدة) وجعلت في تربتها خزانة كتب كبيرة وقد فتحت المدرسة سنة ٥٩٢ هـ قال جمال الدين ابن الدبيثي الواسطي المؤرخ في ترجمة (علي بن علي الفارقي الشافعي) في ذيل تأريخ بغداد : « ولد بميا فارقين بالجزيرة ونشأ بها وتفقه بتبريز وسمع بها الحديث النبوي ثم قدم بغداد وصحب أبا النجيب السهروردي وتكلم في الوعظ مدة على ما حدثني هو عن نفسه ثم سكن بالمدرسة النظامية وكتب علم الخلاف بين المذاهب وتكلم في المسائل الفقهية ونظر في فقه الامام الشافعي حتى حصل معرفة الاصول وصار معيدا بالمدرسة النظامية سنين ودرس التلاميذ وكان يفتي ايضا ثم جعله قاضي القضاة ابو طالب علي بن البخاري نائبا عنه في القضاء ببغداد سنة ٥٨٢ هـ ثم عزل نفسه (أي اعتزل) عن القضاء سنة ٥٨٣ هـ وتوفر على اعادة الدروس بالمدرسة النظامية ثم صار نائب المدرسة فيها الى ان فتحت مدرسة السيدة الرحيمة زمرد خاتون والدة سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على كافة الانام الناصر لدين الله أمير المؤمنين وهي المدرسة التي انشأتها بجوار تربتها الشريفة عند معروف الكرخي بالجانب الغربي من بغداد وذلك في سنة ٥٩٢ هـ وسكن في المدرسة ودرس فيها الى ان مات سنة ٦٠٢ هـ وصُلّي عليه بالمدرسة المذكورة ودفن قريبا من تربة السيدة زمرد خاتون • وكان حسن الطريقة متوفرا على الاشتغال بالعلم ونعم الشيخ كان دينا وعلما وصلاحا » (٢٥) •

(٢٥) ذيل تأريخ بغداد (نسخة المجمع العلمي المصورة على نسخة كنبرج) الورقة ١٤٨ — ١٤٩ •

وقد بقيت المدرسة والرباط الى زمن ولاية الباشا سليمان الكبير[٢٦] المقدم ذكره من ولاة بغداد ايام العثمانيين في اواخر القرن الثاني عشر فهدمهما وشيد بآجرهما وبغيره سورا لغربي بغداد وبقيت التربة وحدها ولم يستحل الباشا هدمها. وفي سنة ١١٣١هـ دفن حسن باشا والي بغداد زوجته عائشة خانم بنت مصطفى باشا مع زمرد خاتون تحت القبة [٢٧] . وعائشة خانم هي التي تعنيها الاغنية الاطفالية عند عوام بغداد (طلعت الشميسة ، على گبر عيشة ، عيشة بنت الباشة ، تلعب بالخرخاشة) الى آخرها .

وكانت السيدة زمرد قد انشأت قبل هذه المؤسسات العلمية والخيرية رباطا للصوفية في المحلة المأمونية من بغداد الشرقية وكانت المأمونية في موضع محلة عقد القشل والدهانة والهيتاويين وصبابيغ الآل . وفتح هذا الرباط سنة ٥٧٩ هـ على أصح الاقوال[٢٨] واقامت في هذا الرباط خزانة كتب ايضا فيها كتب نفيسة كثيرة منها كتاب الفنون لابي الوفاء على بن عقيل البغدادي . قال الذهبي : هو ٤٧٠ مجلدا وقال سبط ابن الجوزي هو (مائتا مجلد) جمعه طول عمره وقد طالعت منه في بغداد في وقف رباط المأمونية نحو من سبعين مجلدا وقيل انه ٨٠٠ مجلدة » [٢٩] .

وانشأت السيدة زمرد خاتون ايضا رباطا للفقراء عند مشهد عبيدالله بن عمر قرب الرصافة وقبر الامام ابى حنيفة النعمان . وكان مجاورا للتربة المعروفة بأم رابعة في الاعظمية الحالية وذلك لان رابعة هي ابنة الامير احمد بن المستعصم بالله دفنت هناك ودفنت قبلها امها شمس‌الضحى شاهلبنى بنت الامير عبدالخالق بن ملكشاه بن السلطان صلاح الدين الايوبي . فغلب

(٢٦) مساجد بغداد ، ص ١٢٥ .

(٢٧) رحلة نيبور الدانيمركي ، ج ٣ ص ٢٢٥ (من النسخة الفرنسية) .

(٢٨) الكامل في حوادث هذه السنة ومرآة الزمان ج ٨ ص ٣٦٥ (من طبعة الهند) ومجلة سومر مج ١٠ (١٩٥٤) ج ٢ ص ٢٤٧ .

(٢٩) المرآة ج ٨ ص ٨٤ . وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ١ : ١٥٦ (من الطبعة المصرية) .

اسمها (أم رابعة) على الموضع [٣٠] ٠

وانشأت ايضا مسجدا في الحظائر على دجلة ويسمى اليــوم (جامع الخفافين) وهو في سوق الكمرك العتيق ومنارته اقدم المنارات العباسية ببغداد ولا تزال رصينة قوية ٠ تسخر من الزمان وتهزأ بالحوادث٠ اما بناية الجامع ما عدا المنارة فقد جددت في ايام الحكم العثماني ٠

ولنعطف القلم الآن على السيدة الملقبة (باب بشير) وذلك ان المتأخرين من الخلفاء كانوا يلقبون نساءهم باسم البواب الذي يقيم على دورهن وهذا يعنى ان بواب السيدة اسمه (بشير) وهذه السيدة (باب بشير) هي زوجة المستعصم بالله العباسي آخر الخلفاء العباسيين الذين فقد الدولة ونفسه معا، وام الامير ابي نصر محمد بن الخليفةالمستعصم الذي توفى شابا وقد انشأت من المعاهد الخيرية دارا للقرآن يدرس فيها ابناء الفقراء ومدرسة لــذوي المذاهب الاربعة الشافعية والحنابلة والحنفية والمالكية قرب الشيخ معروف الكرخي ٠ وكانت دار القرآن على شط دجلة بالجانب الغربي من بغداد ٠ ففي اليوم التاسع عشر من شعبان سنة ٦٥٢ هـ استدعي قاضي قضاة الدولة العباسية ونائباه الى دار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي وحضر فــي الدار ايضا خادمان من خدم الخليفة المستعصم هما ايوب الرومي وريحــان الحبشي وشهدا عند القاضي الاكبر ان السيدة باب بشير عتيقة الخليفــة المذكور قد وقفت المدرسة الجديدة على المذاهب الاربعة فكتب سجل بذلك واشهد قاضي القضاة من حضر من الشهود العدول (اي الشهود الرسميين) بثبوت الوقف عنده ووضعوا خطوطهم في كتاب الوقف ثم وضع الكتــاب في كيس وسلم الى الخادم قرنفل المستعصمي ليوصله الى السيدة فــي دارها بدار الخلافة ٠

وفي اليوم الرابع والعشرين استدعي ايضــا قاضي القضــاة ونائباه والعدول الى دار الوزير ابن العلقمي وحضر الخادمان ايوب وريحان فشهدا

---

(٣٠) الكتاب الذي سميناه (الحوادث الجامعة) ٠

عند القاضي الاكبر بوقفية دار القرآن التي على شاطىء دجلة بالجانب الغربي من بغداد وذكرا ان واقفة المدرسة البشيرية السيدة «باب بشير» اشهدتهما على نفسها بوقفية دار القرآن المذكورة فأمر قاضي القضاة بكتابة سجل ثم قرىء السجل على الحاضرين ووضع الحاضرون خطوطهم للشهادة واحضرت الخلع فخلع على قاضي القضاة خلعة سنية وكذلك على نائبيه الشافعي ابراهيم النهر فضلى والحنفي الحسين بن اللمغاني ثم على الخادم قرنفل المستعصمي ثم على خادمي الخليفة المقدم ذكرهما ثم على جميع الشهود وكافة الحاضرين وفي ذلك يقول ابو المعالي القاسم بن آبي الحديد المدائني الشافعي ، أخو عزالدين عبدالحميد بن آبى الحديد شارح نهج البلاغة :

من ذا رأى فصل الربيع وزهره
ورياضه في العشر من تشرين ؟
خلعا مكملة يقارن وشيها
ما جاء من مصر ومن جيرون[٣١]
سبعون تشريفا وما احصيتها
ولربما زادت على سبعين
كرم يزيد على البحار مديده
وعلى حيا دانى الرباب هتون[٣٢]

اما المدرسة البشيرية فكان الشروع في بنائها سنة ٦٤٩ هـ وتوفيت منشئتها في اليوم التاسع من شوال سنة ٦٥٢ هـ ثم توفى بعدها ابنها الامير محمد بن المستعصم . وفي يوم الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ٦٥٣ هـ ـ اي بعد ثمانية أشهر من وفاة السيدة باب بشير ـ فتحت المدرسة البشيرية وحضر الخليفة المستعصم بالله وابناؤه فجلسوا في وسطها وحضر

(٣١) جيرون : يعني دمشق .

(٣٢) تاريخ أبي الحسن الخزرجي فيحوادث هذه السنة (المخطوط) والتأريخ المسمى الحوادث الجامعة ، ص ٢٧٥ .

خواص الخليفة من المماليك ثم حضر الوزير ابن العلقمي وكافة ارباب الدولة وذوو المناصب والمدرسون ومشايخ الربط اي الخانقاهات والصوفية وعملت فيها دعوة عظيمة كان مقـدار الطحين الذي عمل منه الخشكنانج (وهو نوع من الخبز المحلى) والسنبوسج ثلاثة اكوار (والكر مكيال يساوي ٢٤ صاعا والصاع يساوي ثلاثة ارطال قديمة والرطل القديم يساوي قريب الحقة المعروفة بالكيلو غرام) • وكان مقدار السكر الذي احضر للحلوى سبعة وعشرين الف رطل ونقل الى دار كتبها ستة وثلاثون صندوقا من الكتب المكتوبة بالخطوط المشهورة منها مصحف بخط الخليفة الراشد عثمان بن عفان ومنها ما هو بخط ابن البواب الملقب (قلم الله في ارضه) وبخط ابن مقلة الشهير وخلعت الخلع على الحاضرين واورد الشعراء المدائح[٣٣] وعين المدرسون للمذاهب الاربعة •

ومن جملة الكتب الموقوفة على المدرسة كتاب (العيون والنكت) في تفسير القرآن للقاضي الماوردي البصري وقد كتب عليه (هذا ما وقفته وتصدقت به الجهة الشريفة المكرمة المقدسة الزكية المعظمة السيدة الكبيرة الرضية الامينة الرحيمة الرؤوفة النبوية الامامية الطاهرة البرة جهة سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على جميع الانام أبي أحمد عبدالله المستعصم بالله أمير المؤمنين ثبت الله دولته وأعلى كلمته وقفتها على طلاب العلم رغبة فيما عند الله تعالى من حسن الثواب وذخرا صالحا ليوم المآرب وأمرت أن يكون بالمدرسة الميمونة التي امرت بانشائها بظاهر محلة شارع ابن رزق الله بالجانب الغربي من مدينة السلام) [٣٤] •

وكانت شمس الضحى شاهلبنى بنت عبدالخالق بن ملكشاه بن السلطان صلاح الدين الايوبي التي قدمت الاشارة اليها من النساء الصالحات الخيرات

---

(٣٣) تاريخ الخزرجي (المخطوط) والحوادث ص ٣٠٧ .

(٣٤) الجزء الخامس في خزانة آل باش اعيان بالبصرة .

وقد قتل هولاكو الطاغية التترى زوجها ولى العهد ابا العباس احمد بن المستعصم بالله ولها بنت اسمها رابعة وقد قدمنا ذكرها وانا لنعجب كيف نجت شاهلبنى من القتل فقد ذكر مؤلف كتاب (الحوادث) ان هولاكو امر باعمام الخليفة المستعصم وانسبائه واقربائه فكانوا يخرجون من دار الخلافة بشارع المستنصر الحالي الى مقبرة الخلال المعروف اليوم بالخلاني بباب الشيخ فيقتلونهم واولادهم ونساءهم وجواريهم فقتلوا عن آخرهم[٣٥] . والظاهر ان علاء الدين عطا ملك الجويني والى العراق بعد سقوط الدولة العباسية سعى في خلاص السيدة شاهلبنى من القتل ثم خلف عليها (أي تزوجها بعد زوجها المتوفى ولي العهد) ثم زوج ابن أخيه شمس الدين هارون بابنتها رابعة .

وانشأت السيدة شاهلبنى مدرسة بجوار مشهد عبيدالله بن عمر العلوي ذلك المشهد القائم اليوم في شرقي الاعظمية . وفي سنة (٦٧١هـ) تكامل بناء المدرسة وسميت (المدرسة العصمتية) ولم أقف على سبب تسميتها بذلك ، اللهم الا ان يقال ان شاهلبنى كانت تلقب (ذات العصمة). وقد وقفتها على الطوائف الاربع وبنت الى جانبها رباطا للصوفية وتربة لها . ورتبت فيها المدرسين وخلعت عليهم وعلى غيرهم بعد دعوة طعم فيها الحاضرون وجعلت النظر فيها الى متولي أوقاف بغداد شهاب الدين علي بن عبدالله وجعلت الاشراف الى كل من يتولى قضاء القضاة ببغداد .

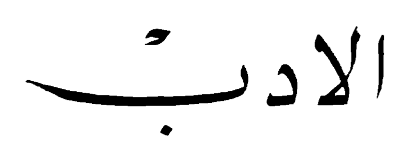
وفي سنة (٦٧٨هـ) أي بعد سبع سنوات توفيت شمس الضحى شاهلبني الايوبية ودفنت في التربة التي انشأتها بجوار مدرستها العصمتية . قال مؤلف الحوادث : « وكانت كثيرة الصدقات والاحسان والمبرات وكانت تحب أهل بغداد وترعى مصالحهم وتقوم في حوائجهم وتساعدهم »[٣٦] .

---

(٣٥) الحوادث ص ٣٢٨ .

(٣٦) الحوادث ص ٣٧٣ ، ٤١٠ .

وهذه المدرسة التي لا يزال بابها وقسم منها قائمين ، المعروفة بجامع مرجان في شارع الرشيد انما بناها مرجان من اموال سيدته الجناخاتون بنت السلطان ارغون بن اباقا بن هولاكو وكان هؤلاء المغول قد اسلموا وحسن اسلامهم وكانت هذه السيدة زوجة (ايلكان) والد الشيخ حسن الكبير مؤسس الدولة الجلايرية بالعراق . وقد جاء في الكتابة المنقورة على الآجر فوق بابها ان مرجان (انشأ هذه المدرسة من فواضل هذه السيدة السعيدة انار الله برهانها في ايام دولة ابنها الشيخ السعيد حسن وتمت في أيام ابنه السلطان أويس) .


الادبُ

الضائع من معجم الأدباء

لياقوت الرومي الحموي

إرشاد الأريب إلى معرفة الاديب المعروف أيضاً بمعجم الأدباء كان قد شرع في طبع ما وجده منه الأستاذ المستشرق المشهور (د . س . مرغوليوث) * سنة ١٩٠٧ م ، وهو يومئذ أستاذ الأدب العربيّ في جامعة اوكسفورد بانكلترة . وكان الطبع في مطبعة هندية بشارع المهدي بالأزبكية من القاهرة . وقد أخرج الجزء الأول سنة ١٩٠٧ أيضاً ، ثم أخرج الجزء الثاني سنة ١٩٠٩ وكانا كاملين في الظاهر ، ثم طبع الجزء الثالث سنة ١٩١٠ وكان ناقصاً ، فقد جاء في أوله ما هذا نصه « باب الحاء : الحارث بن أبي العلاء عمار بن العريان أبو سفيان (سقطت الترجمة) ، حبشي [1] بن محمد بن شعيب الشيباني أبو الغنائم النحوي الضرير ... » وحدث في أثنائه نقصان لم يتنبه له الأستاذ مرغوليوث . وهو في ترجمة « الحسن بن علي الاسكافي » فقد اختلطت ترجمته بترجمة الحسن القطان ، وذلك ثابت بقول ياقوت (ص ١٦٩) : « وكنت عند كوني بمرو عرض عليّ شيخنا فخر الدين أبو المظفر عبد الرحيم بن تاج الاسلام أبي سعد السمعاني ـ تغمدهما الله برحمته ـ جزءاً يشتمل على رسائل للحسن القطان [2] إلى الرشيد الوطواط محشوة بالسبّ له

* David Samuel Margoliouth

(١) له ترجمة في « نكت الهميان في نكت العميان » للصلاح الصفدي ، ص ١٣٣ ، وبغية الوعاة للسيوطي ، ص ٢١٤ .

(٢) هو ابو علي الحسن بن علي بن محمد المروزي القطان كما في بغية الوعاة ، ص ٢٤٤ .

والثلب تصريحاً لاتعريضا ... » [٣] ولم يفطن الاستاذ مرغوليوث الى هذا التداخل بين الترجمة فعدّ قسماً مما ورد في (ص ١٦٩) وما ورد في الصفحات « ١٧٠ – ١٧٩ » من ترجمة الاسكافي مع آنهما مختصان بترجمة القطان . وحدث في آخر الجزء الثالث نقصان أيضاً ، فقد جاء في ترجمة « أبي محمد الحسن بن محمد المهلبي الوزير » ما هذا نصه (قد سقطت من نسختنا أوائل الترجمة) ، وسقطت ترجمة « ابن هودار » فقد جاء في آخر ترجمة « الحسن بن المظفر النيسابوري » (٢١٥) : « قال أبو علي الضرير : رأيت ابن هودار في المنام بعد موته ...» وينتهي الجزء الثالث بترجمة « الحسن بن ميمون النصري في (ص ٢١٥) . وقال طابعه في آخره : « انتهى القسم الأول من الجزء الثالث » . وفي هذا القول إشارة إلى وجود قسم ثان لهذا الجزء ، ولكنه مفقود ، ولو كان موجوداً لنشره مع القسم الأول ، ثم طبع الاستاذ المذكور الجزء الخامس سنة ١٩١١ م ، والجزء السادس سنة ١٩١٣ . وبقي الجزء الرابع والجزء السابع غير مطبوعين ، ثم طبع مختصر الجزء السابع سنة ١٩١٣ ، باعتبار أنه الجزء السابع بكماله ، ثم طبع الجزء الرابع أو مختصره سنة ١٩٢٧ .

وأول ترجمة في الجزء الرابع هي ترجمة « الحسن بن أبي المعالي بن مسعود بن الحسين أبي علي ابن الباقلاني الحلي » . وآخر ترجمة في الموجود منه هي ترجمة « عبد الله بن برّي بن عبدالجبار أبي محمد المصري » كما جاء في (ص ٢٨٨ ، ٢٨٩) منه وهي ناقصة ، ولذلك قال الناشر في آخر صفحة من الكتاب : « هنا خرم في النسخة الأصلية مقداره بحسب العدد الذي على الصحائف (٦٥) صحيفة ، وآخر ترجمة فيه بعد هذا الخرم ترجمة « عبيد بن شرية » الآتية في (ص ١٠) من المجلد الخامس .

---

(٣) **وقد أجابه رشيد الدين الوطواط عن تلك الرسائل بكتب مثبتة في ديوان رسائله ، ص ١٨ – ٢٦ . وذكرها ياقوت في ترجمة القطان المذكور .**

ومختصر الجزء السابع يبتدىء بترجمة « محمد بن الحسين بن محمد ابن الحسين بن عبد الوارث أبي الحسين الفارسي ابن أخت أبي علي الفارسي » • وينتهي بترجمة « يونس بن ابراهيم الوفراوندي » قال الناشر في آخره (ص ٣١٣) : « انتهى الجزء السابع من كتاب معجم الأدباء » • وقد لحظت أن في الجزء الرابع والجزء السابع على اعتقاد أصالتهما تراجم من تراجم الشعراء الذين لم يستحقوا أن يسمَّوا بالأدباء ، كالحسين [٤] ابن حجاج (ج٤ ص٦) والحسن بن الحسن بن واسان الدمشقي (ص ١٧) والحسين بن الضحاك الخليع (ص ٣٠) والحسين ابن عبد الله بن رواحة الأنصاري (ص ٤٧) والحسين بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن أبي حَصِينة المعرّي (ص ٦٤) ولو وصفه ياقوت بالأديب الشاعر ، والحسين بن عبد السلام المعروف بالجمل المصري (ص ٧٦) والحسين بن محمد بن عبد الوهاب المعروف بالبارع البغدادي (ص ٨٨) ، والحسين بن مُطير الأسدي من الشعراء المخضرمين بين الدولتين الأموية والعباسية (ص ٩٧) ، وأبي زبيد حرملة بن المنذر الطائي من المخضرمين بين الجاهلية والاسلام (ص ١٠٧) ، وحفص الاموي بالولاء من مخضرمي الدولتين ، والحكم بن عبدل الاسدي من شعراء الدولة الاموية (ص ١٢٣) والحكم بن معمر بن قنبر الخضري أحد الشعراء الاسلاميين (ص ١٢٨) والأعور الكلبي حكيم بن عياش من شعراء بني أمية (ص ١٣١) وحماس ابن ثامل من مخضرمي الدولتين (ص ١٤١) . وحمزة بن علي العين زربي (ص ١٥٢) ، وحُميد بن ثور من المخضرمين (ص ١٥٣) وحميد بن مالك الأرقط من الشعراء الاسلاميين (ص ١٥٥) وحُميد بن مالك الكناني (ص ١٥٦) وحُميدة بنت النعمان الأنصارية (ص ١٥٧) وخالد الزبيدي اليمني (ص ١٥٩) والبعيث خداش بن بشر التميمي من شعراء الدولة الأموية (ص ١٧٣) وخرقة ابن نباتة الكلبي (ص ١٧٥) والخضر

---

(٤) هو الحسين بن أحمد بن محمد المعروف بابن حجاج وفي قول آخر « بابن الحجاج » على اللمح .

ابن هبة الله الطائي (ص ١٧٧) وخلف بن أحمد القيرواني (ص ١٧٨) وخويلد بن خالد الهذلي من المخضرمين (ص ١٨٥) وخيار بن آوفى النهدي من الشعراء الاسلاميين (ص ١٨٨) وداود بن سلم التميمي بالولاء (ص ١٩١) ودكين بن رجاء الفقيمي الراجز (ص ١٩٨) ودكين بن سعيد الدارمي الراجز (ص ٢٠٠) وذي القرنين آبي محمد الحسن بن ناصر الدولة عبد الله التغلبي (ص ٢٠١) وراشد بن إسحاق بن راشد (ص ٢٠٣) ومسكين الدارمي ربيعة بن عامر من الشعراء الاسلاميين (ص ٢٠٤) وربيعة بن يحيى المعروف بأعشى تغلب من شعراء الدولة الأموية (ص ٢٠٧) وربيعة بن ثابت الأسدي من شعراء الدولة العباسية (ص ٢٠٧) ورسته بن أبي الأبيض الأصبهاني الضرير (٢١٠) وابن ميادة الرماح بن أبرد من شعراء الدولتين الاموية والعباسية (٢١٢) ورؤبة بن العجاج الراجز من مخضرمي الدولتين (٢١٤) وأسير الهوى زاكي بن كامل الهيتي (ص ٢١٥) وزائدة بن نعمة التستري (٢١٦) وأبي دلامة زند بن الجون الأسدي بالولاء (ص ٢١٠) وزياد بن سلمى الأعجم العبدي من الشعراء الاسلاميين (ص ٢٢١) وزيد بن الحسن الأحاظي (ص ٢٢٣) والسائب بن فروخ المكي من شعراء بني أمية (ص ٢٢٥) والسري الرفاء (ص ٢٢٦) وسعد بن الحسن بن شداد الناجم (ص ٢٣١) وسلم بن عمرو التيمي بالولاء من شعراء الدولة العباسية (ص ٢٤٧) وسليمان بن مسلم بن الوليد الضرير (ص ٢٥٤) وسهل بن إبراهيم الوراق (ص ٢٥٩) وشبيب بن يزيد ابن البرصاء المريّ من شعراء الدولة الأموية (ص ٢٦٠) وسَدّاد [٥] بن إبراهيم بن حسن الطاهر الجزري (ص ٢٦١) وطريح بن إسماعيل الثقفي من مخضرمي الدولتين (ص ٢٧٦) وظافر بن القاسم الحداد الاسكندري (ص ٢٧٨) والعباس

---

(٥) ذكره ياقوت الحموي في حرف الشين (ص ٢٦١) والصحيح انه « سداد » بالسين المهملة ، كما جاء في باب السين من فوات الوفيات ، طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد ١ : ٣٤٠ . وكما جاء قبله في الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي .

بن الأحنف (ص ٢٨٣) •

هذه التراجم في الجزء الرابع الذي يكاد يكون معجماً للشعراء .
ولعله أحد أجزاء معجم الشعراء الآتي ذكره ، من تأليف ياقوت أيضا •
وأما الجزء السابع بل مختصره ففيه من تراجم الشعراء الذين لم يوصفوا بالأدباء : محمد بن علي بن أبي مروان الأموي (ص ٤٧) ومحمد بن لنكك البصري (ص ٧٧) ومحمد بن مناذر (ص ١٠٧) ومحمد بن نصر ابن القيسراني (ص ١١٢) ومحمد بن نصر ابن عنين الدمشقي (ص ١٢١) ومحمد بن هانىء الأندلسي (ص ١٢٦) والمؤمل بن محارب المحاربي من مخضرمي الدولتين (ص ١٩٥) والمؤيد بن عطاف الآلوسي (ص ١٩٩) ونجم بن سراج العقيلي (ص ٢٠٤) ونصر بن أحمد الخبزأرزي (ص ٢٠٦) ونُصيب بن رباح من الشعراء الاسلاميين (ص ٢١٢) ونصيب مولى المهدي (ص ٢١٦) والفرزدق همام بن غالب (ص ٢٥٧) ومهذب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الشاعر (ص ٢٦٧) ويحيى بن عبد الرحمن الأندلسي (ص ٢٨٣) ويحيى بن نزار المنبجي (ص ٢٩٣) ويحيى بن هذيل الكفيف (ص ٢٩٤) ويزيد بن مفرغ الحميري (ص ٢٩٧) ويزيد بن الطثرّية (ص ٢٩٩) ويعقوب بن الربيع أخو الفضل (ص ٣٠٢) ويموت بن المزرع (ص ٣٠٥) ويوسف بن الحجاج ابن الصيقل الكوفي (ص ٣٠٦) ويوسف بن هارون الرمادي (ص ٣٠٨) ويونس بن سالم بن يونس الخياط من مخضرمي الدولتين (ص ٣١٢) •

فكأن الجزء الرابع والجزء السابع من معجم الأدباء منتزعان من معجم الشعراء لياقوت الحموي وهو أخبار الشعراء على تسمية أخرى (إن لم يكونا جزءين منه) وأضيف إليهما عدة تراجم من تراجم الأدباء • وقد ذكر ياقوت كتابه المذكور أعني أخبار الشعراء في أثناء كتبه قال في الكلام على « بركة زلزل » في معجم البلدان : « وكانت أخت زلزل تحت إبراهيم الموصلي فقال فيه في قصة ذكرتها في أخبار إبراهيم من كتاب (أخبار الشعراء) الذي جمعته » • وذكره أيضاً في كلام على « الرملة »

و « جفير » ومن المحتمل أنه ذكره في مواضع اخرى . وأذكر بهذه المناسبة ، كما يقال اليوم ، ما قاله الأستاذ محمد عبد الجليل في مقدمة رسالة « عين القضاة الهمذاني » وقد نشرها في أوربة وقدم لها بمقدمة باللغة الفرنسية قال فيها : « نصّ ياقوت الحموي في معجم البلدان يختص بموت عين القضاة وموت أبيه وجدّه ، ويضيف الى ذلك قوله : كما ذكرنا في كتاب أخبار الأدباء . أي الكتاب الذي نشره مرغوليوث . ثم إن وستنفلد وبروكلمان لم يذكرا « أخبار الأدباء » في عداد كتب ياقوت الحموي ، ولكن الحاج خليفة ذكره في كشف الظنون منسوباً إلى تاج الدين علي بن أنجب البغدادي المعروف بابن الساعي المتوفي بعد ستين سنة من وفاة ياقوت [٦] ، ولعل بعض النسخ المخطوطة التي نشر عليها معجم الأدباء هي من تأليف ابن الساعي المذكور ، أو مأخوذة من نسخة لها صلة بكتابه ، فتكون جملة (كما ذكرنا في كتاب أخبار الادباء) زيادة أو شرحاً أضيفا إلى الأصل وهو أمر سهل مألوف في المعجمات » [٧] .

وقد فات ياقوتاً ذكر فريق من الأدباء ، فمنهم من لم يطلع على تراجمهم ، كما يدل عليه كتاب « بغية الوعاة » للسيوطيّ ، ومنهم مَن لم يجدهم حرّيين بأن يذكروا في معجمه مع أنه نبه على أدبهم في معجم البلدان بحسب مواضع بلدانهم ، فالمهملون استخمالاً منه لهم أو غفلة منه عنهم ليسوا في عداد الذين عقدت هذا البحث في ذكرهم ، وإنما عقدته فيما ضاع من التراجم من معجم الأدباء حسب ، وعثرت عليه في مطالعاتي وتصفحاتي ، وأضفت اليه أشياء أخرى للافادة وهو التراجم الآتية :

---

(٦) الصحيح بعد « ثمان واربعين سنة » : ٦٧٤ ـ ٦٢٦ = ٤٨ .

(٧) مقدمة رسالة « شكوى الغريب عن الأوطان الى علماء البلدان ، الصفحة ٤ » . نشر الفاضل محمد عبد الجليل في الجريدة الآسوية ، في شباط ومارت سنة ١٩٣٠ .

١ ـ الحسن بن محمد التميمي التاهرتي المعروف بابن الربيب[٨]

قال السيوطي : « قال ياقوت : طلب العلم بالقيروان واعتنى بـه علي ابن محمد بن حفص النحوي القزاز . وكان محباً له ، فبلغ به النهاية فـي الأدب ، وعلم الخبر والنسب ، وله في ذلك تأليف مشهور . وكان خبيراً باللغة شاعراً مقدماً قوي الكلام ، يتكلف بعض التكلف . وكان عبدالكريم ابن ابراهيم النهشلي يروى له ما لا يروي لأحد من الشعراء ، سئل عن شعر أهل بلده فقال : إذ ثـمّ ابن الربيب ، مـات بالقـيروان سـنة عشرين وأربعمائة » [٩] .

٢ ـ الحسن بن علي بن محمد بن ابراهيم بن أحمد القطان أبو علي المروزي البخـاري .

ذكرت أن ترجمته اختلطت بترجمة حسن الاسكافي في المعجم (٣ : ١٦٩) قال السيوطي : « قال ياقوت : كان فاضلاً عالماً باللغـة والأدب والطب وعلوم الأوائل المهجورة ، وكان ينصر مذهبهم ويميل إليهم ، شيخاً كبيراً محترماً ، يأخذ بأطراف من العلوم ، وغلب عليه اسم الطب وله فـي كل نوع تصنيف مأثور ، وتأليف بين أهل مرو مشهور ، وله دكان يقعد فيه للتطبيب، ويؤذي الناس ويشتمهم اذا سئل عن شيء من المداواة . وكان اشتغل[١٠] بالفقه والحديث في ابتداء عمره ثم أعرض عنه ، وكان يسمع الحديث علـى كبر سنه ويشتغل به تستراً وإظهاراً للرغبة في العلوم الشرعية ، والله تعالى أعلم بالعقيدة الباطنة ، وله تصانيف منها العروض ، ومشجر نسـب أبـي طالب وغير ذلك . مولده بمرو سنة ٤٦٥ وقبض عليه الغز لما تغلبوا علـى مرو فيمن قبضوا فجعل يشتمهم وهم يحثون التراب في فمه حتى مات فـي

---

(٨) في الأصل الذي هو بغية الوعاة « الزبيب » وهـو مستبعد عـندي ، والمتعارف هـو ما ذكرت .

(٩) بغية الوعاة ، ص ٢٣٠ .

(١٠) اي درس وتفقه .

العشر الأوسط [11] من رجب سنة ٥٤٨ » [12] .

(تتمـــــة)

وقال ظهير الدين البيهقي : « عين الزمان الحسن القطان المروزي ، كان من تلامــذة الأديب أبي العباس اللوكري ، وكان طبيبــا حكيما مهندســا أديباً ، له طبع في الشعر ، ولــه تصانيف منها (كيهان سياحت) في الهيأة وكتاب في العروض وكتاب (الدوحة) في الأنساب ، ورسائل في الطــب ، واكثر معالجاته يؤول الى تقليل الطعام ، وتلطيفه ، وربما ينهى المريض عن الدواء الغذائي فضلاً عن الغذاء . ومن فوائده : أم الفضائل النفســانية الحكمة ، وظئرها المزاج المعتدل ، وأبوها الاستعداد الكامن ، وابنها السعادة العظمى . وقال : الرياء أخس الأعمــال ، والاحتمال آزكى السيّر [13] .

٣ ـ الحسن بن القاســم الرازي أبو علــي

قال ياقوت : « كان لغوياً نحوياً ، لازم مجلس الصاحب ابن عبــاد وصنف المبسوط في اللغــة [14] » .

٤ ـ الحسن بن علي الباقطائي

قال ياقوت في « باقطايا » من معجم البلدان : « باقطايا ويقال باقطيا : من قرى بغداد ، على ثلاثة فراسخ من ناحية قطربل ، ينسب إليها الحسين بن علي الكاتــب الاديب ، ذكرته في معجم الأدباء » .

(تتمـــــة)

والباقطائي هذا من رواة هلال الصابي قال : « حدث أبو الحســـن علي بن هشام قال حدثني أبو عبد الله الحسن (كذا) بن علي الباقطانــي

---

(١١) كذا ورد والصواب « الوسط » جمع الوسطى ، والعشر هي الليالي .

(١٢) بغية الوعاة ، ص ٢٢٤ .

(١٣) تاريخ الحكماء للبيهقي ، طبعة دمشق ، ص ١٥٦ .

(١٤) البغية « ص ٢٢٦ » .

(كذا) [١٥] ... » . ثم قال : « وحدث أبو الحسين علي بن هشام قال سمعت أبا عبد الله الباقطائي ... [١٦] » . وقد سطا الصابي في هذا الخبر على نشوار المحاضرة للمحسن التنوخي [١٧] ؛ والباقطائي من رواة التنوخي المذكور [١٨] .

٤ آ ــ العميد ابو عبدالله الحسين بن محمد بن الحسين القمي الكاتب

هكذا ذكره كمال الدين عبدالرزاق بن أحمد الشيباني المعروف بابن الفوطي ، قال : « هو والد الأستاذ أبي الفضل بن العميد . وكان العميد يلقب بكله . وذكر أبو إسحق الصابي أن رسائل العميد لا تقصر في البلاغة عن رسائل ابنه أبي الفضل . قال ياقوت في كتابه : وعندي أن هذا الحكم من أبي اسحاق فيه حيف شديد على أبي الفضل . والقاص لا يحب القاصّ . وتقلد ديوان الرسائل لنوح بن نصر الساماني ولقب بالشيخ العميد [١٩] » ، وبنقل ابن الفوطي من كتاب ياقوت استدللنا على أن الترجمة كانت في نسخة إرشاد الأريب ، نعني معجم الأدباء .

٥ ــ زيد بن عبدالله بن رفاعة الهاشمي أبو الخير الهاشمي

قال الصلاح الصفدي : « أحد الأدباء العلماء ، كان معاصراً للصاحب بن عباد ، قال ياقوت : كان يعتقد رأي الفلاسفة ، ذكروا [٢٠] عنه أنه

---

(١٥) كتاب الوزراء طبعة دار احياء الكتب العربية بالقاهرة ، ص ٢٨٨.

(١٦) المرجع المذكور ، ص ٣٦٦ .

(١٧) راجع : نشوار المحاضرة ٨ : ٦٨ .

(١٨) النشوار ايضاً ٨ : ١١ ، ٥٤ .

(١٩) تلخيص معجم الألقاب (ج ٤ الورقة ١٨٤ من نسخة مكتبة الآثار المصورة) .

(٢٠) الذاكر الأول هو ابو حيان التوحيدي في (الامتاع والمؤانسة ٢ : ٣) ونقله من كتابه ابن القفطي في تاريخ الحكماء ، ص ٥٨ ، من الطبعة المصرية . وهو في الكتابين المذكورين ابسط من هذا واوسع منه ثم نقله من كتاب أخبار الحكماء ابن العبري في كتابه (تاريخ مختصر لدول) ، طبعة البسوعبين ببيروت ، ص ٣٠٨ .

قال : متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية حصل الكمال ، أقام بالبصرة زماناً طويلاً وصادف بها جماعة جامعة لأصناف العلم منهم أبو سليمان محمد بن مسعر البُستي ويعرف بالمقدسي وأبو الحسن علي ابن هارون الريحاني وأبو أحمد النهرجوري وغيرهم ، وصحبهم وخدمهم ، وكانت هذه الجماعة قد تآلفت بالعشرة وتصافت بالصداقة ، فوضعوا بينهم مذهباً ، وزعموا أنهم قد قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله ، والمصير الى جنته ، وقالوا : إن الشريعة قد دُنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة ، لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية ، والمصلحة الاجتهادية ، وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة علمها أو عملها وسّموها « رسائل إخوان الصفاء » وكتَمُوا أسماءهم وبثوها في الوراقين ووهبوها للناس وادَّعوا أنهم ما َفعلوا ذلك إلا ابتغاء وجه الله وطلب رضوانه ، وحملت هذه الرسائل إلى الشيخ أبي سليمان محمد بن بهرام المنطقي السجستاني فنظر فيها أياماً وتبحر فيها دهراً طويلاً وقال : تعبُوا وما أغنوا ، ونصبوا وما أجدَوا ، وحاُموا وما ورُدوا ، وغنوا وما أطربوا . ظنّوا ما لم يكن ولا يكون ولا يستطاع ، ظنّوا أنهم (يمكنهم أن) يدسُّوا الفلسفة التي هي علم النجوم والأفلاك والمقادير والمجسطي وآثار الطبيعة ، والموسيقى الذي هو معرفة علم النغم والايقاع والنقرات والأوزان ، والمنطق الذي هو اعتبار الأقوال بالاضافات والكميات والكيفيات ، وأن يطبقوا الشريعة بالفلسفة . وقد رام هذا قبلهم قوم كانوا أحد أنياباً ، وأحضر أسباباً ، وأعظم أقداراً ، فلم يتم لهم ما أرادوا ، ولا بلغوا ما أمّلوه ، وحصلوا على لوثات قبيحة ، وعواقب محزنة . الى كلام طويل من هذا الباب ... ومن تصانيف ابن رفاعة كتاب الامثال . كتاب صناعة الخط » (٢١) .

---

(٢١) الوافي بالوفيات (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٤ الورقة ١٠٢). قال الصفدي بعد ذلك : « قلت : زعم قوم أن الذي وضعها جماعة من علماء الفاطميين بمصر ، كانت توجد رسالة بعد رسالة ملقاة في جامع عمرو بن العاص . والذي أراه أنها فلسفة العوام » .

(تتمـــــة)

وقد حذف الصلاح الصفدي من كلام التوحيدي خصائص زيد بن رفاعة التي تهمّ المترجم ، وسننقلها بعد أن ننقل ما عثرنا عليه من سيرته في كتب أخرى ، قال الخطيب البغدادي :

« زيد بن رفاعة أبو الخير . حدّث ببلاد الجبال وخراسان عن أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد وأبي بكر بن الأنباري كتب الأدب ، وروى أيضاً عن أبيه عن أبي كامل الجحدري وغيره ، وكان كذاباً . حدثنا عنـه أبو بكر أحمد بن علي ابن يزداد القارئ وذكر لنا أنه سـمع منه بالدينور . أخبرنا ابن يزداد أخبرنا أبو الخير زيد بن رفاعـة الهاشمي حدثني أبـــي حدثنا أبو كامل الجحدري حدثني أبو الحسن بن فضيل قال قال رجل لعمرو بن عبيد : ياأبا عثمان إني لأرحمك مما يقول الناس فيك . قال : يا ابن أخـي أسمعتني أقول فيهم شيئاً ؟ قال : لا قال : فايّاهم فارحم . وراسله واحـد بما يكره فقال لمبلغه : قل إن الموت يجمعنا والقيامة تضمّنا والله يحكم بيننا . سمعت أبا القاسم هبة الله بن الحسن الطبري ذكر زيد بن رفاعة فقال : رأيته بالري . وأساء القول فيه . سمعت القاضي أبا القاسـم التنوخي ذكر زيد ابن رفاعة فقال : أعرفه وكان يتولى العمالة لمحمد بن عمر العلوي علـى بعض النواحي . ولم نعرفه بشيء من العلم ولا سماع الحديث ، وكان يذكـر لنا عنه أنه يذهب مذهب الفلاسفة . قلت له : أكان هاشميا ؟ فقال : معاذالله ماعرفناه بذلك قط ، أو كما قال » [٢٢] .

وذكره شمس الدين الذهبي في ميزان الاعتـدال ، وابن حجر في لسان الميزان ، جـاء فـي اللسان : « زيد بن رفاعة الهاشمي أبـو الخير معروف بوضع الحديث على فلسفة فيه . أخذ عن ابن دُريد وابن الأنباري ، قال الخطيب : كذاب ، وقال اللالكائي : رأيته بالري . قلت : له أربعون موضوعة سرقها منه ابن ودعان ، وسيأتي في (ابن عبدالله) انتهى ، وقال

---

(٢٢) تاريخ بغداد ٨ : ٤٥٠ ، ٤٥١ .

المزي في جوابه عن حال الأربعين الودعانية : كان من أجهل خلق الله بالحديث وأقلهم حياءاً وأجرأهم على الكذب ، وقد وضع عامتها على أسانيد صحاح مشهورة بين أهل الحديث يعرفها الخاص والعام فكان ذلك أبلغ في هتك ستره وبيان عواره [٢٣] » .

ثم جاء في اللسان : « زيد بن عبد الله بن مسعود الهاشمي أبو القاسم اتهم بوضع أربعين في الآداب ، قاله النباتي . قلت : هو أبو الخير بن رفاعة ، لاصحبه الله بخير . سمع منه تلك الأربعين الباطلة أبو الفتح سُلَيم بن أيوب الرازي بالري بعد الأربعمائة ... وهذا كذاب » [٢٤] .

وقال ابن الجوزي في ترجمة أبي نصر محمد بن علي بن عبيد الله بن ودعان الموصلي القاضي المتوفي سنة ٤٩٤ : « قدم بغداد سنة ٤٧٣ ومعه جزء فيه أربعون حديثاً عن عمه أبي الفتح (بن ودعان) وهي التي وضعها زيد بن رفاعة الهاشمي وجعل لها خطبة فسرقها أبو الفتح بن ودعان ... وحذف خطبتها وركب على كل حديث شيخاً إلى الشيخ الذي روى عنه ابن رفاعة » [٢٥] .

وقال أبو حيان التوحيدي : « كان زيد بن رفاعة ذا ذكاء وذهن وقاد ويقظة واتساع في الفنون من النظم والنثر والكتابة والبراعة في الحساب والحفظ لأيام الناس ومعرفة بالمقالات وتبصّر في الآراء وتصّرف في كل فن لكنه لا ينسب لمذهب لجيشانه في كل شيء ، وغليانه في كل باب وكان قد صحب المقدسي والنهرجوري والريحاني وغيرهم وهم الذين كانوا وضعوا رسائل إخوان الصفاء [٢٦] ... » .

---

(٢٣) لسان الميزان ٢ : ٥٠٦ .

(٢٤) المرجع المذكور ٢ : ٥٠٨ .

(٢٥) المنتظم ٩ : ١٢٧ .

(٢٦) الامتاع والمؤانسة ٣ : ٤ ونقله منه القفطي فى تاريخ الحكماء وابن العبري في مختصر الدول وابن حجر في لسان الميزان كما ذكرنا آنفاً .

وروى محب الدين بن النجار بسنده إلى أبي الخير أو أبي القاسم ابن رفاعة الشيرازي المذكور عن الصولي عن المبرد قال قيل لأبي شعيب العالم : مالأهل المدينة حسان الاصوات ؟ فقال : هم مثل العيدان خلت أجوافها فحسنت أصواتها [٢٧] .

ولزيد بن رفاعة هذا ذكر في كامل ابن الأثير (١٠ : ١١٤) ومعجم الأدباء (٥ : ٣٨١) وإنباه الأنباه (٣ : ١٦٩) وقد طبع له في حيدر أباد الدكن « تأريج اصلاح المنطق » لابن السكيت . والتأريج من الفعل أرّجَ وهو من مصطلحات الكتاب .

٦ ـ زيد مرزكه الموصلي :

ذكره ياقوت في غير موضعه وأشار الى أنه قد ذكره فيه قال في ترجمة علي بن دبيس النحوي الموصلي : « قرأ النحو على ابن وحشي صاحب ابن جني وأخذ عنه زيد مرزكه الموصلي وهو مذكور في بابه » [٢٨] .

(تتمــــة)

وقال السيوطي : « زيد الموصلي النحوي يعرف بمرزكه (بفتح الميم وسكون الراء وفتح الزاي وتشديد الكاف) قال الصفدي : كان نحويا شاعرا أديبا رافضيا وله يرثي الحسين :

فلولا بكاء المزن حزنا لفقده ... لما جاءنا بعد الحسين غماءُ
ولو لم يشق الليل جلبابه أسىً ... لما انجاب من بعد الحسين ظلام [٢٩]

وقال الصلاح الصفدي : « زيد مرزكه ـ بفتح الميم وسكون الراء وفتح الزاي وتشديد الكاف ـ كذا وجدته مضبوطا . موصلي من قرية من قراها ، كان نحوياً شاعراً أديباً إلا أنه كان رافضياً دجالاً ، ومن شعره الذي أبان فيه عن سوء مذهبه قوله يستطرد بأبي بكر (رضي الله عنه) :

---

(٢٧) التاريخ المجدد لمدينة السلام (جزء الظاهرية بدمشق الورقة ٣٧ .

(٢٨) معجم الأدباء ٥ : ٢٠٧ .

(٢٩) بغية الوعاة ، ص ٢٥١ .

وإذا لزمت زمامها قلقت   قلق الخلافة من أبي بكر

وقال يرثي الحسين بن علي (رضي الله عنه) من قصيدة :

فلولا بكاء المزن حزناً لفقده   لما جادنا بعدالحسين غمامُ»[٣٠]

ولا نشك في أن الصفدي اطلع على ما كتب ياقوت في سيرة الرجل •

٧ ـ عبد الله بن احمد بن علي بن هبة الله قوام الدين أبو محمد الهاشمي العباسي

قال ابن الفوطي : قوام الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن علي ابن هبة الله ابن المأمون الهاشمي البغدادي القاضي الاديب ، ذكره شهاب الدين ياقوت الحموي في كتاب معجم الأدباء وقال : اجتمعت به ببغداد سنة اثنتي عشرة وستمائة ، وسمع كتاب الجمهرة لابن دريد من أبي المعالي أحمد بن عبدالغني بن حنيفة الباجسري بروايته عن ثابت بن إبراهيم البقال عن ابن رزمة • وله أشعار حسنة فصيحة [٣١] •

وكان ياقوت قد ذكره في ترجمة أبيه « أحمد بن علي بن المأمون » قال: « سألتُ ولده أبا محمد عبد الله بن أحمد عنه فأعطاني جزءاً بخط والده وقد ضمنه ذكر نفسه وذكر ولده فنقلت منه جميع ما أذكره في هذه الترجمة إلا ما أبيّنه [٣٢] » ثم قال : « واجتمعت بولده قوام الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد وقد أفردت له ترجمة في هذا الكتاب ، فأنشدني لوالده من حفظه :

فؤاد المشوق كثير العنا   ومن كتم الوجد أبدى الضنى
وكم مدنف في الهوى بعدهم   وكانوا الأماني له والمنى

(٣٠) الوافي بالوفيات (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٤ الورقة ١٠٥) •

(٣١) تلخيص معجم الألقاب ٤ : ٤٤٨ (من نسخة مكتبة الآثار المصورة) .

(٣٢) معجم الأدباء ٢ : ٥١ (من طبعة مرغوليوث) .

لقــد خلفــوه أخــا لوعــة ‏ مــوله شــوق يعاني المنــى
ينادي من الشوق في إثرهــم ‏ إذا آده ما بــه قد منــا
بيا جســداً ناحلاً بالعــراق ‏ مقيماً وقلبــاً بــوادي منــى
تحرقـــه زفـرات الحنــين ‏ ويغدو بهن الشجى ديدنا»[٣٣]

(تتمــــة)

وقال جمال الدين محمد بن سعيد الواسطي المعروف بابن الدبيثي « عبدالله بن أحمد بن علي بن هبة الله بن المأمون أبو محمد ابن القاضـي أبي العباس بن ابي الحسن ، من أولاد الأشراف الاعيان ، والعدول المقبولين عند الحكــام . شــهد أبو محمد هذا عند قاضي القضــاة أبي الحســن علي بن أحمد بن الدامغاني في ولايته الثانية يوم الأحــد ثالث عشـر ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وخمســمائة ، وزكاه العدلان أبو المظفر أحمد ابن أحمد بن حمدي وأبو جعفر محمد بن عبدالواحد بن الصباغ . ولما توفي والده في ســنة ست وثمانين وخمسمائة ، وكان يتولى قضاء دجيل ، تولى أبو محمد ذلك وعزل عنه وأعيد إليه ، وناب ببغداد عن أقضى القضــاء أحمد بن علي بن البخاري ، وعزل عن القضاء والعدالة أجمع في صفر سنة أربع وستمائة بسبب كتب قيــل عنــه زوّرها[٣٤] ، ولــم يكــن محمود الطريقة في شهادته وقضائه ، سمع من أبي المعالي أحمد بن عبدالغنــي ابن حنيفة (الباجسري) وأبي القاسم يحيى بن ثابت بن بندار وأبي محمد

---

(٣٣) المرجع المذكور ٢ : ٥٦ .

(٣٤) قال تاج الدين بن الساعي البغدادي في حوادث ســنة « ٦٠٥ » : « وفيها أحضر العدل ابو محمد عبد الله بن المأمون قاضي دجيل الــى باب النوبي الشريف وكشف راسه عند الصخرة ودرر (اي ضرب بالدرة) ثم شهر في عمود البلد ونودي عليه (هذا جزاء مــن يزور) وكان هذا الرجل من بيت كبير معروف بالشرف والعدالة والعلــم والقضاء لكنه هدم مجد بيته بقبيح ما نسب اليه واقدامــه عليه ، اعاذنا الله من تسويل الشيطان » . (الجامــع المختصر فــي عنوان التواريخ وعيون السير ٩ : ٢٧٠) .

عبد الله بن أحمد بن الخشاب وغيرهم وروى عنهم ، سمع منه قوم من الطلبة . ومولده فيما قرأت بخط ابيه في سنة ثمان واربعين وخمسمائة » [٣٥] .

وقال شمس الدين الذهبي في وفيات سنة « ٦٢٠ هـ » : « عبدالله ابن أحمد بن علي بن هبة الله الشريف أبو محمد ابن الزوال الهاشمي العباسي البغدادي . ولد سنة ثمان وأربعين وخمسمائة . وسمع من يحيى بن ثابت وأبي المعالي الباجسرائي وأبي محمد بن الخشاب ، وهو من بيت حشمة وتقدم . توفي في ليلة عاشوراء . وقد ذب في القضاء ببغداد ثم عزل عن القضاء والعدالة بسبب تزوير ولم يكن محمود الشهادة [٣٦] » .

٨ ـ عبدالله بن احمد بن محمود ابو القاسم الكعبي

قال ياقوت في ترجمة أبي زيد أحمد بن سهل البلخي : « هذا آخر ما كتبته من كتاب أبي سهل أحمد بن عبيد الله من أخبار أبي زيد ، وما أرى أن أحداً جاء من خبر أبي زيد بأحسن مما جاء آثابه الله على اهتمامه الجنة ، وسأكتب أخبار أبي القاسم عبد الله بن أحمد الكعبي البلخي عنه في موضعه » [٣٧] .

ومما نقله ياقوت « سمعتُ أن الأمير أحمد بن سهل بن هاشم كان ببلخ وعنده أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي وأبو زيد ليلة من الليالي وفي (يد) الأمير عقد لآليء نفيسة ثمينة تتلالاء كاسمها ويتوهج نورها ، وكان (العقد) حمل إليه من بعض بلاد الهند حين افتتحت فأفرد الأمير منها عشرة أعداد وناولها أبا القاسم ، وعشرة أعداد أخر وناولها أبا زيد وقال : هذه اللآليء في غاية النفاسة فأحببت أن أشرككما

(٣٥) ذيل تاريخ بغداد (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ٨٨) .

(٣٦) تاريخ الاسلام (نسخة دار الكتب المذكورة ، ١٥٨٢ الورقة ٢٦٢) .

(٣٧) معجم الأدباء ١ : ١٥١ .

فيها ولا استبد بها دونكما ، فشكرا له ذلك ثم إن أبا القاسم وضع لآلئه بين يدي أبي زيد وقال : إن أبا زيد من هو مهتم بشأنهن فأردت أن أصرف ما برّني به الأمير إليه لينتظم في عقدهن • فقال الأمير : نعم فعلت : ورمى بالعشرة الباقية إلى أبي زيد وقال : خذها فلست في الفتوة بأقل حظاً ولا أوكس سهماً من أبي القاسم ولا تغبنن عنها فانها ابتيعت للجراية (كذا) من الفيء بثلاثين ألف درهم [٣٨] » • وقال : « لما ورد أحمد بن سهل بن هاشم المروزي بلخ واستولى على تخومها راود أبا زيد على أن يستوزره فأبى عليه واختار سلامة الأولى والعقبى فاتخذ أبا القاسم الكعبي وزيراً وأبا زيد كاتباً ، وكان أبو القاسم الوزير ، وأبو زيد من الكتّاب ، وعظم محلهما عنده وأصبحا بأرفع طرف عنده مرموقين ، وبأروى كأس من جنابه مصبوحين ومغبوقين ، وكان رزق أبي القاسم في الشهر الف درهم ورقا ولأبي زيد خمسمائة درهم ورقاً . وكان أبو القاسم يأمر الخازن بزيادة مائة درهم لأبي زيد من رزقه ونقصان مئة درهم من رزق نفسه فكان يصل الى أبي زيد ستمائة درهم والى أبي القاسم تسعمائة درهم ، وكان يأخذ لنفسه مكسرة ، ويأمر لأبي زيد بالوضح الصحاح ، فبقوا على ذلك مدة غير طويلة ، وعاشوا على جملة جميلة ، حتى فتكت بهم يد المنون [٣٩] » • ثم قال : « قرأت في كتاب البصائر لأبي حيان الفارسي (التوحيدي) من ساكني بغداد [٤٠] ••• للكعبي كتاب في التفسير يزيد حجمه على كتاب أبي زيد [٤١] » •

(تتمـــة)

وقال أبو بكر الخطيب : « عبد الله بن أحمد بن محمود أبو القاسم

(٣٨) معجم الأدباء ١ : ١٤٤ •

(٣٩) المرجع المذكور ١ : ١٤٧ •

(٤٠) قال ابو حامد القاضي : لم ار كتابا في القرآن مثل كتاب أبي زيد البلخي •••

(٤١) معجم الأدباء ١ : ١٤٢ •

البلخي ، من متكلمي المعتزلة البغداديين . صنف في الكلام كتباً كثيرة ، وأقام ببغداد مدة طويلة وانتشرت بهـا كثيرة ، ثم عاد الـى بلخ فأقام بها الـى حين وفاته . أخبرني القاضي أبو عبد الله الصيمري (حدثنـا) أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال : كانت بيننا وبين أبي القـاسم البلخي صداقـة قديمة وكيدة ، وكان إذا ورد مدينة السلام قصد أبي وكثر عنده (كذا) وإذا رجع إلى بلده لم تنقطع كتبه عنا ، وتوفي أبو القاسم ببلخ في أول شعبان سنة تسع عشرة وثلاثمائة [٤٢] » .

وقال أبو سـعد بن السـمعاني في « الكعبي » مـن الأنسـاب : « وأبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي ـ رأس المعتزلة ورئيسهم ، ذكره أبو العباس المستغفري في تاريخ نسف وقال : دخـل نسف في أيام رئاسة أبي عثمان سعيد بن إبراهيم ، ونزل رباط الجوبـق (لعلـه جوبق) وعقـد له مجلس الاملاء . روى عنـه محمد بن زكريا ابن الحسين النسفي ولولا أن ذكره لما كان مـن حقـه أن يذكـر فـي كتابي هذا لتصلبه في الجهم والاعتزال ولأنه كان داعيـة ضلالة أكـره الرواية عنه وعن امثاله . وذكر المستغفري أن أبا يعلى بن خلف امتنع من زيارته لما دخل عليه الكعبي مسلماً وزائراً ولم يقم له ابو يعلى ولا كلمـه ، والفرقة الكعبية ينتمون اليه (الى أبي القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الذي قدم ذكره) وهم جماعة مـن المعتزلة ، وكـان يزعم أن ليـس لله ـ عز وجل ـ إرادة وزعمت (الكعبية) أن جميع أفعاله واقعـة منـه بغير إرادة ولا مشيأة منه لها ، وقد كفرت المعتزلة قبل الكعبية بقولها إن الشرور واقعة من العباد بخلاف إرادة الله ـ عز وجـل ـ ومشيأتـه ، مع قولهم بأن أفعاله التي ليست بارادة واقعة بمشيأته ، فزاد أبو القاسم الكعبي عليهم في هذا الكفر فزعم أن ليس لله ـ عز وجل ـ إرادة ولا مشيأة علـى الحقيقة » .

---

(٤٢) تاريخ بغداد ٩ : ٣٨٤ .

وقال ابن حجر في لسان الميزان : « عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي أبو القاسم الكعبي ، من كبار المعتزلة ، وله تصنيف في الطعن على المحدثين يدل على كثرة اطلاعه وتعصبه ... وذكر المصنف في تاريخ الاسلام أنه كان داعية الى الاعتزال ... واشتمل كتابه في المحدثين على الغض من أكابرهم وتتبع مثالبهم سواء آكان ذلك عن صحة أم لا ، وسواء أكان ذلك قادحاً أم غير قادح حتى إنه سرد كتاب الكرابيسي في المدلسين فأفاد أن التدليس بأنواعه عيب عظيم : وحسبك ممن يذكر شعبة فيمن يعد كثير الخطأ ، عقد باباً أورد فيه ما يرويه مما ليس له معنى بزعمه وباباً فيما يرويه متناقضاً لسوء فهمه .. وقال ابن النديم في الفهرست : اليه تنسب الطائفة البلخية : أخذ الكلام عن أبي الحسين الخياط ... وقيل إنه كان يكتب لبعض القواد فقبض على القائد فأخذ الكعبي فاعتل حتى تخلّصه الوزير علي بن عيسى بن الجراح ... ونقل عن أبي سعيد الاصطخري قال : ما رأيت أجدل من الكعبي ... توفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة [٤٣] » .

وله ترجمة في المنتظم (٦ : ٢٣٨) والوفيات (١ : ٢٧٣) وشذرات الذهب (٣ : ٢٨١) وغيرهن .

٩ ـ عبد الله وقيل عبدالباقي بن محمد بن ناقيا البغدادي :

قال ياقوت في ترجمة أبي الحسن علي بن سليمان البغدادي الأديب : « قرأت بخط أبي سعد قال : ذكر أبو المظفر محمد بن العباس الأبيوردي في كتاب تعلة المشتاق من تصنيفه قال فيه : وقد صممت العزم على معاودة الحضرة الرضوية بخراسان ... وعلم الاديب أبو الحسن علي ابن سليمان ضري عزمي فجشم إليّ قدمه ... ومن مليح ما أسمعنيه أنه قال سألنا أبا القاسم عبد العزيز بن أحمد بن ناقيا البغدادي ... قلتُ هكذا قال عبد العزيز وصوابه عبد الله ، ذكرناه في بابه من هذا

(٤٣) لسان الميزان ٣ : ٢٥٥ .

الكتاب » (٤٤) .

وكان ياقوت نفسه قد قال في ترجمة أحمد بن يوسف بن صبيح الكاتب : « حدث أبو القاسم عبدالله بن محمد بن ناقيا (٤٥) الكاتب في كتاب ملح الممالحة » (٤٦) .

(تتمـــة)

قال ابن الدبيثي في ترجمته :

« عبد الله بن محمد بن الحسن بن ناقيا أبو القاسم الأديب الشاعر ، كان فاضلاً له ترسل حسن وشعر جيد ومقامات وغير ذلك من التصانيف الأدبية . ذكره تاج الاسلام أبو سعد بن السمعاني في تاريخه فيمن اسمه عبدالباقي ، فقال : عبدالباقي بن محمد بن الحسن بن ناقيا أبو القاسم الشاعر ، من أهل الحريم الطاهري (٤٧) ؛ سهواً منه . هكذا سماه جماعة ممن لقيه وسمع منه وروى عنه من الحفاظ المتقنين ، والاثبات المحققين ، كأبي علي أحمد بن محمد البرداني وأبي الفضل محمد بن ناصر السلامي وغيرهما . أخبرنا القاضي أبو طالب محمد بن علي بن أحمد الواسطي (الكتاني) قراءة عليه وأنا أسمع قيل له أنشدكم أبو علي أحمد ابن محمد بن أحمد البرداني فيما كتبه إليكم بخطه قال أنشدني أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين بن ناقيا البندار لنفسه :

أخلاي ماصاحبت في العيش لذةً   ولا زال عن قلبي حنين التذكر

(٤٤) معجم الأدباء ٥ : ٢١٨

(٤٥) في طبعة مرغوليوث الاولى ٢ : ١٦٢ (باقيا) وقال في الحاشية « في كشف الظنون ابن ماميا » . والصواب ماذكرناه وهو الذي ضبطه ابن خلكان في الوفيات (١ : ٢٨٨) ثم الصفدي في الوافي بالوفيات

(٤٦) معجم الأدباء ٢ : ١٦٢ .

(٤٧) في الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١ : ٢٨٣) : من اهل شارع دار الرقيق . وهو في الحريم الطاهري .

ولا طاب لي طعم الرقاد ولا اجتنت لحاظي مُذ فارقتكم حسن منظر
ولا عبثت كفي بكأسٍ مُدامة يطوف بها الساقي ولا حسٌ مزهر

هكذا سماه أبو علي في روايته عنه لهذه الأبيات وفي غيرها ، وفي ذكر وفاته ، أنبأنا محمد بن علي (الواسطي الكتاني) المحتسب قال كتب إلينا أحمد بن محمد الحافظ ــ يعني أبا علي البرداني ــ يذكر لنا أن أبا القاسم عبد الله بن محمد بن ناقيا توفي ليلة الأحد رابع محرم سنة خمس وثمانين وأربعمائة ودفن بباب الشام . ومولده في ذي القعدة سنة عشر وأربعمائة ، وله شعر ورسائل » [٤٨] .

وقال الصفدي : « عبد الله بن محمد بن الحسين بن ناقيا بن داود أبو القاسم بن أبي الفتح الحنفي الشاعر المعروف بابن البندار البغدادي . قال محب الدين الأنماطي [٤٩] ابن النجار : هكذا رأيت اسمه بخط يده ورأيت بخط عبد الوهاب الأنماطي اسمه عبدالباقي ــ ويأتي ذكره في عبد الباقي » [٥٠] ثم قال : « عبدالباقي بن محمد بن الحسين بن داود ابن ناقيا (بالنون وبعد الألف قاف وياء آخر الحروف) أبو القاسم الحريمي البغدادي الشاعر صنف عدة كتب منها تفسير فصيح ثعلب واختصر الأغاني وغير ذلك وله ملح الملح [٥١] وأغاني المحدثين وملح المكاتب ، ويذهب الى رأي الأوائل وله مقالة في التعطيل ، توفي سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، وكان يعرف بابن البندار ، وله مقامات أدبية إلا أنه كان

---

(٤٨) ذيل تاريخ بغداد (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ٩٨) .

(٤٩) كذا جاء ولم يعرف بهذا النسب وانما سبق الناسخ فأخذه من السطر الثاني .

(٥٠) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٨٩ » .

(٥١) قدمنا انه ملح الممالحة وكذلك هو في الوفيات .

مطعوناً عليه في دينه وعقيدته وكان كثير الهزل والمجون . سمع من عبدالرحمن بن عبيد الله المخرمي ومحمد بن علي العشاري وأبي القاسم علي بن المحسن التنوخي وغيرهم وروى عن جماعة من الشعراء كأبي الخطاب الجبّلي وأبي القاسم المطرز وغيرهما ، ومن شعره وهو مريض :

نمضي كما مضت القبائل قبلنا | لسنا بأول من دعاه الداعي
تبقى النجوم دوائراً أفلاكها | والأرض فيها كل يوم ناعي
وزخارف الدنيا يجوز خداعها | أبداً على الأبصار والأسماع

... وكان يقول : في السماء نهر من خمر ونهر من لبن ونهر من عسل لاينقط منه شيء وينقط هذا الذي يخرّب البيوت ويهدم السقوف . وكانت بينه وبين ابن الشبل منافرة ، ومباعدة شائعة ظاهرة ، فقال أبو الحسن علي بن أحمد بن الدهان أنشدته يوماً لابن الشبل :

وما أسجد الله الملائك كلهم | لآدم إلا أن في نسله مثلي
ولو أن إبليساً درى خرّ ساجداً | لآدم من قبل الملائك من أجلي
فيا رب إبراهيم لم أوت فضله | ولا فضل موسى والنبي على الرسل
فلِمْ لي وحدي ألف فرعون في الورى | ولي ألف نمرود وألف أبي جهل

فلما سمعها قال : أشهد بين يدي الله انه ما أخرج آدم من الجنة إلا أنه كان في ظهره ، ثم قال : امضِ اليه فأنشده :

فكونك في الظهر من آدم | بشؤمك أهبطه إذ عصى
ولو كان آدم ذا خبرةٍ | بأنك من نسله لاختصى

وقيل له : ألم تكن قرأت على الشيخ ابن الشبل ؟ قال : بلى وإلا من أين اكتسبت هذه البلادة التي فيّ ؟ ! فبلغ ذلك ابن الشبل فقال :

فقل ما شئت إن الحلم رأيي | وشأني الخير إن حاولت شرّا
فأنت أقل أن تلقى بذم | مجاهرة وأن تُغتابَ سِرا

... وقال أبو الحسن علي بن أحمد بن الدهان : دخلت على ابن ناقيا

بعد موته لا غسله فوجدت يده اليسرى مضمومة فاجتهدت حتى فتحتها وفيها كتابة بعضها على بعض فتمهلت حتى قرآتها فاذا فيها مكتوب :

نزلت بجار لا يخيب ضيفه ... أرجي نجاتي من عذاب جهنم
وإني على خوفي من الله واثق ... بانعامه والله أكرم منعم » (٥٢)

وقال ابن الفوطي في ترجمة الأمير أبي الحارث مُهارش بن علي بن المجلي العقيلي : « ومدحه أبو القاسم بن ناقيا بقصيدة غراء منها :

أسفر الحق عن ضلال بهيم ... وقضى السيف دين كل غريم

منها

أصبح الدهر منك في حلل السعـ ... ـد وعهد الايام غير ذميم
فخر الملك بالأمير فما يعـ ... ـرب إلا عن رأيه المستقيم
وأنارت برأيه دولة القا ... ئم بعد الظنون والترجيم
أنت جلّيتهنّ يا ابن المجلي ... كُرَباً آذنت بأمر جسيم (٥٣)

وقال الذهبي في وفيات سنة « ٤٨٥ » : « عبد الباقي بن محمد ابن الحسين بن داود بن ناقيا أبو القاسم الحريمي البغدادي ، شاعر مجود ، صنف عدة كتب منها تفسير فصيح ثعلب ، والأغاني إلا آنه كان مغتراً ثلاّبة يطعن على الشريعة ويذهب الى رأي الأوائل وله مقالة في التعطيل ، وكان كثير المجون والهزل سمع أبا القاسم الخرقي . ترجمه السمعاني وقال : روى لنا عنه ابن السمرقندي وعبدالوهاب الانماطي وأبو الفضل بن ناصر ، وسألتُ عبد الوهاب عنه فقال : ما كان يصلي وكان يقول : في السماء نهر من خمر ونهر من لبن ونهر من عسل لا ينقط منه شيء بل ينقط هذا الذي يخرّب البيوت ويهدم السقوف . مات

---

(٥٢) المرجع المذكور « الورقة ١٢٠ » .

(٥٣) تلخيص معجم الألقاب ٤ : ٣٥٨ (من نسخة الآثار المصورة) .

في المحرم وله خمس وسبعون سنة » . [٥٤] .

وقد نقل ابن فضل الله العمري من كتاب ابن ناقيا في الأغاني قال في ذكر المغنين وأصحاب الموسيقى : ومنهم اسرائيل العواد ذكره ابن ناقيا في غير موضع من كتابه المسمى بالمحدث في الأغاني ... » [٥٥]

هذا ما وجدناه في المخطوطات من سيرته وقد أحلنا في الحواشي على مظان سيرته من المطبوعات كالوفيات والجواهر المضيئة . وله ترجمة في المنتظم (٩ : ٦٨) ولسان الميزان (٣ : ٣٨٤) والبغية (ص ٢٩٢) ومما ذكره له ابن خلكان من الكتب « الجمان في تشبيهات القرآن » * . وقد طبع مقاماته بعض المستشرقين بأوربة .

١٠ـ عبد الله بن محمد أبو محمد الايجي :

قال ياقوت : « إيج بالجيم : بلدة كثيرة البساتين والخيرات في أقصى بلاد فارس ... وأهل فارس يسمونها إيك ، منها أبو محمد عبد الله بن محمد الايجي النحوي الأديب صاحب ابن دريد ، روى عن ابن دريد الكثير » [٥٦] فوصف ياقوت إياه بالنحوي الأديب ينفي أن يكون أهمله في معجم الأدباء .

١١ ـ عبدالله بن محمد بن السيد ابو محمد البطليوسي

قال ياقوت « بَطَلْيوس بفتحتين وسكون اللام وياء مضمومة وسين مهملة : مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربي

---

(٥٤) مختصر تاريخ الاسلام (نسخة الأوقاف ببغداد ٥٨٩١ الورقة ١٣٨) .

(٥٥) مسالك الابصار في ممالك الامصار (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٨٧٠ الورقة ١٢٦) .

* وقد صدر بين مطبوعات وزارة الاعلام ـ بغداد ، بتحقيق الدكتور احمد مطلوب .

(٥٦) معجم البلدان في (ايج) ونقله منه ابن مكتوم في تذكرته ونقله السيوطي من التذكرة في «بغية الوعاة ص ٢٩٠» ولم يشر ابن مكتوم الى الأصل .

قرطبة ولها عمل واسع يذكر في مواضعه • ينسب إليها خلق كثير منهم أبو محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي النحوي اللغوي صاحب التصانيف والشعر مات في سنة ٥٢١ » [٥٧] •

١٢ ـ عبدالله بن محمد بن علي بن الحسن عين القضاة أبو المعالي الميانجي

نسبة إلى « ميانة » قال ياقوت : « ميانة بكسر أوله وقد يفتح وبعد الألف نون ، والنسبة اليه ميانجي كالذي قبله وهو بلد بأذربيجان ، معناه بالفارسية « الوسط » وإنما سمي بذلك لأنه متوسط بين مراغة وتبريز ، وأنا رأيتها وهو منها مثل زاوية إحدى المثلثات (كذا) ، وقد نسب اليها القاضي أبو الحسن علي بن الحسن الميانجي قاضي همذان استشهد بها (رحمه الله) وولده أبو بكر محمد وولده (عين القضاة عبد الله بن محمد) كان له فضل وفقه ، وكان بليغاً شاعراً متكلماً ، تمالأ عليه أعداء له فقتل صبراً ، كما ذكر في كتابنا : أخبار الأدباء » [٥٨] .

(تتمة)

وقال ابن الفوطي : « عين القضاة أبو المعالي عبد الله بن محمد بن علي العلامة الميانجي الصوفي الفقيه الحكيم ، وذكره الامام أبو الحسن البيهقي [٥٩] وقال : هو من تلاميذ صدر المشايخ محمد بن حمُّويه والامام أبي الفتوح أحمد بن محمد الغزالي ، وكان يضرب به المثل في الذكاء ، وكان من تلاميذ عمر الخيامي وخلط كلام الحكماء بكلام الصوفية ، ومولده سنة تسعين وأربعمائة ، وكان فقيهاً أديباً يميل الى الصوفية ، وصنف في فنون العلوم ، وكان حسن الكلام ، وكان الناس يعتقدون فيه ويتبركون به ، وظهر له القبول التام بين الخاص والعام حتى

---

(٥٧) معجم البلدان في « بطليوس » . وله ترجمة في الوفيات (١ : ٢٨٧) وقلائد العقيان وبغية الوعاة وغيرهن .

(٥٨) معجم البلدان في : « ميانة » .

(٥٩) في المطبوع من تأريخ الحكماء للبيهقي (ص ١٢٦) أخصر مما ذكره ابن الفوطي .

حسدوه وأطلقوا ألسنتهم فيه ، وقصده أبو القاسم الوزير الدركزيني ، وعقد عليه محضراً وحمله الى بغداد مقيدا وصُلب بهمذان في اليوم السابع من جمادي الآخرة سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، وقبرُه يزار بها ولما دخلتُ همذان أقمتُ بها ... » .[٦٠]

وفي آخر ترجمته من كتاب البيهقي أقوال له في الحكمة والتصوف، وقد طبع رسالة الشكوى التي ألّفها في السجن بعض العلماء المسلمين وقد ذكرنا ذلك في أول البحث . وله ترجمة في طبقات الشافعية (٤ : ٢٣٦) وغيرها .

١٣ ـ عبدالله بن محمد بن علي الخوارزمي ثم الزاوطي ابو القاسم الملقب بالكامل

قال ابن الفوطي : « الكامل أبو القاسم عبد الله بن محمد بن علي الخوارزمي الزاوطي الأديب ، ذكره ياقوت الحموي في كتاب معجم الأدباء وقال : أصله خوارزمي ، وهو من أهل زاوطا [٦١] في بلاد واسط ، ولد بها وقرأ الأدب على أبيه وعلى أبي سعد أحمد بن علي بن الموصلية ، وحدث بواسط سنة خمسمائة ، وقدم بغداد سنة عشر وخمسمائة وروى بها شيئاً من شعره وتصانيفه ، وكان معاصراً لأبي محمد الحريري صاحب المقامات ، وكان عنده قوة في البلاغة فاخترع أن عمل كتاباً وسماه (الرِحل) وهي ست عشرة رحلة وله أشعار غير ما أورده وأودعه في كتاب الرِحل » .[٦٢]

(تتمة)

وقال ابن الدبيثي : « عبد الله بن محمد بن علي بن محمد أبو القاسم

---

(٦٠) تلخيص معجم الألقاب : ٤ . ٢٤٠ .

(٦١) في معجم البلدان : « زاوطا بعد الواو المفتوحة طاء مهملة مقصورة : لفظة نبطية : وهي بليدة قرب الطيب بين واسط والبصرة ... وربما قيل زاوطة » وفيه ايضا « وقد نسب اليها قوم من الرواة » .

(٦٢) تلخيص معجم الألقاب ، ج٥ ، الترجمة ٨٨ من الكاف (طبعة لاهور) .

ابن أبي عبدالله الأديب ، يعرف بابن الخوارزمي . من أهل زاوطا . إحدى بلاد البطائح . قدم والده من خوارزم العراق وسكن هذه الناحية ، وولد ابنه عبد الله هذا بها ، وطلب العلم وقرأ الأدب على أبيه وغيره وسمع منه الحديث ومن سعيد بن الموصلية وغيرهما . وحدث بواسط في سنة خمسمائة ، وقدم بغداد في سنة عشر وخمسمائة وروى بها شيئاً من شعره وتصانيفه . سمع منه بها أبو عبدالله الحسين ابن محمد بن خسرو البلخي البزاز فيما قرأت بخطه . أنشدني أبو القاسم إقبال بن علي بن أحمد المقرئ قال أنشدني أبو العلاء محمد بن محمد ابن التقي العلوي قال أنشدني أبو القاسم عبدالله بن محمد الخوارزمي لنفسه :

ربّ ليل فريت فروته أحـ	ـد به وهو بارد بارد
على سناد سناد كلكلها عنـ	ـد الونى مثل ساعد ساعد
ما افتقرت المطي مفتقراً عسـ	ـري وما كل واجد واجد
إن تنكري ياقتيل قتلك لي فـ	ـاي على ذاك شاهد شاهد (كذا)
تغيير لوني وليّتي شهدا أ	ن الذي طلّ عامدي عامد (كذا)
أقول إذ زارني وودعني	قل لي متى أنت عائد عائد (كذا)

عاد أبو القاسم بن الخوارزمي إلى بلده بعد قدومه بغداد وتوفي بعد ذلك بيسير والله أعلم [٦٣] .

وقال العماد الاصفهاني الكاتب : « الكامل أبو القاسم عبد الله بن محمد بن علي الخوارزمي ، من أهل زاوطا ، كان من أضراب الحريري ومعاصريه ، وهو ذو الفضل الشائع ، والمنطق الرائع ، وكما للحريري (المقامات) فله (الرّحَل) : بنى كل رحلة منها على حادثة تمتّ ، ونادرة اتفقت له أو لوالده ، وأودعها من غرائب الاستعارات ، وبديع

---

(٦٣) ذيل تاريخ بغداد (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ٩٨) .

الألفاظ وأبكار المعاني كل مارق وراق ، وشاق القلوب وفاق ، وله الفصول البديعة التي أنشأها مواعظ فصيحة الألفاظ ، جزلة الكلام ، جزيلة الجدوى ، وله رسائل غريبة ، ومصنفات عجيبة ، وسأورد منها لمعاً ، فمن منظومه ما أنشدنيه أبو نصر بن حامد الزكوي بالزكيّة (٦٤) للكامل الخوارزمي :

أطاع الهوى فاستبعدته المطامع ... ومالت به نحو الحبيب النوازع
وكان تمادي البعد أنساه وجده ... فهيج ذكراه الحمام السواجع
نوائحُ يبكي شجوُها كل سامع ... لهن وإن لم تجر منها المدامع
كتمتُ الهوى ما اسطعت فازداد كثرة ... بقلبي حتى لم تسَعه الأضالع
فوا كبدي مالي أحن إلى الصِّبا ... وهيهات ما عهد الصِّبا لي راجع
وإن أكُ قد ناهزتُ سبعين حجة ... فقلبي في طبع الصبابة يافع
يغيّرُ مرُّ الدهر أجسام أهله ... وتبقى على حالاتهن الطبائع

وأهدى إليّ صدقة بن الحجاج مقدم « زاوطا » كتاب (الرحَل والفصول) بخط الكامل الخوارزمي ، فطالعتها وانتخبت من خطه ما أوردت منه ، فمن شعره الذي أودعه (الرحل) قوله في الرحلة المكيّة ، يصف كل نوع من الحجيج ويذمّهم ويمدح أهل العراق ، فمن ذلك ذمّ اليمني :

ما شاهدت عيني ولا أبصرت ... في محفِل كان ولا موسِم
فتىً يمانياً وفي كفّه ... بريق دينار ولا درهم

ومما مدح به وفد العراق :

أكرم بهم وفداً يطيب بنشرهم ... ظهران مكة كلّها والأبطحُ
ما مثلهم أحلى ندىً وشمائلاً ... غُرٌّ واعطى للجميل واسمحُ

---

(٦٤) قال ياقوت : زكية بفتح أوله وكسر ثانيه وتشديد ياء النسبة ... قرية جامعة من أعمال البصرة ، بينها وبين واسط ، وقد نسب اليها نفر من أهل العلم عدادهم في البصريين عن الحازمي » .

بهم أباهي كل من وافى منىً في عصرنا ولهم أود وأنصح
لم أعط إلا كل قوم حقهم (٦٥) ونصيبهم ممن أذم وأمدح (٦٦)

وله أيضاً في هذه الرحلة مقيماً عذره فيما قال :

لاتلم قائلاً على ما بدا منـ ـه وسله يخبرك فيه بعذره
فلسان الفتى يجمجم في القو ل ومحض التحقيق باطن صدره

وفيها قوله :

أطوّف ما أطوف ثم آتي إلى بيت كبيت العنكبوت
تضاوى فيه أطفال جياع يزجّون الشتاء بغير قوت

وفيها له :

وقد يخطيء الرأي المجرّب ذو الحجى ويدركه الفدم الغبيّ المغفّل
وقد تسلب المرء الحوادث عقله فيسهو عن الرأي السديد ويذهل

وقوله :

بالغ بجهدك واحتيالك فعسى تحصّل رأس مالك

وقوله :

الحمد لله شكرا مبدل العسر يسرا
من بعد طول إياسي أغنى وأقنى وأثرى
فلست من بعد هذا أخشى يد الدهر فقراً

وقوله في رحلة أخرى :

عيناء كالريم إذا ما رنت بيضاء كالشمس دنت للشروق
وهي كنميض الروح قرباً فأن حاولتها فهي كبيض الأنوق

---

(٦٥) الوجه : « لم اعط كل قوم الا حقهم » .

(٦٦) الوجه : « ممن اذم وممن امدح » .

وقولــه :

آواصــلتي أيام غصني ناضــر ... وفوداي سوداوان (٦٧) يا أم مالك
وهاجرتي ان شاب رأسي وأنعست ... منابت مسود من الرأس حالــك
كأن لــست ذاك الشخص إذ أنا روضة ... تكنفنــا أدم الظباء الحوانــك

وقوله :

مــن كــل أزهــر وجهــه ... بدر وحشو ثيــابه نمرُ (كذا)

وله يصف صلاح حاله في أوبة من سفرة :

وعدنا كأن الدهر لم يكُ مسَّنا ... ببؤسٍ ومازلنا من الدهر في نُعمى
وصرنا إلى حال من العيش غضة ... وأخصب وادينا وكُشفت الغُمّى
كذا الدهر كرار بخير على الفتى ... وشر فلا حرباً (٦٨) بدوم ولا سلما

وقوله في أخرى :

غُذيت بدَرِّ الهول في المهد مرضعاً ... وها أنذا فــي وكــره أتــدرَّجُ
ولوج خَروج عنــد كل ملمــة ... إذا لم يكن منها لذي اللبّ مخرجُ
وأقــدم إقــدام المقــرّ بأنــه ... إذا نزل المقــدور لا يتعــرَّج

وله يصف خصباً بعد جدب :

وأخصــبت أرضنا وولّــى ... ما كــان فيها مــن الجــدوبِ
واعتذر الــدهر فيــه ممــا ... جنت علينــا يدُ الخــطوب
مــن كــل خير وكــل شــر ... أخــذت مســتوفر النصــيبِ
فالحمــد لله كــم كــروب ... فرَّجهــا الله عــن قريــب

وقوله في أخرى :

ولربما أهــدى الســبيل لنــا ... شبح يضــيء بنوره الأفــق

---

(٦٧) الصواب « اسودان » لأن الفود مذكر .

(٦٨) حــال من الدهــر .

وقوله :

لا تغترر بظاهر المقالِ وكُن لحسن القال غير قالي
فكم عدوّ ظاهر الضلال يخفي الضلال منه في الظلال

وقوله :

نقبت في العلم عن النقيبهْ حتى اتى بالنكت العجيبه
نجيب حق جاء بالنجيبة وحبه من دينه حبيبه (كذا)

وله من أخرى يصف نظره إلى طعام لا يصل إليه :

إذا ما الضرس ناب الطرف عنه فيا طول البلاء على المِعاءِ
وإن ُهودام ذاك على اتصال لحيٍّ فالسلام على البقاءِ

وقوله :

يجلّي كما يجلى العقاب بلحظه إذا ما رأى صيداً أسف وأنشب

وقوله في مدح بغداد :

وأين كبغداد وأين كأهلها لطالب عرف أو لعرف وعرفان ؟

وقوله

قد دفعنا إلى زمان خبيث ليس فيه لمقتر من مغيث
فأخو الجهل لست أظفر منه في سؤالي إلا بصفع حثيث
وأخو العلم إن سألت بشعري أو بعلمي أجاب غير مريث
عارضا شعري المديح بشعر وحديثي مناقضاً بحديث
ضاع في ذا الزمان نحوُ الكسائيّ ووعظ البصريْ وشعر البعيث
أيها النفس عاش فيك يد الدهـ ـر على ما أراه منه فعيثي

ومن أخرى :

وفي الأحاديث إذا ما جرت مكشفة للسرء عن حاله

وقولــــه :

لا تغرّنك الظواهر في المــر ء ولكن فابطنه يعلمك عقلــه

وإذا ما وردت خـلاً جميــلاً حسناً ظاهراً فأخبره تقلــه (٦٩)

ومن أخرى :

وكيف وحاجتي في قرن شمس تدلت للغروب برأي عــين ؟

متى ضجّعت في طلب وغابت رجعت وفي يدي خفّا حنيــن

وقوله :

ومــن فجأ الأمور بغــير حزم ولا رأي تورّط في المهالــك

ومن سلك الفجــاج بلا خفــير دعته إلى متالفهــا المســالــك

وقوله يصف لصوصاً وقعوا عليه :

كمثل السعالي في فلاة تبادرت وحيداً أضلّته فجاج مهاويهــا

وأذؤب قفر صادفت في قــرارة من الأرض ليلاً أعنزاً نام راعيها

وقال بعد نثر منه « وأقبلوا عليّ وخزاً وهمزاً ونهزاً » :

كأنــني بُســـرة يغرّزهـــا بالشـــوك مســـتعجل يرطّبهـــا

أو مثـــل أضحيـــة تبادرهـــا عنـــد المصّلى الرجال تضربها

وقوله :

فأن يفعل فأشــأم من بسوسٍ على نصر وأنحسُ مـــن قدار

وأكفر في الخليقة مـــن سنان ومن شمس وأجهلُ مــن حمار

وقوله :

ومتى جحدتُك نعمة وقعدتُ عن حُســـنى مكافأة لدى إمكانها

فاعلــم بأني لــم تلدني حُــرّة مضرية غذيت بمحض لبانهـــا

ومن أخرى يصف خلاصاً من شدة :

---

(٦٩) تضمين للمثل المشــهور « اخبر تقله » .

كأننا الطير من الأقفاص ناجية من شبك القناص
طيبة الأنفس بالخلاص منفضات الريش والقناص (كذا) *

وقوله :

ترى كل مرهوب العمامة لاثها ** على وجه بدر تحته قلب ضيغم

وقوله في مدح أديب :

داك الذي لو عاش قسٌّ إلى زمانه ذا وابن صوحان
وابن دريد وأبو حاتم وسيبويه وابن سعدان
وعامرُ الشعبيُّ وابن العلا وابن كريز وابن صفوان
قالوا له كلّهم : إنه سيدنا أو قال : غلماني

وقال في رجل انكسرت سوقه وقلّ قبوله :

وكان كمثل البوّ ما بين أرؤم يلوذ بحقويه السَّراة الأكاسرُ
فأصبح مثل الأجرب الجلد مفرداً طريداً فما تأوي إليه الأباعر

وقوله

ويجهل قدر السيف والسيف مغمد ويعرف قدراً حين يفري ويقطع
ورب جواد يُزدرى وهو قائم ويسبق فُرّاطَ القطا حين يسرع

وقوله :

تخدّد الخد الذي فوقها فهو عليها وهو فوق التراب

ومن نثره في الرحل :

---

* ذكر الدكتور مصطفى جواد هذا البيت في الصفحة (١٨١) على الوجه التالي :

طيبة الأنفس بالخلاص منفضات الريش والنواصي

** وردت بصورة (لاثما) في الصفحة ١٨١ .

« أقبلت أفواج الحجاج ، وقدمت وفود الرفاق من الآفاق ، المصري إذا حدّث قحف ، وإذا أخذ أجحف ، وان خاطبك أسهاك ، وان عاملك دهاك ، لا يزيدك في الدرة على الذرة ، ولا يبذل لك في الجبة أكثر من حبة ، والمغربي يملأ وعاءه ، ويخلي معاءه ، ويحفظ ذهبه ، ويطيل سغبه ، تروقك من الشأمي قامته ، وتروعك هامته ، وتعجبك عمامته ، وإذا سمته حبة قامت قيامته ، لا يستنكف ذو العقل ، أن يماحك في شرى البقل ، ولا يأنف الشريف أن يستزيد الطاقة على الباقة » .

في صفة فقير : « قليل المثال ، سيء الحال ، أشعث السربال كالغربال ، كثير العيال كالرئال ، أسعى من دولاب ، وأعرى من اصطرلاب ، وأرذل من شعاب ، وأذل من حمال ، واقفر من جناب أبي شمال ، وأخيب من حنين ، وأحقر من طنين ، صبيته كالفراخ ، على رمض السباخ ، فقلت له : خذ طريقك ، فلن يخالط ريقك » .

ومنه : « بصُرت بانسان ، من أهل خراسان ، مديد القامة ، واسع الهامة ، مثل الغمامة ، يزف زفيف النعامة ، برأس كالجلمود ، وجبهة كجباه الاسود ، اخرج هميانا كالطفل المقموط ، والخشف المسموط ، فتركه فاتكاه (كذا) وحل ُعقدَه ووِكاه ، وأدخل فيه كفاً كرفش الشعير ، أو كخف البعير ، وأخرجها مملوءة من الذهب ، الأحمر كاللهب ، من الحُمر المدوّرة ، والمغربية المغبّرة ، والقاشانية المجعفرة ، والغزية المسطّرة ، والسابورية المغّيرة ، وقال : هذا مقدار حقك ، ومقدور رزقك » .

ومنه : « أشهر من الطود ، وأندى من الجود ، وأصلب من العود ، وأكرم من البحر إذا زخر ، وأشجع من الليث إذا فغر ، وأجمل من البدر إذا سفر ، شح قحم ، أسود كالفحم » .

ومن أخرى : « فلما استمر بنا السير واستدر ، واشتد الوقت حراً واسمدرّ ، وخفت المزاود ، وصرّت الجداجد ، وقلّ المناجد ، وشح

المساجد ، واستغاث الظماء ، وتوقدت السماء ، وصرع الناس الاغماء ، وليت وللكبد غلية ، وللمنية ولية ، فتبعت الروايا أتلمس مناطفهـا ، وأتطلب مواكفها ، فاحتكت إحدى الروايا من المطايا ، بغصن من سَلَم[1] كالجلَم ، قد انكسر منقـداً ، وأبقى رأسه محتداً ، فقدّها قد الشفرة ، وفتحها فتح السفرة ، فرويت واكتفيت ، وتزودت واستقيت ، وملاءت القربة ، وقضيت الاربة » .

ومن أخرى يصف سفينة : « خرج بي أبي وأنا ابن سبع : كقدح من نبع ، فطلب كريماً يستجديه ، وخرقاً على الدهر يستعديه فاحتملنا على ورقاء مجوّفة معطفة ، سفواء محرّفة ، أضلاعها بادية ، ظـواهرها رواء وبواطنها صادية ، لها أرجل ذات حوافر جوافر ، مخنقات وسوافر ، برأس كمنقار ، وجلّ من قار ، تزحف على أرض كالزجاج ، أو ثـوب ديباج ، وطريق رّجاج ، ومدرج مدراج ، ليس لأرجلها آثار ، ولا لخطوها عثار ، ولا لمرهـا عثيار (كذا) ، تميس ميس العروس ، على مثل بطن الطروس :

تلاعب نينان البحور وربما	رأيت نفوس القوم من جريها تجري

ومن أخرى : « نضبت ببلادنا المياه ، وعطلت الأرفاه ، واحتبس القطر ، وذهب من المال الشطر ، وغلت الأسعار ، واشتد الامعار ، وفشا الاسفار ، فلا زرع يُروى ، ولا ضرع يُمرى ، وحمدت الأيدي على النوال ، وأذيلت الأوجه المصونة بالسؤال ، فخرج أبي ينتجع ذاكرم يأوي إلى مغانيه ، وذا يسار يعينه ويغنيه ، فقرعنا باب دار على علم منا بأهلها ، وقصد لأجلها ، فأقبلت جارية ذات جمال بارع ، وخلق رائع ، ونور ساطع ، تجمّل وجهها يسلب العقول ، ويجرّ المقول ، وتدير عينين حشوهما فتور ، وناظرهما مسحور ، بأطراف مخضبة ، وأصداغ معقربة وثديٍ مفككة ، وغلائل مفرّكة ، وحلي وقلائد ، وعقود ومجاسد ، ففتحت الباب ، وفتنت الألباب ، وتلقتنا بالادناء

والتقريب ، والتأهيل والترحيب ، ومالت بنا إلى مجلس مملوء بالسرور ، يرتد البصر عنه ارتداد المحسور ، مفروش بالحرير ، والقالي والمحفور ، وعمل المرند ، مُبخَّر بالند والرند ، فملأ سائر أقتاره ، بذكي قتاره ، ثم ناديت : قد جاوزنا العشاء ، فهاتي العَشاء ، فأتت متمايدة ، تحمل مائدة ، فحنت منها قوائمها ، وجست فيها دعائمها ، عليها سفرة كاستدارة الهالة ، لا محالة ، واحضر عليها خبز وسيع ، وجدي رضيع ، دهنه يتصبب ، وودكه يتحلّب ، كأنه ذهب على فضة ، وأديمة على فضة ، إلى غير ذلك من جواذبة بالدهن مفعمة ، وبالسكر الأبيض معممة ، فلما اكتفينا مالت الى العود وضمّه ، وإصلاح زيره وبمّه ، وغنت :

فيا رب حيّ الزائرين كلاهما	وحيّ دليلاً بالفلاة هداهما
فليتهما ضيفاي في كل ليلة	من الدهر مكتوب عليّ قراهما
وليتهما لا ينزلان بمنزل	ولا وطن إلا وعيني تراهما

فاقمنا عندها في خفض وطيب ، وعيش رطيب ، الى أن أدال الله من تلك الحال ، وكشف عناظلمة الامحال » .

ومن أخرى : « كان أبي أيام جَلَده ، وإذ شرّة الشباب من عُدده ، ركاب أخطار ، وابن رحل وأسفار ، عسّافاً للطريق ، مئلافاً للارق ، لباساً للظلام ، أباءاً للظِلام ، ورادأ للامور الجسام براءاً للاجسام ، أهدى في بَرّيّة من نجم ، وأمضى إلى ملمة من سهم ، وأمضى على المكاره من هم ، وهو مع ذلك يلفني في إرواحه . ويستصحبني في غدوه ورواحه ، ويدرجني في مراقي الاوجال ، ويولجني ملاقي الآجال ، فانحدر بي يرُيد البصرة ، يروم بها على زمانه النصرة . عند انصرام الشتاء وإدباره ، واطلاع النخل واباره ، واضاءة الربيع وأنهاره ، وتفويف الرياض وإزهاره ، ونزول الحمل ذكاء . وحين غرّد في البقل المكاء » .

ومنها في صفة خنجر : « أبرزت له خنجراً طويل النصل ، أجرى من المنية ، وأمضى من القضية ، له حد مرقق ، وطرف مذلّق ،

ومتن كالشهاب ، في الالتهاب :

أخضر اللون بين خديه برد   من دناح تميس فيه المنون (كذا)
أوقدت فوقه الصواعق نارا   ثم شابت به الزعاف القيون »

ومنها في صفة قاريء : « افتتح القراءة بآي من التنزيل ، وأحسن من الترتيل ، بحنجرة حلالية (؟) وطريقة شجية جليّة ، فكادت السواري أن تتدعدع ، والقلوب أن تتصدع ، بنغمة يخشع لها السامع ، وتسترسل بها المدامع » .

وفي صفة رفيق : « قال هل لك في رفيق يسرك بأنسه ، ويواسيك بنفسه ، ويعينك على مباهجك ويصل جناحيك في مناهجك : تأمن غيبه ، وتفقد عيبه . يُعتبك ولا يَعتبُك ، ويستغفرك ولا يذنبك ، يكون عنك في المهم النائب ، ويكفيك الملم النائب ، لا تخاف زلته ، ولا تنكر خلته ، ولا تذم خُلته ، ولا تتهم دخلته ، يُطلعك على ما خفي عليك ، ويؤثرك بما في يده ولا يسألك ما في يديك ، لا يُلزمك مؤونة ، ولا يطوي عنك معونة :

يسرك مظلوماً وينجيك ظالماً   وكل الذي حمّلته يتحملُ

فقرّ عيناً ، فما عقلت إلا بحسام لا ينبو ، أو شهاب لا يخبو ، أو جواد لا يكبو ، عبداً بغير شراء ، وصيداً بغير عناء ، وقام متصوراً أن كل بيضاء شحمة ، وكل حمراء لحمة ، ولم يعلم أن التمرة جمرة ، والأكلة نكلة وأن اللقمة نقمة » .

ومن أخرى : « بينهم شاب حين بقل عارضه ، وأقلع عنه رائضه نقي السربال ، في جلده رئبال ، رائق في هيأته وشارته ، يتصرفون باشارته ، ومنهم شيخ بصير (وبين) الحي قصير ، بيّن اللهجة ، قوي المنة والمهجة . مدل برائه ، وشدة اجترائه ، ممن شهد ... المجال ، جهير الشقاشق ، مستن المراشق ، لا يصفر وطابه ، ولا ينقطع خطابه ،

كالبثق إذا انفجر ، والرعد إذا زمجر ، فلما أحس بنا قعـــد على حواميه ، وأقعى إقعاء الأســد دون ما يحميه ، كالواجد بعـد الاضلال ، والبارك عند النضال ، وقال : حياك الله من قادم وطار ، وسانح أسـفت به قوادم مطار ، أهدته لنا المناهج ، وتهللت لدينا منه المباهج ، فأسـفرت بطلعتـه البقاع ، واستشرفت الى غرته الصقاع ، فممن الرجل أكرم الله وفادتـه ، وأجزل من الخيرات إفادته ، ومن أي الميـاه مشربه والى أي اتجاه مذهبه ؟ إنك ترى بلدتنا ، وتشـاهد بلادتنا ، منزلنا في غمض الفجاج ، بين أغتام فجاج ، وزنوج أفواج ، وعلوج أنباط ، وعتراء أشراط ، ذوي فلاحـة ، وممارسي ملاحة ، لا تجـد مبصراً من عماية ، ولا مرشداً الى هدايـة ، همل مسبعون ، وأغفال ضائعون » .

ومن أخرى : « قرية ظاهرة المحل ، لئيمة الأهل ، غائرة المناهـل ، متوسـطة المجاهل ، نسيمها عجاج ، وماؤها أجاج ، ورجالهـا علوج ، ونساؤها زنوج » .

وفي صفة حر : « اشتد الهجير واحتدم ، ومنعت الأرض القـدم ، وامتســك النسـيم ، وكثر منا التخواف منه والترسيم ، وألهب تـموز ، وقدح النار الأمعوز ، وأخذ الأختم بالكظم ، فغادرنا لحماً علـى وضم ، فتصعدت الروح ووردت ، وفترت الحواس وبـردت ، وأقدمـت المنية وقدمت ، وآلمت الكريهة وألمت ، وتقطعت الأنفاس ، ولحق الاياس ، وحضرت هند الأحامس وأتت بأم طبق الدهارس » .

ومن أخرى في صفة شاب : « صبيح فصيح ، يجمع رونق الصباحة ، إلى رقة الفصاحة ، ويضيف حسن البشر ، إلى طيب النشر » .

في صفة مصري : « شاب لطيف الجسـم ، صغير الجرم ، له لحيـة محبرجة ، وعمة مدرجـة ، ورأس هزهاز ، ولســان جراز ، وثيـاب بيض ، وكم عريض ، ويد بأختها معقودة ، وعذبـة من ورائه مردودة ، وطيلسان تمنكبه ، وسبال شذبه ، فقلت له : أطاب الله مسموعك ، وأعذب

ينبوعك ، فلقد أبديت عن فضل تسجد له الأذهان ، وأدب تستحليه القلوب والآذان ، فلله أنت أينما البقعة ؟ وما الصنعة ؟ فقال : أما البقعة فمصر ، بها عقدت تمائمي ودعائمي ودعائي ، وبها كان مدرجي وانبعاثي . منبت الأصل ، ومعقد الوصل ، وأما الصنعة فأفانين علوم حويتها ، وصنوف آداب وعيتها ، وفِقَر فضائل وجيتها ، فان شئت القرآن فأنا أبو عمرو ، أو الورع فأنا أبو ذر ، أو الفقه فشافعيه ، أو ارتجال الخطب فصعصعيّه ،أو الحديث فابن عباسه ، أو الذكاء فعين إياسه ، أو الوعظ فابن بشاره ، أو الزهد فابن ديناره ، أو الشعر فجميله ، أو الأدب فخليله ، أو البلاغة فابن حُميدها ، أو النجوم فابن رُشيدها ، أو الطب فجالينوسه ، أو شرح الحكمة فبطليموسه » .

ومن أخرى : « في الاتحاد تمازَجَ القلبان ، وتلاصق الخلبان ، وسقطت مع صحة الألفة مسحة الكلفة » .

ومن أخرى : « حفزني الاضطرار ، وأسلمني الاصطبار ، لأمر يجمع غرضين مفترضين ، وعرضين معترضين ، في حال يتمثل الاستحقاق ، مع سرعة اللحاق ، ويتصور الاخفاق في جنبات الاعتياق ، ووافق المقدور أربعاء لا يدور ، في صفر ، المكروه للسفر ، والقمر عند انقضاء دولة ، قد ترك بين القلب والشَّولة ، فقلت : العقرب ، النحس الأقرب ، وبعده القوس المبلد ، وللتعقيد موّلد ، فقسّمت وفكّرت ، وقدّمت وأخرت ، ثم مضيت واستخرت ، فوافقني صديق ، وأخ شفيق ، فأنكر طيّتي ، وأكبر خطّيتي ، وقال :

مالك لا تلوي على زاجر ولا تخاف السفر المعطبا
أما سمعت القوم ممّن قضى بعلمه في الحكم أو جرّبا
ونهيه عن سفر الماء إن أمسى يحل القمر العقربا
لا سيما في أربعاءٍ أتى آخر شهر حان أن يذهبا

فقلت له : لله من أخ أنت ، ما أوثقني بنصحك وإرشادك ، وأعرفني

بصدق ودادك !! غير أني اريد رجلاً جالت جوائله ، واستقلت بـه رواحله ، وتخلّت عنه شواغله ، وفارق واديه ، وأخلى (ناديه) ومتى جنحت الى الاقامة ، وقعت في الندامة ، فلما أعييتُه مصمّماً ، وتوجهت ميمّماً ، وأصررت على العزيمة متمّماً ، أوسعني وداعاً ، وشيعني دماعاً ، فثنيت إليه الزمام ، وشددت به الالتزام ، ثم استخرت وما تأخرت ، وحثثت وما تلبثت ، وعجلت وما وجلت ، وجددت وما رددت ، واقتحمت وما أقمت ، فلم أزل أفري من الليل إهابه ، وأقطع من النهار سحابه ، حتى تبدلت من ظهر الأورق ، بطن الزورق ، واعتضت من ميثرة السّرج ، مفترش المرج ، ومن حسكة الأخفاف ، سكة المجداف ، في بطيحة بعيدة (الأطراف ، وسيعة) الجباب ، فسيحة الرحاب ، هاوية الخسيف ، نازحة السيف، فقطعتها في رفاقة ، بعيدة الافاقة ، كالحمر الزناقة ، والنوق المقطورة ، والمعزى الممطورة ، أذل من النقد الجربة ، والأمة المغتربة ، عزل من السلاح ، أشباح بلا أرواح ، أكل لكل ذي ناب ومخلب ، وحبائس لكل ذي شفرة أو مخلب ، مالنا عن كائد محيد ، ولا معنا لممانعة حديد ، سوى حربة كانت معي وديعة • فلما جزعنا البطائح ، وطلعنا المطارح ، واستعملت الخيزرانة بعد الأمهار ، وأفضينا إلى ضيق من الأنهار ، ولجناه بغير حزم ولا استظهار ، فما هو إلا أن وصلنا متسعه أو كدنا ودنونا من المصعد وما صعدنا ، حتى طلعت علينا ذئاب ثائرة ، وشلوح عائرة ، بأيديهم السيوف المصلتة ، والتروس المصمتة ، والسهام المفوّقة ، والحراب المذلّقة ، عُراة الأجسام ، مضيقي اللثام ، مخفضي الكلام ، فأدر كتني حسيّة جهلية ، وأخذتني أبية غفلية ، حمية من غير حام ، ورمية من غير رام ، وآخطآت الراي ، وما التفت وراي ، فأسرعتُ الوثبة ، وصوبت الحربة . فاذا أنا بذئاب فاغرة ، وكلاب داغرة ، قد أحدقوا بي دون الرفقة ، واستداروا علي استدارة الحلقة ، فقعدت قعود المحصوب ، والهدف المنصوب ، فما أقلعوا عني إلا وأنا غربال الاهاب ، معصفر الجلباب ، متصاعد الأنفاس ، فاتر الحواس ، من طعنته تفور ، ودم يمور ، وعظم

مكسور ، وجلد مقشور ، وإذا أنا بغلام قصير ، دميم حقير ، لونه سبج ، وسواده سمج ، كريه النكهة (ذميم البدهة) قد حمل علي بسيف كأنه كتف بعير ، وعارضة سرير ، يريدني بوثبته ، ويومىء إلي بضربته ، فقلت له : ويحك أثائر أم غائر ، وطالب هدم أم طالب بدم ؟ وباغي خلاص أم آخذ بقصاص ؟ وملتمس رحل أم قاصد ذحل ، ومحصل قماش أم مغتنم حشاش ؟ فانتهره غلام أشقر ، كأنما أخرجته عبقر ، فصرف عني كيده ، وكف أيده ، ودفع (من) بادرته ، ورده في حافرته ، وصاح اليه أما من مهل ، يا ابن جهل ، أتعلم على ماذا أقدمت ، وبمن ويلك هممت ، ولأي حجاب كرم تهتك ، ولأي دم عزيز تسفك ، وبأي شيخ قوم تفتك ، تباً لآرابك ، وقبحاً لآدابك ، كأنك تحسد قدارا ، أو تفتك فرارا ، انك لتريد أن تطفيء نوراً ، وتشب ناراً ، وتقطع آلاءاً ، وتصل بلاءاً ، وتهدم علماً ، وتفشي ظلماً ، لقد طغيت جدا ، وجئت شيئاً إدّا ، شم حسامك ، وقصر إقدامك ، وانظر قدامك ، ثكلتك أمك ، وعدمك خالك وعمك ، وشغلك سقمك وغمك • ثم عطف علي وقال : بأبي أنت وأمي ، صنائعك ذرائعك ، ومننك جنتك ، وجميلك كفيلك ، وإحسانك سنانك ، وطعامك حسامك • إن أياديك تقمع أعاديك ومباركك تدفع مضارك ، ولك عندي منهن كلّ غراء ، واضحة ، وبيضاء لائحة ، غادية اليّ ورائحة ، دونك خذ ما تراك واجدا ، وانصرف بما لك راشدا ، وليهن عليك ما لقيت بما وقيت ، وليصغر ما سلبته من لبسك ، بسلامة نفسك ، واسلُ عن سائل الدماء ، ببقية الذماء ، وعذراً أبا القاسم فاني الآن مستضعف النصير ، قليل النفير • فقلت له : شكرتك الأفواه ، وصفقت لك المياه ، ودام لعيشك المهاه ، فلقد أحسنت ووفيت ، وجزيت وكافيت ، فدعني أنج بما ضمت عليه الأضالع ، فان المال ضائع • ثم ولّوا وولينا ، وخلّونا وتخليت ، وشالت بي النعامة ، لما صحّت السلامة » (٧٠) •

---

(٧٠) خريدة القصر وجريدة العصر (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٢٦ الورقة ١٨١ — ١٨٩)

وقد التبست « الرَّحَل » على القلقشندي فظنّها مقامات ، قال :
« وهذه نسخة مقامةٍ أنشأها أبو القاسم الخوارزمي في لقائه لأديب يعرف بالهيتي وانقطاعه في البحث ، وغلبة الخوارزمي له : أوردها ابن حمدون في تذكرته وهي :

« وصية لكل لبيب ، متيقظ أريب ،عالم أديب ، يكره مَواقف السقطات ، ويتحفظ من مصادف الغلطات ، ويتلطف من مخزيات الفرطات ، أن يدّعي دون مقامه ، ويقتصر من تمامه ، ويغضّ من سهامه ، ويظهر بعض شكيمته ، ويساوم بأيسر قيمته ، ويستر كثيراً من بضاعته ، ويكتم دقيق صناعته ، ولا يبلغ غاية استطاعته ، وأن يعاشر الناس بصدق المناصحة، وجميل المسامحة وأن لا يحمله الاعجاب بما يحسنه على الازراء [٧١] بمن يستقرنه ، والافتراء على من يعترضه ويُلسنُه ، ليكون ُخبرُه أكثر من َخبَره ، ونظرته أروع من منظره ، ويكون أقرب من الاعتذار ، وأبعد من الخجلة والانكسار :

فليس الفتى من قال إني أنا الفتى	ولكنه من قيل : أنت كذلكا
وكم ُمدّع ملكاً بغير شهادة	له خجلة إن قيل أن لستَ مالكا

ولقد ُنصرتُ بالاتضاع ، على ذي نباهة وارتفاع ، وذلك أني أصعدتُ في بعض الأعوام ، مع جماعة العوام ، بين تاجر وزائر ،إلى العزل [٧٢] والحائر ، حتى انتهينا الى قرية شارعة ، آهلة زارعة ، وما منا إلاّ من أملتْهُ السُمَيريّة [٧٣] فاعترضته ، وأسقمته وأمرضته ،

---

(٧١) في صبح الاعشى وهو مرجعنا « الازدارء » والصواب ما ذكرناه .

(٧٢) كذا ورد في صبح الاعشى ، والعزل ماء بين البصرة واليمامة ، ولا صلة له بالحائر . والظاهر ان اصله « الغري » اي موضع بالنجف . بدلالة انه سيقول في بعض شعره : « اذهبوا انتم فزوروا عليا » .

(٧٣) في صبح الاعشى « السمرية » والصواب « السميرية » نسبة الى رجل اسمه (سمير) بالتصغير استحدث هذا لضرب من السفن .

وفتَّرته فقبضته ، وكثر منا الجؤار ، واستولى علينا الدوار ، فخرجنا منها خروج المسجون ، وقد تقوسنا تقوّس العرجون ، فاسترحنا بالصمود ، من طوال القعود :

كأننا الطيرُ من الأقفاصِ ناجيةٌ من أحبُلِ القَنّاصِ
طيّبه الأنفس بالخلاص منفّضات الريش والنواصي

فما استتمت الراحة ، ولا استقرت بنا الراحة ، حتى وقف علينا واقف ، وهتف بنا هاتف : أيُّكم الخوارزمي ؟ فقالُوا له : ذلك الغلام المنفرد ، والشاب المستند ، فأقبل إليَّ ، وسلّم عليّ ، وقال : إن الناظر يستزيرك ، فليعجل اليه مَصيرُك ، فقمتُ معه ، يتقدّمني وأتبَعُه ، حتى انتهى بي إلى جلّة من الرجال ، ذوي بهاء وجلال ، وزينة وجمال ، من أشرف الأمصار ، وأعيان ذوي الأخطار ، من أهل واسط وبغداد ، والبصرة والسواد :

ترى كل مرهوب العمامة لاثماً على وجه بدر تحته قلب ضيغم

فقام إليّ ذو المعرفة لا كرامه ، وساعده الباقون على قيامه ، وأطال في سؤاله وسلامه ، وجذبوني إلى صدر المجلس فأبيت ، ولزمتُ ذُناباه واحتبيت ، وأخذوا يستخبرونني عن الحال ، والمعيشة والمال ، وداعية الارتحال ، وعن النية والمقصد ، والأهل والولد ، والجيران والبلد :

وما منهم إلا حفيٌّ مُسائل وواصف أشواق ومثن بصالح
ومستشفع في أن أقيم لياليا أروحُ وأغدو عنده غير بارح

ثم قال قائلهم : هل لقيت عين الزمان وقلبه ، ومالك الفضل وربّه ، وقليب الأدب وعَرْبَهُ ، إمام العراق ، وشمس الآفاق ؟ قلت : ومن صاحب هذه الصفة المهولة ، والكناية المجهولة ؟ فقالُوا : أوما سمعت بكامل هيْت ، ذي الصوت والصيت ؟

ذاك الذي لو عاش (قس) إلى — زمانه ذا وابن صوحان
وابن دريد وأبو حاتم — وسيبويه وابن سعدان
وعامر الشعبيّ وابن العلا — وابن كُريز وابن صفوان
قالوا محاب كلهم : إنه — سيدنا، أو قال: غلماني(كذا)*

فقلت لهم : قد قلّدتم المنّة ، وهيجتم الحنّة ، إلى لقاء هذا العالم المذكور ، والسيد المشهور ، وقد كانت الرياح تأتيني بنفحات هذا الطيب ، وهدر هذا الخطيب . فالآن لا أثر بعد عين ، سأصبح [(٧٤)] لأجله عن سُرى القَيْن ، أغتناماً للفائدة ، والنعم الباردة ، ووجداناً للضالة الشاردة :

أين أمضي وما الذي أنا أبغي — بعد إدراكي المنى والطلابا
فاذا ما وجدتُ عندكم العلـ — ـم قريباً فما أريد الثوابا
أذهبوا أنتم فزوروا علياً — لأزور الهيتيّ والآدابا
لن أبالي إن قيل (إن) الخوارز — ميّ أخطا (في) فعله أو أصابا

فقالت الجماعة : بل أصبت ، ووجدت ما طلبت ، وقديماً كنا ننشر أعلاقك ، وتتمنى اتفاقك ، ونتداول أوصافك ، ونحب مضافك ، ونُكبر لديه ذكرك ، ونعظّم لديه قدرك ، فيتحرك منك ساكنه ، وتتقلقل بك أماكنه ، ونسأل الله — سبحانه — أن يجمع بينك وبينه بمحضرنا ، وتلامح عينك عينه بمنظرنا ، ويلتفّ غبارك بغُباره ، ويمتزج تيارك بتياره ، ويختلط مضمارك بمضماره ، فيعرف منكما السابق والسُّكَيْت ، والسُّوذانق والكُمَيت ، ويتبين من الذي يحوي القصب ، فانكما كما قال الشاعر :

---

* ورد هذا البيت في الصفحة (١٧١) بهذه الصورة :

قالوا له كلهم : انه — سيدنا . أو قال : غلماني

(٧٤) في صبح الاعشى « سأصبح » بتشديد الباء .. وفيه اشارة الى المثل السائر

هما رمحان خطيّان كانا		من السُّمر المثقفة الصعاد
نهال الأرض أن يطأ ا عليها		بمثلهما نسالم أو نعادي

فقال (بعض الجماعة) : لقد تنكبتم الانصاف ، وأخطأتم الاعتراف ، وأبعدتم القياس ، وأوقعتم الالتباس ، أين ابن ثلاثين إلى ابن ثمانين ، وابن اللبون ، من البازل الأمون ؟ والرمح[٧٥] الرازح ، من الجواد القارح ؟ والكودن المبروض ، من المجرّب المروض :

وابن اللبّون إذا ما لُزّ في قرنٍ		لم يستطع صولةالبُزل القناعيس

كم لديكم بطائح وسباخ ، وساكن صرائف وأكواخ ، بين يديه سوادية أنباط ، وعلوج أشراط ، ورعاع أخلاط ، وسفَل سُقاط ، في بلدة إن رأيت سورها ، وعبرت جسورها ، صحت واغربتاه ، وإن رأيت وجهاً غريباً ناديت : واأبتاه . لا أعرف غير النبطية كلاماً ، ولا ألقى سوى والدي إماما ، في معشر ما عرفُوا الترحال ، ولا ركبوا السروج والرحال ، ولا فارقوا الجدار والظلال :

أولئك معشر كبنات نعش		خوالف لا تغوُر مع النجوم

(فكيف لي) بمصاولة رجل جَوّال ، رحّال حَلال ، بهيت وُضع ، وبالكوفة أرضعَ ، وببغداد أثغر ، وبواسط أحفر ، وبالحجاز وتهامة فطامه ، وبمصر والمغرب كان احتلامه ، وبنجد والشام بقل عارضه ، وباليمن وعمان قوَيتْ نواهضه ، وبخراسان بلغ أشدّه ، وببخارى وسمرقند تناهى جده ، وبغزنة والهند شاب واكتهل ، ومن سيحون وجيحون عَلّ ونهل ، وبميسان والبصرة عَوّد وقرحَ ، وبالجبال جلهَ وَجلِح ، فهو يعدّ المازني إمامه ، وابن جني غلامه ، والمتنبي من رواته ، والمعرّي حامل دواته ، والصابي باري قلمه ، والصاحب رافع

(٧٥) لعل الاصل « والمهر الرازح » .

علمه ، وابن مُقلة من ناقلي غاشيته ، وابن[٧٦] أبي حفصة بعض حاشيته وقد قرأ الكتب وتلاها ، وحفظ العلوم ورواها ، ودرس الآداب ووعاها ودوّن الدواوين وألّفها ، وأنشأ الحكم وصنفها وفصّل المشكلات وشرحها ، وارتجل الخطب ونقحها ، فهو البحر المورود ، والامام المقصود . والعلم المعمود ، هذا بون ومرتقى شديد (كذا) .

أتلقون بالأعزل الرامحا ... وبالأ كشف الحاسر الدارعا ؟!
وبالكودن السابق السابحا ... وبالمنجل الصارم القاطعا ؟!

فما استتم كلامه حتى أقبل ، فاذا نحن به قد طلع فهرولا ، وأقبل مستعجلاً ، فرأيت رجلاً أجلح، أهتم أفلح، أفطح أردح، طويلاعنطنط[٧٧]، يحكي ذئباً أمعط ، أجمع أحبط ، فتلقوه معظمين ، وله مفخمين ، فقصد من المجلس صدره ، وأسند الى المخدة ظهره ، فما استقربه به المكان ، حتى قيل له : هذا فلان . فقبض من أنفه ، ونظر إلي بشطر من طرفه ، وقال ببعض فيه : هلموا ماكنتم فيه ، تعساً للشوهاء وجالبيها ، والقرعاء وحالبيها .

جاء زيد مجرّراً رسنه ... فحل لا يمنعه سننه (؟)
أحبه قومه على شوهٍ ... إنالقرنبى فيعين أمها حسنه[٧٨]

(فقال) : كان لنا شيخ بالأنبار ، كثير الأخبار ، قد بلغ من العمر أملاه ، ومن السن أعلاه ، قرأت عليه جميع الكتاب ، وعلم الأنساب ، ومسائل ابن السرّاج ، وديوان ابن الحجاج[٧٩] ، وكتاب الاصلاح ،

(٧٦) في الاصل « وبني ابي حفصة » وابن ابي حفصة هو مروان الشاعر المعاصر للرشيد .

(٧٧) كذا ورد للموازنة السجعية ، وكان الاولى ضبط الجملة على « عنطنطا ... امعطا » كقوله تعالى « سلاسلا واغلالا » .

(٧٨) هكذا ورد البيتان .

(٧٩) في الاصل « ابن العجاج » والمشهور « الحجاج » فلذلك اخترنا ابن الحجاج .

ومشروح الايضاح ، وشعر الطرماح ، والعين للفرهـودي ، والجمهـرة للأزدي . وأكثر مـن (ذكـر) المصنفات . المجهولة والمعروفات ، ينفخ في شقاشقه ، ويَزبد في بقابقه ، ويتعاظم في مخارقـه . وجعـل القـوم يقسمون بيننـا الألحاظ ، ويحسبون الالفاظ ، وما منهم إلا من اغتاظ لسكوتي وكلامه ، وتأخري وإقدامه . ثم هذى الشيخ إذ وصف له رجل على الغيب ثم رآه ، فاحتقره وازدراه ، وأنشد متمثلاً :

لعمر أبيك تسمعُ بالمعيـديّ بعـيد الدار خـير أن تـراه

فقال: هذا المعيدي هو ضمرةُ بن صخرة بنجابر بن قَطَن بن نهْشَل ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميـم بن مُرّة بن أدّ بن طابخة بن اليأس بن مُضر بن نزار بن معد بن عدنان . والمعيـديّ تصغير مَعْدي ، وهو الذي قالت فيه نادبته :

أنعى الكريم النهشلي المصطفى أكـرم مَنْ خامـر أو تخندفا

فقلت : ما بعد هذا المقـال ، وجـه للاحتمال ، وما يجب لي بعـد هذه المواقحة ، غير المكافحة ، ولم يبق لي بعد المغالبة ، من مراقبة .

ما عِلتي وأنا جَلْدُ نابلُ [٨٠] والقوس فيه [٨١] وَتَر عُنابلُ
تَزلُّ عـن صفحته المعـابلُ

ما عِلّتي وأنا (رجل) جَلْدُ والقـوس فيـه وَتَر عُرُدُّ
مثـل ذراع البكـر أو أشـدُّ

فعطفت عليه عطف الثائر العاسف، والتفتُّ اليه التفات الطائر الخاطف، فقلت له : يا أخا هِيْت ، قد قلـتَ ما شِيت ، فأجـب الآن إذا دُعيت :

---

(٨٠) كذا ورد في اللســان في مادة علل ، وفي مادة عنبل «وأناخب خاتل».
(وهـذه حاشية طابـع ضبح الأعشى) .

(٨١) كذا ورد بالتذكير والمشهور تأنيثها .

والزم مكانك. وغُض عنانك، وقصّر لسانك، إنّ نادبة صخرة خندفته، لما وصفته، وما سمعت في نسبتك إياه لخِنْدَف ذكرا، فابن عن ذلك عذرا. فقال ان خندف هي امرأة الياس بن مُضر غلبت على بنيها، فنسبوا اليها، كطهيّة ومزينة، وبَلعدوية وعرينة، وشلكهة وجهينة، و ُندْبة وأُذينة، وكَسشبيب بن البَرصاء، وابن الدّعماء. فقلت له: سئلتَ، فاجبت وأصبت فأخبرني عن خندف هل هواسم موضوع؟ فوقف عند ذلك حماره، وخمدت ناره، وركد جريانه، وسكن هذيانه، وفتر غليانُه، وظهر حِرانُه، وذَلّ وانقمع، وانطوى واجتمَع، فاضطره الحياء، وألجأه الى الاستجداء، الى أن قال وهو يخفي لفظه، ويطرق لحظَه: أظنه لقبا. فقلت: هو كما ظننت فما معناه وما سببه؟ وكيف كان موجبُه. فلم يجد بداً من أن يقول: لا أدري. فقال وقد أذقته مُرَ الاماتة، وأحس من القوم بتظاهر الشماتة:

ودّ بجدع الانف لو أنّ صحبه   تنادَوا وقالوا في المناخ له: نَمِ

ثم اقبلوا إليّ، وعكفوا عليّ، بأوجه متهللة، وألسنة متوسلة، في شرح الحال، والقيام بجواب السؤال. فقلت: هذا بديع عجيب، أنا أسأل وأنا أجيب، إن إلياس بن مضر تزوج ليلى بنت ثعلبة (٨٢) بن حلوان بن الحاف بن قضاعة بن معدّ (في بعض النسب)، فولد له منها: عمرو وعامر وعُمير، ففقدتهم ذات يوم، فألحى على ليلى باللوم، فقال: اخرجي في أثرهم، وأتيني بخبرهم، فمعنت في طلبهم، وعادت بهم، فقالت: مازلت اخندف في اتباعهم، حتى ظفرت بلقائهم، فقال لها إلياس: انتِ خندف. والخندفة في الاتباع، تقارب الخطو في إسرع، وقال عمرو: يا أبتي أنا أدركت الصيد فلويته. فقال له: أنت مدركة، إذ حويته، وقال عامر: أنا طبخته وشويته، فقال:

---

(٨٢) صوابه: بنت حلوان بن عمران (حاشية طابع صبح الاعشى).

آنت طابخة إذ شويته ، فقال عمير : آنا انتمعت في الخِباء . فقال له : آنت قمعة للاختباء ، فلصقت بها وبهم هذه الألقاب ، وجرت بها إليهما الأنساب . فقال حينئذ : هذا علم استفدته . وفضل استزدته ، وقد قال الحكيم : مذاكرة ذوي الألباب . نماء في الآداب ، فقلت له متمثلاً :

أقول له والرمحُ يأطر متنَهُ تأمَّل خفاف إنني أنا ذالكا

ثم لم يحتبس إلا قليلاً ، ولمْ يمسك طويلاً : حتى عاد إلى هديره ، وأخذ في تهذيره ، طمعاً بأن يأخذ بالثأر . ويعود الفيض له في القمار ، فعدل عن العلوم النسبية ، وجال في ميدان العربية . ولم يحسَّ أنه باعه فيها أقصر ، وطرفه دون حقائقها آحسر . فقال : حضرت يوما حلبة من حلبات العلوم ، ومواسم المنثور والمنظوم ، وقد غصَّ بكل خطيب مصقع ، وَحكم مُقنِع [٨٣] ، وعالم مصدع ، ومُلِيء من كل عتيق صَهّال. وفَنيق [٨٤] صؤّال ومنطيق جوال ، فأخذوا في فنون المعارضات ، وصفوف المناقضات ، وسلكوا في معاني القريض ، كل طويل عريض ، حتى أخذ السائل منهم بالمخنَّق ببيت (الفرزدق [٨٥]) :

وعضّ زمان يا ابن مروان لم يدَعْ من المال إلا مُسحتاً أو مُجلَّف

فكثر فيه الجدال ، وطال المقال ، وما منهم إلا أجاد القياس ، وأصاب القرطاس ، ووقع على الطريق ، وأتى بالتحقيق ، فلما رأيتُهم في غمرتهم ساهون [٨٦] ، وفي ضلالتهم يعمهون ، فناديتهم إليّ فسارعوا ، ومنّي فاسمعوا ، فاني أنا ابن بجدتها ، وعالم ما تحت جلدتها ، ثم إني أبديتُ

---

(٨٣) في الأصل « مقنع » بتشديد النون وفتحها وذلك غلط لان المراد من الحكم « الاقناع » لا أن يكون لا بسأ قناعاً .

(٨٤) في الأصل « فتيق » بمعنى المفتوق ولا محل له هنا .

(٨٥) قال الطابع : الزيادة من اللسان ، مادة (سحت) و (جلف) .

(٨٦) كذا ولعل الأصل « رايت انهم ... » .

لهم سراره ، وأثقبت[٨٧] نارَه ، وحللت عُقَدَهُ ، ومخضت زَبَدَهُ وأطرت لبده، وبجست حجره ، وأبثثتُهم عُجَره وبُجَرَه فقالوا : لله أبوك، فانك اسبقنا إلى غاية ، وأكشفنا لغياية ، واجلانا لشبهة ، وأضوأنا في بدهة ، وما أعلم [٨٨] اليوم على ظهرها من يقوم بعلم ما فيه ، ويطلع على خافيه . فأدركني الامتعاض ، وأخذني الانتفاض ، فانشدته :

من ظن أن عقول الناس ناقصة   وعقله زائد أزرى به الطمع

وقلت له : ادعيت ، فوق ما وعيت ، فاخبرني عن أول هذا البيت ، يامُجري الكميت، وكيف ننشده: وعَضٌ بالفتح، أو وعُضٌ بالضمّ، فقال: كلاهما مَرويّ . فقلت : نبتديء بالفعل ثم نعود الى الاسم ياذا الاعجاب ، تهيأ للسائل في الجواب ، وأخبرني لم فتحت آخر الماضي؟ فأسرع من غير التغاضي ، وقال : لأنه مبني عليه ، لايضاف سواه اليه . فقلت : هدا جواب نعلمه ، ومن صبيان الكتب لا نعدَمُه ، وإنما التمس منك الفائدة فيها ، وأطلب كشف خافيها ، فقال : ماجاء عن أمة النحاة ، وسائر الرواة في هذا غير ما شرحته ، ولا زاد على ما أوضحته ، فقلت : دع عنك هذا وأخبرني عن هذا البناء ألعلّة أم لغيرها ؟ فأقبل يتردد ويتزحزح ، ويتثاءب تارة ويتنحنح ، فلما سُدّ عليه من طريقه ، وحصل في مضيقه ، وَغصّ بريقه ، قال : لا أعلم . فقالت الجماعة : أعذر إليك من ألقي سَلاحه ، وغضّ جِماحه ، ومن أدبَر بعد إقباله عَدل عن قتاله :

والحقّ أبلجُ لا يُحدُ سبيله   والحق يعرفه ذوو الألباب

والآن فقد فازت قداحُك ، وبانت غُررك وأوضاحك ، وأجدتَ النضال ، وأدركت الخصال ، فأوضح لنا عما سألت ، وارشدنا الى ما دللت ، لئلا يقال : هذا بَهْت ، ومُحال بحت ، فقلتُ : حباً وكرامة ،

(٨٧) في الأصل « ابقيت » وهو تحريف .

(٨٨) لعل الأصل « وما نعلم » او (فقال الشيخ) .

اسمع انت يا طغامة ، إن الفعل من فاعله . كالولد من ناجله . لايخلو الفعل من علامة الفاعل ، في لفظ كل قائل ، وهي الفتحة من ماضيه وواقعه ، والزوائد في مستقبله ومضارعه ، وبيان ذلك أن الفتحة لاتكون مع التاء والنون [٨٩] ••• فتثبت الفتحة، ثم تقول: أخرجبُ واخرجنا ، فتسقط ما ذكرنا ، وعلامتان لمعنى ُمحال ، لايوجبهما الحال . فان كانت النون التي مع الألف ضمير المفعول عادت الفتحة ، فتقول : أخرجنا الأمير ، فهذا بيّن • فصفقت الجماعة وسمحت [٩٠] وحسّنت وبخبخت [٩١] ، وجعل الأديب يضطرب اضطراب العصفور ، ويتقلب تقلب الصقور ، متيقناً أنّ أسده صار جُرذاً ، وبازيه عاد صُرداً ، ودُرره انقلبت َمخْشَلباً [٩٢] وزيتوُنه تحوّل َغرَباً [٩٣] ، وقناه تغيّر قصباً ، وأن مستقيمه تعوّج وجيده تبهرج ، وصحيحه تدحرج ، وجديده تكرّج فقال منشدهم :

ترى الرجل النحيف فتزدريه	وتحت ثيابه أسد َمزِيْرُ
ويعجبك الطريرُ فتبتليه	فيخلف ظنك الرجل الطَرير
فما عظم الرجال لهم بفخر	ولكنْ فخرهم كرمُ وخير

فأخذه الابلاس ، وضاقت به الأنفاس ، وسكنت منه الحواس ، ورفضه الناس ، وجعل ينكت الأرض ، ويواصل بكّفه العضّ ، ويتشاءم بيومه ، ويعود على نفسه بلومه ، يمسح جبينه ، ويكثر أنينه ، فقمت فقامت معي الجماعة وتركته ، واستهانت به وفركته ، فلما َبقيَ وحده ،

(٨٩) بياض في الأصول .

(٩٠) لعله « وسبحت » اي قالت : سبحان الله أو «وشمخت» وهو الاقرب

(٩١) اي قالت : بخ بخ . وفي الاصل « وبحبحت » ولا محل له .

(٩٢) في الأصل « ودوره انقلبت مخشلبا » (؟) ولم يعرف طابع الصبح معنى « المخشلب » وهو الصدف الذي لادر فيه .

(٩٣) في الأصل « عربا » (بكسر العين) .

تمنّى لحده ، وأسبل دمعته ، وودّ أن الأرض بلعته :

وكان كمثل البَوّ ما بين روّم تلوذ بحقويه اسراة الاكابرُ *
فأصبح مثل الأجرب الجلد مُفرداً طريــداً فما تدنو إليه الأباعرُ

فقام فتبعني ، ووقف وودّعني ، وأطــال الاعتـــذار ، وأظهر التوبــة والاستغفار ، وقال : مثلك من ستر الخلل ، وأقال العثرة والزلل ، فقــد اغتررتُ مــن سنك بالحداثة ، ومن أخلاقك بالدماثة . فقلت : كــان ذلك مفهوم معلوم ، وأنت فيه معذور لاملوم . وما جــرى بيننـــا فهــو منسيّ غير مذكور . ومطوي غير منشور . ومخفيّ غير مشهور :

(وجدال) أهل العلم ليس بقادح مابين غالبهم إلـــى المغـلوب

ثم سكت فما أعاد ، ونزلتُ وعاد ، وكان ذلك أول عهدٍ به وآخره ، وباطن لقاء وظاهره ، وكلّ اجتماع وسائرَه » (٩٤) .

وللكامل الخوارزمي من دعاء : « يا عالم السرّ ، ياقادراً على الضرر والشر ، يا ذا الملك الأعظم ، باناشراً رفات الأعظم يا دافع البلاء ، يا ماتح الآلاء ، يا كاشــف اللأواء ، يا مرســل القطــر ومجيب دعــوة المضطر ، أغنيّ واصرف السوء عني ، وأغنني ، وإلــى ما فيه رضــاك ورضــاي أبلغني » (٩٥) .

١٤ ــ عبدالله بن الحسين محب الدين ابو البقاء العكبري .

ذكره ابن الفوطي قال : « ذكره ياقوت الحموي في كتاب معجــم الأدباء ، وقال : كــان إمام مســجد ابن حمدي بالريحانيين ، ومتقـــدم الاقراء به ، وكان ديناً ورعاً صالحاً متقللاً حسن الاخلاق ، قليــل الكلام

---

* ورد البيت في الصفحة (١٧١) بهذه الصورة :

وكــان كمثال البو مابين أرؤم يلوذ بحقويه السراة الأكابــر

(٩٤) صبح الاعشى ١٤ : ١٢٨ ــ ١٣٨ .

فيما لا يجدي نفعاً . لم يخرج من رأسه كلمة فيما علمت إلا في علـم وما لا بـد له منه من مصالح نفسه ، وكان رحمه الله رقيق القلب ، تفرد فـي عصره بعلم العربية والفرائض ، سمع من ابن الخشاب وحضر مجلس الوزير عون الدين بن هبيرة في القراءة والسماع، وله تصانيف كثيرة وله شعر[٩٦]. روى لنا عنه جماعـة من مشايخنا ، وكـان مولده سـنة ثمان وثلاثـين وخمسمائة وتوفي في ربيع الأول سنة ست عشرة وستمائة ودفن ببـاب حـرب »[٩٧] .

(تتمـــة)

وقال ابن الدبيثي : « عبد الله بن الحسين بن عبد الله أبو البقاء بن أبي عبدالله بن أبي البقاء العكبري الأصل ، البغدادي المولد والـدار ، الفقيه الفرضي النحوي ، تفقه على مذهب أحمد بن حنبل (رحمـه الله) على أبي حكيم إبراهيم بن دينار النهرواني وأخذ النحو عن أبي محـمـد ابن الخشـاب وغيره وسمع الحديث من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي ابن أحمـد المعروف بابن البطي ومن أبي زرعـة طاهر بن محمد المقدسي وأبي بكر عبد الله بن محمد بن النقور وجماعـة آخرين ، وكـان جماعة لفنون من العلم والنحو واللغـة العربية ، وشرح المقامات الحريريـة وشعر أبي الطيب المتنبي وغير ذلك . سمعنا منه ونعم الشيخ كان . قـرأت على أبي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله النحوي (وأسـنده الى أبي هريرة) عن رسول الله (ص) قـال : « الدين النصيحة » قال قلنا : لمـن يا رسول الله ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسـوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ». سألت الشيخ أبا البقاء عن مولـده فقال : ولدت سـنة ثمان وثلاثـين وخمسمائة . وتوفي ليلة الأحـد ثامن ربيع الآخـر سنة سـت عشـرة

(٩٦) قطعنا هنا كلام ياقوت ، بسبب جملة « روى لنا عنه جماعة مـن مشايخنا » ذلك لأن ياقوتاً كـان يستطيع ان يروي عـن الكبري بغير واسـطة لتعاصرهما فالقول الأخير لابن الفوطي .

(٩٧) تلخيص معجم الألقاب (ج ٥ الترجمة ٦١٥ من الميم) .

وستمائة ودفن يوم الاحد بباب حرب (رحمه الله) » [٩٨] .

وقال الصلاح الصفدي : « عبد الله بن الحسين بن عبدالله بن الحسين الامام العلامة محب الدين أبو البقاء العكبري البغدادي الأزجي الضرير النحوي الفرضي الحنبلي . صاحب التصانيف ، ولد سنة ثمان وثلاثين (وخمسمائة) وتوفي سنة ست عشرة وستمائة . قرأ على ابن الخشاب وأبي البركات بن نجاح [٩٩] ... وله من المصنفات تفسير القرآن ، إعراب القرآن ، إعراب الشواذ من القرآن ، متشابه القرآن ، عدد آي القرآن ، إعراب الحديث ، (نيل) المرام في نهاية الاحكام ، في المذهب (الحنبلي) ، الكلام على دليل التلازم ، تعليق على الخلاف ، الملقح من الخطل (كذا) في الجدل ، شرح الهداية لأبي الخطاب (محفوظ الكلوذاني) ، الناهض في علم الفرائض ، البلغة في الفرائض ، التلخيص في الفرائض ، الاستيعاب في أنواع الحساب ، مقدمة في الحساب ، شرح الفصيح ، المشوب المعلم ، ترتيب كتاب إصلاح المنطق على حروف المعجم ، شرح الحماسة ، شرح المقامات الحريرية ، شرح الخطب النباتية ، المصباح في شرح الايضاح والتكملة ، المتبع في شرح اللمع ، لباب الكتاب، شرح أبيات كتاب سيبويه ، إعراب الحماسة ، الايضاح عن معاني أبيات الايضاح ، تلخيص أبيات الشعر لأبي علي، المحصّل في ايضاح المفصل، نزهة الطرف في إيضاح قانون العُرف ، الترصيف في علم التصريف ، اللباب على البناء والاعراب ، والاشباع في النحو ، شرح شعر المتنبي ، شرح بعض قصائد رؤبة ، مسائل في الخلاف ، في النحو ، تلخيص

(٩٨) ذيل تاريخ بغداد (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ٩٠) .

(٩٩) الذي حذفناه مثبت في ترجمة أبي البقاء للمؤلف نفسه في (نكت الهميان في نكت العميان ص ١٧٨) وله ترجمة في الوفيات (١ : ٢٧٩) وكامل ابن الاثير ، وذيل الروضتين (ص ١١٦) والنجوم الزاهرة (٦ : ٢٤٦) والشذرات (٥ : ٦٧) وانباه الرواة (٢ : ١١٧) وذيل طبقات الحنابلة (٢ : ١٠٩) وبغية الوعاة (ص ٢٨١) .

التنبيه لابن جني ، العروض معلل (كذا لعله مفصل) ،العروض مختصر ، مختصر أصول ابن السراج ، مسائل نحو مفردة ، مسألة قول النبي « ص » (إنما يرحم الله من عباده الرحماء) ، المنتخب من كتاب المحتسب ، لغة الفقه ، ومن شعره يمدح الوزير (نصير الدين ناصر) بن مهدي (العلوي) :

بك أضحي جيد الزمان محلّى بعد أن كان من حلاه مخلّى
لا يجاريك في نجارك خلق أنت أعلى قدراً وأعلى محلا
دمت تحيي ما قد أميت من الفضـ ـل وتنفي فقراً وتطرد محلا»[100]

وقال شمس الدين الذهبي في وفيات سنة « ٦١٦ » : « عبدالله ابن الحسين بن أبي البقاء عبدالله بن الحسين الامام العلامة ، محب الدين أبو البقاء العكبري الأصل ، البغدادي الأزجي الضرير النحوي الحنبلي الفرضي ، صاحب التصانيف ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، وقرأ القراءات على أبي الحسن علي بن عساكر (البطائحي) وقرأ النحو على أبي محمد بن الخشاب وأبي البركات بن نجاح ، وتفقه على القاضي أبي يعلى الصغير محمد بن أبي حازم بن أبي يعلى (بن الفراء) وأبي حكيم إبراهيم بن دينار النهرواني ، وبرع في الفقه والأصول ، وحاز قصب السبق ، في العربية ، وسمع من أبي الفتح بن البطي وأبي زرعة المقدسي وأبي بكر بن النقور وغيرهم ، ورحلت إليه الطلبة من النواحي وأقرأ الناس المذهب والفرائض والنحو واللغة . قال ابن النجار : قرأت عليه كثيراً من مصنفاته ، وصحبته مدة طويلة ، وكان ثقة متديناً ، حسن الأخلاق ، متواضعاً . ذكر لي أنه أضر في صباه بالجدري . ذكر تصانيفه : صنف تفسير القرآن ، وكتاب إعراب القرآن ، وكتاب إعراب الشواذ ، وكتاب متشابه القرآن ، وكتاب عدد الآي ، وكتاب

(١٠٠) الوافي بالوفيات (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٣٤) . وذكر الأبيات الذهبي في تاريخ الاسلام على مايجيء بيانه ، وهندو شاه في « تجارب السلف » بالفارسية (ص ٣٣٤) .

المرام في المذهب ، وثلاثة مصنفات في الفرائض ، وكتاب شرح الفصيح وكتاب شرح الحماسة ، وكتاب شرح المقامات ، وكتاب شرح خطب ابن نباتة . ثم ذكر ابن النجار تصانيف كثيرة ، تركتها اختصاراً . روى عنه ابن الدبيثي وابن النجار والضياء المقدسي والجمال ابن الصيرفي وآخرون. وكان (رحمه الله) إذا أراد أن يصنف كتاباً أحضرت له عدة مصنفات في ذلك الفن ، وقرئت عليه فاذا حصله في خاطره أملاه فكان بعض الفضلاء يقول : (ابو البقاء تلميذ تلامذته) يعني : هو تبع لهم فيما يلقونه عليه . ومن شعره (وذكر الأبيات الثلاثة المقدم ذكرهن) .

توفي أبو البقاء (رحمه الله) في ثامن ربيع الآخر . وقرأت بخط السيف بن المجد : سمعتُ المراتبي يقول سمعت الشيخ آبا البقاء يقول : جاء إلي جماعة من الشافعية وقالوا : انتقل الى مذهبنا ونعطيك تدريس النحو واللغة بالنظامية فأقسمت وقلت : لو أقمتموني وصببتم عليّ الذهب حتى أتوارى ما رجعت عن مذهبي » (١٠١) .

وقد طبع من تآليف أبي البقاء العكبري « التبيان في إعراب القرآن ونُسب اليه شرح لديون المتنبي ، نسبه اليه بعض الادباء جهلاً أو عمدا وهو لعفيف الدين علي بن عدلان الموصلي الاديب النحوي المتوفي سنة ٦٦٦ هـ ، كما جاء في آخر الشرح ، وكما دلت عليه عدة أدلة أقل ما فيها أنها تنفي نفياً قاطعاً أن يكون ذلك الشرح لمحب الدين العكبري . وقد أوضحنا ذلك في مجلة المجمع العلمي العربي (١٠٢) ، والظاهر لنا أن الذي عزا هذا الشرح الفذ الى العكبري كان قد رأى نسخة غفلاً من اسم المؤّلف فأراد أن يرفع قيمتها فنسبها الى هذا العالم الفاضل ، ونستدل على ذلك بوجود نسخة من الشرح غفل أيضاً من اسم المؤلف محفوظة بدار الكتب الوطنية بباريس وأرقامها (٣١٠٥).

---

(١٠١) تاريخ الاسلام (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ٢٢٦).

(١٠٢) مجلة المجمع العلمي العربي « ج ١ ، ٢ مج ٢٢ » .

١٥ ـ عبد الرحيم بن علي بن الحسن أبو علي الأسعد القاضي الفاضل الوزير المنشيء

قال ابن الفوطي : « ذكره الشيخ ياقوت الحموي في كتاب معجم الادباء وقال : كان أوحد دهره ، وفريد عصره ، عقلاً ونبلاً . وفصاحة وبياناً ، لم يكن أحد يضاهيه في صناعة الانشاء ، وكان هيوباً وقوراً نزه المجلس على شراسة كانت في خلقه ، وتقلل في ملبسه ، فانه كان لا يزيد لباسه على النصفية البغدادية ، والدنيا تدبر برأيه ، وصلاح الدين سلطان البلاد لايرد له أمراً ، وكان يترفع عن التسمية بالوزارة ويعمل عملها سراً . وتوفي في سابع عشر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة ، ومولده بعسقلان في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وذكروا أن الكتب التي خلفها مائة ألف وعشرين (كذا) ألف مجلدة ، وزادَ سيرته [١٠٣] في عدة مجلدات » [١٠٤] .

(تتمة)

وقال الصلاح الصفدي : « عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن ابن أحمد بن المفرج احمد [١٠٥] القاضي محيي الدين بن علي أبو علي بن القاضي الأشرف أبي الحسين اللخمي البيساني الأصل العسقلاني المولد ، المصري الدار ، صاحب ديوان الانشاء ووزير السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ... ولما عمل العماد الكاتب كتاب (الخريدة) بعثه إليه في ثمانية أجزاء ؛ فلما أحضرت لدى الفاضل قال : وأين الآخران ؟ لأنه قال كتاب (خريدة) وما أرى إلا ثمانية يعني (خري ، عشرة) لأنَّ (دَه) بالعجمي عشرة » . [١٠٦]

---

(١٠٣)غير واضحتين .

(١٠٤)تلخيص معجم الألقاب ٤ : الورقة ٢٦٦ .

(١٠٥)هذا النسب موافق لما ذكره الذهبي في تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة !٩ » .

(١٠٦)الوافي بالوفيات (نسخة الدار المذكورة ٢٠٦٦ الورقة ١٨٠).

وقال ياقوت نفسه في ترجمة أبي علي الحسن بن محمد بن أبي الشخباء العسقلاني : « وقيل إن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني من رسائل ابن أبي الشخباء استمد ، وبها اعتدّ » (١٠٧)

وقال عبد اللطيف بن يوسف البغدادي في سيرة نفسه : « ثم إني توجهت إلى زيارة القدس ثم الى صلاح الدين بظاهر عكا ، فاجتمعت ببهاء الدين بن شداد قاضي العسكر يومئذ ، وكان قد اتصل به شهرتي بالموصل ، فانبسط إليّ ، وأقبل علي وقال : نجتمع بعماد الدين الكاتب ، فقمنا إليه وخيمته إلى خيمة بهاء الدين ، فوجدته يكتب كتاباً الى الديوان العزيز (يعني ديوان الخلافة العباسية) بقلم الثلث من غير مسوّدة وقال : هذا كتاب إلى بلدكم . وذاكرني في مسائل من علم الكلام وقال : قوموا بنا إلى القاضي الفاضل فدخلنا عليه ، فرأيت شيخاً ضئيلاً كله رأس وقلب ، وهو يكتب ويُملي على اثنين ووجهه وشفتاه تلعب ألوان الحركات لقوة حرصه في (١٠٨) اخراج الكلام ، وكأنه يكتب بجملة أعضائه ، وسألني القاضي الفاضل عن قوله تعالى (ولو أنّ قرآناً سُيّرت به الجبال) وعن مسائل كثيرة ومع هذا فلا يقطع الكتابة والاملاء . وقال لي : ترجع إلى دمشق وتجرى عليك الجرايات . فقلت أريد مصر . فقال : السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا وقتل المسلمين بها . فقلت : لا بد لي من مصر ، فكتب لي ورقة صغيرة إلى وكيله بها ». (١٠٩)

وللقاضي الفاضل ديوان رسائل وديوان شعر ، ولكل منهما نسخ

---

(١٠٧)معجم الأدباء ٣ : ١٩٥ .

(١٠٨)الصواب : على اخراج الكلام .

(١٠٩)عيون الأنباء في طبقات الاطباء ٢ : ٢٠٥ (طبعة اوغست موللر)
وللقاضي الفاضل ترجمة في الجامع المختصر ٩ : ٢٨ - ٦٤ والوفيات ١ : ٣٠٨ ومرآة الزمان ٨ : ٤٧٢ وكامل ابن الأثير في حوادث سنة ٥٩٦ والنجوم الزاهرة ٦ : ١٥٦ والشذرات ٤ : ٣٢٤ . والى وفاته اشارة في ذيل الروضتين ، ص ١٧ .

محفوظة في دور الكتب .

١٦ ـ عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب ابو هاشم الجبائي

قال ياقوت الحموي : « جُبّى بالضمة والتشديد والقصر : بلد أو كورة .... ومن جُبّى هذه أبو علي محمد بن عبدالوهاب الجُبائي المتكلم المعتزل صاحب التصانيف مات سنة (٣٠٣) ومولده سنة ٢٣٥ وابنه أبو هاشم عبدالسلام كان كأبيه في علم الكلام وفضل عليه بعلم الأدب فانه كان إماماً في العربية ، مات سنة ٣٢١ ببغداد » . (١١٠)

(تتمـــة)

وجاء في أصل لسان الميزان « وقال ابن النديم في الفهرست : كان عبد السلام بصيراً بالنحو واللغة ، قرأ على أبيه وغيره » .

١٧ ـ عبد العزيز بن ابراهيم بن بناء (كذا) بن حاجب النعمان ابو الحسن

قال ياقوت في ترجمة ابنه علي بن عبد العزيز : « علي بن عبدالعزيز ابن ابراهيم بن بناء (كذا) بن حاجب النعمان أبو الحسن ، قد ذكرت معنى تسميتهم بحاجب النعمان في ترجمة أبيه ... وكان أبوه يكتب لابي محمد المهلبي وزير معز الدولة » (١١١) .

(تتمـــة)

قال ابن النديم : « ابن حاجب النعمان أبو الحسين عبدالعزيز بن إبراهيم ، وكان أبوه حاجب النعمان أبي عبدالله الكاتب ، وكان أبو الحسين أحد أفراد الزمان في الفضل والنبل ومعرفة الكتابة بالدواوين ، وكان إليه أيام معز الدولة ديوان السواد . ولم يشاهد خزانة للكتب أحسن من

(١١٠) ولعبد السلام ترجمة في تاريخ الخطيب ١١ : ٥٦ ولسان الميزان ٤ : ١٦ .

(١١١) معجم البلدان ٥ : ٢٥٩ ، وفي تاريخ الخطيب كما يأتي « بيان » بدلا من « بناء » .

خزانته لأنها كانت تحتوي على كل كتاب عين وديوان فرد بخطوط العلماء المنسوبة . وتوفي وله من الكتب كتاب (نشوة النهار في أخبار الجوار)، كتاب الصبوة ، كتاب أشعار الكتاب ، كتاب أخبار النساء ويعرف بكتاب ابن الدكاني ، كتاب الغرر ومجتنى الزهر ، كتاب أنس ذوي الفضل في الولاية والعزل » (١١٢) .

وأسماء الشعراء الكتاب والكتاب الشعراء الذين ذكرهم في كتابه « أشعار الكتاب » هي :

« محمد بن داود ، القاسم بن صبيح ، يحيى بن خالد ، الفضل بن يحيى . علي بن عبيدة . جعفر بن يحيى . الفيض بن أبي صالح . يوسف ابن القاسم . أحمد بن يوسف . يعقوب بن نوح . ابن المقفع . عبدالوهاب الفضل بن الربيع . يعقوب بن الربيع . الحسن بن سهل . الفضل بن سهل . زنبور بن الفرج . يوسف لقوة . سندي بن صدقة . سهل بن هارون . محمد بن بكر . حمزة بن خزيمة الكاتب . حماد بن نجاح الكاتب . القاسم بن يوسف . أبو عبدالله بن داود . مسلمة بن سلم . صالح ابن أبي النجم . محمد بن الحسين بن شعيب . داود بن جمهور . أبو الحارث محمد بن عبدالله الحراني . ابراهيم بن العباس الصولي . محمد بن عبد الملك الزيات . الحسن بن وهب . سليمان بن وهب . أبو عثمان سعيد بن حميد الكاتب . سعيد بن وهب . موسى بن عبد الملك . الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك . ابراهيم بن اسماعيل بن داود . عمرو ابن مسعدة . مجاشع بن مسعدة . أحمد بن المدبَّر . ابراهيم بن المدبَّر . أبو الجهم أحمد بن يوسف . أبو علي البصير . أبو الطيب عبدالرحيم الحراني . أحمد بن أبي سلمة كاتب عباس . أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري . أبو عبد الرحمن العطوي . جنان الكاتب ، سليمان بن أبي سهل بن نوبخت . الحسن بن الحسين بن سهل . أحمد بن محمد بن

(١١٢) الفهرست ، طبعة مصر ، ص ١٩٣ .

زيدونة الكاتب • أبو الغمر هارون بن محمد كاتب الحسين بن زيد • هرثمة ابن الخليع• أبو جعفر محمد بن جعفر الكاتب• ابراهيم بن عيسى المدائني• علي بن عبد الكريم • أبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن داود العبرتائي • أبو بكر محمد بن هارون بن مخلد بن أبان • أحمد بن عيسى • أبو صالح عبدالله بن محمد بن يزداد • عبدالله بن النضر الكاتب • عبدالله بن يزيد • القاسم بن يوسف السلمي • أحمد بن خالد الرياشي • غالب بن أحمدالفطن• عمر بن عثمان بن اسفنداد• علي بن الحسن المصري• سهل بن محمد الكاتب • محمد بن أحمد المعروف بمجون الكاتب • عبدالله بن أحمد بن يوسف • عبدالله بن محمد بن عبد الملك • أبو الصقر إسماعيل بن بلبل • أبو الفضل أحمد بن سليمان بن وهب • حمد بن مهران الكاتب • أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن يعقوب بن داود اليعقوبي • عبدالله بن عبدالله ابن يعقوب • أحمد بن علي بن خيار الكاتب • منصور بن عبدالله الكاتب• أحمد بن علوية الاصفهاني • أبو الطيب محمد بن عبدالله اليوسفي • أبو الحسن علي بن عبد الغفار الجرجاني • أبو الحسين عبدالوهاب بن عمرو الشلمغاني • أبو علي أحمد بن علي بن الحسن الماذرائي • ميمون بن ابراهيم الكاتب • عبدالله بن أخت أبي الوزير • محمد بن علي بن أبي حكيمة • محمد بن علي المعروف بديدن • محمد بن الفضل الحوفزاني الكاتب • عيسى بن فرخانشاه الكاتب • أبو علي أحمد بن إسماعيل نطاحة • علي بن محمد بن نصير بن منصور بن بسام • أبو العباس هبةالله بن محمد بن عبدالله الناشيء • أبو بكر احمد بن محمد الطالقاني• محمد بن غالب باح الأصبهاني • أبو القاسم جعفر بن محمد بن حدار كاتب الطولونية • أبو محمد العباس بن الفضل الفارسي • أحمد بن صالح بن شيرزاد الكاتب • محمد بن علي الكاتب باذنجانة • محمد بن أحمد بن علي بن حيان • علي بن محمد بن سير الماذياني • عبدالله بن طالب الكاتب • محمد بن عمر المعروف بابن الخنساء • أبو الحسن علي بن محمد الفياض • أبو

علي عبدالرحمن بن عيسى الهمذاني • أحمد بن محمد بن متوكل من ساكني مصر • أبو سعيد عبدالرحمن بن أحمد الأصبهاني • أبو الحسين أحمد ابن يحيى بن أبي البغل • أبو محمد القاسم بن محمد الكرخي • مقاتل ابن نصر بن المنتصر الديلي • أبو الحسين احمد بن خالد الماذرائي • أبو الحسين محمد بن إسحاق بن الحسين الماذرائي • أبو علي عاصم بن محمد ابن الكاتب • أبو عبدالله الحسين بن أحمد الماذرائي • أبو عبدالله حكم ابن معبد الاصفهاني • أبو علي محمد بن عروس الكاتب • أبو العباس ابن ثوابة • أبو الحسين بن ثوابة • القاسم بن عبيدالله بن سليمان • أبو العباس بن الفرات• ابو الحسين علي بن عباس النوبختي• أبو عبدالله احمد ابن عبدالله النوبختي • محمد بن عبيدالله السنوي (كذا) • جعفر بن قدامة • أبو عبدالله المفجع البصري • أبو الفضل العباس بن عبدالجبار • أبو القاسم علي بن محمد النسوي • أبو الطيب محمد بن علي البخاري • أحمد بن عبدالله بن رشيد الكاتب • الحسن بن محمد بن غالب بن أبي عبدالله الاصفهاني • أبو القاسم بن أبي العلاء • حمدون بن حاتم الانباري • يحيى بن زكريا بن يحيى • أبو علي الحسن بن يوسف • أبو عبدالله أحمد بن كامل • أبو علي محمد بن علي الفياض • أبو غالب مقاتل بن النضر • أبو جعفر محمد بن شعبة الجرجاني • أبو علي محمد ابن علي بن مقلة، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل بن صالح بن يحيى الكاتب• أبو الحسن سعيد بن ابراهيم البرتي النصراني الكاتب • قال ابن النديم : « هذا آخر ما تضمنه كتاب أبي الحسين بن حاجب النعمان الكاتب من اسماء الكتاب الشعراء الذين اختار من اشعارهم » [١١٣] •

وقال الخطيب البغدادي : « علي بن عبد العزيز بن إبراهيم بن بيان ابن داود أبو الحسين المعروف بابن حاجب النعمان ، كان احد الكتاب الحذاق بصنعة الكتابة وأمور الدواوين ، وله كتب مصنفة في الهزل • ذكر لي هلال بن المحسن الكاتب أنه مات يوم الجمعة لسبع بقين من شهر

(١١٣) الفهرست ، ص ٢٣٦ — ٢٣٩ •

رمضان سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة » [١١٤] .

وقال الصلاح الصفدي : « عبدالعزيز بن إبراهيم بن بيان الرئيس أبو الحسين بن حاجب النعمان الكاتب البغدادي ، قال الخطيب : أحد الكتاب الحذاق بأمور الديوان ، له تواليف في الهزل ، توفي سنة احدى وخمسين وثلاثمائة . منها كتاب الصبوة ، كتاب أشعار الكتاب ، كتاب الفصل في الولاية والعزل ، كتاب الغرر ومجتنى الزهر ، كتاب النساء » [١١٥] .

وقال أبو علي المحسن التنوخي : « ولقد شاهدت مجلساً في شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة كأنه من مجالس البرامكة ، ماشهدت مثله قط ، قبله ولا بعده ، وذلك أن كاتب الوزير أبي محمد الحسن المهلبي على ديوان السواد أبا الحسين عبدالعزيز بن إبراهيم المعروف بابن حاجب النعمان سقط من روشن في دار أبي محمد على دجلة فمات في اليوم الثامن من السقطة ، فجزع عليه أبو محمد وجاء من غد إلى أولاده لأنهم كانوا دفنوه عشياً وكنت معه فعزاهم بأعذب لسان ، وأحسن بيان ووعدهم الاحسان وقال : أنا أبوكم وما فقدتم من ماضيكم غير شخصه . قال لابنه الأكبر أبي عبدالله : قد وليتك موضع أبيك ورددت إليك عمله ووليت أخاك أبا الحسين — وكان هذا صبياً سنّه عشر سنين أو نحوها — وأجريت عليه كذا وكذا (رزقاً كبيرا وقد ذهب عني) ، فليلزمه[١١٦] فان سنيهما متقاربة ليتعلم بتعلمه وينشأ بنشوئه فيجب حقه عليه . ثم قال لأبي العلاء صاعد بن ثابت خليفته على الوزارة: اكتب عهدا لأبي عبدالله واستدع كل من كان أبو الحسن (رحمه الله) مستأجراً منه شيئاً فخاطبه في تجديد الاجارة للورثة فانّ اكثر نعمه إنما كانت دخالات وإجارات ومزارعات قد انحلت الآن بموته ، ومن امتنع فزده من مالي وأسأله ولا تقنع الا بتجديد

---

(١١٤) تاريخ بغداد ١٠ : ٤٥٦ .

(١١٥) الوافي بالوفيات (نسخة دار الكتب الوطنيه بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢١٠) .

(١١٦) لعله اراد « فليهزم اخاه ابا عبدالله » .

العقد كيف جرت الحال • ثم قال لأبي المكارم بن ورقاء (وكان سلف[117] الميت) : إن ذيل أبي الحسن طويل ، وقد كنت أعلم أنه يجري على أخواته وأولادهن وأقاربه شيئاً كثيرا في كل شهر ، وهؤلاء الآن يهلكون بسوته ولا حصة لهم في إرثه ، فقم إلى ابنة أبي محمد الماذرائي (يعني زوجة المتوفي) فعزّها عني ، واكتب منها بجريدة بأسماء جميع النساء اللواتي كان أبو الحسين يجري عليهن وغيرهن من الرجال ، وضعفاء حاشيته ، وقال لأبي العلاء : إذا جاءك بالجريدة فأطلقها عاجلاً لشهر • وتقدم باطلاقها على الادرار ، فبلغت الجريدة ثلاثة آلاف وكسراً في الشهر ، وعملت في المجلس وأطلق مثلها وامتثل جميع ما رسم به أبو محمد • فلم يبق أحد إلا بكى رقة واستحساناً لذلك ••• وقلت أنا لأبي محمد ذلك اليوم : لو كان الموت يستطاب في وقت من الأوقات لطاب لكل ذي ذيل طويل في أيام سيدنا الوزير ، فان هذا الفعل تاريخ الكرم ، وبه يتحقق ما يروى عن الأسلاف من الأجواد والماضين من الكرماء الأفراد • وغير ذلك مما حضر في الحال • ثم نهض أبو محمد (رحمه الله) فارتفعت الضجة من النساء والرجال وأهل الدار والشارع بالدعاء له والشكر »[118] •

وقد ذكر القلقشندي كتاب « ذخيرة الكتاب » واستمد منه وقال إنه لابن حاجب النعمان[119] ، والظاهر أنه لابن المترجم أبي الحسن علي بن عبدالعزيز بن حاجب النعمان •

١٨ ـ عبدالغافر بن اسماعيل بن عبدالغافر عين الدين ابو الحسين الفارسي المحدث المؤرخ

قال ابن الفوطي :

« ذكره ياقوت الحموي في كتاب معجم الأدباء ، وأبو النضر الفامي

(١١٧)سلف الرجل بكر السين وتسكين اللام : زوج اخت زوجه .

(١١٨)نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ١ : ٣٩ ـ ٤١ .

(١١٩)صبح الأعشى ٢ : ٤٨ ، ٤٩ ومختصره ص ١٦ .

في تاريخ هراة وقال : كان أديباً فاضلاً . قال ياقوت : لم يُر بخراسان والعراق أجمع منه للفضائل وهو سبط أبي القاسم القشيري ، وخرّج له الحفاظ الفوائد كالامام أبي الفضل محمد بن أحمد الجارودي . وهو الذي صنف الذيل على تاريخ الحاكم منذ وفاة الحاكم سنة خمس وأربعمائة، وقرأ الكثير على المشايخ ، وكتب عن الامام أبي الحسن علي بن فضال المجاشعي ، واختلف الى إمام الحرمين الجويني وخرج الى النواحي ونسا ودخل خوارزم والى غزنة ، ومنها إلى لوهور ، وقرأ عليه الناس تصانيف القشيري ، وصنف كتباً منها كتاب (المفهم لصحيح مسلم) وغير ذلك ، وله شعر حسن . منه قوله :

من يبغ مالاً في الورى فأنا إلى … طلب المعالي رائح غادي
نفسي وإن فقدت أمانيها فقد … أبت آن [١٢٠] تلين لخدمةالأوغاد

مولده سنة احدى وخمسين واربعمائة ، وتوفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة » [١٢١] .

(تتمة)

وقد نقل ابن الفوطي من تاريخ نيسابور لعبد الغافر الفارسي المذكور كما جاء في ترجمة طاهر بن عبدالله النوراباذي رئيس نيسابور ، قال: ذكره [١٢٢] الامام عين الدين عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في تاريخه .

وقال الصلاح الصفدي : « عبد الغافر بن إسماعيل بن أبي الحسين عبدالغافر [١٢٣] ، هو حفيد الحافظ المذكور آنفاً ، هو الحافظ أبو الحسين الفارسي ، مصنف السياق لتاريخ نيسابور ، ومعجم الغرائب في غريب الحديث والمفهم : شرح مسلم . كان إماماً محدثاً حافظاً أديباً

(١٢٠)تقرأ وصلية لاقطعية ليستقيم الوزن .

(١٢١)تلخيص معجم الالقاب ٤ : ٢٤ .

(١٢٢)المرجع المذكور ٤ : ١٨٨ .

(١٢٣)المذكور هو « عبدالغافر ركن الدين الزوشتاني الفقيه الشافعي » .

فصيحاً مفوهاً ، روى عنه ابن عساكر بالاجازة وتوفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة . قال ياقوت : نقلت من خطه الذي يفوق أصداغ الملاح قوله ، بل قصائد سلاف الراح ... » [١٢٤] .

١٩ ـ عبد الكافي الهاروني اليهودي :

قال الصفدي : « صاحب الخط المليح الى الغاية على طريقة ابن البواب . كان موجوداً بعد مائة [١٢٥] ، قال ياقوت : أنشدت من شعره :

قلبي معنىً عميد ... بين الهوى والهواء
هذا يقود زماني ... وذا يصدّ هوائي

وقوله :

يامن يقرب وصلي منه موعده ... لو لاعوائق من خلف تباعدُهُ
لاتحسبنَّ دموعي البيض غيردمي ... وإنما نَفَسي الحامي يصعّدُهُ [١٢٦]

٢٠ ـ عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد الامام أبو القاسم القشيري النيسابوري الزاهد الصوفي موءلف (الرسالة) المشهورة في الصوفية والتصوف .

قال الصلاح الصفدي : « شيخ خراسان وأستاذ الجماعة ومقدم الطائفة ... توفي أبو القاسم سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة ، ودفن بالمدرسة بباب الطاق بجانب شيخه الاستاذ أبي علي الدقاق . قال ياقوت : « أخذ طريق التصوّف عن الاستاذ أبي علي الدقاق وأخذ هو عن أبي القاسم الفيروزآبادي وأخذ هو عن الشبلي

(١٢٤) الوافي بالوفيات (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٣٨) ، ولعبد الغافر ترجمة في الوفيات ١ : ٣٣١ وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤ : ٢٥٥ ، وغيرهما .

(١٢٥) كذا جاء في النسخة الخطية للوافي بالوفيات والظاهر ان الأصل « بعد اربعمائة » .

(١٢٦) الوافي بالوفيات (نسخة دار الكتب الوطنية ٢٠٦٦ الورقة ٢٤٦) .

عن الجنيد عن السري عن معروف الكرخي عن داود الطائي عن التابعين ، وله كتاب آداب الصوفية وكتاب بلغة الفاضل ، وكتاب التحبير في علم التذكير ... » [١٢٧] .

(تتمـــــة)

وقال سبط ابن الجوزي في وفيات سنة ٤٦٥ : « عبدالكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد أبو القاسم القشيري النيسابوري، وأمه سُلميّة . ولد سنة ست وسبعين وثلاثمائة في ربيع الأول ومات أبوه وهو طفل . فنشأ وقرأ الأدب والعربية ، وكان يميل الى أبناء الدنيا فدخل على أبي (علي) الدقاق فأعجبه حاله ، فصحبه فجذبه من ذلك ، وتفقه على (أبي) بكر (محمد) بن بكر الطوسي وأخذ علم الكلام عن ابن فورك ، وصنف التفسير الكبير والرسالة ، وكان يحب الصوفية وأهل الدين والطريقة ، عظيما عند أهل نيسابور يعظ ويتكلم بكلام الصوفية ، وخرج الى الحج وقدم بغداد . وكانت وفاته في رجب وقيل في ربيع الآخر بنيسابور ودفن بالمدرسة إلى جانب شيخه أبي علي الدقاق وصلى عليه أكبر أولاده عبدالله ، ولم يقرب أحد من أولاده وأهله الزاوية [١٢٨] التي كان يجلس عليها ويصنف ويتعبد ، احتراما وتعظيما له ، وكان قد أهدى له بعض أصحابه فرساً فركبه عشرين سنة لم يركب غيره ، فلما مات أقام الفرس أسبوعا لا يأكل ولا يشرب حتى مات ؛ فكان بينه وبين وفاته ستة أيام . ومن شعره :

الدهر ساومني عمري فقلت له	لابعت عُمري بالدنيا وما فيها
ثم اشتراه تفاريقاً [١٢٩] بلا ثمن	تبّت يدا صفقة قد خاب شاريها

وكان ثقة حسن الوعظ ، مليح الاشارة يعرف الأصول على مذهب

---

(١٢٧) المرجع المذكور ، الورقة ٢٥٢ .

(١٢٨) لعل الأصل « الزلية » .

(١٢٩) يقال « باعه او اشتراه تفاريق » وهو ضد الاشتراء بالجملة والجمل.

الأشعري والفروع على مذهب الشافعي (رض) ولما قدم بغداد عقد مجلس التذكير فروى عن النبي « ص » (السفر قطعة من العذاب) الحديث ، فقام إليه سائل فقال : لم سماه (ص) قطعة من العذاب ؟ فأجاب بديهاً : لأنه سبب فراق الأحباب . فصاح الناس وماجوا ولم يقدر على إتمام المجلس ، فنزل ... وكان له من الولد عبدالله وعبدالواحد وعبدالرحمن وعبدالرحيم وعبيد الله وعبدالمنعم ، وأثنى عليهم ابن السمعاني ... » [130] .

٢١ ـ عبد اللطيف بن يوسف بن محمد موفق الدين أبو محمد البغدادي الأديب الحكيم :

قال ابن الفوطي : « ذكره الفاضل شهاب الدين ياقوت الحموي في كتاب معجم الأدباء وقال : لبس الخرقة من ضياء الدين أبي النجيب (عبدالقاهر) السهروردي ، وقرأ على الشيخ الحسن بن علي بن عَبيدة الكرخي ، وله تصانيف في الأدب والحديث والطب، وذكره القاضي الفاضل في رسالة كتبها الى الوزير نجم الدين بن المجاور في حق الشيخ موفق الدين عبداللطيف يقول فيها : أديب ملأ فيه الاسماع (كذا) وفاضل لا بأخبار الآحاد ولكن بتوطؤ الاجماع (وعينه ُفراره) وفي لسانه من العبارة ماره (كذا) وفي قلبه من الذكاء ناره . توفي في المحرم سنة تسع وعشرين وستمائة ، ومولده سنة سبع وخمسين وخمسمائة » [131] .

---

(١٣٠) مرآة الزمان (نسخة باريس ١٥٠٦ الورقة ١٤١) وله ترجمة في تاريخ بغداد للخطيب ١١ : ٨٣ ودمية القصر للباخرزي (ص ١٩٤) وانساب السمعاني في (القشيري) والمنتظم ٨ : ٢٨٠ ، والكامل في وفيات سنة ٤٦٥ والوفيات ١ : ٣٢٤ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣ : ٢٤٣ ، والنجوم الزاهرة ٥ : ٨١ ، والشذرات ٣ : ٣١٥ ، وحواشي تكملة اكمال الاكمال (ص ١٦٤) .

(١٣١) تلخيص معجم الالقاب (ج ٥ الترجمة ١٩٨ من الميم) .

(تتمـــــة)

وقال الصلاح الصفدي : « عبداللطيف بن يوسف بن محمد بن علي الموصلي البغدادي المولد والأدب ، أبو محمــد بن أبي العز النحــوي . أسمعه والداه الكثير في صبــاه من أبي الفتح بــن البطي وأبي زرعــة طاهر بن محمــد بن طاهر المقدسيّ ، وأبي القاسم يحيى بن ثابــت بــن بندار البقال وأبي بكر عبدالله بن النقور وغيرهم ، وتفقــه للشافعي وقرأ العربية ، على (كمال الدين) ابن الأنباري ، وصحب الوجيه (المبارك) أبا النجيب الضرير النحوي ، وبرع في النحــو وتميّز على أقرانه وقــرأ الطب والحكمة ، وصنف في الأدب وغيره ، وكان يكتب (خطــاً) مليحاً وسافر الى الشــام ودخل مصر ولقي قبولاً ، وقرأ الناس عليه الأدب والطب ، وروى أكثر مسموعاته وكان غزير الفضل ، كامل العقل : حسن الاخلاق محباً للعلم وأهله ، ودخل بلاد الروم وأقام بها مدة وكان يطبّ ملكها وصادف قبولاً . ولما توفي الملك عاد إلى حلب وحدث بهــا وحج وأقــام ببغــداد مريضــاً بعلة الذَرَب وتوفي ســنة تســع وعشــرين وستمائة » (١٣٢) .

وترجمه الصفدي ثانية ظاناً أنه رجل آخر ، قال : « عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعد العلامة موفق الدين أبو محمــد الموصلي الاصل البغــدادي الفقيــه الشافعي النحوي اللغوي المتكلــم الطبيب الفيلســوف المعروف قديماً بابن اللبّان ، لقبــه تاج الديــن الكندي بالجدي المطجّن ، لرقة وجهه وتجعده ويبسه . ولد ببغداد فــي أحد الربيعين سنة تســع وخمسين وخمسمائة ، وتوفي ببغداد سنة تسع وعشرين وستمائة ، سمّعه أبوه من ابن البطي وأبي زرعــة المقدسي وشهدة وجماعة وحدث بدمشق والقدس ومصر وحران وبغداد ، وكان أحــد الاذكياء المتضلعين من الآداب والطب وعلم الاوائل ، الا ان دعاويه كانت اكثر من

---

(١٣٢) الوافي بالوفيات (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٥٣ /) .

علومه . وكان دميم الخلقة نحيفها قليل لحم الوجه • بالغ القفطي في الحط عليه ، وكان من يشغل من دمشق إلى حلب (كذا) • ومن كلامه : اللهم أعِذْنا من جموح الطبيعة وشموس النفس ، وسلّس لنا منار التوفيق ، وخُذ بنا في سَواء الطريق ، ياهادي العُمى ، يا مرشد الضلال ، يا محيي القلوب الميتة بالايمان ، خذ بايدينا من مهواة الهلكة ، ونجنا من ردغة الطبيعة ، وطهرنا من درن الدنيا الدنية بالاخلاص لك والتقوى انك مالك الدنيا والآخرة • سبحان من عمّ بحكمه الوجود ، فاستحق بكل وجه أن يكون المعبود ، تلألاءت بأنوار جلالك الآفاق ، وأشرقت شمس معرفتك على النفوس إشراقاً وأي إشراق • ومن تصانيفه : غريب الحديث ، والمجرويه (كذا) والواضحة في الفاتحة ، ومنها كتاب (رُبّ) • كتاب الألف واللام ، شرح بانت سعاد ، ذيل الفصيح [١٣٣] ، خمس مسائل نحوية ، شرح مقدمة ابن بابشاذ ، شرح الخطب النباتية ، شرح سبعين حديثاً ، شرح مقدمة ابن بابشاذ، الرد على فخرالدين الرازي فيتفسير سورة الاخلاص ، شرح نقد الشعر لقدامة ، قوانين البلاغة ، الانصاف بين ابن بري وابن الخشاب في كلامهما على المقامات ، مسألة (أنت طالق في شهر ما بعد قبله رمضان) ، كتاب قبسة العجلان في النحو ، اختصار العمدة لابن رشيق ، مقدمة حساب ، اختصار كتاب النبات ، اختصار كتاب الحيوان لأرسطو ، واختصر كتباً كثيرة في الطب ، كتاب أخبار مصر (الكبير) ، الافادة في أخبار مصر [١٣٤] ، تاريخ يتضمن سيرته [١٣٥] • مقالة في الرد على اليهود والنصارى • مقالة في النفس • مقالة في العطش ، مقالة في السقنقور ، كتاب في العلم الالهي ، كتاب الجامع الكبير في المنطق والطبيعي والالهي ، زهاء عشر مجلدات وبقي يصنف

---

(١٣٣) قد طبع الكتاب مع فصيح ثعلب بمصر .

(١٣٤) قد طبع هذا الكتاب غير مرة وبه اشتهر مؤلفه في العالم الغربي بحيث قل أن اهمله معجم رجال غربي للعلماء .

(١٣٥) نقل منه ابن ابي اصيبعة في عيون الأنباء في طبقات الاطباء ٣ : ٢٠٣ .

فيه مدة . شرح (الراحمون يرحمهم الرحمن) . اختصار الصناعتين للعسكري ، اختصار كتاب مادة البقاء للتميمي ، كتاب بلغة الحكيم للشيخ تاج الدين الكندي حيث قال الخطيب ابن نباتة في أول خطبة ذكر فيها وفاة النبي (ص) : الحمد لله المنتقم ممن خالفه ، المهلك من آسفه. المتوحد في قهره ، المتفرد بعز أمره . فقال الشيخ تاج الدين الكندي : العجب ممن يفتح هذه الخطبة بمثل هذا الكلام لولا غفلة لحقت الخطيب ، ولائق بها أن يكون افتتاحها : الحمد لله العادل في أقضيته بلا جور في قضائه الممضي حكمه في بريته بلا ريب في مضائه، المتفرد بالبقاء بلا مشارك له في بقائه ، المرجو روحه فلا راحة لأوليائه دون لقائه . وهذه السجعات في غاية المناسبة لافتتاح خطبة يذكر فيها وفاة رسول الله (ص) . فقال موفق الدين المذكور : الخطيب إنما قال ذلك نظراً إلى قوله تعالى : فاما نذهبنَّ بك فانا منهم منتقمون . وهذا الجواب في غاية السّداد والحسن ، ولو أورد على الخطيب وهو حيّ ما أجاب بأحسن من هذا الجواب ولا أسدّ » (١٣٦) .

وقال أبو عبدالله بن الدبيثي : « عبداللطيف بن يوسف بن محمد ابن علي بن أبي سعد الموصلي البغدادي المولد ابو محمد ابن اخي سليمان الموصلي ، أديب فاضل له معرفة بالنحو واللغة والعربية وعلم الكلام والطب ، أسمعه والده في صباه من جماعة منهم أبو الفتح محمد ابن عبدالباقي المعروف بابن البطي وأبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي وأبو القاسم يحيى بن ثابت الوكيل وغيرهم ، وغلب عليه علم الطب والأدب ورع فيهما . خرج عن بغداد إلى الشام وديار مصر وأقام هناك ، وقرأ الناس عليه هناك وسمعوا منه وانتفعوا به . بلغني أن مولده

---

(١٣٦)الوافي بالوفيات (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٥٣) .

في سنة سبع وخمسين وخمسمائة »[١٣٧] .

وقال زكي الدين المنذري في وفيات سنة ٦٢٩ : « وفي الثاني عشر من المحرم توفي الشيخ الأجل العالم أبو محمد عبداللطيف بن الشيخ الأجل الفقيه أبي العز يوسف بن أبي البركات محمد بن علي بن أبي سعد الموصلي الأصل ، البغدادي المولد الشافعي النحوي اللغوي الحكيم المنعوت بالموفق ، ببغداد ودفن بالوردية[١٣٨] . ومولده ببغداد في احد الربيعين سنة سبع وخمسين وخمسمائة . سمع الكثير بافادة والده من أبي الفتح محمد بن عبدالباقي بن أحمد بن سلمان وأبي القاسم يحيى ابن ثابت بن بندار وأبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي وأبي علي الحسن بن علي بن الحسن المقريء وأبي الحسين عبدالحق بن عبدالخالق بن أحمد بن يوسف وفخر النساء شهدة بنت أحمد بن الفرج الابري وجماعة جمة سواهم ، واشتغل بالنحو واللغة وبرع فيهما ، واشتغل بالطب والكلام وغير ذلك وصنف تصانيف مفيدة مختصرة ومطولة ، وحدث ببغداد ودمشق والبيت المقدّس ومصر وغير ذلك من البلاد سمعتُ منه بالقاهرة وبالبيت المقدس ، وهو من بيت العلم والحديث . والده أبو العز يوسف كان فاضلاً تفقه على الامام أبي النجيب السهروردي وصحبه وسمع منه ، وسمع أيضاً بنفسه من القاضي أبي بكر محمد بن عبدالباقي الأنصاري والحافظ أبي القاسم إسماعيل بن أحمد السمرقندي وأبي الحسن علي بن هبة الله بن عبدالسلام وأبي منصور محمد بن عبدالملك بن خيرون وجماعة سواهم . وقد تقدم ذكر عميّه أبي

---

(١٣٧) ذيل تاريخ بغداد (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢١ الورقة ١٦٢) ، ولم يذكر ابن الدبيثي وفاته لأن آخر نشرة لتاريخه كانت سنة « ٦٢١ هـ » .

(١٣٨) هي من مقابر بغداد الشرقية وتعرف اليوم بمقبرة الشيخ عمر وهو شهاب الدين ابو حفص عمر بن محمد السهروردي .

الفضل سليمان وأبي الحسن علي » [١٣٩] .

وقال تقي الدين قاضي شهبة : « عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي العلامة موفق الدين ابو محمد البغدادي ، أصله من الموصل ... ومن كلامه : من لم يذق لذة العلم ولم يكدح لم يفلح ... » [١٤٠] .

وقال ابن النجار كما جاء في الاختصار : « عبداللطيف بن يوسف ابن محمد علي الموصلي الأصل ، البغدادي المولد والدار أبو محمد ابن أبي العز . أسمعه والده من أبي الفتح محمد بن عبدالباقي بن البطي وأبي زرعة طاهر بن محمد المقدسي ويحيى بن ثابت بن بندار وأبي بكر عبدالله بن محمد بن أحمد بن النقور ، في آخرين ، وتفقه في صباه على مذهب الامام الشافعي ، وقرأ العربية على عبدالرحمن الأنباري ، وصحب شيخنا الوجيه الضرير النحوي مدة حتى برع في النحو وتميّز وقرأ علم الطب حتى أحكمه وصنف مصنفات فيالادب وغيره ، وكان يكتب خطا مليحاً ، وسافر الى الشام ودخل ديار مصر ورأى هناك قبولاً كثيراً ، وكان عزيز الفضل كامل العقل ثم إنه دخل الى بلاد الروم وأقام بها مدة ، وكان يطبّ ملكها وصادف قبولاً عظيماً فلما توفي الملك عاد إلى حلب وحدث بها ثم توجه الى بغداد ، فأقام بها إلى أن توفي ثاني عشر محرم سنة تسع وعشرين وستمائة ودفن في مقبرة الوردية ، وكان مولده في أحد الربيعين من سنة سبع[١٤١]

(١٣٩) التكملة لوفيات النقلة (نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية ١٩٨٢ د، ج ٢ الورقة ٩٩) .

(١٤٠) طبقات الشافعية (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٠٢ الورقة ٦١) .

(١٤١) في الهامش « كذا ذكره الشيخ » ، وقد قدمنا ان مولده كان سنة ٥٥٧ .

وسبعين » [١٤٢] . وقال ابن العماد الحنبلي : «وشرح أحاديث ابن ماجة المتعلقة بالطب وحدث ببلدان كثيرة ، قال الذهبي : كان أحد الاذكياء البارعين في اللغة والآداب والطب وعلم الاوائل لكن كثرة دعاويه آزرت به ولقد بالغ القفطي في الحط عليه وظلمه وبخسه حقه » [١٤٣] .

٢٢ ـ عبد الواحد بن علي بن برهان أبو القاسم العكبرى النحوي :

قال الذهبي في وفيات سنة (٤٥٦ هـ) : « بقية الشيوخ العالمين بالعربية والكلام والأنساب ، سمع ... قال ياقوت الحموي في تاريخ الأدباء : نقلت من خط عبدالرحيم بن النفيس بن وهبان قال نقلت من خط أبي بكر محمد بن منصور السمعاني سمعت المبارك بن عبدالجبار الصيرفي . سمعت أبا القاسم بن برهان يقول : دخلت على الشريف المرتضى في مرضه فاذا قد حوّل (وجهه) إلى الحائط فسمعته يقول ... فقمت وخرجت فما بلغت عتبة الباب حتى سمعت الزعقة عليه » [١٤٤] .

(تتمة)

وقال الصلاح الصفدي : « عبدالواحد بن علي بن عمر بن إسحاق ابن ابراهيم بن برهان (بفتح الباء الموحدة) أبو القاسم الاسدي العكبري النحوي ، صاحب اللغة والعربية والتواريخ وأيام العرب . قرأ على عبدالسلام البصري وأبي الحسن السمسي ، وكان يحضر حلقته فتىً مليح الوجه ، فانقطع عنه فسأل عنه ، فقيل : إن عميد الملك (الكندري) اعتقل والده ، فانحدر إلى باب المراتب فصادف الكندري ،

---

(١٤٢)المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (نسخة المجمع العلمي العراقي المصورة، الورقة ٥١) . ولعبد اللطيف البغدادي ترجمة مفصلة في عيون الانباء ٢ : ٢٠١ وذيل مرآة الزمان لليونيني ١ : ١٨٠ والنجوم الزاهرة، وفوات الوفيات ٢ : ٧ وهي منقولة في الأغلب من الوافي بلا اشارة ٦ : ٢٧٩ .

(١٤٣)الشذرات ٥ : ١٣٢ .

(١٤٤)تاريخ الاسلام « نسخة المتحفة البريطانية ، الورقة ٥٦ » .

فحين رآه أقبل عليه مسلّماً ، ووقف الغلام حوله ، فقال له ابن بَرْهان : (فيك الخصام وأنت الخصم والحكم) • ولم يزد على ذلك • فوجم الكندري وسأل عمّن في حبسه ، فأخبر بالرجل وأن ابنه يغشى الشيخ للاقتباس ، فأطلقه ووهبه ما عليه وكان ثمانية عشر ألف دينار • ومن شعر ابن َبرهان :

أحبتنا بأبي أنتم   وسقياً لكم أينما كنتم
أطلتم بعادي بميعادكم   وقلتم نزور فما زرتمُ
فإنْ لم تجودُوا على عبدكم   فأن المُعزّى به أنتمُ (١٤٥)

وقال سبط ابن الجوزي في وفيات سنة (٤٥٦) : « عبدالواحد بن علي بن بَرهان أبو القاسم النحوي ، كان عالماً فاضلاً بعلوم شتى منها علم العربية والنحو ، ولولا شراسة أخلاقه له آثار باقية وكتب مروية ، ولم يلبس سراويلاً قط ولا (كان) يغطي رأسه ، ولم يقبل لأحد عطاءاً ، وهو القائل : من قال إن (مِن) للتبعيض فقد جاء أهل اللغة بما لا يعرفونه • وتوفي ببغداد جمادى الأولى وقد اناف على الثمانين ، وقد طعن فيه ابن عقيل ، وقال محمد بن عبد الملك الهمذاني : إنه كان يميل الى المُرد الصباح ويقبلهم من غير ريبة » (١٤٦) •

وقال محب الدين بن النجار : « قرأت في كتاب الفنون لأبي الوفاء علي بن عقيل الفقيه الحنبلي بخطه قال : قدم علينا أبو المعالي الجويني أول ما دخل الغز فتكلم مع أبي إسحاق (الشيرازي) وأبي نصر بن الصباغ وسمعت كلامه وقال ••• كان الشيخ أبو القاسم الأسدي

(١٤٥) الوافي بالوفيات (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٨٢) ، وله ترجمة في تاريخ الخطيب ١١ : ١٧ ، والمنتظم ٨ : ٢٣٦ • ونزهة الالباء ، ص ٢٣٣ ، والجواهر المضيئة ١ : ٣٣٣ وفوات الوفيات ١ : ١٩ ، وانباه الرواة ٢ : ٢١٣ والبغية ، ص ٣١٧ •

(١٤٦) مرآة الزمان (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٠٦ الورقة ١٠٠) •

المعروف بابن برهان العكبري النحوي (وكان متفنناً في العلوم علامة في النحو والنسب وعلوم القرآن والأصول) عند عميد الملك ، وقد كان فاتشه الشيخ أبو المعالي الجويني وكان قدم علينا سنة تسع وأربعين (وأربعمائة) شاباً أشقر اللحية ، فجرى منه مقاولة للشيخ الامام أبي القاسم في العباد هل لهم أفعال ؟ فقال : إن وجدت في القرآن آية تقتضي ذلك فالحجة لك ، فقال الشيخ أبو القاسم (ولهم أعمال من دون ذلك همُ لها عاملون) [147] ومدّ صوته وجعل يقول (هم لها عاملون) وأصرح من هذه الاضافة لا يكون « (ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم) كفاراً حسداً من عند أنفسهم » [148] « لو استطعنا لخرجنا معكم (يهلكون أنفسهم) والله يعلم إنهم لكاذبون » [149] . أي قد كانوا مستطيعين . فأخذ أبو المعالي يستروح إلى التأويل ، فقال : والله إنك بارد تتأول صريح الكلام لتصحح بتأويلك كلام أبي الحسن الأشعري ، وأكله بالحجة فَبُهت ابن الجويني . وكان أيضاً في دولة عميد الملك نوع عصبية على الأشعرية وأصحاب الحديث ، فقبض أبا المعالي عن الانبساط وإلا فقد كان أحسن الناس لفظاً وأفواهم منهُ في النظر » [150] .

وقال أبو الفرج ابن الجوزي في ترجمة أبي الحسن عبدالعزيز بن الحارث التميمي المتوفي سنة ٣٧١ : « وقد تعصب عليه الخطيب وهذا شأنه في أصحاب أحمد ، فحكى عن أبي القاسم عبدالواحد بن علي الأسدي العكبري أن التميمي وضع حديثاً ، وهذا العكبري لا يعوّل على قوله فانه لم يكن من أهل الحديث والعلم إنما كان يعرف شيئاً من

(١٤٧) سورة المؤمنون : الآية ٦٣ .

(١٤٨) سورة البقرة : الآية ١٠٩ .

(١٤٩) سورة التوبة : الآية ٤٢ .

(١٥٠) التاريخ المجدد لمدينة السلام (نسخة المكتبة الظاهرية ، الورقة ١٣) .

العربية ولم يَروِ شيئا من الحديث . كذلك ذكر عنه الخطيب وكان أيضا معتزلياً » [١٥١] .

٢٣ ـ عبدالواحد بن محمد بن علي بن زكريا ابو القاسم

قال الصفدي : « قال ياقوت : وقفت على كتاب شرحَ فيه أشعار أبي الطيب المتنبي فأجاده وكبره وهو من أهل اصبهان » [١٥٢] .

٢٤ ـ عبيدالله بن احمد بن خرداذبه ابو القاسم

قال الصفدي : كان خرداذبه مجوسياً أسلم على يد البرامكة ، وتولى أبو القاسم هذا البريد والخبر بنواحي الجبل ، ونادم المعتمد واختصَّ به قال ياقوت في معجم الأدباء : وكان أبو الفرج الاصبهاني إذا أورد عنه شيئاً في كتابه أوقعه (كذا) بالوقيعة فيه والتنقص له بقوله : إنه كثير التحصيل (كذا) . ومن تصانيفه كتاب المسالك والممالك ، كتاب أدب السماع ، كتاب الطبيخ ، كتاب اللهو والملاهي ، كتاب جمهرة الأنساب للفرس ، كتاب الأنواء ، كتاب الندامى والجلساء ، كتاب الشراب ، ومن شعره :

في مثل وجهك يحسن الشعر ... ويكون فيه لذي الهوى عذرُ
ما إن نظرت إلى محاسنه ... إلا تداخلني له كبرُ
تتزين الدنيا بطلعته ... ويكون بدراً حين لابدرُ » [١٥٣]

---

(١٥١)المنتظم ٧ : ١١٠ .

(١٥٢)الوافي بالوفيات (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٨٤) .

(١٥٣)الوافي بالوفيات (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٤ الورقة ٢٩٧) ، وهذا الذي ذكره الصفدي نقلا من معجم الأدباء أكثره منقول من كتاب « الفهرست » لابن النديم ، ص ٢١٢ من طبعة مصر سوى الأبيات الثلاثة وسوى تنقص ابي الفرج .

قال محب الدين محمد بن النجار : « عبيدالله بن أحمد بن ُخرداذبه أبو القاســم الكاتب ، كان جده خرداذبه مجوسياً فأسلم على يد البرامكة ، وتولى عبيــدالله هــذا البريد والخبر بنواحــي الجبل ونــادم المعتضد وخص به ، وكان راوية للأخبار والآداب • روى عنه أبو علي الكوكبي وأبو عبدالله الحكيمي ومحمدبن عبدالملك التاريخي وله مصنفات منها كتاب المسالك والممالك وكتاب الندمان والجلساء وكتاب اللهو والملاهي وكتاب الطبيخ وكتاب الشراب • قرأت في كتاب أحمد بن أبي طالب الكاتب بخطه أنبأنا أبو عبدالله حمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي أنبأني عبيد الله بن خرداذبه قال حدثني أبي قال : كان كسرى إبرويز قد قال له منجموه إنك تقتل • فقال :لأقتلنّ الذي يقتلني فأمر بسُمّ يخلط له في أدوية ثم كتب عليه (دواء للجماع مجرّب ، من أخذ منه وزن كذا وكذا مرّة) • وصيره في خزانة الطب ، فلما قتله ابنه شيرويه وفتش خزائنه مرّ به فقال في نفسه أبهذا الــدواء كان يقوى على شيرين ، فأخذ منه فمات ، فقتله أبوه وهو ميت ، أنبأنــا عبد الوهاب بن علي الأمين (ابن ُسكينــة) عن محمد بن عبدالباقــي الشاهد أن الحسن بن علي الجوهري أخبره قال أنبأنا أبو محمد بن العباس ابن حيويه قراءة عليه عن أبي بكر محمد بن خلف المرزبان قال أنشدت لابن خرداذبه :

فــي مثل وجهك يحسن الشعر ... ويكون فيــه لذي الهوى عذر
ما إن نظــرت الــى محاســنه ... إلا تداخلنــي لـــه كبــر
تتزيــن الدنيـــا بطلعتـــه ... ويكون بدراً حــين لابدر [١٥٤]

وقال الذهبي كما جاء في لسان ميزان الاعتدال : عبيد الله بن أحمدبن

(١٥٤)التاريخ المحدد لمدينة السلام (نسخة المكتبــة الظاهرية بدمشــق ، الورقــة ٨٠ ، ٨١) .

خرداذبه [155] (بضم المعجمة وسكون الراء [156] وآخره موحدة مضمومة ثم هاء ليست للتأنيث يكني أبا القاسم .. إنه عبيدالله بن عبدالله بن خرداذبه .. وكان جده مجوسيا وعني هو بالكتابة .. وكان راوية للاخبار .. وكان يأتي في تصانيفه بالغرائب حتى قال بعضهم في شيء نقله عنه (كذا زعم ابن خرداذبه) وإن يك كاذباً فعليه كذبه ، وأنشد له المرزباني شعراً وسطاً ، وممن كذبه أبو الفرج الاصبهاني » [157]

وقال أبو الفرج الاصبهاني في أخبار معبد المغني : « وذكر ابن خرداذبه أنه غنى في دولة بني أميّة وأدرك دولة بني العباس ، وقد أصابه الفالج وارتعش وبطل ، فكان إذا غني يُضحك منه ويُهزأ به . وابن خرداذبه قليل التصحيح [158] لما يرويه ويضمنه كتبه ، والصحيح ان معبداً مات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده » [159] .

وقد ضبط مؤلف تاج العروس في مادة (روم) خرداذبه بضم الخاء وسكون الراء وفتح الدال بعدها ألف وكسر الذال المعجمة وسكون الياء التحتية وآخرها هاء » كما قال ناشرو الأغاني ، وقد طبع كتاب « المسالك والممالك » في ليدن بهولندة من ممالك أوربة سنة ١٩٠٤ .

---

(١٥٥) المطبوع في لسان الميزان ٤ : ٩٦ (خودادبه) وهو غلط .

(١٥٦) في المطبوع « الواو » وهو تصحيف .

(١٥٧) لسان الميزان ٤ : ٦٩ .

(١٥٨) في نسخة « التحصيل » .

(١٥٩) الاغانى (١ : ٣٦ طبعة دار الكتب المصرية) . ثم نقل من كتابه في اخبار ابي سعيد مولى فائد « (كما في ج٤ ص ٣٣٠) وقال في ترجمة (نبيه) : « زعم ابن خرداذبه انه رجل من بني تميم صليبة ...

٢٥ ـ عبدالله بن عبدالرحيم ابو القاسم الاصبهاني :

قال الصفدي : أحد فضلاء أصبهان وأدبائها ، له تصانيف منها كتاب أخبار أبي الطيب ، كتاب استدرك فيه على ابن جني في كتابه الصغير المسمى بالواضح . وقال ياقوت : لا أعرف من حاله شيئاً إلا أنه كان بـه (١٦٠) . سنة إحدى وأربعمائة (كذا) » (١٦١) .

---

(١٦٠) لعله «حيا» .

(١٦١) الوافي بالوفيات (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٤ الورقة ٣٠٥) .

طيور الفتوة وأثرها في الأدب

كان رمي الطيور بالبندق عن قوس الجُلاهِق [1] معروفا منذ اواخر عصر الخلفاء الراشدين ، ودأب المعنيون باصطياد الطير على استعمال هذه القوس وتطويرها ، والافتنان في تحسينها ، طوال عصور ودهور ، حتى جاء عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي (٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ) فانه جدد الفتوة في العالمين من العرب المسلمين وغيرهم من أهل الاسلام ، وجدد اصول الرمي بهذه القوس ، واعتدّه من كمالات الفتوة ، وافانين الشجاعة والقوة ، وعين انواع الطيور التي يوجب رميها للفتى الرامي حقا في مقامات الفتوة ، ويكسبه فضلا في هذا الفن من فنون الرياضة البدنية ، وينيله درجة من درجات الرماة ، ويحله مرتبة من مراتب الصـّادة البارعين الحاذقين .

والطيور التي عينت لرمي الفتيان وعُدّ صيدها قانونا من قوانين الفتوة اربعة عشر نوعا ، هي التَمّ والمِرزم والبجع ، وعرف بمصر باسم الكيّ ايضا ، والانيسة والحِبْرِج وهو الحُبارَى والنسر والعقاب والكركي والغرنوق [2] واللغلغ، واللقلق وسمي ايضا السَّبيطِر باصطلاحهم والعَنّاز والضّوغ واوزّ ، وسُميت « طير الواجب » و « الطير الجليل » ووضعت لصيدها قواعد واحكام وشروط ، وصدرت في أمورها فتاوى

(١) الجلاهق هو قطعة كروية من طين مجفف او رصاص ترمى بها الطير وهي فارسية وعربيها البندق ، ومن البندق اشتقت البندقية على طريقة النسبة .

(٢) سماه علي بن عدلان الموصلي في شرح ديوان المتنبي المنسوب غلطا الى ابى البقاء العكبرى « الارنوق » (تراجع نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣١٠٥ الورقة ٢٢١) .

تشبه الفتاوى الفقهية ، وألفت كتب في ذلك منها كتاب « المقترح في المصطلح » تأليف الشيخ العالم محمد بن اسماعيل بن ودعة المعروف بابن البقال الفقيه الشافعي ، المتوفى سنة ٥٨٨ هـ قال في أوله : « بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله الطاهرين ، وعلى واسطة العقد ، ومالك الحل والعقد. والموئيد باتباع الحق ، والمسدّد بكلمة الصدق ، المتخلق باخلاق الله الناصر لدين الله .. وبعد فأقول : انه قد استوجب عليّ حقا ان اجمع في طريقة البندق مختصرا حاويا لما تفرق من احكامه ومسائله ، وأبين كيفية استيعاب اواخره عن اوائله ، وأن أجعل له القواعدالشرعية كالضابطوالمردّ والاصول الفقهية دعامة في القبول والردّ .. وجعلته عشر مراتب ، كل مرتبة على حال الرامي من الابتداء الى الانتهاء » [٣] . وسرد بعد ذلك المراتب ، وهي كيفية دخول الرماية وما يكمل به الرامي ، والقدمة وحكمها وهي من مصطلحاتهم وما يتحقق بصرعه الفضيلة من الطير المذكورة آنفا ، والشهادات والتحكيم والمراهنات والمقاولة والتحريم والتكذيب والاهدار ، ثم قال : « وهذا الفن وضع لتهذيب الاخلاق ، وتزكية النفوس ، وتكميل المروءة ، وعلى هذا حرم على الرامي اخذ العوض عن طير صرعه ، لاشعاره بالدناءة ، واخلاله بالمروءة » [٤] .

وكما ترأس الخليفة الناصر لدين الله على جميع الفتيان في مذهب الفتوة في العالم الاسلامي لتوحيده ، كذلك ترأس عليه في الرمي بحسب احكام الفتوة ، فكان جميع الرماة من هذه الطبقة يرمون باسمه ، ويعترفون برئاسته ، قال ابن الاثير عز الدين : « ومنع الناصر لدين الله الرمي بالبندق الا من ينتمي اليه فأجابه الناس بالعراق وغيره الى ذلك الا انسانا واحدا يقال له (ابن السفت) من بغداد فانه هرب من العراق ولحق بالشام ، فارسل اليه يرغبه في المال الجزيل ، ليرمي عنه وينسب في الرمي اليه ، فلم يفعل ،

(٣) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٤٦٣٩ الورقة ٤ ، ٥ .

(٤) المرجع المذكور الورقة ٦ ، ١٣ .

فبلغني ان بعض اصدقائه انكر عليه الامتناع من أخذ المال فقال : يكفيني فخرا انه ليس في الدنيا أحد الا رمى للخليفة الا انا » [٥] .

قال احد المؤلفين في هذا الفن ، وهو العلامة عبدالمجيد : « اني احببت ان اذكر ما صرعه الناصر احمد العباسي مجدد هذا الفن (رحمة الله عليه) ، نقل انه حاز من جملة اصناف الطير الجليل من الاربعة عشر المذكورة عشرة اصناف .. جملتها الف واربعمائة وخمسة واربعون طيرا : تفصيلها من الكراكي اربعمائة وخمسة واربعون طائرا ومن الاوز سبعمائة واربعة وثلاثون طائرا ، ومن اللغالغ واحد وعشرون . ومن العقبان عشرة ، ومن السبيطرات (يعني اللقالق) ستة وستون طائرا ، ومن المرازم ثمانية وعشرون ، ومن الكيّات (يعني البجع) واحد وعشرون ، ومن الغرانيق مائة واربعة عشر ، ومن التّموم اربعة أطيار ، ومن العَنانيز اثنان ، فهذه عشرة أصناف » .

قال : « واما السلطان الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل سيف الدين ابن ايوب (الايوبي) فنُقل انه صرع في ليلة الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ثمان وستمائة من الهجرة النبوية (على صاحبها افضل الصلاة والسلام) طيرَ أوز ، ورمى لأخيه [٦] الملك الكامل ناصر الدين محمد .. وانتقل الى الخليفة الناصر احمد في التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة احدى عشرة من الهجرة النبوية ، ولهذا الملك المذكور من اصناف الطير الجليل ثلاثة عشر صنفا » [٧] يعني انه لم يفته من طيور الفتوة الاربعة عشر الا نوع واحد .

قال : « وممن ولع بهذا الفن السعيد السلطان الملك المظفر .. تقي

---

(٥) الكامل في التاريخ (حوادث سنة ٦٢٢) وابن السفت هذا اسمه « عمر » وفي الدنيا شذوذ كثير . وانما ذكر ابن الاثير هذا الخبر تشفيا من الناصر واين الثرى من الثريا ؟ .

(٦) يعني رمى باسمه معترفا برئاسته .

(٧) ذيول كتاب المصطلح في المقترح في تعليم الرمي بالبندق .

الدين الملك المنصور ابن شاهنشاه بن ايوب .. ومفتي الافاق فتى العراق وشاطر الشطار النقيب نظام الدين سليمان بن داود بن المختار [٨] ، فانه فات من قبله في المقام والمقال ، ذكر انه كان له قوس يسميها (بحر الدم) ويلثمها مرارا بالعين والفم ، ويقال انه صرع في برزة واحدة مائة وثمانين طيرا من الجليل ، في ذلك الامد القليل » .

ونحن لم نعقد هذا المقال لبيان المصطلحات والاحكام والفتاوى في هذا الفن ، بل أردنا التمهيد لبيان أثر هذه الطيور ورميها في الادب العربي ولا سيما الشعر ، فقد نظم الشعراء في طرديات هذا الرمي ضروبا من الشعر ووصفوا خروج الرماة الى اصطيادها ونعتوا قسي البندق ، ونشأ ادب خاص بوصف جميع ما يتعلق بهذا الفن ، كوصف انواع الطيور انفسها نثرا وشعرا ، وان كان الشعر اكثر من النثر كما ذكرت آنفا ، واستبق الكتاب المنشئون في تحبير اوصاف الطير وتحرير اصنافها ، كشهاب الدين محمود الحلبي ، في كتابه المشهور في الانشاء ، وابن حبيب الحلبي في كتابه (نسيم الصبا) نثرا وشعرا . قال في الفصل الثالث والعشرين في رمي البندق : « برزت يوما مع رفيق ، يسر بمنادمة الصديق ، لا يخرج عن الواجب ، ولا يحجبه عن ذكر الجليل حاجب [٩] .. الى روضة انيقة تهدى الأنَق ، وتضيء في جوانبها وجوه المَلَق .. فنزلنا بفنائها ، وشممنا الارج من ارجائها ، واجتلينا محاسن ازهارها ، وطربنا لسماع نغمات اطيارها ... ورأينا بها عصبة من الرماة ، وفرقة تفرّق منهم الابطال والكماة .. بأيديهم قسيّ قدودها رشيقة ، وملابسها مدبجة انيقة .. ومعها للرمي بنادق ، اسرع في الاصابة من الفيالق كأنها كرات دوريّة ، لا بل كواكب درّيّة ، تمرّ بهم عساكر الطيور المختلفة ، وهي تختال في برودها المفوّفة .. عَنّ

(٨) من بني المختار اي السادة العلويين النقباء بالعراق قتل منهم هولاكو صبرا بهاء الدين داود بن المختار ونقيب النقباء العلويين شمس الدين علي بن المختار مع من قتلهم من رجال الدولة العباسية .

(٩) في ذكر « الواجب والجليل » تورية عن طيور الفتوة .

لصاحبي أوزة فضية اللون ، بينها وبين المرزم[١٠] في الحسن بَوْن ، كأنما خاضت في اللهب ، وكرعت من ماء الذهب ، تسبق الريح في المطار ، وترتفع الى أن تغيب عن الابصار ، فرماها في حال بعدها عن العيون، وصرعها عاجلا اسرع ما يكون .. فلما شاهدت من أحوالهم ما راقني ، ومن نوالهم ما قيدني عن غيرهم وعاقني ، اثنيت على من بهم عرّفني ، وبالطيب المسكي من انفاسهم عرّفني[١١] وقمت ناشرا وصف المواقف والاطيار ، قائلا على سبيل التشوق والتذكار :

ياصاح قم نسعى الى الأملاق[١٢]	فنحوها قد ذبت من أشواقي
لله ما أحلى حلى أوقاتها	وأملح الولدان في جناتها
والجو يُجلَى في ثياب دكْنِ	يستلب اللبّ بفرط الحُسْن
والسحب قد تتابعتْ وفودها	وافرطت على الربَى عقودها
وروضة الأنس يفوح طيبها	وينثنى في دَوْحها رطيبها
ونغمات الطير بالألحان	تغنى عن الجُنوك[١٣] والعيدان
أحسِنْ بها يا سعدُ من أطيار	تلوح كالأنجم للابصار
نخالها اذا سجا جنح الغَسَقْ	كأسطر خُطّت على وجه الملَق
من وارد وصادر وواضع	وناهض وطائر وواقع
وأبيض كالصبح اذ تبلّجا	وأسود محلولك يحكي الدجى
وأخضر مدبّج اللباس	وأزهر يزهو على النبراس
مختلفات في الحِلى والشكل	عن حصرها يعجز أهل الفضل
لكنّها جليلها معروف	وهو لدى أربابها موصوف
فهاكها من بعد عشر أربع	كعُمْر بدْر التمّ حين يطلع

(١٠) هو نوع آخر من انواع طيور الفتوة وقد ذكرناه .

(١١) من العرف بوزن الشمس وهو الريح طيبة كانت او منتنة وقد عين الكاتب طيبها هنا .

(١٢) الاملاق جمع الملق بوزن الذهب وهو الارض المستوية .

(١٣) جمع جنك من آلات الطرب .

قد جمعت أوصاف كل طائر … مبيّنات المجد والمآثر

فالتمّ يبدو في لباس يَقَق … كأنه مركّب من وَرَق

في الرأس منه نقطة تحكى السَّبَج … من الرماة نحوه تصبو المُهَج

والكى[14] شيخ أبيض جلبابُه … معلّق في عنقه جرابُه

منقاره كحرْبةٍ من أسَل … وظهره محدَّب كالجَبَل

وللإوز نغمة الأوتار … اذا بدت تختال في المطار

فضّية منقارها من عسجد … ياسعد في حبّى لهاكن مُسعدي

واللغلغ المسكىّ كالاوز … في الحسن والوصف وفرط العز

لكن له مثل اللجين غُرّه … تُدنى لمَن يصرعه المَسرّه

وحبذا الأنيسة[15] الملوَّنه … لباسُها المنقوش يا ما أحسَنه

يبكي عليها الصبّ بالدموع … لأنها عزيزة الوقوع

خذ يا أخا الرمى صفات الجرج … يحكى القطا في لونه المدبّج

يألَفُ أيام الربيع الزاهرة … فيجتنى ويجتلى أزاهرَه

والنسر راميه شديد الأسهم … لأنه عال كنسر الأنجم

أقرعُ ذو مخالبٍ حِداد … يذكر عصر تُبَّع وعاد

وبعده وصف العقاب الكاسرة … تلك التي للوحش تغدو آسره

مغبرّة ظافرة أظفارها … بالصيد كم أدنى الردى منقارها

قم نَجتل الكركيّ تحت الشفَق … فقد بدا في ثوب خزّ أزرق

ومدَّ جيدا ياله من جيد … وأطرب الأسماع بالتغريد

اذا بدا الغرنوق في الفضاء … شَبِّهْهُ بالغمامة الدكناء

كأنه الكركىّ في لباسه … سوى سواد عنقه وراسه

والصّوغ مبيضّ شبيه الفَلَق … أطواقه مصبوغة بالعَلَق

---

(١٤) قدمنا ان الكى هو « البجع » وفي نسخة نسيم الصبا المطبوعة بمطبعة التمدن بعابدين ، ص ٩٩ (والكل) وهو تصحيف الكى ، ولم نعلم من صحفه الناسخ ام الطابع ؟ .

(١٥) يظهر لي أن الانيسة هي المسماة بالعراق الخضرية .

يختـال فـي الحمـرة والبياض كخد من قـد زاد فـي الاعراض
ومـرزم يا حسنـه مـن مرزم كأنه قـد خاض في بحر الدم[16]
أبيض وضّاح طـويل العُنْـق راميـه قـد فاز بفضل السَّبْق
وتِلوه السّبيطر [17] المسـوم أبيض ضخـم وصفـه معلوم
يسكن في الأماكن العليّـه وطعمـه الحيّـة والسحليّه
وأقبـل العُنّاز بعـد الجمـع أسـود ذا صـدر كضوء الشمع
قد جمع الضدّين صبحـاً ودُجى مَن يرمه يُعَدّ من أهـل الحجى
وهـذه تكملـة الأطيـار أعنى طيـور الواجب المختار[18]

وقد تناول الادباء والشعراء هذا الموضوع الادبي الطريف في عامة الاقطار العربية حتى صار ضرباً من الآداب العربية ، محـدود الصفـات ، معلوم السمات ، واضح الطريقة ، واكثر منظومه على عروض الازدواج او التخميس ، فلصفي الدين وحده عدة تخاميس فيه ، يقول في واحد منها :

قم بي فقد ساعدنا صرف القدَرْ وجاء طيب عيشـنا علـى قَدَرْ
فكم علا قدر امرىء وما قـدَرْ فارضع بنا دَرّ الهنا ان تلقَ دَرْ

ويقول في آخر :

دارت على الدوح سُلاف القَطر فرنّحت أعطافـه بالسُّكر
ونبّـه الـورق نسيم الفجـر فغرّدت فوق الغصـون الخضـر
تُغْنِي عن العود وصوت الزَّمْر

وفي ثالث :

والشيب فيفود الظلام قد وَخَطْ انهض فهذا النجم فيالغرب سقطْ

---

(١٦) اراد ان ساقيه حمراوان .

(١٧) قدمنا انه يسمى اللقلق ايضا وهو مشهور معروف جدا .

(١٨) نسيم الصبا ، ص ٩٥ ــ ١٠١ .

وفي رابع :

اهــــلا بهــا قوادمــاً رواحــلاً   تطوى الفــلا وتقطــع المراحــلا

وللرامي الشهير عمر بن السفت المقدم ذكره مخمسة مسمَّطة فــي ثلاثة وثمانين تخميسة ، وهي مع ما فيها من اللحن واللغة العامية تفيض رقة وحلاوة وطلاوة يقول في أولها :

هيّج لى البرق على الخيف أضــا   طيبَ لياليـنــا على وادى الغضى
مع طيب عيش قد تولى ومضــى   آه لــه لمــــا تولّى وانقضــى
بل آه والهفى على تلــك الدولْ   قف بالحمى دون الكثيبين وسَلْ
أتْهَم في أفــق السما وأَنجـدا   وقهقه الرعــد بــه ثــم حــدا
فصحت مما حلّ بي واكمـــــدا   يا سعد ان َّنت زميــلا مُسعدا

والباحث يجد في كتاب « المصايد والمطارد » شـيئا مــن الطرديات الطيرية ، وقليلا في ديوان ابن المعتز وغيرهما ، الا أن ذلك غير هذا الادب المبني على نظام الرمي في الفتوة وقواعده المقررة .

أصفهان معقل الأدب العربي في ايران

ونظـــام الـدين الاصفهـاني

لمدينة اصفهان عروس بلدان ايران مقام سام ومكانة جليلة في تاريخ الادب العربي وتاريخ الحفاظ على اللغة العربية والعروبـة منـذ الفتـح الاسلامي حتى العصور المتأخرة ، ولقد خيل الي انها من المدن المظلومـة في التاريخ ، وكان ينبغي لمؤرخي الادب العربي من العـرب وغيرهـم أن يخصوها بمباحث تحكي الدور الذي قامت به في قصة الادب العـربي حتى في عصور المغول التي انتعشت فيها اللغة الفارسية ، وانتهض فيها الادب الفارسي انتهاضا عاما شاملا ، فتأخذ للمكان اللائق بها مع الكوفة والبصـرة وبغداد في تاريخ الادب العربي .

لقد لحظت هذه الخصيصة وهذه المزية من خصائص أصفهان ومزاياها بعد بحث طويل وتأمل وانعام نظر ، وتحقيق دقيق ، فـي تاريخها وسـير أدبائها وشعرائها ، وأعيانها وأعلامها ، وذهبت مذاهب شتى في تعليل ذلك وتحليله ، ولا أشك ــ وما أكثر شكوكي ــ في قوة العنصر العربي الـذي استوطنها بعد الفتح الاسلامي لصحة هوائها وجودة أرضها وكثرة خيراتها ووفـرة مكاسبها ، وتنوع محاسنها ، واختـلاف فضائلها ، التي ذكرهـا الاديب مفضل ابن سعد المافروخي الاصفهاني في كتاب محاسن اصفهان ، وياقوت الحموي في معجم البلدان ، وغيرهما من الادباء علمـاء البلـدان كالقاضي القزويني .

قال القزويني في كتابه «آثار البلاد وأخبار العباد» : « أصفهان مدينة

عظيمة من أعلى المدن ومشاهيرها ، جامعة لأشتات الاوصاف الحميدة ، من طيب التربة وصحة الهواء وعذوبة الماء وصفاء الجو وصحة الابدان ، وحسن صورة (كذا) أهلها وحذقهم في العلوم والصناعات حتى قالوا : كل شيء استقصى صناع أصفهان في تحسينها (كذا) عجز عنها صناع جميع البلدان. قال الشاعر :

لست آسي من أصفهان على شيء سوى مائها الرحيق الزلال
ونسيم الصبا ومنخرق الريـ • • • • ح وجو صافٍ على كل حال

ولصناعها يد باسطة في تدقيق الصناعات ، لا ترى خطوطا كخطوط أهل أصفهان ولا تزويقاً كتزويقهم وهكذا صناعهم في كل فن ، فاقوا جميع الصناع ، والفخار يعمل كوزاً وزنه أربعة مثاقيل يسع ثمانية أرطال ماء! وقس على هذا جميع صناعاتهم » [1] .

ومن الادلة القوية الدالة على شدة العنصر العربي فيها قديما شيوع المذهب الحنبلي فيها ، والمذهب الحنبلي أقرب المذاهب الى الطبيعة العربية، ونريد بالطبيعة المزاج العقائدي المتكون من المربى والتاريخ والمجتمع . قال النجاشي في كتابه (رجال الشيعة) في ترجمة ابراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي أبي اسحاق : « أصله كوفي .. وانتقل الى اصفهان واقام بها وكان زيديا أولا ثم انتقل الينا ويقال ان جماعة من القميين ... وفدوا اليه وسألوه الانتقال الى قم فأبى ، وكان سبب خروجه من الكوفة أنه عمل كتاب المعرفة وفيه المناقب المشهورة والمثالب فاستعظمه الكوفيون وأشاروا عليه بأن يتركه ولا يخرجه . فقال : أي البلاد آبعد من الشيعة ؟ فقالوا أصفهان . فحلف لا أروي هذا الكتاب الا بها ، فانتقل اليها ورواه بها ثقة منه بصحة ما رواه فيه » [2] .

---

(١) آثار البلاد واخبار العباد (طبعة دار صادر ببيروت سنة ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠) ص ٢٩٦ — ٢٩٧ .

(٢) رجال النجاشي (طبعة بمبي) ص ١٢ .

وفي الربع الاول من القرن الثالث للهجرة كان الخصيب بن أسلم على أصفهان فاستقدم اليها أديبا راويا ولغويا بارعا هو أبو نصر (وجاء في بعض الاخبار أنه أبو حاتم والكنى تتعدّد للواحد عندهم) أحمد بن حاتم الباهلي أحد تلامذة الاصمعي المشاهير وراوي كتبه وكان بصريا كأستاذه ومنحرفا عن العلويين كشيخه الاصمعي وكأغلب أهل البصرة آيامئذٍ وكان أبو حاتم الباهلي قد أخذ الادب ولغة العرب عن الاصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد الانصاري وأقام ببغداد وربما حكى الشيء بعد الشيء عن أبي عمرو الشيباني ، ذكره ياقوت الحموي في معجم الادباء والزبيديّ في طبقات النحويين قال ياقوت : « حكي عن الاصمعي أنه كان يقول : ما يصدّق علي إلا أبو نصر الباهلي (يعني أحمد بن حاتم) وكان ثقة مأمونا ••• وذكره حمزة الاصبهاني في كتاب أصفهان قال : ولما أقدم الخطيب بن أسلم أبا محمد الباهلي صاحب الاصمعي الى أصبهان نقل الباهلي معه مصنفات الاصمعي وأشعار شعراء الجاهلية وشعراء الاسلام مقروءة على الاصمعي وكان قدومه أصبهان بعد سنة (٢٢٠) فأقام شهرا ثم تأهب منها للحجّ فدخل الى عبدالله بن الحسن وسأله أن يدلّه على رجل يسلم اليه دفاتره الى ان يرجع ، فقال : عليك بمحمد بن العباس (وكان مؤدب أولاد عبدالله بن الحسن ، مقبول القول) فسلم الباهلي اليه دفاتره وخرج ، فانسخها محمد بن عبدالله الناس ، فقدم الباهلي وقامت قيامته ودخل الى عبدالله بن الحسن وذكر له ما كان يأمل في دفاتره من التكسّب بها ، فجمع له عبدالله بن الحسن من أهل أصبهان عشرة آلاف درهم ، ووصله الخصيب بعشرين ألفا فتناولها ورجع الى البصرة » [٣] ، قال ياقوت أيضا : « ومات الباهلي فيما ذكر هو وأبو عبدالله بن الاعرابي وعمرو بن أبي عمران الشيباني في سنة (٢٣١) وقد نيف على السبعين ••• وله من التصانيف كتاب الشجر والنبات وكتاب اللبأ واللبن وكتاب الابل وكتاب أبيات المعاني وكتاب اشتقاق الاسماء وكتاب الزرع والنخل وكتاب الخيل

(٣) معجم الادباء (طبعة مرغليوث) ١ : ٤٠٥ ــ ٤٠٧ .

وكتاب الطير وكتاب ما تلحن فيه العامة وكتاب الجراد » [٤] . وقد ذكر هذه الكتب أيضا قبل ياقوت ابن النديم في فهرسته[٥] ، وذكر له القفطي كتاب الشجر والنبات وكتاب الابل وكتاب الخيل وكتاب ما تلحن فيه العامة وكتاب الزرع والنخل وكتاب أبيات المعاني وقال : « حدث عن الباهلي ابراهيم الحربي الشيخ الصالح (رض) وأبو العباس ثعلب وكان ثقة » [٦] .

ونحن لا نشك أن انتقاله الى اصفهان كان موافقاً لهواه لما يعلم من أحوال أهل اصبهان القدماء من التمسك بالعربية والعروبة المتحزبة المتعصّبة ولو لم تكن على هواهم لاجتواهم فمن قدماء الحنابلة في أصفهان أبو مسعود أحمد بن الفرات الضبي الرازي ثم الاصفهاني، قال ابو الحسن محمد بن أبي يعلى بن الفراء : « ذكره أحمد بن حنبل بالحفظ واظهار السنة باصبهان » [٧] . ونسبه الضبي يدل على أنه عربي من قبيلة ضبّة أصحاب الجمل المحاربين للامام علي (عليه السلام) .

ومنهم ابراهيم بن محمد بن الحارث الاصبهاني ، من أصحاب الامام أحمد بن حنبل[٨]، وعلي بن أحمد بن الفرات أخو أحمد بن الفرات الذي ذكرته آنفاً [٩] ، وأبو يحيى الفضل بن عبدالصمد الاصفهاني المرابط بطرسوس ، ومن حنابلة أصفهان بنو منده الاصفهانيون وفيهم المحدث والمؤرخ والحافظ ، فأبو زكريا يحيى بن عبدالله بن منده الاصفهاني المتوفى سنة ٤٤٥ هو صاحب تاريخ أصفهان ، ولمعرفة مشاهير الحنابلة

(٤) المرجع المذكور .

(٥) الفهرست ، طبعة مصر ، ص ٨٣ .

(٦) انباه الرواة على انباه النحاة ١ : ٣٦ .

(٧) طبقات الحنابلة ، طبعة مصر ، ١ : ٥٣ .

(٨) المرجع المذكور ١ : ٩٦ .

(٩) المرجع المذكور .

الاعيان ، كما يسميهم المؤرخون ، ينبغي تصفّح سيرهم في طبقات الحنابلة لابي الحسين بن الفراء الذي قدمتُ ذكره ، وذيله لابن رجب البغدادي.
واذ أشرنا الى شيوع المذهب الحنبلي فيأصفهان فنحن نريد جمهور العامة الذين كانت الحياة الاجتماعية ، تعتمد على أحوالهم ومنازعهم الدينية ومناحيهم المذهبية ، وقد ذكر المؤرخون أن أبا سهل الصعلوكي الاصفهاني أصلاً ومولدا الفقيه الشافعي المفسر الاديب المتكلم النحوي المتوفى بنيسابور سنة ٣٦٩ قد كان ترك أصفهان وانتقل الى نيسابور معدن الشافعية سنة ٣٣٧ وأقام بها الى حين وفاته ، فكانت اقامته بها اثنتين وثلاثين سنة ، وهو العصر العلمي التدريسي لهذا العالم الكبير(١٠) . وذكر الموءرخون أيضا ان الاستاذ أبا بكر محمد بن الحسن بن فورك الاصفهاني الاصولي المتكلم الاديب الواعظ الموءلف المصنف كره الاقامة باصفهان فقدم العراق وأقام فيه مدة يدرس العلم ثم توجه الى الريّ ثم راسله أهل نيسابور والتمسوا منه التوجه اليهم فورد نيسابور وأنشؤوا له بها مدرسة وبلغت مصنفاته في أصول الفقه ومعاني القرآن نحوا من مئة مصنف ودُعي الى غزنة فذهب اليها ثم عاد الى نيسابور وقيل انه سمّ في الطريق قبل بلوغه اياها فمات سنة ٤٠٦ (١١) .

ان هجرة هذين العالمين وأمثالهما وان كانت مصحوبة بدعوة أو التماس أو ترغيب لا تخلو من بواعث مذهبية واجتماعية واقتصادية ناشئة عن المكان والزمان والحكم والسلطان ، قال شمس الدين بن خلكان في ترجمة عبدالوهاب بن علي الثعلبي الفقيه المالكي المتوفى بمصر سنة ٤٢٢ نقلا من كتاب الذخيرة لابن بسام الاندلسي : « ونبت به بغداد كعادة البلاد بذوي فضلها وعلى حكم الايام بمحسني أهلها ، فخلع أهلها وودّع ماءَها وظلّها وحُدّثت أنه شيعه يوم فصل عنها من أكابرها وأصحاب

---

(١٠) الوفيات طبعة بلاد العجم ، ٢ : ٣٣ .

(١١) الوفيات ٢ : ٥٦ ــ ٥٧ .

محابرها جملة موفورة ، وطوائف كثيرة وأنه قال لهم : « لو وجدت بين ظهرانيكم رغيفين كلَّ غداة وعشية ، ما عدلت عن بلدكم لبلوغ أمنيّة وفي ذلك يقول :

سلام على بغداد في كل موطن ... وُحق لها مني سلام مضاعفُ
فوالله ما فارقتها عن قلى لها ... واني بشطي جانبيها لعارفُ
ولكنها ضاقت علي بأسرها ... ولم تكن الارزاق فيها تساعف
وكانت كخِلٍّ كنتُ أهوى دنوه ... وأخلاقه تنآى به وتخالف

وله أيضا :

بغداد دار لأهل المال طيبة ... وللمفاليس دار الضنك والضيق
ظللتُ حيران أمشي في أزقّتها ... كأنني مصحف" في بيت زنديق [١٢]

وقال الخطيب البغدادي في ترجمته : « كتبتُ عنه وكان ثقة ولم نلق من المالكيين أحداً أفقه منه وكان حسن النظر جيد العبارة وتولى القضاء ببادرايا وباكسايا وخرج في آخر عمره الى مصر فمات بها »[١٣] ، وقال ابن خلكان : « كان فقيها أديبا شاعرا صنف في مذهبه كتاب التلقين وهو مع صغر حجمه من خيار الكتب واكثرها فائدة وله كتاب المعونة في شرح الرسالة وغيره وعدة تصانيف »[١٤] .

اذن لماذا هاجر عبدالوهاب المالكي الى مصر ؟ لا أشك في أن السبب هو تضاؤل شأن المذهب المالكي ببغداد والعراق وقلة الاقبال على دراسة فقهه قلة تشبه الصد والاعراض ، وقد استمر ذلك التضاؤل حتى لقد استقدم المستنصر بالله العباسي في الثلث الاول من القرن السابع للهجرة لمدرسته المستنصرية فقيهاً مالكياً من البلاد المصرية للتدريس فيها ، ولم أزل

(١٢) الوفيات ١ : ٣٢٩ ـ ٣٣٠ .

(١٣) تاريخ بغداد ١١ : ٣١ .

(١٤) الوفيات ١ : ٣٢٩ .

أعجب من تهيؤ وجود الطلاب الذين كانوا يدرسون فقه ذلك المذهب في تلك المدرسة بذلك العصر .

وهذه الأُلحوظة التي لحظتها في تاريخ أصفهان الاجتماعي لا تعني انها كانت خالية من المتمذهبين بالمذاهب الاخرى كالشافعية والحنفية والامامية ، بل تعني الاغلبية المذهبية ، وهي النحلة الحنبلية ؛ التي كان استبدادها واعتدادها بنفسها من الاسباب الكثيرة التي حملت النحلة الاسماعيلية الباطنية على أن تتحداها في نواحي أصفهان بشخصية ابن عطاش واتباعه وغيرهم من الاسماعيلية الفُتّاك ، كما هو مبسوط في التواريخ .

ولما نبغت الدولة السلجوقية الحنفية المذهب على يد طغرل بك السلجوقي وعون وزيره عميد الملك منصور بن محمد الكندري الحنفي المذهب ، وانتهض المذهب الشافعي على يد نظام الملك الطوسي تضاءلت سلطة الحنابلة باصبهان ، والناس على دين ملوكهم ، ويعنون بالملوك الاملاك والوزراء والامراء لا الملوك وحدهم ، وانتقل النزاع بين الشافعية والحنفية، قال ياقوت الحموي : « وقد فشا في أصفهان الخراب في هذا الوقت وقبله في نواحيها لكثرة الفتن والتعصب بين الشافعية والحنفية ، والحروب متصلة بين الحزبين ، فكلما ظهرت طائفة نهبت محلة الاخرى وأحرقتها وخربتها ، لا يأخذهم في ذلك إلّ ولا ذمة ومع ذلك فقلّ أن تدوم بها دولة سلطان أو يقيم بها فيصلح فاسدها ، وكذلك الامر في رساتيقها وقراها التي كل واحدة منها كالمدينة » (١٥) .

وقد رجحت كفة الشافعية باصبهان بعد انتقال بني الخجندي اليها، والخجنديون منسوبون الى مدينة خجندة من مدن ما وراء النهر على شاطىء نهر سيحون ، ومنطقة ما وراء النهر من بلاد المناطق الحنفية ولم تكن مألفاً للمذهب الشافعي ، ولا عبرة بالأفراد المعدودين يومئذ في الشافعية أو الجمهرات المتضافرة كما في الشاش ، قال ياقوت الحموي : « شاش قرية

(١٥) معجم البلدان في مادة (اصفهان) .

بالري النسبة اليهاقليلة ولكن الشاش التي خرج منها العلماء ونسب اليها خلق من الرواة والفصحاء فهي بما وراء النهر ثم ما وراء نهر سيحون ، متاخمة لبلاد الترك وأهلها شافعية المذهب وانما أشاع بها هذا المذهب مع غلبة مذهب أبي حنيفة في تلك البلاد أبو بكر محمد بن علي بن اسماعيل القفال الشاشي .. »[16] .

قال عزالدين بن الاثير : « أصل بيت الخجندي من مدينة خجندة بما وراء النهر ينسبون الى المهلّب بن أبي صفرة (الازدي) وكان نظام الملك قد سمع أبا بكر محمد بن ثابت الخجندي يعظ بمرو فأعجبه كلامه، وعرف محله من الفقه والعلم ، فحمله الى أصفهان وصار مدرسا في مدرسته بها، فنال جاها عريضا ودنيا واسعة ، وكان نظام الملك يتردد اليه ويزوره »[17]. والمقصد الذي أراه في اقرار نظام الملك الشيخ الخجندي الواعظ في أصفهان هو تقويته الجبهة الشافعية بقوة جديدة بعد تأسيس المدرسة النظامية فيها ، وذلك باسناد التدريس الى فقيه واعظ عربي الاصل من قبيلة الازد ظاهرا .

ومنذ أواخر العصر الخامس (أعني القرن الخامس للهجرة) صارت الكلمة النافذة باصبهان لبني الخجندي الشافعيين ، وازداد هذا المذهب قوة بانتقال الخلفاء العباسيين الى المذهب الشافعي في ذلك العصر (أعني القرن الخامس) وقد ذكر أبو المظفر يوسف بن قز أغلي المعروف بسبط ابن الجوزي أنّ أبا محمد عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي الحنبلي المتوفى سنة (٦٠٠) لما دخل أصفهان وقف على كتاب لأبي نعيم الاصفهاني الحافظ موءرخ أصفهان ألفه في معرفة الصحابة فانتقد عليه في مئة وتسعين موضعا ، فطلبه بنو الخجندي ليقتلوه فاختفى وخرج من أصفهان

---

(١٦) المرجع المذكور في «شاش» .

(١٧) الكامل في التاريخ (طبعة مصر) ، ١ : ١٢٨ .

في ازار [١٨] .

ولست في سبيل البيان عن أعيان أصفهان وانما أردت أن أوضح بما قدمت من هذا التمهيد بعض الاسباب التي حدت أصبهان على التمسك بالعروبة والعربية قديما ، حتى لقد كان الشعراء الذين ينظمون بالفارسية قلما تجد منهم أصبهانيين ذوي دواوين شعر بل ندر ذلك حق الندور . ان المفضل المافروخي ذكر في كتابه محاسن أصفهان الفقهاء العلماء والادباء والشعراء بالفارسية بعشرات[١٩] ولكن أين أشعارهم وآثارهم ودواوينها؟ لست عالما بتأريخ الادب الفارسيّ ولكني لم اسمع ولم أقرأ إلا اسم جمال الدين عبدالرزاق الاصفهاني الشاعر ، واسم ابنه كمال الدين اسماعيل الاصفهاني الشاعر وأسماء من ذكرهم زكريا بن محمد القزويني ، قال القزويني في الكلام على أصفهان : « وأما أرباب العلوم كالفقهاء والادباء والمنجمين والاطباء فاكثر من أهل كل مدينة سيما فحول الشعراء أصحاب الدواوين فاقوا غيرهم بلطافة الكلام وحسن المعاني وعجيب التشبيه وبديع الاقتراح مثل رفيع فارسي دبير وكمال زياد وشرف شفروه وعز شفروه وجمال عبدالرزاق وكمال اسماعيل ويمن مكي فهوءلاء أصحاب الدواوين الكبار ، لا نظير لهم في غير أصفهان » [٢٠] .

وقال ابن الفوطي : « كمال الدين أبو الفضل اسماعيل بن أبي محمد عبدالله بن عبدالرزاق الاصفهاني الاديب الفاضل ، أحد فضلاء الدهر ونبلاء العصر ، ممن يُضرب به المثل في الفطنة والذكاء ، وديوانه يشتمل على عشرين ألف بيت من الشعر السائر ، الفصيح النادر ليس لفضلاء العجم شبهه وهو صاحب رسالة القوس التي لم يصنَّف في فنّها مثلها ، ابتدأ فيها (بقوله) : بسم الله الرحمن الرحيم ، ويسألونك عن ذي القرنين ، قل

(١٨) مرآة الزمان (طبعة حيدر اباد ــ الدكن) ٨ : ٥٢١ .

(١٩) كتاب محاسن اصفهان (بالفارسية) ص ٣٣ ــ ٣٤ .

(٢٠) آثار البلاد واخبار العباد ، ص ٢٩٦ ــ ٢٩٩ .

سأتلو عليكم منه ذكرا ، إنّا مكّنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا[21] • وهي بديعة في فنها ، وختمها بأبيات أولها :

من صنعة الباري لديّ مطية عجفاء تبصر في الضلوع عظامها

واستشهد على يد التتار باصفهان سنة خمس وثلاثين وستمائة»[22] • وأشعاره مشهورة عند الفرس •

هذا واننا ليعنينا حقاً الدور الذي قامت به أصبهان في قصة الادب العربي ومن أجله عقدنا هذا الكلام وبسطنا هذا التمهيد ، وأول من نذكر من الادباء الاصبهانيين المبرزين ذوي الآثار الادبية الخالدة أبو الحسن محمد بن أحمد ابن طباطبا العلوي الحسني ،، قال ياقوت الحموي : « شاعر مفلق ، وعالم محقق ، شائع الشعر ، نبيه الذكر ، مولده بأصبهان وبهامات في سنة ٣٢٢ وله عقب كثير بأصبهان فيهم علماء وأدباء ونقباء ومشاهير ، وكان مذكورا بالذكاء والفطنة وصفاء القريحة وصحة الذهن وجودة المقاصد ، معروف بذلك مشهور به وهو مصنف كتاب (عيار الشعر) وكتاب تهذيب الطبع وكتاب العروض لم يسبق الى مثله ، وكتاب المدخل في معرفة المعمى من الشعر وكتاب في تقريظ الدفاتر ، ذكر أبو عبدالله حمزة بن الحسن الاصبهاني (يعني مؤرخ أصبهان) قال : « سمعت جماعة من رواة الاشعار ببغداد يتحدثون عن عبدالله المعتز أنه كان لهجاً بذكر أبي الحسن ابن طباطبا • مقدما له على سائر أهله •••»[23] ثم بسط سيرته نقلا من كتاب شعراء أصبهان لحمزة الاصبهاني المذكور آنفاً وأورد أشعارا من أشعاره ، وقال ابن عنبة في كتابه عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : « وأما أحمد الرئيس ابن طباطبا ويكنى أبا عبدالله فأعقب من رجلين أبي جعفر محمد

---

(٢١) سورة الكهف : الآية ٨٣ .

(٢٢) تلخيص معجم الالقاب (طبعة لاهور) ج ٥ الترجمة ٢٩٤ من القاب الكافي .

(٢٣) معجم الادباء ٦ : ٢٨٤ .

وأبي اسماعيل ابراهيم ، وجمهور عقبه يرجع الى أبي الحسن الشاعر الاصفهاني وهو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد المذكور صاحب كتاب نقد الشعر وغيره »[٢٤] . وكتاب نقد الشعر (أعني عيار الشعر) أشهر كتب النقد البارع الفني للشعر العربي ومن أقدمها ان لم يكن أقدمها ، وقد اتخذه نقاد الشعر اماماً لهم ومنهاجا ، على ما هو مثبت في كتاب الموشح لأبي عبيد الله المرزباني ، ووارد في كتاب العمدة في صناعة الشعر ونقده تأليف أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني وفي كتب أخرى ، وقد طبع كتاب عيار الشعر بمصر سنة ١٩٥٦ قام على طبعه الاستاذ طه الحاجري والاستاذ محمد زغلول سلام ، وقدماه بمقدمة موجزة في بيئة المؤلف الأدبية العربية الأصفهانية وهو كتاب صغير الحجم كبير الفائدة .

ونذكر بعده أبا الفرج علي بن الحسين الاموي المرواني الاصفهاني العلامة النسابة الاخباري الاديب الحفظة المؤرخ الناقد المؤلف المصنف صاحب الاغاني ومقاتل الطالبيين وغيرهما وهو وان لم ينشأ في اصفهان ، يدل نسبه على أن أصفهان كانت ملاذاً لبعض بني أمية في أيام فتك بني العباس وتنكيلهم بهم ، وكثير من الاصفهانيين كانوا ينتسبون بنسب « القرشي » وهو عندي من وسائل تستر بني أمية أيام الارهاب والاضطهاد والنكال التي كان يأتيها اعداؤهم كائنين من كانوا ، حتى لقد ذكر ابن الفوطي في كتابه « تلخيص مجمع الآداب المرتب على معجم الاسماء في معجم الالقاب » أن عماد الدين أبا عبدالله محمد بن محمد بن حامد الكاتب الاصفهاني كان قرشي النسب[٢٥] ولكنه لم يرفع نسبه الى فرع من فروع قريش ، وقال شمس الدين الذهبي في ترجمة بعض الاصبهانيين في تذكرة **الحفاظ** : « معمر بن عبدالواحد بن رجاء بن عبدالواحد بن محمد بن الفاخر الحافظ أبو أحمد القرشي العبشمي السمرقندي الاصبهاني المعدل

(٢٤) عمدة الطالب (طبعة الهند) ص ١٥٣ .

(٢٥) تلخيص معجم الالقاب ، الجزء الرابع في (لقب عماد الدين) .

الواعظ[٢٦] » على حين أن تاريخ ابن الدبيثي كان قد ذكره باسم « معمر ابن عبدالواحد بن رجاء بن عبدالواحد بن محمد بن الفاخر بن أحمد بن أبي القاسم القرشيّ الاصفهاني الواعظ »[٢٧] فالقرشيّ في تاريخ ابن الدبيثي قرشي عبشمي في تاريخ الذهبي والعبشمي من عبد شمس بن عبد مناف والد أمية الاكبر جدّ الامويين .

وفي عصر بنى بويه كان متوقعا أن تقل حماسة العروبة الاصبهانية ولكنّ لسان حالها كان ناطقا بقول شاعرها أبي سعيد الرستميّ :

اذا نسبوني كنت من آل رستمٍ ولكنّ شعري من لؤي بن غالب

قال الثعالبي في اليتيمة : « لم تزل أصفهان مخصوصة من بين البلدان باخراج فضلاء الادباء ، وفحولة الكتاب والشعراء ، فلما أخرجت الصاحب ابن عباد أبا القاسم وكثيرا من أصحابه وصنائعه وصارت مركز عزّه ومجمع ندمائه . ومطرح زوّاره استحقت أن تدعى مثابة الفضل ، وموسم الادب ، واذا تصفحت كتاب أصبهان لأبي عبدالله حمزة بن الحسين وانتهيت الى ما أورد فيه ذكر شعرائها وشعراء الكرج المقطعة عنها وسياقة عيون أشعارهم وملح أخبارهم (وذكر أسماء خمسة وثلاثين شاعرا) ثم تأملت هذا الباب من كتابي هذا وقرأت ما ينطق به من ذكر شعرائها العصريين وغرر كلامهم كعبدان الاصبهاني المعروف بالخوزيّ وأبي سعيد الرستمي وأبي القاسم ابن أبي العلاء ، وأبي محمد الخازن وأبي العلاء الاسديّ وأبي الحسين الغويريّ حكمت لها بوفور الحظ من أعيان الفضل ، وأفراد الدهر وساعدتني على ما أقدره من حسن آثار طيب هوائها وصحة تربتها وعذوبة مائها في طباع أهلها وعقول أنشائها »[٢٨] .

---

(٢٦) تذكرة الحفاظ : ١١٠ (طبعة حيدر اباد الدكن الاولى) .

(٢٧) المختصر المحتاج اليه من تاريخ الدبيثي ، اختصار الذهبي (نسخة المجمع العلمي العراقي الورقة ١١٥) .

(٢٨) يتيمة الدهر ٣ : ٢٦٧ ، ٢٦٨ (طبعة الصاوي) .

وذكر من الشعراء العصريين عبداناً الاصبهاني المعروف بالخوزي وأورد له شعرا وافرا ، وذكر بعده أبا محمد عبدالله بن أحمد المعروف بالخازن وبعده أبا العلاء الاسدي وأبا الحسن الغويري» [٢٩] .

ان قصة الادب العربي في أصفهان ما انفكت في العصر البويهي تقدم اعلام الادباء والشعراء ومنهم أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الاصفهاني موءلف شرح الحماسة الجليل المطبوع آخيرا وموءلف كتاب الازمنة والامكنة الفريد المطبوع بالهند ، وموءلف غيره من الشروح الادبية والنحوية ، وقد توفي سنة ٤٢١ قال ياقوت في معجم الادباء في ترجمته: « قال الصاحب بن عباد فاز بالعلم من أصفهان ثلاثة : حائك وحلاج واسكاف فالحائك هو المرزوقي والحلاج أبو منصور بن ماشده والاسكاف أبو عبدالله الخطيب بالري صاحب التصانيف في اللغة » [٣٠] .

وانصرمت أيام بني بويه وتلاها عصر بني سلجوق وفيه شب الادب وترعرع وقويت اللغة الفارسية ، والادباء الاصفهانيون مقيمون على ولعهم باللغة العربية ولهجهم بالادب العربي . ويمثل لنا من بينهم الاديب اللغوي الحكيم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني[٣١] موءلف مفردات القرآن الكريم الهابط على أسرار اللغة العربية ، الوحيد في بابه وموءلف كتاب المحاضرات الذي جمع بين النفاسة والامتاع وسعة الاطلاع وموءلف كتاب الذريعة الى مكارم الشريعة المطبوع بمصر سنة ١٣٢٤ الهجرية وكتاب تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين المطبوع ببيروت سنة ١٣١٩ الهجرية .

وعلى حين كان الشعر الفارسي ينتظر نهضة يقوم بها شاعر أصفهاني

---

(٢٩) المرجع المذكور ٣ : ٢٦٨ ـ ٣٠٨ .

(٣٠) معجم الادباء ٢ : ١٠٣ .

(٣١) اعلمني الاستاذ المحقق بديع الزمان فروزانفر الايراني ان الاستاذ المحقق محمد عبدالوهاب القزويني رحمه الله كان يرى أن الراغب الاصفهاني من أهل القرن الرابع .

كما نهض الروذكي أبو عبدالله جعفر بن محمد في أواخر القرن الثالث ، والثلث الاول من القرن الرابع للهجرة ، ظهر بأصبهان موءيد الدين فخر الكتاب والشعراء أبو اسماعيل الحسين بن علي الاصفهاني المعروف بالطغرائي صاحب لامية العجم التي فاقت لامية العرب للشنفرى وغيرها[٣٢] ، وديوانه يغني الباحث عن الامعان في البحث عن مزاياه الشعرية ، وشرح الصفدي للامية العجم بمجلديه الكبيرين يعرب عن فضل هذا الشاعر الفحل المقتدر وسمّو مقامه بين شعراء العربية ، وان كان عصره متأخرا ، واستشهد في الربع الاول من القرن السادس للهجرة ، لأن الصفدي كان من كبار الادباء وكبار الموءرخين فتوفره على شرح تلك القصيدة يدل على جلالتها ونفاستها وروعتها الفنية .

وفي القرن السادس للهجرة وما يليه لم تغيّر حدّة اللغة العربية ، ولا ضعفت الرغبة العارمة بأصبهان في اللغة المذكورة ، ويمثل هذين الزمنين أبو عبدالله محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني الملقب بعماد الدين الكاتب ذو الملكتين البارعتين النثر والشعر وموءلف الكتب النفيسة الجليلة الفائقة الرائقة في الادب والتاريخ ، فضلا عن براعته في فقه الامام الشافعي[٣٣] وكتابه الخريدة (أعني خريدة القصر وجريدة العصر) أجلّ مرجع في سير شعراء القرن السادس خاصة . على اختلاف البلاد والاقطار العربية والاسلامية ، وهو كتاب حافل عظيم الحجم والاجزاء ذكر فيه شعراء ايران

---

(٣٢) راجع : معجم الادباء ج ٤ ص ٥١ ، والوفيات ، ١ : ١٢٥ ، ومختصر مرآة الزمان ٨ : ٩٣ ، ٩٤ .

(٣٣) راجع الجامع المختصر ٩ : ٦١ – ٦٤ ، ومختصر مرآة الزمان ٨ : ٥٠٤ – ٥٠٨ ، والوفيات ، ٢ : ١٨٨ ، وتلخيص معجم الالقاب في الجزء الرابع في لقب « عماد الدين ، والتكملة لوفيات النقلة للمنذري (نسخة المجمع العلمي العراقي المصورة ، الورقة ١٩) وتاريخ الاسلام للذهبي (نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ١٠٥) ومختصر معجم الادباء ، ٧ : ٨١ – ٩٠ ، ومقدمة الجزء الاول من خريدة القصر بقلم الاستاذ محمد بهجة الاثري .

والعراق وشمال افريقية والاندلس ، وقد طبعت منه أجزاء ولا تزال أجزاؤه الاخرى في طريق المطابع وفي المطابع ، وكتاب الخريدة هو مرجع موءرخي الادب العربي للعصر المذكور ؛ لا يستطيعون عنه حِولا ؛ وكتبه الاخرى الفتح القسّي في الفتح القدسي" الذي ضمنه تاريخ فتح صلاح الدين الايوبي لمدينة القدس سنة ٥٨٣ وما قبله وما بعده ، هي من أجل" التواريخ وأصدقها لهجة وأقواها حجة وكذلك كتابه البرق الشامي" في حروب صلاح الدين عموما والحروب الصليبية ببلاد الشام خصوصا ، وتاريخ بني سلجوق ، ونصرة الفترة وعصرة الفطرة الموجود منه نسخة بدار الكتب الوطنية بباريس ، واختصره قوام الدين أبو ابراهيم الفتح بن علي البنداري" الاصفهاني وسماه (زبدة النصرة ونخبة العصرة) وهو مطبوع، وقد توفي العماد الاصفهاني بدمشق سنة ٥٩٧ بعد أن زاد في ثروة الادب العربي والتاريخ الاسلامي زيادة جعلته من عظماء الموءلفين فيه على اختلاف العصور بله رسائله الاخوانية ورسائله الديوانية وديوان شعره ٠

وعاصره معاصرة التلميذ للاستاذ قوام الدين ابو ابراهيم الفتح بن علي بن محمد بن الفتح أبن أحمد بن هبة الله البنداري الاصفهاني الاديب المنشيء ، ويغنينا في ايجاز سيرته كمال الدين ابن الفوطي في كتابه تلخيص معجم الالقاب في الجزء الرابع منه فقد قال بعد ذكر لقبه واسمه وأسماء آبائه ونسبه على النحو الذي ذكرته : « أحد فضلاء الدهر ونبلاء العصر ، نثره كوشي البرود ، ونظمه كنظم العقود وسلافة العنقود ، دخل بلاد الشام وكان من تلامذة عماد الدين الكاتب (كذا) وكان كاتبا سديدا وترجم كتاب شاهنامه من نظم الفردوسي الطوسي لاجل الملك المعظم عيسي بن العادل ، رأيتها بخطه وانتخب كتاب البرق الشامي في كتاب سماه (سنا البرق الشامي) وانتخب كتاب نصرة الفترة وعصرة الفطرة للعماد في كتاب سماه (زبدة النصرة ونخبة العصرة) وله أشعار ورسائل وكان مولده في منتصف شعبان سنة ٥٨٦ وفارق وطنه (أي أصفهان) وأقام بدمشق سنة أربع عشرة وستمائة وكانت وفاته بدمشق في شهر ربيع الآخر سنة ٦٤٣ » ٠ وترجمته لأقسام

من الشاهنامه قد نشرها الدكتور عبدالوهاب عزام المصري ، وقد أشرت الى طبع زبدة النصرة ، وله كتاب (تاريخ بغداد) وجدنا منه الجزء الاول بدار الكتب الوطنية بباريس أرقامه ٦١٥٢ من العربيات وتاريخ نسخه سنة ٦٣٩ بدمشق وفيه نقصان ، وكانت وجهة البنداري الترجمة من الفارسية الى العربية وهو الامر الذي نريده • وحل عصر مصلح الدين سعدي الشيرازي الشاعر الفارسي الذي ان لم يكن شمساً في سماء الشعر الفارسي فهو قمر من أقمارها الزاهرة الباهرة المبدرة ، وقد عاصر مصلح الدين السعدي الدولة العباسية والدولة الايلخانية الموءسسة في غربي ايران والعراق وفي بلاد الروم المعروفة بآسية الصغرى عند الجغرافيين الغربيين ، وقد انتشرت اللغة الفارسية في عصر الدولة الايلخانية انتشارا واسعا ، واستبدّت بالدواوين والاواوين للكتاب والوزراء ، وتضاءلت قبالتها اللغة العربية ، وأتقن الملوك الايلخانيون المتأخرون لغة الفردوسي حامل مِشعل الشعر الفارسي بعد الروذكي العظيم ، الذي أشرت اليه آنفاً في هذا الحديث ، واستفحل الشعر الفارسي ، وصار أنس المجالس ، ومتعة الاديب والدارس ، وتحفة المحاضرات والمحاورات ، وملحة المخابرات والمنابآت ، الا أصفهان فانها ما زالت أيامئذ تصور عواطفها بالشعر العربي الذي يمثله في عصر هذه الخضرمة بين الدولتين العباسية والايلخانية نظام الدين الاصفهاني الذي هو الطرفة الادبية في هذا الدين وهذه المحاضرة •

ونظام الدين الاصفهاني الشاعر من الشعراء الخالدي الآثار الذين لم ينصفهم التاريخ فمؤرخو الادب الفارسي اهملوه لانه سار على السنة الاصفهانية في التزام الادب العربي ومؤرخو الادب العربي أغفلوه لأنهم لم يخالطوه ولا اجتهدوا في تقصي أخباره لبعده عنهم ، أو لقلة عنايتهم بأخبار الشعراء ، في ذلك العصر المضطرب السياسة ، المرهب الحكم ، الكثير سفك الدماء البشرية ، الساقط تحت وطأة الياسا قانون جنكيزخان ، ذلك القانون الماحق الساحق ، الغريب الرهيب ، المستفحل بأحكام اليارغو (أي المحكمة الجنكيزية) التي لا تبقى ولا تذر ، وتعدّ البشر كالبقر ، لا جرم عفى الزمان

على ذلك القانون وأحكامه ، وصار من أحاديث القرون الخالية .

ومجموع نظام الدين الاصفهاني يسمى « ديوان المنشآت » استعارة من «الجواري المنشآت كالاعلام » ومنه نسخة اطلعت عليها في دار الكتب الوطنية بباريز أرقامها « ٣١٧٤ من العربيات » ويظهر من مقدمته أنه أهداه الى شمس الدين محمد بن محمد الجويني صاحب ديوان الممالك على عهد هولاكو وعهد ابنه أحمد تكوار ، وهو يقول فيها : « وهذه اللمعة موسومة بشرف ايوان البيان في شرف بيت صاحب الديوان : ولو أتيح طول العمر لي بارخاء ، وَهبٌ من نسائم قبول الحضرتين رخاء ، أخذت في وضع كتاب في أحوال هذه الدولة » . وجاء في أوائل الديوان « قال مولانا أقضى القضاة أفصح العرب والعجم نظام الدين القاضي يمدح المستنصر بالله امير المؤمنين وأنفذها من أصفهان الى بغداد :

لا ُموا ولو بهم ُ ما بي لما لا ُموا   فيم الملام ُوبذل َ الروح قد رامُوا ؟!

وفي أيام كينونتي بباريز وكون العلامة المؤرخ الاديب محمد عبدالوهاب القزويني بها (تغمده الله برحمته) سألته عن نظام الدين الاصفهاني ، فكتب الي كتاباً أرّخه باليوم الثامن من شهر آذار سنة ١٩٣٧ وهذا نص كتابه : « حضرة الاستاذ العلامة (كذا) مصطفى افندي المحترم .

تسلمت مكتوبكم الكريم المؤرخ بالخامس من الجاري . لم أظفر بترجمة القاضي نظام الدين الاصفهاني صاحب شرف ايوان البيان في شرف بيت صاحب الديوان ــ الذي تصفحته أنا أيضا في الايام الماضية وتكلمت عنه مختصرا في مقدمة الجزء الاول من جهانكشاي لعلاء الدين الجويني ــ فيما بيدي من الكتب الا في مؤلفين فارسيّين كلاهما من المآخذ المتأخرة بكثير عن عصره وكلاهما محتوياتهما ضئيلة عقيمة لا تسمن ولا تغني من جوع ، أحدهما تاريخ عام موسوم بحبيب السِّير لغياث الدين خواندمير الهروي المؤلف في حدود سنة (٩٣٠) والثاني مجالس المؤمنين للقاضي نور الله الشوشتري الذي تعرفونه حضرتكم ، ولكن لا توجد ولا كلمة

واحده في ذينك المأخذين مما يتعلق بتاريخ حياة القاضي نظام الدين المذكور أو سنة ولادته او تاريخ وفاته ولا شيء من هذا القبيل أصلاً بل صاحب حبيب السير اقتصر على أنه كان من مُدّاح بيت صاحبي الديوان ثم ذكر بعض أبيات له في مدح شمس الدين الجويني • والقاضي نور الله ذكر علاوة على ذلك أنه كان من الشيعة الخُلّص ثم أخذ يسرد مقطعات وغيرها دالة على تشيعه بزعمه أو على الحقيقة ، هذا غاية ما في الترجمتين هاتين اللتين كما ترون حضرتكم لا تستحقان أن تسمّيا ترجمة حال بالمعنى المصطلح » ا هـ •

وأحسب والحسبان قريب من الظنّ أن ابن الفوطيّ ترجمه في كتابه الذي قدمت ذكره أعني تلخيص معجم الالقاب الا ان جزء النون الذي هو الجزء السادس غير معثور عليه حتى الآن ، وقد نقلت آنفا اشارة في عبارة تشير الى مدحه الخليفة المستنصر بالله العباسي وقد توفي كما هو معلوم سنة (٦٤٠ هـ) وجاء في الورقة ٨٣ من الديوان ما هذا نصه : « وقال يذكر وقعة أصفهان وكانت في سنة احدى وثلاثين وستمائة معارضا لقصيدة العميد » • وورد في الورقة ٨٥ « وقال وكتبه على دار بهاء الدين محمد ابن صاحب الديوان » وقد جاء في الابيات قوله :

لستمائة وثمانين عاماً أعاد العمارة بعد انهدام

فعلمتُ أن سنة (٦٨٠ هـ) كانت من سني عمره وكان حيا فيها ، وبهاء الدين محمد بن شمس الدين صاحب الديوان كان والياً على أصفهان في ذلك الزمان ، ذكره موءلف التاريخ المجهول الذي قمت بطبعه وسميته باقتراح بعض الباحثين «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة» الذي هو لابن الفوطي ثم تبين لي بالتأكيد والتحقيق أنه ليس بالحوادث الجامعة ولا يصح أن ينسب الى ابن الفوطي بوجه من الوجوه ، وأن القول الراجح عندي أنه جزء من تاريخ « محب الدين أبي العباس أحمد ابن يوسف بن أحمد بن أبي بكر العلوي الكرجي ثم البغدادي المترجم في

تلخيص معجم الالقاب بما هذا نصه : « محب الدين أبو العباس احمد ابن يوسف بن أبي بكر العلوي الكرجي ثم البغدادي المقرىء ، من العلماء الثقات والحفاظ الاثبات ، قرأ القرآن الكريم على والده وكال كثير التلاوة عارفا بالتفسير والقراءات قال أنشد أبو علي هلال بن المظفر الزنجاني لنفسه:

أودعته سِرّي مستكتماً فبثّه الاحمق في الحال
من يضع السرّ لديه فقد أودع ماءاً فوق غربال

وكان كثير المطالعة عارفا باللغة ورتب شيخ دار القرآن المعروفة بالبشيرية على ساحل دجلة ، بالجانب الغربي واشتغل عليه جماعة من الاعيان ، سألته عن نسبه فذكر أنه ينتمي الى الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) وسألته عن مولده فذكر انه ولد في العاشر من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وستمائه ، وصنف تاريخا على السنين وتوفي في صفر سنة احدى وعشرين وسبعمائة ، وكان قد صلى ولم يعلم بموته غير زوجته ودفن بباب حرب » . ودفنه بمقبرة باب حرب يشعر بأنه كان علويا متحنبلاً . لأن مقبرة باب حرب مقبرة الحنابلة منذ أواسط القرن الثالث للهجرة .

أجل ذكر مؤلفه بهاء الدين محمد بن شمس الدين محمد الجويني ، وقد جاء في سيرته من ذلك التاريخ المشار اليه في حوادث سنة ٦٧٨ : « وفيها توفي بها الدين محمد بن الصاحب شمس الدين المذكور ، وكان ملكا بأصفهان ظالماً سيىء السيرة ، متفننا في الظلم ، جدّد القتل بالقنارة التي كان وضعها البساسيري في أيامه وقد نسيت لطول العهد بها » . وقال في حوادث سنة ٦٩٤ : « وتوفي نور الدين عبدالرحمن بن تاشان بعد قتل فخر الدين مظفر ابن الطراح بمدة شهرين وكان يسلك نور الدين في أيام حكمه قاعدة بهاء الدين بن شمس الدين الجويني في التمثيل وشناعة القتل وأحدث القنارة بواسط كما أحدثها بهاء الدين في أصفهان وكانت قد نسيت من عهد البساسيري » .

وباسم بهاء الدين الجويني هذا ألّف الشيخ عماد الدين الحسن بن علي الطوسي المعاصر لنصير الدين الطوسي كتابيه «الكامل البهائي» في مناقب أهل البيت ، و « الاربعين البهائية » في فضائل امير المؤمنين عليه السلام ، ويبقى اشكال في التاريخ الذي ذكره القاضي نظام الدين الاصبهاني لعمارة دار بهاء الدين الجويني وهو سنة (٦٨٠) مع أن وفاة بهاء الدين كانت سنة ٦٧٨ والظاهر ان الضرورة الوزنية حملت القاضي على التساهل •

وقد بحثت عن اسم نظام الدين الاصفهانى في كتاب «تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى سعدي » تأليف أدوارد گرانفيل براون(*) المستشرق الكبير وترجمة الاستاذ ابراهيم أمير الشواربي ، وفحصت عنه في الفهرست فلم أقع له على ذكر ما عدا وهما حدث فيه مع أن هذا العالم ذكر جماعة من الشعراء الفرس الذين نظموا بالعربية ولم ينظموا بالفارسية ذكرهم لسبب من أسباب التأليف • ولذلك الاخفاق وتلك الخيبة اجتزىء بذكر جملة من أشعار نظام الدين الفائقة الرائقة ، قال يمدح الخليفة المستنصر بالله :

لاموا ولو بهمُ ما بى لما لاموا	فيمَ الملامُ وبَذْلُ الرّوح قدراموا
قاسوا بشأنِهمُ شأني وما علموا	أني سهِرتُ اشتياقاً اذ همُ ناموا
ساموكَ صبراً عن الأظعان غاديةً	والقتل صبراً لعمري دون ما راموا
تَعجبوا من دموع سحّ وابلُها	كأنهم بَرقَ ذاك الثغرِ ما شاموا
والغيمُ من نفس العشاق مرتكم	وبالحنين يُرى للرعد ارزام
واهاً لبارق ثغر خاطف مُهَجاً	لولاه لم ينقشع للهجر إظلامُ
تُريك تلك الثنايا بالعقيق حمىً	من دونه وقع العشاق اذ خاموا
نفسي فدى صَحن خدٍ من ملاسته	زّلت عليه لنمل الخطّ أقدامُ
يأبى لرقة قلبٍ أن أقبّله	كيلا يمسّ ضعاف النمل آلامُ
هذا وقد سفكت يا للرجال دمي	عيناه ما ساءَه للصبّ إيلامُ

(*) E.G. Browne

نعم جلا لحظه سيفاً فان سبق ... السيف العواذلَ لم يعلَقْ به ذامُ
قلبي وطرفك والارواحُ دانيةٌ ... قد حالفتها على العِلاّت أسقامُ
وعلّة الضمّ حقاً بيننا وجدت ... فلِمْ رَمى الجمعَ بالتفريق لوّامُ
ماذا الجفاء وفيم الصدُّ يا سكني ... والعمرُ كالنوم واللذات أحلامُ ؟!
قد غالط الدهرُ فاذكر سوء صنعته ... فللزمان بسرّ البين إبهامُ
هذا الربيع وثغر الصبح ذو شنبٍ ... والمزنُ باكٍ ووجهُ الارض بسّامُ
والصبح سلّ على الظلماء صارمه ... فالوقت سيف وكم نابتك أيامُ ؟
والريحُ هزّت مهود الورد ناعمة ... كيما ينبّه وجه الصبح نوّامُ
ومدّ أيديها الأغصانُ راقصة ... ففاح عن نشرها المسكيّ أكمامُ
تناهبت بالرّبى خيلُ الصَّبا فعلا ... نحورَها من صنوف الطيب أقسامُ
أطلق عنان الهوى واركب هواك وقم ... نُسرجْ كميتاً لها للعقل إلجامُ
أنضيتُ نفسي بسوط العزم أقرعها ... فالآن حُقّ لخيل الطبع إحجامُ
كم يجمع الطبعُ والأيام تكبحه ... عُنفاً وما لمرام الحرّ إتمامُ
دهري حَرون ويكفيني رياضتهُ ... من سوط عزم إمام الحق إشمام
مستنصر في ضمان الله نصرته ... دارت كما شاء للأفلاك أجرام
والشهب في دم من عادى غمسن يداً ... ينبيك كفٌ خضيب مَدّهُ بهرام
له الملوك على الأذقان ساجدةٌ ... كما لهادي البرايا خرّ أصنام
في كلّ واد له صيت يهيم كما ... في كل واد عداه خشيةً هاموا
يبلّ غُلّهُ عافيه بلّتها ... فبين جدواه والآمال أرحام
كما يقوم بنظم الكون أربعة ... غدت له لنظام الامر قوّام
نار وماء وجوّ والثرى وكذا ... بأس ولين وألطاف وأحلام
قل للخوارج موتوا في ضلالتكم ... فانما الدين عند الله إسلامُ
هذا ابن عم رسول الله طاعته ... فرض وفيه لأنفِ الكفر إرغام
يطيعه من اطاع الله متقياً ... ومن عصى فعليه النصّ إلزام
وفي «أولي الامر» قول الله حجتنا ... وهم أئمتنا بالحق قد قاموا
أرى الخوارج مذ نامت جدودهم ... بها لسيفك مثلَ الطيف إلمام

قد غرَّهم طول إمهال وعن كثب ... يظلّهم كسواد الليل أعلام
نعم سترفع في القتلى عقائرهُم ... اذا تداعوا وما للسيف إذمام
قد أثمر السعي في كيد العدى فعلى ... أيدي عبيدك منهم يُقطف الهام
كم قلت اذ قيل ضاهي النمل عدتهم ... وما لهم عن لقاء القرن إحجام
يا أيها النمل لا تعدوا مساكنكم ... ومن سليمان لا يحطمك إقدام
سار بأرعن زخافِ الجهات ترى ... بمصر من خوفهِ ترتجُّ أهرام
خيل صيام تُصلّي الريح إن سبقت ... يحثها لاقتحام الروع مِقدام
لو سابق الدهر لاستدرك نائبة ... لرُدّ مما طواه الدهر أعوامُ
إن أرعدت بصهيل فالبروق ظبىً ... وكالحيا من دم المُرّان مِثجام
مظاومة الارض تشكو ثقل وطأتها ... كما الهضيمة تلقى الدهر أهضام
خطّت سطوراً صفوف الجيش رائعة ... وللقنا والظبى نقط واعجامُ
فافتضّ عذرة فتح صارم ذكر ... جُرح العدى بعده ما كاد يلتام
حجاً يرى أم جهاداً سيفه فغدا ... دماً يحلّ وبالتجريد إحرام
ككوكب الرجم منقضاً به صعقت ... جن سمت في ظلام النقع عُرام
هذي الشجاعة أنست ما أدلّ به ... في العرب عمرهم والفرس بهرام
هذا وكم ضج بالزوراء ذو لجبٍ ... من صوته لصدى الابطال اصمام
يود لو خرجت يوماً مراسمه ... فتمتطي كاهل الاقدار أحكام
فيستخف بغاث الطير جارحه ... ويفرس الثعلب الروّاغ ضرغام
وللأمور مواقيت مقدّرة ... والدهر عادته نقض وإبرام
يا حجة الله والحبل المتين ومن ... في غير مرضاته الطاعاتُ آثام
إن تملِ تابعة الجن القريضَ فلي ... في نظمَ مدحك من جبريل إلهام
وترت عود بناني مفصحاً فدع ... العودَ الموتّر منه اثال إبهام
فهاكها درّة بل بحر فائدة ... لدى العقول ببذل الروح تستام
أخزيتُ في جنبها قول ابن فورجةٍ ... « هذي العلا لاحُبيلات واغنام »
من رام باللفظ والمعنى مساجلتي ... خانته للسَّجْل أكراب وأوذام
وبالدعاء أرى ختم الكلام فما ... كادت توفيك حق المدح أفهام

بعدلك الارض قامت والسماء فقم بالحق ما قام بالارواح أجسام[٣٤]

وقال يمدح وزير دار الخلافة والظاهر أنه نصير الدين أحمد بن الناقد وزير المستنصر بالله الشافعي المدفون في الكاظمية كما جاء في التواريخ :

أهاب بسرّ القلب شوقي مناديا فلبّى بلا حرف وصوت مناديا
نعم في إهاب الروح نجوى خفية طواها عن الأغيار قلبي مواريا
ونقش على لوح الضمير لذكرها يدوم ولا نقش على الصخر باقيا
تمثل في عيني وقلبي خيالها فلا النار تفنيه ولا الماء ماحيا
ومما دهاني اليوم انسان ناظر اليك اغتدى في الماء حرّان صاديا
ولم أعط نفسي من وصالك حقها ولم أتنجز من هواك الامانيا
أتصبر نفسي عنك ياغاية المنى وما أزداد هذا الحبَّ إلا تماديا
حُرمتُ التلاقي ثم لم أرضَ هجركم فحرّم ما بين الجفون التلاقيا
فانسان عيني دون طيفك منشد « بنفسي من يخفى عليه مكانيا »
وكم موعد بين الخيال وناظري جعلت له طيب الكرى متقاضيا
وليل قصير يجمع الطيب كله كما جمع اللفظ القليل المعانيا
إخال به ريطاً عليّ ممسّكاً تضمّن نشر الطيب منه المطاويا
طواه النوى عني ولم يطو ذكره وما فات مسك أخلف النشر ذاكيا
فأحببت ليل الهجر وهو يميتني فيالك اذ حاربت بالغدر وافيا !!
أضعت محبّاً لاشتياقك واجداً وبعت برخص في ولائك غاليا
وكنت إذا ما الهمُّ جاش بحارُهُ ندبتُ لها صبري فألقى المراسيا

---

(٣٤) ديوان المنشآت نسخة باريس رقم ٣١٧٤ ، الورقة ٧ م .

اری دوني الجهال حمراً هوامــلاً فأحمــي لها في نار عزمي المكاويا

ولا بدَّ للأغفــال عن ســـمة النهى من الكيّ من داء الجهالة شافيــا

سألقي على حبل الذراع مطـــالبي وإن لم أصل حبْل الجهول مداريا

وأمتاح أرواحاً بأرشـــية القنـــا عاطي سجال الحرب قرني تساقيا

ولي فيضمان الدهر دين سينقضي بألســـن بيض ينطلقن مواضيــــا

فما أشتقت غير السمرهيفاء تلتوي ولا شمتُ دون البيض برقاً يمانيا

ولم أرَ مثل النقع ظِلاً إذا حمى هجيرُ الوغى إذ سرت للفيء باغيا

أجود بنفسي للـــذوابل مُرويـــاً ولا عذر لي إن لم أروّ الظواميا

فان يك كعب جاد بالنفس قبلـــه ليُروي ظمـــآناً فسَنَّ الأياديا

فكعبي أعلى فيالندى فاسأل القنا فماء حيـــاة قد منحت الصواديـا

وأين ابن أروى عنفَعالي وانيكن إذا هب ريح ينحر البدن شاتيا ؟

ألست اذا هبت لنصـــر رياحُـــهُ نحرتُ ولا بدنَ الأضاحيالأعاديا

قلقت ولا مثـــل الوشاح فلم أدع لغير مكان الصدر يغشـــاه حاليـــا

فحثَّ بسوط العزم همك إن يقف حروناً ينفض للمراح النواصيـــــا

وأورد من الآمال هيماً خوامســـاً فثَمَّ ترى لُجَّ المكـــارم طاميـــا

هناك هناك الجود درّ ســـحابةٍ وثمَّ ســـماء الملك تجلو الدراريا

هنـــاك ولا تلقـــى مجـــالاً لقادحٍ ترى زنـــد عزم المرء بالنجح واديا

وتعبَق أخـــلاق على نار عزمـــةٍ ولا عرفَ عود مسَّه الجمر ذاكيا

ويرعى ذمام المكرمـــات ودونـــه ترى كل عـُذريّ العلاقـــة ساليا

وتأرجُ من طيب الشـــمائل روضة يجاذبُ فرعيهـــا النسيمُ مُناغيـــا

ويحمرُّ خدُّ السيف بالفتح ظافراً ويهتز عطف الرمح للنصر لاقيـــاً
ولا تبهظ الاعباء مستضعفاً سوى عليل نسيم أنحل الصبُّ وانيـــا
وأغمد للعدل الصوارم رهبـــةً سوى سيف برق يقطع المحل غاديا
أعاديك كالأقـــلام فوق رؤوسهم مســوّدة منهـا الوجوه كما هيا
حنين ودمـــع والنحول وصُفـرة وحـز رقاب إذ يخضن الدياجيـا
رؤوس زهتهـا خفـة فتطايشت تحس من السوداء ما ليس خافيـا
وعزمُك مِلء الأرض إن يضح َلجّةً يغرق في بحر الزمّـاع الجواريا
أمغتنم العليـاء دعـوة فاضـــل خطوب الليالي أنهبتـه الدواهيـا
أفي الحق أن أضحى وظلك وارف وأرضى برنقٍ دون شربك صافيـا
وألزم بيتـاً كالـرويّ مؤخـــراً وسَيَّرَ كالأمثال فكري القوافيا ؟!
أما من بني الدنيـا كريم بعونِهِ أُسِرُّ ولياً أو أسيء مُعـاديا ؟
نعم ركدت ريحُ العُلى وتصوّحت رياضُ الأيادي واغتدى الجهل شافيا
فلولا كريم طبّق الارض بالندى نعينا التُّهى ثم النُّهى والمعاليـــا

وقال يمدح بهاء الدين بن شمس الدين الجويني مالك أصفهان وبدأها بالغزل والنسيب على العادة القديمة :

حمل النسيمُ حكايـة الاشـواق أرأيتَ ضعف وسائل العشـاق ؟
سفر الصَّبا ما بينهم فتكاسـلت ومـع الحـديث تـرق للمشتاق
وعلى شمائلها اتكال ذوي الهوى إن الصفــاء مظنـــة الاشـفاق
قلبي وطرفـك والريـاح مريضة فمن الطبيب وهل تُرى من راقي؟

وقال في رسالة الخيل من انشائه الى صاحب ديوان الممالك شمس الدين محمد بن الجويني قصيدة أوائلها :

يا حادي الابل الطِلاح يثيرهـــا من أصفهـان الى رُبـى بغـدادِ
إن هبَّ ريحُك فاغتنم فرص المنى واسبق وفـود الريح بالاغـذاذ
واقصد بزوراء العـراق معظمـاً لبني الزمـان تراه خيـر مـلاذ

شمس الممالك غـرّة الدنيا الذي بعُلاه أجفـان النجوم قـواذي
مولى ملوك العرب والعجم الذي جـرّت أوامرُه ذيولَ نفـاذ

ومنهـا :

ورسالة الخيل اقتضيت بديهـةً وعلى سنابكها الخيول حـواذي
أهديهم سـبل الرشـاد مكرّراً من أصبهـان الى ربـى بغـداد

وله قصيدة في مناظرة السيف والقلم ، نظمها باشارة من شمس الدين الجويني ، والديوان موجود فلا حاجة الى الاطالة المؤدية الى السآمة والملالة بذكر اكثر مما اخترناه .


اللغة

مشكلات اللغة العربية وحلها

تجتاز اللغة العربية في عصرنا طورا من اطوارها العظيمة وترى فيه عهدا جديدا لكثرة مشكلاتها الناشئة من النهضة الحديثة في العالم العربي في السياسة وفي العلم وفي الادب ، ولصعوبة حل هذه المشكلات المحتاجة الى علماء مخلصين للعلم جهدهم، ولغويين بارعين منصفين للعربية، ونحويين ماهرين متبحرين فيها مشفقين عليها ، فهؤلاء وحدهم يستطيعون اقبالها * مسالك النجح والسلامة ويحافظون على ما لها من كرامة ، وذلك بان يصلحوا تعابير المترجمين اليها من اللغات الاخر وينبهوا تنبيها جميلا على ما يقع في اساليب الكاتبين بها من سقط ولحن او ضعف وغلط ، ويقبلوا لها التعابير التي لا تخالف طبيعتها ويكثروا غناها بالعبارات الاجنبية الحسنة الشاملة مثلا — لبديع الاستعارات ولطيف الاشارات او طريف التشبيه ، ويتساهلوا على الناشئة في ما يريدونه من الجمل الموافقة لقواعد العربية المقيسة عليها ، فسيأتي في كلامنا ذكر القائل ان ما قيس على كلام العرب فهو منه .

والعالم البارع لا يشك في ان لكل عصر الفاظا خاصة به وتعابير تشيع فيه دون غيره ، واطوارا تتعاوده بحكم التمدن فتسمه بسمتها الظاهرة ، والامر في هذا وامثاله مألوف معروف ليست به حاجة الى فضل شرح، فبه يستدل مؤرخو الاساليب الكتابية والمفردات اللغوية والاطوار التمدنية على صحة ما يؤلفون وما يصنفون وما يؤسسون من الكلام على الانشاء

* هكذا جاءت الكلمة في مجلة المعلم الجديد ٥ (١٩٤٠) ص ٩٨ .

والاصطلاحات وتأريخ التمدن ، ومن الادلة المبينة على ان لكل عصر الفاظا خاصة به ما ذكره ابو هلال العسكري في احد كتبه قال : « وكانوا يقولون الاتاوة فتركوها ، وقالوا الخراج والمكس فتركوه وقالوا الضريبة ، وتركوا أنعم صباحا وأنعم ظلاما وقالوا انعم الله صباحك ومساءك ، وتركوا ان يقولوا للجارية غلامة وللمرأة رجلة وكل ذلك كان مستعملا في الجاهلية ، قال :

وفي كل اسواق العراق اتاوة ... وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم

وقال آخر : يهان لها الغلامة والغلام ، وقال : لم يراعوا حرمة الرجلة»[1]

ونحن في هذا العصر مع كراهتنا للتراكيب المعقدة والاساليب المعوجة من طرق الانشاء لا نستطيع ان نحسن تقليد الفصحاء والبلغاء من قدماء كتاب العرب فانالعربية لغة واسعة شاسعة الاطراف ، والملكة الكتابية في كل امرىء مخالفة للتي عند غيره ثم ان عصرنا لا يستوجب هذا التقليد الا عند الاضطرار فعمر الانسان لا يسع ان يتحفظ احدنا مقدارا عظيما من تعابير القدماء ليستعملها في كتابته ، ولكننا ملزمون ابدا ان نقيس كلامنا على كلام العرب ولا نسقط فيه ، ليكون كلامنا عربيا ، فقد قال ابن جني النحوي المشهور : « ما قيس على كلام العرب فهو منه » وتقدمت الاشارة منا الى ذلك آنفا ثم ان كان من جاء قبلنا من الكتاب الكبار أيقنوا ان من الاساليب الانشائية ما هو «سهل ممتنع» فما أحرانا بالاقرار بذلك والاعترافبصعوبة التقليد علينا ، غير عابئين بدعاوى اناس يدعون الفصاحة والبلاغة لانفسهم وهم بعيدون منهما جدا لان مقاييسهم قاصرة عن بلوغ الصحة وضبط ما يقيسون ، ومن فسدت آلة القياس عنده اخطأ في النتيجة وزالت ثقة الناس منه .

(١) ابو هلال الحسن بن عبدالله العسكري المتوفى بعد سنة ٣٩٥ هـ في كتابه « الاوليات » مخطوط بدار الكتب الاهلية بباريس رقمه ٥٩٨٦ عربى ، في الورقة ١٦ وهذا الكتاب هوا الذي اختصره السيوطي ونتج منه كتاب «الاوائل» .

ومسألة اطوار العربية الظاهرة في المفردات والجمل قد تكلم عليها جماعة من قدماء علماء الامة الاعلام وصورتها انه « اختلف هل وضع واضع اللغة المفردات والمركبات الاسنادية او المفردات خاصة دون المركبات الاسنادية » فذهب الفخر الرازي وابن الحاجب وابن مالك الى ان التراكيب ليست بموضوعة والا توقف استعمال الجمل على النقل عن العرب كالمفردات. وقال جمال الدين الحسين بن اياز البغدادي[٢] وهو من معاصري ابن مالك في « شرح الفصول » تعليقا على قول يحيى بن معط صاحب الالفية المطبوعة في اوربة : « الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع » ما صورته « كذا قال الجزولي ، وكان شيخي سعدالدين يقول فيه بغير ذلك لان واضع اللغة لم يضع الجمل كما وضع المفردات ، بل ترك الجمل الى اختيار المتكلم، يبين لك ذلك ان حال الجمل لو كانت حال المفردات لكان استعمال الجمل وفهم معانيها متوقفا على نقلها عن العرب كما كانت المفردات كذلك ولوجب على اهل اللغة ان يتتبعوا الجمل ويودعوها كتبهم كما فعلوا ذلك بالمفردات، ولان المفردات دلالتها على معناها التركيبي بالعقل لا بالوضع ...» وقال الامام ابو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي في جداله لمتى بن يونس القنائي

(٢) هو مدرس النحو بالمدرسة المستنصرية ببغداد ، كان من اعيان العلماء والادباء ، درس على سعد الدين احمد بن محمد بن المغربي وكان له منه اجازة بجميع مصنفات ابن الحاجب ، ودرس ايضا على العلامة تاج الدين محمد بن الحسن الارموي مدرس المدرسة الشرفية ببغداد، والف عدة تآليف منها كتاب المطارحات وشرح الفصول ، وكتب عنه أبو العلاء الفرضي وابن الفوطي الفيلسوف الاديب الموءرخ ، واجاز العلامة الحلي الحسن بن يوسف بجميع موءلفات ابن الحاجب ايضا ، قال الحلي : « وهذا الشيخ كان أعلم اهل زمانه بالنحو والتصريف وله تصانيف حسنة في الادب » . ذكره ابن الفوطي في الحوادث الجامعة (ص ٤٢٦) في من توفوا سنة ٦٨١ هـ وقال : « وكان قد رتب مدرسا للنحو بالمستنصرية ... » وترجم له ايضا ابن تغري بردى في المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، وذكره العلامة الحلى ايضا في اجازته وهندوشاه في تجارب السلف (ص ٣٤٧) ونقل من كتبه السيوطي في المزهر ، ١ : ٢٦ ، ٢٩ .

المنطقي : « فقد بان الآن ان مركب اللفظ لا يحوز مبسوط العقل ــ والمعاني معقولة ــ ولها اتصال شديد وبساطة تامة وليس من قوة اللفظ من أي لغة كان ان يملك ذلك المبسوط ويحيط به وينصب عليه سورا ... » (ياقوت، معجم الادباء ٣ : ١٢١) وفي هذا دليل على ان العبارات نفسها قد تضيق عن حصر المعاني لان المعاني من المعقولات وفي المعقولات مجال فسيح للتفكير والتأويل والاستطراد والشك والظن والوهم ، ومن أجل ذلك عقد السيوطي فصلا في المزهر سماه « ذكر من عجز لسانه عن الابانة عن تفسير اللفظ فعدل الى الاشارة والتمثيل » وفصلا سماه « واذا كان المسؤول عنه من الدقائق التي مات اكثر اهلها فلا بأس ان يسكت عن الجواب اعزازا للعلم واظهارا للفضيلة » فكما يجوز موت الجمل يجوز احياء غيرها ونقول في ذلك ان كانت اللغة بعينها قاصرة عن تفسير ما فيها وكان كثير من مفرداتها غير مدون في كتب اللغة فان للكاتب اليوم سعة ورخصة في توليد التعابير والتساهل فيها وفي استعمال الكلمات من دون مخالفة لقواعد النحو ولا اخلال بأصل وضع المفردات، ومما تقدم من كلامنا يتضح للكاتب المتدبر ان عبارات اللغة العربية على صعوبة الاحتذاء عليها لم يودعها العلماء كتبهم الا قليلا منها ورد نصه على الحقيقة او على المجاز فعني به جمع من العلماء كما فعل الزمخشري في « أساس البلاغة » وهو لا يخرج عن كونه امثالا لغوية لا تقوم بحاجة المبتديء فضلا عن العالم والاديب . ولا ينبغي لاحد ان يستدل بكلامنا هذا على كراهتنا لاستعمال الجمل القديمة الفصيحة من كتابات العصور المتقدمة على اختلافها فان في ذلك ــ لو استطيع ــ من الفوائد اللغوية والعلمية ما لا نحتاج الى بيانه ، وانما قصدنا به ان العبارات المولدة التي تدل على المعنى دلالة عقلية وتحتوي على صبغة عربية ، هي معقولة دائما وابدا ــ كما ذكر جماعة من العلماء ــ فمن حفظ القواعد العامة لتركيب الجمل وتدارس الكتب الادبية العربية امكنه ان يكون فصيحا .

اما قواعد النحو والصرف في العربية فان كثيرا منها يجب اصلاحه ، والاستبدال به وهذه القواعد ــ على الحقيقة ــ غير كاملة تحتاج الى

استقراءات جديدة واستنباطات عديدة واستنتاجات مفيدة فوائد لناتجها ، من علماء العربية ، وانا لنرى في عصرنا ايضا بين برهة واخرى أناسا شدوا شيئا من العربية ولكنهم لم يتبحروا فيها ولا عرفوا اسرارها ، يحملهم الغرور على تخطئة هذا في بعض ما يقول وتغليط ذلك في بعض ما يتكلم به تهورا منهم وتطويحا بأنفسهم في العمايات ، فيستجهل احدهم غيره وهو الجاهل ويظن انه يكتب بالعربية الفصيحة مع ان الركاكة والتوليد ظاهران على اسلوبه والفاظه من اول كتابته الى آخرها ، فهو واشباهه نعدهم ممن يجب تأديبهم وردعهم عما يرتكبونه من استباحة كرامة العربية ، فمن القواعد المتزعزعة التي لم تبن على الاستقراء التام : « حذف الياء من فعيلة غير المضعفة ولا المعتلة العين عند النسبة اليها » فاذا قلت مثلا « الحقيقة البديهية » قال لك احد هؤلاء الناقصة دراستهم ، انه يجب ان تحذف الياء من « البديهة » فيكون « البدهية » فسبب هذا التهور وامثاله جهل الناقد واشباهه لحقيقة القاعدة ، ففي « أدب الكاتب » لابن قتيبة ما صورته « واذا نسبت الى اسم مصغر كانت فيه الهاء او لم تكن وكان مشهورا القيت الياء منه تقول في جهينة ومزينة جهنى ومزنى وفي قريش قرشي وهذيل هذلى وسليم سلمى — هذا هو القياس الا ما اشذوا ، وكذلك اذا نسبت الى فعيل او فعيلة من اسماء القبائل والبلدان وكان مشهورا القيت منه الياء مثل ربيعة وبجيلة تقول ربعى وبجلى وحنيفة حنفى وثقيف ثقفى وعتيك عتكى . وان لم يكن الاسم مشهورا لم تحذف الياء في الاول ولا الثاني » .

فقاعدة النسبة اذن واضحة جدا لان شرطها هو ان يكون الاسم مشهورا من القبائل والبلدان وغيرها ، فان لم يكن مشهورا لم تحذف « الياء » وعلى ذلك وجب ان يقال « بديهي وغريزي وسليقي وقبيلي وكبيري ، ومليكى وبريدي » فمن حذف الياء فقد أخطأ وغلط واساء فهم كلام العلماء ولو كان الحاذف اياى ، فكيف يجترئ اذن احد على أمر الناس بأن يقولوا « بدهى وقبلى » نسبة الى بديهة وقبيلة » ؟ وهذا هو الجهل الموبق .

والتساهل على الكتاب والمترجمين في ما يكتبون أصبح لأزما لازبا ما لم يخرجوا عن القواعد ولم يقلبوا معاني الكلمات الى اضدادها ، ومثل ذلك التساهل في استعمال « تأكد » بتعديته الى مفعول صريح و«استهدف» ايضا و «اقتصد» و «تكبد» . فتأكد لم يرد في لغة العرب متعديا ، يقال «أكدت الامر فتأكد هو » ولكن الناس حينما قالوا «تأكد فلان الامر» جعلوا «التاء» لارادة الفاعل المتكررة قياسا على « تبحثه وتبينه وتحققه وتحراه وتقصصه وتقصاه وتعهده وتشبته» وما لا يحصى كثرة، فالعالم المنصف المتدبر لا يجوز له مثلا ان يمنع الناس من قولهم «تأكده» لانه مقيس على كلام العرب وما قيس عليه فهو منه (كما سلف) . قال ابن قتيبة في «أدب الكاتب» ما صورته : « وتأتي تفعلت للشيء تأخذ منه الشيء بعد الشيء نحو قولك تفهمت وتبصرت وتأملت وتبينت وتثبت وتجرعت وتحسيت وتفوقته وتعرقته الايام وتنقصته وتخونته وتخوفته وكله بمعنى تنقصته وتسمعته وتحفظت وتقعدت عن الامر وتعهدت فلانا وتنجزت حوائجي ، فهذا كله ليس عمل وقت واحد لكنه عمل شيء بعد شيء في مهلة وكذلك تحسست وتجسست وتمززت الشراب » واكثر هذه الافعال متعد ، ثم ان في ادخال تضعيف العين على «الفعل الثلاثي» فائدة للغة العربية ، فان ذلك يكسبها ما تكتسب اللغة الفرنسية بزيادة (Ra) على اوائل الافعال والاسماء نحو Abaisser ، Rabaisser ، Battre ، Rabattre ، Aboutir ، Raboutir

Accommoder ، Raccommoder ، وما يطول ذكره جدا .

وللغة العربية حاجة الى زيادة ثروتها بالعبارات الاجنبية التي تظهر عذوبتها وجمالها او التي لا تخالف الذوق العربي ان لم يكن لها عذوبة ولا جمال ، مثله «جرح عاطفته» فقد قالت العرب « جرح عدالة فلان » ثم قالت « جرحها تجريحا » ونحو « ذر الرماد في العيون » ومثل « اصطاد في الماء العكر » و « صب عليه غضبه » (Epancher sa colere) فهو قريب من قوله تعالى في سورة الفجر: «فصب عليهم ربك سوط عذاب» وقوله في سورة الحج « فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من

فوق رؤوسهم الحميم ...» وقوله في سورة الجاثية : « ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم » وقالت العرب « صب فلان الخزي على هذا » و « صب السيف على هامته » أي ضربها به شديدا ، و « صبوا على اعدائهم او عدوهم السيوف » و « صب فلانا عليه اي سلطه عليه» و «من اين صبك الله علينا » وكل هذا يدلك على ان تعابير العربية لم تدون باستقصاء ، وان اللغات تتشابه غالبا في المجاز والاستعارة لتشابه المدنيات الا في امور يسيرة ، ولتماثل العواطف والحركات الا في اشياء معدودة ، فمن التعابير التي اتفقت فيها العربية والفرنسية قولهم « يحرق عليهم الارم ويعض عليه الارم » اي يحك اضراسه من الغضب عليك وقد نقل ابو العباس محمد بن يزيد المبرد في الكامل قول الشاعر :

نبئت احماء سليمى انما ظلوا غضابا يعلكون الارما

فهو مثل قول الفرنسيين (Grincer les dents) ويكون القول كذلك في « اعتنق الدين » و « ضحى بكرامته » فهما من تعابير العرب الفصحاء ، فقد قالوا « اعتنق فلان أمر فلان » اي التزمه وأخذ به وانتصر له ، وقالوا « ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلاء وضحى بنو مروان بالمروءة يوم العقر» [٣] فالاول يقابل من الفرنسية (Embrasser) والثاني (Sacrifier) وقد خفي امر مثل هذه العبارات على ناس فخطأوا غيرهم من الكاتبين بالعربية ولم يعلموا انهم ظلموا العربية وانفسهم معا ، مع علمهم ان تعابير العربية لم تودع منها كتب اللغة الا جانبا يسيرا .

اما الذي يحدث في عصرنا هذا من سقط الكاتبين والناظمين بالعربية وغلط المنشئين بها فكثير ، يحتاج الى علماء مخلصين ولغويين بارعين منصفين ومتبحرين — كما ذكرنا في صدر مقالتنا فيما يعوز اصلاح اللغة العربية — ثم اننا قد ذكرنا ايضا انموذجا من تخطئة احد المبتدئين بدرس العربية لغيره في جملة « الحقيقة البديهية » وبينا ان المخطىء لم يكن متبحرا

(٣) كامل المبرد (ج ٣ ص ٢٤٨) والوفيات « ج ٢ : ٤٢٩ » .

في علم هذه اللغة التي منحها الله تعالى من الاتساع والمجاز والاستعارة والاستعانة والحشو والتضمين وحمل الضد على الضد والنظير على النظير وسعة التأويل والاضمار والاظهار والكناية والتعريض والتورية والالتفات وغير ذلك ما يصعب معه وجدان الخطأ فضلا عن تحديده ، وقد ذهب زمان من يقول : ان العرب لم تقل هذا (او) لم نجد هذا في معجم من معجمات اللغة ، فالكاتب لهحق صريح في الاستناد الى السماع والقياس ، وحد الكلام المسموع لنا — اهل هذا العصر — ان نجده في كتب اللغة والادب ، ويبقى لنا القياس وهو باب واسع كثير النفع للعربية والعرب ، ومن أثبت للناس انه عالم بالقياس لكلام العرب جاز له ابداع تعابير جديدة واختراع تراكيب جميلة •

وقد ابتليت العربية بأناس ظالمين لها ومتعدين لحدودها ، فربما قرأ احدهم « تذكرة الكاتب » لاسعد داغر ، فظن انه اصبح لغويا يخطىء هذا وذاك ، وهذا هو البلاء المصبوب على اللغة العربية وعلى اهلها فليس لها حق مسجل به حتى يعاقب من يتنقصها وينهكها ويعبث بها ، وهو يدعي انه يدافع عنها ويحدب عليها ، ولاضرب للقارىء الكريم امثالا مما يقوله هؤلاء المدافعون عنها وليس لهم من العلم بها ما يؤهلهم لذلك ففيه فائدة للمتدبرين •

(أ) اذا قال قائل: «نشعر ان للدولة كذا وكذا» انبرى له واحد منهم محتجا عليه بأن هذا التعبير غلط لانه يقال « شعر به » لا « شعره » فهذا الاعتراض باطل من وجهين احدهما ان المبتدئين بدراسة النحو يعلمون ان الافعال التى تتعدى الى مفعولها بحرف جر يجوز تعديتها بنفسها الى ذلك المفعول ان كان مصدرا بـ « أن » المشدودة او « أن » المخففة ، فيسقط عن ذلك حرف الجر مثل « يشعرون ان للدولة كذا وكذا » قال ابن مالك في ألفيته :

وعد لازما بحرف الجر وان حذف فالنصب للمنجر

نقـلا وفـي أن وأن يطـرد   مـع أن لبس كعجبت ان يدوا

وقال ابن عقيل في شرح الالفية : « ومذهب الجمهور انه لا ينقـاس حذف حرف الجر مع غير أن وأن ... واما أن وأن فيجوز حذف حرف الجر معهما قياسا ومثال ذلك مع « أن » بالتشديد (عجبت من انك قائم) فيجوز حذف « من » فتقول (عجبت انك قائم) فان حصل لبس لم يجـز الحـذف نحو (رغبت في ان تقوم) او (في انك قائم) فلا يجوز حذف « في » لاحتمال ان يكون المحذوف « عن » فيحصل اللبـس » ، قلنا : ان هذه القاعدة مطردة جدا حتى لنقول ان حذف حرف الجر بعد الفعل « رغب » جائز فصيـح ـ لا كما ذكر ابن عقيل ـ ودليلنا قوله عـز وجـل في سـورة النسـاء : « ... في يتـامى النسـاء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهـن وترغبون ان تنكحوهن » فقد حذف حرف الجر بعد « ترغبون » خلافا لما نبه عليـه العالم النحوي المذكور ، وقال الزمخشري في تفسيره « الكشاف » (ج ١ ص ٢٢٩) ما نصه : « يحتمل في ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن ، قال : وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها وأكل المال وان كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها ... وروى ان عمر بن الخطاب (رض) كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة قال : زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وان كانت دميمة ولا مال لها قال : تزوجهـا فانت احـق بهـا » وليس هـذا بجيد من مثل الزمخشري فان المحذوف من الجملة هو « عن » ليس غير ، ومن هذا التركيب قوله تعالى : « فنادته الملائكة وهو قـائم يصلي فـي المحراب ان الله يبشرك بيحيى » وتقديره « فنادته بأن الله » وقوله جل من قائل : « وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات » اي شهدوا بانه حق، ومنه قوله : « ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين » وتقديره « نطمع في ان ... » وقوله « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين » اي باني ممدكم قال العلامة الزمخشري ايضا فـي تفسيره الكشاف (ج ١ ص ٣٦٦) ما صورته : « اصله بأني ممدكـم ،

فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله » وهذا من الامور اللغوية الواضحة ولم نزده الا فضل تفصيل لئلا يتوهم متوهم صحة الاعتراض البارد واما الوجه الآخر فهو ان لقائل ان يقول « شعره » بمعنى شعر به كما يقال « أيقن به وأيقنه وعلم به وعلمه ودرى به ودراه » والامثلة كثيرة يطول تعدادها فهو من باب التضمين •

(ب) ونجد احدهم ينكر مثلا على الناس استعمالهم «هيئة المدرسة» لانه قرأ في «تذكرة الكاتب» لاسعد داغر ان الهيئة بهذا المعنى تركية الاستعمال ، ولكن ليت شعري لم لم يمتنع النقاد من استعمال الاصطلاحات التركية حتى يقال ان علمهم صحيح غير متكلف ؟! فقد قالوا « الاملاء » يريدون الخط والرسم والضبط وهو بهذا المعنى اصطلاح تركي لا عربي، وقالوا «المسؤولية» وهي من استعمال الترك وعلى غرارها صيغت « المحسوبية » فهيئة المدرسة استعمال تركي ولكن العربية لا تأباه طبيعتها ولا اساليب قياسها ، لانها من باب الاستعارة تقول « فلان رأس القوم » مع ان الكل منهم رأسا حقيقيا ، و « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » و « فلان ثمال اليتامى وسند العشيرة وعمودها وغرتها وجفنتها الغراء » والعرب تدعو السيد المطعام « جفنة » لملابسته لها ، فلماذا لا يقال لمدرسي المدرسة ومديرها « هيئة المدرسة » وهم اعيانها ورؤساؤها والمنظور اليهم فيها قبل التلاميذ والخدام ؟! هذا أمر عجيب •

(ج) ومن جملة ما يلهج به هؤلاء « تفضيلهم الفعل الثلاثي على الرباعي » في « وقف وأوقف » مع انهم هم انفسهم يستعملون « أنتج » بدلا من « نتج » و « أرجع » مكان « رجع » • فالذي بعثهم على ذلك اقتداؤهم بمن نبه على استحسان استعمال « وقف » ، وليس ذلك بشيء لانه تقليد لا غير ، قال احد العلماء : اخبرنا ثعلب قال : أجمعوا على ان اكثر الناس رواية واوسعهم علما الكسائي وكان يقول : قلما سمعت في شيء (فعلت) الا وقد سمعت فيه أفعلت »[٤] قلنا : وتحقيق ذلك ان من العرب

---

(٤) السيوطي في المزهر (ج ٢ ص ٢٥٤) .

من كان يقول « وقفت » ومنهم من كان يقول « أوقفت » قال ابن درستويه في شرح الفصيح : « لا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد كما لم يكونا على بناء واحد الا ان يجيىء ذلك على لغتين مختلفتين ... » وقال في موضع آخر : « أهل اللغة او عامتهم يزعمون ان فعل وأفعل (بهمزة وبغير همزة) قد يجيئان لمعنى واحد وان قولهم دير بي وأدير بي من ذلك، وهو قول فاسد في القياس والعقل مخالف للحكمة والصواب ولا يجوز ان يكون لفظان مختلفان لمعنى واحد الا ان يجيىء احدهما في لغة قوم والآخر في لغة غيرهم »[٥] ، وقال الجوهري : « وليس في الكلام أوقف الا حرف واحد وهو أوقفت عن الامر الذي كنت فيه اي أقلعت ، وعن أبي عمرو والكسائي انه يقال للواقف ، ما اوقفك هنا اى اى شيء صيرك الى الوقوف » فهذا دليل واضح على صحة استعمال « أوقف » وقال في مادة «رجع» ما صورته: ورجعه غيره من باب قطع وهذيل تقول أرجعه غيره بالالف » وقالت العرب من هذا الجنس « أجره الله وآجره بالمد » وقال الجوهري : « وآواه غيره ايواء أنزله به وأواه ايضا : فعل وأفعل بمعنى واحد عند ابى زيد » وقال : « وبشره من البشرى وبابه نصر ودخل وابشره ايضا » وقال : « والجد ايضا الاجتهاد في الامر تقول من جد يجد ويجد بكسر الجيم وضمها وأجد في الامر ايضا ، يقال : ان فلانا لجاد مجد باللغتين » وقال : « سقاه الله الغيث وأسقاه » قلنا : وفي القرآن الكريم : « وسقاهم ربهم شرابا طهورا » و « أسقيناكم ماءا فراتا » وقد استعمل اللغتين ، وليس لنا قاعدة لتفضيل الثلاثي على الرباعي ولا الرباعي على الثلاثي اذا وردا في اللغة وكل ما ذكره اللغويون لا يخرج عن حد الاحتكام ، فان كان الثلاثي مفضلا على الرباعي في مثل هذا الاستعمال فلماذا نجد في الصحاح: «اغفى نام قال ابن السكيت: ولا تقل غفا » و « أغلق الباب ... وغلقه لغة رديئة متروكة » وقد استعمل القرآن الكريم « سقى وأسقى » ــ كما قدمنا ــ واستعمل « أوحى » دون « وحى » و « أوفى » دون « وفى » الثلاثي فورود الفعل اذن مبيح

---

(٥) المرجع المذكور ، ج ١ ، ص ٢٢٦ ــ ٢٢٨ .

لاستعماله ، نحو مد الدواة وأمدها الا المتروك وما ورد في القرآن الكريم فهو الافصح •

(د) ومنهم من يجهل « تضعيف التكثير والمبالغة » فاذا رأى مثلا قول من يقول « في المدة الزمنية المحددة » ظن ان هذا غير صحيح وهذا الظن منبىء عن جهل المعترض للغة العرب ، فقد قالوا : « طوف تطويفا وجول تجويلا ونقب تنقيبا وسير تسييرا » للتكثير والمبالغة ، قال الجوهري: « وقتلوا تقتيلا ، شدد للكثرة » وقال : « كسره من باب ضرب فانكسر وتكسر وكسره تكسيرا شدد للمبالغة » وهذا باب واسع تفتخر به العربية على اللغات ، ومن فوائده قولهم « شرع تشريعا » فان التشريع غير معروف في مادته من كتب اللغة ، ومنه ايضا « حلل تحليلا » واما السماع فقد ورد فيه «التحديد» فصيحا مليحا ، قال الجوهري: « وقد حد الدار من باب رد وحددها ايضا تحديدا » وفي نهج البلاغة : « لم يطلع العقول على تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب معرفته » وورد في كتاب المنتظم لابى الفرج ابن الجوزي في حوادث سنة ٢٩٣ : على كل خمس أذرع علامة مربعة مكتوب عليها تحديد علامة الاذرع » وقال قاضي القضاة احمد بن أبي دؤاد : « قد وفق في التحديد عليه »(٦) اذن لا يجوز لمن يدعى العقل ان يمنع الناس من استعمال كلمة ايدها السماع وورد بها وبأشباهها القياس التام • ويعجب الانسان من هؤلاء ايضا انهم لا يعرفون من العربية « تحقيق المعنى بالوصف » نحو قولهم « الحق اليقين » و «يوما من الايام» و « وقتا من الاوقات » ويعترضون على من يقول « المدة الزمنية » ، فكأنهم لم يقرأوا مثلا قول الجوهري : « مدة من الزمان برهة منه » فقوله « من الزمان » هو تحقيق لانه قد علم الناس ان المدة هي الزمان غالبا ، وقد تكون ما استمددت به من المداد على القلم » وقال : « أتت عليه برهة من الدهر بضم الباء وفتحها اي من مدة طويلة من الزمان » وقال تعالى « ونبيا من الصالحين » واننا لعالمون ان النبي لا يكون من غير الصالحين •

---

(٦) الصفدي في نكت الهميان في نكت العميان (ص ٢٦٩) .

(هـ) ومن اوهامهم في الانتقاد جهلهم ان في العربية بابا واسعا هو « حمل النظير على نظيره » فيقال « سلم بالشيء تسليما » كما قالوا « آمن به وايقن به وصدق به ورضى به وقال به وجزم به وشهد به وقطع به » وكثير غير هذا ، حتى ليريدون اليوم ان يجروا على هذا القياس « اعتقد به » ولا وجود لهذه التعدية بحرف الجر في كلام العرب ، ولكن القياس والاستعمال يؤديان الفعل سريعا الى أمثاله ونظائره .

(و) ومما يحمل الناس على الاعراض عن نقد هؤلاء المبتدئين أنهم يهملون كل أبواب العربية ولا يعرفون التفتيش عن تعابير كتاب العرب ولا يحسنون جمعها فيغلط أحدهم مثلا قول القائل « يتقدمون حسب قابلياتهم » ويريدونه على ان يقول « بحسب » مع ان الفصحاء قالوا « فعل بحسب كذا وعلى حسبه وحسبه » بثلاثة أوجه ، فالوجه الاخير مناظر لقولهم « وحده » في قول من قال « فعله وحده » و « أرسله وحده » وسهل هذا التعبير أن « حسبا » اسم مفعول بمعنى « محسوب » كالعدد بمعنى المعدود والقدر بمعنى المقدور والنفض بمعنى المنفوض والقبض الذي هو كالمقبوض ، فحق « حسب » من الاعراب هو النصب على الحالية، وقد استعمله بهذا الوجه أحد الفصحاء في كتاب الاغاني (ج ٤ ص ٧ ، ٢٦٣) وقال ابو الفرج الاصبهاني نفسه في الاغاني أيضا (ج ٣ ص ٢٥٠) ما نصه: « اذ كان كل صنف منها مستغنيا بنفسه حسبما شرط في تصدير الكتاب » وقال ابن أبى الحديد عبدالحميد في شرح نهج البلاغة (٤ : ٩٢) ما نصه : « فيكون تطرق التهمة الى ... والشهود اكثر حسب زيادة حصتهم » وقال فيه ايضا (ج ١ ص ٢٦٢) : « قال ابو الفرج : وللزبير بن بكار في ادخالهم في قريش مذهب ... لاجماعهم على بغضه حسب المشهور المأثور ... » واستعمله أيضا قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان فقال في الوفيات (ج ١ ص ٢٥٨) ما صورته : « ورجع عنها حسبما هو مذكور في ترجمته» فالسماع والقياس مجيزان لهذا التعبير الفصيح وانتقاد الناس بل اقوالهم من دون بصارة باللغة يوءدى الى افساد اللغة العربية كالذي نرى اليوم من هذا وذاك .

(ز) ومما لهج به جماعة من هوءلاء تحجرهم لما لا يمكن تحجره من هذه اللغة العظيمة ، فاذا ذكر الانسان صفة تحقيقية أو صفة نسبية ، كأن يقال « الفضائل السامية » اعترضوا بالتعكيس فقالوا « أليست الفضائل سامية ؟ » مع ان كل الاوصاف في العربية لم ترد لنفى الضد بل تـارة للتحقيق مثل « الحق اليقين ونبيا من الصالحين ويوما من الايام وساعة من الزمان وبرهة ومدة منه » وطورا للنسبية مثل « عال مرتفع ومنخفض وسام » وطورا للمضادة مثل « الحالة السيئة » « والحـال الحسـنة» ويحدث من تداخل وصفين وصف مشترك يجوز استعماله في حالتين نحو « سام » فهو عال بالقياس الى غيره والى طالبه وعال بالنظر الى حقيقته، فقولهم « الفضائل السامية » يريدون به « سامية » بالنسبة الى الفضـائل التي دونها والى حال الطالب لهذه فهي مرتفعة عنه وبه حاجة الى جـد وتطاول وسعى لنيلها ، ولذلك يقال « كان فلان كامل الفضيلة » فلا يجوز ان يقال ها هنا « وهل يكون الانسان ناقص الفضيلة ؟ » فليس لهـذا الاعتراض وجه ، لان القائل « كامل الفضيلة » أراد ان للفضيلة أجزاءا وأقساما فمن أحرزها كلها صار « كامل الفضيلة » قال شمس الدين ابن خلكان ناقلا عن غيره في ترجمة أبى الحكم عبيدالله بن المظفر الباهلي الحكيم الطبيب الاديب المغربي : « وكان كامل الفضيلة جمع بين الحكمة والادب » فالمراد بهذه العبارة أن المترجم حاز اكثر أجزاء الفضيلة بطبه وحكمته ثم صار كامل الفضيلة بكونه أديبا شاعرا ، وليس لاحـد ان يعترض على القائل ذلك الاعتراض الذي قدمنا لانه ساقط باطل علـى تتايع صاحبه في الوهم .

(ح) ونعد منهم من يدرس مبادىء العربية ويشدو شيئا فيتصـدى لنقـد ما لا علم له به نحو « حـذف الفاء من جـواب آما » فـي قـول القائل «أما اليوم أصبحنا نشعر » بتقدير « فنقول » مع أن حذف الفاء مع الجواب جائز كما في قوله تعالى : « فأما الذين كفروا ألم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم » قال الزمخشري في الكشاف (ج ٢ ص ٢٦٧)

ما صورته : « وجواب أما محذوف تقديره وأما الذين كفروا فيقال لهم أفلم تكن آياتي تتلى عليكم » وللسائل المنقود قوله آسوة في كتاب الله تعالى وهو أفصح الكتب العربية وأقدمها ، وقال الشاعر حاذفا الفاء وحدها :

فأما القتال لا قتال لديكم ولكن سيرا في عراض المراكب

وقال آخر « فأما الصدود لا صدود اليكم » وقد جاز حذف الفاء في جواب أما بل حذف جوابها ايضا كما جاز تقدير « أما » نفسها ، فقالوا « وبعد فان الامر ... » والاصل « أما بعد فان الامر » وقالوا أيضا « وأنت فما علمت » والتقدير « وأما أنت فما علمت » وذلك معروف مألوف في تعابير القوم ، وهو من باب « حمل الضد على الضد » الذي تقصر عن ادراكه الافهام الضيقة ولم يطر[٧] به الا ذوو العقول السليمة والدراسة المنعمة المحسنة الممعن في نواحيها .

(ط) ومن هؤلاء أيضا من نسميهم « القشريين » لبحثهم عن القشور دون اللب ، فهم يغلطون من يكتب «كلما» بالصورة ، ونريد بها كلا والاسم الموصول « ما » ويدعون بان الصواب « كل ما » بالفصل في الكتابة ، وهي دعوى غريبة فان اكثر المخطوطات العربية القديمة لا يعرف فيها فرق بين صورتي هاتين الكلمتين ، ولئن كان الاختلاف ثابتا في كتابة « كلما » من « كل » و « ما » المصدرية ، لقد كان العاقل في غنى عن التعلق بهذه الامور القشرية ، ويجد المتدبر مصداقا لما قلنا في سورة آل عمران : « كلما دخل عليها زكريا المحراب » وفي سورة النساء « كل ما ردوا الى الفتنة ... » فكلتاهما من تركيب واحد ولكنهما كتبتا بصورتين مختلفتين تتعاقبان على « كلما » وهي بمعنى واحد ، فكيف لا تتعاقبان عليها عند كونها بمعنيين مختلفين ؟ هذا مما لم نفهم سره التافه،

---

(٧) طار يطور بفلان قرب منه طورا وطورانا وطار الساحة قاربها .

وكذلك القول في « فيما » فان كثيرا من الكتاب يكتبونها بهذه الصورة ، فلو كان وجود « ما » الموصولة موجبا لكتابتها بالفصل بين الكلمتين ما رأينا الا « في ما » مع ان الامر على العكس من ذلك ، فللناس الخيار في كتابة « حتى م = حتام » و « الى م = الام » و « على م = علام » و « فى م = فيم » ولا يهم طبيعة العربية التعلق بهذه القشريات من الامور ، فان العلم ومعرفة اللغة والبصر بأساليب النقد كلها تعاف هذه الترهات الناهكة للدارسين المؤسفة للقارئين .

اللغة العربية والعصر

بدأ عصر يقظة اللغة العربية الاخيرة في اواسط القرن الثالث عشر للهجرة النبوية الجليلة ، وكان عصر اليقظة هذه موافقا للثلث الاول من القرن التاسع عشر للميلاد ، بدأ ذلكم العصر بترجمة الكتب الافرنجية العلمية والتاريخية والاجتماعية والفلسفية الى اللغة العربية ككتاب « منتهى الاغراض في علم شفاء الامراض » من تأليف بروسيه وسانسون الطبيبين الفرنسيين الكبيرين ، وترجمة يوحنا عنحوري ، وقد طبع ببولاق سنة (١٢٥٠ هـ = ١٨٣٤ م) . وكتاب « ضياء النيرين في مداواة العينين» من تأليف لورانس أحد أطباء العيون الانكليز ، وترجمة أحمد حسن الرشيدي ، وكتاب « مطلع شموس السير في كرلوس الثاني عشر » من تأليف فولتير الكاتب الفرنسي الكبير الشهير وترجمة محمد أفندي مصطفى البياع أحد خريجي مدرسة الالسن ، وقد طبع ببولاق سنة (١٢٥٧ هـ = ١٨٤٢ م) وهو تاريخ كرلوس الثاني عشر ملك السويد (١٦٩٧ ــ ١٧١٨) وكتاب « الروض الازهر في تاريخ بطرس الاكبر » تأليف فولتير أيضا ، ونقل أحمد عبيد الطهطاوي ، و « اتحاف الملوك الالبا بتقدم الجمعيات في أوربا » من تأليف روبرتسون أحد المؤرخين الانكليز ، نقله من الفرنسية الى العربية خليفة محمود ، أحد خريجي مدرسة الالسن ايضا ، و « الدراسة الاولية في الجغرافية الطبيعية » من تأليف فيلكس لامروس ، احد العلماء الفرنسيين ، نقله من الفرنسية الى العربية أحمد حسن الرشيدي المقدم ذكره آنفا ، و « الجغرافية

العمومية » من تأليف مالت برن من العلماء الفرنسيين ، نقله من الفرنسية الى العربية رفاعة رافع الطهطاوي ، و « تنوير المشرق بعلم المنطق » من تصنيف دومارسيه ، ونقل خليفة محمود المذكور في الكلام على اتحاف الملوك .

ولا أود أن أرسل عنان القلم لذكر اسماء الكتب المترجمة غير التي ذكرت خشية الاسآم والاملال ، ففي كتاب « تاريخ الترجمة والحركة الثقافية » تبيان لها ولموضوعاتها المختلفة[1] ، فقد شمل النقل عامة العلوم حتى الطب البيطري ، وقد سماه المترجم «علم البيطرية» . وكان المترجمون من الشاميين والمصريين ، ولم تكن الثقة بعباراتهم كاملة ، فندب لتصحيح ترجمتهم وتحريرها ، شيوخ أزهريون ، ولم نعلم كيف كان هوءلاء الشيوخ الفضلاء يزاولون التصحيح والتحرير ، فان الاصلاح اللغوي لترجمة الكتب العلمية والكتب الفنية ينبغي له أن يكون مبنيا على حفظ مقاصد الموءلف ومعانيه ، قبل كل شيء ، يقول الشيخ مصطفى حسن كساب محرر الكتب المترجمة في مدرسة الطب البيطري ، في تصدير أحدها : « وقد سميت هذا الكتاب روضة الاذكيا في علم الفسيولوجيا . ويقول في تقديم كتاب آخر في هذا العلم : « فجاءت ــ يعني الرسالة ــ بعون الله مرتبة المباني، مهذبة المعاني وسميتها البهجة السنية في اعمار الحيوانات الاهلية»[2] .

ومذ ذلك العصر اتصل الغرب بالشرق ، اتصالا علميا وكانت النهضة العلمية الغربية قوية كالغارة الشعواء ، والتقدم العلمي كالسيل الجارف، فكثرت المخترعات كثرة هائلة ، ووفرت المبتدعات وفارة طائلة[3]، وتنوع

---

(١) تاريخ الترجمة والحركة الثقافية ، تاليف جمال الدين الشيال ، ص ٤٩ وما بعدها (نشرته دار الفكر العربي سنة ١٩٥١ وطبع في مطبعة الاعتماد بالقاهرة) .

(٢) المرجع المذكور .

(٣) اشترط اللغويون في استعمال « الطائل » للكثرة والفائدة ان يكون في منفية كأن يقال : هذا لا طائل فيه ولم يحل منه لطائل . ومع ذلك لم يلتزم المولدون قولهم ، فكيف نلتزم ذلك في « الطائلة » ؟ .

نتاج العقول ، واختلفت الوان المعقول ، وتفتقت الاذهان عن علوم وفنون عجيبة غريبة ، نظرية وعلمية ، والشرقيون وخاصة العرب غافلون عنها ، ومشغولون بما مناهم الدهر به من سلطان جائر ، وجد عاثر وتشتت وتفرق ، وارتكاس وانتكاس في العلم والفن والادب والثقافة عامة ، ما عدا الذي أشرنا اليه من نهضة الترجمة في مصر ، ونضيف اليه استيقاظا في لبنان ، لا يعنينا ذكر مصدره •

وكانت الدولة العثمانية هي المهيمنة على عامة اصقاع العرب واقطارهم وبلدانهم حتى الحرمين الشريفين مكة والمدينة ، وكانت آقرب الدول الشرقية الى أوربا ، فقد امتدت فتوحها الى أواسط أوربا ، ولكنها بقيت متخلفة في الحضارة والعلوم والفنون سوى الخط والرسم ، ولما بهرتها النهضة العلمية الاوربية والنهضة الفنية لم تجد في لغتها التركية ما يؤازيها فعمدت الى اللغة العربية كما عمدت قديما الى الاسلام وفقهه وحديثه وآدابه فأختارت منها اسماء للمسميات الاوربية على حسب ادراكها لمعاني تلكم الاسماء ، وعلى نحو ما فهمته من استعمالها قديما عند العرب ، فأختارت التفتيش والمفتش والمدير والادارة والمباشر والمستنطق والضابط والملازم وقائم المقام والمتصرف واللواء ومير لواء (امير اللواء) والفريق والصنف (للمدرسة) والجيش ، والمراتب والسفارة ، والممتاز والافتخار والمرصع والمشير والمشيرية والمستشار ، والعزة والرفعة والسعادة والفخامة والفضيلة والخزينة بدلا من «الخزانة» ، والوكالة للمحاماة ، والوكيل للمحامي ، والمتمايز من الرتب ، والمدعي العمومي ، والعضو والمعاون ، والمقيد والقيد ، والواردات والمصرف والمصارف ، والاوراق والتحريرات والمعارف ، والمعلومات والاملاء ، واللسان (اللغة) والاعلام ، والاعلامات ، والاخطار والاخطارات ، والطبع ، والمرتب والترتيب (للحروف) والاستئناف والتمييز ، والبداية ، والجزاء والاجراء ، والضبط (لكتابة المحكمة) ، والمنحل (للشاغر) ، والكشف ، والمخابرة (أي المنابأة) والشعبة ، والمكتب (لمدرسة الصبيان والصبايا) ، والموزع ، والرسوم والرسومات ، والتحقيقات ،

والمركز ، والصحة ، والولاية والقضاء والناحية ، والهيئة والضابطة ، والنفر (للواحد) ، واليكون (للحساب) ، والقلم والدائرة (للكتابة وديوانها) ، والاعدادي (للدرس) ، والرؤساء الروحانيون ، وعلم الثروة (للاقتصاد) والادبيات (لعلم الادب) ، والمبصر (لمرشد المدرسة)، والاناث (للطالبات) ، والذكور (للطلاب) ـ أعني البنات والبنين ـ) والشهادة ، وآركان الحرب والرديف والاحتياط واللوازم ، والجراح، والبيطر (لخيل الجيش)، والفرقة (لعدد معين من الجند) ، والصندوق(لبيت المال في مدينة او بلد) وأمين (لخازن بيت المال) ، والنفوس (لاحصاء السكان) ، والبحرية ، والموازنة (بين الواردات والمصروفات) ، والحاصلات (للجباية) ، والمعاش ، وغيرها.

واشتقوا المحكمة والآمر والمحاسب والمحاسبة والمطبعة واللياقة والمتحيز للمتميز وابتدعوا الابتدائية والرشدية والالفية والبلدية والداخلية والخارجية والمالية والعدلية والضبطية والرسمية والقرطاسية واليومية والآمرية والمأمورية ، والجزائية وغيرها ، وما لم يهتدوا الى اسم له في العربية نقلوه بلفظه كالتلغراف والغزتة (للجريدة) والفابريقة (للمعمل) والمدالية (للوسام) والقنال[٤] (للنهر الصغير غير الطبيعي) والماكنة والماكنيست (لصاحبها) ، والجاندرمة والشيفرة (للمترجم) ، والبوستة والقونسل والجناستيق والاستاتيستيق (للاحصاء) والبانق (للمصرف) والتراموای والقوزموغرافيا والقرانتنه (لدار العزل الصحي) وغيرها مما لا يحضرنا الآن .

ان التعليم والترجمة وما سمي « الصحافة » نهضت في البلاد العربية في نصف القرن الاخير نهوضا سريعا ، فترجمت الكتب العلمية والكتب الفنية والكتب الادبية للتعليم والتدريس ، وانتشرت الصحافة في البلدان العربية بجرائدها ومجلاتها ونشراتها الاخرى ، فنقلت ألوان المعارف، ومختلف الفنون حتى الشوءون العسكرية والبلاغات الحربية . فضلا عن

---

(٤) فاتهم ان يضعوا له كلمة «القناة» العربية فانها جاء في احد معانيها بمعنى القنال الفرنجية .

الاخبار السياسية والانباء العالمية والحوادث البشرية ، وكان من غريب ما حدث فيهذا الامر أن كثيرا من النقلةوالمترجمين اغتروا بمعرفتهم اللغات الاعجمية كالفرنسية والانكليزية والالمانية والايطالية ، ولم يتقنوا اللغة العربية ولا تبحروا في علم مصطلحاتها ومولدها ، فترجموا الكلمات العلمية والالفاظ الفنية كيفما اتفق لهم ، الا افرادا أقلاء كجمعهم[٥] ، لا يجوز لنا أن ننكر احسانهم للنقل وفضلهم فيه ، وكان واجبا على المسيئين للترجمة والنقل أن يتقنوا العربية كما أتقنوا اللغة الاعجمية ، ولكنهم استهانوا بالعربية ــ قاتلهم الله ــ مع اعتماد شطر من أرزاقهم عليها ، فجاءت ترجمتهم شوهاء ورهاء مرهاء .

وتسمح أهل الصحافة وتساهلوا فيكثير مما ينشرونه، في نحو العربية وصرفها وبيانها ، لان من عادتهم السرعة، فضلا عن اسراعهم النقلوالترجمة، فشاعت تراكيب ركيكة ومصطلحات فجة ، ان جاز أن تسمى مصطلحات[٦] وفشا الفساد في العربية ، وخصوصا ما ترجم اليها مما يسمى «الروايات» أي القصص والحكايات ، وشاع استعمال الناشئة للفاسد من التراكيب والمساء استعماله من الكلم ، كقولهم « كم هو جميل وكم هي جميلة ؟ » بدلا من « ما أجمله وأجمل به وما أجملها وأجمل بها ، وما كان أجملهما !» و « الرتل الخامس » بدلا من « الرسل الخامس » و « هدف الى الغاية » بدلا من « رمى اليها واستهدفها[٧] وتوخاها وقصد اليها » و « استهتر

(٥) الافراد جمع قلة للفرد ، وان كان مخالفا للقياس الذي وضعوه ، من كون « فعل » الصحيح الاحرف لا يجمع على افعال ، الا ما شذ كفرخ وافراخ وزند وازناد ، الا ان واقع الاستعمال وكثرة الامثال تقضا هذه القاعدة .

(٦) يشترط في المصطلح ان يتفق عليه عارفان أو اكثر منهما ، ولا يجوز للواحد وحده ان يسمى ما يستعمله هو نفسه مصطلحا .

(٧) ورد « استهدفه » في نهج البلاغة على رواية قياسا على وجود «مستهدف» اسم مفعول ، في الكتاب المذكور (راجع مجمع البحرين للطريحي) .

بالقانون » بدلا من استهان وتهاون به ، وخالفه وخرج عنه وتعدى حدوده، مع أن الاستهتار بالقانون هو العناية به والتمسك به كل العناية والتمسك، ولا يزال هذا الفساد مستداما ، حتى أصبحنا نسمع من يقول « فلان يسافر أمس وفلان يجتمع أمس هو وفلان » آو يقول عصرا «الرئيس يوءدي صلاة الجمعة في المسجد الفلاني » مع أن صلاة الجمعة تصلى قبل العصر، باستعمال المضارع الذي لا صلة له بالماضي ، للزمن الماضي البحت ، كأن المضارع اذا جاز استعماله لهذا المعنى في لغة أعجمية وجب أن يستعمل كذلك في العربية، وكذلك القول في « عكس رغبات الشعب » ويراد به «أعرب عنها وصورها ومثلها وأبانها واوضحها وحكاها » مع أن العكس هو القلب والنكس ورد الاول على الآخر والجذب بضغط الى الارض والصرف ، فهذا من التعابير الافرنجية التي لا تسيغها ولا تسوغها العربية ، أرأيت لو تعلم الناشيء أن « عكس مقصده » يعني أعرب عنه وصوره ثم قرأ قول جمال الدين محمد ابن سالم الحموي القاضي الفيلسوف: « وفي المحرم من هذه السنة (٥٧٢هـ) توفى القاضي كمال الدين الشهرزوري وعمره ثمانون سنة ، وكان في الايام النورية اليه قضاء القضاة والتحكم في الدولة ، وكان السلطان الملك الناصر (صلاح الدين يوسف بن أيوب) متولى الشحنكية بدمشق أيام نور الدين (فكان كمال الدين يعكس مقاصده ويكسر اغراضه ويعترض عليه في أموره) لتوخي كمال الدين الاحكام الشرعية فلما صار الملك الناصر الى ما صار اليه من الملك وافتتح دمشق صار كمال الدين أحد قضاة بلاده ، ولم يوءاخذه على ما صدر منه في حقه بل آكرمه واحترمه ، واستشاره وعظمه » [٨] . فانه يفهم من قوله «يعكس مقاصده ويكسر آغراضه» عكس ما أرادوا ، وضد ما قصدوا ، فماذا يفعل ؟ .

ومن ذلك قولهم : « كان يحارب ضد العدو » يريد آنه « كان يحارب العدو » فأستعملوا كلمة « ضد » التي ظنوها جائزة في اللغة الاعجمية،

---

(٨) مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ٢ : ٤٩ ــ ٥٠ (نشر الدكتور جمال الدين الشيال بالمطبعة الاميرية المصرية بالقاهرة سنة ١٩٥٧) .

فأدت الجملة ضد معناها ، لان من معاني الضد « العدو » فاذا حارب عدو العدو ، صار مصافيا ومسالما للعدو وموافقا وموائما لا مقاوما له . وما من أحد ينكر أن « باب المجاز والاستعارة » مفتوح في اللغة العربية قديما وحديثا ، ولا يضيرها ان تستعير من اللغات الاخرى مجازات جليلة واستعارات جميلة ، على شريطة أن لا تكون نابية منافية لطبيعتها ، مباينة لاذواق أهلها ، عسيرة على مداركهم . ولقد اقتبست عربية العصر جملة مجازات واستعارات من عدة لغات ، وشاعت فيها لكونها سائغة ، جميلة الخيال ، رشيقة المعنى .

وفي اثناء ركود العربية وضمورها وتخلف العرب في العلوم والفنون والآداب، استحدثت في الغرب ألوف آلات ومئات أدوات وآلاف اختراعات، وعشرات ابتداعات ، وبعثت الغربيين على وجدان أسماء لطائفة منها واشتقاق أسماء لطائفة اخرى او تركيبها ، ومن الواجب ان يذكر هنا أن اللغات الاعجمية تركيبية واللغة العربية اشتقاقية ، فالمخترعات والمبتدعات والمستحدثات الغربية الاخرى يغلب على أسمائها التركيب وشبهه وهو النحت ، والنحت هو أخذ اسم واحد من كلمتين بعد طرح ما يمكن طرحه منهما للتخفيف ، وما وجد من النحت في العربية نزر جدا لا يتعدى ما ورد في النسب وقلما يخرج عن الشعر كقولهم «فلان العبشمي وفلان العبقسي» نسبة الى عبد شمس وعبد القيس ، وقد جاء العبشمي في قول الشاعر :

وتضحك مني شيخة عبشمية   كأن لم تري قبلي أسيرا يمانيا !

ومن الباحثين من لم يعلم أن اللغة العربية اشتقاقية فيلوى بلسانه، ويتشدق ببيانه ، هازئا بمن لا يعد النحت من خصائص العربية ، وانما حمله على هزئه جهله لطبيعة اللغة العربية[٩] ، وكل ما ثبت عندنا من النحت عدة رموز جميلة مستحدثة ترمز الى العبارات كرمز الحروف الى المواد الكيميائية كقولهم : سبحل فلان أي قال سبحان الله ، وحوقل : قال لاحول

(٩) راجع : دراسات في فقه اللغة العربية ، ص ٣٠٧ .

ولا قوة الا بالله ، وطلبق : قال أطال لله بقاءه ، ودمعز : أدام الله عزك»٠
ولولا أن هذه الجمل الرمزية كانت من الشهرة والتكرار بالمكان المعلوم
ما استجازوا لها هذا الاختصار ، فالنحت من خصائص اللغات
الآرية الهندية ــ الاوربية ، ومخترعه في العربية هو ابن فارس العالم اللغوي
المشهور موءلف كتاب مقاييس اللغة العربية والمجمل في اللغة والصاحبي في
فقه اللغة ، وغيرهن ، وهو فارسي الاصل ، واللغة الفارسية نحتية تركيبية
كسائر اللغات الآرية ، وقد حدته لغته الاصلية على آن يلصق أهم خصائصها
باللغة العربية ، من غير ان يعلم ان اللغات في العالمين اجناس ، متباينة
كتباين أهليها ، فأصل الفرس غير اصل العرب ، واللغة العربية من جمهرة
اللغات السامية لا من جمهرة اللغات الهندية الاوربية ، ولكل جمهرة
خصائص وصفات ، ونعوت وعلامات ، وحروف وأصوات خاصة بها ٠

وهذا ابن جنى أبو الفتح عالم الدنيا في الصرف وغيره من علوم العربية
قد ألف كتاب الخصائص في خصائص العربية وتكلم على عامة احوالها
ومجالاتها ونحوها واعرابها وأدواتها ومناحيها ودقائقها ونكتها وبداعتها
وبراعتها وأسرارها وعجائبها وصفاتها ونزعاتها الطبيعية ، ولم يذكر ان
« النحت » والتركيب من أصولها ولا من خصائصها ، وكان معاصرا لابن
فارس الفارسي حق المعاصرة وكلاهما من أهل القرن الرابع للهجرة ، ابن
جني في بلاد العرب وابن فارس في بلاد الفرس ٠

ولو كان التركيب المزجي والنحت من خصائص اللغة العربية ما ألفينا
التنزيل العزيز يميل بالمركب المزجي الى أوزان عربية رشيقة فأصار
« ميكائيل » الى ميكال ، و «جبرائيل» الى «جبريل» وحمل الزنجبيل على
السلسبيل ، والسجيل على الشريب ، وهي من المركبات المزجية في لغاتها،
والخصيصة في اللغة تعني قاعدة عامة مطردة في كثير من مفردات اللغة
وتراكيبها ولا تعني كلمات معدودة أو تسميات محدودة او مستعارة مقصودة،
وينبغي لنا أن نذكر في هذا المقام ان للعربية خصيصة الكسع واضافة

الكواسع وهي الحاق حرف او حرفين او ثلاثة بآخر الكلمة ، كالفعم والفعمل، والحلق والحلقوم ، والضيف والضيفن والابن والابنم . والعندليب والزمهرير، والشقحطب[١٠]، وهو كما في القاموس للفيروزابادي «كسفرجل (في الوزن) : الكبش له قرنان أو أربعة كل منها كشق حطب جمعه شقاحط وشقاطب » . وجاء في لسان العرب « شقحطب : كبش شقحطب ذو قرنين منكرين كأنه شق حطب . أبو عمرو : الشقحطب : الكبش الذي له اربعة قرون . الازهري : هذا حرف صحيح » ، وأصله في الصحاح للجوهري «كبش شقحطب أي ذو قرنين منكرين كأنه شق حطب » . فهذا التأويل البعيد هو الذي أطمعهم في اعتداد النحت موجدا في اللغة العربية ، أعجبهم التأويل « شق حطب » ولم تعنهم سخافة المعنى ، كأن الحطب مألوف الشق وكأن الشق يشبه القرن دائما مع ان الحطب هو ما أعد من الشجر شبوبا للنار ووقودا ، ومنه الشوك على اختلاف أنواعه ، فمن الحطب ما يجوز أن يشبه القرن ، فلماذا لم يقولوا « قرن شقحطب» و «قرون شقاطب أو شقاحط » ؟ بل قالوا : « كبش شقحطب » فوصفوا الكبش لا القرن ؟ لا شك في أن تأويلهم وتحليلهم متهافتان ، فيجوز أن تكون كلمة شقحطب مكسوعة بحرف أو أكثر كما كسع لفظ « العندليب » و « العدليل » بمعنى واحد ، جاء في لسان العرب : « والعندليل : طائر يصوت ألوانا ، والبلبل يعندل أي يصوت ، وعندل الهدهد : اذا صوت عندلة .. العندليب : طائر

(١٠) ممن اخذ بمذهب ابن جني في وجود النحت في الكلم العربي ظهير الدين ابو علي الحسن بن الحظير الفارسي المتوفى بالقاهرة سنة ٥٩٨ وهو فارسي الاصل ايضا وان ادعى انه من ولد النعمان بن المنذر ، سأله البلطي عما وقع في الفاظ العرب على مثال شقحطب فقال : هذا يسمى في كلام العرب «المنحوت» ومعناه ان الكلمة منحوتة من كلمتين كما ينحت النجار خشبتين ويجعلها واحدا ، فشقحطب منحوت من (شق) و (حطب) . فسأله البلطي ان يثبت له ما وقع له على هذا المثال اليه ؛ ليعول في معرفتها عليه ، فأملاها عليه في نحو عشرين ورقة من حفظه وسماها : كتاب تنبيه البارعين على المنحوت من كلام العرب (معجم الادباء ج ٣ ص ٦٦) .

أصغر من العصفور ، قال ابن الاعرابي : هو البلبل ، وقال الجوهري : هو الهزار[11] ، وروى عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال : عليكم بشعر الاعشى فانه بمنزلة البازي يصيد ما بين الكركي والعندليب ، وهو طائر أصغر من العصفور ، وقال الليث : هو طائر يصوت ألوانا • قال الازهري: وجعلته رباعيا لان أصله (العندل) ثم مد بياء وكسعت بلام مكررة ثم قلبت باءا ، وأنشد لبعض شعراء غنى :

والعندليل اذا زقا في جنة   خير واحسن من زقاء الدخل

والجمع العنادل » • فان لم يكن الشقحطب مكسوعا كالعندليل والعندليب فهو مأخوذ من لغة اخرى وكان كلمتين فجعله العرب كلمة واحدة كالسلحفاة والزمردة والزغردة والبرنسا والبرنساء[12] ، ورد في لسان العرب « والبرنسا والبرنساء : ابن آدم ، يقال : ما ادري أي البرنساء هو ؟ ويقال: ما أدري أي برنساء هو وأي برفاساء هو واي البرنساء هو؟ معناه: ما ادري أي الناس هو ؟ والبرنساء : الناس ••• والولد بالنبطية برونسا »• فاللغويون العرب اعتدوا «البرنساء» و «والبرناساء» كلمة واحدة مع أنها في الاصل كلمتان هما « بر » السريانية الآرامية بمعنى « الابن » و «ناشا» السريانية الآرامية بمعنى الناس[13] ، فالمعنى «ابن الناس» أو ابن الانسان• والحمدلله على أنهم لم يجعلوها منحوتة من « بر النساء » أي أحسن اليهن ورعاهن على تأويل ان الرجل يرعى المرأة في الغالب فهو بار النساء !! •

---

(11) البلبل مثل العصفور في الحجم ويختلف عنه في اللون وطول الذيل، والهزار معروف في العراق وهو اكبر من العصفور ولا يختلف عنه في اللون ويصوت الوانا والحانا شهية الى السمع .

(12) في المعرب لابن الجواليقي طائفة من المركبات المزجية الاعجمية ، كالابريق والسكرجة والاصطفلينة والبرسام والبستان والبندرقة والبرطلة والبارجاه والبازيار والتجفاف .

(13) المعرب ، ص ٤٥ وغيره . وجاء في الصفحة ٦٨ من المعرب : قال ابو حاتم قال الاصمعي : بر : ابن » .

وانما بسطنا الكلام هنا على «النحت» تمهيدا لكلامنا على مشكلات لغة العصر المحتاجة الى التوسع والتحرر والانطلاق لتقوم بما عليها من مصطلحات في العلوم والفنون والآداب لا تحصى كثرة ، ولا تستقصى ؛ لان الحضارة الغربية لا تزال تسرع الخطا وتطوى مسافات الاختراع والابداع وابتداع طيا ، فمئات الكتب العلمية وعشرات الكتب الفنية على اختلاف العلوم والفنون قد أوجب التعليم الحديث والتحضر والتمدن دراستها وتعلم ما فيها وتدريسها وتعليم ما فيها ، في الكليات والمعاهد والمدارس في جميع الاقطار العربية ، وعامتها ذوات مصطلحات جديدة بالنسبة الى مسمياتها ، وكان المعلمون والمدرسون والاساتذة يترجمون تلك المصطلحات كل على حدة وبتفرد واستقلال ، وكان قليل منهم يرى صعوبة الترجمة لاستلزامها اتقان اللغة العربية والعلم بمفرداتها ، وهو ما لا يطيقونه فكانوا يعربون المصطلحات العلمية والمصطلحات الفنية ، والمصطلحات الادبية ايضا ، ويتهمون العربية بالعجز والتقصير ، والتخلف فى المسير ، فحدثت من كل ذلك بلبلة في المصطلحات والآراء وفي مستقبل اللغة العربية ، ونشأة فكرة ان اللغة العربية عاجزة عن القيام بما يستوجبه العصر العلمي الحديث من الآراء والاسماء وكثر في اللغة العربية السقط والغلط لما ذكرنا آنفا من أن المتقنين للغات الاعجمية للشعوب المتمدنة لم يلزموا آنفسهم اتقان اللغة العربية تهاونا بها واستهانة بأهلها مع انها كانت ــ ولا تزال كذلك ــ مرآة الحضارة وسناد الامة العربية ، وعماد القومية ، وحفاظ التراث العلمي القديم والآداب العربية على تباين موضوعاتها ، وضروبها وأنواعها . وظهرت في الصحف والمجلات وكتب القصص «والروايات» لغة عربية جديدة ، فيها مجاز مقتبس جديد ، واستعارة مقتبسة جديدة ، وألوان من التعبير ، كان فيها الغث والسمين ، والخطأ والصحيح ، والجميل والقبيح ، فضلا عن المصطلحات التى اتحدت معانيها ومقاصدها واختلفت ألفاظها والدلالات عليها في اللغة العربية .

وحملت الغيرة على الامة العربية ولغتها آحادا من العلماء والادباء

الفوقة على نقد المصطلحات الركيكة والمعربة واقتراح الاستبدال بها مع ذكر البدل ، وعلى نقد التعابير الفاسدة ، والكلمات المستعملة في غير مواضعها ، والاشتقاقات المباينة لطبيعة اللغة العربية ونشرت في ذلك مقالات في الصحف والمجلات وألفت رسائل وكتب ، ونشأ جدال بين العلماء والادباء أنفسهم في الموضوع بعينه ، ورأى أولو الامر في الدول العربية ان انشاء مجامع للغة العربية قد أصبح ضرورة وحاجة ماسة لابد منها ، ولا ندحة عن قضائها ، فأنشيء المجمع العلمي العربي بدمشق ، ثم أنشيء المجمع العلمي العراقي ، ونشر كل مجمع لنفسه مجلة تعالج مشكلات اللغة ، وتقترح مصطلحات جديدة ، وتقوم ما فسد من التعابير ، وتدعو الى آن اللغة العربية مليئة[14] بما يراد منها في اداء المعاني الحديثة على اختلافها ، وكثرتها ، وتسمية ما تحتويه الحضارة الجديدة والاختراعات والابتداعات من ألوف أسماء ، في مختلف العلوم والفنون والآداب ، وقد ألفت ونشرت كتب في ذلك ورسائل مشهورة متداولة ، وكانت أقطار من البلاد العربية متخلفة كثيرا عن هذه النهضة اللغوية لشدة وطأة الاستعباد المسمى خداعا بالاستعمار[15] الذي هو شبيه بالاستثمار في أصل اللغة ، ومن تلك الاقطار «المغرب» ، وما كادت تشم رائحة الاستقلال السياسي حتى أخذت تنشيء مراكز للتعريب وتريد بها جعل المصطلحات الاعجمية عربية الالفاظ ، وعقدت موءتمرات له ، ونشرت معجمات للمصطلحات منها معجم الكيمياء ومعجم الفيزياء ومعجم الرياضيات و « الاصول العربية والاجنبية للعامية المغربية » ، وقد

(١٤) المليئة : القديرة والمستطيعة والوافية الكافية ، ومذكرها المليء ، فليس معناها « الملآى » كما يستعمله كتاب العصر ، وكذلك « المليء » فليس معناه « الملآن » .

(١٥)الاستعمار كلمة قرآنية في فعلها وقد دنس استعمالها هوءلاء الغربيون فوضعوها في غير موضعها ، قال تعالى في سورة هود « والى ثمود اخاهم صالحا ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب » الآية ٦١ .

نشرت فيما نشرته بالطبع « المستدرك في التعريب » وهو معجم فرنسي عربي ، للكلمة المستعملة في مختلف الامور والشوءون وقد كتبت عليه «مصلحة التعريب التابعة للمكتب المغربي للمراقبة والتصدير» بالدار البيضاء.

وأطرف ما الف في معالجة اللغة العربية العصرية كتاب فرنسي اللغة جامع شامل ، ألفه الاستاذ فنسنت مونتي Vincint Montei الفرنسي ونشره سنة « ١٩٦٠ » وسماه « العربية الحديثة » L'arabe modrne وقد رجع في تأليفه الى مئة [١٦] وثلاثة وستين مرجعا عربيا ومئة وواحد وستين مرجعا أعجمي اللغة فجاء الكتاب في ثلاث مئة وست وثمانين صفحة من القطع الوسط ، فهو أوسع كتاب في هذا الباب منذ ظهور مشكلة اللغة العربية العصرية حتى اليوم ، وقد تكلم فيه على الكلمات المولدة والانبعاث اللغوي والقومية العربية وصعوبة الكتابة العربية بحروفها المعلومة والطباعة والتجديد والتيسير ، والاصوات العربية وأحرف العلة والاعراب والنطق والمستعار والاغلاط والاوهام والنصوص اللغوية وتأثير اللهجات والادب الشعبي والسبيل الاقوم، والثقافةالعربية المزدوجة والنقل والترجمةوالتعليم والتدريس للعرب وباللغة العربية والاشتقاق ومجاله ، وتخصيص الهيكل اللغوي في العبارة والصفات الناشئة عن النسبة والتأنيث والازدواج والجمع والنحت والاصول والحدود والدواخل والكواسع والتعريب اي نقل الكلمات الاعجمية الى أوزان عربية في الغالب والدلالات والمعاني والاصلاح اللغوي والرمزية والايماء ، والكواسع اللاتينية « اللطينية » للمصطلحات وخاصة الكيميائية ، والوضع والتسجيل والمجامع العلمية والمجامع اللغوية العربية والموءسسات الثقافية و « الصحافة » ، والموءتمرات العلمية العربية، والمعجمات ، واضطراب الدلالات ، واحصاء الحدود واعتبار التحديد ، والترادف ، والتعدد المعنوي وأسماء الالوان وتأليف الكلام وتركيبه ،

---

(١٦) دابت مجلة المجمع العلمي العراقي على كتابة المائة بهذه الصورة اخذا بالتجديد المفيد ونبذا للقديم الباعث على اللبس في القراءة مع خلوه من الفائدة .

والتصريح والتلميح والتعريض والجواز والحـدس والتساهل والاتساع والنفي والحصر والزمان والصورة والمظهر ، الى غير ذلك مما يطول تعداده وخصوصا الاساليب ومنها أسلوب الخطابة وأسلوب «المحاضرات» وأسلوب الصحافة وأسلوب النشر وأسلوب القضاء ، وأسلوب الاقتصاد واسـلوب الجدل واسلوب التأديب والتهذيب واسلوب النقد الادبي والاسلوب العلمي والاسلوب الفلسفي واسلوب الاقتصاص واسلوب الخطاب والاسـلوب الفني والاسلوب الحكائي والاسلوب الشعري •

ولعلي أن اهتبل فرصة لاقتباس شيء من الكتاب ونشره مع التعليل أو التعقيب ، فان هذا الموضوع المهم الخاص بمستقبل العربية لا يعـالج بمقالة واحدة ، ومن الله تعالى التوفيق •

أقول في المقول

١ ـ الجناح والشقة : ورد في هذه المجلة الكريمة [١] كلام في تفضيل الاولى على الثانية واشارة الى أن المجمع اللغوي الملكي بمصر اختار « الشقة » للجزء المستقل من الطبقة في البيت لأنها متعالمة في مصر . وتفضيل الجناح على الشقة مردود من ثلاثة أوجه أولها ان الشقة غير الجناح ، ومن أدلة ذلك ان الكاتب الفاضل نقل من تاج العروس ان الجناح هو الروشن . فهو اذن المعروف عند الفرنسيين ب Balcon وورد في كتاب « نهج البلاغة » ما هذا نصه : « والدور المزخرفة التي لها أجنحة كأجنحة النسور وخراطيم كخراطيم الفيلة » فشرح ذلك العلامة عزالدين عبدالحميد بن ابي الحديد المدائني بقوله : « وأجنحة الدور التي شبهها بأجنحة النسور : رواشينها » . والرواشن والرواشين جمع « روشن » كما هو معلوم ، والوجه الثاني ان الرواشن والاجنحة لاتزال تتخذ في البنايات عند العرب وغيرهم (أعني البلكونات) . والجناح هي الكلمة العربية فيجب علينا ان نتخذها أيضاً للبلكون دون الروشن الأعجمية القريبة من الروزنة ، والثالث ان كلمة « الشقة » شاعت في مصر قبل مئات سنين قال القلقشندي : « ويدخل السلطان الى الشقة وهي

---

(١) ج ١ مج ١٦ سنة ١٩٤١ ص ١٩ ، + ويقصد مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .

خيمة مستديرة متسعة ثم منها الى شقة مختصرة » • فالشقة مستعارة من هذا الاسم القديم كما استعير البيت والقبة للقصر والعلية •

٢ ــ وجاء في الجزء نفسه « ص ٣٢ » ذكر قاضي قضاة بحلب اسمه « علي بن سليمان » ومن سنيه سنة ٨٠٥ ﻫ وقد حار الكاتب في ترجمته ومعرفة حاله ، ويظهر لي ان النسب توارثه ناس مـن العـامة وأشباههم فصحفوه ، وان أصل اسمه « علي بن سعد » وان كان سعد جـداً له ، وهو اسم العلامة الاديب علاء الدين علي بن محمد بن سعد بن محمد بن علي بن عثمان الشافعي قاضي حلب المشهور بابن خطيب المدرسة الناصرية قال ابن تغري بردي في وفيات سنة ٨٤٣ ﻫ ما هذا نصه :

« وتوفى قاضي قضاة حلب علاء الدين علي بن محمد بن سعد ••• قاضي حلب وعالمها ومؤرخها ابن خطيب الناصرية في ليلة الثلاثاء تاسع ذي القعدة بحلب ومولده في سنة أربع وسبعين وسبعمائة ، وكان إماماً عالماً بارعاً في الفقه والأصول والعربية والحديث والتفسير وأفتى ودرس بحلب سنين ، وتولى قضاءها وقدم القاهرة غير مرّة وله مصنفات منها كتابـه المسمى بالمنتخب في تاريخ حلب [٢] ، ذيله على (تاريخ) ابن العديم لكنه لم يسلك ما شرطه في الاقتداء بابن العديم وسكت عن خلائق من أعيان العصر ممن ورد الى حلب حتى قال بعض الفضلاء : « هذا ذيل قصير الى الركبة » وكان سامحه الله مع فضله وعلمه يتساهل في تناول معاليمه [٣] في الأوقاف بشرط الواقف وبغير شرط الواقف وكان له وظائف ومباشرة في جامع الأتابك تغري بردي بن تاش بغا ، قال ابن الواقف سيدي يوسف :

(٢) رايت منه مجلدا بدار الكتب الوطنية بباريس رقمه ٢١٣٩ عـــربى وقرات في اولــه « الجزء الثالث من الدر المنتخب بتكملة تاريخ حلب لابن خطيب جبرين » وهو بخط موءلفه وهو مـــن احســـن التواريخ واوعاها وقد استفدت منه فوائد .

(٣) المعالم جمع معلوم وهو المشاهرة وما اشبهها ويجمع علـى معلومـــات ايضـــــا .

انالمذكور كان يأخذ استحقاقه واستحقاق غيره وكان له طولةروح واحتمال زائد لاستماع المكروه بسبب ذلك وهو على ماهو عليه ولسان حاله يقول : « لا بأس بالذل في تحصيل المال » وكان يتولى القضاء بالبــذل ويخدم أرباب الدولــة بأموال كثيرة وملخص الكلام انه كان عالماً غير مشكــور السيرة ، وكان به صمم خفيف [٤] » قلت : وكلام ابن تغري بردي فيــه ما فيه لأنه كان من معاصري هذا القاضي ولأن أنسباءه من بني العديــم بحلب كان لهم شأن في القضاء والأوقاف .

٣ ــ وجاء في ترجمة « شرف الدين محمد بن نصر الدين بن عنين » من المجلة [٥] انه شاعر القرن السابع ، وفي هذا القول شيء من التساهل والتسامح لأن جماعة من معاصريه من الشعراء كانوا أشعر منه مثل كمال الدين علي بن النبيــه وشــرف الدين راجح الحلــي ويعقوب بن صــابر المنجنيقي ،ومجد الدين اسماعيل النشابي ،وعبد الرحمن النابلسي وغيرهم ومن طريف أحواله ما ذكره ابن عنبة العلوي النسابة فــي باب نســب الحسنيين قال : « ولبني داود بن موسى حكاية جليلة مشهورة بين الناسبين وغيرهم مسندة وهي مذكورة في ديوان ابن عنين [٦] وهي ان أبا المحاسن نصر الله بن عنين الدمشقي الشاعر توجه الى مكة (شرفها الله تعالى) ومعه مال وأقمشــة فخرج عليه بعض بني داود فأخذوا ما كان معــه وسلبوه وجرحوه ، فكتب الى الملك العزيز بن أيوب صاحب اليمن وقــد كان أخوه الملك الناصر (صلاح الديــن يوسف) أرسل اليه يطلبــه ليقيم بالساحل المفتتح من أيدي الافرنج . فزهده ابن عنين بالساحل ورغبــه

(٤) النجوم الزاهرة ، مخطوط رقمه ١٧٨٩ من دار الكتب الوطنية بباريس.

(٥) ج ٣ مج ١٦ ص ٩٩ سنة ١٩٤١ .

(٦) في دار لكتب الوطنية بباريس شيء من ديوانــه في المخطوط المرقوم (٦٠٣٤ عربي) وقد جاء في الورقة ٨٨ من المخطوط ما هذا صورته : (واخذ له متاع في مكة فقال له ...) وهــو بخط ياسين العمري الموصلــي .

في اليمن وحرّضه على الأشراف الذين فعلوا به مافعلوا وأول القصيدة :

أعيت صفاةُ نـداك المصقـع اللسنا
وجزت في الجود حدّ الحسن والحسنا

ومنها :

ولاتقل : ساحل الافرنج أفتحـه
فمـا يساوي إذا قايستـه عدنـا
وان أردت جهاداً ارو سيفـك مـن
قوم أضاعـوا فروض الله والسننـا
طهر بسيفـك بيت الله مـن دنس
ومـن خساسـة أقوام بـه وخنا
ولا تقـل انهـم أولاد فاطمـة
لو أدركوا آل حرب حاربوا الحسنا

قال : فلما قال هذه القصيدة رأى في النوم فاطمة الزهراء وهي تطوف بالبيت فسلم عليها فلم تجبه فتضرع وتذلل وسأل عن ذنبه الذي أوجب عدم جواب سلامه فأنشدته الزهراء :

حاشى بنـي فاطمـة كلهـم
مـن خسة تعـرض او مـن خنـا

(ثم ذكر خمسة ابيات أخرى) قال ابو المحاسن فانتبهت من منامـي فزعاً مرعوباً وقد أكمل الله عافيتي من الجرح والمرض فكتبت هذه الأبيات وحفظتها وتبت الى الله مما قلت وقطعت تلك القصيدة :

عـذراً الـى بنت نبي الهـدى
تصفح عـن ذنـب مسيء جنـى
وتوبـة تقبلها مـن أخـي
مقالـة توقعـه فـي العنـا

والله لـــو قطعنـــي واحــــد
منهـــم بسيف البغـــي او بالقنــا
لــم ار مــا يفعلــه سـيئا
بــل أره في الفعل قــد أحسنــا

وقد اختصرت ألفاظ هذه القصيدة وهي مشهورة ... وقد ذكرهـا البادرائي في كتاب الدرّ النظيم وغيره من المصنفين [7] وجاء في ديوانـه المخزون بباريس قوله يهجو الموفق أسعد بن الياس المعروف بابن المطران :

قالوا الموفق شيعـــيفقلــت لهم
هذا خلاف الذي للناس منه ظهر
وكيف يصبح دين الرفض مذهبه
وما دعاه الى الاســلام غيرُ عمــر[8]

وفي البيت تعريض بأنه أسلم لحبه غلاماً اسمه عمر ، وجاء فيه ان سبط ابن الجوزي زعم ان النبي (ص) قبل خاتم اصبعه فقال :

كسب العلقُ فــي دمشق فأضحى
يستميـــل القــلوب بالتمويــــه
كيف يــرضى النبي يلثم منـــه
خاتماً تبصق البريــة فيـــه [9]

وقد ترجمه من المعاصرين له أبو عبد الله محمد بن سعيد الدبيثـي الواسطي المؤرخ الأديب فقال : « محمد بن نصر بن الحسين بن عنين أبو المحاسن من أهل دمشق ، شاعر مجيد حسن النظم كثير القول فـي المدح

(٧) عمدة الطالب في انســاب آل ابي طالب ص ١٠٩ ، ١١٠ (من طبعةالهند).

(٨) ورقة ١٠٩ .

(٩) ورقة ١١٣ وهذا من افحش الاهجية واقبحها ولصيانة الاخلاق نفـاه السلطان صلاح الدين من بلاد الشام .

والهجاء والغزل والنسيب ، جال في أقطار الأرض وسافـر ما بيـن الشام ومصر والعراق وخراسان وما وراء النهر وغزنة وقطعة من بلاد الهند ومدح أكثر ملوك هذه الأقاليم وكبرائها واكتسب منهم وخالط أهلها ، قدم بغداد وارداً صادراً غير مرة ولقيته بها وكتبت عنه شيئاً من شعره بالجهد لأنه كان ضنيناً به ... سمعت ابن عنين يقول : أصلنا من الكوفة من موضع يعرف بمسجد بني النجار ونحن من الأنصار فسألته عن مولده فقال : ولدت بدمشق في سنة تسع وأربعين وخمسمائة . لم يحقق الشهر [10] » . وذكر المؤرخ مقطعات من شعره ولم يذكر وفاته لأن تاريخه احتوى على من توفوا قبـل سنة ٦٢٢هـ ممن اختار تراجمهم هو، وترجم هذا الشاعر الشهير، كمال الدين عبدالرزاق ابن الفوطي[11] ولا نشك في ان محب الدين محمد بن النجار مؤرخ بغداد ترجمه مع المعاصرين له ، وله تراجم كثيرة يطول تعداد مظانها .

٤ ــ وجاء في ص ١١٣ منه في الكلام على « الطربال والتربة » ان في مقبرة بغداد [12] قبة من رائع الفن العراقي ينطبق وصف الطربال عليها تمام الانطباق وهذه صورتها : ثم بانت الصورة ، وهذا البحث مكتوب لاثبات ان « التربة » بمعنى « القبر المبني عليه قبة » هي لفظ « الطربال » القديم الذي سمي به الغريان بالنجف وقرية بالبحرين ، وفي هذا المبحث ما فيه من مخالفة الأصول المقررة في البحث عن أطوار الكلمات ، فقد كان واجباً على كاتبه ان يذكر متى استعملت كلمة « التربة » هذا الاستعمال وهل استعمل العرب المسلمون « الطربال » بمعنى « التربة » حتى يصح الانتقال ؟ ثم يذكر أوصاف الترب في عصر انتقال الطربال الى التربة حتى يقال انها هي من الفن

(١٠) ذيل تاريخ السمعاني الذي هو ذيل لتاريخ الخطيب البغدادي لبغداد (مخطوط) .

(١١) الحوادث الجامعة ، ص ٥١ .

(١٢) كذا ورد ولبغداد عدة مقابر والصورة تدل على انها من الترب المجاورة لتربة الشيخ الزاهد معروف الكرخي .

البنائي ، أما الانتقال من عصور الجاهلية الى عصر بناء تربة بنيت في القرن [١٣] السادس للهجرة : أعني تربة زمرد خاتون زوج الخليفة المستضيء بأمر الله : أم الناصر لدين الله فليس من المقبول في الاستدلال . قال العلامة عز الدين علي بن الأثير في وفيات سنة ٥٩٩ هـ من تاريخه : « وفي ربيع الآخر توفيت زمرد خاتون ودفنت في التربة التي بنتها لنفسها وكانت كثيرة المعروف » ثم قال في وفاة الملك المعظم علي بن الناصر لدين الله سنة ٦١٢ : « ومشى جميع الناس بين يدي (؟) الى تربة جدته عند قبر معروف الكرخي فدفن عندها ولما أدخل التابوت أغلقت الأبواب وسمع الصراخ العظيم من داخل التربة فقيل ان ذلك صوت الخليفة ... » وقال سبط بن الجوزي في تاريخه : « وعمرت التربة عند قبر معروف الكرخي والمدرسة الى جانبها وأوقفت عليها الاوقاف [١٤] » قلت : يعرف اليوم بقبر الست زبيدة : قال العلامة السيد محمود شكري العلوي الآلوسي يصف حاله وحال المسجد : « وقد اندرس المسجد سنة ١١٩٥ هـ وكان واسعاً رصين البناء قوي الأركان ولما بنى سليمان باشا الكبير والي بغداد سور الجانب الغربي استعملت أنقاضه في بناء السور ولم يبق اليوم سوى قبر زبيدة (كذا والصواب زمرد) من ذلك المسجد وعليه قبة مخروطية الشكل من نوادر الفن المعماري وهي نحو ميل السهروردي (شهاب الدين عمر البكري) وكان تاريخ العمارة داخل المشهد بالحجر الكاشي وقد اقتلعه من اقتلعه [١٥] ... »

واشارته الى ميل السهروردي بمشابهته لقبة زمرد خاتون بينة وقد بنيت الثانية قبل وفاة السهروردي بقليل (أعني قبل سنة ٦٣٢ هـ) قال كمال الدين ابن الفوطي في ترجمته من كتابه الحوادث الجامعة : « ودفن في الوردية في

---

(١٣) قال أبو علي المرزوقي الاصفهاني : (والقرن من الثمانين الى المائة وقالت طائفة منهم القرن ثلاثون سنة وقيل القرن اربعون) كتاب الازمنة والامكنة ج ١ ص ٢٣٨ والقول الاول هو المتبع في عصرنا ويبطل بهذا ما ورد في ج ٣ مج ١٧ سنة ١٩٤٣ من مجلة المجمع ٢٣ .

(١٤) مختصر المجلد الثامن من مرآة الزمان ص ٣٤٣ (طبعة شيكاغو) .

(١٥) مساجد بغداد وآثارها ص ١٢٥ — ١٢٦ .

تربة عملت له هناك على جادة سور الظفرية » ومثل هذه القبة قبـة الزبير الصحابي (رضي الله عنه) قرب البصرة الحديثة ، قال ابن الفوطي في ترجمة شمس الدين باتكين الرومي الحنبلي المتوفي سنة ٦٤٠ هـ : « وبني على قبر طلحة بن عبيد الله بنياناً حسناً وجعل فيه الفرش والقناديل وكذلك على قبر الزبير بن العوام » (ص ١٨١ ـ ١٨٢) •

٥ ـ البلهارزية عندالعرب• ورد فيالجزء نفسه[١٦] عنوان مقال هذه صورته: «هل عرف العرب البلهارزية؟» قلت: معرفتهم اياها مرضا من الامراض وداءاً من الادواء وعلـة من العلل ممكنـة لهم كـل الامكان ، أما عدّ « مكروبتها » قملة النسر فهو كعدّ البقـة جملاً والبعوضة جاموسة ، قال ابن قتيبة : « والخطميّ اذا أخذ ورقهُ فدقّ ثم وضع على لسع قملة النسر كانت دواء له[١٧] » فليقايس القائس بينها وبين المكروبة البلهارزية •

وجاء في ص ١١٧ منه ان قملة النسر هي المعروفـة بالتراقـي وان المستظهر بالله والمقتفي لأمر الله ماتا بعلة التراقي هذه وتسمـى « الشقفة » أيضاً، قلت : ان علة التراقي في كتب العرب هي : « الخانوق والخوانيـق والخناق » اي الدفتريا قال العلامة جمال الدين ابن الجوزي فـي ترجمـة المستظهر بالله العباسي : « بدأت به علة التراقـي فمرض ثلاثـة عشـر يوماً وتوفي »[١٨] وقال الامام شمس الدين الذهبي في وفاة المستظهر بالله : « مات بعلة التراقي وهي الخوانيق وغسله شيخ الحنابلة ابن عقيل[١٩] » وقال فـي وفاة المقتفي : « مات أمير المؤمنين المقتفـي لأمر الله محمد ••• العباسي في ربيع الأول بالخوانيق[٢٠] » وذكر أكثر المؤرخين انه توفـي

---

(١٦) اعني الجزء الثالث من المجلد السادس عشر ص ١١٥ .

(١٧) عيون الاخبار ج ٢ ص ١٠٥ (طبعة مصر) .

(١٨) المنتظم ج ٩ ص ٢٠٠ •

(١٩) دول الاسلام ج ٢ ص ٢٧ .

(٢٠) المرجع المذكور ص ٥٠ .

بعلة التراقي وهي الخوانيق .

٦ ــ وورد في ص ١٨١ من الجزء الرابع في ترجمة قول الفرنسيين

L'orateur selève , attire l'attention et captive les esprits

ماهذا نصه : « وأما الكاتب العربي فلا يجوز له الا مراعاة زمن الحادث مستعملاً صيغة الماضي بحيث يقول : نهض الخطيب فاسترعى انتباه القوم واختلب عقولهم » قلت : والصحيح ان للعرب «مضارع الحكاية» يأتي بمعنى الماضي وهذا محله ، ولكنه يوضع بعد الماضي . قال الطبري في أخبار فتح المدائن : « فخرج يزدجرد بعد حتى ينزل حلوان فلحق بعياله [٢١] » وهذا مطرد بعد « حتى » السابقة للمضارع وبعد الماضي السابق لها ويجد الباحث ألوف أمثلة منه في تاريخ الطبري ، وعلى ذلك يجوز ان يقال : « نهض الخطيب حتى يسترعي انتباه القوم وحتى يختلب عقولهم » وقال معاوية : « وقد عزمت على الفرار فما يردني الا قول ابن الاطنابة الانصاري [٢٢] »

٧ ــ وجاء في ص ٢٤١ من الجزء السادس : « وخلع على الخطيب عز الدين الفاروقي » كذا منسوباًالى الفاروق (رضي الله عنه) وهو خطأ والصواب « الفاروثي » بالثاء مكان القاف ، والفاروثي من الشهرة على حالة لا تستدعي الاستدلال ، قال شمس الدين الذهبي : « الفاروثي » نسبة الى فاروث من قرى واسط منها العلامة عز الدين أحمد بن ابراهيم المصطفوي مشهور [٢٣] » وصحف النساخون اسمه في « النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٧٦ » فأصلحه طابعو الكتاب ، مستعينين بالمشتبه للذهبي وتاريخ الاسلام له وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ، قلت : توفي سنة ٦٩٤ هـ ترجمه الذهبي أيضا في طبقات القراء الكبار وابن كثير في البداية والنهاية ، والسبكي في طبقاته وابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية له وفي منتقى المعجم المختص الذي للذهبي فانتقى

---

(٢١) الطبري سنة ١٦ هـ ص ١٧٣ من طبعة مصر .

(٢٢) المشتبه في اسمال الرجال (ص ٣٩٢) .

(٢٣) كامل المبرد (ج ٣ ص ٢٨٦) من طبعة الازهري الداجموني .

مــه ، وترجمه فضل الله بن ابي الصبقاعي في تاريخه « تالي وفيات الأعيان » وعدّ وفاته من وفيات سنة ٦٩٥ هـ وترجمه بدرالدين الحسن ابن حبيب الحلبي في درة الاسلاك في دولة الاتراك وتقي الدين الفاسي في منتقى ذيل تاريخ بغداد المعروف بالمنتخب وابن الفرات في تاريخه ، وتقي الدين محمد بن فهد في لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ . وورد بهذا التصحيف في ص ٢٤٣ من الجزء أيضاً ،فيجب اصلاحه بالصورة التي ذكرنا .

وجاء في هذه المقالة أيضاً « ص ٢٤٥ » ما صورته « للملك الناصر محمود بن المنصور وهو يومئذ .. » والصحيح « محمد بن المنصور » وهو الملك الناصر العظيم بن المنصور قلاوون ، وتاريخه الحافل بالآثار غير خفيّ .

٨ ــ وجاء في ص ٣٧٠ من الجزء الثامن ما هذه صورته « وعندي ان كتاب الامتاع والمؤانسة لو وقع الآن هذا الجزء المطبوع منه تحت نظر ناقد آخر أو عدة نقاد لرأوا فيه ما لم يره الدمشقيون والقاهريون » . وهو قول بارع حكيم ، لان صحته مبنية على ان النقد يعتمد على ما استوعب الذهن من الآداب والغريب والتاريخ وما يجوز التحرف اليه ، ولما كانت مقاييس الثقافة مختلفةً باختلاف الأذهان ومستوعباتها ، اختلفت النظرات النقدية ، حتى ليعجبُ ناقد من ناقد كيف تهيأ له ان يصحح ماصححه لصعوبة يراها في وجدان الصحة لا تحلها مقاييس ثقافية ، فنحن نستطيع ان نأتي بتصحيحات أخرى في كتاب الامتاع والمؤانسة لا يشك فيها أحد . ونعترف للعلامة كاتب النقد بأن كثيراً مما أصلحه قد فاتنا في قراءتنا للكتاب وحسبناه صحيحاً وما هو بصحيح ، وفي مثل هذا تظهر براعة الأئمة .

٩ ــ وجاء في ص ٣٧٤ من الجزء أيضاً « وَهب تتعدى لمفعولها الأصلي باللام تقول : هب لي من لدنك ولياً وتعديتها له مباشرة على خلاف الوارد » . قلنا : ان هذا أمر قياسيّ وما الورود فيه الا زيادة توكيد ، وللكاتب العربي الفصيح أبداً ان يحذف حرف الجر ولا سيما اللام من المجرور المصاحب لفعل متعد بنفسه الى مفعوله الاول ، قياسا على قولهم : « كسبتهم مالاً وجنيتهم كمأة وكلتهُ براً ووزنته رزاً » ولم يقتصر الفصحاء

على ذلك بل تعدوا الى المتعدي بحرف الجر فقالوا « نصحه وشكره وظفره »
ومن الابيات الواردة في نهج البلاغة :

ونحن وهبناك العلاء ولم تكـــن
عليأ وحطنا حولك الجرد والسمرا

والشواهد لتعدية « وهب » الى مفعولين بنفسه كثيرة ، وقال العلامة هبة الله ابن الشجري في تفسير قوله تعالـــى : (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب) ماهذا نصه « يقال : وهبت لك درهماً ووهبتك درهماً كما تقول : وزنت لك الدراهم ووزنتك الدراهم وكلت لك البر وكلتك البر كما جاء في التنزيل : واذا كالوهم او وزنوهم اي كالوا ووزنوا لهم [٢٤] ...

١٠ ــ وجاء في ص ٣٩٤ منه تصحيح « أحمق من ... » بقول المصحح « أشد حمقاً من ... » وهذا ضد المسموع المتبوع فقد جاء في أمثال العرب « أحمق من هبنقة » و« أحمق بن شرنبث» و« احمق من بيهس » وعشرات غيرها ولم يقل احد انها خطأ ، والسبب الذي أجاز لهم قولهم « احمق من » هو أن « الحماقة » في الأصل مصدر « حمق » بضم الميم وما كان هذا بابه فيكون اسم التفضيل منه على وزن « أفعل » ثم نشأ منه « حمق » بكسر الميم فصار منه « أحمق » صفة مشبهة ولكنه حافظ على خصائص وزنـه القديم ، ثم ان « الحمقى » دليل على ان الصفة الأصلية هي « حمق » بكسر الميم كخشن ، وكل هذه الأمور منعت اللبس فجاز ذلك القول . وذهـب الكسائي وهشام الى جواز مخالفة الباب كله في الاشتقاق .

وقال الناقد أيضاً (في ص ٣٧٥) ان صواب « كافة الأشياء » هــو « الاشياء كافة » ذهابا منه الى القول المعروف في تخطئة من قال : « كافـة الناس » حتى انهم خطأوا الزمخشري في المفصل ، وقديماً نقض العلماء هذا القول لان « كافة » صفة في الاشتقاق حال في الاعراب فلا تمتنع اضافتها ، وورد في كشف الطرة عن الغرة منقولاً من « شرح اللباب » انه ورد فـــي

(٢٤) امالي ابن الشجري ج ١ ص ٥٤ .

كلام البلغاء على خلاف ما ادعوه كما في كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لآل بني كاكلة فان فيه : قد جعلت لآل بني كاكلة على كافة بيت مال المسلمين مائتي مثقال عيناً ذهباً إبريزاً ،كتبه عمر بن الخطاب »وختمه وعلى ختمه « كفى بالموت واعظاً ياعمر » • ولو جاز نقد لاستعمال « كافة » لتوجه على الناقد لانه أقر القائل على استعماله « كافة »لغير الناس مع منع جماعة من المتشددين لذلك ولكنه مردود أيضاً ــ كما في شرح الطرة المتقدم الذكر [٣٥] •

١١ ــ وجاء في ص ٣٩٤ من الجزء التاسع « مختصر ذيل ابن الديثني » والصواب « ابن الدبيثي [٣٦] » وهو ابو عبد الله محمد بن سعيد ابن الدبيثي الواسطي ، الآديب المؤرخ المقريء المشهور الف تاريخ واسط وذيل تاريخ السمعاني الذي هو ذيل تاريخ الخطيب ومنه نسخة باستانبول في خزانة « شهيد علي باشا » رقمها ١٨٧٠ ومجلد في كمبريج بانكلترة ، ومنه اجزاء ثلاثة بدار الكتب الوطنية بباريس بل مجلدات ثلاثة ومجلد بخزانة في دار الكتب المصرية وهو الذي صور عليه مجلد دار الكتب الظاهرية وتوفي المؤلف سنة (٦٣٧) هـ وترجمته مشهورة ونسبته الى « دبيثا » من قرى العراق مما كان يسقيه النهران •

١٢ ــ وجاء في ص ٣٩٨ من الجزء المذكور « ويؤخذ عليه ••• شيء من الفوضى في الترتيب » • قلنا : والفوضى جمع لا مفرد ووصف لا اسم جامد ، واستعمالها وان شاع • لايدل على بصارة بلغة العرب فالفوضى كالمرضى والقتلى والشتى والصرعى وما أشبه ذلك فاستعمال « الفوضى »

---

(٣٥) كشف الطرة عن الغرة ص ٨٧ (طبعة دمشق) .

(٣٦) في المكتبة الظاهرية بدمشق تاريخ رقمه (١٨٩٠ تاريخ وعنوانه تاريخ جمال الدين ابي عبدالله محمد بن ابراهيم بن اسماعيل البخاري الجعفي وهو ذيل على تاريخ السمعاني وعليه سماع بخط محمد بن سعيد بن يحيى بن علي الدبيثي سنة ٦٢٣ . قلت : والصحيح ان الدبيثي موءلفه وهو الرجل المقروء عليه . ولعلى القارىء هو البخاري المذكور ، ان صح كونه معاصرا للموءلف .

بمعنى الاضطراب والاختلاط والعبث والانتشار والمرج والاختلال خطأ مبين.
وأصل « الفوضى » هو « الفضى » بتشديد الضاد جمع « الفضيض » فعيل بمعنى مفعول اي مفضوض • ثم انقلب أحد الضعفين واواً كما صارت « الحصلة » حوصلة و « القصرة » قوصرة و « الدنار » دينارا و«الابالة» ايبالة ، والمشهور في انقلاب أحد الضعفين هو ما ذكرنا ثم يليه انقلابه الى نون نحو « قنبرة » في قبرة و « خرنوب » في خروب و « انجاص » في اجاص ، ثم يأتي انقلابه الى الراء كما في«جرثومة» وأصلها « جثومة » من الجثوم و « فرطوسة » الخنزير في « الفطوسة » وغيرهما •
ثم ان الفوضى تدل على التساوي لا على التفاوت ، قال ابو العلاء المعري :

قالوا البرية فوضى لاحساب لها
وانما هي مثل النبت والشجر

أراد انهم احرار يفعلون ما يشاؤون ولن يحاسبوا على ذلك ، وهذا منشأ الغلط في استعمال « الفوضى » لأن اثبات الفوضوية للبرية نفي للرئيس الذي هو الديان يوم الدين ولا يعني ذلك ان أمورهم مختلة فهو بعيد •

١٣ ـ وجاء في ص ٥٤١ من الجزء الثاني عشر قول قائل يرجح « صعق الطيارات » على « قصفها » ولم يوفق في محاولته الترجيح والاسترجاح للصواب لأن الصواعق والصعق والصاعقة والمصعوق موجودة المدلولات في الدنيا أبداً فكيف نميز بين الذي آصابته صاعقة والذي رجمته الطيارة بقنبرة ؟ وفي ذلك ما فيه من نسبة رجم الطيارات الى خالق السماء ، ألا ترى الكاتب يقول : (فاذا أطلق الاعداء من طياراتهم تلك القنابر فكأن السماء نفسها ترسلها فتصعق الناس وديارهم) ؟ والصحيح في هذا ان « القصف » أولى بالاستعمال من غيره مع ذكر القاصفات من الطيارات والأشياء المقصوف بها ، فيقال : « قصفت الطيارات الحصون بقنابرها » قال الجوهري « القصف الكسر يقال قصفت الريح السفينة » وفي أساس البلاغة « قصف القناة والعود : كسره • وقصف ظهره ورجل مقصوف

الظهر وعصفت ريح فقصفت السفينة . وخذ من قصيف الشجر : من هشيمه »ا وجه الترجيح ان « القصف » يدل في أحد معانيه على الصوت الشديد فلا يجوز ان يقال : انَّ قصفَ الرعد لازم وقصفه متعد ، لان اللزوم ظاهر لا حقيقي وأصلهما واحد ، قال العلامة كبير شعراء قريش الشريف الرضي : « ... سميت الريح قاصفاً لأنها تحطم الأشجار وتهدم الجدران » وشرح قوله (ص) : « هود وأخواتها قصفن عليَّ الامم » بقوله : « وهذا القول مجاز لان أصل القصف كسر الشيء وحطمه ومن ذلك ما حكي عن بعض اليهود لما قدم النبي (ص) المدينة ان قال : « تركت بني قيلة يتقاصفون بقباء على رجل يزعم انه نبي » يقول : « من شدة ازدحامهم عليه كأن بعضهم يكسر بعضاً ، ومنه سميت ... »[٢٧] . فهذا دليل استعمال « القصف » للناس أيضاً مكان السفينة والشجر والجدران ، ولذلك جاز قول الأديب : « والله ما بينكم وبين أن ينقصف انقصاف الشجر من الريح العاصفة »[٢٨]، فمن المستبرد قول الكاتب « ولا يوافقه كل لغوي صميم عارف أسرار لغته » .

١٤ ــ وجاء في ص ٥٤٤ منه تخطئة من قال : « يذكر اضطرابها ... وحروبها مع طيء » قال المخطيء : « والصواب وحروبها لطيء » وهذا وهم من الناقد ، لأن « الحروب » جمع « حرب » والحــرب اسم كالعلم الذي يجمع على « علوم » و « الوعد » المجموع على « وعود » فيكون قول القائل « حروبها لطيء » بمعنى من أجل طيء وهو غير المراد ، ولا يجوز عد اللام « لام التقوية » لأنها تدخل على معمول الفعل وشبه الفعل كالمصدر ، كقولك « ان حربك لبني فلان جور » . فاذا جمع المصدر تغلبت فيه الاسمية على شبه الفعل وامتنع دخول لام التقوية عليه عند الفصحاء ، وجاز قول القائل « وحروبها مع طيء » لزوال الالتباس . ألا ترى ان الاديب الشاعر علي بن محمد بن الشاه الطاهري من أبناء الشاه بن ميكال الف كتابا فوسمه بكتاب

(٢٧) المجازات النبوية ص ١٢٤ .

(٢٨) ابو حيان في الامتاع والموءانسة ج ٢ ص ٢٠١ .

« حرب الجبن مع الزيتون [٢٩] » ثم ان المصدر يجوز ان يؤتى معه بالظرف المذكور (أعني معا) ما دام اللبس مأمونا وما دام هو غير مضاف الى فاعله. قال ابو حيان التوحيدي : « فأناظرهم فيك وبسببك لامناظرة الحنبليين مع الطبريين ... واجادل لاجدال [٣٠] الزيديين مع الاماميين [٣١] » وفي هذا كفاية للمتأملين وقد كرر الناقد نقده .

١٥ ـ وورد في ص ٥٤٥ منه ان « فرنسويّ » غلط وصوابه « فرنسي » وجاء عنوان النقد بصورة « فرنسي لا فرنساوي » وذكر الناقد القاعدة التي ذكرها سيبويه في كتابه . وقال : « اذن يقال في النسبة الى فرنسا فرنسيّ والى مصطفى مصطفي » قلت : هذا هو المشهور في كتب اللغة والصرف ، ولكن الذوق لا يأبى « الفرنسوي ولا الفرنساوي » وهذا الذوق مستمد من طبيعة لغة العرب لا من طبيعة الانباط حتى يُرد ويُعرض عنه ، فزيادة الواو مألوفة في النسبة الى مثل « فرنسة » « وفرنسي » فقد قال المؤرخون « الدولة الغزنوية » بمعنى « الغزنية » وقالوا « دنياوي وأخراوي » بمعنى « دنيوي وأخروي » قال في المصباح : « وان كانت الالف للتأنيث او مقدرة به نحو حُبلى ودنيا وعيسى وموسى ففيها ثلاثة مذاهب أحدهما حذف الالف من حبلى وعيسى والثاني قلب الالف واواً تشبيهاً لها بالاصلي فيقال دنيويّ وعيسويّ وحبلويّ والثالث وهو الاكثر زيادة واو بعد الالف فيقال : دنياوي وعيساوي وحبلاويّ محافظة على الف التأنيث [٣٢] » . وهذا من ضرورات الاستعمال . فكما زادوا الواو بعد الالف الرابعة كذلك زادوها بعد الخامسة ، فقالوا : « المصطفوي » قال

(٢٩) معجم الادباء ج ٥ ص ٣٢٨ .

(٣٠) في الاصل جدل وليس بذلك .

(٣١) الامتاع والموءانسة ج ٢ ص ١٨٨ .

(٣٢) وذكر ذلك ابن الحاجب في الشافية قبل صاحب المصباح فراجع ـ ان شئت ـ شرح الشافية للعلامة نجم الائمة الاستراباذي ج٢ ص٤٠ (طبعة مصر سنة ١٣٥٨) .

العلامة شمس الدين الذهبي : « الفاروثي : نسبة الى فاروث من قرى واسط منها العلامة عزالدين احمد بن ابراهيم المصطفوي مشهور[٣٣] فهو كان لقب نفسه بالمصطفوي لا بالمصطفي لان ذلك يلبسه بالمصطفى منسوباً الى اسم الفاعل « مصطفٍ » وقال الامام الذهبي في طبقات القراء : « سألت الشيخ علياً الواسطي الزاهد عن الفاروثي ونسبته المصطفوي فقال : كان أبوه الشيخ محي الدين يذكر انه رأى النبي (ص) في النوم فواخاه فلهذا كان يكتب المصطفوي » .

١٦ ـ وجاء في هذه المجلة[٣٤] « في زمن الخليفة العباسي الموفق بالله» وهذا خطأ لان الموفق بالله طلحة[٣٥] الملقب بالناصر لدين الله والد الخليفة المعتضد بالله كان ولي عهد لاخيه المعتمد على الله ومات على ولايته لذلك كما هو معروف مشهور

١٧ ـ وجاء في الجزء الثاني ص (٩٩) ما هذه صورته : « ولتاريخ ابن عساكر مختصرات منها مااختصره ابو شامة الدمشقي (٦٦٥) وهو مختصران كبير وصغير » قلت : رأيت من مختصره مجلداً بدار الكتب الوطنية بباريس رقمه (٢١٣٧ عربي) والظاهر انه زاد فيه تراجم المعاصرين له ومن قبلهم من العظماء الذين أغفلهم ابن عساكر (رحمه الله) قال ابو شامة في الورقة (٢٦) ما نصه « يوسف بن عبدالعزيز بن علي بن عبدالرحمن ابو الحجاج اللخمي الميورقي الاندلسي الفقيه المالكي .. قلت : لم أر له ترجمة في ذيل ابي سعد السمعاني وقرأت في الذيل عليه لابن الدبيثي ترجمة تشبه ان تكون له غير انه اسقط من نسبه «عبدالعزيز» وقال في الورقة (٣٣) ما هذه صورته «يوسف بن أيوب بن شادي الملك الناصر صلاح الدين سلطان المسلمين وقامع المشركين فاتح البيت المقدس وبلاد الساحل

(٣٣) راجع هذه المجلة (+ اي مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق) في التنبيه الخاص بالفاروثي (+ اي التنبيه الوارد في الصفحة ٢٩٣ من هذا الكتاب) ، ومشتبه النسب ، ص ٣٩٢ .

(٣٤) المجلد ١٧ ج ٢ ص ٧٨

(٣٥) ومنهم من سماه محمداً .

لم يذكر له الحافظ ابو القاسم ترجمة مع انه ملك دمشق سنة سبعين (وخمسمائة) . وكان مالكاً للديار المصرية ثم اتسعت مملكته ويسر الله عليه الجهاد وكان أحد الأجواد وقد استقصيت أخباره وسيرته في كتاب الروضتين وتقدم طرف من ذلك في ترجمة عمه اسدالدين شيركوه في حرف الشين »هذا ، ولم أجد توافقاً بين قول العلامة (ص ١٠٠) :« وهكذا الحال في تاريخ حلب فان كمال الدين ابن العديم (٦٦٠) اول من كتب في تاريخ حلب بعد مبارك بن شرارة » وقوله بعد أسطار : « ومن تواريخ حلب. معادن الذهب (في تاريخ حلب) لابن ابي طي يحيى بن حميدة (٦٣٠) وله طبقات العلماء . » فالفرق بين وفياتهما ثلاثون سنة [illegible] ان ابن ابي طي سبق ابن العديم الى ذلك .

وجاء في ص ١٠١ من الجزء : « ونبغ في هذا [illegible] واصل الحموي (٦٩٧) وله كتاب مفرج الكروب في [illegible]
قلت : وتاريخه الذي في دار الكتب الوطنية بباريس موسوم [illegible] في أخبار الخلفاء والملوك والسلاطين « رقمه ١٧٠٢ [illegible] الأولى منه : « فهذا كتاب جمعت فيه اخبار الملوك و [illegible] حدث في أيامهم وأوقاتهم ودولتهم مع النصارى و [illegible] مبيناً ذلك بالتفصيل والقول الصحيح وسميته تاريخ [illegible] الخلفاء والملوك والسلاطين مبتدئاً من سنة ثلاثين [illegible] ثمانين وستمائة وهو نعم الوكيل » قلت : وهو تاريخ [illegible] حصل في تجليده تفاوت في مراتب الورقات ، وقد نقل فيه [illegible] شهاب الدين ابراهيم بن ابي الدم الحموي القاضي [illegible] المظفري والفرق الاسلامية فقال مثلا ـ كما في الورقة [illegible] وفي ستين وخمسمائة مات الوزير عون الدين يحيى بن [illegible] القاضي شهاب الدين في تاريخه قال ... » وذكر نفسه ـ [illegible] ٣٤ منها ـ قال : صاحب الكتاب جمال الدين بن واصل [illegible] بحماة المحروسة : سافرت الى مصر سنة احدى و[illegible] ... «

وقال في الورقة (٣٨٦) من ترجمة بدر الدين لؤلؤ الاتابكي صاحب الموصل : « ولقد شاهدته لما توجهت الى العراق صحبة القاضي شهاب الدين ابن ابي الدم نسيبي ـ رحمه الله ـ وسايرناه في الميدان بالموصل وعمره يومئذ ما يزيد على ثمانين سنة وما يخيل لمن يراه ، لما فيوجهه من النضارة ... » .

ومما نستدركه على العلامة في مقاله هذا ـ اعني الشاميون[٣٦] والتاريخ ـ تاريخ حمزة بن احمد بن أسباط الغربي" نسبة الى مقاطعة «الغرب» قرب بيروت ومنه نسخة في دار الكتب الوطنية بباريس رقمها (١٨٢١ عربي) قال في الورقة (٢١٨) منه : وكان الفراغ من نساخته نهار الخميس ثلاثة أيام في شهر شباط سنة ثمانين بعد الألف (١٠٨٠ هـ) ومصنف هذا التاريخ حمزة بن احمد بن أسباط الغربي" والحمد لله وحده آمين وكان المعتني في كتابته الشيخ ابو نوفل بن الخازن هنأه الله تعالى في زمان طويل آمين ... علقه بيده الفانية العبد الفقير الى الله جرجس بن موسة (كذا) ابن جرجس بن القسيس اليا من قريت (كذا) امعاد غفر الله لـه ولوالديه ومن قرى (كذا) وترحم عليه ، يكون له نظير ذلك وكتب برسم الشيخ نادر بن نوفل بن خازن بن ابراهيم بن سركس بن الخازن من قرية عجلون كسروان من اعمال بيروت هنأه الله به ... » .

وقد ذكر فيه امارة تنوخ بلبنان وأمراءهم بالتفصيل ، قال في الورقة ٢١٦ : « في سنة اثني عشر وتسعمائة في ربيع الآخر توفي الامير فخرالدين عثمان بن معن أمير الاشواف من اعمال صيداء وفي هذه السنة توفي الامير يونس بن معن أمير الاشواف وكان يوم دفنه يوماً عظيماً لانه كان شاباً ذات حرمة (كذا) وسطوة ووقار »

١٨ ـ وورد في هذه المجلة [٣٧] قول صاحب الأوهام العائرة « في

(٣٦) هذا هو العنوان محكيا لا معربا .

(٣٧) ج ٣ ص ١٠٦ من المجلد ١٧ .

كراسة قائمة برأسها » والظاهر انها قامت بأرجلها وأطرافهـا وحيزومهـا ورقبتها ، والا فما معنى هذه العبارة ؟ وذكر الكاتب ان قولهم : « فلان يلحظ كذا كذا وكذا في ما يقف عليه نظره وله ملحوظات » مما لم يعثر عليه الناقد عندَ حذاق الكتاب وبُصراء المؤلفين وانّ الذي الفه من استعمالهم انهم يقولون ولاحظ وملاحظة • مع ان نقل معنى لحظ الحقيقي الـى المعنى المجازي غير محظور » • فنقول واذا لم يكن ذلك محظوراً ــ كما هــو الحق ــ لم يكن فيقولهم خطأ البتة ، ثم ان الادباء قد استعملوه ، فالمسألة مسألة تقصير في البحث والتحري لأساليب الكتاب ، ومن قصر في البحث او ايقنت نفسه بامكان تقصير البشر فلن يجوز له ان يتسرع في الاحكام ، قال ابن الجوزي : « أما بعد فان أجلّ الأشياء موهبة العقل فانه الآلة في تحصيل معرفة الآله وبه تضبط المصالح وتلحظ العواقب [٣٨] » • وقـال التوحيدي قال الوزير : ما البصيرة ؟ قلت : لحظ النفس الامور ، قال فما الحكمة ؟ قلت : بلوغ القاصية من ذلك اللحظ ، قال فما التجربة ؟ قلت : كمال النفس بلحاظ مالها • قال : هذا حسن [٣٩] » وجاء في سجعات أساس البلاغة : « انا عنده محظوظ ، وبعين العنايـة ملحوظ » فالنفس تلحظ الامور وآلة العقل تلحظ العواقب وعين العناية تلحظ المحظوظ ، وهذا كله مجاز من لحظ العين ، فكيف جاز ان يقول الكاتب : « ولم نلف مــن جرى مجرىً آخر » ؟ وكان له ان يقول : انّ « لاحظ » مبالغة في ذلـك المجاز ، والفرق بين الملحوظة الفصيحة والملاحظة كالفرق بين أفعالهما • ومن الاصول المعروفة في العربية أن زيادة الاحرف في الافعال تقتضي زيادة المعنى وزيادة المعنى بالملاحظة لا محل له هنا •

١٩ ــ وجاء في (ص ١٠٧) منه ان القرن لايجوز استعماله بمعنـى «مائة سنة» وهذا من التحكم والاحتكام في اللغـة العربية لان الاستعمال ان استند الى سند لغوي كان هو الراجح على غيره ، وقـد قال العلامـة

(٣٨) كتاب الاذكياء ص ٢ (من طبعة المكتبة العلامية) .

(٣٩) الامتاع والموءانسة ج ٢ ص ٣٥ .

المرزوقي : والقرن من الثمانين الى المائة • وقالت طائفة منهم القرن ثلاثون سنة وقيل القرن أربعون [٤٠] وقد تعين القرن بكونه مائة سنة منذ عهد بعيد لخفة لفظه وكون مقابله لفظين لا واحدا ، وجاء في اسماء التآليف القديمة: « إنسان العيون في مشاهير سادس القرون [٤١] » و « خلاصة الاثر في تراجم أهل القرن الحادي عشر » و « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر » و « المسك الأذفر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر » للعلامة السيد محمود شكري العلوي الآلوسي ،وقد طبع جزء منه ، وقدشاع هذا الاستعمال شيوعاً مبنياً على قاعدة ، وليراجع الباحث (لغة العرب ٦ : ٧٨٢) ليرى كيف أثبت الناقد انّ الجيل هو القرن ايضاً وانه مائة سنة •

٢٠ ــ وقال قائل في ص ١١١ من الجزء المذكور :« وهذا خلاف مايرمون اليه من معنى » وكان جاء ليخطيء غيره فأخطأ الصواب في العبارة ، لان الفصحاء قالوا « يرمون فيه » هاهنا • فالرامي يرمي في الهدف طلباً للاصابة ، قال العلامة الجوهري في الصحاح : « ويقال : خرجت أترمى اذا خرجت ترمي في الأغراض وفي أصول الشجر » وقال الزمخشري في اساس البلاغة : « وخرجوا يرتمون ويترامون في الغرض • وخرجت أترمى : أرمي في الأغراض » ومما انشده ابو العباس المبرد :

وينظر من بين الدموع بمقلة
رمى الشوق في انسانها فهو ساهر [٤٢]

اما (رمى اليه) فمعناه (أصابه وقرطس) وعليه يكون قول الناقد (مايرمون اليه) بمعنى (مايصيبونه [٤٣]) فلا يتجه للكلام وجه مقبول لانك

---

(٤٠) الازمنة والامكنة ج ١ ص ٢٣٨ .

(٤١) ذكر الكاتب هذه الاسماء وغيرها في ص ١٠٨ من الجزء المذكور .

(٤٢) امالي القالي ج ١ ص ٣٠٨ .

(٤٣) جاء في نهج البلاغة قول العلامة الشريف الرضي : من الكلام الذي رمي به الى غايتي الايجاز والفصاحة أراد انه بلغ غاياتهما وهو الواقع المبين .

لا تقول : (وهذا خلاف ماأصيبه من المعنى المراد) فهو من المركب غير المفيد ، ألاترى انه لا يكون مخالفاً مادام مراداً مصاباً مدركاً مبلوغا •فالصواب(خلاف مايريدون الرمي اليه) •

٢١ ــ وخطأ الناقد في (ص ١١١) أيضاً قولهم (دولتا كذا وكـذا) باضافة المثنى الى المفردين المتعاطفين ، كما ترى في الكلمة التي نقلناها فـي الحاشية السابقة لهذه الملحوظة من كلام الشريف الرضي « اعني قوله : الى غايتي الايجاز والفصاحة) ونحن نستغرب من الكاتب أموراً آتاها في هذا النقد منها انه نعى في اول مقاله على الذين سرقوا تنبيهات الشيخ ابراهيم اليازجي في اللغة العربية وقال : (وانتحلوها غير خجلين من هذه السرقـة الدنيئة [٤٤]) ثم أغار على تنبيه لغويّ لنا نشرناه بالطبع سنة ١٩٢٩ م فـي احدى المجلات البغدادية [٤٥] فرد علينا بقوله : (استعمل الكتبة الأقدمون والمولدون والعصريون التعبير الذي عبر به السيد الكاتب [٤٦] عن فكره فقد قال الشاعر (حمامة بطن الواديين ترنمي) • والمراد بطن الوادي • وقـال سويد بن كراع : (وان تزجراني ياابن عفان انزجر) • فاذا [٤٧] جاز للمفرد أن يعامل معاملة المثنى فكيف اذا عطف عليه اسم آخر [٤٨]) ومع كون الرد بارداً لاصلة له بالنقد يجد القارىء ان المؤلف ممن جوّز إضافة المثنى الى المفردين المتعاطفين وذبّ عنها بقلمه فما عدا مما بدا ؟ وقال في لغة العرب (٦ : ١٨٥) (لوني الأصفر والأحمر) •

٢٢ ــ وجاء في ص ١٤٠ من الجزء انّ آل ابي ريشـة المعروفـين

(٤٤) ص ١٥٦ من الجزء المذكور غير مرة .

(٤٥) لغة العرب مج ٧ ص ٦٣٧ .

(٤٦) هو كما ان طريقـي الموصل الـى دير الزور والموصل الـى راوندوز والسـليمانية .

(٤٧) صوابه (فاذ) لان اذا للمستقبل

(٤٨) لغة العرب في المحل المشار اليه آنفا .

بالحياريين وأمراء عشيرة الفضل بالجولان من عرب الشام هم من الطائيين لا من العباسيين كما يزعمون ويزعمه لهم جماعة ، قلنا : ان خزع الناس من الانساب التي يدعونها لا يكون بهذه الطريقة ، وكان عليه ان يذكر مدعاة هذا الانتساب ثم يوهنها بالاخبار التاريخية توهيناً فيخلص من ذلك الى إبطال هذه الدعوى النسبية ، ونحن نقول تعقيباً لهذا الحكم ، ذكر العلامة شهاب الدين احمد بن فضل الله العمري في نسب (ربيعة) الطائي جد هؤلاء العرب انهم ملوك البر وأمراء الشام والعراق والحجاز ثم ذكر ان الامير الثقة بدر الدين ابا المحاسن يوسف بن أبي المعالي المعروف بابن سيف الدولة المهمندار الحمداني[٤٩] ، قال : ويقال ربيعة الآن من ولد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، وزعموا انهم من ولد جعفر من أخت الرشيد التي عقد له عليها (كما قالوا) لتخرج عليه على ان لا يطأها فوطئها على حين غرة فحبلت بغلام كان هذا ربيعة من بنيه ، قال : وليس هذا الخبر بصحيح وان كان صحيحاً فقد دفنت المرأة وولدها كما قيل في تمام الحكاية ، ولم يعلم لهما أثر وكانت نكبة البرامكة بهذا السبب[٥٠] . وقال عماد الدين بن كثير في وفيات سنة (٧٣٥) من تاريخه توفي (الامير سلطان العرب حسام الدين مهنا بن عيسى بن مهنا أمير العرب بالشام وهم يزعمون انهم من سلالة جعفر ابن يحيى البرمكي من ذرية الولد الذي جاءه من العباسة أخت الرشيد فالله أعلم) . وقال ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (ج ٧ ص ٣٥٧) ما هذا نصه من وفيات سنة ٦٨٢ (وفيها توفي الأمير شهاب الدين احمد بن حجي بن بريد البرمكي أمير آل مرى كان من فرسان العرب المشهورين . وكان يزعم انه من نسل الوزير جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي من أخت الخليفة هارون الرشيد) . قلنا : فهذا منشأ ادعائهم بالنسب العباسي من جهة الأم لا من جهة الأب فان ذلك يحتاج الى اسطورة ثانية كأن يكون المستنصر الثاني الذي التجأ الى الملك الظاهر البندقداري مات عندهم بعد تزوجه فيهم ،

---

(٤٩) توفي سنة ٧٠٠ هـ وترجمته في الدرر الكامنة مج ٤ ص ٤٥٥ .

(٥٠) مسالك الابصار في ممالك الامصار ورقة ١٠٤ .

قلت : ومنشأ هذا الوهم ان من العرب التابعين لطيىء في ذلك العهد من كان ينتسب الى جعفر بن ابي طالب الملقب بالطيار ، قال ابن عنبة العلوي النسابة : (وبنو الطيار بادية كثيرة ، حدثنا الشيخ تاج الدين بن معية الحسني النسابة عن رجل منهم ورد الحلة أيام حكم الأمير سليمان بن مهنا بن عيسى أميرطيىء بها انه قال : نحن بنو جعفر الطيار بادية مع آل مهنا نحو من اربعة آلاف فارس نحفظ انسابنا وننكح في أعراب طيىء . ولا ننكحهم لكن اكثرهم يجهلون أنسابهم ولا يعرفون اتصالهم ويكتفون بأنهم من ولد جعفر الطيار وهم يعرفون بعضهم بعضاً ويفرقون بينهم وبين من لا ينتمي اليهم ، هذا ما حكاه الشيخ) [٥١] .

٢٣ ـ وقال صاحب الأوهام العائرة في هذه المجلة [٥٢] ما مضمونه « ان نعتا مفرده أفعل او فعلاء تجب المحافظة على جمعه اذا وُصف به الجمع فمن الخطأ الايادي البيضاء وصوابه البيض » ثم فصل الكلام على أفعل وفعلاء حتى وصل الى النقل من كتاب سيبويه وفيه ان أفعل اذا كان صفة فانه يكسر على فُعل ... والمؤنث من هذا يجمع على فُعل وذلك حمراء حُمر ... » ثم صال وجال كأنه هو المنبه الأول على هذه المسألة المهمة بل القاعدة النعتية .

قلنا : والفضل كله في هذا التنبيه للعلامة كرنكو ، فهو الذي نبه الناقد على هذه القاعدة التي لم تخالفها العرب الافي ضرورة الشعر ، قال يخاطب المغير على قوله « في مطالعتي مجلتكم (لغة العرب) بعض الأحيان تستعملون مفرد أفعل المؤنث اي فعلاء في مكان الجمع كما يفعل كتاب مصر ، فقد جاء في لغة العرب (٦ : ٢٥٢) الأشجار الخضراء في مكان « الأشجار الخضر » . فقال له صاحب المجلة : من مزايا لغتنا وصف المنعوت المجموع من غير العاقل بصفة مفردة مؤنثة ومنه في سورة الحاقة: قطوفها دانية اي دانيات. وقوله: في الأيام الخالية اي الخاليات وفي سورة البقرة : ان تبدوا الصدقات فنعما هي

(٥١) عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب ص ٤٠ من طبعة الهند .

(٥٢) ص ٢٣٢ من المجلد السابع عشر .

وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم • وهذا لايحصى [٥٣] •

فهذا أمر يدعو الى الاستغراق في العجب ، ثم اننا خطأنا في لغة العرب من قال في كتاب له « الفتن العمياء » بأن الصواب « الفتن العمي » وقلنا : « وأغرب من هذا ان الذي نبه على خطأ كتابتنا ••• هو العلامة كرنكو وماكنا نحسب ان يمتد بنا زماننا فنرى علماء العرب أجهل من غيرهم للغتهم وأشد اصرارا على الخطأ [٥٤] •

وغبرنا بعد ذلك ــ أعني بعد تنبيه العلامة كرنكو ــ نبحث عن تصريح من احد أساطين النحويين يؤيد هذه القاعدة الثابتة بكل استعمال العرب حتى عثرنا عليها في كلام المبرد ونشرناها بالطبع في المجلة نفسها وهي : « فان اردت نعتاً يتبع المنعوت قلت : مررت بثياب سود وبخيل دُهم وكل ما أشبه هذا فهذا مجراه » [٥٥] فهذا نص صريح صحيح لا يدركه الطعن ولا التجريح •

اما الذي نقله الناقد من كلام سيبويه فهو في باب « الجمع المكسر » وليس فيه أدنى دلالة على وجوب جمع النعت من هذا الوصف مع المنعوت المجموع وانما هو بيان لتكسير هذا الوصف في الجمع • فان قال قائل : إن « الفعلى » تكسر على « فُعَل » بضم الفاء وفتح العين فليس معناه انه يجب جمعها ان كانت نعتاً لانك تقول «المسائل الاولى والاعياد الكبرى» لا خلاف فيذلك بين العلماء •فالتنبيه على تكسير افعل وفعلاء المذكورين على « فُعل » مبسوط في غالب كتب الصرف ، وأعجب من هذا كله أن الاستاذ عبدالسلام هارون يكتب الى الناقد بما نصه : « وقد سمعت منك في مجلس

---

(٥٣) لغة العرب مج ٦ ص ٧٨٢ •

(٥٤) لغة العرب ٧ : ٥٧٣ •

(٥٥) لغة العرب ٥٨٦:٧ وكامل المبرد ٣٩:١ (من طبعة الازهري الدلجموني) •

ضم بعض[٥٦] الفضلاء انك استقريت كثيرا من كلام العرب فصحت لـك هذه القاعدة وخطأت بعض من حضر في قوله الايادي البيضاء » فيسكت سكوت السامع للحقيقة مع ان هذا الاستقراء هو للعلامة كرنكو .

٢٤ ــ وخطأ هذا الناقد في (ص ٢٣٤) من الجزء المذكور من قال في النص العربي من الانجيل : « ها أنا مرسلكم » وذكر ان الصواب « ها أنا ذا مرسلكم أو ارسلكم » . قلنا : وبين الخطأ وغير الفصيح بون مبين ، وقد ورد هذا الاستعمال في اقوالهم ، قال العلامة المعافى بن زكريا النهرواني المعروف بابن طرار او طرارة الجريري نسبة الى ابن جرير الطبري ، للمقدسي أحد موءلفي رسائل اخوان الصفا : « ثم ها أنت تذكر ان هذه للخاصة وتلك للعامة [٥٧] » وقال ابو القاسم مدرك بن محمد الشيباني الموءدب في ارجوزته المزدوجة المشهورة :

ها أنا في بحر الهوى غريق سكران من حبك لا أفيق[٥٨]

وقال ابراهيم بن القاسم الكاتب المعروف بالرقيق القيرواني من أهل القرن الرابع للهجرة :

فها أنا تائب منهـا فزرني تبصر العجبا[٥٩]

وقد كثر استعمالهم « أنا » بعد « ها » وللاستعمالين شواهد كثيرة يطولُ علينا ذكرها فلذلك نكتفي بما هنالك . أما تخطئته لقوله في الانجيل

---

(٥٦) كذا ورد واراد به جماعة من الفضلاء وبعض اذا اضيف الى الجمع الحقيقي من الاناسي يفيد الواحد او الواحدة فقط في القرآن الكريم وعند فصحاء الامة لانه لم يكرر كقولهم « كلم بعضهم بعضا » قال تعالى: « ولو نزلناه على بعض الاعجميين فقراه عليهم » وقال تعالى : « واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت بـه » فقوله : فقراه ونبأت به عين الافراد .

(٥٧) الامتاع والموءانسة ج ٣ ص ١٣ .

(٥٨) ابن السراج في مصارع العشاق ص ٣٥٦ (من طبعة مصر سنة ١٩٠٧) .

(٥٩) ياقوت في معجم الادباء ج ١ ص ٢٨٨ (من طبعة مرجليوث) .

« هو دا تلاميذك يفعلون » فليست بجيدة فليراجع هذه المجلة : « مج ١٧ ص ٢٥٧ س ١٢ » لانه قديم ٠

٢٥ ـ وجاء في ص ٢٣٧ من الجزء تخطئة ما ورد في الانجيل بنص عربي على هذه الصورة « ودخل معه المستعدات الى العرس » ولم يذكر تتمة الكلام ، وذكر المخطىء (بتشديد الطاء المكسورة) ان الصواب « المستعدات للعرس » مع ان ظاهر العبارة يدل على ان الجار والمجرور « الى العرس » متعلقان بالفعل « دخل » فالاصل « دخل معه الى العرس المستعدات» و «دخلت المستعدات معه الى العرس » كأنه قال «حضرن معه العرس» ٠ والمستعد في الاصل هو المتخذ عُدّة ولكثرة استعماله حذفت الفضلة في كثير من كلامهم وبقيت في القليل قال الاعشى :

ومارد من غواة الجن يحرسها   ذو نيقة مستعدٍ دونها ترقا

أي استعدَّ دونها ترقاً ليصونها بها والترق صغار الدر او غلاف الدرة من الصدف ـ على ما هو ظاهر من قوله دونها ـ والشواهد كثيرة في هذا الامر ٠

٢٦ ـ ورد في ص ٢٣٧ منه تخطئة من قال « أحكم بصفتي : حاكم المدينة » وقال المخطيء ان الصواب « أحكم وأنا حاكم المدينة واحكم لكوني حاكماً للمدينة كذا وكذا » قلنا : وقد أخذ هذا النقد من آثار العلامة اليازجي[٦٠] ولم ينسبه الى صاحبه ، وسبقه الى ذلك الاستاذ أسعد خليل داغر (اي الى أخذه من اليازجي) ، فخطأ من قال « بصفته وزيرا وبصفة كونه نائب رئيس » [٦١] قلنا وبين قولهم « بصفتي حاكم المدينة » وقولهم « حاكماً للمدينة » فرق فالثاني هو الخطأ والاول هو الصواب ، لأنا تأملنا هذه العبارة كثيرا فوجدنا لها وجها مليحا فصيحا وذلك بأن يُجعل « حاكم » بدلا من « صفتي » وعطف بيان ، فكأنه قال « بصفتي :

(٦٠) مجلة الضياء ٧ : ٣٨٦ ومغالط الكتاب ص ١٢٩ .

(٦١) تذكرة الكاتب ص ٣٣ (من الطبعة الاولى) .

حاكميـــة المدينـــة » ولا نشـــك في ان المترجم الاول للعبـــارة الفرنســـية En qualite de gouverneur de اياه أراد واليه قصد ، فالصفة ها هنا اسم منقول من المصدرية وجمعه الصفات كالوصف والاوصاف ، ونقلـــه مـــن المصدرية الملابسة للحدث ذي الزمان ، مبطل لعمله نقول « هذه فيه صفة جميلة وصفات جميلات » ويقال «ذكره فلان فوصفه بالفاضل الاديب » و « نعته بالحاكم العادل » فصفته الفاضل الاديب ونعته الحاكم العادل ، وهو كلام عربي مستقيم واضح المعنى ، ومن الحق انه لا يحكم بكونه رجلاً ولا بصفته الانسانية بل هو يحكم بصفته : حاكم المدينة • وقول الناقـــد الفاضل : « يقال هكذا : أحكم وأنا ••• » صوابه « يقال : أحكم وانا حاكم ••• هكذا» بتقديم المشار اليه لفظاً وكتابة، هذا هو أسلوب العرب• وذلك لدخول كاف الجر على « ذا » •

٢٧ ـــ ورأيت في ص ٢٨٢ من الجزء السادس اشـــارة الى تكملـــة الجواليقي [٦٢] والى ان من المؤلفين في لحن العامة ابا الخير ســـلامة بن غياض بن احمد الكفرطابي • قلنا : وممن ذكر ترجمته غير ياقوت الحموي والسيوطي ، موءرخ العراق وواسط ابو عبدالله محمد بن سعيد الدبيثي الواسطي ، قال: « سلامة بن غياض (بالغين المعجمة بعدها ياء تحتها نقطتان مشدّدة) ابن احمد ابو الخير الشامي من أهل كفرطاب ، كان اديبا فاضلا له معرفة جيدة بالنحو وله فيه تصانيف حسنة قرأ بمصر على ابي الحسن علي بن جعفر العرقي (كذا) [٦٣] المعروف بابن القطاع وغيره ، قدم العراق

(٦٢) نشره استاذنا عزالدين التنوخي وذكر فى ترجمة الجواليقي انـــه كـــان حنبليا (ص ١) وهذا غير ثابت في التاريخ فقد كان ـــ كما قال استاذنا في (ص ب) ـــ يصلي اماما بالامام المقتفي لامر الله وكان هذا الخليفـــة ومن جاء من الخلفاء بعده من الشافعية ، فلم يكن معروفا عندهـــم ان يصلي حنبلي بخليفة شافعي والظاهر لنا فى هذا الامر هو ان العلامة ابن رجب ترجم الجواليقي في « طبقات الحنابلة » للتزيد به فأوهم غيـــــره .

(٦٣) لعله : السعدى .

بعد سنة عشرين وخمسمائة وأقام ببغداد مدة قرأ عليه بها قوم من أهلها وسمعوا منه ، منهم ابو المعالي المبارك بن هبة الله بن الصباغ البقال وغيره ثم صار الى واسط واقام بها أيضا وذكر بها دروسا في النحو في جامعها علقها عنه ابو الفتح المبارك بن رُزيق الحداد المقرىء وسمعها منه ابنه ابو جعفر المبارك بن المبارك وابو بكر عبدالله بن منصور الباقلاني والقاضي ابو الفتح نصرالله بن علي بن الكيال ورووا لنا عنه وله رسالة في فضل العربية والحث على تعلمها ، رأيتها بخطه ، حسنة في فنها وله أشعار في الزهد وغيره أنشدني القاضي ابو الفتح ... بواسط قال أنشدنا ابو الخير الكفرطابي النحوي لنفسه :

اقنع لنفسك فالقناعة ملبس ... لا يطمع الاسراف في تخريقه
فلرب مغرور غدا تغريقه ... في حرصه سبباً الى تغريقه

عاد الكفرطابي الى الشام بعد مفارقته للعراق وتوفي هناك[٦٤] .

وذكره قاضي القضاة عزالدين عبدالعزيز بن محمد بن جماعة الكناني « ٦٩٤ ــ ٧٦٧ » هـ في الجزء الثالث من كتابه « التعليقة » في ادباء الشعراء والمنشدين ، وروى البيتين باسناد عن احمد بن محمد بن عبدالله الحافظ عن محمد بن أبي الفضل البغدادي عن ابن الدبيثي المذكور ثم قال : « هو سلامة بن غياض ... ابن احمد ابو الخير الكفرطابي النحوي له مصنفات في النحو ــ كما ذكر ابن النجار منها التذكرة نحو عشر مجلدات على نحو التذكرة لابي علي الفارسي وأنبئت عن ابي العباس أحمد بن مسلمة وغيره عن الامام النحوي ابي محمد بن الخشاب قال : حكى سلامة بن غياض الكفرطابي ــ عفا الله عنا وعنه ــ وكان ممن ينسب الى الصناعة النحوية انه سأل صبية من العرب وقد احتاج الى خيط يخيط

---

(٦٤) ذيل تاريخ السمعاني المذيل به على تاريخ بغداد مخطوط بدار الكتب الوطنية بباريس رقمه٥٩٢٢ ورقة ٧٣ وفي حاشية الكتاب ما نصه : مات في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة .

به شيئاً فقال لها : أعطني خويطا . فجاءته بغصن صغير من شجرة ، فقال: ما هذا ؟ فقالت : ما طلبت . فقال : إنما أردت خيطا أخيط بـه . فقالت : فهلا قلت خييط .

وأنبئت عن ابن النجار قال : قرأت على أبي القاسم الصوفي عن ابي الفرج بن النقور ، قال : سمعت سلامة بن غياض يقول : دخل عبدالملك بن مروان على معلم أولاده فقال : ما تعلمهم ؟ فقال : الحساب . فقال لاتعلمهم الحساب وعلمهم الآداب فانهم يجدون من يحسب لهم ولا يجدون من يتكلم عنهم . توفي سلامة بن غياض بعد سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة » (٦٥) .

---

(٦٥) عز الدين بن جماعة الكناني في التعليقة في ادباء الشعراء والمنشدين مخطوط بدار الكتب الوطنية بباريس بخط موءلفه رقمه ٣٣٤٦ ورقة ١٣٤ من العربيات .

دراسة المعجمات العربية : المصباح المنير

في دراسة معجمات اللغة الاصيلة متعة فائقة ، وفائدة علمية لغوية عظيمة وبحث مفيد جدا عن تطور اللغة والتعبير ، واعني بالمعجمات الاصيلة المعجمات التي تحتوي على إصالة في البحث اللغوي كصحاح الجوهري أو إصالة في الجمع والشرح كأساس البلاغة لجار الله محمود الزمخشري والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير لابي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرىء ، أو إصالة في الاختصار كمختار الصحاح لمحمد ابن أبي بكر الرازي . وغير الاصيلة هي المعجمات التي يغلب عليها التقليد والنقل البليد .

وهذه الدراسة وقفتني ، فيما وقفتني عليه من أحوال مؤلفي تلكم المعجمات ، على انهم كالنحويين يستعملون أحيانا ما يخالف القياس المجمع عليه بين العلماء ، ويعبرون احيانا بعبارات مولدة لم يشيروا الى توليدها، ويشرحون آونة بكلمات لم تحتو معجماتهم على شرحها مع أن أظهر صفات المعجم اللغوي أن لا يحتاج في شرح عباراته الى معجم آخر فضلاً عن شرح مادته اللغوية ، ويستعملون تارات ما أهملوا جواز استعماله في مادته ، مغلبين عليه وجهاً آخر أو غافلين عن ذلك أصلاً . ومن المعاجيم الاصيلة المحتوية على ما ذكرته آنفا من الملامح والفوائد والمآخذ «المصباح المنير » الذي مثلت به وبغيره في البيان عن الاصالة في التأليف اللغوي .

وقد ذكر ابن حجر في الدرر الكامنة موءلف المصباح المنير ونقل قوله السيوطي في البغية قال : « أحمد بن محمد الفيومي ثم الحموي ،

قال في الدرر : اشتغل ومهر وتميّز في العربية عند أبي حيان ثم قطن حماة، وخطب بجامع الدهشة ، وكان فاضلا عارفا بالفقه واللغة ، صنف المصباح المنير في غريب الشرح الكبير . توفي سنة نيف وسبعين وسبعمائة »[1] .

ونقل محمد باقر الخونساري ما في بغية السيوطي وزاد عليها : قال: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المصري ثم الحموي ، نقل صاحب البغية عن أبي الفضل بن الحجر (كذا) أنه قال في حق هذا الرجل في كتابه الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة : اشتغل ومهر وتميّز في العربية عند أبي حيان ثم قطن حماة وخطب بجامع الدهشة وكان فاضلا ، عارفا بالفقه واللغة صنف كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير . توفي سنة نيف وسبعين وسبعمائة . والوجه في هذه النسبة ، كما ذكر بعضهم ، أن مقصوده الاصلي من وضعه انما كان هو البيان والتفسير لغرائب لغات كتاب (العزيز في شرح الوجيز) للامام الرافعي القزويني ، وهو اكبر شرحيه على أصغر كتب الغزالي في فقه الشافعي المعروفة (أي كتب الغزالي) بالبسيط والوسيط والوجيز على حذو ثلاثة الامام الواحدي بهذا الوجه في تفسير القرآن العزيز . وفي الرياض أنه (أي العزيز) كتاب ضخم جدا وشرحه ممزوج بالمتن ، وقد رأيت نسخة عتيقة منه بأصبهان وهو أفيد كتب الشافعية في جميع مذاهب العامة بأجمعها ، وعلى سوقه مشى العلامة في كتاب التذكرة وان لم يمهله الاجل لتتميمه . هذا وقد فرغ الفيومي من تأليف كتاب المصباح في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، ويظهر منه أنه مختصر كتاب آخر له في اللغة ... » .[2]

ويظهر من مادة « غزل » من المصباح المنير أن أحمد الفيومي دخل بغداد قال : « وغزالة : قرية من قرى طوس واليها ينسب الامام ابو حامد الغزالي ، أخبرني بذلك الشيخ مجد الدين محمد بن محيى الدين محمد

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، ص ١٧٠ .

(٢) روضات الجنات ، ص ٩١ .

ابن أبي طاهر شروان شاه بن أبي الفضائل فخر اور بن عبدالله بن ست النساء بنت أبي حامد الغزالي سنة عشر وسبعمائة » • وقال يوسف أليان سركيس : « رأيت له ديوان خطب غير مطبوع كتب فيه اسمه كما يأتي: شهاب الدين فخر العلماء العالمين خطيب خطباء المسلمين أبو العباس احمد ابن الشيخ الامام كمال الدين محمد ابن الشيخ الامام أبي الحسن الفيومي الشافعي • وقال في مقدمة الديوان المذكور : ان السلطان الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماة لما أنشأ الجامع بظاهر حماة في شعبان سنة ٧٢٧ ندبني الى خطابته ، ولم أكن يومئذ مستعدا لها ، فطرقت باب المولى الكريم •••» [٣] •

وقال حاجي خليفة : « المصباح المنير في غريب الشراح الكبير، للشيخ الامام أحمد بن محمد بن علي الفيومي ••• فرغ من تأليفه في شعبان سنة ٧٣٤ أربع وثلاثين وسبعمائة وتوفي سنة (٧٧٠) سبعين وسبعمائة فصار ترتيبه كترتيب المغرب للحنفية » [٤] •

وقال الفيومي في أول المصباح : « الحمد لله رب العالمين ••• وبعد فاني كنت جمعت كتابا في غريب شرح الوجيز للامام الرافعي وأوسعت فيه من تصاريف الكلمة وأضفت اليه زيادات من لغة غيره ومن الالفاظ المتشابهات ومن المتماثلات ، ومن اعراب الشواهد وبيان معانيها وغير ذلك مما تدعو اليه حاجة الاديب الماهر ، وقسمت كل حرف منه باعتبار اللفظ الى أسماء منوعة الى مكسور الاول ومضموم الاول ومفتوح الاول، والى افعال بحسب أوزانها ، فحاز من الضبط الاصل الوفي ، وحل من الايجاز الفرع العلي ، غير انه افترقت بالمادة الواحدة ابوابه ، فوعرت على السالك شعابه ، وانتدحت [٥] بين يدي الشادي رحابه ، فكان جديرا

---

(٣) معجم المطبوعات العربية والمعربة ، ص ١٤٧٦ .

(٤) كشف الظنون : في الميم .

(٥) في نسخة المطبعة الاميرية بمصر المطبوعة بنظارة المعارف العمومية سنة ١٩١٢ وتصحيح الاستاذ الشيخ حمزة فتح الله الشهير « امتدحت » وهو تصحيف

بأن تنبهر دون غايته ركابه ، فجر إلى ملل ، ينطوي على خلل ، فأحببت اختصاره على النهج المعروف ، والسبيل المألوف ، ليسهل تناوله بضم منتشره ، ويقصر تطاوله بنظم منتثره ، وقيدت ما يحتاج الى تقييده بألفاظ مشهورة البناء ... واعلم اني لم التزم ذكر ما وقع في الشرح واضحا ومفسرا وربما ذكرته تنبيها على زيادة قيد ونحوه ، وسميته بالمصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، والله تعالى اسأل أن ينفع به إنه خير مأمول »[٦] .

ومن محاسن المصباح المنير أن مؤلفه ختمه بخاتمة جليلة في الصرف وتعداد أكثر المراجع التي رجع اليها في التأليف قال : « وقد اقتصرت في هذا الفرع أيضا على ما يتعلق بألفاظ الفقهاء وسلكت في كثير منه مسالك التعليم للمبتدىء والتقريب على المتوسط ليكون لكل حظ حتى في كتابته. وهذا ما وقع عليه الاختيار من اختصار المطول ، وكنت جمعت أصله من نحو سبعين مصنفا ما بين مطول ومختصر ، فمن ذلك :

١ ــ التهذيب للازهري وحيث اقول : وفي نسخة من التهذيب فهي نسخة عليها خط الخطيب ابي زكريا التبريزي .
٢ ــ وكتابه على مختصر المزني
٣ ــ والمجمل لابن فارس
٤ ــ وكتاب متخير الالفاظ له
٥ ــ واصلاح المنطق لابن السكيت
٦ ــ وكتاب الالفاظ له
٧ ــ وكتاب متخير الالفاظ له
٨ ــ وكتاب المذكر والمؤنث له
٩ ــ وكتاب التوسعة له
١٠ــ وكتاب المقصور والمدود لأبي بكر ابن الانباري .
١١ــ وكتاب المذكر والموءنت له
١٢ــ وكتاب المصادر لأبي زيد سعيد بن أوس الانصاري
١٣ــ وكتاب النوادر له .
١٤ــ وأدب الكاتب لابن قتيبة
١٥ــ وديوان الادب للفارابي
١٦ــ والصحاح للجوهري

(٦) المصباح المنير (الطبعة المقدم ذكرها) ص ٣ ، ٤ .

١٧ـ والفصيح لثعلب
١٨ـ وكتاب المقصور والممدود لأبي اسحاق الزجاج
١٩ـ وكتاب الافعال لابن القوطية
٢٠ـ وكتاب الافعال للسرقسطي
٢١ـ وأفعال ابن القطاع
٢٢ـ وأساس البلاغة للزمخشري
٢٣ـ والمغرب للمطرزي
٢٤ـ والمعربات لابن الجواليقي
٢٥ـ وكتاب ما يلحن فيه العامة له
٢٦ـ وسفير الافادة لعلم الدين السخاوي ومن كتب سوى ذلك فمنه راجعت كثيرا منه لما أطلبه نحو :
٢٧ـ غريب الحديث لابن قتيبة
٢٨ـ والنهاية لابن الاثير
٢٩ـ وكتاب البارع لأبي علي اسماعيل بن القاسم البغدادي المعروف بالقالي
٣٠ـ وغريب اللغة لأبي عبيد القاسم بن سلام
٣١ـ وكتاب مختصر العين لابي بكر محمد الزبيدي
٣٢ـ وكتاب المجرد لابي الحسن علي بن الحسن بن الحسين الهنائي
٣٣ـ وكتاب الوحوش لابي حاتم السجستاني
٣٤ـ وكتاب النخلة له
وما التقطت منه قليلا من المسائل :
٣٥ـ كالجمهرة (لابن دريد)
٣٦ـ والمحكم (لابن سيده)
٣٧ـ ومعالم التنزيل للخطابي
٣٨ـ وكتاب لابي عبيدة معمر بن ابن المثنى
٣٩ـ والغريبين لابي عبيد احمد ابن محمد بن محمد الهروي
٤٠ـ وبعض أجزاء من مصنفات الحسن بن محمد الصغاني من العباب وغيره
٤١ـ والروض الانف للسهيلي
وغير ذلك مما تراه في مواضعه، ومن كتب التفسير والنحو ودواوين الاشعار عن الائمة المشهورين المأخوذ بأقوالهم ، الموقوف عند نصوصهم وآرائهم مثل ابن الاعرابي وابن جني وغيرهما ، وسميته غالبا في مواضعه حيث يبنى عليه حكم، ونستغفر الله العظيم مما طغى به القلم

أو زل به الفكر ، على أنه قد قيل : ليس من الدخل أن يطغى قلم الانسان ، فانه لا يكاد يسلم منه أحد ولا سيما من أطنب ... ونسأل الله حسن العاقبة في الدنيا والآخرة ، وأن ينفع به طالبه والناظر فيه ، وأن يعاملنا بما هو أهله بمحمد وآله الاطهار ، وأصحابه الابرار . وكان الفراغ من تعليقه على يد موءلفه في العشر الاواخر من شعبان المبارك سنة اربع وثلاثين وسبعمائة هجرية»(7) .

٤٢ـ وقد ذكر هو كتاب المدخل لأبي عمر الزاهد في «جمع» من مصباحه .

٤٣ـ ديوان عدي بن زيد العبادي وشرحه ، ذكره في « أم م » من المصباح .

٤٤ـ مشكلات معاني القرآن لابن قتيبة ، ذكره في «بعض» .

٤٥ـ معاني الشعر لابن السراج، ذكره في «بعض» كذلك

٤٦ـ كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكاتب لابي عبدالله محمد بن السيد البطليوسي، ذكره في «اول» .

٤٧ـ إعراب القرآن لأبي محمد مكي ، ذكره في « غير » من المصباح .

٤٨ـ الانصاف في الخلاف بين البصريين والكوفيين لكمال الدين بن الانباري ، ذكره في « ثول » .

٤٩ـ شرح المفتاح لقطب الدين الشيرازي في « فضل »

٥٠ـ المنهاج لابن البيطار ، ذكره في « إثمد » .

٥١ـ كتاب المساحة للسموءل ، ذكره في « جرب » .

٥٢ـ تفسير القرآن لأبي الفرج ابن الجوزي ، جاء ذكره في « ذكا » .

٥٣ـ شرح الحماسة للمرزوقي ، ورد ذكره في«إن» و«عير» .

---

(7) المصباح المنير ، ص ١١٠٠ ـ ١١٠٢ .

٥٤ـ كفاية المتحفظ لابن الاجدابي في « بعر » و « ثغر »

٥٥ـ مشـكلات الوسـيط فـي « جفل[٨] »

وقد قرأت المصباح المنير من أوله الى آخره قبل ثمان وعشرين سـنة فألفيته جم الفوائد ، فيه نقول لغوية تجري مجرى الفرائد ، غير آنه لم يسلم من العيب الذي أشرت اليه ، وأصالته في الجمع لا في علم صاحبه ، فانه كان ملما بالصرف لا عالما به ، ألا تراه يقول في مادة « ندل » :

« المنديل : مذكر ، قال ابن الانباري وجماعة ، ولا يجـوز التأنيث لعدم العلامة في التصغير والجمع فانه لا يقال مُنيديلة ولا منديلات ، ولا يوصف بالمؤنث فلا يقال منديل حسنة فان ذلك كله يدل على تأنيث الاسم ، فاذا فقدت علامة التأنيث مع كونها طارئة على الاسم تعين التذكير الـذي هـو الاصل » •

وفي قوله هذا نظر فان علامة التأنيث التي هي التاء التي تقلب الى هاء لا تظهر في المصغّر الا اذا كان الاسم ثلاثيا مجردا منها مثل « نار نويرة » وشذّ من القاعدة « قدام » و « وراء » • قال هو نفسه ناقلا في « صغر » من مصباحه : « وصغرت الاسم تصغيرا ، فان كان ثلاثيا أو رباعيا أو جمع قلّة صغر على بنائه أيضا نحو ثوب وثويب ودرهم ودريهم وأفلس وأفيلس وأحمال وأحيمال • وفي الثلاثي المؤنث ان كـان اسما رددت الهاء وقلت قديرة وعيينة ، وإن كان صفة لم تلحقه فيقال ملحفة خُليْق، فرقاً بينهما••» ثم قال في « قدم » من مصباحه : « وقُدام خلاف وراء وهي موءنثة ، يقال هي قدام وتصغّر بالهاء فيقال قديديمة • قالوا : ولا يصغر رباعي بالهـاء إلا قدام ووراء » •

وأما علامة التأنيث في الجمع فليست دائما دليلا على تأنيث المفرد قال هو في « بخر » من كتابه المذكور : « والبُخار : معروف والجمع أبخـرة وبخارات » فالبخارات موءنثة في الجمع مذكرة في المفرد ، ولا تدل البخارات

(٨) سنذكر البقية في آخر المقالة .

على أن المفرد « بخارة » ، وان كان التقدير يوجب أن تظنّ كذلك من أجل الجمع فقط ، وقال هو في « ربط » من المصباح : « والرباط الذي يبنى للفقراء مولد ويجمع في القياس ربط بضمتين ورباطات » • ولم يشترط التأنيث للجمع بالالف والتاء بل جعله قياسا عاما • والحمام يجمع على حمامات سواء أعد موءنثاً أم مذكرا، ولاأحسب تأنيث منأنث الحمام الا من الاوهام وذلك لالتباسه بالحمام الطائرة فان هذا الاسم يجوز تأنيثه وتذكيره ، والا فالحمام على وزن « فَعّال » وهو من أوزان المذكر[٩]• وقد ذكر الفيومي قاعدة الجمع المقدم ذكره بقوله في « بنو » : « قال ابن الانباري : اعلم أن جمع غير الناس بمنزلة جمع المرأة من الناس تقول فيه منزل ومنزلات ، ومصلى ومصليات » •

وإذ كان المصباح المنير على الصفة التى ذكرناها من الاصالة والاحتواء على الفوائد اللغوية ، والعيوب غير القليلة ، وددنا أن نذكر شيئا من تلك العيوب ، فقد قال موءلفه في مقدمته :

١ ــ « وانتدحت بين يدي الشادي رحابه » أي اتسعت ، ولم يذكر هذا الفعل الخماسيّ في مادة « ندح » •

٢ ــ وقال فيها : « والى أفعال بحسب أوزانها » ولم يذكر استعمال

(٩) قال المبرد : « وقال رجل من مزينة :

خليلي بالبوباة عوجا فلا ارى * بهــا منزلا الا جـديب المقيــد
نذق برد نجـد بعدما لعبت بنا * تهامــة فــي حمامهــا المتوقــد »

(الكامل ج١ ص ١٣٧ طبعة الدلجموني الازهري . وقال حنين الحيرى المغني المشهور « فقيل لي عليك بالحمامات فانهم يجتمعون بها اذا اصبحوا فجئت الى احدها فدخلته فاذا فيه جماعة منهم » . (الاغاني ٢ : ٣٤٦ ، ٣٤٧ طبعة دار الكتب المصرية) ، وقال بعضهم (كما في الاغاني ٥ : ١٠٧) «دخلت المدينة حاجا فدخلت الحمام ، فبينما انا فيه اذ دخل صاحب الحمام فغسله ونظفه » . وقال ابو ريحانة لرجل: « يا ابن اخي ، ان الشعر الحسن من المغني الحسن ذي الصوب المطرب ادفأ للمقرور من حمام محمي » . (الاغاني ٦ : ١٥٤) .

« بحسب » في « حسب » وإنما اكتفى بقوله : « يجزى المرء على حسب عمله» . وكرر الاستعمال الاول في مادة «جرب» و«غطا» و«قال» و«كل» . ولعله ذكره في غير هذه المواضع .

٣ ـ وقال فيها : « فكان جديرا بأن تنبهر دون غايته ركابه » . ولم يذكر « انبهر » في مادة « بهر » ولا اشترط اغفال وزن المطاوعة المزعومة في مقدمة كتابه .

٤ ـ وقال فيها يَذكر الهمزة : « لأنها تسهّل الى الالف » و « إنما تكتب بما تسهّل إليه » . يُريد «تليَّن وتُحال » ، ولكنه لم يذكر في « سهل » : سهل الشيء الى كذا أي لينه وأماله اليه .

٥ ـ وقال في « بره » يعني الحيوان : واستسخر للانسان تشريفا له عليه وإكراما له كما استسخر النبات للحيوان » . وكرّر « الاستسخار » في مادة « جرى » غير أنه لم يذكره في « سخر » .

٦ ـ وقال في مادة « بضع » : « وتستأمر النساء في أبضاعهن » أي يطلب أمرهن ويؤامرن ، ولم يذكر « استأمر » في مادة « أمر » لكي يعلم معناه مَن لا علم له به .

٧ ـ وقال في مادة « بلح » . « تلوّن الى كذا » مُريدا : ضرب لونه اليه ، ولم يذكر تلوّن إليه في « لون » .

٨ ـ وقال في « بهم » : «واستبهم الخبر واستغلق واستعجم بمعنى» ولم يذكر « استغلق » في « غلق » .

٩ ـ وقال في « بوب » : « إذا نسبت الى المتضايفين » . ولم يذكر في « ضيف » أنه يقال « تضايف الاسمان » .

١٠ـ وقال في « ندى » : « ناديته مناداة ونداءاً » ، ولم يذكر « نادى به » مع أنه استعمله في « بوس » قال : « واذا نادى بنا المنادي »

ولا يجوز له أن يحتج بزيادة الباء فانه ذكرها في مادة «بعض» وتكلم على زيادتها ، قال : « لأن الاصل عدم الزيادة ، ولا يلزم من الزيادة في موضع ثبوتها في كل موضع ، بل لا يجوز القول به الا بدليل ، فدعوى الاصالة دعوى تأسيس وهو الحقيقة ، ودعوى الزيادة دعوى مجاز ، ومعلوم أن الحقيقة أولى » .

١١ ــ وقال في « بوك» : « فكانت خالية عن البؤس » وفي «دعا» : « خال عن التأويل » وكرره كثيرا ولم يذكر « خلا عنه » في مادته بل « خلا منه » .

١٢ ــ وقال في « بله » ناقلاً : « ومن كلام العرب : خير اولادنا الابله الغفول » [(١٠)] على وزن صبور ، وهو مبالغة من الغافل ، ولم يثبت «الغفول» في مادة « غفل » مع أنه من كلام العرب المشهور ، على حسبان أن « الغفول » خال من التصحيف ، وجاء في « بله » من أساس البلاغة للزمخشري : « خير أولادنا الأبله العقول » على وزن صبور من الفعل «عقل» أي فهم وأدرك . وأيد الزمخشري وجود « العقول » بقوله في « عقل » : «إن المعرفة لتنفع عند الكلب العقور فكيف عند الرجل العقول» . وعلى اعتبار أنه « العقول » لم يذكره الفيومي في « عقل » من المصباح .

١٣ ــ وقال في الكلام على « الباء » أحد حروف الجر : اشتريت الثوب بدرهم واتهبته منه بدرهم » ولم يذكر في « وهب » هذا المعنى في هذا التعبير واقتصر على « اتهبتُ الهبة : قبلتها » ومعلوم أن الشراء غير الهبة عند الفقهاء وغيرهم .

١٤ ــ وذكر في « بيض » الأذون بمعنى ذا الأذن ، قال : «ويحكى عن

(١٠) سيأتي أن الصواب « العقول » وانه تصحف على مصحح المصباح الشيخ حمزة فتح الله (رحمه الله) .

الجاحظ أنه صنف كتاباً فيما يبيض ويلد[11] من الحيوانات فأوسع في ذلك.
فقال له عربي: يجمع ذلك كلّه كلمتان: كل أذون ولود وكل صموخ بيوض.
ولم يذكر « الاذون » في « أذن » من المصباح.

١٥ ــ وذكر « الحيوانات » جمع الحيوان في مادة « بيض » كما نقلتُ قبيل هذا السطر، ولم يذكر هذا الجمع في مادة « حيي » فضلا عن انه أنكر صحته كما يفهم من كلامه، قال: « والحيوان كل ذي روح، ناطقاً كان أو غير ناطق، مأخوذ من الحياة، يستوي فيه الواحد والجمع لأنه مصدر في الاصل ».

١٦ ــ وذكر « الصَّموخ » في « بيض » كما نقلت آنفاً، ولم يذكره في « صمخ ».

١٧ ــ وقال في « تبر » يذكر التبر: « فان ضرب دنانير فهو عين ».
ولم يذكر في « ضرب » أنه يقال « ضرب الدينار ولا ضرب الذهب دنانير ».

١٨ ــ وقال في « غدا »: « والغد اليوم الذي يأتي بعد يومك على أثره » وقال في « تبع »: « وتتابعت الاخبار: جاء بعضها اثر بعض »، ولم يذكر هذين التعبيرين في « أثر » وإنما قال: « وجئت في أثره (بفتحين) وإثره (بكسر الهمزة والسكون) » واقتصر على ذلك.

١٩ ــ وقال في « ابل » يذكر الابل: « وإذا ثني أو جمع فالمراد قطيعان أو قطيعات » وقال في « غنم »: وقد تجمع على أغنام على معنى قطعانات ».
ولم يذكر الجمعين المذكورين للقطيع أي « القطيعات والقطعانات » في « قطع » بل اقتصر على « القطعان ».

٢٠ ــ وقال في « ابل » أيضا: « وكذلك اسماء الجموع نحو أبقار

(11) الصواب «فيما يبيض وما يولد» بتكرار «ما» الموصولة لثبوت التغاير بين البائض والوالد فالتغاير يوجب تكرار الاسم الموصول، كقوله تعالى « يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ».

وأغنام » جمع البقر على « الابقار » ولكنه لم يذكر هذا الجمع في مادته « بقـــر » .

٢١ ـ وقال في « أبو » : « والأبوّة مصدر من الاب مثل الامومة مصدر من الام والاخوة والعمومة والخؤولة» . ولم يذكر معنى «المصدر» في «صدر» ولا الاخوّة في «أخو» ولا الخؤولة بذلك المعنى في « خول » وإنما قال : « وربما جمع الخال على خؤولة » .

٢٢ ـ وقال في « أتن » : « والأتون ، وزان رسول ، قال الازهري : هو للحمام والجِصاصة » . وظاهر الجصاصة أنها صناعة الجصاص ، مأخوذة من الجص كالبوابة من الباب ، ولم يذكر الفيومي الجصاصة في « جص » وعلى حسبان أنها قياسية يبقى للسماع فضل على القياس .

٢٣ ـ وقال في « أثر » : « وأثّرت فيه تأثيرا : جعلت فيه أثرا وعلامة، فتأثر أي قبل وانفعل » . ولم يذكر « انفعل » في مادته « فعل » ، واستعمل الانفعال في «عجب» ناقلاً قال : وقال بعض النحاة : التعجب انفعال النفس لزيادة وصف » .

٢٤ ـ وقال في « أخو » : « والآخية بالمد والتشديد : عروة تربط الى وتد مدقوق وتشد فيها الدابة » . ولم يذكر في « ربط » أنه يقال « ربطت الشيء إلى الشيء » .

٢٥ ـ وقال في « أدب » : « الادب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان في فضيلة من الفضائل » أي يتعلم بها ويحذق ، ولم يذكر « تخرّج » بهذا المعنى في « خرج » ولا ذكره بمعنى « تأول وتوجه وكان له وجه » مع أنه قال في الكلام على « إلى » : « وعليه يتخرج قول القائل : « أنت طالق الى سنة . والتقدير عند سنة أي عند رأسها » . وآخر القول أنه لم يذكر « تخرّج » البتة .

٢٦ ـ وقال في الكلام على « أذربيجان » : « إقليم من بلاد العجم

وقاعدة بلاد تبريز » • وقال في الكلام على « مأرب » : وكانت في الزمان الاول قاعدة التبابعة » مُريدا بالقاعدة « القصبة » ولكنه لم يذكر للقاعدة هذا المعنى في « قعد » بل ذكر قواعد البيت قال : « وقواعد البيت اساسه، الواحدة قاعدة » •

٢٧ ـ وقال في مادة « اذن » : « ويقال للرجل ينصح القوم بطانة : هو أذن القوم » • وقال في « غش » : « غشه غشاً من باب قتل ••• لم ينصحه » • وقد عدّى « نصح » بنفسه في العبارتين ، مع أنه قال في نصح: « نصحتُ لزيد أنصح نُصحاً ونصيحة ، هذه اللغة الفصيحة ، وعليه قوله تعالى : إن أردتُ أن أنصح لكم ، وفي لغة يتعدى بنفسه فيقال نصحته » فلماذا ترك الفصيحة ؟ لأنه نسي فصاحتها •

٢٨ ـ وقال في الكلام على « إذا » : « ومعناه اختصاصها بالحال الا اذا علقها على شيء في المستقبل » • ولم يذكر « علقه عليه » في « علق » بل قال : « وعلقت الشيء بغيره وأعلقته » بالتشديد والالف ، فتعلق » •

٢٩ ـ وقال في « أرخ » : « ويعتبر التاريخ بالليالي لان الليل عند العرب سابق على النهار ، لانهم كانوا أميين ••• » • ولم يذكر في «سبق» إلا ما يفيد أنه يتعدى بنفسه كما جاء في القرآن الكريم « سبقونا » و « يسبقونه » و « سابق النهار » •

٣٠ ـ وقال في « أشف » : « وليس في كلامهم إفْعَل إلا الاشفى وإصبع ، في لغة ، وإبين في قولهم عدن ابين ، وينون على الثاني دون الاول لأجل ألف التأنيث » •

استعمل « لأجل » بمعنى « من أجل » ولم يذكر الوجه الاول في « أجل » بل قال : « ويقال من أجله كان كذا أي بسببه » • واقتصر عليه• وعجبت من استعماله غير الفصيح ونسيانه ما نقله فقد كرر ذلك في « حرف»

قال : « وقوله تعالى : إلا متحرفا لقتال . أي إلا مائلا لأجل القتال لا مائلا هزيمة » . وقال في « ذو » : ولأجل ذلك قال ابن برهان من النحاة : قول المتكلمين : ذات الله جهل » . وقال في « رمن » : « مفتوحة لأجل هاء التأنيث » . قال ذلك وكأنه لا يعرف للتعبير الفصيح وجودا .

٣١ ــ وقال في الكلام على « إلى » : « وبنو الحارث بن كعب وخثعم بل وكنانة يقلبون الالف » وقد والى بين « بل » و « الواو » . وهذا خطأ لأنه لا يجوز له الجمع بين هذين الحرفين على الولاء ، وخصوصا في كونهما حرفي عطف ، فهو الذي قال في الكلام على « لا » : « وكذلك لا يجوز وقوعها أيضا بعد حروف الاستثناء فلا يقال : قام القوم إلا زيداً ولا عمرا . وشبه ذلك ، وذلك لأنها للاخراج مما دخل فيه الاول ، والاول هنا منفي ، ولأن الواو للعطف ولا للعطف ولا يجتمع حرفان بمعنى واحد » . فقوله « بل وكنانة » اجتمع فيه حرفان بمعنى واحد سواء آكانا حرفي عطف أم حرفي استئناف ، وشذّ من القاعدة التي ذكروها في قولهم « ما إن فعل » في الشعر خاصة ، باجتماع « ما » و « إن » وهما للنفي .

٣٢ ــ وقال في «أنف» : «واستأنفتُ الشيء : أخذت فيه وأبتدأته» . ولم يذكر « ابتدأه » في « بدأ » بل قال : « بدأت الشيء وبالشيء أبدأ بدءاً ، بهمز الكل ، وابتدأت به » .

٣٣ ــ وقال في الكلام على « إنْ » : « وقد تتجرد عن معنى الشرط فتكون بمعنى لو نحو : صلِّ وإن عجزت عن القيام ... أي صل سواء قدرت على القيام أو عجزت عنه » . ولم يذكر في « جرد » : « تجرد الشيء عن الشيء » بل ذكر « تجرد منه » . قال : « وجرّدته من ثيابه بالتثقيل نزعتها عنه ، وتجرد هو منها » .

٣٤ ــ وقال كما نقلنا في النقدة الثالثة والثلاثين « صلِّ سواء قدرت على القيام أو عجزت عنه » وهذا موضع « أم » قال هو في « أم » :

« ويجب أن يعادل ما بعدها ما قبلها في الاسمية والفعلية ، فان كان الاول إسماً أو فعلا كان الثاني مثله نحو : أزيد قائم أم قاعد ، وأقام زيد أم قعد، لأنها لطلب تعيين أحد الامرين » والدليل على وهم المؤلف قوله تعالى « سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم » •

٣٥ ــ وقال في « بتّ » : « وبتّ شهادته وأبتّها بالالف : جزم بها » • ولم يذكر في جزم أنه يقال « جزمَ به » حتى يفهم القاريء مراده بجزم بها •

٣٦ ــ وقال في « ألم » : « وألملم ديار كنانة ، ويبدل من الهمزة ياء فيقال يلملم » • ولم يذكر في « بدل » أنه يقال « أبدل من الشيء كذا » بل قال : « وأبدلته بكذا إبدالاً : نحّيت الاول وجعلته مكانه » • وقال في « اتكأ » : « وسيأتي تمامه في الواو فان التاء في هذا الفعل مبدلة من واو » •

٣٧ ــ وقال في « تبل » : « يقال : توبلت القدر إذا أصلحته بالتابل »• مع أن القدر موءنثة قال هو في « قدر » : « والقدر آنية (كذا أي إناء) يطبخ فيها الطعام وهي مؤنثة » • فهو مخطيء • بحكم قوله ، غير أن أبا زيد القرشي المجهول السيرة وموءلف جمهرة أشعار العرب قال فيها (ص ١٩٢) : « والقمقم : القدر الصغير » • والظاهر أن المتأخرين جوزوا تذكير القدر وهي كذلك في اللغة العامية العراقية ، فمن المتأخرين عزالدين ابن أبي الحديد ، قال : « وقيل لبعض من يخدم السلطان : لا تصحبهم فان مثلهم مثل قدر أسود كلما مسه الانسان اسودّ منه ، فقال : إن كان خارج تلك القدر أسود فداخلها أبيض »[١٢] •

فهو قد « ذَكَرَ » القدر على الوجهين التذكير والتأنيث في فقرة واحدة ، وجاء في تعاليق بعض الادباء المدمجة في الكامل في الادب لأبي العباس المبرد ، بعد قول الشاعر :

---

(١٢) شرح نهج البلاغة ٤ : ٣٧٠ (طبعة الحلبي الاولى) •

كأن الغطامط من جريها　　　آراجيز أسلم تهجو غفارا

قول المعلق : « وقعت الرواية (من جريها) وصوابه (من غليها) لأنه يصف قدراً فيه لحم فشبه غليان القدر وارتفاع اللحم فيه بالموج الذي يرتفع » [١٣] .

٣٨ ـ وقال في « تفث » : « تفِثَ تَفَثاً فهو تَفِثٌ مثل تعِب تَعَباً فهو تعِب : إذا ترك الادهان والاستحداد فعلاه الوسخ » . وقال في « شعث » : « والشعث أيضاً : الوسخ ، ورجل شعِث : وسخ الجلد . شعث الرأس أيضاً ، وهو أشعث أغبر أي من غير استحداد ولا تنظف[١٤] » . وقال في « عون » : « وقال ابن السكيت وابن الاعرابي : استعان واستحدّ : حلق عانته » . ولم يذكر « استحد » ولا مصدره الاستحداد في « حد » فتأمل ذلك .

٣٩ ـ وقال في « تكك » : « التكة معروفة والجمع تكك مثل سدرة وسدر ، قال ابن الانباري : وأحسبها معرّبة . واستتك بالتكة : أدخلها في السراويل » . جاء بأدخل على الاصل ، ولكنه قال في « دخل » : « دخلت الدار ونحوها دخولاً : صرت داخلها فهي حاوية لك ... ويعدى بالهمزة فيقال: أدخلت زيداً الدار مدخلاً بضم الميم» ، ولم يذكر جواز «أدخله فيه» . والصحيح فيه ما ذكره الجوهري في الصحاح قال : « دخل دخولاً ، يقال: دخلت البيت ، والصحيح فيه أن تقديره : دخلت في البيت[١٥] ، وحذفت حرف الجرّ ، فانتصب انتصاب المفعول به لأن الامكنة على ضربين مبهم

(١٣) الكامل ٢ : ١٢٧ (طبعة الدلجموني الازهري) .

(١٤) قال في نظف : « وتنظف : تكلف النظافة » . ويصعب تصورنا تكلف النظافة في البدن دون تكلفها في الملابس . على انه لم يرد للتكلف في قوله الاعلى .

(١٥) تصحفت هذه الجملة في طبعة بلاد العجم الى « والصحيح فيه ان تريد دخلت الى البيت » . ولاخفاء في اختلاله .

ومحدود ، (فالمبهم) نحو جهات الجسم الست : خلف وقدام ويمين وشمال وفوق وتحت ، وما جرى مجرى ذلك من اسماء هذه الجهات ، نحو أمام ووراء ، وأعلى وأسفل وعند ولدن ووَسْط بمعنى بين ، وقبالة ، فهذا وما أشبهه من الامكنة يكون ظرفا ، لأنه غير محدود ، الا ترى أن خلفك قد يكون قداماً لغيرك . فأما المحدود الذي له خلقة وشخص وأقطار تحوزه كالجبل والوادي والسوق والمسجد والدار فلا يكون ظرفاً لأنك لا تقول: قعدت الدار ولا صليت المسجد ولا نمت الجبل ولا قمت الوادي وما جاء من ذلك فانما هو بحذف حرف الجر نحو دخلت البيت وصعدت الجبل ونزلت الوادي » .

ونحن نعتقد أن جميع ظروف المكان كانت مجرورة بحرف الجر « في » ثم اتسعت العرب في حذفه مع الظروف المبهمة ، وحافظت عليها مع الظروف المحدودة ، لأن المحدود يستلزم التقيد بالحدود ، وتحقيق الظرفية والحلول .

٤٠ ــ وقال في « جدب » : وجدبته جدباً من باب ضرب : عبته » . وقال في « جرح » : « وجرحه بلسانه جرحاً : عابه . وقال في « أثل » : « نحت أثلة فلان : إذا عابه وتنقصه » وعنى بقوله عبته وعابه : أتنقصه ورماه بالعيب ، إلا أنه لم يذكر في « عيب » هذا الاستعمال بل قال : « عاب المتاع عيباً من باب سار فهو عائب ، وعابه صاحبه فهو معيب » . وقديماً قال الشاعر :

أنا الرجل الذي قد عبتموه ... وما فيكم لعيَّاب مَعاب

وقال أسعد خليل داغر : « ويقولون : ولقد عابه بعضهم على قلة تدقيقه ، وفي كتب اللغة : عاب الشيء جعله ذا عيب ، ومنه في سورة الكهف (فأردتُ أن أعيبَها) يعني السفينة ، قال أبو الهيثم في تفسير أعيبها أي أجعلها ذات عيب . فالوجه ان يقال «عاب عليه فعله» لا «عابه على فعله»... وأما قول الشاعر : أنا الرجل الذي قد عبتموه ... فعلى تقدير مضاف أي

عبتم فعله »[16] .

وفي كلامه نظر . فلا جدال في صحة قولهم « عاب عليه فعله » أي نعاه عليه ، ولكنه لا مانع من قولهم « عاب فلاناً » أي تنقصه ورماه بالعيب ، كما ذكرنا آنفاً ، وقال لبيد بن ربيعة :

يتأكلون مغالة وخيانة ويُعاب قائلهم وإن لم يشغب[17]

واحتجاج أسعد داغر بأن التقدير « عبتم فعله » لا يؤيد قوله الاول . لأن معنى عبتم فعله « نسبتم اليه العيب » مع أن نصّ داغر يوجب أن يكون معناه « جعلتم فيه عيباً » مع أنهم لم يجعلوه ذا عيب ، وإنما كان العيب فيه من قبل ، وكيف ينكرون أمرا هم أحدثوه ؟! ولم يجيء « عابه » الذي بمعنى رماه بالعيب في الشعر وحده ، فقد جاء في أخبار صفين قول الامام علي : « فانما مردكم الى الله ، قال الله تعالى لقوم عابهم : لن ينفعكم الفرار ... »[18] . وقال معاوية بن أبي سفيان : « واعلموا أنهم أهل بيت لا يعيبهم العائب ولا يلصق بهم العار » . وقال : « فوالله ما رأيته قط جالسا عندي إلا خفتُ مقامه وعيبه لي »[19] . وقال المغيرة بن شعبة: « والله ما أعيبه في قضية بخون ولا في حكم بميل »[20] وقال الزبير بن بكار راويا : « فلم يترك عمرو بن العاص شيئا يعيبه به إلا قاله »[21] . والشواهد على صحة « عابه » من النثر والشعر كثيرة جدا[22] ، وإنما

---

(16) تذكرة الكاتب ، ص ١٠١ .

(17) البيان والتبيين ١ : ٢٦٧ (طبعة عبدالسلام هارون) و ١ : ١٨٢ (طبعة السندوبي) .

(18) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ١ : ٤٨٣ .

(19) الشرح المذكور ٢ : ١٠١ .

(20) الشرح نفسه ٢ : ١٠٣ .

(21) الشرح نفسه ٢ : ١٠٤ .

(22) ومن ذلك قول معاوية لمحمد بن أبي بكر يعني عثمان : «فعبته أنت وصاحبك » . وقال له « فعب اباك بما بدا اودع » . (الشرح المذكور ١ : ٢٨٤) وقال طارق بن عبدالله النهدي :«ملكه عجبه وعاب اصحاب=

كان على أسعد داغر أن يقول : إن الفصيح أن يقال : « ولقد عابه بعضهم بقلة تدقيقه » بدلاً من «على تدقيقه» . فان فصحاء العرب قالوا « عابه بكذا وكذا » كما ذكرنا ، أما « عابه عليه » فقد قاله عبدالله بن مصعب . قال : « وأمير المؤمنين حدث أفتعيبونه على ذلك » [٢٣] .

٤١ ــ وقال في « ثنى » : « فكان في قوله (الحسن) احتراز عن غير الحسن » معديا الاحتراز بعَنْ ، ولم يذكر في « حرز » إلا « احترز منه » قال : « واحترز من كذا أي تحفظ » .

٤٢ ــ وقال في « ثنى » أيضا : « وتقدير الواحد ثَنى وزان سبب ثم عُوّض همزة وصل » . بتعدية « عوض » إلى مفعولين بنفسه ، ولم يذكر ذلك في « عاض » بل قال : « وعوّضني بالتشديد : أعطاني العوض وهو البدل والجمع أعواض » .

٤٣ ــ وقال في « ثنى » أيضا : « وإذا عاد عليه ضمير » وفي « كل » قال : « فيجوز أن يعود الضمير على اللفظ تارة » . ولم يذكر في « عاد » جواز أن يقال « عاد عليه » بل قال : « عاد الى كذا وعاد له أيضا » .

٤٤ ــ وقال في « جبر » : « والجبر وزان فلس خلاف القدر وهو

= رسول‌الله (ص) واستنقصهم» يعني معاوية، وقال ابن ابي الحديد « وممن فارق عليا حنظلة الكاتب ، خرج هو وجرير بن عبدالله البجلي من الكوفة الى قرقيسيا وقالا : لا نقيم ببلدة يعاب فيها عثمان » . (الشرح ١ : ٣٦٧ ، ٣٦٨) وقال يحيى بن عروة بن الزبير : « كنت اعجب من وصفه اياه بما وصفه ومن عيبه له » . (الشرح ١ : ٣٧١ وقال الضحاك بن قيس: «يشتمون ائمة الهدى ويعيبون أسلافنا الصالحين». (الشرح ١ : ١٥٦) ، وقال الطبري « ذكروا قرابات عثمان وما سوغهم من مال المسلمين وعابوا افعال عثمان » ، (الشرح ١ ، ١٦٠) وقال معاوية : « فما عبتم فيه من شيء فهذه يدي لكم به رهنا ». (الشرح ١ : ١٦١) .

(٢٣) تاريخ ابن النجار .

القول بأن الله يجبر عباده على فعل المعاصي ، وهو فاسد ... » . وعدّي القول بالباء بمعنى الاقرار والاعتقاد ، وكرر هذا المعنى في كتابه ولم يذكر في قال « قالَ به » أي اعتقده ودان بــه ، ولا فسّر معنى القول ، ونص كلامه « قال يقول قولاً ومقالة والقال والقيل اسمان منه لا مصدران قاله ابن السكيت ... » .

٤٥ ــ وقال في « جذر » : « الجذر : الاصل ... ومنه الجذر فــي الحساب وهو العدد الذي يضرب في نفسه ، مثاله تقول : عشرة في عشرة بمائة ، فالعشرة هي الجذر ، والمرتفع من الضرب يسمى المال » . وقال في « ضرب » : « والضرب في اصطلاح الحساب عبارة عن تحصيــل جملــة إذا قسمت على أحد العددين (المضروبين) خرج العدد الآخر ، أو (عبارة) عن عمل ترتفع منه جمله تكون نسبة أحد المضروبين إليه كنسبة الواحد الى المضروب الآخر » . وقد استعمل « المرتفع » بمعنى « حاصل الضرب » و « ارتفع » بمعنى « حَصَل » . ولم يذكر « ارتفع » في رفع أصــلاً ولا « المرتفع » .

٤٦ ــ وقال في « جعر » والجِعرانة : موضع بين مكة والطــائف وهي على سبعة أميال من مكــة ، وهي بالتخفيف ... وعن ابن المديني : العراقيون يثقلون الجعرانة والحديبية ... وليس للتثقيل ذكر في الاصول المعتمدة عن أئمة اللغة إلا ما حكاه في المحكم تقليداً له في الحديبية » . ولم يذكر في « قلد » التقليد بهــذا بل قال : « قلّــدت المــرأة تقليــدا : جعلت القلادة في عنقها ، ومنه تقليد الهدي ... وتقليد العامل توليته كأنه جعل قلادة في عنقه وتقلدت السيف ... » .

٤٧ ــ وقال في « سرع » : « أسرع في مشيه وغيره إسراعا . والاصل أسرع مشيه ، وفي زائدة . وقيل الاصل أسرع الحركة في مشيه ، وأسرع إليه أي أسرع المضيّ إليه » . ولم يذكر جواز استعمال الاصل ، أعنــي « أسرَعه » مع أنه قال في « جفل » : « وجفلوا جفــلاً مــن باب قتــل

إذا أسرعوا الهربَ » . وقال في « جهز » : « وجهزت على الجريح ... إذا أتممت عليه وأسرعت قتله » . وقال في « خب » : « وخبَّ في الامر ... أسرع الاخذ فيه » .

٤٨ ــ وقال في « غَطا » : « غطوت الشيء أغطوه وغَطَيْتُه أغطيه من بابي علا ورمى ، والتثقيل (غطَّيته) مبالغة » . ولم يذكر « غطيت عليه تغطية » باستعمال « على » بدلاً من تعديته بنفسه ، مع أنه قال ناقلا في « جلّ » : وجلل المطر الارض بالتثقيل : عمّها وطبقها فلم يدع شيئاً إلا غطى عليه ، قاله ابن فارس في متخير الالفاظ » .

٤٩ ــ وقال في « جمع » : « ويقال المزدلفة جمع إما لأن الناس يجتمعون بها وإما لأن آدم اجتمع هناك بحواء » . وقال في « صاع » : « حكي أن أبا يوسف لما حج مع الرشيد فاجتمع بمالك في المدينة » ، ولم يذكر أنه يقال « اجتمع فلان بفلان » وإنما قال: «واجتمع القوم واستجمعوا بمعنى تجمعوا » . و « اجتمع به » عبارة مولدة وتمثل تطوُّر « افتعل » للاشتراك ، فقد قالت العرب قديما « اجتمع فلان و فلان » بالعطف بالواو ، وقالت « اجتمع الرجلان والرجال » بالتثنية والعطف ، و « اجتمعا واجتمعوا » بما ينوب عن التثنية والجمع ثم قال المولدون « اجتمع فلان مع فلان» و «اجتمع فلان مع القوم» « واجتمع معه » ثم قالوا «اجتمع به» نحو «اتصلا واتصل به واتحدا واتحد به واشتبها واشتبه به والتبساوالتبس به وامتزجا وامتزج به واختلطا واختلطا به » وفي هذه الايام قالوا « اصطدم بــه » قياسا على ذلك ، مع أن الاصطدام يوءدي الى الدفع والضرب .

٥٠ ــ وقال في « جهز » وقد نقلناه آنفاً : « وأجهزتُ عليه إجهازاً إذا أتممت عليه وأسرعت قتله » . ولم يذكر في « تمّ » هذا المعنى بل قال : « تمَّ يتمّ بالكسر : تكمّلت أجزاؤه .. ويعدّى بالهمزة والتضعيف فيقال: أتممته وتممته » . ولم يذكر « أتمّ عليه » الذي نقلنا استعماله إياه فــي كلامه على الاجهاز .

٥١ ـ ونقلنا في النقدة الخمسين قوله « تكملت أجزاؤه » • ولم يذكر في « كمل » هذه الصيغة ، وإنما ذكر من المزيد « تكامل واكتمل وأكمل وكمل واستكمل » فتأمل ذلك •

٥٢ ـ وقال في « جور » : « والجارة : الضرّة قيل لها جارة استكراهاً للفظ الضرة » • وقال في « حب » : « وكان القياس أن يجمع (الحبيب) جمع شرفاء[٢٤] ، ولكن استكره لاجتماع المثلين » • ولم يذكر «استكره» ولا مصدره الاستكراه في « كره » وإنما ذكر « كرُه كراهة ، كُرهاً وأكرهه على الامر إكراهاً » ، فأستكرهه معناه وجده كريهاً •

٥٣ ـ وقال في « حجز » : « وحُجزة السراويل : مجمع شدّه » • وقد ذكر السراويل ، ولكنه قال في مادة سرول : « السراويل ••• أنثى وبعضهم يذكر فيقول : هي السراويل وهو السراويل ، وفرّق في المجرد بين صيغتي التذكير والتأنيث ، فيقال : هي السراويل وهو السروال » فهو قد استعمل الوجه الضعيف •

٥٤ ـ وقال في « حجم » : « وأحجمتُ عن الامر ، بالالف : تأخرت عنه ، وحجمني زيد عنه في التعدّي ، من باب قتل ، عكس المتعارف » [٢٥]•

(٢٤) الصواب « وكان القياس أن يجمع جمع شريف » . لان شرفاء جمع فكيف يجمع كجمعه ؟!

(٢٥) قال في الخاتمة المفيدة من كتابه (ص ١٠٦٤) : وقد جاء قسم تعدى ثلاثيه وقصر رباعيه عكس المتعارف نحو أجفل الطائر وجفلته ، واقشع الغيم وقشعته الريح ، وانسل ريش الطائر اي سقط ونسلته وأمرت الناقة ، در لبنها ومريتها . واظأرت الناقة : اذا عطفت على بوها ، وظأرتها ظأرا : عطفتها ، واعرض الشيء : اذ ظهر ، وعرضته : أظهرته، وانقع العطش : سكن ، ونقعه الماء : سكنه ، واخاض النهر وخضته ، واحجم زيد عن الامر : وقف عنه وحجمته ، واكب على وجهه وكببته ، واصرم النخل والزرع وصرمته اي قطعته ، وامخض اللبن ومخضته ، واثلثوا : اذا صاروا بانفسهم ثلاثة» : وثلثتهم : صرت ثالثهم وكذلك الى العشرة، وابشر الرجل بمولود: سر به وبشرته... وافهم كلام بعضهم=

والمتعارف في هذه الجملة وفيما نقلناه من كلامه في الحاشية ، مشتق من « تعارفه الناس » ولم يذكر « تعارف » في مادة « عرف » ولا « تعارفا » بمعنى عرف أحدهما الآخر ، وانما ذكر « عرفه وعرّفه تعريفاً واعترف» ولم يذكر صيغة « تفاعل » منه •

٥٥ ــ وقال في « أبر » : « قال أبو حاتم السجستاني في كتاب النخلة: اذا انشق الكافور قيل شقق النخل » ولم يذكر « شقق النخل » في «شق» بل ذكر « شقه وشق عليه ، وشاقه مشاقة وشقاقاً » •

٥٦ ــ وقال في « إبل » : « والابل بناء نادر ، قال سيبويه : لم يجيء على فِعِل بكسر الفاء والعين من الاسماء إلا حرفان : إبل وحبر وهو القلح ••• » • وهذا القول يقتضي كسر الحاء والباء من « حِبِر » ولكنه لم يذكر في شرح « قلح » إلا قوله « قَلِحت الاسنان قلحا من باب تعِب تغيرت بصفرة أو خضرة ••• والقلاح وزان غراب أسم منه » •

٥٧ ــ وقال في « إبل » أيضا في إتمام ما نقلته في النقدة السادسة والخمسين « ••• ومن الصفات إلاّ حرف وهي امرأة بلزّ وهي الضخمة » ولم يذكر « البلز » ، ولا مادة « بلز » في كتابه •

٥٨ ــ وقال فيها « إلاّ حرف » يعني كلمة ولم يذكر في « حرف » أن الحرف يطلق على الكلمة •

٥٩ ــ وقال في « أبن » : « والآبُنوس بضم الباء : خشب معروف وهو معرب ويجلب من الهند واسمه بالعربية سأسم بهمزة وزان جعفر » • ولم يذكر « السأسم » في بابه من كتابه •

= ان ذلك على معنيين فقولهم : انسل الريش واخاض النهر ونحوه معناه، حان له ان يكون كذلك ، فلا يكون مثل اقام زيد واقمته ، وقد نصوا في مواضع على ذلك ... » . والوجه الاخير الذي ذكره هو الصواب فالهمزة للحينونة في الافعال التي تحتاج الى زمان وقد تأتي للدخول في المكان في غير هذه الافعال نحو « اشأم » .

٦٠ ــ وقال في « أبى » : « أبى الرجل يأبى إباءاً بالكسر والمد وإباءة ... وبناؤه شاذ لأن باب فعل يفعَل بفتحتين يكون حلقي العين أو اللام ، ولم يأتِ من حلقي الفاء إلا أبى يأبى وعض يعض في لغة وأث الشعر يأث إذا كثر والتف ... » ولم يذكر « أث الشعر يأث » في مادة « أثّ » من مصباحه .

٦١ ــ وقال في « أتى » ، « وطريق ميتاء ، على مفعال ... والمعنى يأتيها الناس كثيرا ، مثل دار محلال أي يحلها الناس كثيرا » ولم يذكر « المحلال » في « حلّ » من كتابه .

٦٢ ــ وقال في « أجر » : فيقال : آجرت زيدا الدار وآجرت الدار زيدا ، على القلب مثل أعطيت زيدا درهما ، وأعطيت درهما زيدا » . ولم يذكر وجه القلب للعبارة في « عطا » من كتابه بل قال : « ويتعدى الى ثان بالهمزة فيقال : أعطيته درهما » .

٦٣ ــ وقال في « أجن » : « والاجانة بالتشديد إناء يغسل فيه الثياب والجمع أجاجين . والانجانة لغة تمتنع الفصحاء من استعمالها . ثم استعير ذلك وأطلق على ما حول الغراس فقيل في المساقاة : على العامل إصلاح الأجاجين . والمراد ما يحوّط على الاشجار شبه الاحواض » ، ولم يذكر « المساقاة » ولا فعلها في « سقى » من الكتاب .

٦٤ ــ وقال في « أدم » : « الأديم : الجلد المدبوغ ، والجمع أَدَم بفتحتين ، وبضمتين أيضا وهو القياس ، مثل بريد وبرد » . ثم قال في أفق : « الأفيق : الجلد بعد دبغه والجمع أَفَق بفتحتين ، وقيل : الأفيق الأديم الذي لم يتم دبغه ، فاذا تمّ واحمر فهو أديم » . وبين القولين فرق ظاهر كان عليه أن ينبه عليه في « أدم » وهو أن الجلد الذي لم يتم دبغه يجوز أن يسمى « أديماً » . مع أنه قال في تعريفه « الجلد المدبوغ » يعني الكامل الدبغ ، وذلك أنه لا يقال له « مدبوغ » إلا بعد دبغه .

٦٥ ــ وقال في « أكم » : « الأكمة : تل وقيل شرفة كالرابية والجمع أكم وأكمات مثل قصبة وقصب وقصبات ، وجمع الأكم إكام جبل وجبال ، وجمع الاكام أكُم بضمتين مثل كتاب وكتب ، وجمع الأكُم آكام مثل عنق وأعناق » . قلت : لم يصب الفيومي ــ رح ــ في جمع « الأكُم بضمتين على آكام ، فان الأكمة على وزن الأجمة ، وقد قال في « آجم » : « الأجمة: الشجر الملتف ، والجمع أَجمَ مثل قَصبة وقَصَب ، والآجام جمع الجمع » يعني أن الأجمة جمعت جمعاً جنسيا على « أكم» بفتحتين ، وجمعت «أكم» على آكام كخشب وأخشاب ، وعلى هذا يكون « الآكام » جمع « الأكم » بفتحتين ، ويكون الأكم جمع جنس لأكمة .

٦٦ ــ وقال في «ألك» : «ألكَ بين القوم ألكاً من باب ضرب وألوكاً أيضا : تَرَسَّل » . ويعني بترسَّل « صار رسولاً وأحمل رسالة » . ولم يذكر « ترسَّل » بهذا المعنى في « رسل » بل قال : « ترسَّل في قراءته بمعنى تمهَّل فيها » ونقل قول اليزيدي : إن الترسل والترسيل في القراءة هو التحقيق بلا عجلة .

٦٧ ــ وقال في « أمّ » : « فقيل (الأميّ) نسبة الى الأم لأن الكتابة مكتسبة فهو على ما ولدته أمه من الجهل بالكتابة» وقد عدّى الجهل بالباء، ولم يذكر هذا الوجه في « جهل » بل قال : جهلت الشيء جهلاً وجهالة : خلاف علمته . « وجهل الحق : أضاعه » . ولم يذكر « تجاهل » مع أنه استعمله في « إنْ » .

٦٨ ــ وقال في « أمن » : « والموجود في مشاهير الاصول المعتمدة »: ولم يذكر المشاهير جمع المشهور في مادة « شهر » .

٦٩ ــ وقال في « أمن » : « وهذا لا يرتبط بما قبله فافهمه » . ولم يذكر « ارتبط » في « ربط » ، وقال ابن كمال باشا : « المرتبط . قول الناس : فلان مرتبط بكذا ، على البناء للفاعل خطأ والصحيح (مرتبط بكذا)

على بناء المجهول[٢٦] ، لأن ارتبط متعـد كربط ، كما اتفقت عليـه أئمة اللغـة » [٢٧] .

٧٠ ـ وقال في « بثر » : « وبثُر الجلد مثل قرُب لغـة ثالثة [٢٨] ، وتَبثر الجلد : تنفّط » .. ولم يذكر « تنفط » في مادة « نفط » قـال : « ويقال : نفطت يـده نفطاً مـن باب تِعب ونفيطاً إذا صـار بين الجلـد واللحم ماء » .

٧١ ـ وقال في « بدع » : « قوله تعالى : وما كنت بدعاً من الرسل . أي ما أنا أول من جاء بالوحي من عند الله ـ تعالى ـ وتشريع الشرائع » . ولم يذكر في « شرع » التشريع ولا فعله « شرّع » بتشديد الراء ، بل قال: « وشرع الله لنا كذا يشرعه : أظهره وأوضحه ، والمشرعة بفتح الميم والراء : شريعة الماء » .

٧٢ ـ وقال في « بضع » : « وبضع في العدد بالكسر ، وبعض العرب بفتح، واستعماله من الثلاثة الى التسعة ، وعن ثعلب من الاربعة الى التسعة، يستوي فيه المذكر والمؤنث ، فيقال : بضع رجال وبضع نسوة ، ويستعمل أيضا من ثلاثة عشر الى تسعة عشر ، لكن تثبت الهاء في بضع مع المذكـر وتحذف مع المؤنث كالنيّف ، ولا يستعمل فيما زاد على العشرين ، وأجازه بعض المشايخ فيقول : بضعة وعشرون رجلاً وبضع وعشرون امرأة وهكذا ، قاله أبو زيد » . فقوله : « لكن تثبت الهاء في بضع مع المذكر وتحذف مع الموءنث كالنيف» غير واضح فانّ «النيف» لا تلحقه الهاء ، وليس له قول خاص فيه فنقول بجواز ما ذهب إليه ، قال : « النيف : الزيادة ، والتثقيل أفصح ، وفي التهذيب : وتخفيف النيف عند الفصحاء لحن ، وقـال أبو العباس : الذي حصلناه من أقاويل حُذاق البصريين والكوفيين أن النيف

(٢٦) في نسخة اخرى : « على بناء المفعول » .

(٢٧) التنبيه على غلط الجاهل والنبيه ، ص ٢٣ .

(٢٨) الاولى « بثر » كقتل والثانية «بثر » كتعب .

من واحد الى ثلاث ، (كذا) والبضع من أربع الى تسع ، ولا يقال (نيف) إلا بعد عقد نحو عشرة ونيف ومائة ونيف وألف ونيف » • وأهمل قولهم « نيف وعشرون رجلاً » •

وقال الجوهري في الصحاح : « وبضع في العدد بكسر الباء ، وبعض العرب يفتحها وهو ما بين الثلاث الى التسع تقول منه : بضع سنين وبضعة عشر رجلاً وبضع عشرة إمرأة ، فاذا جاوزت لفظ العشـر ذهب البضع ، لا تقول : بضع وعشرون » • وقال : « النيّف : الزيادة ، يخفف ويشدد ، وأصله من الواو ، يقال : عشرة ونيف ومائة ونيف ، وكل ما زاد على العقد فهو نيف حتى يبلغ العقد الثاني » •

وقال المطرزي في المغرب : « والبضع بالكسر ما بين الثلاثة الى العشرة وعن قتادة إلى التسع أو السبع يستوي فيه المذكر والمؤنث ، وهو من البضع أيضاً لأنها قطعة من العدد وتقول في العدد المنيف : بضعة عشر وبضع عشرة بالهاء في المذكر وبحذفها في المؤنث ، كما تقول : ثلاثة عشر رجلاً ، وثلاث عشرة أمرأة ، وكذا بضعة وعشرون رجلاً ، وبضع وعشرون امرأة » • وقال: «النيف بالتشديد ، كل ما بين عقدين ، وقد يخفف وأصله من الواو ، وعن المبرد : النيف من واحد الى ثلاث (كذا) وفي الحديث أنه ــ ص ــ ساق مئة بدنة ، نحر منها نيفاً وستين وأعطى علياً الباقي • وفي شرح الآثار :••• ثلاثاً وستين ، ونحر علي ــ رض ــ سبعاً وثلاثين » •

٧٣ ــ وقال في « بغداد » : « لأن بناء فعلال بالفتح باب المضاعف••• ولم يجيء في غير المضاعف إلا : ناقة بها خزعال وهو الظَّلَع ، وقسطال وهو الغبار » • ولم يذكر « الخزعال » في موضعه مـن المصباح المنير ، ولا ذكر « القسطال » في محله منه •

٧٤ ــ وقال في « بر » : وبررت والدي أبره براً وبروراً : أحسنت الطاعة إليه (كذا) ورفقت به وتحريت محابّه » • ولم يذكر « المحاب » في « حبّ » من مصباحه • وهي ما يحبّه من الأمور والشؤون •

٧٥ ـ وقال في « برن » : « يبرين وزنه يفعيل ... وهو نادر في الاوزان ، ومثله يقطين ويعقيد وهو عسل يعقد بالنار ، ويعضيد وهو بقلة مرة لها لبن لزج وزهرتها صفراء » ، ولم يذكر « اليعقيد » في « عقد » ولا اليعضيد في « عضد » .

٧٦ ـ وقال في « بلغ » : « لزمه ذلك بالغاً ما بلغ ... من قولهم : بلغت المنزل إذا وصلته » . وقد عدّى وصل وهو فعل الوصول بنفسه ، ولم يذكر ذلك في « وصل » ، بل قال : « وصلت إليه أصِلُ وصولاً » . وذكر تعديته بنفسه في « صوب » قال : أصاب السهم إصابة : وصل الغرض » .

٧٧ ـ وقال في « بلى » : « وقولهم : لا أباليه ولا ابالي به أي لا أهتم به ولا أكترث له ... والاصل فيه قولهم : تبالى القوم اذا تبادرُوا الى الماء القليل فاستقوا ، فمعنى لا ابالي : لا أبادر : إهمالاً له »، ولم يذكر في « بدر » « تبادر » بل قال : « بدر الى الشيء بدوراً وبادر اليه مبادرة وبداراً » .

٧٨ ـ وقال في « أوى » : وابن آوى ... التثنية والجمع ابنا آوى وبنات آوى » . ولم يذكر للجمع وجهاً آخر ، ولكنه قال في « بنو » : « وأما غير الأناسي مما يعقل نحو ابن المخاض وابن اللبون فيقال في الجمع بنات مخاض وبنات لبون وما أشبهه ... وفي ابن عرس بنات عرس وفي ابن نعش بنات نعش . وربما قيل في ضرورة الشعر بنو نعش ، وفيه لغة محكية عن الاخفش أنه يقال : بنات عرس وبنو عرس وبنات نعش وبنو نعش » ، وعلى هذه اللغة يجوز أن يقال « بنو آوى » .

٧٩ ـ وقال في « بات » : « تقول : بات يرعى النجوم . ومعناه ينظر اليها . وكيف ينام من يراقب النجوم » ولم يذكر « المراقبة » بمعنى الملاحظة في « رقب » بل قال : « وراقبت الله خفت عذابه ، وأرقبت زيدا الدار ارقاباً، والاسم الرُقبى ، وهي من المراقبة ، لأن كل واحد يرقب موت صاحبه لتبقى له » . فهو يستعمل المراقبة بمعنى الملاحظة ولا يعترف بها فعلاً

مستقل المعنى ، وقد استعمل المراقبة بمعنى الخوف والخشية في « عين » من المصباح أيضاً قال : « وفي حديث أنه ليغان على قلبي كناية عن الاشتغال عن المراقبة بالمصالح الدنيوية ، فانها وان كانت مهمة فهي في مقابلة الامور الاخروية كاللهو عند أهل المراقبة » .

٨٠ ــ وقال في « تكأ » : « اتكأ وزنه افتعل ، ويستعمل بمعنيين احدهما الجلوس مع التمكن والثاني[٢٩] القعود مع تمايل معتمدا على أحد الجانبين » . ولم يذكر « التمايل » ولا فعله تمايل في « مال » من كتابه .

وقال في « تلد » : « ويقال التالد والتليد والتلاد كل مال قديم ، وخلافه الطارف والطريف » . ولم يذكر « الطارف » بهذا المعنى في «طرف» ، بل قال : « الطريف : المال المستحدث وهو خلاف التليد ، والمطرف ثوب خز له أعلام ... » .

٨٢ ــ وقال في « تلع » : « والتلعة أيضا ما انهبط من الارض ... » . ولم يذكر في هبط « انهبط » .

٨٣ ــ وقال « توم » : « التوم وزان قفل حب يعمل من الفضة الواحدة تومة » . ولم يذكر في «حب» أنّ الحب يكون صناعيا أي مصنوعا

---

(٢٩) الصواب «الآخر» لان الاحد بمعنى واحد منهما أيا كان ، الاول أو الثاني، قال هو في « وحد » من مصباحه « ويكون مرادفا لواحد في موضعين سماعا : احدهما وصف اسم الباري تعالى فيقال هو الواحد وهو الاحد لاختصاصه بالاحدية فلا يشركه فيها غيره ، ولهذا لا ينعت به غير الله تعالى فلا يقال : رجل احد ولا درهم احد ونحو ذلك ، والموضع الثاني (كذا والصواب : الاخر) اسماء العدد للغلبة وكثرة الاستعمال فيقال احد وعشرون وواحد وعشرون ، وفى غير هذين يقع الفرق بينهما في الاستعمال بأن الاحد لنفي ما يذكر معه فلا يستعمل الا في الجحد لما فيه من العموم نحو ما قام أحد ، او مضافا نحو ما قام احد الثلاثة ... قالوا : واذا نفي أحد اختص بالعاقل واطلقوا فيه القول وقد تقدم أن الاحد يكون بمعنى شيء ، وهو موضوع للعموم فيكون كذلك ... » . قلت : ان قصره على الجحد والاضافة معارض بقوله تعالى : « وان احد من المشركين استجارك فأجره » . فالشرط كالنفي .

بل قال « والحب : اسم جنس للحنطة وغيرها مما يكون في السنبل والأكمام والجمع حبوب مثل فلس وفلوس ، الواحدة حبة وتجمع على حبات، على لفظها ، وعلى حباب مثل كلبة وكلاب » .

٨٤ ـ وقال في « ثعل » : « ثَعِلَ ثَعَلا من باب تعب: اختلفت منابت أسنانه وتراكب بعضها على بعض » . ولم يذكر في ركب « تراكب » .

٨٥ ـ وقال في « ثمّ » : « والثمام وزان غراب : نبت يُسد به خصاص البيوت ، الواحدة ثمامة » . ويعني بالخصاص كل خلل في بناء البيت تمر منه الريح أو ينفذ منه البصر ، ولم يذكره في «خص» من كتابه.

٨٦ ـ وقال في « جذب » : « وتجاذبوا الشيء مجاذبة : جذبه كل واحد الى نفسه » . وقوله « مجاذبة » خطأ والصواب « تجاذبا » لان مصدر تفاعل يتفاعل هو التفاعل ، ولو قال «جاذبه الشيء مجاذبة » لصح قوله : والظاهر انه استعجل في النقل ، وان الاصل الذي نقل هو « وجاذبه الشيء جذابا ومجاذبة ، وتجاذبوا الشيء تجاذبا » .

٨٧ ـ وقال في « جذا » : « الجذوة : الجمرة الملتهبة ، وتضم الجيم وتفتح ، فتجمع جذىً مثل مُدىً وقرى ، وتكسر ايضا فتكسر في الجمع مثل جزية وجزى » . فقوله « الملتهبة» يريد به الشديدة الاشتعال : ولم يذكر مادة « لهب » في كتابه أصلا .

٨٨ ـ وقال في « جرب » : « وفي كتاب المساحة للسموءل : اعلم أنَّ مجموع عرض كل ست شعيرات معتدلات يسمى إصبعاً ، والقبضة أربع أصابع والذراع ست قبضات وكل عشرة أذرع تسمى قصبة ، وكل عشر قصبات تُسمى أشلاً ، وقد سمي مضروب الاشل في نفسه جريباً ومضروب الاشل في القصبة قفيزا ، ومضروب الاشل في الذراع عشيرا ... ونقل عن قدامة الكاتب أن الاشل ستون ذراعاً ، وضرب الاشل في نفسه يسمى جريباً » ، وكرّر الاشل مرات كما رأيت ولكنه لم يذكره في كتابه في مادته.

٨٩ ـ وقال في « أذن » : « والأذان : اسم منه (من أذّن) والفَعال يأتي اسماً من فَعَّل بالتشديد مثل ودَّع وداعاً وسلّم سلاما وكلّم كلاما وزوَّج زواجا وجهّز جهازا » . ثم قال في « تبر » : « ويتعدى بالتضعيف فيقال:

تبره والاسم النبار ، والفعال بالفتح يأتي كثيرا من فَعَّل نحو كلم كلاماً وسلم سلاما وودّع وداعاً » . وفي خاتمة الكتاب قال : « وقوله تعالى : والله أنبتكم من الأرض نباتاً . قيل هو مصدر لمطاوع محذوف والتقدير: فنبتّم نباتاً ، وقيل وضع موضع مصدر الرباعي لقرب المعنى كما يقال: قام انتصابا . وقيل هو اسم للمصدر . وهذا موافق لقول الازهري فانه قال : كل مصدر يكون لأفعل فاسم المصدر فعال نحو أفاق فواقاً وأصاب صواباً وأجاب جواباً . أقيم الاسم مقام المصدر » . وكان على المؤلف أن يجمع بين هذه الاقوال ليستفيد القاري أنّ ما يشتق من الثلاثي من هذا الضرب ينوب عما يشتق من الرباعي من دون قصره على وزن واحد من أوزان الرباعي .

٩٠ ــ وقال في « جسر » : وأمرأة جسور أيضاً وقد قيل جسورة ، وناقة جسورة : مقدمة على سلوك الاوعار ، ولا يوصف الذكر بذلك » . ثم قال في « عدا » : « وقال (أبو علي القالي) في البارع : إذا كان فعول بمعنى فاعل استوى فيه المذكر والمؤنث فلا يؤنث بالهاء سوى عدو فيقال عدوّة » . وكان عليه أن يلم طرفي هذين القولين فقد حدث بينهما تناقض.

٩١ ــ وقد ذكر « الاوعار » المنقولة آنفاً من كتابه في النقدة التسعين ولم يذكرها في « وعر » بل قال : « الوعر : الصعب وزناً ومعنى وجبل وعر ومطلب وعر . ووَعر وعراً من باب وعد ، ووعر وَعَراً من باب تعب فهو وعير . ووعُر بالضم وعورة ووعارة » . هذا كل ما ذكره في هذه المادة . والوعر الذي ذكره هو المكان الصلب ضد السهل وقد نقل من الوصفية الى الاسمية وجمع على « الأوعار » .

٩٢ ــ وقال في « جسّ » : جسّه بيده جساً من باب قتل واجتسه ليتعرفه » ، ولم يذكر « تعرّفه » في مادة « عرف » وإنما ذكر « عرفه عرفةً وعرفاناً وعرّفه به تعريفاً وعرف عليهم عرافة واعترف بالشيء اعترافا وعرّفوا تعريفاً : وقفوا بعرفات » .

٩٣ ــ وقال في « جف » : « والتجفاف تفعال بالكسر : شيء تلبسه

الفرس عند الحرب كأنه درع والجمع تجافيف ... وقال ابن الجواليقي : التجفاف معرب ومعناه ثوب البدن . وهو الذي يسمى في عصرنا بركصطوان » ، قلت : الذي في المعرب لابن الجواليقي : « والتجفاف : فارسي معرب وأصله بالفارسية (تَن باه) أي حارس البدن » . وعلمنا بهذا النصّ أن مؤلف المصباح لم يحسن النقل وأن العبارة المفيدة « وهو الذي يسمى في عصرنا بركصطوان » من مضافاته وبيانه ، ولكنه لم يذكر « البركصطوان » في موضعه من كتابه . والصحيح أنه عرف بهذا الاسم قبل عصر الفيومي ، وتجوز فيه ثلاث لغات « بركصطوان وبركستوان وبركشتوان»[٣٠] وأحسب أن أصله بالفارسية « بركشتبان » أي حافظ لحم الصدر . وقد جاء ذكر « « البركصطوان » في حوادث سنة «٥١٣ هـ» في الوقعة التي جرت بين السلطانين سنجر بن ملكشاه السلجوقي وابن أخيه محمود بن محمد بن ملكشاه بصحراء ساوة من بلاد العجم الغربية ، قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي : « ... وبقي محمود في القلب بازاء سنجر، فزحف سنجر بالفيلة وعليها البركصطوانات وفيها المرايا اللامعة وعليها المقاتلة »[٣١] .

(٣٠) هكذا وجدته مشلرا اليه في دفتر من دفاتري وهو مرقوم ، «٢ ص ٤٢» وقد شذ عني اخيرا .

(٣١) جاء في مختصر مرآة الزمان ٨ : ٧٨ (من طبعة حيدر أباد) «البركصلوات» مع علامة الاستفهام ومن المشرفين على طبع هذا الكتاب الاستاذ المستشرق فريتس كرنكو ، فلم يهتد هو ولا لجنة التنقيح بعد التصحيح الى صحة اللفظ ، وفي هذه الطبعة أوهام كثيرة مختلفة الانواع ، كالذي ورد في الصفحة الثانية «هل انت منقذ شكوى من يدي زمني» والصواب « شلوي » وفي الصفحة ٧ « لو عاش العبيدي » والصواب « العبادي » وفي ص ١٢ « وكان قد اضر به قبل موته » والصواب « قد أضر قبل موته » أي عمي ، وفي ص ١٤ «عميق الملح فاحفظ فيه روحك» والصواب « عميق اللج » . وفي ص ١٥ « ولا دمعي سجال دما » والصواب ولا دمعي استحال دما » . وفي ص ٢٦ « يا آل باشدة ، يا آل عوف» والصواب « يا آل ناشرة »وفي ص ٢٧« فوض السلطان محمد الى معروف الخادم عمارة العراق » والصحيح « الى بهروز الخادم » . وفي ص ٥٤ «الشريف بن أبي الحسن» والصواب « ابن أبي الجن » بالجيم والنون .

٩٤ ــ وقال في ج ل ل وقد نقلناه ولم نذكر القاعــدة : « وجلّــل المطر الأرضَ بالتثقيل عمّها وطبقها فلم يدع شيئاً إلا غطى عليه . قاله ابن فارس » ولم يذكر في « غ ط ا » جواز أن يقال « غطى عليه » بمعنى غطاه تغطيــة وهو ســائغ كأمثاله من أفعال الاستيلاء والاستعلاء مثل « ختمــه وختم عليــه وعلاه وعلا عليه وعضه وعض عليــه وقبضه وقبض عليــه وقــد ورد في النثر فضلاً عن الشعر ، فمن ذلــك قول المبرد في خطبــة الكامل : « فان انعطفت عليــه جنيتا الكلام غطتا على عواره » وقال أحــد شعراء العصر الاموي :

قالت أتبصر مَن حولي فقلت لها غطى هواكِ وما ألقى على بصري

٩٥ ــ وقال في « جمع » : « وحمدت الله تعالى بجامع الحمــد أي بكلمات جمعت أنواع الحمد والثناء على الله تعالى » وقال في ح ص ى : « وقوله عليه السلام : لا أحصي ثناءاً عليك أنت كما أثنيت على نفسك » وقال في ح م د : « حمدته : أثنيت عليه » وقال في ق ر ض : « وتقارضا الثناء : أثنى كل واحــد على صاحبــه » . وقال في ط ر و « أطرأتــه : مدحتــه وأطريته : أثنيت عليــه عن السرقسطي » . وقــد استعمل « أثنى والثناء » لمطلق المدح من غير قيــد ولكنه قال في ث ن ى : « يُقــال: أثنيت عليه خيرا وبخير وأثنيت عليه شرا وبشــر ، لأنه بمعنى وصفتــه ، هكذا نص عليه جماعة منهم صاحب المحكم وكذلك صاحب البارع وعزاه الى الخليل ومنهم محمد بن القوطية وهو الحبر الــذي ليس فــي منقوله غمز ، والبحر الذي ليسَ في منقوده لمز ، وكأن الشاعر عناه بقوله :

إذا قالت حذامِ فصدقوهــا فــإن القول ما قالت حــذام

وقد قيل فيه : هو العالم النحرير ذو الاتقان والتحرير والحجة لمــن بعــده والبرهان الذي يوقف عنده . وتبعه على ذلك من عرف بالعدالــة، واشتهر بالضبط وصحة المقالة وهو السرقسطي وابن القطــاع ، واقتصــر جماعة على قولهم : أثنيت عليه بخير ، ولم ينفوا غيره ، ومن هذا اجترأ

بعضهم فقال : لا يستعمل إلا في الحسن ، وفيه نظر . لأن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفيه عما عداه ، والزيادة من الثقة المقبولة ، ولو كان الثناء لا يستعمل إلا في الخير كان قول القائل : أثنيت على زيد . كافياً في المدح ، وكان قوله : وله الثناء الحسن . لا يفيد الا التوكيد . والتأسيس أولى فكأن في قوله (الحسن) احترازاً عن غير الحسن فانه يستعمل في النوعين كما قال ، والخير في يديك والشر ليس إليك ، وفي الصحيحين : مروا بجنازة فاثنوا عليها خيرا . فقال عليه الصلاة والسلام : وجبت ، ثم مروا بأخرى فأثنَوا عليها شراً ، فقال عليه الصلاة والسلام : وجبت ، وسئل عن قوله (وجبت) فقال : هذا أثنيتم عليه خيرا ، فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شرا ، فوجبت له النار ، الحديث ، وقد نقل النوعان في واقعتين تراخت احداهما عن الأخرى من العدل الضابط عن العدل الضابط عن العرب الفصحاء عن أفصح العرب ، فكان أوثق من نقل أهل اللغة فانهم قد يكتفون عن واحد ، ولا يعرف حاله فانه قد يعرض له ما يخرجه عن حيّز الاعتدال من دهش وسكر وغير ذلك ، فاذا عرف حاله لم يحتج بقوله ويرجح قول من زعم أنه لا يستعمل في الشرّ الى النفي ، وكأنه قال: لم يسمع فلا يقال . والاثبات أولى ، ولله درّ من قال :

وإن الحق سلطان مطاع ... وما لخلافه أبداً سبيل

وقال بعض المتأخرين : إنما استعمل في الشر في الحديث للازدواج . وهذا كلام من لا يعرف اصطلاح أهل العلم بهذه اللفظة » .

وكان صاحب هذا الكلام المسهب فيه خليقاً آن يستعمل « أثنى والثناء » على حَسَب ما نقله من البيان .

٩٦ ــ وقال في ج م د : « فقالوا : رمضان لما أرمضت الارض من شدة الحر » . ولم يذكر « أرمض » في مادته بل قال : ورمضان للشهر ، قيل سمي بذلك لأن وضعه وافق الرمض وهو شدة الحر » .

٩٧ ــ وقال فيها أيضا : « وشهر ربيع لما أربعت الارض وأمرعت » أي ظهر فيها الربيع ، ولم يذكر هذا الفعل بهذا المعنى في « ربع » •

٩٨ ــ وقال فيها : « وشعبان لما اشعبوا العود » ولم يذكر « أشعب » في مادة ش ع ب•

٩٩ ــ وقال في ج ى ح و ن : « جيحون نهر عظيم وهو نهر بلخ ، ويخرج من شرقيها من أقليم يُتاخم بلاد الترك » • ومعنى تاخمه اتصل حده بحده ، ولم يذكر هذا الفعل في « تخم » بل قال : « التخم : حد الارض والجمع تخوم مثل فلس وفلوس وقال ابن الاعرابي وابن السكيت : الواحد تخوم والجمع تُخم مثل رسول ورسل ••• » • ولم يتكلم على اشتقاق فعل منه بل انتقل الى « التخمة على وزن رطبة » وتكلم على أصلها •

التراث الشعبى

أوابد العرب الجاهليين والاسلاميين
وما بقي منها عند اخلافهم

كان للعرب في العصور الجاهلية والاعصار الاسلامية عادات وتخيلات وخرافات ، وقد اجتهد الاسلام في محوهـا وازالتها وبخاصة ما قـرب من الوثنية ، الا أن أمثال تلك الاوابد الاجتماعية يعسر جـدا اسـتئصالها ، ولذلك نرى عند اخلاف العرب القدامى آثارا منهـا وبقـايا سـدكت * بالبعيدين عن الثقافة العلمية والاجتماعية ومنها :

١ ــ قـذف السن نحـو الشمس : فقد كان العربي اذا سقطت له سن أخذها بين السبابة الابهـام واستقبل الشمس اذا طلعت وقـذف بالسن وقال : ياشمس أبدليني بسن احسن ولتجر في ظلمهـا أياتك أو تقـول : أياؤك وهما جميعا شعاع الشمس) والى هـذا الخيـال أشـار شاعرهم بقولـه :

شادن يجلـو اذا ما ابتسـمت	عن أقـاح كأقاحـي الرمـل غر
بدلتـه الشمس عـن منبتـه	بردا ابيض مصقول الاشر **

وقال آخـر :

واشنب واضح عـذب الثنـايا	كأن رضابه صـافي المـدام
كسـته الشمس لونا من سناها	فـلاح كأنـه برق الغمـام

---

* سـدك به : اولع بـه .

** الاشر : التحزيز في اطراف الاسنان يكون طبيعياً .

وقال آخـر :

بذي أشر عذب المـذاق تفردت   به‌الشمس‌حتى عاد أبيض‌ناصعا[1]

قال ابن أبي الحديد : « والناس اليوم في صبيانهم على هذا المذهب » (وكانت وفاة عبدالحميـد بن ابي الحديد سـنة ٦٥٦) ولا تزال صبيان عصرنا بالعراق يفعلون ذلك بأسنانهم الساقطة •

٢ ـ اختلاج العين ، فانهم كانوا اذا اختلجت عين الواحـد منهـم قال : أرى مـن أحبه ، فان كان غائبا توقع قدومه وان كـان بعيـدا توقـع قربه ، قال بشر :

اذا اختلجت عيني أقـول لعلهـا   فتـاة بني عمرو بها العين تلمع

وقال آخـر :

اذا اختلجت عيني تيقنت أننـي   اراك وان كـان المزار بعيـدا

وقال ثالـث :

اذا اختلجت عيني أقـول لعلهـا   لرؤيتها تهتاج عيني وتطرف[2]

وقد نشأ عند المتأخرين من العلماء ماسموه « علم الاختلاج » يعنون اختلاج اعضاء الانسـان ومنهـا العين ، وألفوا في ذلك رسائل • وتكلم على هـذا العلم الشيخ طـاش‌كبري زاده في « موضوعـات العلـوم » ونقل كلاما منه حاجي خليفة في كتابـه كشـف الظنون عن آسامي الكتب والفنون وعنونه بعنـوان « علم الاختلاج » وقال : « وهـو من فروع علم الفراسـة •• » ، وتسمى العامة اختلاج العين « الرفيف » ويقولون « العين ترف » وفي ذلك يقول أحد نظام الاغاني العامية :

---

(١) ابن طباطبا العلوي ، عيار الشعر ، ص ٣٤ و ٣٥ وشـرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ٤ : ٤٣٩ .

(٢) ابن طباطبا في عيار الشعر ، ص ٣٥ . وشرح نهج البلاغـة لابن ابي الحديد ٤ : ٤٤٠ .

ياعيني لا ترفـين بطـلي رفيفج
بلچي بعـد الافراگ يبين وليفج *

٣ ـ تعليق سن الحيوان على الطفـل او الصبي اشـفاقا عليـه من العين أو الجان ، قال أبو محلم : كانت العرب تعلق على الصبى سـن ثعلب وسن هـرة خوفا مـن الخطفة والنظرة ويقولون : ان جنية أرادت صبي قوم فلم تقدر عليـه فلامها قومها من الجن في ذلك ، فقالت تعتـذر اليهم : كان عليـه نفرة ثعـالب وهررة ، والحيض حيض السَّمُرة[٣]. وحيض السمر : شيء يسيل مـن شجر السـمر كدم الغزال ، وكانت العرب اذا ولدت المرأة اخذوا مـن دم السمر وهو صمغه الذي يسيل منـه ، يقطونه بين عين النفساء ويخطون على وجـه الصبـي خطـا ، ويسـمى هـذا الصمغ السائل الدودم ويقال بالذال المعجمة ايضا ، واذا يبس ذلك الصمغ كان أسود فاذا ديف بالماء احمر كما كـان ، وتسمى هـذه الاشياء التي تعلق على الصبي النفرات ، قال عبدالرحمن ابـن أخـي الاصمعي : ان بعض العرب قال لابي اذا ولد لك ولد فنفّر عنه ، فقال أبي : ومـا التنفير ؟ قال : غرّب اسمه . فولد لـه ولـد فسـماه قنفذا وكنـاه أبا العداء[٤] . فالتنفير يكون بالتعليق والتغريب .

وتعلق النسـاء العاميات اليوم علـى الطفل والصبي « سن خنزير »

---

* ومعناه : لا تختلجي ياعين ، وامسكي عن الاختلاج .. فلربما ـ بعـد الفراق ـ يعود حبيبك !! .

(٣) ومن مذهبهم في التعليق تعليقهم كعب الارنب قال ابن الاعرابي : قلت لزيد بن كثوة اتقولون ان من علق عليه كعب ارنب لم تقربه جنان الدار ولا عمار الحي ؟ ! قال اي والله ولا شيطان الخماطـة ولا جـار العشيرة ولا غـول القفر (عيار الشعر ، ص ٣٨ وشـرح نهج البلاغـة المذكور ٤ : ٤٤١) . + والسـمرة او السمر شجر من العضاه صغير الورق قصير الشوك له برمة صفراء ياكلها الناس .

(٤) شرح نهج البلاغـة ٤ : ٤٤٢ .

خوفا عليه من النظرة ، والاصابة بالعين ، ولعل ذلك كان للخطفة أيضا فني هذا القصد ، وللعامة تعليقات أخرى لخرافات أخر .

٤ ـ عدم التفات الخارج في سفر ، فمن مذاهب العرب في الجاهلية وما بعدها ان المسافر اذا خرج من بلده الى بلد آخر فلا ينبغي له أن يلتفت فانه اذا التفت عاد ، فلذلك لا يلتفت الا العاشق الذي يريد العود ، قال بعضهم :

دع التلفت يا مسعود فارم بها   وجه الهواجر تأمن رجعة البلد

وقال آخر ـ أنشده أبو عبدالله الحسين بن محمد بن جعفر المعروف بالخالع في كتابه في آراء العرب وأديانها وهو المعروف بكتاب « تخيلات العرب » كما جاء في معجم الادباء لياقوت الحموي :

عيل صبري بالثعلبية لما   طال ليلي وملني قرنائي
كلما سارت المطايا بنا ميـ   ـلا تنفست والتفت ورائي

قال ابن أبي الحديد : هذان البيتان ذكرهما الخالع في هذا الباب، وعندي أنه لا دلالة فيهما على ما أراد لان التلفت في أشعارهم كثير ومرادهم به الابانة والاعراب عن كثرة الشوق والتأسف على المفارقة وكون الراحل عن المنزل حيث لم يمكنه المقام فيه بجثمانه يتبعه ببصره ويتزود من روءيته [٥] .

وهذه العادة لا تزال معروفة عند كثير من أهل العراق أعني عدم تلفت الخارج في سفر لئلا ينعكس عليه عزمه فيعود ولا يتم السفر ، فالتلفت اذن من اسباب التشاوءم عند الشروع في السفر .

٥ ـ وايقاد النار بعد خروج المسافر ، فقد كان العرب اذا خرجوا الى الاسفار أو قدوا نارا بينهم وبين المنزل الذي يريدونه ، ولم يوقدوها بينهم وبين المنزل الذيخرجوا منه، تفاؤلا بالرجوع اليه ، وهذا معناه أن

(٥) شرح نهج البلاغة ٤ : ٤٤٢ ـ ٤٤٣ .

ايقاد النار بسبب الفراق الدائم ، ولا يزال العوام يتخذون شعلة من حطب وأشياء أخرى يسمونها « شعلة الكراهية » ، وقد جرت العادة أن توقد على السطوح كراهية للمسافر واملا أن لا يعود ولا يؤوب .

٦ ـ كسر الاواني وعدمه وراء المسافر ، فانهم كانوا اذا رحل الضيف أو غيره عنهم وأحبوا أن لا يعود كسروا شيئا من الاواني وراءه ، قال ابن أبي الحديد : وهذا مما تعمله الناس اليوم أيضا ، قال بعضهم :

كسرنا القدر بعد أبي سواح فعاد وقدرنا ذهبت ضياعا

وقال آخر :

ولا نكسر الكيزان في اثر ضيفنا ولكننا نقضيه زاداً ليرجعا

وقال آخر :

أما والله ان بني نفيل لحلالون بالشرف اليفاع
أناس ليس تكسر خلف ضيف أوانيهم ولا شعب القصاع[٦]

وهذه العادة باقية عند الناس اليوم بدلالة انهم لايجوزون كسر الاواني وراء المسافر المرغوب في رجوعه اليهم ، وانما يرشون خلفه الارض بالماء اشعارا بانه اذا عاد وجد محلا مدائما له ملائما .

٧ ـ تطور الجن الى أطوار الحيوان ، قال ابن أبي الحديد : « ومن عجائب اعتقادات العرب ومذاهبها اعتقادهم في الديك والغراب والحمامة وساق حر وهو الهديل والحية ، فمنهم من يعتقد أن للجن بهذه الحيوانات تعلقا ومنهم من يزعم انها نوع من الجن .. ومن مذاهبهم اعتقادهم أن الورل والقنفذ والارنب والظبي واليربوع والنعام مراكب الجن يمتطونها ولهم في ذلك اشعار مشهورة .. ومن أشعارهم في مراكب الجن قول بعضهم في قنفذ رآه ليلا :

(٦) شرح نهج البلاغة ٤ : ٤٤٤ ـ ٤٤٥ .

فما يعجب الجنـــان منك عدمتهم وفي الاسد أفراس لهم ونجائب؟
أيسرج يربوع ويلجـم قنفـذ لقد أعوزتكم ما علمت النجائب ؟
فان كانت الجنّان جنّت فبالحرى ولا ذنب للاقـوام والله غـالب

ومن الشعر المنسوب الى الجن في هذا المعنى

وكل المطايا قـد ركبنا فلا نجد ألذ واشهى من ركوب الارانب
ومن عضرفوط عنّ لي فركبتـه أبادر سربا مـن عظـاء قوارب

وقال أعرابي يكذب ذلك :

أيستمع الاسرار راكـب قنفـذ لقد ضاع سر الله يا ام معبد[7]

ولا يزال كثير من العوام عندنا يظنون أن الجـن تتطـور الـى الحيوانات ، وخصوصـا الحية الوارد ذكرها في خرافـات العرب آنفا .

٨ ــ التشـاوءم بالعطاس ، فان العرب تتشـاءم بالعطاس ، قـال امروء القيس : « وقد أغتدي قبل العطاس .. » .

وقـال آخـر :
وخرق اذا وجهـت فيـه لغزوة مضيت ولم يحسبك عنه العواطس[8]

والعوام اليوم لا يتشاءمون الا من العطسـة الواحدة فان تبعتهـا أخرى انقلب التشـاؤم الى تفـاوءل ، وهذا ضرب من ضروب تطـور الخرافة في المجتمع .

٩ ــ الدوس على القتيل لطرد الموت عن الطفل ، فان العـرب كانت تقول : ان المرأة المقلات وهي التي لا يعيش لها ولد اذا وطئت القتيل الشريف عاش ولدها . وقال أبو عبيدة : تتخطاه المقلات سبع مـرات فذلك وطؤهـا له ، وقال ابن الاعرابي : يمرون به ويطؤون حوله ، وقيل

(٧) المرجـع المذكـور ، ص ٤٤٤ .

(٨) عيار الشعر ، ص ٣٤ وشرح نهج البلاغة ، ٤ : ٤٣٩ .

انما كانوا يفعلون ذلك بالشريف يقتل غدرا أو قودا ، قال بشر بن أبي خازم :

تظل مقاليت النساء يطأنه يقلن ألا يلقى على المرء مئزر

وقال آخر :

تركنا الشعثمين برمل خبت تزورهما مقاليت النساء

وقال ثالث :

بنفسي الذي تمشي المقاليت حوله يطأن له كشحا هضيما مهشما

وقال رابع :

تباشرت المقالت حين قالوا ثوى عمر بن مرة في الحفير

وقال الكميت :

وتطيل المرزآت المقاليـ ـت القعود بعد القيام[9]

والنساء العاميات اليوم يتخطين القتيل اذا كن عواقر ، يحسبن أن ذلك يفتح أرحامهن للحمل والحبل ، وهذا أيضا من تطور الخرافات .

١٠ ـ انتقال أرواح الموتى الى الطيور ، فمما كانت العرب كالمجتمعة عليه « الهامة » وذلك أنهم كانوا يقولون : ليس من ميت يموت ولا قتيل الا يخرج من رأسه هامة ، فان كان قتل ولم يؤخذ بثأره نادت الهامة على قبره (اسقوني فاني صدية) وعن هذا قال النبي (ص) : لا هامة ، وحكي أن أبا زيد كان يقول الهامّة مشددة الميم : احدى هوام الارض وانها هي المتكونة المذكورة ، وقيل ان أبا عبيد قال : ما أرى أبا زيد حفظ هذا ، وقد يسمونها (الصدى) والجمع أصداء ، قال الشاعر :

يبشرنا ابن كبشة أن سنحيا
وكيف حياة أصداء وهام ؟

---

(٩) شرح نهج البلاغة ٤ : ٤٣٨ .

قال ابو دؤاد الايادي :

سلط الموت والمنون عليهم
فلهم في صدى المقابر هام

وقال بعضهم لابنه :

ولا تزقون لي هامة فوق مرقب
فان زقاء الهام للمرء عائب
تنادي ألا أسقوني وكل صدى به
وتلك التي تبيض منها الذوائب

وقال ذو الاصبع :

يا عمرو إن لا تدع شتمي ومنقصتي
أضربك حتى تقول الهامة اسقوني

وقال مغلس الفقعسي :

وان أخاكم قد علمت مكانه
بسفح قبا تسفى عليه الاعاصر
له هامة تدعو اذا الليل جنّها
بني عامر هل للهلالي ثائر ؟

وقال توبة بن الحمّير :

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت
علي ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا
اليها صدى من جانب القبر صائح

وقال قيس بن الملوح وهو مجنون ليلى :

ولو تلتقي أصداؤنا بعد موتنا
ومن دوننا رمس من الارض أنكب

لظل صدى رمسي وان كنت رمة
لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

وقال حميد بن ثور :

ألاهل صـــدى أم الوليـــد مكلم
صداي اذا ما كنت رمسا واعظما ؟ (١٠)

ومن العجيب ما ورد في بعض احاديث الكبار من صلة أرواح القتلى المستشهدين بالطير ، جاء في الصحاح للجوهري ومختاره لمحمد الرازي « وفي الحديث أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلو من ثمر الجنة ، بضم اللام (مـن تعلو) أي تتناول » . وجاء في الفائق للزمخشري « ابن عمير (رح) : أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تعلو من ثمار الجنة ، أي تأكـل وتصيب .. » .

ولكن هـذه الآبدة قد زالت من عوام العراق ولم يبق لهـا أثر ، ومنهم من يعتقد حلول الارواح في الفراشـات .

١١ ـ اعتقاد وجود الغول وتسمى السعلاة أيضا ، فمن مذاهبهـم في الغول قولهم : انها ان ضربت ضربة واحدة بالسيف هلكت وان ضربت ثانية عاشت والى هـذا المعنى أشـار الشاعر بقوله :

فقالـت ثن قلـت لها رويـدا
مكـانك انني ثبـت الجنـان

قال ابن أبي الحديد : « ويزعمون أنهم يرون الجـن ويظاهرونهـم ويخاطبونهم ويشاهدون الغول وربمـا جامعوها وتزوجوها ، وقالوا ان عمرو بن يربوع تزوج الغول وأولدها بنين ومكثت عنده دهرا ، فكانت تقول له : اذا لاح البرق من جهة بلادي وهي جهة كذا فاسـتره عني فاني ان لم تستره عني تركت ولدك عليك وطرت الى بـلاد قومي ، فكـان

(١٠) شرح نهج البلاغـة ٤ : ٤٤٤ .

عمرو بن يربوع كلما برق البرق غطى وجهها بردائـه فلا تبصـره قالـوا ففغل عمرو بن يربوع عنها ليلة ، وقد لمع البرق فلم يستر وجهها فطارت وقالت وهي تطير :

أمسك بنيـك عمـرو اني آبق
بـرق على أرض السعالي آلـق

ومنهم من يقول : ركبت بعيرا وطارت عليه أي اسرعـت فلم يدركها وعن هذا قال الشاعر :

رأى برقـا فأوضـع فوق بكـر
فلايـك ما أسـال ولا أغـنـاما

قيل : فبنو عمرو بن يربوع الى اليوم يدعون بني السـعلاة ولذلك قـال الشـاعر :

يا قبـح الله بني السـعلاة
عمرو بن يربـوع شرار النات
ليسـوا بأبطـال ولا أكيـاس

أبدل الشاعر السين تاءا وهي لغة قوم من العرب [11] .

ولا يزال عوام العراق يعتقدون وجود الغول أي السعلاة ويسمونها « السعلوة » ويحكون عن رغبتها في تزوج رجـال الانس وأنها اجبرت أحد الناس على تزوجها فأولدها عـدة أولاد ثم اهتبل فرصة فهرب وعاد الى أهلـه .

(١١) المرجع المذكور ٤ : ٤٤٤ .

الشعر العامي العراقي القديم

المواليا ـ الكان وكان ـ القوما ـ الدوبيت ـ الزجل

الشعر العامي العراقي قديم كقدم اللغة العامية ، والشعر في حقيقته وفصيحه وعاميه من أغراض أرواح الشعوب ومتعها على اختلاف طبقاتها ، وكل عربي غيور على أمته وقوميته كان يود أن لا تكون لغة عامية ولا شعر عامي ، ولكن الواقع الاجتماعي لا يساير الاماني دائما بل أحيانا ، ولذلك لم يكن بد من وجود اللغة العامية والشعر العامي ، وقد جاء في أخبار الوليد بن يزيد الاموي أن حمادا الراوية قال جادا أو هازلا : « أنا رجل أكلم العامة وأتكلم بكلامها » (١) . وذكر الاديب الجغرافي عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبه أن سبب نسبة ابراهيم الموصلي الى الموصل هو أنه كان اذا سكر كثيرا ما يغني على سبيل الولع :

أنا جت من طرق موصل أحمل قنل خمريا
من شارب الملوك فلا بد من سكريا (٢)

وهذا يدل على قدم اللغة العامية والشعر العامي العراقي ، وقال أبو العتاهية : « كان الرشيد ممن يعجبه غناء الملاحين في الزلالات اذا ركبها وكان يتأذي بفساد كلامهم ولحنهم فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء يعملوا لهؤلاء شعرا يغنون فيه » (٣) .

---

(١) الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ١٦ : ١٨ (طبعة دار الكتب المصرية) .

(٢) الاغاني ٥ : ١٥٧ .

(٣) المرجع المذكور ٤ : ١٠٢ .

ومن خصائص الادب العراقي التطور في المباني والمعاني فلذلك كثرت أنواع الشعر العامي ، ولطفت معانيه واشتهر بذلك في سائر الاقطار العربية والاقطار الاسلامية ، قال نصر الله بن الاثير : « وبلغني أن قوماً ببغداد من رعاع العامة يطوفون بالليل في شهر رمضان على هيأة الشعر وان لم يكن من بحار الشعر المنقولة عن العرب ، وسمعت شيئا منه فوجدت فيه معاني حسنة ، مليحة ومعاني غريبة وان لم تكن الالفاظ التي صيغت به صنيعة »[٤] .

وقال مختصر كتاب مناقب بغداد : « ومن خالط أهل بغداد وعلماءها عرف فضلهم ولطفهم ، ومن تأمل لطافة العوام بها في مجونهم وحديثهم وأشاراتهم التي لا يفهمها أكثر علماء غيرها من البلاد حتى أن فيهم من يقول الشعر المسمى (كان وكان) فيأتي بمعان لا يقدر عليها فحول الشعراء تبين له فضلهم ولطافة أخلاقهم »[٥] .. وكان للنساء أشعار ينشئنها في أثناء المآتم والنياحات ليس فيها كبير فائدة[٦] .

وذكر أبو المظفر يوسف المعروف بسبط أبن الجوزي في وفيات سنة ٥٩٧ : « وفيها توفي أبو منصور بن نقطة المزكلش ، كان يقول (كان وكان) ولا يعرف الخط وهو أخو عبد الغني الزاهد ، ولما عوتب على حاله وقيل أخوك زاهد وأنت كذا ، قال : في الدار بيرين ذي حلوه وذي مره .. »[٧] وقال تاج الدين بن الساعي في ترجمته : « شيخ مشهور ، مجيد في صنعة الغناء عمل (الكان وكان) ، غاية في ذلك ، يأتي

---

(٤) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، ص ٣٠ (طبعة المطبعة البهية) .

(٥) مختصر مناقب بغداد المطبوع باسم « مناقب بغداد » ص ٣١ ، ٣٢ .

(٦) المنتظم ١٠ : ٤٩ والكامل ١٠ : ١٥٠ والحوادث الجامعة ، ص ٢٢٧ .

(٧) مرآة الزمان « مختصر ج ٨ ص ٥٠٩ » .

بالمعاني اللطيفة ، وكان أخوه الشيخ عبدالغني زاهدا .. فقال أبو منصور هذا :

أنا مغني وأخي زاهد عمل مره
بيرين في دار ذي حلوه وذي مره

وكان عاميا يعمل خفاف النساء » [٨] . وقال صفي الدين الحلي في ذكر فنون الشعر العامية : « الفن السابع فن القوما ، قيل ان أول من أخترعه أبن نقطة (يعني أبا منصور المذكور) برسم الخليفة الناصر ، والصحيح أنه مخترع من قبله ، وكان الناصر يطرب له ، وكان لابن نقطة ولد صغير ماهر في نظم (القوما) ، فلما مات أبوه أراد أن يعرف الخليفة بموت أبيه ليجريه على مفروضه فتعذر عليه ذلك ، فصبر الى دخول شهر رمضان ثم أخذ اتباع والده من المسحرين ووقف أول ليلة من الشهر تحت الطيارة [٩] ، وغنى القوما بصوت رقيق ، فأصغى الخليفة اليه وطرب له وكان أول ما قاله قوله :

ياسيد السادات لك بالكرم عادات انا بني ابن نقطة تعيش ابويا مات

فأعجب الخليفة منه هذا الاختصار فاستحضره وخلع عليه وفرض له ضعفي ما كان لابيه [١٠] .

وذكر الابشيهي الفنون الشعرية السبعة المذكورة عند الناس وهي الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليات (كذا) والكان وكان والقوما ، ومنهم من جعل الحماق من السبعة ، وفي ذلك اختلاف ، قال : « وعند جميع المحققين أن هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة أبدا لا يغتفر اللحن فيها وهي الشعر القريض والموشح والدوبيت

(٨) الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير « ٩ : ٦٨ » .

(٩) هكذا وردت الكلمة في المرجع المشار اليه في اخر الخبر ولعل الاصل « تحت المنظرة » كما ورد في مرجع اخر .

(١٠) المستطرف ، ج٢ ص ١٩٩ .

ومنها ثلاثة ملحونة أبدا وهي الزجل والكان وكان والقوما ومنها واحد وهو البرزخ بينهما يحتمل الاعراب واللحن وهو المواليا . قيل لا يكون البيت منه بعض الفاظه معربة وبعضها ملحونة ، فان هذا من أقبح العيوب التي لا تجوز وانما يكون المعرب منه نوعا بمفرده ويكون الملحون فيه ملحونا لا يدخله الاعراب ، وقد أوضح قاعدة الجميع وأمثلتها صفي الدين أبو المحاسن الحلي في ديوانه وسماه بالعاطل الحالي والمرخص الغالي [11] ولو بسطت المقال لاتسع المجال وكثر القال ولكن الاختصار يذهب الاوجال والحمد لله رب العالمين على كل حال » [12] .

ويعنينا من الفنون السبعة الشعرية الاشعار العامية العراقية فأولها (المواليا) وهو عنده الفن الخامس قال : وله وزن واحد واربع قواف فمن تلك الاربع واحدة لصفي الدين الحلي :

يا طاعن الخيل والابطال قد غارت

والمخصب الربع والامواه قد غارت

هواطل السحب من كفيك قد غارت

والشهب مذ شاهدت أضواك قد غارت[13]

ثم قال : « الفن السادس كان وكان ، له وزن واحد وقافية واحدة لكن الشعر الاول من البيت أطول من الثاني فمنه هذه الوعظيات ·

يا قاسي القلب مالك تسمع وما عندك خبر

ومن حرارة وعظي قد لانت الاحجار

---

(11) قد طبع هذا الكتاب في السنوات الاخيرة ، طبعه احد المستشرقين الالمان بالمانية وهو ولهلم هونرباخ وكان ذلك في سنة ١٩٥٥ .

+ والمستشرق هو W. Hoenerbach

(12) المستطرف ٢ : ١٩٠ .

(13) المرجع المذكور ٢ : ١٩٧ .

أفنيت مالــك وحالــك فــي كل ما لا ينفعــك
ليتك علــى ذي الحالة تقلــع عن الاصــرار

تحضر ولــكن قلبــك غــائب وذهنك مشتغل
فكــيف يــا متخلــف تحسب مــن الحضار ؟!

ويحــك تنبــه يا فتــى وافهــم مقــالي واستمع
ففي المجالــس محاسن تحجب عــن الابصــار

يحصى دقائق فعلك[14] وغمــز لحظــك يعلمــه
وكيف تعــزب عنـــه غــوامض الاســرار ؟!

تلــوت قــولي ونصحي لمــن تدبــر واســتمع
ما فــي النصيحة فضيحة كلا ولا انكــار »[15]

ثم قال : « الفن السابع في القوما » وقد ذكرناه آنفا في ترجمــة أبي منصور ابن نقطة ، قال « ومنها لصفي الدين الحلي :

من كان يهوى البدور ووصــل بيض الخدور
بالبيض والصفر يسخر وقــد جلس في الصدور

من حب بيض الخدور ورام لــزوم الصــدور
يســمح والا فيبقــى مــن بينهــم مهــدور

كم بين سجف الخدور مــن عاشــق مصــدور
يرعى الــكواكب لعلو يــرى جمــال البدور

بين الحلــل والخدور وجــوه مثــل البدور
اشراقها فـــي المعاجز وغربهــا فــي الصدور

---

(١٤) الضمير عائــد الى اللــه تعالــى .

(١٥) المستطرف ٢ : ١٩٨ .

قــد كنت فوق الصدور بيــن الظبا والبــدور
فصرت احسد من أبصر خيامهــــم والخــدور

نـــوائب المقــــدور مثــل الكواكب تــدور
من بعــد طبيب الخواطر يقضــى بضيق الصــدور

غيري يــلازم الصــدور وانــا عليكـــم أدور
واصطلــي الصــد وانا مــن بينهــم مهــدور

والفن الثالث الذي ذكره الابشيهي ، ولا يعنينا الترتيب العــددي ، هو فن الدوبيت والدوبيت كلمة فارسية معناها « بيتــان » وكان الدوبيت العراقي القديم نظما ولحنا معا ، وسمته العرب « المثنــاة » قال الجوهري في الصحاح : « وفي الحديث : مــن أشراط الساعة أن توضع الاخيــار ، وترفع الاشرار وأن تقرأ المثناة على رؤوس الناس فلا تغير . قيــل هـــي التي تسمى بالفارسية دوبيتي وهو الغناء» (١٦) .

وقد تصحف لفظ « دوبيت » الى « بوذية » على الصــورة الآتية « دوبيت . بوذيت . بوذية » وأما قول من قال ان أصلها « آبــو آذية » وقول من قال انه « عبودية » فمن الاقوال المختلقة الباطلة ، وقد ســمي الدوبيت في العصور العباسية المتأخرة « الرباعي » لانه مؤلف مــن أربعة أشطر ، قال الاديب الكبير الاستاذ مصطفى صادق الرافعي (رح) : « قد أخذه ادباء العرب عن الفرس ويعرف عندهم بالرباعي واختص بالاجــادة فيه بعض شــعرائهم كعمر الخيام .. ولا نعرف أول من أســتعمل هــذا النوع في العربية ولكن نشأته كانــت في بغداد » (١٧) .

وقد كان ابن خلدون قال : « وكان لعامة بغداد أيضا فن من الشعر يسمونه المواليات وتحته فنون يسمون منها القوما ، وكان كــان ، ومنــه

---

(١٦) المرجع المذكور ٢ : ١٩٩ و ٢٠٠ .

(١٧) تاريخ آداب العرب ٣ : ١٧٢ (بمطبعة الاســتقامة) .

مفرد ومنه في بيتين ويسمونه (دوبيت) على الاختلافات المعتبرة عندهم وكل واحد منها وغالبها مزدوجة من أربعة أغصان وتبعهم في ذلك أهل مصر والقاهرة وأتوا فيها بالغرائب وتبحروا فيها في أساليب البلاغة بمقتضى لغتهم الحضرية فجاؤوا بالعجائب » [18] .

وقال الرافعي : « ولا ندري كيف يعد ابن خلدون الدوبيت من شعر عامة بغداد وهو كالموشح والشعر ، لا تكون ثلاثتها الا معربة فاذا دخلها اللحن خرجت عن هذه الاسماء الى أسماء أخرى » [19] .
قلنا : أن وجود البوذية أي الدوبيتي القديم في اللغة العامية دليل على أن عوام بغداد نظموا الدوبيت بلغتهم الملحونة فابن خلدون مصيب في قوله ولم يبتدع ذلك ابتداعا الا أن العامة تصرفوا بوزنه أو أنه كان له وزنان قديم وحديث فاخذوا بالقديم .

ثم قال الرافعي : « ونحن نرجح أن هذا النوع — يعني الدوبيت — لم يكن في العربية قبل القرن السابع لاننا لم نجده في شعر احد قبل ذلك الزمن ولا وجدنا اشارة اليه لم نجد للشعراء ولعاً به الا في أواخر تلك المائة وما بعدها ، والرباعي — يعني الدوبيت — يعد من المخترعات الحديثة في اللغة الفارسية ، لان أول من وضعه أبو سعيد ابن الخير المتوفى سنة ٤٦٥ . وبعضهم يقول انه كان موجودا قبل ذلك ولا يرجع اختراعه الى تاريخ معين غير أن ممن عرفوا بنظمه أبا جعفر روذكي [20] الشاعر المتوفى سنة ٣٠٢ حتى افتن فيه الخيام وأجاده فاشتهر بما نظمه فيه شهرة بعيدة لانه ضمنه أفكارا سامية وانتقادات مرة

---

(١٨) المقدمة ، ص ٣٤٩ .

(١٩) تاريخ آداب العرب ٣ : ١٧٢ .

(٢٠) الصواب « الروذكي » كما جاء في أنساب السمعاني . وهو منسوب الى روذك من نواحي سمرقند قال هو « الشاعر المليح القول بالفارسية السائر ديوانه في بلاد العجم ابو عبدالله جعفر بن محمد .. مات بروذك سنة ٣٢٩ » .

ثم أقبل الادباء عليه من بعده • وقد عارضها في العربية سديد الديـــن الانباري، كما ذكر صاحب خلاصة الاثر (٤ : ٣٩٠) ولــم يقع لنا شـيء من رباعياته » [٢١] •

قلت : قــد نقلت من كتــاب الصحاح للجوهري المتوفى في أواخر القرن الرابع ان « الدوبيتي » كان ، نظما وغناءا ، معروفا في القــرن الرابع في أقل تقدير زمني ، ويؤيد ذلك ويشيده ما ذكره القاضي الاديـب أبو علي المحسن بن علي التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ قال : « حضرني ابو أحمد عبد الله بن عمر الحارثي وعندي صوفي يترنم بشيء من الرباعيات ، فلم يستطبه أبو أحمد ، فقال له على البديهة : يا أخي لا أقطع حديثــك الا بخير » [٢٢] • والترنم غناء وطرب ، وهذا يدل على قدم الــرباعيات المغناة الا أنه لا يستلزم وجود وزن « الدوبيت » الفارسي الموازن لقولهم « لا حول ولا قوة الا بالله » •

وأعود الى أقوال الاستاذ الرافعي (رح) ففيها ما يستدعي القول ، وذلك ان الدوبيت بوزنه المشهور عرف بــين العرب قبــل القرن السابع لا كما قال الرافعي ، فان ابن الانباري الذي ذكره أول من عارض الدوبيت بالنظم العربي ولــد سنة (٤٧٠) وتوفي ســنة (٥٥٨) ودفــن فــي مقابر قريش [٢٣] وبقي قبره معروفا في الكاظمية الى ما قبل عدة ســنين ثم أزيل وتوطأه الطريق ، ثم انه سديد الدولة لا سديد الدين كمــا قال صاحب خلاصة الاثر • هذا وفي خريدة القصر وجريــدة العصــر للعماد الاصفهاني الكاتب نماذج من رباعيات ابــن الانباري ولكنها لم تقــع الى الرافعي (رح) كما قال هو نفســه ومنها قوله :

---

(٢١) تاريخ آداب العرب ٣ : ١٧٢ .

(٢٢) نشوار المحاضرة واخبــار المذاكرة ١ : ٥٤ .

(٢٣) راجــع المنتظم لابن الجوزي ١٠ : ٢٠٦ والكامــل لابن الاثير ١١ : ١٨٨ والمختصر المحتــاج اليــه ١ : ٧٣ . واســمه الكامل « سديد الدولــة ابو عبد اللــه محمد بن عبد الكريم » .

ياقلب الام لا يفيـــد النصـــح   دع مزحك كم هوى جناه المزح؟
ما جارحة منـــك خلاها جـــرح   ما تشعر بالخمـــار حتى تصحو

الدهـــر يعوقني عـــن الالمـــام   مـــع ما اني الى التـــلاقي ظامي
لا تأخذني بمـــا جنت ايـــامي   ماذنب السهم حين يخطي الرامي؟

يا ريح تحملي مـــن المهجـــور   شـــكواه الى المعسكر المنصور
قولي لمعـــذبي شـــبيه الحـــور   ما أنت عن الجواب بالمعذور[٢٤]

واذ كانت ولادة أبن الانباري المذكور في سنة (٤٧٠) جـــاز لنا أن نقول انـــه نظم الرباعي المعروف بالدوبيت في شـــبابه « والشـــعر مغرى بالشـــباب » أي قبـــل ســـنة (٥٠٠) فهو معروف آذن في نهاية القـــرن الخامس .

والفن الرابع الذي ذكره الابشيهي هـــو الزجل وهـــو شعر عامـــي غير عراقي ، وقد ذكر ابن خلدون أن الزجل لـــم تظهر حليته ولا انسكبت معانيه ولا اشتهرت رشاقته الا في زمان أبي بكر بن قزمان الاندلسي وبه ، وقال : « قال ابن سعيد : ورأيت أزجاله مروية ببغداد آكثر مما رأيتهـــا بحواضر العرب » [٢٥] . وابن سعيد العماري المغربي قدم بغداد في أواخر خلافة المستعصم بالله (٦٤٠ ــ ٦٥٦) ، وقد ذكر الابشيهي للصفي الحلي مـــن الزجل قوله :

أنت يا قبلـــة الـــكرام   زينـــة المـــال والبنين
الله يعطيك فـــوق المقـــام   ويعيـــدك علـــى السنين

---

(٢٤) مختصر خريدة القصر المسمى بمختار الخريدة (نسـخة دار الـكتب الوطنية ببـاريس ٣٣٢٦ الورقة ٧) والرباعي الاخير ذكر ابن الفوطي للكامل أبي عبد اللـه محمد بن بكرون الدياري الفقيه (تلخيص معجم الالقاب ج٥ الترجمة ٩٧ من الكاف) .

(٢٥) المقـدمة ، ص ٣٤٣ .

أنت شاما بين الانام   الله يحرس شمايلك
ويزيدك بالدوام   كي نعيش في فواضلك

ما ينطوي ذكر الكرام   لما تنشر فضايلك

ونهنيك كل عام   والخلايق تقول آمين
قد بقيناك في أمان   الله يحييك طوال السنين[26]

وقال علي بن عبد العزيز المغربي الاصل البغدادي المتوفى سنة ٦٨٤ وهو صاحب القصيدة الدبدبية :

الوقت يا نديمي   قد طاب واعتدل
والشمس مذ ليالي   قد حلت الحمل

فانهض الى الحميا   واستنهض الصحاب
فالبدر والثريا   الكأس والحباب[27]

---

(٢٦) المستطرف ٢ : ١٩٦ .

(٢٧) وهذا الزجل ستة وثلاثون بيتا ، ومعه غيره (فوات الوفيات ١١٣ – ١١٦) طبعة محيي الدين .


النقد

مجالس ثعلب

تاليف ابي العباس احمد بن يحيى المنبوز بثعلب

(٢٠٠ ـ ٢٩١ هـ)

عدّة ورقه ٣٣٣ ورقة ، ومقدمته وتقديمه في ١٣ ورقة ، وفهارسه ومستدركه في ٧٤ ورقة من الورق النفيس بالطبع المشكول الانيق. نشرته دار المعارف بالقاهرة ، أول ما أجمعت نشره من ذخائر العرب ، وشرحه وحققه بين سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٤٩ الاستاذ عبدالسلام محمد هارون ، أحد المدرسين في كلية الآداب بجامعة فاروق الأول بالاسكندرية في جزءين أحدهما يشمل سبعة مجالس ، والآخر أربعة مجالس والفهارس والمستدرك.

مجالس ثعلب ، وتعرف أيضاً بأمالي ثعلب ، من أصول كتب الأدب العربية، لقدم عصره، وبراعة موءلفه فيالادب، وكثرة فوائده. وقدأحسنت دار المعارف الاختيار في جعله أول مطبوعاتها من ذخائر العرب في الأدب ، ووفقت في ندب الأستاذ المحقق عبد السلام محمد هارون لشرحه وتحقيقه فهو من الكفاة الاقلاء في القيام بهذا العمل الادبي ، والمحققين الثقات. وهو الذي تولى إخراج « كتاب الحيوان » للجاحظ بحلته الجميلة وهيأته الرائقة . وإخراجه لمجالس ثعلب بهذا التحقيق الواسع والتحري الكامل والمجهود الوافي والبحث الكامل ، من أجل المساعي الأدبية ، وأبعدها همة ، وأ كثرها عائدة . والذي عالج طبع المخطوطات النادرة وعاناه ، يستطيع أن يقدر المجهود الذي بذله الأستاذ الهاروني في تأبير هذا الكتاب والتعليق عليه. وقد يتاح له من يعثر على سهو في الكتاب أو غفلة أو وهمة ، ولكن ذلك كالقطرة بالاضافة إلى البحر ، فلا يعني أنه ساواه ، ولا أنه داناه أو طار بساحته ، وانما دليل العلم مباشرة الطبع والاخراج .

وقد قرأنا هذه المجالس الادبية الرائقة ، وأفدنا منها فوائد جزيلة ، وبعثتنا على التفكير في المواضع المستبهمة منها ارادة ان نطلع على حقائقها، وعلى المواضع المشكلة رجاء أن تتبين جلاءها . وقد فطن المصحح الفاضل لزيادات زيدت في الكتاب ، وذكر ذلك في الصفحة الخامسة والعشرين من المقدمة وفي ص ٥٤٧ ، فالجزء الذي أوله هذه الصفحة وآخره ص ٥٧٩ هو من المروي عن أبي عمرو إسحاق بن مرار الشيباني صاحب كتاب النوادر وغيره وشيخ الامام أحمد بن حنبل .

والنسخة التي طبعها الأستاذ الهاروني مؤوفة ، ولذلك بقيت منها مواضع تستحق العراض وأخرى مسترمّة ، وغيرها تدعو إلى التقويم . وقد استطعنا أن نجد نقلاً من أمالي ثعلب هذه ، لم يظفر بها الاستاذ الشارح ، وهو الخبر الخاص بالحكمين في دومة الجندل ، الجائي في ص ٤٧٧ من الكتاب ، وبذكرنا شيئاً منه يمكن القارىء أن يتخذ مقياساً لسائر المطبوع من الكتاب ، فقد ذكر هذا الخبر أبو حامد عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة » (١٠٧/٢) . قال ثعلب : « وحكى (بعض) أصحابنا ، قال : قال معاوية لعتبة يوم الحكمين ، يا أخي أما ترى ابن عباس قد فتح عينيه ونشر أذنيه » . وقال ابن أبي الحديد : « وروى أبو العباس احمد بن يحيى ثعلب في أماليه أن عمرو بن العاص قال لعتبة بن أبي سفيان يوم الحكمين : أما ترى ابن عباس قد فتح عينيه ونشر أذنيه » . فالقائل لعتبة هو عمرو بن العاص لا معاوية كما في المطبوع من أمالي ثعلب ، يؤيد ذلك ما ورد في المطبوع نفسه من قول عتبة ، وهو : « قال (عتبة) فجئت فقربت من عمرو بن العاص ، فرماني بمؤخر عينه أي ماصنعت ؟ فقلت له : كفيتك التقوالة » . فقد خفي اسم معاوية ، وفي ذلك دلالة على التصرف بالنسخة المطبوعة تصرفاً قديم الزمان .

وجاء في أمالي ثعلب المطبوعة في آخر الخبر ما هذا نصه : « وجاءت ابن عباس أول الكلام فكرة أن يتكلم في آخره » وهو ضد الذي حدث ،

وضد المعقول . والذي نقل ابن ابي الحديد : « وفـات ابن عباس اول الـكلام ، فكـره أن يتكلـم في آخـره » . فانظـر الـى تصحّف « فات » الـى « جاءت » ، و « وفكرة » مـن حـرف العطف « الفاء » والفعل « كره » الـى « فكرة » ! وهذا أمر لا يحتاج الـى فضل بيان ــ أعني صحة المذكور في شرح نهج البلاغـة ــ لأنه المعقول والمشـهود .

وقد عنت لنا ملحوظات في أثنا قراءتنا الـكتاب نذكرها ها هنـا ، لعل فيها فائدة لقراء الـكتاب :

١ ــ جاء فى ص ٢ من الـكتاب فى نسب « أبي الفرج عبدالمنعم ابن عبدالوهاب الحراني » الحافظ المشهور أن من أجداده « صدقـة بن الحصين » . والنقل من وفيات الأعيان المطبوع بمصر ، والصحيح أنـه « صدقة بن الخضر » كما جاء في ذيل تأريخ بغداد لأبي عبدالله محمد بـن سعيد المعروف بابن الدبيثي ، بنسخة دار الـكتب الوطنية بباريس والجامع المختصر لعلي بن أنجب المعروف بابن الساعي ٩/٢٦ وتأريخ الاسـلام للذهبي بنسخة باريس والوافي بالوفيات للصفدي بباريس أيضـا وغير ذلك ، ونحن أعرف من غيرنا برجال العراق ، والوهم من طابـع وفيات الأعيان لامن المصحح الفاضل ، بَلْهَ أنه في غاية اليسر .

٢ ــ وجاء في ص ٤ منه ذكر « القاسم بن معن » فقال الأسـتاذ الشارح : « ذكره ابن خلكان عرضاً في ترجمة ابن الأعرابي فقال : القاسـم ابن معن بن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود الذي ولاه المهديّ القضاء » قلنا : نحن ندل الشارح الفاضل على ترجمة له في كتاب سـهل التناول ، وهو فهرست ابن النديم ، فقد قال في ص ١٠٣ من الطبعة المصرية : « خبر القاسم بن معن ، اقتضاه هـذا المكان فذكرته ، لأن أبا عبدالله بن الأعرابي أخذ عنه » . وذكر له ترجمة حسنة في أربعة عشر سطرا ، وهـو مذكور عرضاً في ترجمة أبي عبيد من تأريخ بغداد للخطيب ١٢/٤١١ .

٣ ــ وجاء في ص ٥ « ويقـال أنـه يستودف الخبر ويستقطره » .

وفي أساس البلاغة طبعة دار الكتب المصرية : « وفلان يستقطر الخير يناله شيئاً بعد شيء » • وأنا أرى أن الصحيح ما ورد في أمالي ثعلب ، فهو « الخبر » بالباء لا « الخير » بالياء ، ومما يدل على تصحيف ما ورد في الأساس قول الزمخشري نفسه في مادة « وكف » منه : « ومن المجاز : فلان يتوكف الأخبار ، نحو يستقطر الأخبار • وقوله في مادة « درك »: « وتداركت الأخبار وتلاحقت وتقاطرت » • وفي ذلك دليل على أن التقاطر والاستقطار يلتقيان بالخبر •

٤ ــ وفي ص ٨ خبر لرجل رام من بني مزينة ، وذكره المبرد في كامله ــ كما في ١/٦٢ من طبعة الدلجموني ــ ولم يشر المصحح الفاضل الى ذلك ، مع أن في نقل المبرد بعض الاختلاف ، جاء في أمالي ثعلب :

ألم تسل الفوارس من سليم   بنضلة وهو موتور مشيح

وفي الكامل :

ألم تسل الفوارس يوم غول   بنضلة وهو موتور مشيح

قال المبرد قبل ذكره الشعر : « وقال نضلة السلمي في يوم غول وكان حقيراً دميماً ، وكان ذا نجدة وبأس » •

وفي أمالي ثعلب :

رأوه فازدروه وهو خرق   وينفع أهله الرجل القبيح

في الكامل :

رأوه فازدروه وهو حرٌّ   وينفع أهله الرجل القبيح

٥ــ وفي ص ١٠ أبيات من الرجز ورد شطران بل ثلاثة منها في مادة « قزح » من أساس البلاغة وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/٤٧٧ ، ولكن المصحح لم يشر الى ذلك ، ففي أمالي ثعلب :

ثم خزرت العين من غير عور   وجدتني ألوى بعيد المستمر

وفي الأساس :

إذا تخازرت وما بي من خزر ثم كسرت العين من غير عور
ألفيتني ألوى بعيد المستمر أحمل ما حملت من خير وشر

وكذلك في شرح النهج ، وفي الأمالي : « مناع ما أعطيت من خير وشر » .

٦ – وجاءت في ص ١٤ قصة ابن قادم والمأمون واعتراض الخليفة على كتابه الاول : « وهذا المالُ مالاً من حاله كذا » . وقد ذكرت القصة في ترجمة ابن قادم في معجم الأدباء ٧/١٥ من طبعة مرغليوث ، بالتفصيل ، وكذلك في « صبح الأعشى » للقلقشندى ١/١٦٨ . ولم يشر الاستاذ الى شيء من ذلك .

٧ – وفي ص ٢٦–٢٧ خبر لابن هرمة الشاعر مع الحسن بن زيد بن علي بن الحسين بن على بن أبي طالب بالحجاز ، جاء فيه أن الحسن قال لمولاه هيثم : « ياهيثم ، بع أبن أبي مضرّس من تمر الخانقين بمائة وخمسين ديناراً » فعلق المصحح الفاضل على الخانقين بما صورته « خانقين بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد بينها وبين قصر شيرين ستة فراسخ . ياقوت » . وقد وهم الأستاذ في حسبانه الخانقين المذكورة في الخبر ، خانقين سواد العراق ، فلم يكن الحسن ابن زيد اذ ذاك هناك، ولا كان له نخل في تلك الناحية، وانما « الخانقان » موضع بالمدينة المنورة ، قال ابن عبد الحق في مراصد الاطلاع على الامكنة والبقاع : « الخانقان : موضع بالمدينة ، وهو مجمع لمياه أوديتها الكبار الثلاثة : بطحان والعنق والقناة » .

٨ – وجاء في ص ٢٧ أبيات لابن هرمة اربعة : ذكر منها بيتان في ترجمة « محمد بن عبد الله » النفس الزكية من « مقاتل الطالبيين » ، ولكن المصحح لم يوميء إلى ذلك . وفي أمالي ثعلب منها « إذا القتام تغشى أوجه الهجن » ، وفي المقاتل « اذا القتام يغشى أوجه الهجن » .

٩ ــ وفيها أيضا : « قال : لا والله ، بأبي ولكن الذي اقول لك » والسياق والمعنى يقتضيان « لا والله ، بابي انت .

١٠ ــ وفي ص ٣٥ خبر لخالد بن صفوان جاء فيه : « فلما كان الغد ركب برذوناً هملاجاً ... فزمع برذونه » فعلق الاستاذ الهاروني قوله «زمع زمعاً وزمعاناً : أبطأ في مشيته» . وهذا ضد ما يسير البرذون الهملاج ونقيض ما أريد بالخبر ، والصحيح « فرمع » بالراء لا بالزاي ، وفي القاموس : « رمع ... وفلان رمعاً ورمعاناً : سار سريعاً » .

١١ ــ وجاء في ص ٤٢ قول قائل : « فاذهب بنا ننظر في ديارها ونقفو آثارها » برفع « ننظر » و « نقفو » ، والوجه في الأول الجزم بجواب الطلب ، والثاني يحسن فيه الجزم ويرجح على النصب والاستئناف. وترك الجزم في « ننظر » يجعل جملته حالية مع كونها غير مشروع في فعلها ، وذلك غير الواقع ، والاعراب تابع للمعنى كما هو معلوم .

١٢ ــ وجاء في ص ٤٦ : « واستب بعدك ياكليب المجلس » . قال الشارح : « من بيت لمهلهل كما في الأمالي .. » يعني أمالي القالي، وذلك صحيح على أنّ الأبيات وردت في أمالي ثعلب ص ٦٥٢ ، وكان حرياً بالاحالة على موضعها منها .

١٣ ــ وفيها قول النبي صلى الله عليه وسلم لزيد : « آنت مولانا » ، فحجل أي قفز من الفرح ، وتمام الخبر في شرح نهج البلاغة ٣/٣٩ ، ولم يشر الأستاذ إلا إلى الاصابة .

١٤ ــ وجاء في ص ٤٧ قول الأعشى :

إلى رجل منهم أسيف كأنما   يضم إلى كشحيه كفاً مخضّبا

قال في التعليق : « البيت للأعشى من قصيدة في ديوانه ...

وانظر اللسان ... » قلنا : وذكره المبرد في الكامل ١/١٩ ، قال: « والاسيف يكون الاجير ، ويكون الاسير ، فقد قيل في بيت الأعشى :

أرى رجلاً منهم أسيفاً كأنما يضم إلى كشحيه كفاً مخضبا

المشهور أنه من التأسف لقطع يده ، وقيل : بل هو آسير قد كبلت يده ، ويقال قد جرحها الغل • والقول الأول هو المجتمع عليه •

١٥ ــ وفي ص ٤٨ قال أبو العباس : فاعلت وفعللت وأفعلت ، كله يجيء بالضم في الاستقبال فيقولون أفعل ويُفعل ، فيحذفون الهمزة استثقالاً ، وربما جاؤوا بالأصل ••• » • وقد ضبط « أفعل » بفتح الهمزة والعين ، والصواب ضم الهمزة وكسر العين ، لأنه أراد الفعل الرباعي المسند الى المتكلم الواحد ، ليدل على الضم وحذف الهمزة ، فان الابقاء عليها في « أفعلتُ » الماضي يجعله في المضارع « أأفعل » بضم الأولى وفتح الثانية ، فيثقل اللفظ على اللسان ، وللاستثقال حذفت الهمزة الزائدة •

١٦ ــ وجاء في ص ٧٥ قول بعضهم :

فلا تذهباً عيناك في كل شرمح طُوال ، فانَّ الأقصرين أمازره

فقال الشارح الفاضل فيما قال من التعليق : « والأمازر جمع مزير مثل أفيل وأفائل ، والبيت في اللسان •• »

قلنا : ذكر الزمخشري البيت في أساس البلاغة بعد قوله « وهو من أمازر الناس : من أفاضلهم » ودل بذلك على أن الأمازر جمع الأمزر كالافضل والافاضل إلا انَّ الذي ذكره الاستاذ الهاروني وارد في الصحاح، قال: «والجمع الأ مازر مثل أفيل أفائل»• وهذا وهم من الجوهري ــ رحمه الله ــ فالأ مازر على وزن « أفاعل » والأفائل على وزن « فعائل » والهمزة فيه من الأصل ، ومن هذا الجمع « أصائل » جمع أصيل و « تلائل » جمع تليل و « سدائل » جمع سديل و « مدائح » جمع مديح و « ضمائر » جمع ضمير و « نظائر » جمع نظير و « قدائم » جمع قديم و « يمائن » يمين • قال ابن الحاجب في « الشافية » : وجاء آنصباء وفصال وأفائل

وظلمان قليل » وقال الرضي الاسترابادي في شرحها ٢/١٣٢ : « وأما أفائل ونظائره ، فلحمل فعيل المذكر على فعيلة ذي التاء كما حمل فعيلة على فعيل المذكر في نحو صحف وسفن جمع صحيفة وسفينة » .

١٧ — وجاءت في ص ٨٦ وما يليها قصيدة بائية مضمومة منها :

فلما وضعناها أمام لبانه تبسم عن مكروهة الثّعل عاصب

وقد ضبط الشارح «عاصب» بضم الباء على الاقواء ، والاولى الجرّ بجعل « عاصب » صفة للمكروهة كالطالق والبالغ ، ولا يصحّ أن يكون ذو الضمير في « لبانه » غير « عاصب » حتى يكون فاعلاً لـ « تبسم » ، لأنك لا تقول « وضعنا الجفنة أمام زيد فتبسم عاصب » ، إلا اذا كان عاصب رجلاً آخر ، وليس بصحيح .

١٨ — وجاء في ص ٩٨ قال أبو العميثل ، ولم يعلّق على ذكره شيئاً ، ولا نظنّهُ يجهله أبداً ؛ لأنه أديب شاعر مشهور . ولذلك لا تتجاوز التنبيه على وجوب التنويه .

١٩ — وجاء في تعليقة ص ١٠٠ : « فأما الكشكشة فأن يجعل ما بعد كاف الخطاب في المؤنث شيناً فيقول : رأيتكش ، في رأيتك » . والذي ذكره المبرد أن هذا ابدال يكون بعد الوقف ، قال ٢/١٧١ : « قوله : تيامنوا عن كشكشة تميم ؛ فان بني عمرو بن تميم اذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شيئا لقرب الشين من الكاف في المخرج وأنها مهموسة مثلها ، فأرادوا البيان في الوقف ، لأنّ في الشين تفشياً ، فيقولون للمرأة : جعل الله البركة في دارش . ويحك مالش . والتي يدرجونها يدعونها كافاً (١) والتي يقفون عليها يُبدلونها شيناً » . ولعلّ الكسكسة تصحفت الى الكشكشة . قال المبرد في قول القائل: « وتياسروا عن كسكسة بكر » ماهذا نصه في الموضع نفسه : « وأما بكر فتختلف في الكسكسة ، فقوم منهم يُبدلون من الكاف

---

(١) مثل ما مر في البركة و « ويحك » .

شيناً كما يفعل التميميون في الشين وهم أقلهم ، وقــوم يبينون حركــة كاف المؤنث في الوقف بالشين فيزيدونها بعدها فيقولون : أعطيتكس » .
ولهذه اللهجات فضل شرح في درّة الغواص وشرحها .

٢٠ ــ وجاء في ص ١٠١ « قال : وسمعت ابن هرمة ينشد هارون ». قــال الشارح : « كــذا وردت هــذه العبــارة فــي الاصــل والخزانة والخصائص أيضاً ، ولم ينتبه ابن جني الى ما فيها مــن استحالة ، وهــذا يرجح أنّ اسم القائل ساقط في هــذا الموضع وسابقه ، ولعــل القائــل هنــا هــو الكسائي المتوفي سنة ١٨٢ هـ ، وهــو أستاذ الفراء » . قلنا : لم يؤثر عن الكسائي مثل هــذا من وصف الشعراء أو ذكر أخبارهــم ، وانما أثر عن الاصمعي وأشباهه ، فالقائل هو الاصمعي، قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ٢٨٩) من الطبعة المصرية : « حدثني عبد الرحمن عن الأصمعي أنه قال : ســاقة الشعراء ابن ميّادة وابن هرمة وحكــم الخضري ــ حي من محارب ــ ومكين العذري ، وقد رأيتهم أجمعين » . ففي قوله : « وقد رأيتهم أجمعين » دليل ما ذكرنا . ويؤيده ما جــاء في الأغاني (٤ /٣٧٣) من طبعة دار الكتب : « كان الأصمعي يقول : ختــم الشعراء بابن هرمة والحكم الخضري وابن ميادة وطفيل الكناني وبكــر العذريّ » . وقال مايقرب من ذلك في الكتاب نفســه (٥/٢٦٣ـ٤) .

٢١ ــ وجاء في ص ١٣٠ :

والمصّــلون حمســ القتال   والمانعون عــورة المجفال

والوجه « والمانعون حوزة المجفال » . قال الجوهري في الصحاح : « والحوزة النــاحية ، وحوزة الملك بيضته » . وفي أساس البلاغــة : « فلان يحمي حوزة الاســلام » . فالمنع أي الحفظ للحوزة لا للعــورة .

٢٢ ــ وفي ص ١٤٠ قول أحــد الشعراء :

كأن رماحهــم أشــطان بئر   بعيد بين جاليهــا جــرور

وفتح الشارح النون من « بين » . ويجوز فيه الضم على الفاعلية والتمكن ، ألا ترى أن ثعلباً نفسه قال ــ كما في (٣١٧) ــ : « لقد تقطع بينكم (بفتح النون) أي ما بينكم ، وبينكم بضم النون أي وصلكم » .

٢٣ ــ وفي ص ١٤٥ كلام على تسهيل الهمزة المتطرفة منه « وقال الكسائي : يجوز أن يردّ الى الواو ، هذا عطاؤك ، بالاشارة الى الواو . وأخذت عطايك ، بالاشارة إلى الياء » . والصحيح « هذا عطاوك » بالواو الصرف .

٢٤ ــ وجاء في ص ١٩٤ : « وأنشد أبو العباس لأبي الخطاب عمر بن عيسى البهدلي ، قال أبو العباس : كان في عصر هارون الرشيد ». وقال الاستاذ عبدالسلام في التعليق : « لم أعثر له على ترجمة ، والبهدلي نسبة الى بني بهدلة ... » قلنا : هو عمرو بن عامر في نقل آخر ، يكنى بأبي الخطاب ــ كما ذكر الامالي ــ وكان راجزا فصيحا راوية ، أخذ عنه الأصمعي وجعله حجة وروى شعره ، فمن شعره :

أهدى إلينا معمر خروفا كان زماناً عنده مكتوفا [٢]

٢٥ ــ وجاء في ص ١٩٦ ذكر البهدلي المذكور لعصاه وأنه يتوكأ عليها :

على ثلاث أرجل فيها عصل واحدة في كفه من الأسل

قال الاستاذ المصحح : « في الاصل : الاشل ، تحريف » بعد قوله « عني العصا التي يعتمد عليها وقد اتخذها من الاسل وهو شجر، ويقال كل شجر له شوك فهو أسل » . قلنا : ان دقة الاسل وتأطره وقصره تمنع من اتخاد العصي منه ، قال الزمخشري : « عنده غربال من الأسل ، وهو نبات دقيق الأغصان تتخذ منه الغرابيل بالعراق ، الواحدة

---

(٢) فهرست ابن النديم ص ٧٠ من الطبعة المصرية .

أسلة ، وقيل للرماح الاسل على التشبيه » • ولا يزال معروفا بالعراق باسم « العسيل » بإبدال العين من الهمزة مثل كثير من الألفاظ العراقية ، وتتخذ منه حُصُر جيدة • فالظاهر من كلمة الشاعر هي « الاثل» بالثاء المفتوحة للضرورة وحقها التسكين •

٢٦ ــ وجاء في ص ٢٠٨ لأبي زبيد الطائي يصف السبع :

كأنّ أثواب نقاد قدرن لـه ... يعلو بخملتها كهباء أهدابا

قال ثعلب بعد شرح النقاد والاثواب المشبهة بها : « ويريد كهباء أهدابها » من قولك مررت برجل حُمر آباؤه ومررت بقوم حمر الآباء ، ثم تقول حسن آباؤهم » • قلت : الصحيح « كهباً أهدابها » بنصب « كهباً » وجمعه قياسا وسماعا ، ولا يجوز « كهباء أهدابها » ولذلك مثل له ثعلب بقوله « حمر آباؤه » جمع أحمر ، ولكن الشارح الفاضل صيّر «حمر آباؤه » « حسن آباؤهم » فضاعت الفائدة من التمثيل ؛ وعلى اعتراف الشارح ألحقنا بذلك قوله « مرت بقوم حمر الآباء » ؛ فان العرب تجعل « القوم » بعد تقدمه في الكلام جمعاً أبداً ؛ فلا تقول « قوم حسن » ولا « قوم حسن الآباء » • أما قوله « حسن آباؤهم » فيجري مجرى الفعل تقول « مررت بقوم حسن آباؤهم » فهم حسن آباوءهم • ولذلك لم نعترض عليه • وسنعود الى مثل هذا في ٦٠ •

٢٧ ــ وجاء في ص ٢١٢ قول أحد الشعراء :

لقد علمت امّ الأديبر أنني ... أقول لها هَدّي ولا تذخري لحمي

قال الشارح : في الأصل « أهدي » ؛ والصواب ما أثبت من اللسان ••• وأساس البلاغة ••• » • قلنا : لقد ذكر هذا البيت في الكتاب عينه ص ١٥١ بصورته الصحيحة ، وقال الشارح هناك : « البيت لابي خراش الهذلي ••• » • وقال ثعلب في شرحه : « أهدي وهدّي واحد » • فقول المصحح وتصحيحه لاباعث عليهما •

٢٨ ــ وفي ص ٢٢١ قول بعضهم :

أرفقة تشكو الجحاف والقبص   جلودهم ألين من مس القُمص

ويليه « ويروى أرفعه » . قال المصحح : « كذا في الأصل ، ولعلها أرفقة بوزن أفعلة ، ولم أجد لها سنداً في كتب اللغة والتصريف » . قلنا : أما في كتب اللغة المعروفة فلم يرد هذا الجمع ، وأما السند الصرفي فهو القياس : جمعت رفقة على رفاق ، وجمعت رفاق على أرفقة ، فهو جمع الجمع . واذا دخل الجمع في القياس ، فما في ذلك من بأس .

٢٩ ــ وفي ص ٢٣١ قول أحدهم :

عدّت للحوض إذا مانصبا   بكرة سيرى ومقاطاً سلهبا

قال الأستاذ الهاروني في التعليق : « وأما سيرى فلم أوفق [٣] الى صوابها » . قلنا : هي « شيزى » ، والشيزى خشب أسود صلب ، ويستعار لفظه للجفان أحياناً ، لأنها تصنع منه ، كالذي ورد في الأمالي ص ٨٧ :

وجئنا بشيرى من حمير نبيلة   تداوي دخيل الجوع من كل ساغب

٣٠ ــ وجاء في ص ٢٣٣ : « إنما يكون محرقاً » اسم مفعول مشدد الراء ، والمراد « محرقاً » بتخفيف الراء ، فان ثعلباً قال « يقال قد أحرق فهو محروق كما قالوا أديم مصحوب ... » . وهو من « أصحبه » وغاية التمثيل استعارة اسم المفعول من الثلاثي لوضعه مكان اسم المفعول من الرباعي للضرورة ، ولكن التمثيل هنا جرى على « أفعله إفعالاً » لا على « فعله » تفعيلاً .

٣١ ــ وفي ص ٢٥٨ : « ويقال : مارعيت إلا على نفسك ، أي ما أبقيت » . والصحيح « ما أرعيت إلا على نفسك » على وزن « أفعلت » .

(٣) الصواب « لم اوفق لصوابها » . فالتوفيق يتعدى الى الثاني باللام لا ب «الى» ، ولا يجوز ان تعاقب «الى» اللام ، كما جاز العكس للتخفيف .

قال الجوهــري : « وتقول : أرعيت عليه إذا أبقيت عليه ورحمته » .

٣٢ — وفي ص ٢٧٠ :

أإن ذكرتك الدار منزلها جمل بكيت فماء العين منهمل سجل ؟

وجعلت « إن » شرطية ، وليس ذلك بالوجه ، بل الوجه « أن » المصدرية ، وتقدير الكلام « ألأن ذكرتك » أو « أبأن ذكرتك » ، فهو من الأمور الواقعة ، ولذلك قال : فماء العين منهمل سجل » فنزول جمل لها ذكّره وبكى وانهمل دمعه ، ولا موضع للشرط ، والاعراب تابع للمعنى كما ذكرنا من قبل ، وهــو من نوع قول حسان :

تركَ الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طِمِرةٍ ولجام

وتقديره « تركهم من أجل أن لا يقاتل دونهم » . ولكــن « أن » في بيت الأمالي دخلت على الماضي ، وهذه على المضارع ، والعلة في ذلك النفي ؛ لأن ذلك بكى لفعل قد حدث ، وهــذا هرب لكي لا يحدث فعل من الأفعــال .

ومنه قول الشاعر « أأن تذكرت من خرقاء منزلة » و « أأن هتفت ورقاء في رونق الضحى » .

٣٣ — وفي ص ٢٩٦ قول سلمى بن عوية :

أو لم تري لقمان أهلكــه ما اقتات من سنة ومن شهر ؟

والوجه « ما افتات » من الفوت ، أي ما فاته من السنين والشهور ، وهو يحتمل الوجهين ، أعني رجع الضمير في « افتاته » إلى لقمان ؛ ورجعه الــى « ما » المفسرة بالسنة والشــهر . قلنـا ذلك لأن اقتيات السنين والشهور استعارة مستغربة في كلام العرب .

٣٤ — وفي ص ٣٠٤ قول بعضهم :

لــم يبق إلا كل صغواء صغوة بصحراء تيه بين أرضين مجهل

وجاء في الأصل أعني المتن « صغواء : مائلة ، صغوة صغيرة الرأس » .
قلنا : الصحيح « صعوة » بالعين المهملة ، قال مؤلف القاموس « وناقة صعوة : صغيرة الرأس » .

٣٥ ـ وورد في ص ٣٠١ :

تسلف الجار شرباً وهي حائمة   والماء لزن بكي العين مقتسم

قال الشارح الفاضل : « التسليف فسره اللسان ... عند استشهاده بالبيت بأنه الاقراض ، وأراه من السلفة بالضم وهي اللهنة يتعجلها الرجل قبل الغذاء ، يقال : سلف القوم تسليفاً وسلّف لهم » . قلنا : ياليت ذلك مسكن ، ولكن الفرق واضح عندهم بين أفعال الأكل وأفعال الشرب، ألا ترى أن خالد بن عبد الله القسري مع تقدمه في الخطابة وتناهيه في البلاغة ، قال لما خرج عليه المغيرة بن سعد بالكوفة في عشرين رجلاً فعطعطوا به : « أطعموني ماء » وهو على المنبر ، فعيّره الناس ذلك، وكتب اليه هشام بن عبدالملك رسالة يوبخه فيها ، وقال يحيى بن نوفل يهجوه :

لأعلاج ثمانية وعبد   لئيم الاصل في عدد يسير
هتفت بكل صوتك أطعموني   شراباً ثم بلت على السرير

وقال آخر :

بل المنابر من خوف ومن وجل   واستطعم الماء لمّا جدّ في الهرب[٤]

فهذا المتقدم في الخطابة والمتناهي في البلاغة القديم الزمان ، لم يبح أن يقول « أطعموني ماءً » لأن الاطعام للطعام ، فكيف نبيحك ياسيدي أن تقول « تطعم الجار ماءً » وما الى ذلك ؟

٣٦ ـ وجاء في ص ٣١٩ ما نصه : « ويقال ذرية وذرية » فعلق

(٤) المبرد في الكامل (١/٥٢) من طبعة الدلجموني الازهري ايضا .

الشارح الفاضل على ذلك « يقال بضم الذال وكسرها كما في اللسان ... ويقال أيضاً ذريئة بالهمزة .... »مع أن الكلمتين كانتا قد جاءتا في (ص ٢١٤) وعلق الشارح عليها تعليقاً مختصراً ، ونحن لا نستغرب التعليق الثاني ، وانما استغربنا أنه لم يشر الى الأول ولا الى ورود الكلمتين فيما مضى من الكتاب .

٣٧ — وفي ص ٣٤٥ خبر الاعرابي والسعدان ، وقد أحال الشارح في التزيّد من الاطلاع عليه على كتاب الازمنة والامكنة للمرزوقي ، وكان حرى أن يحيل قبل ذلك على شرح كامل المبرد ، قال أبو الحسن الأخفش في شرح ما ذكره المبرد في « السعدان » : « السعدان نبت كثر الشوك — كما ذكر أبو العباس — ولا ساق له ، إنما هو منفرش على وجه الأرض ، حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني (ثعلب) عن ابن الأعرابي ، قال : قيل لرجل من أهل البادية — وخرج عنها — أترجع إلى البادية ؟ فقال : أما ما دام السعدان مستلقياً فلا (٥) » .

٣٨ — وفي ص ٣٤٧ قطعة نثرية فيها غريب ، منها : « ذات هيدب دان » يعني سحابة ، وتلاها في الشرح من الأصل : « والهيدب مثل هدب الثوب تراه متعلقاً دون السحاب » . وقد علق الأستاذ الهاروني على « هدب » ما هذا نصّه : « هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من الجزء الثامن» . فهو قدأخذهمامن الجزء السابع الذي نحن الآن عنده، ولكنهماجاءتا أيضاً في القطعة بعينها في آخر الكتاب (ص ٦٦٥—٦٦٦) ، قال ثعلب هناك : « والهيدب مثل هيدب الثوب .. » ولم يقل مثل « هدب الثوب »، وذلك أمر يسير .

٣٩ — وورد في ص ٣٨٨ ما نصه : « العرب تقول : لا آتيك ما انّ في بحر قطرة ... » . وقد نصب « قطرة » ظاناً أنها اسم « انّ » وحاسباً « أنّ » من الأحرف المشبهة بالفعل ، والصحيح أنّ « آنّ » فعل ماضٍ ،

---

(٥) ج ١ ص ٧ .

و « قطرة » فاعلهُ ، وان شئت فقل « فاعلته » . قال الجوهري في الصحاح : « ويقال : لا أفعله ما أنّ في السماء نجم ، أي ما كان في السماء نجم، لغة في عنّ، وما أنّ في الفرات قطرة» . وقال الزمخشري في أساس البلاغة : « ولا أفعل ذلك ما أنَّ في السماء نجم ، وما أنَّ في الفرات قطرة ، أي ما ثبت أنه في السماء نجم . إنما جاز ذلك في الكلام لأنَّ حكم الأمثال حكم الشعر » .

٤٠ ــ وجاء في ص ٤١٥ ذكر محمد بن سليمان بن علي العباسي ، وعلّق عليه الأستاذ الشارح كلمة ، مع أنه ورد ذكره من قبل في (ص ٢٠١) ومرّ غفلاً ، وجاء فرداً في الفهرست ، مع انّه هو الثاني نفسه .

٤١ ــ وفعل الضد في التعليق على اسم « محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي » ، عرّفه في (ص ١٩٢) ، ثم عرفه في (ص ٣٠٢) كأن لم يمرّ له ذكر من قبل .

٤٢ ــ وجاء ص ٤١٧ قول عروة بن الورد العبسي :

سقوني النسء ثم تكنفوني عُداة الله من كذب وزور

قال الشارح المحقق : « البيت لعروة بن الورد العبسي كما في اللسان .. وديوانه ... » . قلنا : ذكر المبرد هذا البيت في شواهد ما ينصب على الذم ــ يعني عداة الله ــ قال : «وقال عروة بن الورد العبسي:

سقوني الخمر ثم تكنفوني عُداة الله من كذب وزور [٦]

وذكره الشريف المرتضى في أماليه بالصفة التي ذكرها المبرد ، وعلق عليه طابعه السيد محمد بدرالدين النعساني الحلبي تعليقاً حسناً، وذكر انّ الرواية المشهورة « سقوني النسء ثم تكنفوني »[٧] .

٤٣ ــ وورد في ص ٤١٦ قول زيد بن علي بن الحسين « ما أحب

(٦) ج ٣ ص ٧ .

(٧) ج ١ ص ١٢٧ .

الحياة أحد قطّ إلا ذل » . وفي شرح نهج البلاغة « ما أحب الحياة إلا مَن ذلّ [8] » . وهناك سبب هذه القالة وقصتها .

٤٤ ـ وفي ص ٤٢٧ « قال سيبويه : احتبى ابن جؤية في اللحن » . وقد علق المصحح الفاضل على ذلك تعليقاً طويلاً ، ثم قال : « وأما ابن جؤية هذا ، فلم أجد له سنداً ولا ترجمة » . مع أنّ هذه المسألة التي تربع فيها ابن جؤية في اللحن مضت في (ص ٥٣) من الكتاب مع تعليق قصير وقول الشارح « لم أعثر لابن جؤية على ترجمة » .

٤٥ ـ ولهذا النسيان بل السهو ، أمثله تدل على فترات في اصلاح الكتاب ؛ فقد جاء في (ص ٤٣٧) قول الشاعر : « أو يعتلقْ بعض النفوس حمامها » ، ويليه في الأصل : « قال هشام : والناس يقولون كل النفوس ، واختيار أبي العباس بعض النفوس » . وقال الشارح معلقا : « مما هو جدير بالذكر أن « بعض » تكون بمعني كل ، ومنه قول ابن مقبل في اللسان :

لولا الحياء ولولا الدين عبتكما ببعض مافيكما إذْ عبتما عَوَرَي » .

قلنا : مضى في الكتاب مثل هذا وأكثر في (ص ٦٣) منه ، وعلّق الشارح عليه بأبسط من هذا وأكثر .

٤٦ ـ وجاء في ص ٤٤٥ « هذه هي تلك بعد » . قال الشارح « في الأصل « هم » مضبوطة بفتح الهاء وسكون الميم » . قلنا : الأصل هو الصواب ؛ لأن « هَم » لفظة عامية عراقية عريقة ، فقوله « هذه هم تلك بعد » معناه « على حالها » ، وذكرها الأخفش ، وأبو حيان التوحيدي في الامتاع والمؤانسة بمعنى « أيضاً » و « لم يزل » في قول أحدهم :

وقد علّق عنازاً فهذا هَمْ كما كنا

٤٧ ـ وورد في ص ٤٧٥ ذكر امرأة اسمها « خالصة » ، وقال

---

(٨) ج ١ ص ٣١٥ .

الشارح الفاضل : « خالصة هذه جارية من جواري الخيزران أم الهادي والرشيد ، وكانت ذات نفوذ عظيم ... وذكر ياقوت في معجم البلدان أن خالصة جارية سوداء كان بعض الخلفاء يكرمها ، وهي جارية الخيزران كما رايت » . نقل ذلك من كتاب الطبري . قلنا : ولكن المبرد ذكر أنها جارية ريطة بنت أبي العباس السفاح ، قال في الكلام على « من ندر من النساء في باب الابواب » : « وكذلك ما يؤثر على خالصة وعتبة جاريتي ريطة بنت أبي العباس [9] » .

٤٨ ـ وجاء في ص ٥٠١ قول بعضهم :

وعند سعيد غير أن لم أبح به ذكرتك ، إن الامر يعرض للامر

قال ثعلب : « أي ذكرتك عند سعيد ، وكان سعيد والي المدينة ، وقد دعا به للقتل . يقول : فاذا ذكرتك في هذا الوقت ، فكيف سائر الأوقات ؟ » . ولم يذكر الشارح الفاضل من سعيد هذا ، ولا لمن البيت . أما سعيد فهو سعيد بن العاص ، وأما صاحب البيت فهو هدبة بن خشرم العذري ، وليس الأمر على ما ذكر ثعلب ، قال المبرد في حكاية الاقادة منه وتوجيه معاوية به إلى المدينة : « وكان والي المدينة سعيد بن العاص ، فما وقف عليه من قسوته قوله :

ولما دخلت السجن يا أم مالك ذكرتك والأطراف في حلق سمر
وعند سعيد غير أن لم أبُحْ به ذكرتك ، إن الأمر يذكر بالأمر

فسئل عن هذا القول ، فقال : لما رأيت ثغر سعيد ، وكان سعيد حسن الثغر جداً ، ذكرتُ به ثغرها [10] » .

وقد ورد ذكر سعيد بن العاص في الامالي (ص ٤٧٨) إلا انه الشارح الفاضل جعل منه سعيدين في الفهرست : سعيدا والي المدينة،

(٩) الكامل (٣/٢٧٢) من الطبعة المذكورة .

(١٠) ٣/٢٩٧ .

وسعيد بن العاص •

٤٩ ـ وفي ص ٥٠١ قصة وفود عروة بن اذينة على هشام بن عبد الملك وفيها : « قال هشام جلست حتى يأتيك » ، يعني رزقه ، ويومىء إلى قوله « ••• أنّ الذي هو رزقي سوف يأتيني » • والجملة ناقصة ـ أعني « جلست حتى يأتيك » ، فلعل الأصل « لو جلست حتى يأتيك » وفي فوات الوفيات « فهلا قعدت في بيتك حتى يأتيك » (٢/ ٣٤ ـ ٣٥) •

٥٠ ـ وجاء في ص ٥٠٥ : « يقال : كُلْ ولا تتخذ حبنة ولا ثبنة، وجمع ثبنة ثُبان ••• » والثبنة على وزن نقطة ، ولكن الشارح ضبط جمعها « ثبان » بضم الثاء ، فان كان الجمع « ثبن » كان مثل « نقط » وان كان « ثبان » لم يجز ضم الثاء ، ووجب كسرها مثل « نقاط ونطاف » و «فُعال » بضم الفاء من أوزان المفرد لا من أوزان الجمع ، وما ورد من الجمع على وزنه فهو نادر شاذ مثل « ظؤار ورخال » •

٥١ ـ وفي ص ٥٥٧ : « عاهت الابل الى الماء تهيع وهلعت اليه »• ولعل الأصل « هاعت الابل » فهو من غلط الطبع •

٥٢ ـ وفي ص ٥٦٠ « وقال المعـ ••• من الأرض المشرف » • قال المصحح : « باقي الكلمة مطموس في الاصل » •

قلنا : أصله « المعزاء من الارض : المشرف » • قال الجوهري في الصحاح : « المعز الصلابة من الارض ، والامعز المكان الصلب الكثير الحصى ، والارض معزاء بينة المعز » والصلابة والاشراف في الارض مقترنان ، وقلما تجد أرضاً مشرفة غير صلبة أي من الخبار •

٥٣ ـ وجاء في ص ٥٦٥ : « وقال فثأ عنه ، أي انكسر عنه » • قال الشارح الفاضل : « الأصل : فثيء عنه » • قلنا : وهذا دليل على أن الاصل مبني للمجهول ، نطق به المسؤول ـ اعني ثعلبا ـ على الصورة التي فيها عليه ، فلا حادي على نقله الى المبني للمعلوم ، فانه لا يقابل

« انكسر » بعض المقابلة ، وقد جاء منه « فثأ اللبن ، أي اغلي فارتفع له زبد » بصورة المبني للمعلوم ، ولكنه لا يوافق الانكسار •

٥٤ ــ وجاء في ص ٥٦٧ :

ألفّهم بالسيف من كل جانب لفت العقبان حجلى وغرغرا

ولعل الأصل « كما لفت العقبان حجلى وغرغرا » • وسقطت الكلمة في الطبع ، فطبع الحديد غير طبع الانسان •

٥٥ ــ وفي ص ٥٧١ « وقال : الطيب والعنق » • قال الشارح : « كذا وردت العبارة » • قلنا : لعل الأصل « الليت صفحة العنق » • قال الجوهري في الصحاح : « الليت : صفحة العنق ، وهما ليتان » •

٥٦ ــ وورد في ص ٥٧٤ : « وقال : العقنقل مصير الضب ، قال : أطعم أخاك من عقنقل الضب ، إنك إلا تطعمه يغضب » • وأرى أن القول الأخير بيت من الرجز يكون بعد الاصلاح كما يأتي :

أطعم أخاك من عقنقل الضب إنك إلاّ تطعمنه يغضب

٥٧ ــ وفي ص ٥٧٧ « وأنشد الأعشى :

وشمول تحسب العين إذا صفقت بردتها نور الذبح »

برفع « نور » وضم الذال وفتح الباء من « الذبح » • قال الشارح : « والذبح ضرب من الكمأة بيض ••• وفي ديوان الاعشى •• وردتها بضم الواو مع النصب » ، وفي شرحه : وردتها حمرتها » • قلنا : فالنصب هو الوجه لكونها مفعولا ثانياً لتحسب ، والذبح هنا لايصح أن يكون ضربا من الكمأة ، لأن الكمأة لا نور لها ولا ساق ، وانما همها الانقاض ثم الانقباض ، والصحيح أن المراد « الذبح » محركة ، وتكسر وتضم الذال • وقد ذكرها ثعلب في الأمالي كما في (ص ٥٧٣) ، قال « الذبحة : شجيرة تنبت على ساق نبت الكراث ، ثم يكون لها زهرة صفراء ، وأصلها مثل الجزرة

حلوة » فهي التي تشبه الشمول نورها .

٥٨ ــ وفي ص ٥٨٣ قول الشاعر :

يقولون لا تنزف دموعك بالبكا فقلت : وهل للعاشقين دموع ؟

وضبط « تنزف » ضبط الرباعي الذي مصدره الانزاف ، وليس ذلك بالوجه ، فالوجه هو الثلاثي ، وفي مختار الصحاح « نزف ماء البحر : نزحه كله ونزف هو يتعدى ويلزم وبابه ضرب ، ونزفت البئر على ما لم يسم فاعله » . وفعل إذا جاء بمعنى « أفعل » فهو الأصل وله الفصاحة دون الرباعي ، مثل « رجعه وأرجعه ورعبه وأرعبه ونعشه وأنعشه ورشاه وأرشاه وكسبه وأكسبه وتتجه وأتتجه» ، وعلى الضد من ذلك « غفا وأغفى ووحى وأوحى وبل وأبل» وأمثالها . فان المعنى الاصلي للرباعي ثم شاركه الثلاثي فيه .

٥٩ ــ وفي ص ٥٨٨ شرح للأستاذ الهاروني لا مشروح له فيها ، والظاهر أنه شرح بيت ورد في ص ٥٨٥ .

٦٠ ــ وجاء في ص ٥٩٥ « جمع « فعلة » كتمرة اسماً ونعتاً » . ومن تفصيله قوله « وكذلك ربعة وربعات حركت وهي نعت ... هذان الحرفان حركا في النعوت إلا في قول الكسائي ، فانه جاء به على القياس في لجبة ، ولم يحك الفراء ولا الكسائي في ربعة إلا التحريك » . وقد حرك « ربعة » أي فتح باءها ، فبطل الاستشهاد بها ؛ لأنه أراد أنها مثل « لجبة » ، وهذا معنى قوله « حركت وهي نعت » أي جمعت على ربعات بفتح الباء مع كونها نعتاً ، أراد جمع « ربعة » المحركة لم يقل ذلك القول ، ومن ذلك يعلم زيادة قول الشارح الفاضل في الحاشية « وقد عنى هنا لغة الفتح » . قال الجوهري في الصحاح : « ورجل ربعة أي مربوع الخلق لا طويل ولا قصير ، وامرأة ربعة ، وجمعهما جميعاً « ربعات » بالتحريك وهو شاذ لأن فعلة إذا كانت صفة لا تحرك في الجمع وانما تحرك إذا كانت اسماً ولم يكن موضع العين واو ولا ياء » .

وقال مؤلف المصباح : « وفتح الباء فيها لغة » •

ومن المعلوم أن ثعلباً أتى بها علـى اللغتين ، ولكـن الشارح ألزمها لغة واحدة كما ذكرنا وذكر هـو •

٦١ ــ وفي ص ٦٠١ « أشـهد أن هـذا كـلام أنباء الأنبياء » • والصحيح « أبناء الأنبياء » يعني بالأبناء ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهم عبد الله بن الحسـن بن الحسن بن على المذكور في الخبر •

٦٢ ــ وجاء في ص ٦٠٦ قول ابن عناب الطائي :

إذا قال قطني قلت آليت حلفة لتغني عني ذا إنائك أجمعا

قال الشارح : « ويروى لتغني بفتح الـلام والبـاء على إرادة نون التوكيد الخفيفة ، و « لتغنن » بفتح اللام وكسر النون الأولى مع حـذف الياء بعدها » • قلنا : إن الوجه هـو التوكيد ، فهو واجـب لأن الفعل جواب لقسم متصل بلامه مثبت مستقل •

٦٣ ــ وجاء في ص ٦١٦ : « وجئتني بها سوداء مكسّرة كأنهـا الأظفار » في وصف دراهم ، قال الأستاذ عبد السلام : « جاءت في الأصل « سودآ » بوضع مدّة فوق الدال ، وهذا يعد شـاهداً لجواز هـذا الوصف ، أنظر تحقيقي لذلك في مجلة المقتطف ••• » قلنا : مضت لنـا في مثل هذا كلمة في أثناء الملحوظة (٢٥) • والصحيح أن هـذا لا يقوم شاهداً على ما ذكر الأستاذ المحقق ؛ وما أسهل ما كـان الناسخ أن يزيد مدّة أو همزة على « سُوداً » ! فالشاهد يجب أن يكون مـرفوعاً أو مجروراً ، ومعنى ذلك أن الالف في « سـوداء » هي ألف النصب ألحقت بها همزة ، ولو كانت معرفة بالالف واللام لأغنتنا عن كل شرط آخر كأن تأتي بصورة « الدراهم السوداء » ، وهيهات ذلك •

٦٤ ــ وجاء في ص ٦٢٨ : « وأحرف الرجل إذا نما مالـه وكثر » قلنا : الوجه « نمى » بالياء لا بالالف ، قال الجوهري وصاحب مختاره :

« نمى المال وغيره ينمي بالكسر نماء بالفتح والمد ، وربمـــا جاء مـــن باب سهل ، قال الكسائي : ولم أسمعه بالواو إلا من أخوين من بني سليم ، ثم سألت عنه بني ســليم فلم يعرفوه بالواو ، وحكى أبو عبيدة نما ينمو وينمي » . وهذا كاف في استرجاح ما ذكرناه .

٦٥ ـــ وجاء في ص ٦٤٦ ـــ ٦٤٧ كلام على مادة هدى منه : « وهديت العروس الى زوجها هــداء ، ويقال أهديتها بالألف » . قــال الشارح الفاضل : « التكملة من فصيح ثعلب ... وانظر اللسان ... » . قلنــا : إن الأمالي أحق بالرعاية من غيرها . فقد مضى ذكر مثل هــذا في صــ ١٤٤ « وهديت العروس وهديت الهدي كله بلا ألف إلا الهدية ، ويقــال في العروس ايضا بالالف » .

٦٦ ـــ وفي ص ٦٥٣ قول مهلهل بن ربيعة مــن قصيــدة مضمومــة الــرويّ :

جزعاً عليك ولست لائم حرّة ... تبكي عليك بعبرة وتنفسُ

كذا بالمصدر المجرور مع الاقواء ، ولا وجه لذلك ، وانما الوجــه « وتنفّس » مختصر الفعل « تتنفّسُ » ، ولا فرق بين المصدر وفعلــه في أداء المعنى ، بَلْهَ أن الفعل أدل على الاستمرار ، فالفعل « تنفس » معطوف على « تبكي » .

٦٧ ـــ وجاء في ص ٦٥٦ : قال حدثني الطويل ، قال : كنت عنــد الفراء فسألته عن مسألة ... » ولم يذكر من هــذا الطويل ، والصحيــح « الطوال » قال ابن النديم في الفهرست (ص ١٠١) في المشاهير مــن أصحاب الفراء : « الطوال واسمه[١١] ... ويكني أبا عبداللــه ولا كتاب له يعرف . قال أبو العباس ثعلب : كان الطوال حاذقاً بالعربية . وذكــر النديم في أخبار أبي عصيدة (ص ١٠٨ ـــ ٩) أن الطوال كان ممن استدعى

(١١) في هــذه الصفحة نقصان واختلاط بين التراجم .

بهم الامير ايتاخ وكاتبه لأختيار مؤدبين لابني المتوكل : المنتصر ، والمعتز .

هذا اكثر ما استحق منا العناية والاثبات في أثناء قراءتنـــا « مجالس ثعلب » الكثيرة الفوائد والعوائد ، وهي بالنسبة الى العمل الادبي العظيم الذي عمله الأستاذ المحقق عبد السلام محمد هارون ــ كما قلنا ــ كالقطرة بالاضافــة الى البحــر . وما قيمــة هــذه الملحوظات اليسيرة في كتاب عسير التحقيق ، مضني التحرّى ، صعب الموضوع ، عدة صفاحه « ٦٦٦ » ــ أعني هــذه المجالس ــ ؟

فنحن نشكر للاستاذ الفاضل فضله على اللغة العربية وآدابها ، ونحمد مجهوده العظيم ، ونطري علمه الواسع ، وحسب القارىء تبيناً للمشـــاق التي قاســاها ، والبحوث التي عاناها ، أنه راجع « ١٨٤ » كتاباً مـــن الكتب التي تتصل بموضوع المجالس بسبب مــن الاســباب ، ووضع له فهارس تجمع فوائده وتعين رائده ، والله الموفق للفلاح والنجاح .

عين أخرى على « العين »

حضرة سكرتير التحرير لمجلّة الأقــلام المحترم *

أقدم لكم أوفر الشكر وأوفاه على نشركم نقد الدكتور الفاضــل المحــقق رمضان عبد التواب للجزء الأول مــن أول المعجمات العربيّــة وقدوة اللغويين كتاب العين تأليف نابغة أهل اللغة وأهل النحو الخليــل ابن أحمد الفراهيدي . وان التسعين والمائة وهم من أوهام تخريج الشعر واصلاحــه والمقابلة بين المطبوع والمخطوط من العين وإصلاح المصحّف من كلمه ليست بالشيء القليل من سعي الدكتور الفاضل ذلــكم السعي الأدبيّ الجليل ، مع أنّ هذا الجزء كان الأب أنستاس ماري الكرملــي قد نشر منه ما يســاوي (٢٢٥) صفحة ولم يبق للناشر الفاضل الدكتور عبد الله درويش منه إلا ثلاث وتسعون صفحة ، تعد نشراً جديداً وقد خرج هذا الجزء مثالاً لأقبح ما يمكن نشره من كتب اللغة مع أنه أحق منهــا بالعناية والتصحيح والرعاية ، بله أن كتب اللغة ينبغي ان يكون طبعهــا صحيحاً حق الصحة .

وأنا الــذي قدّم تقريراً الى رئاســة المجمــع العلمي العراقيّ مقترحاً فيه إعانة ناشره مالية على طبعه حتى خرج موشحاً بالجملة الرسمية المعهودة « ساعد المجمع العلمي العراقي على طبعه » . وقد أسفت على ذلــك أشد الاسف ، فقد ظهر لي بعد الطبع ان الدكتور الفاضل الدرويشيّ مــع سعيه الكثير في جمع مخطوطات الكتاب غير قادر على إخراجه وحــده

* ارسل المرحوم الدكتور مصطفى جواد هذا النقد الى عبد الحميد العلوجي عندما كان سكرتير التحرير لمجلة الاقلام .

نصفه وقد اعيد نشره فيظهر فيه اكثر من « ١٩٠ » وهماً في تخريج الشعر والتصحيف ؟ ! وقد فات الدكتور الفاضل رمضان عبد التواب أوهام أخرى نذكرها لقراء مجلّة الأقلام البارعة التي فتحت الباب لهذا النقد الضروري البارع وأمثاله فأقول ذاكراً الاوهام الاخرى مكرّراً شكري لمجلة الاقلام التي انتدبت لاصلاح ما يفسده غيرها من مؤسسات الثقافة :

١ ـ ورد في حاشية الصفحة ٥٣ قول محقق الجزء الدكتور عبد الله درويش : « ولعله يقصد بالزجر أسماء الأفعال مثل صه » . وهذا خطأ مبين فالزجر ألفاظ مصطلح عليها لسوق الحيوان ودعوته وما جرى مجرى ذلك مثل قولهم للابل : بس بس ، ومثل ما جاء في الصفحة ١٩٤ من العين « نعق الراعي بالغنم نعيقاً : صاح بها زجراً » فنعيقه صوت معلوم .

٢ ـ في ص ٧١ صخب التعشير بتسكين الخاء والصواب كسرها .

٣ ـ ص ٧٤ وهي الأتانة . صوابه « الأتان » .

٤ ـ ٨٧ لا تدرّ بكسر الدال . والفصيح ضمّها كما في مختار الصحاح ويجوز كسرها فينبغي ذكر اللغتين ، وقد كرّر هذا الضبط في الصفحة ٢١٧ .

٥ ـ ٨٨ يَروي العزاز . بفتح الياء . والصواب ضمّها فالمزاد الرباعي ومصدره الارواء .

٦ ـ ٨٨ ويهمرن ، بتسكين الراء والصواب وينهمرن أو يهتمرن .

٧ ـ ٨٩ مثلَ . بفتح اللام والصواب كسرها لأنه صفة طعن المجرور السابق له .

٨ ـ ٩١ تعاودني . الصواب : تعادّني . بتشديد الدال ، من مادة « عدّ » كما في الصحاح وكتب الأحاديث . ومصدره المعادّة

بتشـــديد الدال والعداد ٠

٩ ـــ ٩٢ ـــ لتكثّره ٠ بتشـــديد الثاء ٠ والصواب : لتكنزه بالنـــون والزاي

١٠ـــ ٩٦ الجَوذان ٠ صوابه . الحوذان ٠ بفتح الحاء أو ضمّها ٠

١١ ـــ٩٧ أو نموت ٠ بالرفع ٠ والصواب النصب ، بتقدير « أن » علـــى مذهب نحاة البصرة ٠

١٢ـــ ١٠٠ تعل ٠ بكسر العين والصواب ضمّها ٠

١٣ـــ ١٠٣ ويجمع على أعنّة وعُنّ ٠ الصواب وعنُن كسرُر ٠

١٤ـــ ١٠٤ قد كمدا ٠ بفتح الميم والصواب كسرها ، لأنه من باب «فرح»٠

١٥ـــ ٨١ سغبتها ٠ صوابه : سنغبلتها ٠ بزيادة اللام ٠

١٦ـــ ٨١ للزبدة الزرقاء ٠ صوابه : للثريـــدة الزريقاء ٠

١٧ـــ ١٠٥ والعضافة ٠ بفتح العين والصـــواب ضمّها ، وفَعالـــة وزن للبقايا في الغالب ٠

١٨ـــ ١٠٦ الجرية ٠ بفتح الجيم والصواب كسرها ، فهو مصدر هيئة ويدل على الشـــدّة كالدرّة ٠

١٩ـــ ١٠٦ نِعْمة الشباب ٠ بكسر النون والصواب فتحها أي غضارته ٠

٢٠ـــ ١٠٦ ينضُج ٠ بضم الضاد والصواب فتحها من باب فرح ٠

٢١ـــ ١٠٥ لا يُحِل ، بضمّ الياء والصـــواب فتحها فهو ثلاثيّ ٠

٢٢ـــ ١٠٨ معمعتُ ٠ بضمّ التاء والصواب تسكينها للغائبة ٠

٢٣ـــ ١٠٩ الرطّب ٠ بتشـــديد الطاء والصواب تخفيفها ٠

٢٤ـــ ١١٠ عُرِق ٠ بضم العين والصواب فتحها من باب فرح ٠

٢٥ـ ١١٠ الهقوع • صوابه : المهقوع ، اسم مفعول •

٢٦ـ ١١١ الفري • بفتح الفاء وكسر الياء والصواب : القرى أو القرا أي الظهر •

٢٧ـ ١٠٧ إذا عمم • صوابه : إذ عمم • فهو رجز •

٢٨ـ ١١٠ يُشاءم بها صوابه يتشاءم بها •

٢٩ـ ١١٣ الجعّة بتشديد العين وفتح الجيم • والصواب كسر الجيم وتخفيف العين وهي كالفقاع •

٣٠ـ ١١٤ أروبة ، صوابها : أرومة •

٣١ـ ١١٥ الجُعية • بضّم الجيم والصواب فتحها •

٣٢ـ ١١٥ • هزاع • صوابه « أهزع » صفة على وزن أفعل ولعله من غلط الطباعة الآلية •

٣٣ـ ١١٦ وحشة •بفتح الواو والحاء • صوابه : وحشة بتسكين الحاء ، أو وخشة بالخاء •

٣٤ـ ١٩ صهميم • بفتح الصاد والصواب كسرها •

٣٥ـ ١٢٣ علاه • بفتح العين والصواب كسرها مثل عِطاش بكسر العين •

٣٦ـ ١٢٤ الحمار • بكسر الحاء والصواب : الخمار ، بضمّها وهو أذى السكر والفرق بينهما عظيم •

٣٧ـ ١٢٤ هلَعت • بفتح اللام • والصواب كسرها من باب فرح •

٣٨ ـ ٢٧٢ الجُعية • بضم الجيم والصواب فتحها •

٣٩ـ ١٢٦ ـ وتره •بفتح التاء والصواب تسكينها ولغة تميم كسر الواو •

٤٠ـ ١٢٦ ـ وتري القول فيه كالقول في سابقه •

٤١ــ ١٣٦ يُجنى عليه • ببنائه للمجهول ، والصواب بناوءه للمعلوم •

٤٢ــ ١٣٧ المختلع • صوابه : المتخلّع • اسم فاعل من تخلّع •

٤٣ــ ١٤٢ بعد الغسق • صوابه : العشق أي الالتصاق •

٤٤ــ ١٤٧ أي بيوت الذباب • صوابه : أي يموت الذباب •

٤٥ــ ١٤٧ تهيّقه • مصدر تهيّق • والصواب « نهيقه » فهو حمار وله نهيق •

٤٦ــ ١٤٩ القعس • بفتح القاف وتسكين العين • صوابه التحريك أي فتح العين •

٤٧ــ ١٤٩ الجدب • بفتح الجيم وتسكين الدال • صوابه التحريك أي فتح الدال والجيم •

٤٨ــ ١٥٠ رُعشت • بالبناء للمجهول • صوابه البّناء للمعلوم على وزن فرح •

٤٩ــ ١٥١ ما تصنعُ • بالرفع ، والصواب الجزم لأنه فعل شرط •

٥٠ــ ١٥١ هذا من حديث الامام عليّ لا من حديث الرسول كما توهم الجوهري ا هـ نقلاً عن القاموس • فأقول : ما الداعي الى ذكر الجوهريّ وقد عاش بعد الخليل ، ثم مات بمائتي سنة ، وقد أخطأ صاحب القاموس في توهيمه الجوهري ، فالجوهري إذا ذكر « الحديث » في صحاحه أراد حديث العرب الفصحاء لا حديث الرسول (ص) واختلاف الاحاديث وأصحابها في الصحاح يدل على ذلك •

٥١ــ ١٥٥ عطبت • بفتح الطاء والصواب كسرها من باب فرح •

٥٢ــ ١٥٦ سقاسق • صوابه : سفاسق •

٥٣ــ ١٥٩ تدوي : صوابه تذوي • ولعله من غلط الطباعة الآلية •

٥٤ــ ١٥٩ أُخذ • بالبناء للمجهول وصوابه البناء للمعلوم •

٥٥ـ ١٦١ ميل العجز • بتسكين الياء والصواب فتحها فهو من العيوب الظاهرة كالعرج ، وقد كرّر خطأ الضبط في الصفحة ٢١٤ •

٥٦ـ ١٦٢ فيقدع • صوابه : فينقدع •

٥٧ـ ١٦٣ طُوار • بضّم الطـاء والصواب فتحها •

٥٨ـ ١٦٣ عقد يعقد عقدا • بفتح عين الماضي وكسرها فـي المضـارع وتسكين عين المصدر ، والصواب أن تكون كلها مثل « فرح يفرح فرحـا » •

٥٩ـ ١٦٤ القِرى • بكسر القاف وفتح الراء • والصواب القرى أو القرا بفتح القاف أي الظهر وقد مرّ •

٦٠ـ ١٦٤ ذفونا • بالذال المعجمة والصواب زفونا • بالزاي ، وقاتـل الله اللهجات القطرية •

٦١ـ ١٦٥ أعدق • فعل أمـر من اعدقت أنت والمفضّل الثلاثي لأنـه سابق له •

٦٢ـ ١٦٦ صلب • بفتح الصاد وتسكين اللام • والصواب ضمّ الصاد •

٦٣ـ ١٦٧ دود أحمر تكون • صوابه : دود حمر تكون كما في القاموس وغيره ، فهـو اسم جنس جمعي •

٦٤ـ ١٦٧ فاتصلنا • بالصاد المهملة والصواب بالضاد المعجمة ، كمـا أشـار المحقق اليه فـي اللسـان •

٦٥ـ ١٦٨ القذع • بالتحريك والصواب فتـح القاف وتسكين الذال •

٦٦ـ ١٦٨ لثغة • بفتح اللام وتسكين الثـاء والصواب ضم اللام •

٦٧ـ ١٧٠ والعقر مصدر العاقر • بفتح العين مـن العقر والصـواب ضمّها وفتحها •

٦٨ـ ١٧١ محِلّة • بكسر الحاء والصواب فتحها •

٦٩ـ ١٧٣ عقاراً قرقفا • بفتح العين والصواب ضمها •

٧٠ـ ١٧٤ لمعرق له في الحسب • على وزن مجلس • والصواب لمعرق• بضمّ الميم وتسكين العين وفتح الراء • اسم مفعول من أعرق له •

٧١ـ ١٧٥ للقتب • بضّم القاف وتسكين التاء ، والصواب التحريك كالسبب ويجوز كسر القاف على لغة •

٧٢ـ ١٧٦ السعفة • صوابها : السفيفة بفاءين •

٧٣ـ ١٧٦ ذبيلا • الصواب : زبيلاً وزنبيلاً وهو معروف بالعراق •

٧٤ـ ١٧٩ ُقنب الدابة • بضم القاف وتسكين النون • والصواب القتب المذكور آنفـاً •

٧٥ـ ١٧٩ يتمزّق • صوابه : يتفرق •

٧٦ـ ١٨١ قال الزوزني: المعقول ••• لم ينبه محقق الكتاب على أن هذا القول ملحق بالكتاب أو احدى الحواشي او أحد الهوامش التي ادخلها الناسخ فيه ، فأين عصر الخليل او الليث من عصر الزوزني ؟ ! •

٧٧ـ ١٨١ ونحوه • بفتح الواو والصواب ضمّها لأنه فاعل بالعطف •

٧٨ـ ١٨٤ لم تعلّقني علاقتها • في ديوان جرير الذي أشار اليه محقق الجزء « علاقتها » •

٧٩ـ ١٨٦ تعلَق • بفتح اللام • والصواب ضمّها أي تأكل وتتناول •

٨٠ـ ١٨٧ ما تعلَق • بفتح اللام ، وهو مضمومها كسابقه لأنه بمعناه •

٨١ـ ١٨٩ بمُرزئة • بضمّ الميم اسم فاعل من أرزأت والصواب : مرزئة بفتح الميم وتسكين الراء وكسر الزاي •

٨٢ـ ١٨٩ شغف ، بالتحريك والغين المعجمة والصواب : بالعين المهملة •

٨٣ـ ١٩١ ما صلب • بفتح اللام والصواب ضمّها لأنه من باب سهل •

٨٤ـ ١٩٢ بسكّينة • صوابها : بسكّينه ؛ بالاضافة •

٨٥ـ ١٩٣ قنع يقنع قناعة • بفتح النون ، من قنع ، والصواب كسرها لأنه بمعنى الرضا بالموجود •

٨٦ـ ١٨٩ نضُب بضمّ الضاد ، والصواب فتحها • وكرّر خطأ الضبط في الصفحة ١٩٤ •

٨٧ـ ١٩٤ المقنعة ، بفتح الميم والصواب بكسرها

٨٨ـ ١٩٤ فلان مقنع ، اسم فاعل من أقنع ، والصواب : مقنع، كالمصدر الميمي •

٨٩ـ ١٩٥ أطال مكثه ، صوابه : طال ، الثلاثي •

٩٠ـ ١٩٦ يهرقن ، بفتح الياء والصواب ضمّها ، لأنه رباعي : أهرق •

٩١ـ ٢٠٠ قفعاً • بتسكين العين ، والصواب : قفعاً • بالتحريك لأنه من العيوب الظاهرة •

٩٢ـ ٢٠١ تغمرها • صوابه : تغمزها ؛ بالزاي •

٩٣ـ ٢٠٢ ثلاثة أعقبة ، صوابها : ثلاث أعقب ، للتأنيث وكونه ثلاثياً •

٩٤ـ ٢٠٣ عقب ، فعل ماضي بكسر القاف والصواب فتحها •

٩٥ـ ٢٠٥ ثلاثة أعقب • صوابه : ثلاث أعقب لمكان التأنيث •

٩٦ـ ٢٠٥ والحصن تلحق من أقرابها • رجز مكسور الوزن ينبغي التنبيه على كسره •

٩٧ـ ٢٠٥ عقبان ، بضمّ العين ، صوابها كسر العين •

٩٨ـ ٢٠٥ أعقابها ، صوابها : عقابها ، والشاهد له •

٩٩ـ ٢٠٧ مقعَّبا • بفتح العين المشددة والصواب كسرها اسم فاعل من قعَّب الحافر نفسه تقعيباً ونقل الى الصفة المشبهة باسم الفاعل مثل « فلّك ثدي الجارية تفليكاً » •

١٠٠ـ ٢٠٧ قُعِّبت تقعيباً • ببناء الفعل للمجهول والصواب بناؤه للمعلوم ، كما قدّمنا •

١٠١ـ ٢٠٨ آمناً • صوابه : آمَن وهو خبر للمرء قبله والخبر مرفوع وذلك بديهي •

١٠٢ـ ٢١٠ حفافاه ، بفتح الحاء والصواب كسرها مثنى حفاف •

١٠٣ـ ٢١١ فنلته ، صوابه : فنلتُ ، بغير ضمير •

١٠٤ـ ٢١٢ من رب ولا سمن ، بفتح الراء والصواب ضمّها وهو الطلاء الخاثر •

١٠٥ـ ٢١٣ بالمق ، صوابه : بالمعق ، ولعله من غلط الطباعة الآلية •

١٠٦ـ ٢١٤ وجمعه المقامع ، النصّ ناقص ، فالقمع لا يجمع على المقامع •

١٠٧ـ ٢١٤ الميقع ، بكسر الميم كأنه اسم آلة ، وصوابه : فتح الميم ، فهو من مقع •

١٠٨ـ ٢١٦ بالبَرى ، بفتح باء البرى والصواب ضمّها جمع بُرة مثل ظُبة •

١٠٩ـ ٢١٧ وكُسَع ، على وزن عمر ، وهو منون وصوابه عدم التنوين للوزن والعلمية أي وزن العدول •

١١٠ـ ٢١٩ زَجّ ، بفتح الزاي والصواب ضمّها •

١١١ـ ٢٢٠ يحضر ، صوابه : يحفر ، بالفاء لا بالضاد •

١١٢ـ ٢٢١ عنق ، بفتح التاء والصواب ضمّها فهو من باب سهل •

١١٣ـ ٢٢٤ عَرْكي ، بتسكن الراء ، والصواب فتحها ، وهي كذلك في الديوان الذي أشار اليه محقق الجزء أي ديوان جرير •

١١٤ـ ٢٢٥ هزُلت ، بضم الزاي ، والصواب فتحها اذا فعل ذلك بها صاحبها ، وإلا فالبناء للمجهول ، ويجوز كسر الزاي باعتداد ذلك من العيوب الظاهرة أما ضم الزاي فغير جائز •

١١٥ـ ٢٢٧ ثلاثة أكرع ، صوابه : ثلاث أكرع ، لأن الكراع مؤنثة •

١١٦ـ ٢٢٧ يتنكّب لوجهه ، الصواب : ينكبّ ، ومصدره الانكباب •

١١٧ـ ٢٢٩ فرسنه ، بكسر الفاء وتسكين الراء وفتح السين ، والصواب : كسر السين •

١١٨ـ ٢٣٢ لا تنكعُوا ••• من ينكع ، وردا ثلاثيّين ، وهي في بيت شاهد للرباعي « أنكع إنكاعاً » •

١١٩ـ ٢٣٦ تربعّ ، كأنه مضارع اربعّ مثل اعورّ ، مع أنه مصدر وفي ص ٢٣٩ هُزْمة ولا عُكمة ، وهما بضم الفاء والصواب فتحها • وفي ص ٢٤٠ ممعّك اسم مفعول من معّكه تمعيكاً ، والصواب « مِمعك » على وزن منبر •

١٢٠ـ ٢٤١ فمن أيّما تجني الحوادث • صوابه : تجن ، بالنون وحدها لأنه فعل الشرط وحقه الجزم •

١٢١ـ ٢٤٢ فمن ايّما تأتي الحوادث • صوابه : « تأت » لأنه فعل الشرط وحقه الجزم •

١٢٢ـ ٢٤٦ وعجُزك ، بضم الجيم ، والصواب تسكينها لأنه مصدر الفعل عجز أي لم يستطع •

١٢٣ـ ٢٤٦ عجزت • بفتح الجيم والصواب كسرها وهو من العيوب الظاهرة ، وعلى وزن فرح •

١٢٤ـ ٢٤٨ بِشة ، صوابها : بيشــة ، والاســم مشهور •

١٢٥ـ ٢٤٩ جعَد يجعد جعودة ، بوزن منــع ، والصواب أنه مــن باب سهل •

١٢٦ ـ ٢٥٠ حزام ، صــوابه : حــذام ، بالذال المعجمة •

١٢٧ـ ٢٥١ وابن سينا ، صوابه : وابن ســيده ، ولم يكــن ابن سينا لغويــا •

١٢٨ـ ٢٥٧ تُخدي ، بضم التاء والصواب فتحها فهو ثلاثيّ •

١٢٩ـ ٢٥٧ يعرُج ، بضمّ الراء ، والصــواب : فتحهــا فهو من العيوب الظاهــرة •

١٣٠ـ ٢٥٧ جمعها عَــرج ، بوزن المصــدر والصواب عُرج ، كسُود جمع أســود •

١٣١ـ ٢٥٨ والنصريح ، صوابــه : والتعريج•

١٣٢ـ ٢٥٩ ما يبس في الدير ، صوابه : الدُبر كالقفل واليُسر والعُسر•

١٣٣ـ ٢٥٩ والجعراء حي يعيرّون بذلك • والنص ناقص صوابــه : والجعراء : الاســت ولقب بلعنبر حتى ليعيرّون بذلك •

١٣٤ـ ٢٥٨ على رفقتيك ، صوابه : على رفقتك بضم الراء •

١٣٥ـ ٢٦١ يُعجل •• يُعجّل ، فالاول على وزن الرباعي أفعــل يفعــل إفعالاً والثاني على وزن الرباعي الآخر فعّل يفعل تفعيلاً ، وكلاهما خطأ والصــواب الثلاثي على وزن فرح •

١٣٦ـ ٢٦٢ عِجال ، بكسر العين من عجــال والصــواب ضمّها لأنه اسم جنس جمعي لعُجالة بضمّ العين •

١٣٧ـ ٢٦٤ عيدها ، بفتح العين والصواب كسرها ••

١٣٨ـ ٢٦٥ يشد في عروقه ، صوابه : في عراقيها ، والدلو مؤنثة ، لا عراق ولا عروق وهو جمع عرقوة أو عرقاة : خشبة معروضة على الدلو .

١٣٩ـ ٢٦٥ بخُطامه ، بضم الخاء والصواب ، كسرها فهو من اسماء الآلات والأدوات .

١٤٠ـ ٢٦٦ عضادة ، بضمّ العين ، والصواب : كسرها ، وحالها كحال سابقها ، الا أن المحقق مغرم بالضمّ .

١٤١ـ ٢٦٦ الرّمث ، بفتح الراء والصواب كسرها وقد كرّر غلط الضبط في الصفحة ٢٩٠ فليس بغلط طبع .

١٤٢ـ ٢٦٧ من الضربة ، باسم مصدر المرّة من الفعل ضرب ، وصوابه « من ضربة » بلا ألف ولام : موضع مشهور في بلاد العرب لا يجهله أديب ، قال ياقوت في معجم البلدان « ومنبج جانب الحمى : حمى ضربة التي مهب الشمال » .

١٤٣ـ ٢٦٧ طِلاهم ، بكسر الطاء ، والصواب « طُلاهم » بضمّها لأنه جمع طلية أي رقبة وعنق ، كزُبية وزُبى .

١٤٤ـ ٢٦٩ الأضعان ، بالضاد المعجمة والعين المهملة ، صوابه الأضغان .

١٤٥ـ ٢٦٩ الصَّرَع ، بالتحريك ، وصوابه : الصَّرْع ، بفتح الصاد وتسكين الراء .

١٤٦ـ ٢٧٠ يُكرَمُ عليه ، ببناء الفعل للمجهول والصواب بناؤه للمعلوم ، أي يكون كريماً .

١٤٧ـ ٢٧١ المستدقة . بفتح الدال ، والصواب كسرها ، اسم فاعل نقل الى الصفة المشبهة كالمستطيلة .

١٤٨ـ ٢٧٦ نسعها ، بفتح النون والصواب كسرها .

١٤٩ـ ٢٧٧ مجتمع خلفه ، والصواب : مجتمع خلقه ، بالقاف أما نصب مجتمع فنحسبه من غلط الطبع .

١٥٠ـ ٢٧٩ فوددنا ، بفتح الدال الأولى والصواب كسرها لأنه من باب فرح .

١٥١ـ ٢٨٠ وأسشعته ، صوابها : واشسعته ، المصدر الاشساع .

١٥٢ـ ٢٨١ العشوز ، على وزن صبور ، وهو خطأ مبين والصواب « العشوز » على وزن جعفر .

١٥٣ـ ٢٨٢ قلت : عطشها ، مضارع اعطشت ، والصواب « أعطشتها » أي الماضي . لأنه تفسير فعل ماض .

١٥٤ـ ٢٨٢ يُرَى ، بالبناء للمجول ، والراجح : يُري ، مضارع أرى المسند الى الغائب .

١٥٥ـ ٢٨٢ مشعبَذ ، بفتح الباء والصواب كسرها لأنه اسم فاعل . وفي ص ٢٨٤ ثلاث عشرة ، بفتح الشين ، والصواب تسكينها أو كسرها . وفي الصفحة نفسها : العِشار ، بكسر العين وتشديد الشين وصوابه «العشّار» بفتح العين وتشديد الشين وهو الذي يأخذ العشر ، وبه سمي العشار بالبصرة وهو البصرة الجديدة الراكبة لشط العرب.

١٥٦ـ ٢٨٤ عشراً ، بفتح العين وتسكين الشين والصواب : كسرها ، لأنه من أسماء الأظماء عند العرب وهي على وزن شبر .

١٥٧ـ ٢٨٧ شباريق أعشار عَتَمن على كسر . بفتح العين والتاء المنقوطة باثنتين ، وقد أحال المحقق في الحاشية على التاج في « عتم » بالتاء أيضاً ، وليس في مادة عتم ما يدل على الجبر ، والصواب « عُثِمن » بالبناء للمجهول لا للمعلوم ، ومادة « عثم » من التاج بالثاء المثلثة ، والبيت في اللسان ومنه نقل مؤلف التاج .

١٥٨ـ ٢٩٠ والشعيراء ، صوابه : والشعراء •

١٥٩ـ ٢٩٢ الفِقار ، بكسر الفاء والصواب فتحها •

١٦٠ـ ٢٩٣ عَرِشةٌ• بفتح العين وكسر الراء • والصواب: عرشة كتِرسة•

١٦١ـ ٢٩٥ جعلت لها شروعا • الصواب : شرعا • جمع شراع مثل سُرر•

١٦٢ـ ٢٩٥ وجمعه شروع • والصواب شرُع وزان كتب • فهو جمع الشراع •

١٦٣ـ ٢٩٦ شرعت اللحم : اذا قددتها طوالاً ، الصواب : اللِحام جمع اللحم •

١٦٤ـ ٢٩٧ الأجفَن • بفتح الفاء والصواب ضمّها جمع قلّة للجفن كالأفلس •

١٦٥ـ ٣٠٢ لايقال نعشه الله فانتعش • الصواب : لا يقال إلا نعشه •••

١٦٦ـ ٣٠٢ يُنعش الناس ، أثبت الرباعي وترك الثلاثي الفصيح •

١٦٧ـ ٣٠٤ عشفّعه ، صوابه : فشفّعه •

١٦٨ـ ٣٠٤ فلان يشفع لي بالعداوة أي يعين عليّ ويضادني • صوابه « يشفع عليّ » لأنه ضرر واللام للنفع ، والصواب أيضا « يضارّني » بالراء لا بالدال •

١٦٩ـ ٣٠٨ وقد شُعّب بالبناء للمجهول ، والصواب بناؤه للمعلوم مثل قعّب الحافر وفلّك الثدي •

١٧٠ـ ٣١١ الشّمع ، بفتح الشين وتسكين الميم ، والفصيح المشهور بالتحريك فينبغي أن يبدأ بـه •

١٧١ـ ٣١١ وامتشع سيفه أي استل ، صوابه : استلّه •

١٧٢ــ ٣١٧ وللرّجل عضدان، بكسر الراء وتسكين الجيم من الرجل، والصواب الرحل، بفتح الراء وتسكين الحاء، وكيف يكون للرجل عضدان ولو كانت رجل « أخطبوط ».

١٧٣ــ ٣١٧ يبقى منها ويترك بعضها، كلاهما بمعنى واحد، والصواب : ينتقي منها ويترك بعضها.

١٧٤ــ ٣١٨ الشغب، بالتحريك والفصيح فتح الشين وتسكين الغين المعجمة، فينبغي البدء به.

١٧٥ــ ٣١٨ العنجهيّة، بفتح الجيم والصواب ضمّ العين والجيم.

١٧٦ــ ٣٢٢ عارضي لحيته، صوابه : عارضي لحييه.

١٧٧ــ ٣٢٣ المحمِل، بكسر الميم وتسكين الحاء وكسر الميم الثانية، صوابه المحمل كالمنزل.

١٧٨ــ ٣٢٦ المُضلعة، اسم فاعل من أضلعت الرباعي، صوابه « المضلّعة » اسم مفعول كالمخطّطة والمسهّمة، بتشديد اللام المفتوحة، وبيت الشاهد يؤيد ذلك « وتدني الثياب السابري المضلّعا ».

١٧٩ــ تجافى عن المأثور، مضارع جافت ومصدر ثلاثيه الجفاء، والصواب فتح التاء وجعله ماضيا محذوف التاء الثانية وأصله : تتجافى كتتوانى.

١٨٠ــ ٣٣١ لم يُرد بالتاء التأنيث، ببناء الفعل للمعلوم وهو مبني للمجهول لأن المريد مجهول.

١٨١ــ ٣٣٣ ويُجنبُ، رباعيّ مضارع أجنب والثلاثي هو المُراد.

١٨٢ــ ٣٣٤ وقد عضَبت عضبا، بتسكين الضاد في الكلمة الاخيرة، والصواب : عَضَبا بالتحريك، فهو مصدر لعيب من العيوب

الظاهرة كالعَرَج والعَمى والحَوَل •

١٨٣ـ ٣٣٦ تشق بها الأرض ، ببناء الفعل للمعلوم وصوابه البناء للمجهول لأن الشاق مجهول •

١٨٤ـ ٣٣٧ مستقبل حدود نهر ، صوابه : حدور على وزن صبور ، وهو موضع الحدور •

١٨٥ـ ٣٣٧ والهبوط من أعلاه إلى أسفله • بضّم الهاء ، والصواب فتحها فهو على وزن الحدور ، وبمعنى موضع الهبوط •

١٨٦ـ ٣٣٨ ليرتقي ذاب الى أصل دركه • صوابه ذابت الى أصل وركه •

١٨٧ ـ ٢٥٧ صلب • بفتح الصاد وتسكين اللام • والصواب ضمّ الصاد•

١٨٨ـ ٣٤٥ جارية بسِفوان دارها ، بكسر السين وتسكين الفاء صوابه : بسفوان على وزن الذَّوبان ، وهو اسم ماء ، قال ياقوت في معجم البلدان : « سفوان بفتح أوله وثانيه وآخره نون كأنه فعلان من سفت الريح التراب وأصله الياء إلا أنهم هكذا تكلموا به • قال أبو منصور : سفوان ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة وبه ماء كثير السافي وهو التراب • قال وأنشدني أعرابيّ :

جارية بسفوان دارها   تمشي الهوينى مائل خمارها

ومائلا هو الصواب كما جاء في العين لأنه حال •

١٨٩ـ ٣٤٧ وقد رصَعت المرأة رصعاً ، بفتح الصاد والصواب كسرها لأنه من أفعال العيوب الظاهرة •

١٩٠ـ ٣٤٨ ورجل صَريع ، على وزن قتيل ، والصواب : صرّيع على وزن سكّير ، لأن صناعته الصَّرع •

١٩١ـ ٣٤٧ والعصرة : الدنيّة ••• أي دنيّة ، بفتح الدال وكسر النون وتشديد الياء المفتوحة ، وهو خطأ والصواب : الدنية ودنية ، على وزن قِربة ، لأنها بمعنى القرابة •

١٩٢ــ ٣٥٠ يرقد في ظلّ عراص ويطرده • بكسر العين وفتح الراء من عراص ، والصواب فتح العين وتشديد الراء المفتوحة ، لأنه شاهد العراص بمعنى السحاب ولأن الوزن يقتضيه •

١٩٣ــ ٣٥١ ما ينضُج ، بضّم الضاد ، والصواب فتحها لأنه من باب فرح يفرح •

١٩٤ــ ٣٥١ والمضأد ، بالضاد المعجمة والصواب : المفتأد ، بالفاء والتاء •

١٩٥ــ ٣٥٢ والصَّلْعة ، بفتح الصاد وتسكين اللام ، والصواب التحريك ويجوز ضّم الصاد • وكذلك الحال في النزعة والجلحة الواردتين في الصفحة نفسها المضبوطتين كضبط الصلعة •

١٩٦ــ ٣٥٤ يعقِد فوق الدقل • مضارع عقد والصواب يقعد •

١٩٧ــ ٣٥٦ الصناعة الرقيقة ، صوابه : الرَّفيقة أي ذات الرفق •

١٩٨ــ ٣٥٦ تقول : أصنع الغرس • صوابه الثلاثي : صنَع •

١٩٩ــ ٣٥٧ من جولان التراب ، كأنه مصدر جال ، والصواب : جولان التراب وجولانه بالفتح أو الضّم وهو ما ذرته الريح من التراب •

٢٠٠ــ ٣٥٨ حتى ينشوأ ويكتنز • علق عليه تفسير النشأة بغير داع •

٢٠١ــ ٣٦٢ الزِّندان ، بكسر الزاي ، والصواب فتحها •

٢٠٢ــ ٣٦٣ الذي يلائم ، صوابه : التي تلائم ، لأنها أطناب •

٢٠٣ــ ٣٦٣ التحاجي • صوابه : التخاجي ، بالخاء وأصله التخاجؤ •

٢٠٤ــ ٣٦٤ بفِرسانها ، بكسر الفاء ، والصواب ضمّها •

٢٠٥ــ ٣٦٥ والعَصَب أن يشدّ • صوابه : العصب كالضّرب •

٢٠٦ــ ٣٦٩ قل لذا المعصم ••• بيت مدوّر ومكسّر •

٢٠٧ـ ٣٧٠ والعصام : القرية أو الادارة . صوابه : حبل القربة أو الاداوة، واللفظان الاخيران أعني القرية والادارة اصلحهما الدكتور الفاضل رمضان عبدالتواب بمراجعـة المخطوط . فهـذه سـبع ومئتا وهمة، تضاف إلى تسعين ومائة تعقيبة للدكتور الفاضل رمضان فيكـون الجميع « ٣٩٣ » مؤاخذة على كتاب لغوي كان قـد طبع أكثر مـن نصفه فضلاً عن غلط الطباعـة الآلية الذي يصعب استقصـاؤه ، فهذا شيء فظيع جـداً في عالم النشر اللغـوي ، يستوجب إعادة طبع الجزء ، لأن بقـاءه على هـذه الحال مـن التشويه في أيـدي الباحثين والدارسين والمثقفين خطر على الثقافة اللغوية ، واللـه تعالى الموفق للصواب .

مؤرخ العراق ابن الفوطي

بحث في أدوار التاريخ العراقي ، من مستهل العصر العباسي إلى أواخر العصر المغولي . تأليف الأستاذ العلامة الجليل محمد رضا الشبيبي .

الجزء الثاني في ٣١٦ صفحة من الورق الأبيض من قياس ١٧ — ٢٤ سم وهو من مطبوعات المجمع العلمي سنة ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ ؛ وقد طبع في مطبعة المجمع .

وكان مؤلفه الأستاذ الجليل قد أخرج الجزء الأول سنة (١٣٧٠ هـ = ١٩٥٠ م) مطبوعاً بمطبعة التفيض الأهلية ، ثم تهيأله طبع الجزء الثاني في هذه السنة ، وقد احتوى على فوائد كثيرة ومادة غزيرة ، من التاريخ والأدب فضلاً عن عدة فهارس سهلت فوائده وقيدت شوارده وأوابده ، وهي في الأعلام والقبائل والفرق والجماعات والبلدان والأمكنة والبقاع والكتب والمراجع والمستدركات ، وفي صدرهن فهرس محتويات الكتاب الشامل لجميع الأبواب ، ومنها الكلام على الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب [1] ، وخصائص النسخة ، وتدقيق المؤلف ابن الفوطي وتحقيقه ، وأسلوب تحرّيه للألقاب والتشويش الطارىء على نسخة الجزء الرابع والجزء الخامس ، وأسلوب مؤلفه في كتابه التاريخ ، وبيان الأقدار المشتركة بين ابن الفوطي وابن خلدون ، والتصوّف عند هذا المؤرخ

(١) هذه تسمية مختصرة دالة ، (١ : العمود ٢٧٩ طبعة وكالة الآداب المرتب على معجم الأسماء في معجم الألقاب » كما جاء في آخر الجزء الرابع بخط المؤلف كمال الدين ابي الفضل عبد الرزاق ابن احمدالشيباني البغدادي المعروف عند المؤرخين بابن الفوطي .

المؤلف ، ووراقته وأسلوبه الخاص ، ومهنة التعليم والنسخ عنده ، والعلم بالمخطوطات والخطوط ، والعناية بتسجيل التاريخ الخاص بالأدب والثقافة ، ويلي ذلك الكلام على تشويش النسخة المشار اليه آنفاً والاعتذار من وقوع الأستاذ الجليل في أوهام عند النقل والأقتباس منها ، قبل زمن غير قليل ، وذلك للدلالة على السلامة من الوهم ومن الغلط في الاقتباس هذه المرة ، ثم الاشارة الى مثال آخر من الفساد والتحريف ، والكلام على ابتذال الألقاب ، وطرائفها ، وعلى كتب المؤرخين التي استمدت من معجم ابن الفوطي هذا ، وقد استغرق هذا البحث « ٥١ » صفحة من الكتاب (أعني هذا الجزء) .

وتكلم المؤلف الفاضل في الصفحة ٥٦ وما يليها على كتاب الأخبار والحوادث التاريخية الضائع اسم مؤلفه ، الذي كان قد سمي « الحوادث الجامعة » استرجاحاً ، فأيدت أنا ذلك الاسترجاح ، وقمتُ على طبعه سنة ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م باسم « الحوادث الجامعة » . ثم تبين لي أنه ليس الحوادث الجامعة ولا يمكن أن يكونه أبداً ولو على ظن ضعيف ، وذلك لاختلاف الخطين وتباين الاسلوبين ، واختلاف مناحي الكتابين في ذكر التراجم ، وخفاء ذاتية مؤلف الحوادث ، وظهور ذاتية ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب ، ولكون « الحوادث الجامعة » مؤلفاً في الوفيات كما جاء في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب [٢] وكشف

---

(٢) قال ابن رجب نقلا عن الذهبي : « وله ــ يعني ابن الفوطي ــ كتاب التاريخ على الحوادث وكتاب حوادث المئة السابعة والى ان مات ... وذكر غيره انه جمع الوفيات من سنة ستمائة سماه الحوادث الجامعة والتجارب النافعة الواقعة في المائة السابعة ، وهذا هو الذي اشار اليه الذهبي » . (ذيل طبقات الحنابلة ٢ : ٣٧٥) . وقال حاجي خليفة في كشف الظنون : « تاريخ ابن الفوطي متعدد كالذيل على الجامع المختصر لشيخة ابن الساعي (والحوادث الجامعة في الوفيات) ومجمع الآداب » (١ : العمود ٢٧٩ طبعة وكالة المعارف التركية) . ويجوز كون حاجي خليفة ناقلا من ذيل طبقات الحنابلة المذكور لتاخر عصره عن عصر ابن رجب .

الظنون لحاجي خليفة ، ولأن مؤرخاً من المؤرخين الذين عاصروه أو الذين جاؤوا بعده لم ينقل منه ولا ذكره في غير ترجمة المؤلف أي ابن الفوطي ، حتى شمس الدين الذهبي وقد كان أعلم المؤرخين بتآليف ابن الفوطي وأنقلهم منها ، وأوقفهم عليها . وفي ذلك برهان على ضآلة شأنه فلا يصح أن يقال : لم يؤلف كتاب الحوادث الجامعة ليكون معجماً ...

وأما الذي يرى من التقارب القليل أو الكثير بين ما في كتاب الحوادث وما في غيره من كتاب ابن الفوطي ، وكتب التاريخ الأخرى فسببه أن ابن الفوطي ومؤلفي تلك الكتب ينقلون جميعاً من تواريخ تاج الدين علي ابن أنجب المعروف بابن الساعي إلى سنة ٦٧٤ هـ وهي سنة وفاة ابن الساعي [٣] ، أو تواريخ من نقل من كتبه . ومن البديهيات عند علماء التاريخ أن المؤرخين القدماء قد ينقل بعضهم من كتب بعض ويأثرون المنقول أحياناً بالنص ، فلو كان التشابه دليلاً على اتحاد المؤلفين لوجب أن يكون مؤلفو التواريخ المتشابهة مؤلفاً واحداً ، مع ثبوت اختلافهم في الذاتيات والعصور ثبوتا لا يتطرق الشك عليه . قال صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي في ذكر التواريخ الجامعة : « وتاريخ الاسلام لشيخنا شمس الدين الذهبي ، وهو كتاب علم نافع جداً ، قرأت عليه المغازي التي له وسيرة النبي ــ ص ــ وإلى آخر أيام الحسن ــ رضي ــ وحوادثه إلى آخر سنة سبعمائة ولم انتفع بشيء مثله (وعليه العمدة في هذا الكتاب ، وهو القطب لهذه الدائرة ، واللب لهذا الجملة السائرة) [٤] وقال شهاب الدين ابن حجر العسقلاني في مقدمة كتاب الانباء : « وغالب ما أورد فيه ماشاهدته وتلقفته ممن أرجع اليه ووجدته بخط من أثق

---

(٣) قال عماد الدين بن كثير الدمشقي في كتابه البداية والنهاية بذكر وفاة ابن الساعي سنة ٦٧٤ : « ابن الساعي المورخ .. سمع الحديث واعتنى بالتاريخ وجمع وصنف ولم يكن بالحافظ ولا بالضابط المتقن ــ يعني في الحديث ــ وله تاريخ كبير عندي اكثره ، ومصنفات اخر مفيدة ... » ، وقد حشا تاريخه من تاريخ ابن الساعي المذكور .

(٤) الوافي بالوفيات « ١ : ٥٠ ، ٥١ » .

به من مشايخي ورفقتي كالتاريخ الكبير للشيخ ناصر الدين ابن الفرات ••• ولصارم الدين ابن دقماق وقد اجتمعت به كثيرا وغالب ما أنقله من خطه ومن خط ابن الفرات عنه ، وللحافظ العلامة شهاب الدين أحمد بن علاء الدين بن حجي الدمشقي ••• والفاضل البارع المفنن تقي الدين أحمد المقريزي والحافظ العالم شيخ الحرم تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي القاضي المالكي بمكة ، والحافظ المكثر صلاح الدين خليل بن محمد بن محمد الأقفهسي وغيرهم • وطالعت عليه تاريخ القاضي بدر الدين محمود العيني [٥] ••• » • وقال عماد الدين ابن كثير في حوادث سنة ٧٣٧ من البداية والنهاية : « قلت : هذا آخر ما أرّخ شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في كتابه الذيل ، ذيّل به على تاريخ الشيخ شهاب الدين أبي شامة ••• وقد ذيلت على تاريخه — رح — الى زماننا هذا ، وكان فراغي من الانتقاء من تاريخه في يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وسبعمائة أحسن الله خاتمتها » • وبذلك علمنا أنه قد ينقل من كتب لم يرها اعتماداً منه على علم الدين البرزالي •

وقد استخلص الأستاذ الشبيبي من كتاب الحوادث المقدم ذكره ، فوائد جليلة ، في سيرة الشعب العراقي الاجتماعية ، وفي أمور سياسية قليلة ، وزيّنها بالأشباه والنظائر من تواريخ أخرى فجاءت كبحث اجتماعي نفيس ، ووازن في أثناء ذلك بين كتاب الحوادث ، هذا المجهول المؤلف على تحقيقنا ، وبين [٦] ماقدّر هو أن يكونه الحوادث الجامعة ، وخلص من ذلك الى التسوية بينهما ، فاستوعب ذلك أكثر هذا الجزء ، وشبك آخر البحث بالكلام على التنجيم والاحكام لمناسبة بينهما ، ثم تكلم على

---

(٥) انباء الغمر بأبناء العمر « نسخة المكتبة الاهلية بباريس ١٦٠١ الورقة ٢ » ونسخة مكتبة الأوقاف ببغداد .

(٦) كررنا « بين » بعد الأسمين الظاهرين خشية الالتباس مع ضعف التكرار في مثل هذا الموضع .

خزانة كتب الرضي ابن طاووس ، وخزانة علي بن المنجم ، وعلى بني المنجم الرواة الأدباء الثقات [٧] ، وانجرّ به البحث إلى موازنات أدبية ، ونكت من التراجم تروق قراءتها ، لظرافة كاتبها وطرافة محتوياتها ، وبها ختم الكتاب المستطاب . الذي هو متعة لذوي الألباب ، وحديقة أدب فيها كل غرس بهيج .

وقد رأيت فيه ما ترْكُ التنبيه عليه يعدّ إخلالاً بالواجب العلمي في النقد ، فأقول معلّقاً بحسب ترتيب الصفحات :

(١) ـ ذكر الاستاذ الجليل في الصفحة الثامنة من الكتاب أنَّ أول نسخة الجزء الرابع من تلخيص معجم الالقاب : هو ترجمة « عزالدين الحسن بن يوسف البغدادي الفقيه » . وكان قد نشر ثلاث صفحات مصورة من أصل هذا الجزء ، وذلك في الجزء الأول من كتابه هذا « مؤرخ العراق ابن الفوطي » وعلق على الصفحة الأولى والثانية منهن ما هذا نصه « أول الجزء الرابع من معجم ابن الفوطي » . وفي أول الصفحة الأولى ترجمة « عزالدين الحسن بن يوسف » المذكور ، وليس ذلك بصواب ، فان أول المعثور عليه من هذا الجزء [٨] هو ترجمة « عزالدين ابن الحداد » وقد وقعت الترجمة في الورقة « ١٢٠ » من النسخة المصورة ، تليها ترجمة رجل مجهول الاسم دون اللقب ، تليها ترجمة « عز الدين أبي الفتح أحمد بن أسماعيل الشيرازي » وتأتي بعدها ترجمة رجل مجهول الاسم ، يليه « عز الدين البطائحي » فرجل مجهول الاسم، وتعقبه ترجمة « عزالدين ابي بكر أحمد بن أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن علي بن موسى القنائي الأصل الكاتب » فترجمة لرجل مجهول ، وتأتي بعدها ترجمة « عز الدين أبي العباس أحمد بن سلمان بن أبي بكر المستعمل

(٧) وردت كلمة « الثقات » في الصفحة ٦٥ بصورة « الثقاة » ولم تكن من غلط الطبع فقد كررت فى الصفحة ٣١٢ ، وغيرها وهي غلط في الرسم والصواب « الثقات » لأنها جمع « الثقة » كالهبة والهبات .

(٨) الجزء ناقص الاول ، وكان واجبا التنبيه على ذلك .

المعروف بابن الاصفر الحريمي » [٩] ، وهي آخر تراجم الصفحة المذكورة • ومن الواضح البين أن الاسم « أحمد بن اسماعيل » والاسم « أحمد بن سلمان » يأتيان في ترتيب حروف المعجم قبل « الحسن بن يوسف » الذي ذكره الأستاذ الجليل ، وبذلك تثبت صحة قولي ، ويؤيده أنّ الأستاذ محمد بن عبدالقدوس القاسمي أحد الأساتذة في جامعة بشاور بالباكستان وهو ناشر الجزء الخامس من تلخيص معجم الألقاب ، وقد شرع في نشر السالم من الجزء الرابع وأخرج منه ثلاث ضميمات في « ٤٩٨ ترجمة » تنبّه الى أن الصفحة الأولى من المعثور عليه من الجزء الرابع هي الصفحة التي ذكرتها ، فقدمها في النشر على جميع الموجود من الجزء : على أنه مع فضله وأدبه لم يعثر على اسم عز الدين أحمد بن الحسين القنائي ولا على اسم عز الدين أحمد بن سلمان ابن الأصفر المستعمل ، وأنا قد عثرت عليهما بوساطة ما بقي من تراجمهما، ولذلك ذكرت أسماءهما•

(٢) ــ وقال الأستاذ الجليل في الصفحة المذكورة أعني الثامنة : « وعلى هذا يتراوح عدد الاجزاء التي يتألف منها الكتاب ــ يعني تلخيص معجم الألقاب ــ بين الستة إلى الثمانية على أقل تقدير أكثرها مفقود » • ثم قال في الصفحة ٤٤ : « يتراوح عدد أجزاء هذا المعجم بين الستة والسبعة جلّها ضائع مفقود » • فبأي القولين يأخذ القاريء ؟ أما أنا فأقدره بسبعة أجزاء •

---

(٩) راجع المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي ١ : ١٨٢ ، ومما ضاع من هذا الجزء أي الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب وقدرناه « عزالدين ابراهيم بن الحسن والي القاهرة » و « عز الدين ابراهيم ابن عبدالله المقدسي الزاهد » . « عز الدين ابراهيم بن علي بن عبدالسلام الموصلي » و « عز الدين ابراهيم ابن ابي علي الشيرازي » و «عزالدين بن محمد السويدي الطبيب » و « عزالدين ابراهيم بن محمد بن عبدالملك بن المقدم» و « عزالدين ابراهيم بن محمد بن طرخان الطبيب » و « عزالدين احمد بن ابراهيم الفاروثي » و « عزالدين احمد ابن جعفر البصري » .

(٣) ـ وقال في الصفحة التي تليها أي التاسعة : « وتوجد صورة اخرى لنسب ابن الفوطيّ على نسخة من تاريخ ابن الاثير نسخها ابن الفوطي بنفسه في بغداد سنة ٦٩١ تشتمل على حوادث سنة ٣٤٩ـ٣٦٢ وهي من أنفس مخطوطات المكتبة الاهلية بباريس» وقال في الحاشية : « ووصف مؤلف فهرست المخطوطات العربية الموجودة في المكتبة الأهلية بباريس نسخة من الكامل لابن الأثير تبتدىء من سنة ٣٣٩ وتنتهي في سنة ٦٢٠ فقال ... » ، وهذا التعليق يشعر القارىء بأن هذه النسخة المذكورة في الحاشية هي غير النسخة المذكورة في المتن ، والصحيح أن المجلد واحد وأنه يبتدىء بحوادث سنة ٣٤٩ لا سنة ٣٣٩ كما جاء في الحاشية وأنه ينتهي بسنة ٦٢١ لا بسنة ٣٦٢ كما جاء في المتن ولا بسنة ٦٢٠ كما جاء في الحاشية ، وما ينبئك مثل خبير رأى ذلك المجلد وقرأ فيه ونقل منه ، فأرقامه في دار الكتب الوطنية المذكورة هي « ١٤٩٩ » جاء في الصفحة الأولى منه « المجلد الثاني من الكتاب (الموسوم) بالكامل في التاريخ ؛ بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين . ثم دخلت سنة تسع وأربعين وثلاثمائة . ذكر ظهور المستجير بالله ... » . وجاء في آخر المجلد في الورقة : « ثم دخلت سنة احدى وعشرين وستمائة ، ذكر استيلاء غياث الدين على شيراز وصلحه مع صاحبها : في هذه السنة استولى غياث الدين بن خوارزمشاه على مدينة شيراز وبعض بلاد فارس وكان قد سار إليها ، أواخر سنة عشرين وستمائة . آخر الكتاب الموسوم بالكامل في التاريخ والحمد لله حق حمده وصلواته (كتبه المحتاج إلى)[10] رحمة الله وعفوه عبدالرزاق بن محمد (كذا) بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي المعالي الشيباني المعروف بالفوطي ـ عفا الله عنه ـ (سنة)[11]

---

(١٠) هذه الجملة قد انمحت من المخطوط ، وينبغي ان يكون تقديرها كذلك .

(١١) هذه الكلمة قد نصل حبرها .

احدى وتسعين وستمئة بمحروسة مدينة السلام ـ حماها الله مع سائر بلاد الاسلام ـ وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

(٤) ـ وجاء في الصفحتين ١٠، ١١ قول المؤلف الفاضل : « واذا ما قارنا بين ما وصل الينا من المخطوطات التي ورّقها ابن الفوطي في مصنفاته وغيرها ـ ولدينا منها جزء من تاريخ الكامل لابن الأثير وكتاب الأحكام لأبي سعيد والجزءان الرابع والخامس من تلخيص مجمع الآداب ظهر لنا فرق واضح في خطه على عهد شبابه فانه خط غير بالغ الجودة كما نراه في كتاب الاحكام ، فان ابن الفوطي فرغ من نسخ هذا الكتاب سنة ٦٦٨ في محلة الخاتونية الخارجة من محال بغداد ، وقد عاش بعد ذلك أكثر من خمسين سنة [١٢] اكتسب فيها خطه جودة عظيمة كما نراه في نسخ الأصل الباقية من معجمه في التاريخ » .

قلت : الصحيح أنه فرغ من نسخها سنة (٦٨٠) وقد رأيتُ هذه النسخة عند كوني في طهران قبل سنوات قلائل وقد جاء في آخرها ما نصه « تم الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه ، علّقه لخزانة كتب سيدنا ومولانا المخدوم الصاحب المعظم صدر الحق والدين نصير الاسلام والمسلمين أبي الحسن بن علي بن مولانا المعظم نصير الدين أبي جعفر محمد بن محمد الطوسي ـ أعز الله انصاره وضاعف اقتداره ـ عبده وخادمه وغرس أياديه وأنعُمه عبد الرزاق بن أحمد بن محمد البغدادي بمنزله بالخاتونية الخارجه من شرقي مدينة السلام ، في يوم الخميس العاشر من شوال سنة ثمانين وستمئة هجرية ، والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله وسلامه » .

وفي الهامش « نقل من نسخة سقيمة كثيرة التصحيف وصحح

---

(١٢) لأنه توفي في سنة ٧٢٣ فعلى هذه القراءة الخاطئة لتاريخ النسخة يكون قد عاش بعد نسخها « ٥٥ » سنة .

بقدر الامكـان » ، « وبلغت مقابلة بنسـخة سقيمة وبقي فيها أشـياء ينبغي أن تُعاود » .

ومما قدمنا نعلم أن ابن الفوطي كتبها وعمره ثمان وثلاثون سنة ، وقد جرت العادة أن يستحكم خَط الكاتب والناسخ والمتعلم قبل هذه السنّ ، ويستكمل الجودة إن كانت ممكنة له ، أما أن خط ابن الفوطي لم يبلغ الجودة في هـذا الكتاب فلاءن النسخة كانت سقيمة ، كما نقلنا آنفاً لا تترك ميلاً فنياً للكاتب ، وهـذا أمر نفساني . ولأن قطة القلم تختلف عن غيرها في نسخ مثل هـذا الكتاب النجومي فتكونُ دقيقة ولأن ابن الفوطي قد أسرع نسخَها ، وكـان مشهوراً بسرعة النسخ في أمثال هذا الكتاب ،ومن حسن حظنا أن الأستاذ الجليل قد نشر في كتابه صورة تلك الصفحة الأخيرة ، بإزاء الصفحة ٢٠٨ من كتابه هـذا وتاريخها سنة (٦٨٠) كما ذكرتُ لا سنة ٦٦٨ كما قال الأستاذ في البحث ، على أنه قد جاء خط الخاتمة قوياً ذا جـودة ظاهرة وحبر غليظ السـواد لأنه كتبها متأنياً بقطةٍ قلميـة أخرى فليتأمل ذلك المتأملون ، وعندي صورة واضحة أعطانيها الدكتور حسين محفوظ .

(٥) ــ وقال الشيخ الجليل في الصفحة ١٣ : « جـاء في باب العين لقب (عصفور الشوك) وهو محمد بن داود الأصفهاني المحدث صاحب كتاب الزهرة ، عَلّق (ابن الفوطي) على الترجمة بخطه هـذه العبـارة ، (ليس من شـرط هـذا الكتاب) ، هذا كل ما عَلّق بـه على هـذه الترجمة ولم يزد على ذلك ، ولا نعرف لماذا يخرج مصنف كتـاب الزهرة عن شرط كتابه مع أنه من مشاهير الأدباء المصنفين في الشـعر والأدب ، وهو مصنف كتاب الزهرة ؟ والمرجح أن محمـد بن داود الاصفهاني لـم يكن معروفاً باللقب المذكور » .

قلت : ذكر ابن الفوطي قبل هـذا الرجل « عصفور الجنة أبا محمد بن قيس الحضرمي المحدث » نقلاً مـن كتاب (كشف النقاب عن الأسماء

والألقاب) للعلامة أبي الفرج بن الجوزي ، ولم يقل فيه إنه خارج عن شرط الكتاب ، فأنا استرجح أن يكون سبب خروج « عصفور الشوك » عن شرط الكتاب إشعاره بحقارة الملَقَّب أو حطٍ من قدره كما هو واضح من قولهم عصفور الشوك ، وإلا فان ابن داود الظاهري كان معروفاً بعصفور الشوك ، قال الخطيب البغدادي في تاريخه « ٥ : ٢٥٦ » بسنده عن رويم بن محمد قال : « كنا عند داود بن علي الاصفهاني إذ دخل عليه ابنه محمد وهو يبكي ، فضمّه إليه وقال : ما يُبكيك ؟ قال : الصبيان يلقبونني . قال : فعلى أيش حتى أنهاهم ؟ قال : يقولون لي شيئاً . قال : قل لي ماهو حتى أنهاهم عن الذي يقولون ؟ قال يقولون لي : ياعصفور الشوك . قال : فضحك داود فقال له ابنه : أنت أشد علي من الصبيان ، ممّ تضحك ؟! فقال داود : لا اله إلا الله ، ما الالقاب الا من السماء ، ماأنت يابني إلا عصفور الشوك » .

وقال الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات « ٣ : ٥٨ » : « كان يُلَقَّبُ بعصفور الشوك لنحافته وصفرة لونه » . وقال ابن حجر العسقلاني في « نزهة الألباب » في الألقاب « عصفور الشوك هو محمد بن داود الظاهري [١٣] » . إذن كان معروفا بعصفور الشوك

(٦) ـ وجاء في الصفحة المذكورة « خرّج » ـ يعني ابن الفوطي ـ على عنوان معين الدين علي بن محمد بن علوان بن مُهاجر الوزير بسنجار ترجمة ضافية لا أثر لها في المتن والظاهر انه عثر على الترجمة المذكورة بعد الفراغ من الكتاب » وقال في الحاشية . « جاء في الترجمة المستدركة أن معين الدين من أهل تكريت ثم من الموصل ، وزر بسنجار ، بنى بالموصل في سكة بني أنجح (كذا والصواب بني نَجِيح) داراً للحديث وقف عليها الوقوف الحسنة ، انظر أيضاً ٥/٦٧٩ وفي هامش هذه الصفحة من الجزء الخامس ملاحظة عن والد معين الدين المذكور وهو

---

(١٣) اصول التاريخ والادب (من مجموعات الكاتب الخطية ج ٤٣ ص ٢١٤).

على الأرجح الملقب كمال الدين بن مهاجــر المترجم في حرف الكاف من هذا الجزء ٣٦٤ ٤ .

قلت : جاء في الجزء الخامس في الرقم ٥٢٢ مــن القاب الكاف : « كمال الدين أبو الكرم محمــد بن علي بن مُهاجــر الموصلي الصــدر الرئيس ، كان رئيســاً جليل القدر ، نبيه الذكر ، كان مرشــحاً للوزارة ، وله أخلاق حسنة ولــه وقوف على دار الحديث بالموصل قال تاج الــدين (علي بن أنجب) ابن الســاعي في تاريخه : وفي شــهر [١٤] رمضــان ســنة سبع وعشرين وستمائة [١٤] وصل كمال الدين أبو الكــرم رسولاً مــن الملك الأشرف وتلقاه موكب الديوان ، وكان السبب ... »

ولم يذكر ابن الفوطي إلا ما قال ابن الساعي في هــذه المناسبة ، وعجز عن ذكر تاريخ وفاة الرجل ، قال الصلاح الصفدي بعد ذكر ترجمته : « وكانت وفاته في ســنة أربع وثلاثين وستمائة [١٥] » . وقال قبله سبط ابن الجوزي في وفيات سنة ٦٣٤ : « وفيها توفي الكمــال بن مُهــاجر : كان كثير المال والصدقات ، مات بدمشق في جمادى الاولى فجــأة ودفــن بقاسيون وأخذ الأشرف جميع ما ُوجد لــه بدمشق (و) تبلــغ قيمتــه ثلاثمائة ألف دينار ، أراني الأشرف من ذلك ســبحة فيها مائة حبة مثــل بيض الحمام ، والحمد لله [١٦] » .

فبهذا قد علمنا أن وفاته وقعت سنة ٦٣٤ فكيف نجعله أباً لمعين الدين علي بن محمد بن علوان ابن مُهاجر ، على الارجح ، ونحــن لانعرف تاريخــه ؟ إن والد معين الدين أي محمد بن علوان هــو شرف الدين أبو

(١٤) لم يذكر هذا الخبر موءلف كتاب « الحوادث » الــذي ســميناه خطأ « الحوادث الجامعة » وانت عالم بما يدل عليه ذلك ، مــن اختــلاف المؤلفين أحدهما عن الآخر .

(١٥) الوافي بالوفيات « ٤ » ٧٢ » .

(١٦) مختصر مرآة الزمان « ٨ : ٧٠٣ طبعة حيدر اباد » .

المظفر محمد بن علوان بن مُهاجر الفقيه الشافعي وذلك بدلالة الاسم قبل غيرها قال عز الدين بن الأثير في وفيات سنة ٦١٥ : « وفيها [١٧] في المحرم توفي شرف الدين محمد بن علوان بن مهاجر الفقيه الشافعي وكان مدرساً في عدة مدارس بالموصل وكان صالحاً كثير الخير والدين سليم القلب ـ رحمه الله ـ [١٨] » .

وترجمه ابن الدبيثي ، قال كما في المختصر : « محمد بن علوان بن مهاجر أبو المظفر الفقيه الشافعي الموصلي ، قدم بغداد في صباه للتفقه وأقام بالنظامية ومدرسها يومئذ يوسف بن بندار الدمشقي وحصل المذهب ودرس ، ثم بنى مدرسة ، وكتبتُ عنه بالموصل وقال لي : ولدت سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، وتوفي في المحرم سنة خمس عشرة وستمائة [١٩] » .

فالعكس إذن هو الجائز أي أن يكون أبو الكرم محمد بن علي ابن مُهاجر ولداً لا والداً لمعين الدين أبي القاسم علي بن محمد ، على حسب ظاهر الاسم ، ولا يجوز القطع بالبداهة ، فربما كانا من أسرة واحدة ولأحدهما قرابة مع الآخر ، غير الابوّة والبنوّة ، على أنه لا فائدة في التعرض لما لم يُوَفّ حقه من التحقيق كمثل هذا الترجيح بلا مرجح .

(٧) ـ وذكر في الصفحة ٢٠ مقتل الأمير آقباش بن عبد الله الناصري بمكة سنة ٦١٧ وقال : « ومن الطريف ان سبط ابن الجوزي غمز الخليفة (الناصر لدين الله) ودار الخلافة على الاكتفاء ـ يعني

---

(١٧) لم يذكر ابن الأثير هذه الوفاة في النسخة التي بخط ابن الفوطي وهي النسخة الاولى القائمة مقام النشرة الاولى يومئذ .

(١٨) الكامل « ج ١٢ ص ١٣٦ طبعة محمد أفندي مصطفى بالقاهرة » .

(١٩) المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي لبغداد « ١ : ١٠٥ » وقد احلت في الحاشية هناك على تاريخ الاسلام للذهبي وطبقات الشافعية الكبرى « ٥ : ٣٢ » لتاج الدين السبكي ففيهما ترجمته .

الاجتزاء ــ بالحزن المجرد في هــذه الحادثة التي قتل فيها أمير الركب[٢٠] العراقي والحجاج العراقيون فقال : لم يخرج الموكب للقاء الحاج وأدخل الكوس والعلم في الليل ولم تنتطح فيه عنزان وقد كان أولى أن تتناطح الكباش (مرآة الزمان ٨ : ٦١٠ ، ٦١١) .

وليسمح لي الأستاذ الجليل بأن أقول إني لا أرى ذلك ظريفاً من سبط ابن الجوزي بل ضرباً من الغفلة إن لم يكن غير ذلك ، أفيجوز أن يرسل أمير المؤمنين يومئذ جيشاً لمحاربة المكيين واخافة حرم الله الآمن ، وسفك الدم في ذلك الموضع المقدس ؟! أراد سبط ابن الجوزي ان تنتطح الكباش في جوار بيت الله الحرام ، على أن الامر لم يكن كما قال سبط ابن الجوزي فانه كان مجازفاً في ذكر الحوادث والأخبار كما قال شمس الدين الذهبي ، قال ابن الأثير في سرد هــذه الحادثة وارتكاب أمير مكة الحسن بن قتادة بن ادريس العلوي الحسني هذا الحدث : « وأحاط أصحاب حسن بالحاج لينهبوهم فأرسل إليهم حسن عمامته أماناً للحجاج ، فعاد اصحابه ولم ينهبوا شيئاً ، وسكن الناس وأذن لهم حسن في دخول مكة وفعل ما يريدون من الحج والبيع وغير ذلك ، وأقاموا بمكة عشرة أيام وعادوا فوصلوا الى العراق سالمين ، وعظم الامر على الخليفة ، فوصلت رسل حسن (الى بغداد) يعتذرون ويطلبون العفو فأجيب إلى ذلك[٢١] » .

هذا وقد ذكر ابن كثير الدمشقي في حوادث سنة ٦١٧ من البداية والنهاية أن قتل آقباش كان خطأً لا عمداً وغلطاً لا قصداً .

---

(٢٠) وقع قبل ذلك ما كان تجنبه واجباً ، فقد قتل العراقيون ، وأميرهم يومئذ مجير الدين طاشتكين ، أمير الحاج الذي أرسله صلاح الدين الايوبي وجماعة ممن كانوا معه ، وكان ذلك في سنة ٥٨٣ « الكامل ١٢ : ٢١٢ » فتنزه الناصر عن تكرار مثل ذلك .

(٢١) الكامل في حوادث سنة ٦١٨ « ج ١٢ ص ١٥٥ » .

(٨) ــ وجاء في حاشية الصفحة ٢٣ : « وقال ــ يعني ابن الفوطي ــ في ترجمة أحد أمراء البطائح : رأيت للبطائح تاريخاً حسناً صنفه القاضي المذاري (٤ ــ ١١٩) وهي جملة معترضة تدل على ولعه بالتاريخ وشدة طلبه للكتب المصنفة » .

قلت : إن اسم مؤلف تاريخ البائح قد تصحف على الأستاذ الجليل لاعلى ابن الفوطي فانه كان أعرف للكتب ، فهو « المندائي » لا «المذاري» قال ابن الفوطي كما في نسختي التي انتسختها لنفسي من الجزء الرابع من تلخيص معجم الالقاب · « قطب الدين أبو هلال بدر بن المظفر ابن حماد بن أبي الجبر الليثي البطائحي الامير : صاحب البطائح ، من بيت الامارة والرئاسة ، وكانت البطائح في أيامهم حرماً آمناً ، وهم من قبيلة جليلة ، ولم تزل تلك مواطنهم الى هذه الغاية ، ورأيت للبطائح تاريخاً حسناً قد صنفه القاضي المندائي [٢٢] » .

وهذا المندائي هو أبو العباس أحمد بن بختيار الواسطي ، قال أبو الفرج بن الجوزي في وفيات سنة ٥٥٢ من المنتظم « ١٠ : ١٧٧ » : « أحمد ابن بختيار بن علي بن محمد أبو العباس الماندائي الواسطي ، ولي القضاء بها مدة ، وكان فقيها فاضلا ، له معرفة تامة بالادب واللغة ويد باسطة في كتب السجلات والكتب الحكمية ، سمع أبا القاسم بن بيان وأبا علي بن نبهان وغيرهما ، وكان يسمع معنا على شيخنا ابن ناصر وصنف كتاب القضاة (وتاريخ البطائح) وغير ذلك وكان ثقةً صدوقاً ، توفي في جمادى

(٢٢) التلخيص « ٤ : ٣٠٨ من نسختي » . قال ابن خلكان في ترجمة الحريري من الوفيات : « والمندائي : بفتح الميم وسكون النون وفتح الدال المهملة ومد الهمزة » ، وقد يمد ثانيه فيقال « الماندائي » . وهو منسوب الى المندائيين أصحاب الديانة المندائية المعروفين ايضاً بالصابئة والمغتسلة ، وقد الف الكاتب عبد الحميد عبادة ــ رح ــ كتاباً في ديانتهم سماه « كتاب مندايي أو الصائبة الأقدمين » نشرة سنة ١٩٢٧ وهوءلاء المندائيون قد اسلموا وتشفعوا وبقي عليهم اسمهم القديم وكانوا يتهربون منه .

الآخرة من هـذه السنة وصلي عليه فى النظامية ودفن بمقبرة باب أبرز ».
وأخذ هـذه الترجمة وزاد عليها ياقوت الحموي فـي معجم الأدبـاء « ١ : ٣٧٩ » واقتبس منها مؤلف البغية « ص ١٢٩ » .

وذكره تاج الاسلام ابو سعد بن السمعاني في تاريخ بغـداد ، ولـم يذكر وفاته قال : « أحمد بن بختيار بن علي بن محمد الماندائي أبو العباس، من أهل واسط ، ولي القضاء بها مدة . فقيه فاضل له معرفة كاملة باللغة والادب ويد باسـطة في كتب السـجلات والـكتب الحكميـة ؛ سـمع ببغداد ... كتب عنه ببغداد وكان ثقة صدوقاً ، متفنناً وقـرأت عليـه المقامات التي أنشأها الامام أبو محمد القاسم بن علي الحريري وسألته عن مولده فقال : يوم الأحد الثاني عشر من ذي الحجة سنة سـت وسبعين وأربعمائـة (٢٣) » .

وقال ابن الدبيثي في ترجمة أبي العلاء محمد بن الحسن بن الحسين الشيرازي : « ذكر القاضي أبو العباس أحمد بن بختيار بن المندائي الواسطي في تاريخـه الذي جمعه وذكـر أخبار البطيحة قال : وفي يوم الثلاثاء ثالث عشري ذي القعدة سنة خمسمائـة توفي الوزير أبو العلاء بواسط (٢٤) ».
ولأبي العباس المندائي ترجمة في غير هـذه الكتب ، لا أود الاطالـة بذكرها ، وهذا واضح كسابقه بحمد الله تعالى .

(٩) ـ وتكلم الأسـتاذ الجليل في حاشية الصفحة ٢٨ على نهـر معلى ودرب الآجر بالجعفرية وسوق السلطان وكرّر اكثر النصوص في حاشية الصفحة المقابلة لها ، والجواب عن ذلك ذكرناه في كتاب « دليـل خارطة بغداد ص ٣٠٠ » . وقد تصحف عليه في الصفحتين المذكورتين « باب بيشبرز » إلى « باب مرو » . وباب أبرز أو باب بيبرز هـو محلة

---

(٢٣) تاريخ بغداد للفتح بن علي البنداري المقتبس من تاريخ الخطيب البغدادي وتاريخ ابن السمعاني وتـاريخ ابن الدبيثي « نسـخة دار الـكتب الوطنية بباريس ٦٥١٢ الورقة ١٥ » .

(٢٤) نسـخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢١ الورقة ٣٣ » .

المضل والسيد عبدالله اليوم من شرقي بغداد ، ولم يكن ببغداد « باب مرو » يوماً من الأيام •

(١٠) ـ وقال في الصفحة (٣٠) : « المدرسة الخاتونية والمرجح أنه اسم ثان للمدرسة الغازانية » • وهذا ترجيح بلا مرجح ، فالمدرسة الخاتونية منسوبة إلى الخاتون السلجوقية زوجة الخليفة المستظهر بالله وكانت حنفية كسائر السلجوقيين والسلجوقيات ، قال أبو الفرج بن الجوزي في حوادث سنة ٥٢٢ : « وفي جمادي الآخرة رُتب (الحسن بن سلامة) المنْبجيّ في مدرسة خاتون المستظهرية ، رتبه موفق الخادم [٢٥] » ، وتسمى أحياناً المدرسة الموفقية أو مدرسة موفق[٢٦] لأن موفقاً هذا كان يتولى أمرها إذ ذاك وكان مملوكاً للخاتون ، فان كان عند الاستاذ الجليل دليل على ما قال فليفدناه لنشكره شكرا جزيلاً •

(١١) ـ وقال في الصفحة « ٤٨ » عند ذكره أسماء المؤرخين الذين اقتبسوا من معجم الألقاب لابن الفوطي كما حسبه وظنه هو : « ابن ابي رافع السلامي » ثم قال في الصفحة « ٥٠ » : « رابعا ابن أبي رافع السلامي » • وكذلك قال في الفهرست « ص ٣٢٣ » • والصواب « ابن رافع السلامي » قال ابن حجر : « محمد بن رافع بن أبي محمد هجرس بن محمد ••• تقي الدين أبو المعالي بن رافع ••• »[٢٧] •

وقال ابن تغري بردي في وفيات سنة ٧٧٤ : « وتوفي الشيخ الحافظ تقي الدين محمد بن جمال الدين رافع بن هجرس بن محمد بن شافع بن السلامي المصري الشافعي بدمشق عن ستين سنة •• وذيل على

---

(٢٥) المنتظم « ١٠ : ٩ » .

(٢٦) المرجع المذكور « ص ١٣٢ » .

(٢٧) الدرر الكامنة « ٣ : ٤٣٩ » .

تاريخ البخاري »[28] .

(١٢) ـ وقال في الصفحة ٣١ بعد أن ذكر تشويش أوراق الجزء الرابع من تلخيص معجم الالقاب : « أوقعنا هذا العبث أو التلفيق كما أوقع غيرنا في أوهام لم نفطن إليها إلا بعد مضي زمن غير قليل ، ومن تلك الاوهام ما وقع في اللباب وهي رسالة لخصناها عن هذا المعجم وسيأتي وصفها عن قريب ومنها ما وقع في رسالة أخرى لنا عن ابن الفوطي ومنها ما وقع في كلمة تجدها في مقدمة الحوادث الجامعة أو الكتاب المغفل الذي أطلق عليه الاسم المذكور » .

ولم يذكر الاستاذ الجليل كيف اهتدى إلى معرفة الأوهام التي لم يفطن إليها إلا بعد زمن طويل [29] ، على أنّ هذا يعني أنه ـ حفظه الله ـ قد سلم من أمثال تلك الأوهام هذه المرة ، وحذرها كل الحذر ، وتنزه عن الوقوع في أشباهها ، وليس الأمر على ما ذكر ، فقد وقع في مثل تلك الاوهام ، وأعطى « فخر الدين محمود بن الحسن بن عبدالوهاب القهستاني الكاتب » غير ترجمته « ص ١٤٦ » وادّعى ان « عفيف الدين أبا عبد الله يوسف بن علي بن أحمد المعروف بابن البقال البغدادي سقطت ترجمته من نسخة الجزء الرابع المعثور عليها ، مع أنها لم يسقط منها حرف واحد فضلاً عن سقوطها كلّها ، فأما فخر الدين محمود بن الحسن القهستاني فلا صلة له بالترجمة التي حمّله إياها على ظهره بعد مرور تلك العصور[30] ، وإنما هو « فخر الدين محمود بن

(٢٨) هكذا جاء في طبعة دار الكتب المصرية « ١١ : ١٢٤ » وهو خطأ والصواب « تاريخ ابن النجار » .

(٢٩) قال في ترجمة عزالدين المهلبي في تكملة اكمال الاكمال «ص ٣١٢» أن ترجمته نسبت الى غيره في رسالة (موءرخ العراق ابن الفوطي ، ص ٧) وقد طبع كتاب التكملة سنة ١٩٥٧ .

(٣٠) قال في ترجمته : « قدم العراق كاتبا على اموالها ومتفحصا عن احوالها ، وعزل سديد الدولة بن الدباس سنة ٧٢١ ولما توجه المخدوم شمس الدين محمد بن الحسين الخاني لعمارة بلاد العراق فوض -

الحســن بن عبد الوهاب القهستاني الكاتب : من بيت الرئاســة والوزارة والكتابة المعروف ببني المحتشم ، ولهم نســب متصل بمالك بن الحــارث الأشتر » . هــذا ما قاله ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب وقــد ذكر ابن الفوطي في الجزء الخامس من هوءلاء بني المحتشم « كافي الديــن مظفر بن عبد الملك القهستاني الكاتــب الحاســب وابنه كريم الديــن أبا محمد عبدالصمد بن مظفر الحاسب ، ولم يذكر لهما صلــة بالعــراق ولا قرابة بحاكم من حكام العراق كما فعل الأستاذ الجليل « آنفاً ص ١٤٦ »، على أن هــذا لا يتخــذ دليــلاً علــى أن الترجمــة التي نقلتهــا فــي الحاشية ليست ترجمة القهستاني المذكور ، فلي أدلة على نفيها عنه أنــا مدل بها وهــي :

أ ــ أن من المعلوم أن كل صفحة على يمين القارىء في تلخيــص معجم الألقاب تحتوي على أكثر مــن عشرة أســماء مــن الأعيان ذوي الألقاب ، ولاتتجاوز خمسة عشر اسماً إن كانــت فيها زيادة ، وأنَّ كــل صفحة على يســار القارىء تحتوي على أكثر من عشر تراجم ، وفي حال الزيادة لا تبلغ بل لا تتجاوز خمس عشرة ترجمة . والصفحــة التي فيهــا « فخر الدين محمود بن الحسن القهستاني » المقدم ذكره فيها أيضــاً اسم « جار الله أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري العلامة » ملقباً بلقب « فخر خوارزم » فينبغي أن تكون له ترجمــة مقابلة له ، صغيرة كانت أو كبيرة ، وهو من أشــهر العلماء المسلمين ، والأعيان الطائــري

= اليه أمر غربي بغداد ، وكان البلــد قــد خــرب معظمــه وكثر العبث والفساد به ، فقام واجتهد ودبر البــلاد وفعل من ابواب السياسة ما لم يهتد اليه الخلفاء والملوك من البويهية والسلجوقية ، وتقدم أن لا تغلق دكاكينهم وأمرهم أن لا يقربوها ، ويبيتوا في بيوتهم ولم ينقص منهم شيء من متاعهم ، واخرج من الحبوس وكثرت الادعيــة له ولمخدومه » . وقال : « هذا ما اورده المؤلف في معجمه مــن سيرة الحاكم القهستاني ــ وهــو ــ نعني ابن الفوطي ــ كما لا يخفي معاصــر للحاكم المذكور » . والقهستاني براء من هذه الترجمة .

الصيت ، ومعالم سيرته واضحة لكل معنيّ بالسير والتراجم الاسلامية ، والحقيقة أن الصفحة المقابلة لاسمه خلو من كل ذكر له فضلاً عن أن يكون له فيها ترجمة ، فأين ذهبت الترجمة ؟ .

والدليل الثاني أن في صفحة اسم « القهستاني » المذكور آنفاً اسماً لرجل هذه صورته « فخر الدين أبو علي محمود بن كمال الملك علي ابن أحمد السُّميرمي الصدر » ، وليس في الصفحة التي نقل منها الشيخ الجليل ترجمةَ القهستاني ترجمةٌ لهذا الرجل ولا ذكر ، إنما جاءت ترجمته في صفحة اخرى هي الصفحة التي نقلنا منها ترجمة القهستاني على وجه الصحة والتحقيق ، ونصّ ترجمته ــ أعني فخر الدين آبا علي محمود ابن كمال الملك ــ هو « من أولاد الصدور الأكابر بأصبهان ، وسميرم المنسوب اليها من نواحي أصبهان ، قرأت بخطه :

عاتبني وجال ماء الحيا في وجنتيها فزاد [٣١] حراً ووقدا
ثم ألقت في ناره أسود الخا ل فكانت له سلاماً وبردا

قال العماد الاصفهاني : كان لكمال الملك ولدان : عضد الدين محمد وفخر الدين محمود ، فالعضد تزهّد ، وأما فخر الدين فتولى المناصب الفاخرة »[٣٢] .

فهل يستطيع قائل أن يقول إن هذه الترجمة ليست ترجمة فخر الدين محمود ابن كمال الملك علي السميرميّ ؟ لا يستطيع البتة ، فهي واضحة مبينة ثابتة مؤكدة بجميع ما يمكن من التواكيد .

والدليل الثالث أن الصفحة التي نقل منها الشيخ الجليل ترجمة « فخر الدين محمود القهستاني » فيها ترجمة « فخر الملوك رضوان ابن السلطان تتش بن ملكشاه السلجوقي » . وإذ كانت ترجمة رضوان هي

---

(٣١) أعاد الفعل الى الخد المفرد .

(٣٢) التلخيص « ٤ : ٢٧٣ من نسختي بخطي » .

الرابعة بين التراجم ، فهي بين الدال والذال معاً من جهة والسين من جهة أخرى ، وهي بعيدة عن الميم الذي منه « محمود القهستاني » وقد أحصيت ما بينها وبين الميم فاذا هو « ٣٤٠ » ترجمة ، فكيف يصح أن يقفز ابن الفوطي « ٣٤٠ » ترجمة إلى قدام ليترجم محموداً القهستاني مع « رضوان » السلجوقي ؟!

والدليل الرابع هو أن آخر ترجمة من الصفحة التي نقل منها الأستاذ الجليل ترجمة « محمود القهستاني » المزعومة هي ترجمة « فخر الجيوش أبي الحجاج سراهنك بن خواجة الديلمي » قال ابن الفوطي فيها : « ذكره أبو الحسين بن الصابي في تاريخه وقال : وفي سنة ست وعشرين وأربعمائة أنفذ فخر الجيوش أبو الحجاج سراهنك بن خواجة الديلمي من الديلم والأتراك الذين بفارس إلى الديلم الذين بواسط ومدينة السلام ، وكان فخر الجيوش مجرباً عارفاً بأمور الحرب ••• » • فسراهنك من : اسماء السين المجردة فكيف يسبقه « محمود » وهو من الميم ؟ فلا بد أن تكون ترجمةمحمود مع غير أصحابالسين والراء وما قبلهما من الحروف •

والدليل الخامس اطراد تراجم الصفحة التي عثرت عليها فوجدت فيها ترجمة « فخر الدين محمود القهستاني » أعني اطرادها مع الاسماء المقابلة لها ، واختلاف تراجم الصفحة التي نقل منها الأستاذ الكريم ترجمة القهستاني المزعومة مع الاسماء المقابلة لها عند الاستاذ وفي نسخته، فلا تلاؤم بينهما ولا وئام •

وقبل أن أنتقل إلى ضرب ثان من ضروب الوهم أقول إن الأستاذ الجليل لم يحسن حق الاحسان قراءة ترجمة القهستاني المزعومة التي هي لرجل مجهول ، فقد سقط منها قول ابن الفوطي في سياسة المترجم المجهول : « فسار فيها السيرة العمرية وساسها بالسياسة الكسروية »

وسقطت « مَن » الموصولة في قوله « وأخرج من في الحبوس » فصارت الجملة « وأخرج من الحبوس » حتى اضطر هو أن يقول « كذا في الأصل » وأنا أقول : ليس هكذا الأصل ، وسقطت جملة « وصار الناس يدخلونها » يعني الحبوس أي يدخلونها للتفرج كما هو عادة الناس في التفرج فيما كان ممنوعاً محرماً دخوله أو السير فيه ، وسقط منها قوله « أهل السوق » من الاصل الذي نصه « وتقدم أن لا يغلق أهل السوق دكاكينهم » فنقصت الجملة عنده . هذا ما استثبته في هذه الترجمة وحدها .

(١٣) ــ وقال الاستاذ الكريم في الصفحة ٥٤ : « وجاء في أخبار سنة ٦٦٦ من كتاب الحوادث الجامعة ما يأتي : وفيها توفي الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال ، شيخ رباط المرزبانية . هذا ما جاء في الكتاب ويلي ذلك ترجمة لطيفة لهذا الشيخ ، والترجمة منقولة في كتاب حسن المحاضرة ولكن عن تاريخ ابن كثير (٣٣) لا عن هذا الكتاب ، ويمكن أن يتخذ هذا الاقتباس شاهدا على اطلاع ابن كثير على كتاب الحوادث (الجامعة) وتعويله عليه بالاضافة إلى ما مر (٣٣) ، ومثل ابن كثير السيوطي في النقل عن الكتب المذكورة .هذا وقد ترجم ابن الفوطي للشيخ المذكور في معجمه ــ يعني معجم الالقاب ــ بعنوان : عفيف الدين أبو عبدالله يوسف بن علي بن أحمد يعرف بابن البقال البغدادي المقريء ولكن الترجمة سقطت من النسخة ولم يبق منها إلا العنوان المذكور » .

قلت : إن الترجمة لم تسقط من النسخة ، في الحقيقة بل بقيت بكمالها

---

(٣٣) نقلنا سابقا ان ابن كثير اعترف في تاريخه بانه نقل جملة الأخبار والوفيات من تاريخ المؤرخ المشهور علم الدين البرزالي ، ثم ان ابن كثير صرح بالنقل من كتب ابن الساعي في وفاة الناصر لدين الله سنة ٦٢٢ ووفاة جبريل ابن زطينا سنة ٦٢٦ ووفاة ابن عنين الدمشقي الشاعر سنة (٦٣٠) وترجمة ياقوت بن عبد الله الرومي المتوفى سنة ٦٣٨ وغيرهن ولم يذكر نقلا من كتب ابن الفوطي ولو مرة واحدة .

سالمة ظاهـرة وهي في مقابل الورقة « ٥٤ » مـن الجزء الرابـع ، أعني الموجود من الجزء الرابع من تلخيص معجم الالقاب المذكور آنفاً غير مـرة ، قال ابن الفوطي في الورقة ٥٤ من الموجود من الجزء الرابع من ذلك الكتاب وفـي مقابلتها : « عفيف الدين أبو عبد الله يوسف [٣٤] بن علـي بـن أحمد يعرف بابن البقال ، البغدادي المقريء ، كان مـن محاسن الصوفية وأعيانهم ، سمع وكتب ، وجمع وألف ، وكان على قاعدة السلف الصالح ، من محاسبة النفس ، وحفظ الأوقات . كان قد سافر إلى الديار المصرية ، ورجع بعد الوقعة ــ يعني وقعة هولاكو ببغداد ــ ورتـب شيخاً برباط المرزبانية على شاطيء نهر عيسى ، وكان شـيخنا العـدل رشـيد الدين محمد بن أبي القاسم كثير الاجتماع به ، حسن الثناء عليه ، وقـال :

(٣٤) للمقابلة بين أسلوب ابن الفوطي الواضح الذاتية في هـذه الترجمـة واسلوب مؤلف كتاب « الحوادث » ننقل ما قال مؤلف الحـوادث ، قال فى وفيات سنة ٦٦٦ ــ ص ٣٦٠ ــ « وفيها توفي الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال ، شيخ رباط المرزبانية . كان شيخاً صالحا ، ورعاً زاهداً . حكى عن نفسه قال : كنت بمصر واتصل بي ما جرى ببغداد في الواقعة من القتل والنهب والفتك والاسر فانكرتـه بقلبي وقلت يا رب : كيف هذا وفيهم الاطفال ومن لا ذنب له ؟! فرايت تلـك الليلة في المنام رجلا في يده كتاب فاخذته منـه فاذا فيـه :

دع الاعتـراض فما الامر لـك ... ولا الحكم في حركات الفلك
ولا تسـأل الله عـن فعلـه ... فمن خاض لجـة بحر هلك

فاستغفرت الله تعالى وامسكت » .
فلينظر أهل التمييز هل يشبهاقتصاص موءلف كتابالحوادث للترجمة اقتصاص ابن الفوطي لها ، وهل من تشابه بين أخبارهما سـوى البيتين من الشعر ، ولو استطاع مؤلف الحوادث التغيير منهما لغير ولكن الشـعر هو الشعر ، تجب المحافظة على نصه ما وجد الى ذلـك سبيل .

هذا وقد ترجم ابن البقال أيضاً في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجـب « له تصانيف في السلوك منها كتاب سلوك الخواص » وذكر ان وفاته كانت سنة ٦٦٨ فى رواية او سنة ٦٦٦ في رواية اخرى .

أنشدني شيخنا عفيف الدين :

تأبى قلوبٌ قلوبَ قوم ... ومالها عندها ذنوبُ
وتصطفي أنفسٌ نفوساً ... وما لها عندها نصيبُ
ما ذاك إلا لمضمراتٍ ... أحكمها من له الغيوبُ

وكانت وفاته في المحرم سنة ست وستين وستمائة . ولما أخذت بغداد كان بمصر (قال) : فحصل لي الفكر في ذلك فأخذت كتاباً وفتحته وتفاءلت فرأيت في أول الصفحة :

دع الاعتراض فما الامر لَكْ ... ولا الحكم في حركات الفلكْ
ولا تسأل الله عن فعله ... فمن خاض لجّة بحر هَلَكْ

فأمسكت عما خطر ببالي واستغفرت الله العظيم » .

هذا ما ورد في ترجمة عفيف الدين يوسف بن علي ابن البقال في موضعها من الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب ، والأخبار فيها مطردة واضحة ، مستتنة السطور ، بينة الفِقَر .

(١٤) — وأشار الأستاذ الجليل فى الصفحة ٣٥ إلى مثال آخر من الفساد والتحريف فى تلك النسخة وقال فى الحاشية : « راجع ترجمة رشيد الدين الطبيب في نسخة الأصل من الجزء الرابع من المعجم ، تراجع عن ذلك ترجمة عضد الدين الايجي (٤ / مادة عضد الدين) » .

وقد أحال فى الشطر الاول من طلبه — حفظه الله — على أمر متعذّر ، فقد قال فى الصفحة الثامنة — ونقلنا بعض قوله — : « تقع النسخة في مائتين وخمسين ورقة .. أولها ترجمة عزالدين حسن بن يوسف البغدادي الفقيه ، وآخرها ترجمة القيل وائل بن حجر الحضرمي » . فكيف نراجع ترجمة رشيد الدين فضل الله الوزير وهي من باب الراء وبينها وبين النسخة هذه ما بين الراء والعين من الحروف ؟! أجل ذكر ابن الفوطي رشيد الدين في هذا الجزء استطرادا غير مرّة .

(١٥) ـ وقال الشيخ الجليل في الصفحة ٥٥ وهو يذكر الذين استمدوا في كتبهم من تواريخ ابن الفوطي ـ على حسبانه ـ « الثاني عشر هندوشاه بن سنجر القاضي[٣٥] المتوفى سنة ٧٢٤ في كتاب (تجارب السلف) وهو معاصر لابن الفوطي ، وقد الف كتابه المذكور بالفارسية ... وقد اعتمد هندوشاه على كتاب سماه معجم أهل الأدب ، ومن رأي بعض الباحثين أنه (معجم الألقاب) لابن الفوطي ... » .

وقد استعان الأستاذ الجليل هنا برأي هذا البعض من الباحثين لتأييد رأيه الذي أشرتُ اليه . وهذا البعض هو الأستاذ عباس إقبال الأشتياني الايراني المؤرخ الناشر المتوفى قبل عدة سنين ، فهو الذي نشر كتاب « تجارب السلف » في تاريخ الخلفاء والوزراء . بدأه مؤلفه بالسيرة النبوية الشريفة وأنهاه بخلافة المستعصم بالله وسقوط الدولة العباسية ، وهو من أجل التواريخ كما ظهر لي من خلال ما ترجمه لي صديقي المرحوم الأستاذ المؤرخ محمد عبد الوهاب القزويني أيام كينونتي في باريس ، غير أن الاستاذ عباس إقبال لم يصب في رأيه الذي اعتضد به الاستاذ الشبيبي ، فان « معجم أهل الادب » هو معجم الادباء لياقوت الحموي وهو أيضا ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ، وسماه الصلاح الصفدي « تحفة الالباء في أخبار الادباء »[٣٦] وسماه

(٣٥) هكذا ورد. والصواب «الصاحبي» . وقد ترجمه ابن الفوطي في تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ٢٨٠ من نسختي بخطي » ، قال : ابو الفضل هندو بن سنجر الصاحبي الحكيم المنجم الأديب ، من العلماء الافاضل ، ممن تربى في خدمة الصاحب السعيد (علاء الدين الجويني) وتأدب بآدابه واشتغل وحصل ، وكتب وحسب ، واهتم بمعرفة النجوم وعلم الرياضي وانواع الحكمة وفنون الأدب ، وكان مع ذلك جميل الاخلاق ، ظاهر البشر ، كريم الصحبة . رايته بالمدرسة النظامية سنة تسع وسبعين وستمائة ولم اكتب عنه وله شعر جيد بالفارسية وسمعت انه نظم بالعربية ولم يصلني » .

(٣٦) الوافي بالوفيات « ١ : ٥٥ » .

هندوشاه « معجم أهل الأدب » كما مرّ ، والبرهان القوي على أن مراده معجم الادباء وانه لا يمكن أن يكون غيره، هو أنه أعني هندوشاه ـ ذكر معجم أهل الأدب في معرض ذكره المشهورين الأعيان من ذرية الخليفة الراشد الاول أبي بكر[٣٧] وأفاد أن الفخر البكري الرازي قد ذكر مؤلف معجم أهل الأدب ـ يعني ياقوتاً الحموي ـ وقد ذكره حقاً في معجمه المذكور قال ابن الفوطي ناقلاً من المعجم :

« فخر الدين أبو عبد الله محمد ابن خطيب الري عمر بن الحسين المكي الاصل البكري الرازي الطبرستاني، نزيل هراة، الفقيه الاصولي الحكيم الواعظ المفسّر ، ذكره الفاضل ياقوت في معجم الأدباء وقال : سألت ولده ضياء الدين علي (كذا) فقلت له : على مَن قرأ والدك العلوم ؟ فقال : ليس له شيخ مشهور إلا أنه رحل الى أذربيجان وكان بها رجل يقال له مجدالدين الجيلي ، فقرأ عليه ثم فتح الله عليه فتحا كبيرا وأخذ من الكتب ورحل الى خوارزم ثم إلى ما وراء النهر ورجع الى خراسان ومنها إلى باميان وحصل له الجاه والمال بمجاورة ابن سام فلما انتزع منه بلاده خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش ثم (كذا) فوض اليه صدارة هراة واستوطنها وله تصانيف كثيرة في الحكمة والاصول ... وشعر حسن وكانت وفاته بهراة يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة »[٣٨] .

وليس لهذه الترجمة وجود فيما طبع من معجم الادباء لانها من تراجم الجزء السابع من الأصل ، والمطبوع من هذا الجزء اختيار

---

(٣٧) ذكر منهم شهاب الدين عمر السهروردي ، والملك امام الدين القزويني، وابنه افتخار الدين القزويني ، ورضي الدين البابا ، وفخر الدين محمد ابن عمر الرازي «تجارب السلف ص ١٦». وكان منهم بنو الجوزي العلماء الاعيان ، وعزالدين ابو عبدالله الحسين بن احمد بن علي البكري المشهدي المعروف بابن القيم المجاور لمشهد الامام علي بن أبي طالب ، ترجمه ابن الفوطي في باب « عزالدين » من الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب .

(٣٨) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ٢٦٧ من نسختي بخطي »

واختصار[٣٩]، حذفت من أصله ترجمة فخرالدين محمد بن عمر الرازي المذكور الثابتة في الأصل، بشهادة ابن الفوطي ونقله وتصريحه، وحُذف منها أيضاً عدة تراجم منها ترجمة محمد بن الحسن بن حمدون، ومحمد بن داود الاصفهاني، ومحمد بن خاصَة، ومحمد بن سعد الرازي، ومحمد بن سهل المرزبان، ومحمد بن العباس الخوارزمي، ومحمد بن عبدالغفار الخزاعي، ومحمد بن عبدالله الوراق، ومحمد بن عبدالله بن حمدان الدلفي، ومحمد بن عبدوس الجهشياري، ومحمد بن عبيدالله المسّبحي، ومحمد بن علي بن خلف الهمذاني ومحمد بن علي بن مقلة، ومحمد بن الفرج بن الوليد، والمهلب بن الحسن بن بركات، وموسى بن سامة. ونصر بن عبدالرحمن الاسكندري، ويحيى بن أبي طي حميد بن ظافر الحلبي، والوزير يحيى بن محمد ابن هبيرة.

١٦ ــ وقال الشيخ الجليل في الصفحة ٦٣ «وقد انفرد مؤلف الحوادث الجامعة بوصف واقعة بغداد وانحلال الدولة العباسية وما جرى في العراق بعد استيلاء المغول وصفا شاملا لا يجارى فيه... حتى إنه عني بترجمة من قتل في هذه الواقعة من أعيان البغداديين وعلمائهم وحكامهم... كما سمّى في معجمه من كان يتولى إخراج أولئك العلماء والاعيان الى ظاهر بغداد ليقتلوا في مخيم هولاكو، ولا بدع فقد كان المؤلف من شهود العيان في تلك الواقعة». وأحال في الحاشية على «اللباب» أو مختارات من تلخيص مجمع الآداب للمؤلف، (٥٥، ٥٦) وقال: «وقد تولى فخر الدين عبد الله بن عبد الجليل القاضي المحدث وعزالدين الزنجاني إخراج الفقهاء البغاددة ليقتلوا في مخيم هولاكو وتجد في أخبار سنة ٦٥٦ من كتاب الحوادث الجامعة أسماء من قتل أو أسر (كذا) في الواقعة من العباسيين نساء (كذا) ورجالاً (كذا) وأسماء من قتل من الأمراء وقادة الجيش والأعيان». يعني، «من العباسيين ونسائهم» والحالية لا تجوز والتمييز ممتنع لتمّيز الاصل.

(٣٩) تراجع مقالتي «الضائع من معجم الادباء».

وقد عزا الاستاذ الجليل ، ناقلاً آثراً ، الى عزالدين آحمد بن محمود الزنجاني الشافعي القاضي فعلاً منكراً من أكبر الكبائر وأفظع الفظائع ، مع أن المتهم به هو والده شهاب الدين محمود الزنجاني القاضي ، قال ابن الفوطي في ترجمة الفخر الطهراني القاضي : « فخر الدين [٤٠] آبو بكر عبدالله بن عبدالجليل بن عبدالرحمن الطهراني الرازي القاضي المدرس المحتسب • قدم بغداد وتولى بها القضاء والتدريس والحسبة • استنابه أقضى القضاة نظام الدين عبد المنعم البندنيجي ، وكان شديد الوطأة على أهل العناد والفساد ، وقد تولى تدريس المدرسة البشيرية ، وكان عالم بالفقه وأيام الناس وهو ممن كان يخرج الفقهاء إلى باب السور الى مخيم السلطان هولاكو مع شهاب الدين الزنجاني ليقتلوا ، وتوفي في رجب سنة سبع وستين وستمائة ودفن بالخيزرانية » •

ثم إن مؤلف الحوادث لم ينفرد بوصف واقعة بغداد ولا كانت عنايته بترجمة من قتل في هذه الوقعة ، من أعيان البغداديين وعلمائهم وحكامهم ، أكثر من عناية غيره ، ولا كان قد بلغ من العمر ما يستطيع به أن يتثبت في ذكر الحوادث أو يراها رؤية فاحص مميز ، لأن عمره كان إذ ذاك « ١٤ » سنة ولا كانت حاله وهو أسير تسمح بذلك •

أما تفصيل واقعة بغداد فقد جاء في « البداية والنهاية » لابن كثير الدمشقي في حوادث سنة ٦٥٦ لأنه كما قلنا في إحدى الحواشي السابقة

---

(٤٠) قال موءلف كتاب الحوادث المجهول الاسم في حوادث سنة ٦٦٧ ـ ص ٢٦٨ ـ : « وفيها توفي القاضي فخرالدين عبدالله بن عبدالجليل الطهراني الرازي الحنفي ، استنابه اقضى القضاة نظام الدين البندنيجي في القضاء وفوض اليه امر الحسبة ببغداد . ابتلي بالمرض في وجهه حتى تأكل انفه ولقي مشاق عظيمة حتى توفي » . وهذه فرصة اخرى للمقابلة بين اسلوبي الموءلفين ومناحي الكتابين . انهما مختلفان .

كان عنده تاريخ ابن الساعي [41] الكبير وهو العمدة في هذا الأمر ، قال ابن كثير : « وكان الفِئام من الناس يجتمعون في الخانات ويغلقون عليهم الابواب ، فيفتحها التتار إما كسراً وإمّا حريقاً ، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى الأسطحة فيقتلونهم حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة ، فانا لله وانا اليه راجعون ، وكذلك كانوا يفعلون بهم في المساجد والجوامع والربط » . فهل ذكر مؤلف الحوادث مثل هذا الخبر الفظيع ؟ قال : « وكان التتار يفسقون بأهل الرجل وبناته في حضرته وهو ينظر ولا يقدر يتكلم » . فهل ذكر مؤلف الحوادث شبيها لهذا النبأ الشنيع ؟ !

وقد فصّل مقتل الأعيان والعلماء والحكام والخليفة والأمراء أبو الحسن الخزرجي نقلاً من تاريخ ابن الساعي المقدم ذكره ، على الراجح ، تفصيلاً لم يأت مؤلف الحوادث بمثله : « فكان ممن قتل صبراً من بيت الخلافة الامام المستعصم بالله أمير المؤمنين أبو أحمد عبد الله ابن الامام السعيد المستنصر بالله ... وكذلك ولداه السيدان : أبو العباس أحمد ـ وكان مولده في احدى وثلاثين (وستمائة) ـ وأبو الفضائل عبدالرحمن ـ وكان مولده سنة ثلاث وثلاثين (وستمائة) وكان من أجمل من رأته العيون [42] خَلقاً وخُلقاً . ثم أعمام المستنصر [43] بالله وهم السادة الأمراء أبو هاشم يوسف وأبو الفتوح حبيب وأبو القاسم علي (كذا وكان قد ذكر وفاته في سنة ٦٥٣) وأبو منصور الحسن وأبو

---

(٤١) كان تاج الدين ابن الساعي ممن سلم من القتل ايام استيلاء هولاكو على بغداد كما مرت الاشارة اليه . ولم اقف على كيفية سلامته والظاهر انه التجأ الى دار من الدور التي حماها المغول انفسهم كدار فخرالدين احمد ابن الدامغاني ودار موءيدالدين محمدبن العلقمي ودار تاج الدين علي ابن الدوامي .

(٤٢) قابل هذا القول وما يشبهه بماذكره الاستاذ الفاضل في كتابه «ص ١٢» من اضفائه على ابن الفوطي العناية الفائقة بالجمال البشري مع انه من اساليب الموءرخين المألوفة منذ القديم .

(٤٣) المراد : اعمام المستعصم بالله فاخطأ الناسخ .

الفتح سليمان أولاد الامام الظاهر (بأمر الله) وإخوة المستنصر . وكان الامير أبو هاشم يوسف أجملهم صورة (*) ، واحسنهم سيرة وسريرة، وأكملهم ديناً وعقلاً وأحسنهم أدباً وفضلاً ، وكان غزير العلم وافر الفضل عفيفاً صيّناً ، وقورا مهيبا ، مرشحا للخلافة له أشعار رائقة ، وكان مولده في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة [٤٤] . ثم الأميران المؤيد أبو عبد الله الحسين والموفق أبو علي يحيى ولدا الأمير السعيد أبي الحسن علي ابن الامام الناصر لدين الله وهما من أعمام المستعصم بالله (كذا) . فهؤلاء الاعيان من أعمام الخليفة وأولاد عمه ، وكان كل واحد منهم مرشحا للخلافة وصالحاً لها ، والله أعلم . وممن قتل صبراً من أعيان الأمراء وأكابر الزعماء مجاهد الدين أبو الميامن أيبك الدويدار الصغير ... »

« ثم أمير الحاج فلك الدين محمد ابن الأمير ألطبرس الظاهري [٤٥] ، وكان شاباً (جميلاً)** سريا نجيبا، تقدم بعد وفاة والده وألحق بأكابر الزعماء أرباب المشاّد والعمائم والكوسات والأعلام ، وتقلّد إمارة الحاج فحج بالناس ثلاث سنين ، فحمدت سيرته وشكرت طريقته وكان عمره يوم قتل نيفاً وعشرين سنة [٤٦] » .

«ثم الامير شهاب الدين سليمان بن محمود بن برجم ملك الايوا[٤٧](ئية) وكان شيخا مهيبا عاقلا حازما ذكيا ، ذا فطنة وتجربة في الحروب ، وكان حسن التدبير ، له نظر في العلوم وعناية بالتواريخ والسير والنجوم ،

---

* راجع الهامش ٤٢ في ص ٤٤٢ .

(٤٤) لم يذكر موءلف الحوادث كلمة من هذا الخبر وهذه السيرة .

(٤٥) قال موءلف الحوادث في قتلى سنة ٦٥٦ – ص ٣٢٨ – : « وامير الحاج فلك الدين محمد بن علاء الدين الطبرس الدويدار الكبير » ، فقابل بين مناحي التاريخين لتعرف اختصار كتاب الحوادث للحوادث والاخبار .

** راجع الهامش ٤٢ في ص ٤٤٢ .

(٤٦) وله في معجم الالقاب « ٤ : ٢٩٣ من نسختي بخطي » . ترجمة حسنة ولم يذكر انه قتل صبرا كما قال موءلف الحوادث بل قتل حربا على ما ذكره .

(٤٧) أي التركمان الايوائية او الايواقية على لغة اخرى .

وله قريحة في نظم الشعر بالفارسي ، وكان شريبا للخمر وموسوسا في الطهارة ثم أنه قطع شرب الخمر وتاب ، وأقلع وأناب . قتل وقد جاوز الثمانين سنة » [٤٨] .

« ثم الامير فلك الدين محمد بن الامير قيران الظاهري ، وكان عاقلا خيرا روسل به من الديوان العزيز الى ملك الروم (السلجوقي) وكان قتله في هذه السنة المذكورة وقد جاوز ستين سنة » [٤٩] .

« ثم الامير قطب الدين سنجر البكلكي ، كان أولا للامير بكلك الناصري وقد قدمه للامام الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر ثم انتقل الى ملك الامام المستنصر بالله وولي شحنة بغداد مدة ، ثم ولي إمارة الحج ثم أعمال الجبل ، وحمدت سيرته . قتل وهو في عدان الكهولة » [٥٠] .

---

(٤٨) قال موءلف الحوادث : « شهاب الدين سليمان بن برجم » ولم يزد على ذلك فقابل بين مناحي الكتابين ومقادير السيرتين ليتأكد لك البون الشاسع بينهما .

(٤٩) قال موءلف الحوادث : « وفلك الدين محمد بن قيران الظاهري » فتأمل الفرق بين التاريخين . وقال ابن الفوطي في معجم الالقاب : « فلك الدين محمد بن شمس الدين قيران بن عبدالله الظاهري المستعصمي الامير ، قال شيخنا تاج الدين في تاريخه: لما توفى والده شمس الدين قيران استدعى أولاده ال الوزارة ليشرفوا وهم فلك الدين محمد وعلاء الدين ابو بكر وسيف الدين علي وذلك في غرة جمادى الآخرة سنة خمس واربعين (وستمائة) وفي ثانيه استدعي فلك الدين فخلع عليه وخوطب بالامارة ورفع بين يديه غاشية وكان عاقلا ساكنا وروسل به الى ملك الروم مع السيد شرف الدين محمد بن الصدر العلوي المراغي في سنة تسع واربعين ورجعا في شهر ربيع الاخر » . ولم يستطع ابن الفوطي ذكر سنة وفاته كما رأيت .

(٥٠) قال ابن الفوطي : « قطب الدين ابو المظفر سنجر بن عبدالله ، يعرف بزريق ، البكلكي المستنصري التركي امير الحاج ، ذكره شيخنا تاج الدين في تاريخه وقال : ينتسب الى الامير جمال الدين بكلك فلما توفي اضيف الى مماليك البدرية . قال : « في شهر رمضان سنة احدى =

« ثم الامير عز الدين ألب قرا الظاهري ، وكان يومئذ شحنة بغداد أي سنة ٦٥٦ » .

« ثم الامير بلبان المستنصري ، صهر قيران الظاهري : وكان شابا موصوفا بالفروسية والشجاعة ، قتل وله نحو من أربعين سنة » .

« فهؤلاء المشهورون ممن قتل صبرا من الزعماء ، والله اعلم » .

« وممن قتل صبرا من الاكابر والعلماء وذوي المناصب أستاذالدار محيي الدين ابو محمد يوسف بن عبدالرحمن بن الجوزي ... ثم ولده جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن يوسف ابن الجوزي ... ثم أخوه شرف الدين أبو الفضل عبدالله بن يوسف ... ثم أخوه تاج الدين أبو الكرم عبدالكريم بن يوسف ، وكان شابا ذكيا ، حصل طرفا من علم النحو والفقه وقال الشعر ، ودرس بالمدرسة المنسوبة اليهم ، وولي الحسبة أيضا . قتل أيضا وعمره نيف وعشرون سنة » .

« ثم الشيخ شهاب الدين أبو المناقب (٥١) محمود بن أحمد بن

= واربعين وستمائة الحق بالزعماء وجعلت معيشته الف دينار وعدته خمسون فارسا ، ثم رتب شحنة بخزانة بالسلاح ثم رتب شحنة بالحلة ثم ناظرا باللحف وعقدعليه ضمان البندنيجين وجعلت معيشته خمسة آلاف دينار ، وعين عليه في امارة الحاج سنة وخمسين وستمائة واستشهد في الواقعة سنة ست وخمسين وستمائة » .

(٥١) بهذا القول يسقط قول ابن الفوطي انه كان مع فخرالدين الطهراني ممن يخرجون الفقهاء من بغداد الى مخيم هولاكو ليقتلوا ، وجاء في كتاب الحوادث في ذكر من توفي بعد استيلاء هولاكو على بغداد — ص ٣٣٧ — قوله : « وتوفي شهاب الدين محمود بن احمد الزنجاني ، كان قاضي القضاة ببغداد ... » . وقال تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٥ : ١٥٤) « محمود بن احمد بن محمود ابو المناقب الزنجاني ، استوطن بغداد . قال ابن النجار : وبرع في المذهب والخلاف والاصول ودرس بالنظامية وعزل ودرس بالمستنصرية وصنف تفسير القرآن وحدث عن الامام الناصر لدين الله بالاجازة ، قال شيخنا الذهبي :

محمود الزنجاني ، وكان قد قدم بغداد شابا وسكن مدرسة ثقة الدولة (علي بن محمود الدُريني المعروف بابن الابري) وأعاد الدرس بها لكمال الدين عبدالودود ثم استنابه القاضي شرف الدين أبو الفتوح عبداللطيف بن البخاري ثم استقل بالقضاء ببغداد وفوضت اليه الاوقاف على المدارس والاربطةوالمساجد ثم عزل ثم ولي القضاء فيأيام المستنصربالله ثم ولي التدريس بالنظامية ثم ولي تدريس الطائفة الشافعية بالمدرسة المستنصرية ، وكان فاضلا شهما ذكيا مقداما جريئا في المناظرة ، مقتدرا على قهر الخصوم ، وصنف الكثير في فنون العلم وجمع تفسيرا للقرآن الكريم . وروسل به الملوك ، وكان فصيحا قوي الجنان ، وضيء الوجه ، مليح الشيبة . قتل وقد بلغ الثمانين أو جاوزها والله أعلم » .

« والسيد شرف الدين بن الصدر العلوي . وكان كبير القدر ، عظيم الشأن ، كثير الاحسان (جميل المحيا) ، ظاهر الحياء ، رحيب الصدر ، وسيع النفس ، كريم الاخلاق ، تظهر ... من تواضعه وتشاهد أنوار النبوة على وجهه ، وقد روسل به الملوك من جانب الديوان . قتل وقد جاوز ستين سنة » [٥٣] .

« ثم نقيب العباسيين شمس الدين [٥٢] أبو الحسن علي بن النسابة، وكان شابا (جميل الصورة) مليح الوجه ، كامل الخلقة ، وكان خطيب

= استشهد في كائنة بغداد سنة ست وخمسين وستمائة ، وهذا يوءيد نفي التهمة عنه ، وقال رشيد الدين الوزير الهمذاني في جامع التواريخ: « بعث أهل بغداد شرف الدين المراغي وشهاب الدين الزنجاني وملك دلراست يطلبون الامان » . (ص ٣٠١) . وقال ابراهيم بن دقماق في وفيات سنة ٦٥٦ . « وفيها مات الشيخ الفقيه ابو المناقب محمود ابن احمد الشافعي شهيدا ببغداد في وقعة التتار ، كان احد الفقهاء المدرسين والعلماء المعظمين وكان رئيس الشافعية ببغداد » (نزهة الانام في تاريخ الاسلام ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٩٧ الورقة ١١٦) .

(٥٢) لم يذكره مؤلف الحوادث في « الشهداء » .

جامع القصر وناظرا في وقوف الترب بالرصافة ثم قلد نقابة العباسيين •
قتل وعمره نحو من ثلاثين سنة » •

« ثم شيخ الشيوخ صدر الدين أبو المظفر علي بن محمد بن النيار، وكان عاقلا فاضلا ، سكن مدرسة الاصحاب بالجانب الغربي متفقها بها على أحسن طريقة ثم ندب الى إسماع قوله وقبول شهادته فأجاب ، ورتب مشرفا على خزانة الكتب بالمدرسة النظامية ثم عين لتأديب المستعصم بالله وأخيه أبي القاسم عبدالعزيز ••• قتل وقد بلغ سبعين سنة أو قاربها » •

« ثم ابنه عبدالرحمن* ثم ابن اخته شرف الدين عبدالله بن علي ابن سكينة ، وكان شيخا صالحا دينا ناسكا ذا وسواس في الطهارة ••• قتل وعمره خمس وقيل سبع وسبعون سنة » •

« ثم العدل عبدالوهاب [٥٣] بن عبدالرحيم بن عبدالوهاب بن سكينة شيخ رباط الكاتبة (شهدة) ، وكان شابا طريا ، قتل وعمره ••• وعشرون سنة » •

« ثم القاضيان : البرهان القزويني الشافعي[٥٣] وابراهيم النهرفضلي الشافعي » [٥٣] •

« ثم العدل عبدالوهاب [٥٣] بن عبدالرحيم بن عبدالوهاب بن سكينة شيخ رباط الكاتبة (شهدة) ، وكان شابا طريا ، قتل وعمره ••• وعشرون سنة » •

« ثم القاضيان : البرهان القزويني الشافعي[٥٣] وابراهيم النهرفضلي الشافعي » [٥٣] •

« ثم الصدر أبو معشر[٥٣] الهمذاني مدرس في مدرسة بين الدربين وكان شيخا خيرا ، فاضلا متواضعا ، قتل وقد بلغ من العمر ثمانين سنة » •

« ثم الشمس علي بن[٥٣] يوسف الكاتب ، كان متوحدا في الكتابة • قتل وقد جاوز ستين سنة » •

---

* يراجع الهامش (٥٢) في ص ٤٤٦ •

(٥٣) لم يذكره مؤلف الحوادث في الشهداء •

« ثم النقيب الطاهر علي ابن النقيب الطاهر الحسن بن المختار . وكان شابا طريا ذكيا سريا ، ينظم شعرا جيدا ، قتل وقد نيف على عشرين سنة » .

« ثم التقى [٥٣] بن الموسوي نقيب مشهد موسى بن جعفر — ع — قتل وقد جاوز ثلاثين سنة » .

« ثم عمر [٥٣] بن الجلال عبدالله بن المختار العلوي حاجب باب المراتب ، قتل وعمره نحو من عشرين سنة » .

« ثم شرف الدين أبو الفضل محمد بن طاوس العلوي » .

« ثم عبدالله [٥٣] بن خنفر الاديب الكاتب ، وكان أديبا فاضلا ، وكان شاعرا ونحويا حاسبا وفروضيا كاتبا ، رتبه الوزير احمد بن الناقد كاتبا عنه في ديوان الانشاء الى آخر أيامه ، وكان غزير الفضل ، مليح النظم ، بديع النثر ، عزيز النفس ، قتل وقد جاوز الاربعين سنة » .

« ثم العدل أحمد [٥٣] بن القزويني الهاشمي ، شيخ رباط الدرجة ، وكان شيخا عاقلا كيسا ، قتل وقد جاوز خمسين سنة » .

« وممن قتل صبرا بعد استخدامه في الدولة الجنكزخانية الهلاوونية السراج علي بن الجبلي ، وكان كاتبا حاسبا ، شاعرا ، فاضلا ذكيا ، تقلبت به الاحوال في الخدم ... قتل وقد جاوز خمسين سنة ... » .

« وكذلك مظفر الدين محمد [٥٤] بن الامير جمال الدين قشتمر الناصري ، قتل أيضا وعمره نيف وعشرون سنة » .

---

(٥٣) لم يذكره موءلف الحوادث في « الشهداء » .

(٥٤) لم يذكره موءلف الحوادث وترجمه ابن الفوطي في معجمه قال : « مظفر الدين ابو الفضل محمد بن جمال الدين قشتمر بن عبد الله التركي الحلي المولد ، الامير ، ذكره شيخنا تاج الدين ابو طالب (ابن الساعي) في تاريخه وقال : كان مولده سنة عشرين وستمائة، =

« ثم الموفق عبدالقاهر[٥٥] بن محمد بن الفوطي ، وكان أديبا فاضلا حافظا للقرآن قائما بعلم النحو والنجوم ، مقتدرا على الانشاء ، نظما ونثرا كتب من رسالة تتضمن ... الى بعض اخوانه في ثلاث كراريس تشتمل على نيف وسبعين مثلا من أمثال العرب ، وكان ثقة الا انه لم يخدم قط في خدمة الا عادى رفيقه ، وكان فقيرا ذا عيال ، قتل وقد بلغ ستين سنة » .

«ثم علي بن الزبيدي[٥٦]، نشأ بين الصوفية، وتأدب بآدابهم وكان عاقلا متدينا نزها تام الامانة ، لم يتزوج قط ، ولا تسرى مع عفة ، وكان يعظم نفسه ولا يغشى أحدا من الولاة ولا من أبناء الدنيا ، لافي عزاء ولا في هناء . قتل وقد بلغ ستين سنة » .

= وبالغ والده في تربيته وتأديبه (وكان مليح الصورة) لطيف الاخلاق .. واستدعي الى دار الوزير وجعل عدته مائة فارس ، ولما توفي والده الملك جمال الدين قشتمر سنة سبع وثلاثين (وستمائة) استدعى الى دار الوزير وقلد سيفا محلى بالذهب ، وزيد في معيشته واجناده بمعيشة مبلغها خمسة الاف دينار ووفر عليه مماليك ابيه . واستشهد في الوقعة في الجانب الغربي في المحرم سنة ست وخمسين وستمائة».

(٥٥) لم يذكره موءلف الحوادث في الشهداء بل ذكر له قصيدة يهجو بها شيخه المنصوري « الحوادث ص ٣٨ » لتوليه النقابة ، وترجمه ابن الفوطي في معجمه قال : « موفق الدين ابو محمد عبد القاهر بن محمد ابن علي بن عبدالعزيز يعرف بابن الفوطي البغدادي الكاتب، كان من الادباء الاعيان والفضلاء والبلغاء أرباب البيان الفصحاء ، حفظ القرآن الكريم على والده وقرأ الادب على محب الدين ابي البقاء العكبري وكتب على تاج الدين البرفطي وسمع الحديث على شيخ الشيوخ ضياء الدين ابي احمد ابن سكينة ، وسافر الى الموصل وقرأ كتاب المثل السائر على مصنفه ضياء الدين بن الاثير ، وله رسائل مدونة واشعار مستحسنة وهو الذي اشغلني فى الادب ورباني وكان خال والدي ، وحفظني المقامات الحريرية واسمعني بقراءته جامع الترمذي وغيره ، وكان مولده في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة . واستشهد في الوقعة سنة ست وخمسين وستمائة » .

(٥٦) لم يذكره موءلف الحوادث في الشهداء .

« ثم التقى عبدالرحمن بن حمزة ابن الطبال وكيل الخليفة ، وكان آية في الذكاء والفطنة وكتبة الشروط ، وصار له في ذلك قوة وملكة ، وتفرد بديوان الوكالة ، وكان يواصل بالعطايا والهدايا والكسوات ، فأثرت حاله . وكثر ماله ، قتل وقد جاوز أربعين سنة وقد اكتسب من المال اكثر من ثلاثمائة الف دينار » [٥٧] .

وذكر ابن الفوطي في معجمه للالقاب جماعة من شهداء الوقعة ، نقلنا سيرة جماعة منهم ولم نجد موضعا لنقل سيرة آخرين كعز الدين أبي الفوارس ألب قرا بن عبدالله التركي الظاهري شحنة بغداد أي حاكمها العسكري .

ومنهم عفيف‌الدين أبو عبدالله محمد[٥٨] بن أحمد بن جعفرالتكريتي الفقيه المجلد المعروف بابن البديع[٥٩] قال : كان من فقهاء المستنصرية من الطائفة الحنفية وسمع المشايخ وقرأ عليهم واستفاد منهم ، وكان أوحد في صناعة التجليد ولذلك السبب كان لا يفارق دار الخلافة ... ورأيته كثيرا وكأنه كتب لي في الاجازة[٦٠] ، وقتل في الوقعة سنة ست وخمسين (وستمائة) .

---

(٥٧) راجع في شأن جميع هوءلاء الشهداء « العسجد المسبوك لابي الحسن علي الخزرجي » « النسخة المصورة في المجمع العلمي ، الورقة ١٩١ – ١٩٤ » .

(٥٨) لم يذكره موءلف كتاب الحوادث في الشهداء .

(٥٩) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ٦٦ من نسختي بخطي » .

(٦٠) كان ابن الفوطي قلما يتذكر ما قبل وقعة بغداد من الامور التي مرت عليه والتي مر بها ، وسيأتي قوله في ترجمة كمال الدين علي بن عسكر الحموي الشهيد في هذه الواقعة قوله : « حضرت مجلسه في خدمة والدي تاج‌الدين في جماعة كانوا يسمعون عليه معجم الادباء بروايته عن مصنفه ياقوت مولاهم ، ثبتني في ذلك شيخنا جلال الدين ... » . فقد كان محتاجا الى التثبيت لنسيانه .

وعفيف الدين أبو العز[٦١] يوسف بن عبدالكريم بن الحسن البغدادي الفقيه المعروف بابن القصاب ، قال : « كان من فقهاء المدرسة المستنصرية في الطائفة الاحمدية ، سمع الحديث من الصاحب محيي الدين يوسف بن الجوزي ، وكان يتأدب ، وله تصانيف وشعر ، أنشدني في غرض له :

جزى الله عني الخير كل مُبخَّلٍ تجنبتُه في غُدوةٍ ورواح
وقى منكبي ثقلاً من الذل منْعُه وأخرجني ما تحت رقّ سماح

وقتل في الوقعة سنة ست وخمسين وستمائة»[٦١] .

« وعماد الدين أبو نصر آيتغدي بن عبدالله الناصري التستري التركي الامير » . قال ابن الفوطي : « ذكره شيخنا تاج الدين في تاريخه وقال : أهداه الامير مظفر الدين وجه السبع من خوزستان فكان يعرف بالتستري، وكان عارفا بفن الرماية . قال : وجعل أميرا سنة تسع واربعين وستمائة، وجعلت عدته خمسين فارسا ، ومعيشته الف دينار ، وكان كثير الخروج للصيد والقنص وله معرفة تامة برمي البندق واستشهد في الوقعة سنة ست وخمسين وستمائة» [٦٢] .

وعمادالدين ابن الفوارس طغرل بن عبدالله المستعصمي الامير المعروف بالبقجةدار ، قال ابن الفوطي : « كان أميرا شجاعا ، وتقدم المستعصم بالله أن يرتب أميرا أسوة بالزعماء فاستدعي الى دار الوزير موءيد الدين (ابن) العلقمي وخلع عليه وجعل له خمسون فارسا ورسم له من المعيشة ألف دينار في كل سنة ، وكان قد قرأ الفقه على نجم الدين (بكبرس بن يلنقليج الحنفي الناصري) شيخ الزهاد وكتب (خطاً) مليحا وكانت وفاته (كذا) واستشهد في الواقعة سنة ست وخمسين وستمائة » [٦٣] .

---

(٦١) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ٧٣ » ولم يذكره موءلف كتاب الحوادث في الشهداء .

(٦٢) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ٩٧ » ولم يذكره موءلف الحوادث في الشهداء .

(٦٣) التلخيص « ٤ : ١٠٥ » ولم يذكره موءلف الحوادث في الشهداء .

ومنهم عمادالدين ابو الحسن علي بن عبدالملك بن أبي الغنائم بن بصلا البندنيجي الكاتب الفقيه قال ابن الفوطي : « ذكره شيخنا عزالدين عمر بن دهجان البصري في فوائده وقال : كان أحد معيدي المدرسة النظامية وأحد الوكلاء بديوان ... وكان أديبا عالما عارفا باللغة له تواليف حسنة ، سمعت منه جزءاً ترجمه بالاشارة الى العلاقة بين عدد السجلات والبطاقة ، سنة اثنتين وخمسين وستمائة وسمعت عليه من لفظه أرجوزة سماها بغية المستعجل في نسب النبي ـ ص ـ وتواريخ الخلفاء ، وله شعر كثير ، واستشهد في الواقعة سنة ست وخمسين وستمائة » (٦٤) .

وعماد الدين أبو المظفر محمد بن أبي فراس حسام الدين بن جعفر ابن أبي فراس النخعي الحلي الامير، قال ابن الفوطي: « من بيت الامارة(٦٥) والولاية ، ذكره شيخنا تاج الدين ابن الساعي في تاريخه وقال : في شهر ربيع الاول سنة خمس وثلاثين وستمائة ألحق عماد الدين محمد بن أبي فراس بالامراء ورتب شحنة بالحلة السيفية ، ثم ظهرت منه أمور أوجبت

---

(٦٤) التلخيص « ٤ : ١١٣ » ولم يذكره موءلف الحوادث في الشهداء .

(٦٥) دافع الاستاذ الشبيبي عن نسب هوءلاء الاكراد الجاوانيين ، الذين ادعى بعض المتأخرين منهم النسب الى مالك بن الاشتر النخعي وتعرض لقول قلته انا في هذه المجلة في بحثي عن تاريخ الجاوانيين ، وكنى عنى ببعض الباحثين كعادته ـ حفظه الله ـ في ذكر من يقتبس منهم ومن ينتقد عليهم « ص ١٨٨ من كتابه هذا » ، وقد قال في الاحتجاج : « وقد كان الشيخ ورام من الزاهدين الصالحين في الواقع وليس من الزهد في شيء انتحال الانساب ، ويرجح ان احدى امهات هوءلاء الامراء كانت من اكراد الحلة المذكورين ومنها لحقهم هذا النسب الى الكردية ... » . قلت : انا لا ادعي ان ورام كان يدعي النسب الى قبيلة النخع وهو يعلم انها باطلة ، فلعله تلقى ذلك عن ابيه ، وقد يكون احد اجدادهم المتأخرين كان اسمه مالك ثم تصوروا انه مالك الاشتر ، ثم ان البحث التاريخي الجديد لا يأبه لمثل هذه الدعوى . ولماذا استبعد الاستاذ ذلك ولم يستبعد المواطأة بالكذب على سيد علوي جليل عالم فقيه كما جاء في « ص ٧٥ » من كتابه .

عزله فعزل سنة ثلاث واربعين ... ثم رتب شحنة الكوفة ... ثم عزل لمعاقرته العقار وإهماله الامور واستشهد في الواقعة سنة ست وخمسين وستمائة » (٦٦) .

ومنهم على رواية ابن الفوطي أيضا « فتح الدين ابو المظفر الحسن ابن محمد بن كُرّ بن محمد بن موسك بن ابي الهيجاء الشيباني الكردي (٦٧) الملك » قال : « كان من الامراء الاكابر بل الملوك الاكارم ، قال شيخنا تاج الدين في تاريخه : وفي رجب سنة ثلاث واربعين وستمائة خلع على الامير فتح الدين في دار الوزير موءيد الدين بن العلقمي : القباء الاسود والعمامة الكحلية المذهبة وهي خلع السلطنة وأنعم عليه بمركوب خاص وأذن له في ضرب النوبة الملكية ، وزيد في معيشته ألفا دينار فصار له في كل سنة أربعة عشر ألف دينار امامية ، وعهدي بداره في كل جمعة يفرق فيها من الادوية والاشربة والمعاجين ما لا يكون في بيمارستان وكان لا يرد سائلاً ، كائنا من كان ، واستشهد في الوقعة في الجانب الغربي في المحرم » (٦٨) .

وقال ابو الحسن الخزرجي في حوادث سنة ٦٤٣ : « وفي يوم التاسع والعشرين من شهر رجب خلع على الامير فتح الدين حسن بن كر الكردي الاربلي في دار الوزير ، وقلد سيفاً كبيرا محلى بالذهب وأعطى تسعة أحمال كوسات وما يناسبها من الاعلام والرايات والطبول والبوقات، وزيد في معيشته ألف دينار وسلم اليه إقطاع بهذه المعيشة » (٦٩) .

---

(٦٦) التلخيص « ٤ : ١١٨ » ولم يذكره موءلف الحوادث فى الشهداء .

(٦٧) تأمل قوله « الشيباني الكردي » وهو نسابة !! راجع ما يأتي بعده .

(٦٨) التلخيص « ٤ : ٢١١ ، ٢١٢ » ولم يذكره موءلف الحوادث في الشهداء، وفي هذه السيرة موضع للمقابلة والموازنة ، فلو كان موءلف الحوادث ابن الفوطي ما اغفل شهادة هذا الامير الكبير الذي ذكره في تلخيصه احسن ذكر واعظمه .

(٦٩) العسجد المسبوك « نسخة المجمع العلمي العراقي الورقة ١٦٦ ».

ثم ذكر خروج موكب عيد الفطر في يوم الاربعاء غرة شوال سنة ٦٤٥ وكان مؤلفا من عدة مواكب يتقدمها موكب الامير مجاهد الدين أيبك المستنصري ثم موكب الامير شجاع الدين الطبرس الظاهري (كـذا) ودونه موكب الامير حسن بن كرّ ثم عسكر شرف الدين اقبال الشرابي ثم الامراء الصغار ثم موكب الخليفة ثم موكب الديوان »[٧٠] .

وقال مؤلف الحوادث في حوادث سنة ٦٥٦ وانحدار المغول من ناحية دجيل نحو غربي بغداد وخروج مجاهد الدين أيبك الدويدار المستنصري للقائهم : « وما زال يتبعهم بقية نهاره فأشار عليه الامير فتح الدين بن كر بأن يثبت مكانه ولا يتبعهم ، فلم يصغ اليه ، فأدركه الليل وقد تجاوز نهر بشير ببزّ دجيل ، فباتوا هناك . فلما أصبحوا حملت عليهم عساكر المغول وقاتلوهم قتالا شديدا ، فلم تثبت عساكر الدويدار فانكسروا...» [٧١] . وذكر قصة الكارثة التي نزلت على الجيش العباسي . وقد ذكر الوزير رشيد الدين هذا الامير فتح الدين بن كر الكردي قال : « وفي اليوم الحادي عشر من شهر جكشبات من سنة موكا الموافق للتاسع من المحرم من سنة ٦٥٦ سار بايجونُوْيَن وبوقا تيمور نحو دجيل في الوقت المعين لهما وعبرا دجلة ثم عسكرا على نهر عيسى ... وكان مجاهد الدين ايبك الدواتدار يقود جيش الخليفة ومعه ابن كرّ ... وفي العاشر من المحرم وقت طلوع الشمس هجم بايجونُوْيَن وبوقاتيمور على الدواتدار وابن كرّ وكسروا جيشهما وقتل فتح الدين بن كرْ وقراسنقر في الوقعة وقتل من عسكر الخليفة اثنا عشر ألفاً ما عدا المتورطين في الاوحال والغرقى » [٧٢] .

---

(٧٠) المرجع المذكور « الورقة ١٧١ » .

(٧١) كتاب الحوادث « ص ٤٣٢ » .

(٧٢) جامع التواريخ ، ص ٢٨١ من الترجمة الفرنسية المطبوعة مع الاصل الفارسي بتحقيق وترجمة المستشرق كاترمير الفرنسي .

ومنهم فخرالدين أبو العباس أحمد بن الحسين الرازي القاضي قال ابن الفوطي : « ذكره شيخنا تاج الدين في تاريخه وقال : كان أحد معيدي المدرسة النظامية وله أشعار في مدح المستعصم بالله ومدح الوزير مؤيد الدين (ابن العلقمي) ومن شعره :

أتى من خليلي خيال طرَقْ | بطيب ثرى المسك منه عَبَقْ
وفاح أريج نسيم الصبا | سُحَيْراً وذا الذيل منه اعتَبقْ
نعشت لريهما ناشقاً | ولم أدر أي نسيم أرَقْ

ومنها في المدح :

غياث الانام ابو أحمد | به تمّ دينُ الهدى واتّسَقْ

وكان استشهد في الواقعة سنة ست وخمسين وستمائة» [٧٣] .

ومنهم فخر الدين أبو جعفر أحمد بن أحمد بن عبيدالله بن الحسين بن أحمد ابن جعفر الآمدي الصوفي ، قال ابن الفوطيّ « ذكره شيخنا تاج الدين أبو طالب في تاريخه وقال : رتب مدرسا للنحو بمدرسة سعادة[٧٤] ثم رتّب معيدا بالمدرسة المستنصرية وله أشعار حسنة ، مدح الامام المستعصم بالله، وكان يحضر مجلس الوزير موءيد الدين ابى طالب بن العلقمي وقد كتبتُ شعره في شعراء العصر (نظم الدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة) . واستشهد في الواقعة سنة ست وخمسين وستمائة » [٧٥] .

وفخر الدين ابو منصور ألطن آبه بن عبدالله المستنصري الامير المعروف بالكرازدار ، قال ابن الفوطيّ : ذكره شيخنا تاجالدين بن الساعي

---

(٧٣) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ٢١٩ » ولم يذكره موءلف الحوادث مع الشهداء .

(٧٤) الامير عزالدين سعادة له ترجمة في المعجم ومدرسته مشهورة في التاريخ .

(٧٥) التلخيص « ٤ : ٢٢٢ » ولم يذكره موءلف الحوادث مع الشهداء .

في تاريخه وقال: اُمرّ في جمادى الاولى سنة احدى وخمسين وستمائة وجعلت معيشته ألفي دينار وعدته خمسون فارسا ، وقتل في الوقعة الكبرى بالجانب الغربي في المحرم سنة ست وخمسين وستمائة » [٧٦] .

ومنهم فخر الدين أبو علي محمد بن عبدالرحمن بن أبي البقاء عبدالله العكبري الكاتب ، من فضلاء الزمان . سمع جده أبا البقاء وتأدب ونظم الاشعار الرائقة . أنشد له شيخنا تاج الدين (ابن الساعي) في المدائح الوزيرية يهنيه بالوزارة :

زهــا بك في إيالتــك الشرورُ	وفاخر فيــك دهرك ذا الدهورُ
فكان بك الفخــار لــه عليهــا	كما فخرت على الشهب البدورُ
حميت معــاقل الاســلام حتــى	لقــد أمنت مخاوفهــا الثغورُ
واشرقت الوزارة حين أضحت	وانت بدســت منصبهــا وزير

واستشهد في الواقعة سنة ست وخمسين (وستمائة) ومولده سنة ستمائة تقريبا » [٧٧] .

وفلك الدين ابو الفضل منكوبرس بن عبدالله التركي المستنصري الامير ، قال ابن الفوطي : « كان اميرا كبيرا ، ولي رئاسة الاتراك الزهاد بعد الشيخ نجم الدين بكبرس بن يلنقليج ، وكان كريم النفس ، ورعاً يصوم الاثنين والخميس، وله على الاتراك والجماعة الامرة المطاعة، وقتل في الوقعة سنة ست وخمسين وستمائة » [٧٨] .

وكمال الدين أبو الحسن علي بن علي عسكر [٧٩] بن أبي نصر بن

---

(٧٦) التلخيص « ٤ : ٢٢٦ ب » ولم يذكره موءلف الحوادث في الشهداء .

(٧٧) التلخيص « ٤ : ٢٦٣ » ولم يذكره موءلف الحوادث في الشهداء .

(٧٨) التلخيص « ٤ : ٢٩٥ » ولم يذكره موءلف الحوادث في الشهداء .

(٧٩) ذكر ابن الساعي وفاته في سنة ٦٠٦ في الجامع المختصر « ٩ : ٢٩٤ » وكان ثريا ذا تجمل ظاهر .

ابراهيم ، نزيل بغداد ، الحموي ثم البغدادي العارض ، قال ابن الفوطي : « كان صدرا كاملا ورئيسا فاضلا ، وكان من جيراننا في المحلة الخاتونية الخارجة وحضرتُ مجلسه في خدمة والدي تاج الدين في جماعة كانوا يسمعون عليه معجم الادباء بروايته عن مصنفه ياقوت مولاهم . ثبتني في ذلك شيخنا جلال الدين بن عكبر وكان ممن يحضر المجلس . قال شيخنا تاج الدين في تاريخه : رتّب كمال الدين ناظر المدرسة المستنصرية سنة احدى واربعين وستمائة ثم رتب مشرف البلاد الحلية ورتب عارض الجيوش سنة خمسين وستمائة ولم يزل على ذلك الى ان استشهد في الوقيعة سنة ست وخمسين ، وكان ياقوت عتيق والده ، أعتقه يوم ولد له كمال الدين » [٨٠] .

فهؤلاء فريق من الشهداء الذين قتلهم المغول القساة الغلاظ الاكباد الجناة العتاة في واقعة بغداد التي تفتت الاكباد [٨١] ، ذكرهم أبو الحسن الخزرجي وابن الفوطي ، ولم يذكرهم موءلف الحوادث ، فهو مقصّر في هذا الامر مختصر مقتصر ، الا ان اقتصاصه ما جرى في العراق بعد استيلاء المغول عليه هو أحسن اقتصاص وأوسعه ، كما ذكر الاستاذ الشبيبي ـ حفظه الله ـ وسيبقى متفردا بذلك خاصة الى أن يعثر على تاريخ ابن الساعي وتاريخ الكازروني وأضرابهما كابن الفوطي في كتابه « التاريخ على الحوادث » المفقود ، الذي يحيل عليه كثيرا في تلخيص معجم الالقاب وممّن قتله المغول ببغداد يحيى الصرصري الشاعر المشهور الاخبار والاشعار .

١٧ ـ وقال الشيخ الجليل في أثناء كلامه على ثياب العزاء في الدولة

(٨٠) التلخيص « ٥ : الترجمة ٤٥٦ من الكاف » .

(٨١) وقال السيوطي في ذيل طبقات الحفاظ ناقلا من تاريخ الصفدي في ترجمة سعيد الدهلي المتوفي سنة ٧٤٩ . « له تواليف منها تفتيت الاكباد في واقعة بغداد » ، ولعل كتاب الحوادث المذكور مرارا وتكرارا من جمعه او تأليف ابن اسينا الواسطي الموءرخ .

العباسية « ص ٧٠ » : « كانوا يتخذون للعزاء ثيابا خاصة ، وورد ذكرها كثيرا في تاريخ هذه الحقبة ولكنها لم توصف وصفا واضحا ولم يعين لون تلك الثياب ، ونرجح انه السواد لأن العادة المتبعة عند العراقيين اليوم في حالة الحزن لبس الثياب السّود ، هذا وقد عقد صاحب الحوادث فصلاً عنوانه (تغيير ثياب العزاء والهناء — ص ١٦٥ —) ضمّنه وصول ركن الدين اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ... لتعزية المستعصم بوفاة المستنصر ... ودخل وعليه ثياب الحزن .. هذا ما ورد في الكتاب ، فكانت للحزن والعزاء اذن ثياب مخصوصة ولكن المؤرخين سكتوا عن وصفها وتعيين ألوانها والمرجح كما قلنا أنه السواد وقد جرت العادة أن يظهر رجال الدولة بهذه الثياب ولا يستثنى من ذلك الوزراء في العصر المذكور فقد ظهر الوزراء والاعيان ومشايخ الربط والمدرسون بهذه الثياب بعد وفاة المستنصر سنة ٦٤٠ ودخلوا الى دار الوزارة بهذه الازياء ، الحوادث ١٤٠ ، ٣٥ ، ١١١ ، » اهـ .

قلت : لم يسكت الموءرخون عن لون ثياب العزاء لاهل الدولة ومَن جرى مجراهم ، ولكنهم كانوا يعدون ذلك من بابة ذكر البديهيات ، فالدولة العباسية كان شعارها السواد منذ أسست الى أن قرضت وأزيلت ، وكان شعار حزنها « البياض » منذ أنشئت الى أن قضي عليها ، فركن الدين اسماعيل والوزراء والاعيان ومشايخ الربط والمدرسون كانوا يلبسون « ثيابا بيضا » في أيام العزاء المذكور ، قال أبو الفرج بن الجوزي في وفاة الخليفة القائم بأمر الله ، ومبايعة حفيده المقتدي بأمر الله بالخلافة يوم الجمعة ثالث عشر شعبان من سنة ٤٦٧ : « ولقب بالمقتدي بأمر الله وجلس في دار الشجرة بقميص أبيض وعمامة لطيفة بيضاء وطرحة قصب دُرّية ودخل الوزير فخر الدولة و (ابنه) عميد الدولة واستُدعي موءيد الملك بن النظام والنقيبان طِراد والعلوي[٨٢] وقاضي القضاة الدامغاني ودُبيس

(٨٢) في المنتظم المطبوع « ٨ : ٢٩٢ » طراد العلوي وهو خطأ من حيث التركيب والتاريخ .

وأبو طالب الزينبي وابن رضوان وابن جردة ، ووجوه الاشراف والمتقدمون وبايعـوه ... »[٨٣] .

وقال ابن واضح في وفاة الامام علي بن موسى الرضا : « لما صـار المأمون الى طوس توفي الرضا علي بن موسى بن جعفر بن محمد ـ ع ـ بقرية النوقان ولم تكن علته غير ثلاثة ايام ، فقيل ان علي بن هشام أطعمه رمانا فيه سم ، وأظهر المأمون عليه جزعا شـديدا ، فحـدثني ابو الحسن ابن أبي عباد قال : رأيت المأمون يمشي في جنـازة الرضـا حاسـرا في مُبَطّنة (بيضاء) وهو بين قائمتي النعش يقول : الى من أروح بعـدك يا أبا الحسن ؟ وأقام عند قبره ثلاثة أيام يؤتى في كل يوم برغيف وملـح فيأكله ثم انصرف في اليوم الرابع »[٨٤] .

وقال جمال الدين ابو عبدالله محمد بن سعيد الواسطي المعـروف بابن الدبيثي في ترجمة أبي داود سليمان بن أرسلان المعروف بابن شاووش: « ولما أفضت الخلافة الى سيدنا ومولانا الامام ، المفترض الطاعة علـى كافة الانام ، أبي العباس أحمد الناصر لدين الله امير المؤمنين ـ خلـد الله ملكه ـ شرّفه بتولية النيابة بديوان المجلس لخيره وسنّه ومعرفتـه وذلك في يوم الجمعة السادس من ذي القعـدة سـنة خمسـ وسبعين وخمسمائة ، وخلع عليه بالتاج الشريف جُبَّة ابريسم (بيضاء ومصمت وبقيارقصب أبيض لاجل العزاء) بالامام المستضيء بامر الله ـرضيـ»[٨٥] .

وقال الصلاح الصفدي في ترجمة السيدة سلجوقي خاتون بنت قليج أرسلان السلجوقية زوج الناصر لدين الله : « تعرف بالخلاطية ... قدمت

---

(٨٣) المرجع المذكور .

(٨٤) تاريخ اليعقوبي « ٣ : ١٨٠ ، ١٨١ طبعة النجف » .

(٨٥) ذيل تاريخ بغداد، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ٦٩» .

للحج فوصفت للناصر وأخبر بجمالها[٨٦] الزائد وكانت مزوجة بصاحب حصن كيفا ، فحجت وعادت الى بلدها ، فتوفي زوجها ، فخطبها الخليفة من أبيها فزوجها منه ... وكان يحبها ... وشغف بها وبنت لنفسها رباطا وتربة بالجانب الغربي [٨٧] فتوفيت سنة أربع وثمانين وخمسمائة، قبل فراغ العمارة ، ودخل على الخليفة من الحزن مالا يوصف وحضر جنازتها كافة أرباب الدولة ورفعت الغرز والطرحات (ولبسوا الابيض) ورفعت البسملة ووضعت على رؤوس الخدم ، وارتفع البكاء من الجواري والخدم وعمل لها العزاء والختمات » [٨٨] .

وقال موءلف جواهر السلوك في الخلفاء والملوك : « ذكر خلافة الظاهر بأمر الله ... كان أبيض اللون (جميل الوجه) ... قال ابن الساعي : حضرت مبايعة الخليفة الظاهر وكان جالسا في شباك القبة وعليه (ثياب بيض) وعلى رأسه الطرحة من فوق عمامته وعلى كتفه البردة وبيده القضيب ، والوزير قائم بين يديه على منبر ، وهو يأخذ له البيعة من الناس من الخاص والعام على قدر مراتبهم حتى انتهى ذلك اليوم » [٨٩] .

وذكر ابو الحسن الخزرجي في وفيات سنة ٦٤٣ وفاة السيدة عائشة بنت المستعصم بالله وذكر أن الناس حضروا على اختلاف طبقاتهم الى دار

---

(٨٦) في تجارب السلف قصة خيالية لكيفية روءية الناصر لها « ص ٣٢١ » نقلها الموءلف عن احد ابناء الفعلة ببغداد وقال « والعهدة عليه فيما رواه » بنص الجملة العربي مع أن الكتاب بالفارسية كما تقدم .

(٨٧) كانت التربة والرباط على شاطيء دجلة في أعلى محلة الخضر الياس وفي التربة اقيمت تكية البكتاشية بعد ذلك ، وقد جرف النهر الكل ولم يبق لهما اثر .

(٨٨) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٤ الورقة ١٥٣ » .

(٨٩) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٦١٦ الورقة ١٢٧ .

الوزير موءيد الدين بن العلقمي وركبوا بين يديه في الثياب البيض[٩٠] .

وذكر موءلف كتاب الحوادث في سنة ٦٤٢ تولية الخليفة المستعصم بالله أستاذه أبا المظفر علي بن النيار مشيخة الشيوخ بعد مبايعته ــ أي مبايعة المستعصم بالخلافة ــ وذكر الخلعة التي خلعت عليه باسم هذا المنصب قال : وخلع عليه في دار الوزارة (قميص مصمت ابيض وبقيار قصب أبيض مسكّن) وخوطب بشيخ الشيوخ »[٩١] .

والسبب في هذا التبييض هو أنهم كانوا في ايام عزاء الخليفة المستنصر والد المستعصم بالله .

وفي نقل جسد المستنصر بالله من مدفنه بدار الخلافة الى ترب العباسيين بالرصافة لبس ارباب الدولة البياض ايضاء قال موءلف الحوادث في اخبار سنة (٦٤٠) : « ... ويركب الزعماء (بالاقبية البيض ، وأرباب الدولة كل واحد منهم بقميص ابيض وبقيار ابيض مسكّن وغاشية ... »[٩٢] .

فالامر على ما ذكرت من أن المصرّح بأنّ شعار الحزن للدولة العباسية هو البياض إنّما كان يصرّح للتنبيه على جنس اللباس لا لبيان اللون ، والاخبار في ذلك وافرة .

وكان الاصل في اتخاذ العباسيين السواد حزنهم على الشهداء الهاشميين الذين قتلهم بنو أمية والذين صلبوهم ، وكان الفضل بن عبدالرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب شيخ بني هاشم وعالمهم وشاعرهم اول من لبس السواد على زيد بن علي بن الحسين ورثاه

---

(٩٠) العسجد المسبوك « نسخة المجمع العلمي العراقي ، الورقة ١٦٧ » وقال في وفاة السيدة ست العرب بنت الامير عبدالعزيز بن المستنصر بالله سنة ٦٤٤ : « فركب الوزير وكافة ارباب الدولة بالثياب البيض بغير طرز » (الورقة ١٦٩) .

(٩١) الحوادث « ص ٢٨٥ » .

(٩٢) المرجع المذكور « ص ١٧٢ » .

بقصيدة طويلة وُصفت بأنها كانت حسنة[٩٣] • وقال امين الدولة محمد العلوي الافطسي في مجموعه اللفيف : خرج يحيى بن زيد بن علي — رضي — على الوليد بن يزيد بن عبدالملك — وكان هرب ايام هشام الى خراسان فلم يزل يتنقل في كورها ••• فخرج على والي خراسان نصر بن سَيّار فَوَجّه اليه سلم بن احوز المازني من بني تميم ، فقاتله دون هراة ؛ فقتله سودة بن عوير الكندي وصلبه بالجوزجان في طاق ، وصلب بازائه رجلا من العرب يقال له مطرف بن مطرف او مطرف بن مطر ، في طاق آخر ، بينهما مدرجة للناس ، فلم يزل (يحيى) مصلوبا حتى خرج أبو مسلم (الخراساني) فأمر به فأنزل وواراه وتولى الصلاة عليه والدفن، وأخذ ابو مسلم كل من كان خرج لقتاله ؛ وذلك انه تصفح الديوان فنظر الى كلٍّ من كان في بعثه فقتله الا من اعجزه ، فَسوّد[٩٤] أهل خراسان ثيابَهم عليه ، فَصار لهم زيّاً »[٩٥] •

وذكر الخطيب البغدادي في ترجمة عبدالله بن عبدالملك الزاهد المشهور أنه قال عن نفسه : « ذاكرني عبدالله بن ادريس السنّ ، فقال: ابن كم أنت ؟ فقلت : ان العجم لا يكادون يحفظون ذلك ولكن أذكر أني لَبستُ السواد وأنا صغير عندما خرج أبو مسلم • فقال لي : أو قد ابتليتَ بلبس السواد ؟ قلت : اني كنت أصغر من ذلك ، كان أبو مسلم أخذ الناس كلهم بلبس السواد الصغار والكبار»[٩٦] •

وذكر أبو جعفر الطبري بسنده أن أبا الحسن الحذاء قال : آخذ أبو جعفر الناس بالسواد فكنت اراهم يصبغون ثيابهم بالمداد وحدثني علي بن

(٩٣) معجم الشعراء للمرزباني مع المؤتلف والمختلف للآمدي « ص ٣١٠ » .

(٩٤) سود تسويدا اي لبس الملابس السود وبذلك سمي العباسيون والثائرون معهم « المسودة » بكسر الواو المشددة .

(٩٥) المجموع اللفيف « مخطوط مصور في خزانة كتبي ، الورقة ١٩٦ » .

(٩٦) تاريخ بغداد « ١٠ : ١٥٤ » .

الجعد قال : رأيت أهل الكوفة أيامئذ أخذوا بلبس الثياب السود حتى البقالون ، ان احدهم ليصبغ الثوب بالانقاس ثم يلبسه »[97] . وروى أبو الفرج الاصفهاني بسنده عن جعفر بن الحسين المهلبي قال : كان ابو جعفر المنصور قد امر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها وان يعلقوا السيوف في المناطق ويكتبوا على ظهورهم : فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم »[98] .

وكان العباسيون اولو الامر يشددون العقوبة ويغلظونها في أمر السواد ، كما يفهم من قصة ابي اسحاق ابراهيم بن محمد الفزاري مع هارون الرشيد[99] . وينكرون التهاون به كما روى ابو الحسين هلال بن المحسن ابن الصابي عن علي بن عبدالعزيز ابن حاجب النعمان قال : « كان محمد بن عمر[100] بن يحيى العلوي حضر دار المطيع[101] (لله

(٩٧) تاريخ لامم والملوك « ج ٩ ص ٢٤٩ من طبعة مصر الاولى بالمطبعة الحسينية » .

(٩٨) الاغاني « ١٠ : ٢٣٦ طبعة دار الكتب المصرية » وتمام القصة في الاغاني .

(٩٩) معجم الادباء ١ : ٢٨٦ « اتهم ابو اسحاق الفزاري بتحريمه لبس السواد فأمر الرشيد باحضاره فلما دخل عليه سلم عليه فقال له الرشيد : لا سلم الله عليك ولا قرب دارك ولا حيا مزارك انت الذي تحرم السواد ؟ فتنصل من ذلك حتى قال : ووالله ما حرمت السواد » (المرجع المذكور) .

(١٠٠) من أهل الكوفة وسكن بغداد وكان مقدما على الطالبيين ، منفردا في علو محله مع المال واليسار وكثرة الضياع والعقار ، ولد سنة ٣١٥ وتوفي ٣٩٠ ببغداد » . « تاريخ بغداد للخطيب ٣ : ٣٤ » ، وسيرته مستفيضة في التواريخ وكتب التراجم والانساب .

(١٠١) المطيع لله الفضل بن المقتدر جعفر الخليفة العباسي « ٣٣٤ – ٣٦٣ » .

العباسي) رحمة الله عليه ، في أيام شرف الدولة[١٠٢] (بن عضد الدولة البويهي) ومعه نحرير الخادم ومحمد بن الحسن بن صالحان الوزير اذ ذاك وابن الخياط صاحب ديوان الرسائل والحسن بن محمد بن نصر صاحب ديوان الخبر والبريد وكلهم بالسواد ، سوى محمد بن عمر ، فانه كان ببياضه ، فخرج اليهم موءنس الصقلبي الحاجب وقال لمحمد بن عمر : ليس هذا اللباس أيها الشريف لباس الدار ولا حضورك حضور من يريد الوصول (الى الخليفة) . فقال له : كأنك أنكرت البياض ؟! قال : نعم . قال : هذا زيي وزي آبائي. قال : ما الامر على هذا ولا رأيت أحدا من أسلافك دخل هذه الدار الا بالسواد ، ولقد حضر عمر بن يحيى أبوك عندنا في ايام المطيع لله ـ رحمة الله عليه ـ لتقرير أمر الحاج ومن يخرج معه وهو بسواد أسود . فقال : ما معنى بسواد أسود ؟ قال : سواد مصبوغ ، واني لأذكره وقد عرق ، والسواد يجري على جبينه وهو يمسحه بشَسْتجة في يده . قال له محمد بن عمر : فما الذي تريده أيها الحاجب؟ قال : أن تغير هذه اللبسة وتفعل ما جرت به العادة . قال : او انصرف . قال : الاختيار اليك . وقام محمد بن عمر ونزل الى زبزبه وانصرف الى داره ، ووجمت الجماعة مما جرى وعجبت منه[١٠٣] .

وقال الخطيب البغدادي في ترجمة أبي علي محمد بن عيسى بن محمد الهاشمي العباسي المعروف بالبياضي : « سمعت القاضي آبا القاسم التنوخي يسأل بعض ولد البياضي عن سبب هذه التسمية فقال : ان جدّي حضر مع

(١٠٢) شرف الدولة بن عضد الدولة (٣٧٧ ـ ٣٧٩) ولا يصح ان يكون ملكا فى ايام الخليفة المطيع لله لتأخر زمانه عن زمانه ، فلعل الاصل « دار الطائع بن المطيع ٣٦٣ ـ ٣٨١ » وسيأتي تأييد ذلك في الخبر بعينه .

(١٠٣) مختصر رسوم دار الخلافة باختصاري في « اصول التاريخ والادب ٢ : ٢١٤ » والصفحة (١٠١ ـ ١٠٣) من رسوم دار الخلافة ، نسخة مكتبة الآثار القديمة . وراجع في العقوبة على ترك السواد ايضا « البيان والتبيين ٣ : ٣٧٣ » طبعة لجنة التاليف والترجمة بمصر .

جماعة من العباسيين يوما مجلس الخليفة ، وكانوا كلهم قد لبسوا السواد غير جدي فان لباسه كان بياضا ، فلما رآه الخليفة قال : من ذلك البياضي؟ فثبت ذلك الاسم عليه ، فلم يُعْرف بعدُ إلا بِه » [١٠٤] . وقال أبو الفرج ابن الجوزي : « وليس بمنسوب الى بني بياضة فان آولئك من الانصار وإنما سمي البياضي لانه حضر يوما مجلس الخليفة وكان آهل المجلس عليهم السواد ، وكان لباسه أبيض ، فقال الخليفة : من ذلك البياضي ؟ فثبت الاسم عليه » [١٠٥] .

وذكر ابن السمعاني في « البياضي » من الانساب ما ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه [١٠٦] ، وذكر ابن خلكان بياضيا آخر هو الشريف ابو جعفر مسعود بن عبدالعزيز بن المحسن بن الحسن بن عبدالرزاق البياضي البغدادي الشاعر المتوفى سنة ٤٦٨ قال : « وانما قيل له البياضي لان أحد أجداده كان في مجلس بعض الخلفاء مع جماعة من العباسيين وكانوا قد لبسوا سوادا ما عداه فانه كان قد لبس بياضا ، فقال الخليفة : من ذلك البياضي فثبت ذلك الاسم عليه واشتهر به ، وذكر ابن الجوزي في كتاب الالقاب أن صاحب هذه الوقعة هو محمد بن عيسى بن محمد ... وهو الذي يقال له البياضي . ورأيت بخط أسامة بن منقذ المقدم ذكره أنَّ الذي لقبه بهذا اللقب هو الخليفة الراضي بالله والله تعالى أعلم » [١٠٧] . وعلى هذا ينبغي أن يكون البياضي الشاعر منسوبا الى « البياض » الذي هو الثياب القطن التي تكون بالريّ ويقال لها النصافية ... » [١٠٨] .

(١٠٤) تاريخ بغداد « ٢ : ٤٠١ » وذكر أن القرامطة قتلوه سنة ٢٩٤ .

(١٠٥) المنتظم « ٦ : ٦٢ » .

(١٠٦) مختصر انساب السمعاني بخط كاتب النقد « ٢٤٥ » وقد تصحف في الانساب اسم « القرامطة » الى البرامكة .

(١٠٧) الوفيات « ٢ : ٣١٠ ، ٣١١ » .

(١٠٨) انساب السمعاني في « البياضي » .

وقد جاء في كتاب الذخيرة لابن بسام الاندلسي ان ابا الحسن علي بن عبدالغني القيرواني المعروف بالحصري قال في لباس أهل الاندلس البياض عند الحزن على الميت :

اذا كان البياض لباس حزن بأندلس وذاك من الصواب
ألم ترني لبست بياض شيبي لأني قد حزنت على شبابي

قال : « ويقال انهم استنوا ذلك من عهد الامويين قصدا لمخالفة لبني العباس في السواد » (١٠٩) . قلت : ولم يتم أمرهم ان صحّ هذا القال ، فقد ذكرنا ان العباسيين اتخذوا اللون الابيض شعارا لحزنهم وكآبتهم ، واما الشعب فيصعب علينا ان ندعي انه كان يقلد العباسيين في لباس العزاء ، وأما لباسه فكان يختار ما شاء من الالوان إلا في صلاة الجمعة في مقاصير جامع المنصور وغيره فقد لبسُوا السواد قديما ثم تُرك قال ابن الجوزي : « كان القاضي أبو تمام الزينبي يصلي في ايام الجمع على باب داره الراكبة لدجلة بباب خراسان والصفوف مادة من المسجد الى ذلك المكان .. وعلى أبواب المقصورة بوّابون بثياب سود يمنعون من دخول أحد فيها إلا من كان من الخواص المتميزين بالاقبية السود ، وكان ذلك رسما في سائر مقاصير الجوامع ، وقد بطل حتى صار لا يلبسه الا الخطيب والموءذنون » (١١٠) .

١٨ ــ وجاء في حاشية الصفحة ٧٦ « بتل الزينبية أو الزبيبية » . قلت: ان الوارد في كتاب الحوادث المطبوع هو « الزبيبية » فلماذا يجوز كونها «الزينبية ؟ » جاء في معجم البلدان : « الزبيبية : منسوب الى الزبيب الذي من العنب ، محلة ببغداد يقال لها تل الزبيبية » ، وفي المراصد : « الزبيبية، منسوب الى زبيب العنب ، محلة ببغداد الى جانبها تل يقال له تل الزبيبية» وفي غاية الاختصار (ص ٦٦): «ظهر ببغداد سنة خمس وسبعين وستمائة

(١٠٩) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة « ٢ : ٣٧ » ونقل الخبر ابن خلكان في ترجمة الحصري .
(١١٠) مختصر مناقب بغداد « ص ٢٢ » .

بتل الزبيبة (كذا) وهي محلة من محال مدينة السلام قبر ... » فقول الشيخ الفاضل « أو الزينبية » لا وجه له على الاطلاق ، لأنه من المواضع المعلومة المسكونة أيامئذ (١١١) .

١٩ ـ وقال الاستاذ الفاضل في الصفحة ٨٠ : « وورد في أخبار سنة ٦٢٩ من الكتاب عن فتح الامير شرف الدين إقبال الشرابي لاربل ومناجزة المغول وابتهاج البغداديين بذلك ما يأتي : ضربت الطبول على باب النوبي وأفرج عن جميع المعتقلين في الحبوس وحضر الشعراء في الديوان وأوردوا قصائد ... » قلت : الصحيح أن فتح شرف الدين اقبال الحبشي الشرابي لمدينة إربل « أي أربيل » كان سنة (٦٣٠) لا سنة ٦٢٩ وأن الصفحة التي أشار اليها الشيخ الجليل هي من حوادث سنة (٦٣٠) .

٢٠ ـ وقال في الصفحة ٨١ في اجتباء الخليفة منصور بن محمد الملقب « المستنصر بالله » إقبالاً الشرابي تفاؤلا باسمه « إقبال » ، نقلا من كتاب (الحوادث) : « هذا ما جاء في الكتاب عن استدلال المستنصر وتفاؤله بذلك الاسم الحسن ، ولكن الموءلف ـ سامحه الله ـ حاول أن يوءكد صحة ذلك الفأل والاستدلال ولم يحجم عن إدخال أنفه في السياسة قائلا : كان حال الملك منتظما بصائب رأيه ـ يعني رأي الامير اقبال الشرابي ـ فلما توفي اختلت الاحوال ، أجل كان حال الملك في خلافة المستنصر منتظما بالنسبة الى عصر المستعصم ولكن لا دخل في ذلك للفأل » . وفي الحق أن الموءرخ لم يعلق ذلك على الفأل حتى يقال هذا المقال .

هذا وقد أراد بالموءلف « ابن الفوطي » وقد أشرنا الى أن الاستاذ أرصد أكثر كتابه لدراسه كتاب الحوادث ، وبهذا القول نقض الاستاذ ما قاله في الجزء الاول (ص ١١) قال : « من رأينا بعد المقارنة بينه

(١١١) قال أبو عبدالله بن الدبيثي في سيرة عبدالغني بن أبي بكر الفقير المعروف بابن نقطة الحنبلي المتوفى سنة ٥٨٣ « كان منقطعا في مسجد قريب من تل الزبيبة وعنده جماعة من الفقراء يخدمهم بما يفتح الله عليه ... » . (ذيل تاريخ بغداد ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ١٧٩ » .

وبين عدد من الموءرخين أن ابن الفوطي موهوب يعتبر التاريخ فنا من الفنون الرفيعة لا يخلط بينه وبين السياسة ... » ، فكيف اذن أدخل أنفه في السياسة ؟ ومن روح فنه أنه لا يخلط بينه وبين السياسة ؟! إذن لابد أن يكون موءلف « الحوادث » غير ابن الفوطي ، أو أن يعترف الاستاذ بما أشرت اليه من تناقض قوليه وتدافع رأييه .

٢١ ـ وقال الشيخ الجليل في الصفحة ٨١ أيضا : « جاء في أخبار سنة ٦٤٣ من كتاب الحوادث الجامعة عن إقبال الشرابي ، ما يأتي : كان أولا لعزالدين نجاح الشرابي ... » . وأحال على الصفحتين ٣٠٨ ، ٣٠٩ من كتاب الحوادث المطبوع ، والصحيح أن ذلك جاء في سنة ٦٥٣ وربما كان الصواب سنة ٦٥٤ .

٢٢ ـ وقال في الصفحة ٨٦ يذكر من حوادث سنة ٦٤١ : « قال صاحب الحوادث الجامعة في أخبار سنة ٦٤١ ما نصه : « وفيها تقدم الخليفة الى جمال الدين عبدالرحمن بن الجوزي المحتسب بمنع الناس من قراءة المقتل (الحسيني) في سائر المحال بجانبي بغداد ومشهد موسى بن جعفر عليه السلام » ، وأحال بذلك على الصفحة ١٨٣ من كتاب الحوادث ، وقد أقام النكير على هذا المنع ، وهو محق في استنكاره إياه ، إلا أنه لم ينقل الخبر على وجهه الصحيح فنصه « وفيها تقدم الخليفة الى جمال الدين ... المحتسب بمنع الناس من قراءة المقتل في يوم عاشوراء والانشاد في سائر المحال بجانبي بغداد ، سوى مشهد موسى بن جعفر ـ عليهما السلام ـ » . إذن كان مشهد الامام موسى بن جعفر مستثنى من المنع ، مع أن الشيخ الشبيبي أدخله في الممنوع منها بسكوته عن استثنائه ، فتغير الحكم ، وتبدل مجال النقد والحساب لان الفرق بين الامرين أصبح كالفرق بين منع الصلاة في جميع المساجد ، وقصرها على مسجد واحد .

٢٣ ـ وقال في الصفحة ٩١ : وجاء في أخبار سنة ٦٤٣ من كتاب الحوادث ما يأتي : فيها قصد الخليفة (المستنصر) مشهد موسى بن

جعفر (ع) في ثالث رجب فلما عـاد ابرز (كذا)[112] ثلاثة آلاف دينار الى أبي عبدالله الحسين الاقساسي [113] نقيب الطالبيين وأمره أن يصرفها[114] على المقيمين في مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومشهد الحسين وموسى بن جعفر عليهم السلام » . وقد أحال بذلك على الصفحة ١٠٤ من كتاب الحوادث .

قلت : الصحيح أنها أخبار سنة ٦٣٤ لا سنة ٦٤٣ وأن الصفحة المحال عليها من الحوادث هي الصفحة ٩٥ ولعل ذلك من غلط الطبع .

٢٤ ــ وقال في الصفحة ٩٢ : « ومن أقدم حوادث النقل ما ورد في معجم ابن الفوطي عن شخص لقّبه (أي ابن الفوطي) (الكامل) في معجمه، أقام عند أحمد بن مروان بميافارقين الى أن مات في شهر رمضان سنة ٤١٨ وحمل الى مشهد علي ــ عليه السلام ــ » .. وقال في الحاشية : المعجم ٥ : ١٤٠ وقد سقط اول الترجمة من النسخة » . يعني « راجع الجزء الخامس من تلخيص معجم الالقاب وقد سقط منه أول الترجمة » .

قلت : لم يسقط أول الترجمة ــ والحمد لله ــ ففي النسخة التي نسختها أنا بيدي ، مصححة ، من الجزء الخامس المطبوع من تلخيص معجم الالقاب ما هذا نصه : « الكامل أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين ابن المغربي ، الوزير ، مصري الاصل ، ذكره الحافظ ابن الجوزي في كتابه المنتظم[115] وقال : ولد جدّه ببغداد وتقلد الاعمال بها ثم انتقل الى مصر ،

---

(١١٢) هذه من وضعه ، للدلالة على استغرابه استعمال « أبرز » .

(١١٣) في الحوادث « ابن الاقساسي » .

(١١٤) في الاصل « يفرقها » .

(١١٥) المنتظم « ٨ : ٣٢ » قال ابن الجوزي في وفيات سنة ٤١٨ : «الحسين ابن علي بن الحسين أبو القاسم المغربي الوزير : ولد بمصر في ذي الحجة سنة سبعين وثلاثمائة وهرب منها حين قتل صاحبها أباه وعمه وقصد مكة ثم الشام ثم بغداد فوزر لمشرف الدولة بعد ابن علي الرخجي ، وكان كاتبا عالما يقول الشعر الحسن ، ثم وزر =

وقلده الحاكم ديوان الانشاء والمجلس ، ولما قتل الحاكم آباه وعمه هرب الى العراق (ووزر) لمشرف الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة ، بغير خلع ولا مفارقة الدراعة ، وكان يلقي الدرس في مجلسه ويتردد أهل الادب اليه ، يقرؤون كتاب سيبويه عليه ، وله رسائل وأشعار مدونة ، وقصد أحمد بن مروان بن كك وأقام عنده بميافارقين الى أن مات في شهر رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة وحمل الى مشهد علي ـ عليه السلام ـ » (١١٦).

وهو مشهور السيرة ترجمه ابن الاثير في الكامل وابن خلكان في الوفيات والنجاشي في رجال الشيعة وغيرهم ، ولم يسقط أول ترجمته في المطبوع من تلخيص معجم الالقاب ، نقول ذلك للتأكيد والتأييد فقد نقلناه .

٢٥ ـ وجاء في الصفحة ٩٤ في ذكر فخر الدولة قول الاستاذ الجليل : « في أخبار ٦٤٧ من الكتاب (يعني كتاب الحوادث) : نقل فخر الدولة الحسن بن عبدالمطلب (كذا) من مدفنه بالايوان الذي كان فيه على شاطيء دجلة حيث وقع حائطه ، الى مشهد موسى بن جعفر » . وقال في الحاشية محيلا : « كتاب الحوادث : ٢٤٤ ولفخر الدولة هذا ذكر كثير في هذه الفترة من تاريخ الدولة العباسية يستفاد منها (كذا) أنه كان من كبار رجالها معنيا بأعمال البر وانشاء الجوامع والربط الكبيرة المشهورة في الجانب الغربي مثل جامع ابن المطلب وخانقاه ابن المطلب وله

= لابن مروان بديار بكر ومات عنده ... ولما احس بالموت كتب كتابا الى من يصل اليه من الامراء والروءساء الذين من ديار بكر والكوفة يعرفهم أن حظية لهم توفيت وان تابوتها يجتاز بهم الى مشهد امير الموءمنين علي ـ ع ـ وخاطبهم في المراعاة لمن يصحبه ويخفره وكان قصده ان لا يتعرض احد لتابوته وان ينطوي خبره فتم له ذلك . وتوفي في رمضان بميافارقين عن ست واربعين سنة ، وحمل الى مشهد أمير الموءمنين على ـ ع ـ فدفن هناك » .

(١١٦) ج ٥ الترجمة ٦٨ و ص ١٦ من نسختي بخطي .

أحباس جمة على وجوه الخير او المبرات » .

فلت : هو « الحسن ابن المطلب » لان ابن عبدالمطلب ، من بيت بني المطلب وهو من كبار البيوت التي خدمت الدولة العباسية في آواخر عهودها منهم الحسن بن محمد بن هبةالله بن المطلب ، وعلي بن محمد بن هبةالله ابن علي بن المطلب ، ومحمد بن علي بن المطلب ، وجعفر بن المطلب ، ومحمد بن محمد بن المطلب ، ومحمد بن هبة الله بن المطلب ، وهبة الله بن محمد بن علي بن المطلب ، وفخر الدولة هذا .

ولم يكن فخرالدولة من رجال الدولة وان لقب بها ، وانما كان أبوه هبةالله بن محمد بن علي بن المطلب وزيرا للخليفة المستظهر بالله ، أفلم يقرأ الشيخ الشبيبي الجليل ترجمته في تلخيص معجم الالقاب ؟ فان لم يتذكرها وهو الظاهر لنا فهي هذه ، قال ابن الفوطي :

« فخر الدولة أبو المظفر الحسن بن هبة الله بن المطلب الكرماني ثم البغدادي الوزير [117] (كذا) الصوفي . ذكره تاج الاسلام ابو سعد السمعاني وقال : كان من بيت الوزارة فأعرض عنها ، وجعل داره رباطا للصوفية (ومال) الى التصوف ، وكان حسن السيرة ، كثير الخير سمع

---

(١١٧) سيأتي انه لم يكن وزيرا كما قال ابن الفوطي ، قال القاضي شهاب الدين ابرٰهيم بن ابي الدم الحموي في التاريخ المظفري في حوادث سنة ٥٧٥ : « وفيها استدعى الامام الناصر لدين الله فخر الدولة ابن المطلب وطلب منه ان يستوزره لعلمه وورعه وكان المستنجد والمستضيء طلباه للوزارة فأمتنع ، فلما حضر بين يدي السدة الشريفة قبل الارض وخدم وقال : يا امير الموءمنين ، المملوك رجل شيخ ما يجوز له أن يفتح دكانا بعد العصر . فقال له بهاء الدين صندل : أجب امير الموءمنين . فقال له فخر الدولة : ليس لك في اجابتي مصلحة لانني لو قبلت بهذه الولاية ما كنت اتركك على ما بيدك من الاقطاع والولايات بل كنت اجريك على قاعدة بلال الحبشي وازيل عنك هذه الثياب وامنعك من الركوب وبين يديك سيوف مشهورة . فضحك الامام الناصر واعفاه » . « نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية ، الورقة ٢٠٩ » .

أبا الحسن علي بن محمد بن العلاف ، وعمر المدرسة الفخرية بعقد المصطنع في المأمونية ، وجعل بها خزانة كتب جامعة لأنواع العلوم ، وعمر داره رباطا، وأوقف عليهما الوقوف الجليلة وحج وجاور ، واليه ينسب الجامع بقصر ابن المأمون بالجانب الغربي الذي جدده الوزير سعد الدين محمد بن علي الساوي . وتوفي في شوال سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ودفن الى الى جانب الجامع[118] ومولده سنة أحدى وتسعين وأربعمائة »[119] .

وترجمه أبو عبدالله بن الدبيثي في ذيل تاريخ بغداد وقال : « زاهد تارك للدخول في أمور الدنيا ولتولي الولايات ، مشهور بالتقدم والرئاسة، أحب طريقة الصوفية والتشبه بهم في ملبسه وأخلاقه ، كثير الحج والمجاورة بمكة ، له آثار حسنة منها مدرسة للفقهاء الشافعية بشرقي بغداد مجاورة لعقد المصطنع ، ورباط للصوفية مصاقبها ، ومسجد متصل بذلك ، وجامع يصلى فيه الجمعة على دجلة بالجانب الغربي ورباط للنساء بقراح ابن رزين وغير ذلك من مواضع الخير ووقف على ذلك من أملاكه ما يصرف في عمارته ومؤونة من يكون فيه . سمع الحديث في صباه من ابي الحسن علي ابن محمد بن العلاف ، وقرأ الادب على ابي بكر بن جوامرد القطان ، وامتنع في كبره من الرواية فلم يسمع منه أحد الا بجهد . فسمع منه تاج الاسلام أبو سعد بن السمعاني بعد سنة ثلاثين وخمسمائة بيسير وذكره في تاريخه، وذكرناه لأن وفاته تأخرت عن وفاته ... ورأيته ولم اقصد السماع منه . توفي في ليلة الاربعاء العشرين من شوال سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وصلى عليه الخلق الكثير بجامع القصر[120] ، وتقدم في الصلاة عليه

(118) **ثم نقل الى مشهد الامام موسى بن جعفر سنة ٦٤٧ كما ذكر موءلف** كتاب الحوادث ، فلو كان موءلفه ابن الفوطي ما غفل عن ذلك في معجمه كما رايت .

(119) تلخيص معجم الالقاب « نسختي بخطي ٤ : ٢٣٤ » .

(120) هو جامع الخليفة الذي بني على قطعة من ارضه مسجد عرف عند العامة بجامع سوق الغزل ثم دخلت ارضه في الشارع الجديد .

الخطيب أبو جعفر بن المهتدي ، ودفن بالجانب الغربي بالجامع[121] الـذي بناه على دجلة » [122] .

ومما نقلت يعلم أن فخر الدولة لم ينشيء من الجوامع الا واحـدا ولا من المساجد الا واحدا ولا من الربط الا اثنين ولا من المدارس الا واحدة وأن المدرسة والمسجد والخانقاهين أي الرباطين كانت في الجانب الشرقي، وان الجامع وحده كان في الجانب الغربي ، فليس من الصواب جعل الكل في الجانب الغربي لئلا يكون القول مزلة للقارئين والناقلين .

٢٦ ــ وجاء في الصفحة ٩٦ « قال الموءرخ المذكور في وفيات ٦٩٥ : فيها مات الامير سيف الدين بن أخي خوارزمشاه ... وكان قـد شـرف بالتشريفات اللائقة ... وأذن له في العودة الى عمه فمات بخانقين في أواخر المحرم سنة ٥٩٦ ... » . يعني بالموءرخ تاج الدين ابن الساعي ، فقد نقله من جزء من تاريخه الجامع المختصر ــ أعني الجزء التاسع الذي شـارفت على تحقيقه ــ والصحيح أن يقال « في وفيات سنة ٥٩٥ » . ولعل الغلط من سبق القلم ، وعدم المراجعة للمنقول ، أو من غلط الطبع .

٢٧ ــ وقال في الصفحة ٩٧ : « هذا وقد ظهرت ... مشاهد أخرى وذلك في هذه الحقبة من تاريخ بغداد والعراق ، وفيما قبل أيضا ، بعضها غير معروف هذا اليوم وبعضها ظاهر معروف ومن القسم الاول مشهد عون ومعين ببغداد ، ومشهد عبيد الله الباهر ، ومن القسم الثاني مشهد الرفاعي في أم عبيدة » . وأحال في ذكر مشهد عون ومعين على الجزء التاسع من

---

(١٢١) ذكرنا انه نقل منه وبعد ان هدمت دجلة جانبا منه سنة ٦٤٧ ، وكان نقله بعد آخر نشرة من ابن الدبيثي اي بعد سنة ٦٢١ فلذلك لـم يذكر النقل .

(١٢٢) ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣٣ الورقة ١٧٨ » .

الجامع المختصر أيضا « ٩ : ١٨٩ ، ٢١٣ ، ٢٥٩ ، ٢٩٥ »[١٢٣] .

وقد رجعت الى هذا الجزء الذي كنت قد طبعته كما ذكرت قبيل هذا وذلك لشك شككته في الذي نسبه اليه الاستاذ الفاضل من أن فيه « عبيدالله الباهر » . فاذا الخبر كما في الصفحة ٢١٣ من وفيات ٦٠٣ « ابو الفرج بن الحداد ناظر الحلة ، توفي في شعبان من هذه السنة ودفن في مشهد عبيدالله ظاهر البلد » . فليس مع قول المؤرخ عبيدالله لقب «الباهر» فكيف استجاز الشيخ الجليل أن يضيف لقب « الباهر » من عنده ؟! يظهر لي أنه اراد ان يضيف شيئا من لدنه للايضاح ، وظن أن عبيدالله هو عبدالله العلوي الملقب بالباهر مع أن كلاً منهما كان انسانا معروف الذاتية والسيرة والزمان ، فعبيدالله الذي هو صاحب القبر المعروف في الخطط والتاريخ بقبر النذور ومشهد النذور مشهد عبيدالله ، هو (عبيدالله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب) أو (عبيدالله بن محمد بن عمر بن علي بن علي بن أبي طالب)[١٢٤] لا عبيدالله بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، كما ذكر الاستاذ الشبيبي في حاشية الصفحة ٩٧ . وجاء في مناقب بغداد « وقريب من جامع الرصافة قبر فيه بعض اولاد علي — ع — يتبرك به ، يقال أنه قبر عبيدالله بن محمد ابن عمر بن علي بن الحسين »[١٢٥] . وذكره ياقوت الحموي في مادة

---

(١٢٣) ثلاثة ارقام ورد فيها ذكر « مشهد عون ومعين » وواحد ذكر فيه مشهد عبيدالله . ومشهد عون ومعين قد ذكره ابن جبير في رحلته قال : — ص ٢٢٦ — : « وفي الطريق الى باب البصرة مشهد حفيل البنيان داخله قبر متسع السنام عليه مكتوب هذا قبر عون ومعين من اولاد امير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه » ، وكان هذا المشهد قرب تربة السيدة سلجوقي خاتون المعروفة بالخلاطية ابنة السلطان قليج أرسلان الثاني السلجوقي ورباطها ، وكانت شمالي الموضع المعروف اليوم بالخضر الياس وقد جرفت الكل دجلة، وهورت كثيرا من العمارات معها .

(١٢٤) تاريخ بغداد للخطيب « ١ : ١٣٢ » .

(١٢٥) مختصر مناقب بغداد « ص ٣٠ » .

« قبر النذور » من معجم البلدان وقال : « مشهد بظاهر بغداد على نصف ميل من السور [126] يزار » . ونقل الحكاية التي ذكرها الخطيب البغدادي في تاريخه وقد ذُكر فيها أنه قبر عبيدالله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، وجاء في مراصد الاطلاع أن القبر « كان أولاً بين دروب بغداد ، وخرب ما حوله وصار في البرية وبينه وبين سور بغداد قريب من نصف فرسخ » . وقد دفنت عنده سنة ٦٨٥ السيدة (رابعة بنت أحمد بن المستعصم بالله) في تربة والدتها [127] ، وتوفيت قبلها والدتها شاه لُبنى الايوبية وكان ذلك في سنة ٦٧٨ : ودفنت في التربة التي انشأتها بجوار مدرستها المعروفة بالعصمتية ظاهر بغداد عند مشهد عبيدالله [128] . ويعرف قبرها اليوم بقبر أم رابعة في شرقي الاعظمية ، وصار بين الدور والدروب كما كان مشهد عبيدالله المجاور له مجاورةً تجعل التمييز بينهما متعذرا في هذه الايام ، مضافا الى ان القبر القائم اليوم نسب الى بعض الزهاد تدليسا على الناس .

وأما عبدالله الباهر لا عبيدالله ، فقد ذكر قبره الجديد ونسبه موءلف « غاية الاختصار » الذي هو من مراجع الاستاذ الجليل الشبيبي ، ففي الصفحة ٦٦ منه وما قبلها وما بعدها ذكر عبدالله الباهر وآل الباهر العلويين ، وفي آخر ذلك قال الموءلف « قصة طريفة: ظهر ببغداد سنة خمس وسبعين وستمائة بتل الزبيبية [129] (كذا) ــ وهي محلة من محال مدينة

(١٢٦) أعلى السور هو الحائط الاعلى لقلعة بغداد الداخلية التي اقيمت فيها وزارة الدفاع وللسور اطلال تظهر في الحديقة المجاورة لوزارة الدفاع من الشمال .

(١٢٧) كتاب الحوادث « ص ٤٤٩ » .

(١٢٨) المرجع المذكور « ص ٤١٠ » .

(١٢٩) هو تل قريب من الزبيبية . وقد نقلت أول الخبر فى الكلام على « الزبيبية » آنفا .

السلام ــ قبر زعم جماعة أنه قبر عبدالله الباهر [١٣٠] هذا ، وبنوا عليه الابنية الجليلة ووضعوا عليه ضريحا مفضضا وعلقوا فيه قناديل من الصفر وزاروه وعظموه ونذروا له النذور وها هو اليوم من المشاهد المعتبرة ، يتناول حاصله النقباء وبه الخدم والقوام ، وليس بصحيح ما زعموه فان عبدالله الباهر مات بالمدينة ودفن بها والله أعلم » .

٢٨ ــ وقال الاستاذ الشبيبي الكريم في الصفحة ٩٩ : « ولا بد لنا من القول ان المأمون عاش مع بوران ثمانية عشرة [١٣١] سنة فقط غير أن بوران بقيت بعده أكثر من أربعين سنة ... » .

قلت : لقد كان للاستاذ مندوحة من القول المذكور ، وذلك بأن يقول ان المأمون تزوجها سنة ٢٠٢ ودخل بها سنة ٢١٠ لأن بوران عاشت مع المأمون ثماني سنوات فقط ثم توفي عنها ، قال ابو جعفر الطبري في حوادث سنة ٢١٠ :

« وفي هذه السنة بنى المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل في شهر رمضان منها » [١٣٢] ثم قال في حوادث سنة ٢١٨ : « وفي هذه السنة توفي المأمون » [١٣٣] .

---

(١٣٠) جاء في حوادث سنة ٦٧١ من كتاب الحوادث ــ ص ٣٧٣ ــ « فيها راى رجل ببغداد ان بعض اولاد الحسن بن علي ــ ع ــ في موضع بقراح ابي الشحم ، فأعلم الناس بذلك ، فنبشوا الموضع فرأوا فيه قبرا ، فتبرع بعض الموسرين واخرج شيئا من ماله ، وشرع في عمارته وشاع ذلك ببغداد ، فحضر خلق كثير للزيارة ونذروا له نذورا صح اكثرها ، فاجتمع من ذلك شيء كثير ، فعمر بالآجر والجص عبدالله الباهر » .

(١٣١) كذا ورد والصواب « ثماني عشرة » وعلى ضعف « ثمان عشرة »، فالمذكور في المتن خطأ .

(١٣٢) تاريخ الامم والملوك « ١٠ : ٢٧١ طبعة المطبعة الحسينية بالقاهرة » .

(١٣٣) المرجع المذكور « ص ٢٩٣ » . وترجمة بوران في الوفيات « ١ : ١٠٠ » وغيره .

٢٩ ـ وجاء في الصفحة ١٠٩ قول الاستاذ نقلا من كتاب الحوادث لسنة ٦٣٤ ـ ص ٨٩ ـ : « وفي رابع [١٣٤] عشرة عملت دعوة بالمدرسة المستنصرية وحضر (الامير نورالدين ارسلان شاه) اليها وجلس على طرف ايوانها الصغير ، وفرقت الربعات وقرئت[١٣٥] الختمات وذكر المدرسون بها الدروس . ثم قال : هذا وقد استعملت في العراق بعد ذلك «الرّبعة» بمعنى « الختمة » وتجمع على ربعات والربعة في الاصل جونة العطار » .
وقال في الحاشية : « راجع عن أصل كلمة الربعة والختمة (اصول ألفاظ اللهجة العراقية) للموءلف ٥٣ ـ ٥٥ » ، يعني رسالته المعروفة النافعة .

وقد رجعت الى الكتاب المذكور فوجدته قد نقل من كتاب (فرحة الغري) شاهدين يدلان على أن «الختمة» استعملت بمعنى الربعة ، إلا أنه ذكر في تلك الشواهد ما نقلناه آنفا من خبر نورالدين أرسلان شاه ، وليس فيه شهادة فقد قال المؤرخ : « فرقت الربعات وقرئت الختمات » . فلو أراد ان الختمة هي الربعة لاكتفى بأن يقول « وفرقت الختمات وقرئت » أو « وفرقت وقرئت الختمات » ، فالعطف هناك يفيد التغاير ، وبهذا التغاير يحصل مُراد القائل ، لأن معنى العبارة « وفرقت آجزاء القرآن وقرئت الختمات بها » .

٣٠ ـ وتكلم في الصفحة ١١١ على كتاب « الحوادث » قال : تعود حوادث القسم المفقود الى شطر من خلافة المستنصر العباسي[١٣٦] وفي أيامه

(١٣٤) في الاصل « وفي رابع عشريه » وهو الصواب اي الرابع والعشرين ، والمتأخرون يضيفون العقود ويحذفون النون للاضافة .

(١٣٥) نقل الفعل وجعله مبنيا للمعلوم بلا وجه محتمل فالصواب بناؤه المجهول .

(١٣٦) بل تتجاوزها الى قسم من خلافة الناصر لدين الله فقد قال موءلف الحوادث في ترجمة الامير باتكين الرومي المتوفى سنة (٦٤٠) ـ ١٨٢ ـ: « وله نظم حسن منه ما قاله حين قتل بنو معروف بتل المقير في بطائح واسط وكان حاضرا للوقعة وقد تقدم ذكرها » والحادثة كانت سنة ٦١٦ كما في الكامل لعزالدين بن الاثير . هذا واكثر ما يستعمل الشطر للنصف .

تمّ تعزيز الصلات بين دار الخلافة ومظفر الدين كوكبري صاحب إربل ، يدلنا على ذلك الحفاوة البالغة التي قوبل بها صاحب إربل لما زار بغداد سنة ٦٢٨ ... » . والصحيح أنّ تعزيز العلاقات تمّ على عهد الخليفة الناصر لدين الله الذي كانت ملوك الاطراف وأمراؤها تتوخى أنواع الذرائع لخدمته والتقرب اليه ، فقد ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٦١٢ تجهيز الخليفة الناصر لدين الله الجيوش لمحاربة الامير منكلي العاصي في بلاد الجبل وما حولها . قال ابن الاثير : « وأرسل الناصر الى مظفر الدين كوكبري بن زين الدين علي كوجك ــ هو إذ ذاك صاحب اربل وشهرزور وأعمالها ــ يأمره أن يحضر بعساكره وليكون مقدم العساكر جميعها واليه المرجع في الحرب ، فحضر وحضر معه عسكر الموصل وديار الجزيرة وعسكر حلب فاجتمعت عساكر كثيرة »(١٣٧) .

ولا يخفى على السياسي معنى قول ابن الاثير « يأمره » مع أنه ــ أعني ابن الاثير ــ كان من المنحرفين عن الخليفة الناصر لدين الله ، وقد ذكر مضمون هذا الخبر ابن تغري بردي(١٣٨) ، ثم ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٦١٧ أنه « وصلت كتب الخليفة (الناصر) ورسله الى الموصل والى مظفر الدين يأمر الجميع بالاجتماع مع عساكره بمدينة دقوقا ليمنعوا التتر فانهم ربما عدلوا عن جبال إربل لصعوبتها الى هذه الناحية ويطرقون العراق ، فسار مظفر الدين من اربل في صفر وسار اليهم جمع من عسكر الموصل وتبعهم من المتطوعة كثير ... »(١٣٩) ، فهذا يدل على الانضواء التام الى كنف الخلافة العباسية ، أما الحفاوة البالغة المشار اليها فمردها الى ذلك الانضواء القديم ووعد مظفر الدين بتسليم بلاده الى الخليفة المستنصر اذا مات ، كما يدل عليه مجرى الحوادث والماجريات .

---

(١٣٧) الكامل « ج ١٢ ص ١١٨ سنة ٦١٢ » .

(١٣٨) النجوم الزاهرة « ٦ : ٢١٢ » .

(١٣٩) الكامل « ١٢ : ١٤٦ » .

٣١ ـ وقال في الصفحة ١١٢ في حاشيتها يعني كتاب الحوادث :
« وأدخلت في اخبار سنة ٦٥٣ وفاة جلال الدين بن السلطان الملك الصالح أيوب والصحيح ما جاء في تاريخ أبي الفداء من انه توفي سنة ٦٤٢ راجع التاريخ المذكور ٣ : ١٧٣ » . وليس ذلك بصحيح قد تنبهت الى هذا الخلط في اثناء طبعي لكتاب الحوادث ، وفي الصفحة ٢٧٩ منه كتبت ما هذا نصه « تتمة اخبار سنة ٦٤٣ » على انّ الصحيح هو انها تتمة أخبار سنة ٦٤٢، وقد جاء تابعا لحوادث سنة ٦٤٣ قول موءلف الكتاب في الصفحة ٢٩٣ :
« وفي هذه السنة توفي جلال الدين عمر ابن السلطان الملك الصالح أيوب ... »[١٤٠] .

٣٢ ـ وقال في الصفحة ١٢١ بعد اشارته الى امين الدين ياقوت الملكي الكاتب : « هذا ومن الكتب التي خلط موءلفوها فيها بين ياقوت المستعصمي وياقوت الملكي ، وكلاهما من الخطاطين المشاركين بالاسم ، منتخب علماء بغداد للسلامي (٢٣٣) وشذرات الذهب لابن العماد » . وقال في الحاشية : « وتجد لامين الدين ياقوت الملكي هذا ذكرا في المنتظم لابن الجوزي ٨ : ١٠ وفي معجم الادباء للحموي ... » .

قلت : لم يخلط موءلف منتخب علماء بغداد ابن رافع السلامي[١٤١]

(١٤٠) وفي الصفحة التي تلي هذه الصفحة اضفت ما هذا نصه « تتمة حوادث سنة ٦٥٣ » والصواب سنة ٦٥٤ ، على ان الاستاذ الشبيبي قال في الحاشية ايضا : « انظر ١٩٦ وقارن بينها وبين الاخبار في ٢٧٩ وما يليها من الصفحات الى صفحة ٢٩٤ ففي هذه الصفحات حوادث ٦٤١ (كذا والصحيح ٦٤٣) وقد وضعت في حوادث سنة ٦٩٣ (كذا والصواب ٦٥٣) ... » . فقد نبه على أشياء كنت قد نبهت عليها في نسختي المطبوعة بمشارفتي قبل سبع وعشرين سنة !! ولو قد كان نبه على ما في النسخة المخطوطة من التشويش قبل الطبع لاختص بالتنبيه .

(١٤١) انما اعتددناه موءلفه لانه موءلف الاصل واما تقيالدين الفاسي فانتخب منه .

بين يافوت الملكي وياقوت المستعصمي ، وانما تغير لقب ياقوت المستعصمي جمال الدين الى « كمال الدين » على أيدي النُساخ كما فعلوا بلقب كمال الدين لابن الفوطي فصيروه «جمال الدين» أحيانا، على ان الموءرخ المذكور لم يلقبه « أمين الدين » حتى تصح نسبة الخلط اليه ، قال ــ ٢٣٣ ــ :
« ياقوت بن عبدالله الرومي المستعصمي أبو الدر الملقب كمال الدين كان بارعا في علم الادب ، مليح الشعر والخط ، كتب عليه خلق من أولاد الاكابر وكان محترما معظما ، كتب عنه ابو عبدالله محمد بن عبدالرحمن ابن شامة ببغداد قطعة من شعره ، منه :

صَدَّقتمُ فيَّ الوشاةَ وقد مضى ... في حُبِّكم عُمري وفي تكذيبها
وزعمتمُ أني مَللتُ حَديثَكم ... من ذا يملّ من الحياة وطيبها ؟!

تقدّم سندي بهذين البيتين في ترجمة سنجر[١٤٢] مولى ياقوت هذا.
ومن شعره :

وعدت أن تزور ليلاً فألوَتْ ... وأتت في النهار تسحب ذيلا
قلت هلا صدقت في الوعد قالت ... كيف صدّقت أن ترى الشمس ليلا

وأما قول الاستاذ : « وتجد لامين الدين ياقوت الملكي هذا ذكرا في المنتظم لابن الجوزي ٨ : ١٠ » فليس بصواب لأن المذكور في تلك الصفحة من المنتظم هو أبو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب الكبير ، وبينه وبين ياقوت من الزمان (مائتا سنة فقط). وقد أتى الاستاذ مثل هذا السهو من قبل ، فقد قال في رسالته « اصول

---

(١٤٢) هذا من كلام ابن رافع ، غير أن التقي الفاسي لم ينتخب ترجمة « سنجر مولى ياقوت المستعصمي » في منتخبه ، قال ابن حبيب الحلبي في وفيات سنة ٧٢١ : « وفيها توفي الشيخ علم الدين سنجر ابن عبدالله الرومي ، كاتب مجود ... كتب على مولاه ياقوت المستعصمي ... ومن انشاده لمولاه المذكور : صدقتم في الوشاة وقد مضى ... » . « درة الاسلاك في دولة الاتراك ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٧١٩ الورقة ١٦٥ » .

اللهجة العراقية ــ ص ١٠٠ ــ في التعليق على مزيد الخشكري الشاعر :
« وتجد للشاعر المذكور ترجمة في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي » .
وليس في فوات الوفيات لمزيد الخشكري ترجمة قط .

٣٣ ــ وقال في الصفحة ١٢٥ محاولا أن يثبت ان كتاب الحوادث هو (الحوادث الجامعة) : « يبدو لنا من تصفح كتاب الحوادث أنه من الموءلفات التي تم وضعها كلاً أو بعضا في أذربيجان أو تبريز ويستفاد من بعض مواضع هذا الكتاب أن موءلفه عاش أيضا في تبريز فانه يروي أخبار تبريز ووقائعها رواية النزيل المقيم في الحاضرة المذكورة (١٤٣) . ومن ذلك ما جاء في أخبار سنة ٦٨٨ وهذا نصه : وفيها وجد في الخزانة المحمولة في بغداد الى الاوردو المعظم كيس فلوس ، فتقدم بالفحص عن ذلك ، فظهر أن بعض حراس الديوان فعل ذلك فأمر بصلبه فصلب » .

قال الاستاذ ذلك ليتدرج الى أن الرجل الذي كان في تبريز وهو يسجل مثل هذا الحدث هو ابن الفوطي ، فأنا اورد للاستاذ الجليل أن ابن الفوطي كان في أيام حدوث هذا الحدث ببغداد فقد جاء فيالورقة (١٢٠) من النسخة المصورة في مديرية الآثار من تلخيص معجم الالقاب في ترجمة أحد الاعيان : « سيد كبير ، وشيخ خطير ، قدم علينا حاجا في سنة ثمان وثمانين وستمائة ونزل عندنا بمحلة الخاتونية ، واجتمع اليه الفقراء والغرباء من أهل شيراز واصبهان ويزد وغيرها من بلاد العجم » ، فان صح قول الاستاذ الجليل وهو غير صحيح استحال معه أن يكون ابن الفوطي موءلف

---

(١٤٣) احال بذلك على كتاب الحوادث (ص ٤٦٠) ولعله اراد الصفحة (٤٧٧) ففيها خبر احداث الاوراق المالية بتبريز سنة ٦٩٣ قال : وفيها وضع صدرالدين صاحب ديوان الممالك بتبريز الجاووهو كاغد عليه تمغة السلطان عوض السكة على الدنانير والدراهم وامر الناس ان يتعاملوا به . وليس في هذا الكلام ولا فيما بعده ما يدل على مراد الاستاذ الجليل ، فالموءرخ لم يقل « رايت » ولا « عاملت » ولا «اعطيت» ولا « اخذت » ولا « ايام كوني بتبريز » ولا ما جرى هذا المجرى .

كتاب الحوادث المذكور .

وكان ابن الفوطي سنة ٦٨٧ في بغداد أيضا قال في ترجمة كمال الدين أحمد بن هبةالله الخالنجاني : « قدم بغداد سنة سبع وثمانين وستمائة وأخذ من خزانة الكتب بالمدرسة المستنصرية كتاب المصابيح لمحيي السنة ..» .

فالتسرع في الاحكام والاعتماد على مثل تلك الظواهر الخادعة لا يوءدي الى التأكيد ولا الى الصواب ، والعبرة في مثل تلك الظواهر الخادعة لا يوءدي الى التأكيد ولا الى الصواب ، والعبرة في مثل هذا أن يستدل بأدلة واضحة ، لا بأمور عامة لا خصوص فيها ولا تعيين مما يجوز فيه للموءرخ أن ينقله عن غيره .

٣٤ ـ وتطرّق ـ حفظه الله ـ في الصفحة ١٣١ الى ذكر سيرة موفق الدين عبدالقاهر ابن الفوطي الاديب الشاعر ، وقصيدته البائية في التثريب والتعريب على شيخه العدل مجدالدين أبي القاسم عبدالله بن المنصوري العباسي الصوفي الخطيب حين وُلّي نقابة نقباء العباسيين سنة (٦٣٠) على عهد الخليفة المستنصر بالله ، وأشار الى أن لقصيدته دلالة بالغة على وجود ضرب من النقد السياسي اللاذع ببغداد ، والحقيقة اننا في مثل هذه الحال ينبغي لنا أن ننظر الى القائل والمقول فيه ، والهاجي والمهجو ، والى اسباب القول والهجو ، ان المهجو شيخ زاهد صوفي عباسيّ دُعي الى منصب ديني رفيع استبق الى مثله قديما الشريفان المرتضى والرضي وغيرهما من أعلام الامة ، فأي بأسٍ في توليه إياه والقضاء بين طائفة من الامة ؟ وأما الهاجي [144] فقد ذكرنا ترجمته من تاريخ أبي الحسن الخزرجي الذي ينقل فيه من تاريخ ابن الساعي في مثل هذا الشأن ، وقد جاء في ترجمته أنه « لم يخدم قط في خدمة إلا عادى رفيقه » وقد خالف موفق الدين بذلك الحديث النبوي الشريف « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » . وقد تولى هو كتابة « ديوان عرض الجيش » فلماذا قبل الخدمة وهو يعيب من

---

(١٤٤) قدمنا ذكره في الصفحة (٤٠١) . + من مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد السادس ١٩٥٩ . راجع الصفحة ٤٤٩ من هذا الكتاب .

دخل فيها وصغا اليها ؟! ومع توليه ذلك المنصب أنشأ قصيدة لم يترك أحدا من كبار رجال الدولة الا هجاه بها حتى الشيخ صدر الدين علي بن النيار شيخ الخليفة المستعصم بالله ، وفيها يقول :

يا سائلي ولمحض الخير يرتاد أصخ فعندي نشدان وإنشاد[145]
أما الوزير فمشغول بعنبره والعارضان فنساج ومدّاد
وحاجب الباب طورا شارب ثمل وتارة هو جنكيّ وعوّاد
ومشرف الدست مغرى باللواط له في كل زاوية علق وقواد[146]

وقال في صدر الدين النيار شيخ الشيوخ الذي رفض الوزارة سدكاً منه بتصوفه وزهادته :

وشيخ الاسلام صدر الدين همته مقصورة لحطام السحت تصطاد
نمته في اللؤم آباء سواسية ما سودوا فيالورى يوماولا سادوا

وقال في منصور بن عباس الدجيلي من كبار أرباب الدولة أيضا :

وابن عباس مغرىً باللواط له في كل ناحية علق وقواد

الى أن يقول فيها :

اين المنية مني كي تساورني فللمنية اصدار وايراد [147]

وقد ساورته المنية بعد سنة من نظمه هذه القصيدة فقتل صبرا كما مرّ ، لأنه كان من رجال الدولة الذين صدر عليهم الحكم بالاعدام : إعدام الروح . فهذه هي القصيدة السياسية في الحقيقة ولكن قائلها كان مقنعاً .

---

(١٤٥) نسب موءلف الحوادث هذه القصيدة الى مجد الدين اسماعيل النشابي وذلك من اوهامه « الحوادث ص ٣٢١ » وهذا يدل على نقله من عدة تواريخ .

(١٤٦) سيأتي ان هذا البيت في هجو منصور بن عباس الدجيلي .

(١٤٧) العسجد المسبوك « نسخة المجمع العلمي العراقي المصورة ، الورقة ١٨٩ » .

وقد جاء في الحديث كما في الفائق ١ : ٣٢٣ « من قال في الاسلام شعرا مقذعا فلسانه هدر » .

٣٥ ــ وقال في الصفحة ١٣٧ : « اشتهر في أواخر ايام الدولة العباسية دواداران أولهما الدوادار الكبير وهو علاء الدين الطبرس الظاهري[١٤٨]، كان دوادار الخليفة الظاهر ، حظياً عنده ، فلما استخلف المستنصر بعد الظاهر ثابر على تقديمه وتقريبه وزوّجه ابنة بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل كما تزوج أختها ابنه الدوادار الصغير مجاهد الدين في خلافة المستنصر» .

قلت : الصحيح أن الدويدار الصغير مجاهد الدين أبا الميامين أيبك المستنصري لم يكن ابن الدوادار الكبير ، ولم يقل هذا أحد سوى الاستاذ الشبيبي ، وقد أكد سهوه في الصفحة التالية لتلك بقوله : « وقد مات علاء الدين الدوادار الكبير عن ولدين أشهرهما مجاهد الدين الدوادار الصغير » . والظاهر انه رأى في عقب ترجمة علاء الدين الطبرس هذا قول المؤرخ : « وتقدم بتأمير ولده شرف الدين وولد مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير وخلع عليهما »[١٤٩] . فحسب أن في الطبع غلطا وأن الاصل « وتقدم بتأمير ولده شرف الدين وولده مجاهد الدين أيبك ...»، وفيما أنا ناقله من الاخبار فيما يأتي بيان لما أصلحت ، جاء في أخبار سنة (٦٥٠) ما هذا بعضه « وفي شهر[١٥٠] ربيع الآخر كان خِتان الامير الصغير أبي المناقب المبارك[١٥١] بن الامام المستعصم بالله ، واستدعي

(١٤٨) له ترجمة في الحوادث « ص ٢٦٤ » مع أخبار ، وكذلك في كتاب المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي والعسجد المسبوك لابي الحسن الخزرجي .

(١٤٩) الحوادث «ص ٢٦٦» .

(١٥٠) لم يعثر موءلف الحوادث على هذا الخبر النفيس ولذلك خلا منه كتابه.

(١٥١) قال ابن تغري بردي في المنهل الصافي : « مبارك بن عبدالله بن منصور الامير ابو المناقب ابن امير الموءمنين المستعصم بالله العباسي آخر خلفاء بغداد ، روى عن ابيه وروى عنه ابن الفوطي وغيره ، ولما مات=

الجماعة الذين خُتنوا معه وهم الامير ابو جعفر منصور ابن الامير السيد أبي القاسم عبدالعزيز ابن الامام المستنصر بالله و (جلال الدين) كشلوخان ابن الدويدار الصغير أيبك المستنصري ، والاميران عبدالله واسحاق ابنا الدويدار الكبير الطبرس الظاهري ، وزنكي ابن الامير محمد بن قيران الى دار أبيه ونفذ مع ابن اخي الخليفة صندوق به من فاخر الثياب والزركش ما قيمته ثلاثة آلاف دينار وسبعة أكياس فيها سبعة آلاف دينار ونفذ مع ولد الدويدار الصغير صندوق فيه ستة آلاف دينار وما قيمته ألف دينار ثم مع ولدي الدويدار الكبير كذلك ثم مع ولد ابن قيران صندوق فيه ألف دينار وثياب تناسب ذلك ثم خلع على الطبيب وعلى بواب دار التشريفات وعلى وكيل الخدمة وعمت الخلع والمبارّ خلقا كثيرا ثم عُرضت التهاني والمدائح وهي كثيرة ... »[١٥٢] .

هذا وقد كان في قدرة الاستاذ الجليل ان يتحقق هذا الامر برجوعه الى ترجمة مجاهد الدين الدويدار الصغير في تلخيص معجم الالقاب، فقد ذكر ابن الفوطي أنّ أباه « عبدالله » وهو اسم عام لوالد كل مجهول الاب من المماليك المسلمين المتأخرين ، وكلٌ من لا يريد ذكر اسم أبيه منهم ، قال ابن الفوطي : « مجاهدالدين[١٥٣] حسام الدين (كذا) أبو الميامن

= احتفلَ لعزائه اهل بغداد ورثاه الشعراء ، وكانت وفاته سنة سبع وسبعين وستمائة ــ ر ح ــ » . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٧٢ الورقة ٦١ » .

(١٥٢) العسجد المسبوك « نسخة المجمع المصورة ، الورقة ١٧٩ » .

(١٥٣) قال الخزرجي : « وممن قتل صبرا من اعيان الامراء واكابر الزعماء مجاهد الدين ابو الميامين ايبك الدويدار المستنصري ، وكان ممن رزق السعادة في دنياه . ولما رغب بدر الدين لؤلؤ زعيم الموصل اليه في الوصلة عظم شأنه وارتفع مكانه ، وملك جزيل الامور من العين والرقيق والدواب والعقار والبساتين والضياع مما يتعذر ضبطه على الحساب ، وفي ليلة بنائه بزوجته نفذ الى داره من أواني الذهب والفضة والثياب والجوهر مايزيد على ثلاثمائة الف دينار، وانعم في =

أيبك بن عبدالله الجركسي المستنصري الدواتي ، امير الامراء . كان دواتي الامير (كذا) المستنصر بالله وأخص خواصه ، بلغ من التقدم ما لم يبلغه أحد من أبناء جنسه ، فانه لم يزل منذ أشير له (كذا) الى أن مات مولاه في رفعة ومنعة وزيادة ومنعة ، وكان متيقظا ملازما لسدّته . وزوّجه بابنة السلطان بدر الدين لؤلؤ سنة اثنتين وثلاثين (وستمائة) وسلطنه وخلع عليه من مفاخر ملابسه (كذا) وقلده بسيف بحلية الذهب والجوهر النفيس ، ورفع خلفه من السلاح المجوهر والالوية والاعلام ، ورتب أمير الحاج في أيام المستعصم بالله لما حجت والدته سنة أحدى واربعين (وستمائة) ... وفي سنة ست وخمسين (وستمائة) لما نزل هولاكو على بغداد أخذ الاموال والجواهر وأراد أن ينحدر في سفينة فاستولى المغول عليها . وكان قد عبر الى الجانب الغربي مع الامراء وكسر المغول وأشار عليه أهل المعرفة بالرجوع الى بغداد فلم يلتفت وكانت الكسرة عليهم . وقتل مجاهد الدين وأنفذ رأسه الى الموصل ، واليه تنسب المدرسة المجاهدية ببغداد » (154).

وقال ابن تغري بردي : « أي بك بن عبدالله الدوادار الملك المجاهد سيف الدين (كذا) ، مقدم جيوش العراق ، كان خصيصا عند الخليفة المستعصم بالله العباسي وكان يقول : لو مكنني الخليفة لقهرت هولاكو . وكان أي بك المذكور مغرما بالكيمياء ، كان في داره عدة رجال يعملون

= صبيحة تلك الليلة التي دخل فيها بزوجته ثلاثمائة الف دينار عينا الى غير ذلك مما يطول ذكره ويتعذر وصفه ، وبلغ من الجاه العريض والحرمة حتى انه كان يترفع على وزير الدولة الذي هو نائب الخلافة وعلى شرف الدين اقبال الشرابي الذي كان مقدم العسكر ، ولم يركب الى احد سوى الخليفة ، وكان جماعة من اكابر الزعماء وارباب العمائم واصحاب الكوسات والاعلام يقصدونه في داره خدمة وتقربا اليه وكان يصل اليه من اقطاعه واملاكه ومزارعاته زيادة على خمسمائة الف دينار ، وقتل وقد جاوز عمره ثمانين (كذا) سنة » . « العسجد المسبوك ، الورقة 191 » .

(154) تلخيص معجم الالقاب « الترجمة 120 من الميم من الجزء الخامس » .

هذه الصنعة ولا صحت معه أبدا (كـذا) وأتلف على هـذا المعنى جمـة مستكثرة ، قدر ما كان يحصل له لو صحت معه . ودام الملك المجاهـد أي بك هذا في عزه الى ان مات مقتولا بيد التتار صبرا في سنة سـت وخمسين وستمائة ، وكان بطلا شجاعا مقداما جوادا موصوفا بالـكرم والرأي الجيد والتدبير ... »[١٥٥] .

ثم قال هذا الموءرخ الذي مع بُعد بلاده فصَّل هـذا الضرب مـن أخبار بغداد والعراق احسن من موءلف الحوادث : « وفي يوم الاحـد سادس شهر ربيع الآخر (من سنة ٦٥٠) استدعي الجلال[١٥٦] كشلوخان أبن الامير مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير الى دار الوزير (موءيـد الدين ابن العلقمي) وشرف بالامارة وخلع عليه قباء أطلس بتطن ، وسربوش كبير شاهي وأعطي[١٥٧] فرسا بمركب ذهب وغاشية حمراء وركاونه (كذا) ورفع وراءه سيفان أحضرا من المخزن سوى ما أحضر له من دار أبيه مـن السيوف والدرباشات ، وتوجه الى دارهم في جمـع عظيم ، ونثر عليـه ذهب في عدة مواضع وكان عمره يومئذ تسـع سنين . وفي يوم الثـلاثاء الخامس عشر استدعي ولدا الامير علاء الدين الطبرس الظاهري الى دار الوزير وهما الركن عبدالله والشرف اسحاق وخلع عليهما خلعة الامـارة وألحقا بالزعماء ، وأعطيا فرسين وعدتين كاملتين ورفع وراءهما أسـلحة وكانا جميلين في غاية من الحسن »[١٥٨] .

وكان للامير الطبرس ابن ثالث هو فلك الدين محمد وقد ذكرنا أن

---

(١٥٥) المنهل الصافي والمستوفي بعـد الـوافي « النسـخة المذكـورة ٢٠٦٩ الورقـة ٢٨ » .

(١٥٦) يعني « جلال الدين » وسيأتي الركن بمعنى ركن الدين والشرف بمعنى شرف الدين ، وهو من الاختصارات الاصطلاحية لاقامة ال في الظاهر المعروف مقام المضاف اليه .

(١٥٧) يجوز «وامطي » اي اركب الا ان ما يأتي في الخبر القائم يمنع ذلك .

(١٥٨) العسجد المسبوك « الورقة ١٨٠ » . وتأمل قوله « وكانا جميلين .. » .

هولاكو قتله صبرا بعد استيلائه على بغداد سنة ٦٥٦ ونقلنا من كتاب الحوادث أنه قتل في الحرب •

وفي هذا ما يكفي في اثبات ان الامير آيبك الدويدار الصغير[١٥٩]• لا قرابة له مع الطبرس الدويدار الكبير ، وانما وصف كل منهما بما وصف به ، من أجل اختلاف أسنانهما ، وفي اثبات أن للامير الدويدار الكبير ثلاثة أبناء هم ركن الدين عبدالله وفلك الدين محمد وشرف الدين اسحاق، وكان هذا التصحيح من أوجب التصحيحات لما في بقاء الخطأ على حاله من ايهام للمراجعين والمقتبسين ، ومثل هذا الوهم أو قريب منه ما ذكره الاستاذ الجليل في رسالة ابن الفوطي المعروفة المطبوعة بمطبعة الجزيرة سنة ١٣٥٩ = ١٩٤٠ فقد جاء في الصفحة الرابعة منها قول الاستاذ : « وفتك أرغون بآل الجويني واستأصلهم لكونهم من حزب أخيه السلطان أحمد » ، ولم يكن السلطان أحمد تكدار أخا أرغون بل عمه ، فهو أحمد تكدار بن هولاكو بن تولي بن جنكيزخان ، وذاك أرغون بن أباقا بن هولاكو • وجاء في الصفحة المذكورة بعينها قوله : « هذه هي الروايات التي شاهدها ابن الفوطي ••• وقد شاهد مثلها في العصر الثاني ما بين آيام غازان الى أيام حفيده أبي سعيد » • ولم يكن أبو سعيد بهادرخان حفيدا لغازان بن أرغون بن أباقا بل كان ابن أخيه محمد اولجايتو المعروف بخربنده ، فهو أبو سعيد بن خربنده بن أرغون بن اباقا بن هولاكو •

٣٦ ــ وقال الاستاذ الجليل في الصفحة ١٣٩ : « وهذا وقد بقي موءرخنا ابن الفوطي معنيا على عادته بتاريخ هذه الاسرة (أسرة الدوادار) طبقة بعد طبقة فانه أشار الى اتصال وجيه تركي باحدى حفيدات الدوادار

---

(١٥٩) نقلنا قول ابن تغري بردي في ترجمة ايبك الدويدار الصغير : « أي بك بن عبدالله الدوادار الملك المجاهد ... مقدم جيوش العراق وكان خصيصا عند الخليفة المستعصم بالله العباسي » . « نسخة باريس ، الورقة ٢٨ » . ولم يقل ايبك بن علاء الدين الطبرس وعبدالله عندهم **هو اسم الاب لمن لم يعرف اسم ابيه او من ترك اسم ابيه من المماليك** كما ذكرنا قبلا .

الكبير وشقيقات مجاهد الدين وهي من بنات فلك الدين محمد بن الدوادار الكبير » ٠

قلت : ذكر الشيخ الجليل آنفا أن الدوادار الصغير مجاهدالدين هو أخو الدوادار الكبير ــ وقد بينا غلط هذا القول ــ فان كانت هذه السيدة بنت فلك الدين محمد بن الدوادار الكبير الذي هو ابن أخي مجاهد الدين الدوادار الصغير (عند الاستاذ الشبيبي ورأيه) فكيف تكون شقيقة لعم أبيها ؟! وقد صحح الاستاذ هذا القول (ص ٣٥٩) بأن جعل كلمة «قريبات» مكان « شقيقات » فبقي على الخطأ الاول ، لأنها لم تكن قط من قريباته ، وقد كرر خطأ النسب هذا في « ص ١٨٢ » ٠

٣٧ ــ وقال في الصفحتين ١٤٠ ، ١٤١ : « وأعقب ذلك (أعقب هرب جلال الدين كشلوخان ابن مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير من العراق الى الشام) محاولة جديدة حاولها خصوم علاء الدين الجويني صاحب الديوان لأخذه واعتقاله وحمله الى أذربيجان وعرض أمره على السلطان (هولاكو) بتهمة مواطأته مع جلال الدين ، وكان التحقيق الذي أشرف عليه السلطان بنفسه أسفر عن براءته ، وكان لأخيه الصاحب شمس الدين وهو بأذربيجان مسعى محمود في خلاص أخيه ، فأعيد علاء الدين الى قاعدته في بغداد ، لا يخامرنا أدنى شك في أن التهمة التي نسبت الى الجويني في هذه الحادثة هي الاتصال بملوك مصر والشام ، وفي سيرة الصاحب علاء الدين الجويني كل ما يدل على التنكر للوثنيين الطغاة من حكام المغول واعادة الامم الاسلامية المغلوبة على أمرها في الشرق الى العيش في ظل راية اسلامية ٠٠٠ وعزل شحنة بغداد الذي قبض على الجويني ناسبا اليه تلك التهم الخطيرة ٠٠٠ » ٠

قلت : هذا ركام من التاريخ ينبغي لي بناؤه ونفي الغث عنه ، وتحرير ذلك أنه في سنة ٦٥٨ اتفق علي بهادر شحنة بغداد وعماد الدين عمر القزويني ونجم الدين أحمد بن عمران الباجسري وأتباعهم ، وهم من حكام العراق

وصدوره ، على قصد السلطان هولاكو ، وهـو إذ ذاك في بلاد الشـام ، ورفعوا على صاحب ديوان العراق علاء الدين عطا ملك الجويني أشـياء اعتمدها ، وكتبوا في رفيعتهم (أي تقريرهم) المبالغ التي استوعبها من أموال العراق ، وحمل علاء الدين الى السلطان هولاكو فأمر باعادته معهم للتحقيق في التهم المسندة اليه في المدينة التي قالوا انه ارتكبها فيها وهي بغـداد ، فقوبل على ذلك ، وحوكم ، فثبت عليه ما نسب اليه ، فأنهوا صحة التهمة الى هولاكو فأمر بقتلـه ، فسئل العفو عنـه فأمر بالاجتزاء بحلق لحيتـه ـ يوم كان حلق اللحية دون الاعدام ـ فحلقت لحيته وأعيد الى منصبـه فكان يجلس في الديوان ويستر وجهه » [١٦٠] .

وليس في نص هذا الخبر المنقول في كتاب الحوادث ما يدل على اتهام علاء الدين الجويني بالاتصال بملوك مصر والشام ، وها هنـا لا يجوز أن يقال : هذا استنباط لأن المؤرخ لم يصرح . فليست هذه اول تهمة يتهم بها علاء الدين في احتجان الاموال او المخامرة ، ففي سنة ٦٦٢ قبض قرابوغا شحنة بغداد والعراق على علاء الدين الجويني واعتقله ونسب اليه أشـياء قد عزم على أن يعتمدها ، فأرسل الى أخيه الصاحب شمس الدين وهـو بأذربيجان ، يعرّفه ذلك ، فعرض أمره على السلطان فأمر بحمله الى بين يديه ، على اختياره ، ومعه كل من قال عنه ونسب (اليه) وسعى به الى قرابوغا ، تحت الاستظهار ، فلما وصلوا وعمل له اليارغو ، وهو المحاكمة التترية ، لم يثبت على علاءالدين ما نسب اليه ، فأمر هولاكو بقتل من سعى به وعزل قرابوغا عن العراق ، وأعيد علاءالدين على قاعدته في الحكم الى بغداد[١٦١] . فعزل الشحنة كان في التهمة الثانية .

والاتهام الثالث كان في عهد السلطان أباقا بن هولاكو سنة ٦٧٧ فقد

---

(١٦٠) يراجع في معرفة أصل الخبر كتاب الحوادث « ص ٣٤٣ » .

(١٦١) كتاب الحوادث « ص ٣٥٢ » .

طلب علاءالدين الى الاردو أي معسكر السلطان للمقابلة على ما نسب اليه من مكاتبة سلطان مصر والشام فحمل الى هناك ، وقوبل على ما نسب اليه فظهر كذبالقائل عنه، فأمر السلطان أباقا بقتله فقتل وحملتأطرافه الى البلاد ، وكتب علاءالدين كتابا فيه بشرى لاهل العراق ببراءته من التهمة والتزوير والاختلاق عليه (١٦٢) .

والاتهام الرابع كان في السنة المذكورة بعينها وقد برىء منه ايضا(١٦٣) ، هذا وان ربط الاستاذ الجليل اتهام صاحب الديوان علاءالدين الجويني بقضية جلالالدين كشلوخان بن الدويدار الصغير لم يُحل فيه على كتاب فالظاهر أنه استنباط كاستنباطاته الاخرى ، وقد راجعتُ الكتاب الذي استمد اكثر هذا الجزء منه وهو كتاب «الحوادث » ـ٣٥٠ـ الذي أشرت الى طبعي اياه ، فلم أجد في قصة جلال الدين بن الدويدار الصغير فيه ما يشير الى ذلك ولا ما يشعر به ويفيده ولا ما يرمز اليه ، ورجعت الى ما ذكره غيره في شأنه كابن فضل الله العمري الاديب العلامة فلم أجده ، قال : « ثم لما جرى على بغداد ما أجرى العيون دما ، وأسال النفوس أسفا استأثر هولاكو بجلال الدين ابن الدوادار الخليفتي(١٦٤) المستعصمي واتخذه هولاكو موضع رأيه ، ومكان سرّه فلما كسر هولاكو وتضعضعت أركان جيشه ، كما ذكرنا ، شكا الى جلال الدين بن الدوادار ما أصابه من الكسرة وفناء جنوده ، فقال جلال الدين : عندي عسكر جيد خير من هوءلاء . قال هولاكو : مَن هم ؟ قال : عسكر الخليفة فان ابن

(١٦٢) الحوادث « ص ٣٩٨ ـ ٤٠١ » .

(١٦٣)المرجع المذكور « ص ٤٠١ ـ ٤٠٣ » .

(١٦٤) اصطلح الموءرخون المتأخرون على النسبة الى ذي تاء التأنيث من غير حذفها ، كقولهم « الجيش الخليفتي » و « الفرقة الملامتية » و « المدرسة الثقتية » و « المدرسة العصمتية » .

العلقمي قطعهم [١٦٥]، والا فهم أحياء موجودون وأنا أجيبُهم(كذا) اليك. فأعجب هولاكو كلامه ووقع منه موقعا حسنا ، وكتب له يراليغ[١٦٦] مضمونها : (انما قد جهّزنا جلال الدين بن الدوادار في شغل مهم ورسمنا له بما يفعل ، ومرسومنا أن تمتثل جميع الخواتين والامراء والنواب والقراولات وكافة الناس أمر جلال الدين المذكور وأنه مهما شاء فعل، يقتل من يريد ، ويُخلي من يريد ، وأن لا يعارض في أمر من الامور ولا يعترض عليه بسبب من الاسباب) ومن هذا ومثله . فتوجه جلال الدين وحط يده في كل مَن بقي بحدّه من أمراء المغل (المغول) وأكابرهم والمقربين عند هولاكو ، فَعَل فيهم ما أراد ، وفتك فيهم انواع الفتك حتى وصل الى بغداد واستعد فيها لما يريد أن يعمله ، وأخذ منها ما أراد ومن أراد ودخل البرية هاربا من هولاكو على عزم الوصول الى مملكة مصر ، فأدركه أجله قبل الوصول اليها . وبلغ هولاكو ما فعله جلال الدين بالمغل من الفتك والقتل والتنكيل ثم ما اخذه من بعده وخرج هاربا منه، فانفطرت كبده ومات غبناً منه » .

فهذا الخبر ، مع ما فيه من التهويل والمبالغة ، موءرخه شامي مشهور، فلو كان لعلاء الدين الجويني صلة بقضية جلال الدين لصرح بها وعدّها من فضائل الصاحب علاء الدين ، والموءرخون الشاميون لا يغفلون عن ذلك وأمثاله ، وهم اعرف الناس به ، لاتصال في الاسفار ، وأمان من الاخطار ، فليس من حقنا في التاريخ أن نعزو أمرا الى رجل كان يتبرأ منه تبرؤ المسلم الموءمن من الكفر ، ويسطر المناشير وينشرها على الشعب

(١٦٥) الصحيح أن شرف الدين اقبالا الحبشي الشرابي هو الذي شتتهم، راجع « واقعة الاتراك في الحوادث ص ١٦٨ »، ثم قال موءلف الحوادث: « وكان الخليفة قد أهمل حال الجند ومنعهم أرزاقهم واسقط اكثرهم من دساتير ديوان العرض ، فآلت احوالهم الى سوءال الناس وبذل وجوههم في الطلب في الاسواق والجوامع » . « ص ٣٢٠ ، ٣٢١ » .

(١٦٦) سياتي ان اليرليغ هو المرسوم والجمع اليراليغ ، ويجوز يرليغات على القياس .

يتنزه عن ذلك .

٣٨ ـ واستمر الشيخ الجليل على الكلام على العداوة بين علاءالدين الجويني وعماد الدين القزويني فقال : « ومن ذلك الحين شرع (يعني علاءالدين) يأخذخطوط الولاة والاكابر بما ارتكبه عمادالدين القزويني من جمع الاموال والثروات وعسف الناس ، وعرض ذلك على السلطان ... » .

قلت : الصواب أن الذي فعل ذلك هو أخوه شمس الدين محمد بن محمد بن الجويني ، قال مؤلف الحوادث سنة ٦٥٩ : « وفيها وصل صاحب الديوان شمس الدين (الجويني) الى بغداد ومعه يرليغ يتضمن براءة أخيه علاءالدين مما نسب اليه وبولايته العراق وبسط يده ... » [١٦٧] . ثم قال : « فلما كان الصاحب شمس الدين بالعراق أخذ خطوط الولاة والاكابر بما صار اليه من الاموال وعرض ذلك على السلطان (هولاكو) فأمر بالفحص عنه فثبت عليه أكثره فأمر بقتله » [١٦٨] . فالظاهر ان شمس الدين الجويني كان أكثر ولوغاً في الدماء من أخيه [١٦٩] .

---

(١٦٧) الحوادث « ص ٣٢٥ » .

(١٦٨) المرجع المذكور « ٣٤٨ » .

(١٦٩) ذكر ابن عنبة في قضية اغتيال وقتل علاء الدين هذا للسيد تاج الدين علي بن محمد بن رمضان ابن الطقطقي ، والد المؤرخ الكبير محمد بن الطقطقي مؤلف الفخري وغيره ، ان تاج الدين تقرب الى السلطان اباقا ابن هولاكو ، وتوسل اليه في أن يوليه العراق ويعزل علاء الدين ، وكتب الى السلطان كتابا يعده فيه بأموال جزيلة ويشيد بكفايات غريبة ، فوقع كتابه الى شمس الدين الجويني اخي علاء الدين وهو يومئذ صاحب ديوان المماليك جمعاء ، فارسل الى اخيه علاء الدين يقول :

كم لي انبه منك مقلة نائم	يبدي سباتا كلما نبهته
فكأنك الطفل الصغير بمهده	يزداد نوما كلما حركته

فاستعد علاء الدين وتقرر امره عنده على أن امر جماعة بالفتك به ليلا =

٣٩ ــ وقال الاستاذ الجليل في الصفحة ١٤٧ مُحشياً : « يروى فريق من موءرخي هذه الفترة أن شمس الدين الجويني شقيق علاء الدين كان لــه الفضل الاكبر في العفو عن أخيه واكتفى حكام بغداد بحلق لحيته فحلقت، وكان يجلس في الديوان ويستر وجهه بيده • ولــم ينس علاءالدين هذه الاهانة لما عاد الى الحكم وأطلق كلمة عبّر بها عن حقده الكامن وتصميمه على أخذ ثأره فقال لشحنة بغداد علي بهادر من الجماعة المتآمرين عليه[١٧٠]: ان الشعر اذا حلق نبت والرأس اذا حُلق لم ينبت • ويا لها من كلمة تشعر بالتشفي والتصميم على الانتقام » •

قلت : ان الاستاذ الجليل ذكر سعي شمس‌الدين في تخليص أخيه في الصفحة ١٤١ ، فكرر ذلك ها هنا وما أكثر ما كرر !! ولا بأس بالتأكيــد المفيد ، وقد ذكرت قصة شمس‌الدين في هذا الشأن نَصّاً ، قبيل هــذا ، فأما القائل لذلك القول فهو شمس‌الدين محمد الجويني لا أخوه عــلاء الدين ، قال الموءرخ في تمام الخبر : « فلما قرىء البرليغ[١٧١] في الديوان قال الصاحب شمس‌الدين لعلي بهادر شحنة بغداد : الشعر[١٧٢] اذ حلق نَبت والرأس اذا حُلق لم ينبت • ودبّر في قتله وقتل عمادالدين القزويني، على ما نذكره » [١٧٣] • وفي الكتاب أشباه لهذا السهو وقد ذكرنا سابقا ما يخص القاضي محمودا الزنجاني ونسبته اياه الى ابنه •

= ففتكوا به وهربوا الى موضع ظنوه مامنا امرهم هو بالمصير اليـــه ، فخرج علاء الدين من ساعته الى ذلك الموضع فقبض عليهــم وامـــر بقتلهم فقتلوا ... » (عمدة الطالب ص ١٦٠) . وفـي هــذا دليل على انه كان فاتكا ماكرا .

(١٧٠) كذا ورد والصواب «المتآمرين به » او « المتآمرين على قتله » .

(١٧١) يعني المرسوم السلطاني ببراءة اخيه علاء الدين .

(١٧٢) الذي نقلــه الشيخ الجليل « ان الشــعر اذا حلــق » ولا داعــي الى التاكيد في اول الكلام .

(١٧٣) الحوادث « ص ٣٤٦ » .

ثم ان حكام بغداد لم يكن لهم الامر بحلق لحيته، كما قال الاستاذ الجليل، وانما كان الآمر به السلطان هولاكو، وقد نقلنا قول المؤرخ: «فلما قوبل وثبت ما نسب اليه انهوا ذلك الى السلطان (هولاكو) فأمر بقتله، فسئل العفو عنه فأمر بحلق لحيته فحلقت ... » (١٧٤) .

٣٨ ــ وذكر في الصفحة ١٤٩ حاشية في الكلام على اسلام السلطان أحمد تكدار بن هولاكو وارساله رسلاً الى سلطان مصر والشام ، أيامئذ ، الملك المنصور قلاوون التركي الالفي ، يدعوه الى المسالمة وفتح طرق التجارة بين البلادين ، وكان رئيس الرسل شيخ السلطان عبدالرحمن ، وكانت المراسلة سنة (٦٨٢) قال الشيخ الجليل : « هذا ما ورد في تاريخ ابن الفرات عن استقبال الوفد التتري برياسة الشيخ عبدالرحمن ، ويلاحظ من هذا الاستظهار وتلك الطريقة في استجواب الوفد مرة بعد أخرى واستدعائهم ان قلاوون تغيرت نيته بعد سقوط مرسلهم أو منفذهم اليه ، وأضمر التضييق على الرسل وأخذهم بالشدة تقربا الى السلطان الجديد أرغون (بن أباقا بن هولاكو) لانه أصبح صاحب السلطنة القائمة في مملكة التتر فلا مناص من الاخذ بسياسة الامر الواقع في هذه الحالة ، ولو كان ملك المغول الجديد وثنيا خلف ملكا مسلما على المملكة » (١٧٥) . ثم استدل على صحة استنتاجه بتفصيل خبر التضييق على الرسل المذكورين .

قلت : أيقابل الاستاذ بين قوله هذا وقوله في الصفحة ١٤١ وقد

---

(١٧٤) الحوادث « ص ٣٤٣ » .

(١٧٥) ثم قال في آخر الصفحة (١٥٠) : « ترى ماذا كانت معاملة السلطان قلاوون للقوم لو بقي مرسلهم السلطان احمد على قيد الحياة ؟ لا نشك بانها تكون معاملة من نوع آخر فان العلائق بين تكدار وبين قلاوون كانت وثيقة جدا قبل ذلك كما يظهر من الرسائل المتبادلة بين هذين السلطانين المسلمين ، وهذا الضرب من النفاق السياسي كان مألوفا في تلك العصور ، وليست هذه اول مرة يعلن هؤلاء السلاطين المماليك غدرهم على هذه الصورة » .

نقلت بعضه آنفا : « لا يخامرنا أدنى شك في أن التهمة التي نسبت الى الجويني في هذه الحادثة هي الاتصال بملوك مصر والشام ، وفي سيرة الصاحب علاءالدين الجويني كل ما يدل على التنكر للوثنيين الطغاة من حكام المغول واعادة الامم الاسلامية المغلوبة على أمرها في الشرق الى العيش في ظل راية اسلامية ، ولو كان هوءلاء المسلمون أنفسهم من الشعوب المغولية ، وهكذا استمر الصراع في هذه الفترة من تاريخ المغول الايلخانيين بين الوثنية والاسلام الى أن تم النصر للمسلمين ••• ومن هذه الحوادث وما اليها نلاحظ نمو الوعي عند العراقيين ومحاولة التخلص من سلطان الوثنية مستنجدين بملوك المسلمين الذين عجز هولاكو وأبناؤه من بعده عن التغلب عليهم في الديار المصرية » •

فهؤلاء المماليك كانوا اذن هنا ملجأ الاسلام ومنجاة المسلمين في رأي الاستاذ الجليل ، وهم هناك من الغادرين المصرين على غدرهم أولي النفاق السياسي ، فأي رأيي الاستاذ هو الصحيح عنده ؟ أوَيرى الاستاذ أن علاء الدين الجويني المتنكر ، في رأيه للوثنيين الطغاة من حكام المغول يرى النجاة والفوز في الملوك الغادرين من المماليك المشار اليهم ؟! في الحق أن في قوله الثاني ، الذي نقلته ، شطرا من الصواب أعني نصف الصواب ، فان قسما من العراقيين كانوا يرون النجاة والسلامة والعزة والكرامة في الالتحاق بركب السلاطين المسلمين من المماليك بمصر والشام ، وقد قتل منهم من قتل بسبب مكاتبة ملوك الشام كالعدل نجم الدين يحيى بن عبدالعزيز الناسخ ، قال موءلف الحوادث في اخبار سنة ٦٦٩ من سلطنة أباقا بن هولاكو : « وفيها قتل العدل نجم الدين يحيى بن عبدالعزيز [١٧٦] الناسخ ، وسبب ذلك أنه نسب اليه مكاتبة

(١٧٦) **ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة « ٢ : ٢١٧ طبعة مصر » وذكر أنه ولد سنة ٥٥١ أو ٥٥٢ وقرأ القرآن بالروايات فبرع فيها وسمع** الحديث فأتقن علمه وعني بالخط وكتب كتبا كثيرة لنفسه وتوريقا للناس ، وولي النظر في خزانة الكتب بمسجد الشريف الزيدي بدرب **دينار وخزانة تربة سلجوقي خاتون زوج الناصر لدين الله ، ثم في =**

ملوك الشام ، فحبس وقرر ، فاعترف بذلك فأمر بقتله ، وكان فاضلا ورعا تقيا ــ نعوذ بالله من سوء التوفيق »[177] .

فهذا رجل بغدادي حنبلي المذهب قتل على مكاتبته ملوك الشام في ولاية علاء الدين الجويني على بغداد ، ولم يستطع علاء الدين أن يفعل شيئا لانقاذه ، ومجرد قتله في ولايته هو مما ينعى عليه أبـد الدهـر . ويعاب عليه سجيس الليالي ، والظاهر ان الحنابلة كان لهم الجهد المشكور وان منهم الضحايا الكريمة في ذلك المنحى السياسي الخطير . ومجرى التاريخ العام يدل على أن دولة المماليك بمصر والشام كـانت مضـادة ومقاومة ومنازعة للدولة الايلخانية في العراق وبلاد الروم ، والحـروب والكروب ، والسلوب والنهوب المستدامة بينهما توءيد ذلك منذ وقعة عين الجالوت حتى استيلاء غازان بن أرغون بن هولاكو على بلاد الشام ثم عودها الى حكم المماليك ، وقد استمر النزاع السياسي حتى سنة ٧٢٢ فاصطلح السلطانان سلطان المغول أبو سعيد بهادرخان بن خربندة وسلطان المماليك العظيم الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وبسط السلام جناحيـه على الدولتين ، تحت ظل الاسلام . قال ابن فضل الله العمري : « وملوك هذا البيت وان كانوا اعداء ملوكنا من قديم الزمان وبينهم ما يكون بين الملوك من الشنآن .. فانهم أهل همم تذل لها الجبال»[178] .

= خزانة المدرسة المستنصرية ، واجاز لـه الناصـر رواية مسند الامام احمد بن حنبل عنه ، ثم ولاه الظاهر بأمر الله ديوان التركات الحشرية ثم انقطع للعبادة برباط الحريم الطاهري الذي انشأه الناصر لدين الله، واقام فيه الى حين وفاته سنة ٦٣٧ وقد ترجمه ابن الفوطي فـي « عفيف الدين » من معجمه وترجمه موءلف الحوادث « ص ١٣٤ » وابن الدبيثي في ذيل تاريخ بغداد وابن الجزري في غاية النهايـة « ١ : ٣٩٣ » . وشـذرات الذهـب « ٥ : ١٨٤ » فهـذا والـد القتيل الشهيد .

(١٧٧) الحوادث « ٣٦٨ » .

(١٧٨) مسالك الابصار « الورقة ١٠٠ » من نسخة باريس .

وحجة المماليك النيّرة في الدفاع والقراع ، والحماسة في النزاع، أن الملوك الايلخانيين هم الذين قرضوا الدولة الاسلامية الكبرى ، وأسقطوا الامامة العباسية وقتلوا الملوك المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ، وأفنوا ألوف الوفٍ من المسلمين في مختلف البلاد التي استولوا عليها وهدموا المدن والحصون ، والدور والقصور والمشاهد والمعابد والمساجد والمكاتب والمدارس ، وأسروا الوف الشبان المسلمين والفتيات وسخروا من استحيَوهم من المسلمين حتى الشيوخ ، وأسالوا سيول الدماء في البلاد الاسلامية ونشروا الرعب والاهوال ، ونهبوا الاموال وسلبوا كل نفيس ، وأصابوا دنيا الاسلام بأشد من الزلزال ، وهم مع ذلك في رأيهم كفار أغمار وأشرار غدّار ، ذوو أطماع في بلاد المسلمين التي لم يفتحوها وهي مملكة الشام ومصر ، ومن أجل ذلك آوى المماليكُ الخلافةَ العباسية الاسمية وأمدوها بالجنود والآلات ، ليملكوا العراق وغيره باسمها ، وتحيفوا أطراف المملكة الايلخانية بالغارات ، واستعملوا الباطنية في الاغتيالات ، وسلكوا جميع سبل الجهاد للحفاظ على مملكتهم والاسلام ، لأنهم صاروا قادته وذادته ، وحماته ورعاته . ولم يخف على الموءرخين ما عزم عليه الملك الاشرف خليل آخو الملك الناصر محمد بن قلاوون المقدم ذكره فقد أرسل جماعة من الباطنية الى بغداد لاغتيال وقتل (نقاجو) امير مسلحة العراق ، فوثب أحدهم عليه على رأس الجسر العضدي سنة ٦٩٢ وضربه بحجر عدة ضربات فقتله واشتد هاربا ، فمد له رجل اصفهاني رجله على الجسر فسقط فقبض عليه فجعل يقول : فداء الملك الاشرف ، فداء الملك الاشرف . ثم مُثل به حيا وقتل ، وأعد الملك الاشرف سلاسلَ وحبالا من القنب للجسر ، وتهيّأ للمسير الى العراق ثم برز الى الصالحية في آخر سنة ٦٩٢ المذكورة،[١٧٩] وكان قد أرسل الى فخر الدين المظفر بن الطراح أحد حكام العراق في ذلك العصر بتوقيع بالولاية وخاتم وعلم من أعلام السلطنة ، واستقر الامر

(١٧٩) الحوادث « ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ » .

بينهما أنه اذا دخل الملك الاشرف العراق محتلا لم ينضم اليه فخرالدين في الحال[180] ، فلم تسمح الاقدار بذلك ، وقتل الملك الاشرف بأيدي أمرائه قرب الصالحية في خرجته التي خرجها للتوجه الى العراق[181].

وكان السلطان أحمد تكدار بن هولاكو قد أسلم ورغب في مسالمة سلطان المماليك الملك المنصور قلاوون كما ذكر آنفاً ، الا أن السلطان كان ينظر اليه كأنه لايزال كافراً كأجداده طامعاً مثلهم ، وانما أظهر الاسلام سياسة وخداعاً ، غير أنه مع ذلك لم يستطيع أن يرفض عرضه مسالمة الدولة الايلخانية لدولته المماليكية ولا أن يأبى فتح طرق التجارة التي يرتفق بسلوكها المسلمون من رعايا الدولتين ، فقبل الرسالة على مضض ، مراعاة للشعب الذي ينظر الى الظاهر والمظاهر أولا ، ولذلك لما علم بقتل السلطان أحمد تكدار وزوال هذا الكابوس من فوق صدره (ذلك الكابوس الذي أجبره ناموس الاسلام على احتماله) وعلم أيضا بتولي ملك ايلخاني كافر هو أرغون بن أباقا بن هولاكو ثاب الى تشدده وصلابته وعاد الى مبدئه السياسي الاول من العنف والمقاومة والنزاع والامتناع ، فهو اذن قد أمن من اللوم والنكير ، والتثريب والتأنيب لان خصمه ملك كافر قد قتل ملكا مسلما في الظاهر ، فمن يقدم على تأنيبه والانكار عليه اذا تشدد على ذلك الملك الكافر وتوعد وتهدد وأهان رسله ؟ .

هذا هو السبب في تشدد الملك المنصور على رسل السلطان أحمد تكدار بُعيد أن علم بقتله ، ولا اريد ان أطيل الكلام اكثر مما فعلت فمن لا يوقن بما ذكرت فلن أرجو منه ايقانا بعد ذلك ، ولا تصديقا بما هنالك .

٤٠ ـ وذكر الاستاذ في الصفحة ١٥١ عمادالدين عمر بن محمد

---

(١٨٠) الدرر الكامنة « ٢ : ٣٤ » .

(١٨١) الحوادث « ٤٧٤ ، ٤٧٨ » .

القزويني أحد حكام بلاد الشام والعراق في اوائل حكم هولاكو وفتوحه، وقد قدمنا ذكره آنفا ، ونقل من تلخيص معجم الالقاب قول ابن الفوطي: « مجد الملك أبو المكارم هبة الله بن صفي الملك محمد بن هبة الله اليزدي، مشرف الممالك ، كان قد قدم بغداد في أيام صدر الدين القضوي القزويني فلما قتل صدر الدين أقام ببلاد العجم ...» . وعلق الاستاذ الجليل على « صدر الدين » بقوله : « لقبه في الحوادث الجامعة — يعني كتاب الحوادث المجهول الموءلف — وفي الجزء الرابع من المعجم (عماد الدين) لا صدر الدين » .

قلت : صدر الدين لقب والده محمد ، قال ابن الفوطي نفسه في الجزء الرابع من تلخيصه : « عماد الدين أبو المعالي عمر بن صدرالدين محمد بن أبي العز القضوي القزويني المتولي على العراق [١٨٢] ... » . وقد التبس على ابن الفوطي لقب أبيه بلقبه ولعل ذلك يوهي كون كتابه أعني تلخيص معجم الألقاب « مثالا من الدقة [١٨٣] والتحقيق » كما قال الأستاذ في أول كتابه «ص ١١» . والصحيح عندي أن هذا المؤرخ الفاضل يقع أحياناً في أوهام ، وخصوصاً حين يعالج سير الذين بعدوا عن زمانه ولو بعض البعد .

٤١ — وقال في الصفحة (١٦٠) في الكلام على حال أهل الذمة والعنابة بأمرهم : « وعني بحمايتهم بعض امراء السلاجقة كما نرى ذلك[١٨٤] واضحا فيما سجله مؤرخو هذه الفترة وفي مقدمتهم ابن

(١٨٢) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ١١٦ » .

(١٨٣) يريد « التدقيق » وهو مصدر متعد يناسب « التحقيق » ، فالموءرخ يدقق تدقيقا ويحقق تحقيقا ، ولا يدق دقة فان الدقة عيب ، قال النجاشي الشاعر :

اذ الله عادى أهل لؤم ودقة فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل

(١٨٤) كذا ورد والعائد لا يكون ظاهرا بل يكون ضميرا فالصواب « كما نراه واضحا » .

الفوطي في معجمه عن فخر الدين عبدالرحمن السلجوقي" شحنة بغداد» . ونَسبَ هذا الامير «سلجوقيا» نقلا من كلام ابن الفوطي . ولم يكن من السلاجقة بل من أمرائهم واعتداد ابن الفوطي اياه من السلجوقيين هو من أوهامه ، وقد تولى عبدالرحمن بن طغايرك هذا حجابة السلطان مسعود ابن محمد بن ملكشاه السلجوقي وكان مستبدا ، فخاف منه السلطان فأمر بقتله ، على أن عبدالرحمن بن طغايرك كان ممن وضع الغيارَ على اليهود وهو من أشد ما كانوا يخشونه في سيرتهم الاجتماعية ، وبالغ في حمايتهم في مقابل ذلك ، هذا ولم يذكر ابن الفوطي في ترجمة عبدالرحمن بن طغاريرك ، الا مرجعا تاريخيا واحدا هو تاريخ يمين الدين قثم بن طلحة الزينبي العباسي الاديب الحاكم المشهور ، وقد فاته ذكر كامل ابن الاثير في سنة ٥٣٦ وسنة (٥٤٠) وتاريخ الدولة السلجوقية « زبدة النصرة وعصرة الفطرة «ص ١٧٥ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤، ١٨٥ ، ١٩٤» وتاريخ السلجوقيين لصدر الدين الحسيني « ص ١١٣ ــ ١١٨ » .

٤٢ ــ وقال في الصفحة ١٦١ وهو يتكلم على أحوال اهل الذمة أيضا وذكر رجلا سماه « ابن فضلان » : « ومن أبلغ الوقائع في الدلالة على المكانة التي كان أهل الذمة يتمتعون بها في خلافة الناصر لدين الله ومن بعده الظاهر رسالة ابن فضلان لما عهد اليه بمنصب النظر في ديوان الجوالي ... وفي هذه الرسالة يقترح ابن فضلان على الخليفة الظاهر أن تفرض الجزية متفاوتة حسب تفاوت طبقات اهل الذمة في ثروتهم ومكانتهم ... » وقال في الحاشية : « تجد لابن فضلان ترجمة في طبقات الشافعية وفي الحوادث الجامعة » . ولم يزد شيئا على ما ذكرته من المراجع في حاشية الترجمة في كتاب الحوادث المعروف .

قلت : ان التاريخ الذي نقل منه مَعْنى الرسالة هو كتاب الحوادث كما ذكر هو في الحاشية ، ومؤلفه يقول : ان ابا عبدالله محمد بن يحيى بن فضلان كتب الرسالة او الرقعة كما سماها الى الخليفة الناصر لدين الله

لا الى الظاهر ، الا أن مجرى سيرته لا يوءيد ذلك ، لان الموءرخ يقـول : « حكي عنه أنه كتب للخليفة الناصر لدين الله لما كان يتولى ديوان الجوالي رقعة طويلة يقول فيها ... » . على حين قال من قبل : « فلما بويع الظاهر بأمر الله عزله فلزم منزله ... ثم استدعي وولي نظارة المارستان العضدي فكان على ذلك شهورا ثم عزل نفسه ولزم بيته الى أن استدعي وولي النظر بديوان الجوالي واستيفاء ثروات اهل الذمة ثم ولي تدريـس مدرسـة الاصحاب[185] فتردد اليها مدة ثم تركها وتوفّر على ديوان الجوالي..» . وهذا يعني أنه تولى ديوان الجوالي في خلافة المستنصر بالله لا في خلافـة الناصر لدين الله ولا في خلافة الظاهر بأمر الله ، الا انه يذكـر في رسـالته « ابن زطينا » النعماني النصرانيّ من ذرية النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وأنه كان كاتب المخزن يوم الارسال بالرسالة الى الخليفة ، وابن زطينـا انما كان كاتب المخزن في خلافة الناصر لدين الله ، قال سبط ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٧٨ : « وفي ذي الحجة أمر الخليفة (الناصر لدين الله) أن لا يستخدم في الديوان يهودي ولا نصراني ولا يستعان بهم في عمـل من الاعمال . فانهي أن أبا زطينا ليس له نظير في الكتابة . فكتب علـى المطالعة : ان مات ابن زطينا فأيش نعمل ؟ أنبطل الديوان ؟ فأسلم ابن زطينا

(١٨٥) كنت احسب مدرسة الاصحاب « المدرسة الثقتية » التي بناها ابو الحسن علي بن محمد الدريني الشافعي الملقب ثقة الدولة ببـاب الازج بالجانب الشرقي من بغداد ، لانها بنيت لاصحاب الشافعي، فوجدت في العسجد المسبوك لابي الحسن الخزرجي انها في الجانب الغربي « الورقة ١٩٢ » ، ثم علمت من تلخيص معجم الالقاب انهـا مدرسة السيدة زمرد خاتون صاحبـة التربـة القائمة بجـوار مقبرة الشيخ معروف الكرخي المعروفة بالستّ زبيدة ، قـال ابن الفوطـي في ترجمة كمال‌الدين ابي القاسم عبدالرحمن بن محمد البرجواني: ذكره شيخنا تاج‌الدين ابو طالب (ابن الساعي) في تاريخه وقال : كان شيخا حسن السمت ، تفقه على جمال الـدين يحيى ابن فضـلان ورضي‌الدين علي بن علي الفارقي ودرس بمدرسة الاصحاب المجاورة لتربة ام الناصر في المحرم سنة اربع وستمائة ...» .

يومئذ ، واستعمل » [١٨٦] . وقال ابن الساعي في حوادث سنة ٦٠١ ووفياتها : « أبو غالب بن زطينا المسلم . كاتب ضابط فاضل ، كان نصرانيا وهو كاتب سلة الديوان العزيز ، فتقدم الامام الناصر لدين الله ـ رضي ـ أن لا يستخدم في الديوان أحد من أهل الذمة فأسلم جماعة وأسلم أبو غالب هذا في الجملة . كانت وفاته في سنة احدى وستمائة » [١٨٧] . وقد جاء ذكر رجل آخر من بني زطينا في اول ترجمة من الموجود من الجزء الرابع من تلخيص معجم الالقاب وهي ترجمة « عز الدين بن الحداد » قال ابن الفوطي : « ذكره شيخنا تاج الدين في تاريخه وقال : كان (مخرج الاحوال) بالديوان وهو أن يكون عارفا بأحوال من تقدمه من حواشي الديوان من أرباب المشاهرات وأصحاب المعاملات[١٨٨] ، ولما مات عز الدولة هبة الله بن زطينا قام عزالدين بن الحداد مقامه ... » [١٨٩] . وكرّر المؤلف ذكره في ترجمة عزالدين الحسين بن عبدوس البغدادي ، قال : « ثم رتب مخرج الاحوال بالديوان فكان على ذلك الى أن عزل بابن زطينا الكاتب » .

ومن بني زطينا الاديب الاريب الكاتب جبريل المتوفى سنة ٦٢٦ . قال موءلف الحوادث في وفيات سنة ٦٢٦ : وفيها توفي ابو الفضل جبريل بن زطينا كاتب الديوان ، كان نصرانيا وأسلم في ايام الخليفة الناصر لدين الله، وكان ذا فضل وأدب وله نظم ونثر وأشياء مستحسنة ومن شعره :

ان سهرت عينك في طاعة	فذاك خير لك من نوم
أمسُكَ قد فات بعلاته	فاستدرك الغائب في اليوم

(١٨٦) مرآة الزمان « مختصر ج ٨ ص ٣٧٨ » .

(١٨٧) الجامع المختصر « ٩ : ١٦١ ، ١٦٢ » .

(١٨٨) المعاملات جمع المعاملة وهي بمثابة الكورة في التقسيم القديم والوحدة الادارية المالية وكالمتصرفية في ايامنا .

(١٨٩) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ٧ أ من نسختي بخطي » .

وإن قسا القلبُ لأكداره فَصفّه بالذكر والصوم..»[190]

وذكره ابن كثير الدمشقي في وفيات سنة ٦٢٦ من تاريخه قال :
« ابو الفضل جبريل بن منصور بن هبة الله بن جبريل بن الحسن بن غالب ابن يحيى بن موسى بن يحيى بن الحسن بن غالب بن عمرو بن الحسن ابن النعمان المنذر المعروف بابن زطينا البغدادي ، كاتب الديوان وكان نصرانيا فحسن اسلامه ، وكان من أفصح الناس وأبلغهم موعظة ... وقد أورد له ابن الساعي شعرا حسنا فمنه قوله : إن سهرت[191] عينك في طاعة ... »[192] . وبيت زطينا عريق أيضا في خدمة النصرانية ، فقد ذكر الشيخ ماري بن سليمان منهم شمّاسَيْن : أبا بشر بن زطينا وأبا الفتح بن زطينا ، وكان في ايام جثلقة الجاثليق مار برصوما المتوفى سنة (٥٣٠) هـ [193] .

أما اطلاق « ابن فضلان » على محيي الدين ابي عبدالله بن فضلان في أول الحديث عنه فليس بمناسب ، لانه كان يشاركه في هذه التسمية أباه يحيى المسمى من قبل ذلك « واثقا » ، وقد ذكرتُ في حاشية سابقة والده المذكور جمال الدين يحيى بن فَضلان الفقيه الشافعي ، والى الاب تنصرف التسمية عند الاطلاق ، قال الشيخ عبداللطيف بن يوسف العلامة البغدادي المشهور : « وطالعت الكتب المبسوطة والمختصرات وواظبت على المقتضب للمبرد وكتاب ابن درستويه ، وفي اثناء ذلك لا أغفل سماع الحديث

(١٩٠) الحوادث « ص ١١ » .

(١٩١) هذا وامثاله يوءكد لك ان موءلف الحوادث وابن الساعي يتفقان على جملة من الامور التاريخية ، واذ كان موءلف الحوادث متأخر العصر عن ابن الساعي يكون جائزا اقتباسه من كتب ابن الساعي وهو ما ذكرناه من قبل .

(١٩٢) البداية والنهاية « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥١٦ الورقة ٢٨ » وهذه النسخة أصح من المطبوعة .

(١٩٣) اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل « ص ١٥٥ » .

والتفقه على شيخنا ابن فضلان بدار الذهب وهي مدرسة معلقة بناها فخر الدولة بن المطلب ... »[194] . ومع اشتهاره بهذه التسمية كان من الذاكرين له من يذكره بالتمييز ، قال موءلف عيون الانباء في ترجمة أبي البركات هبة الله بن ملكا نقلا عن ابن الدهان المنجم الموءرخ المشهور ، برواية عبداللطيف البغدادي المذكور قال : « كان الشيخ أبو البركات قد عمي في آخر عمره وكان يُملي على الشيخ جمال الدين بن فضلان وعلى ابن الدهان المنجم ... »[195] .

وقال ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٥٧ : « جرت لابن فضلان الفقيه قصة عجيبة ... »[196] .

ولأبي عبدالله محمد بن فضلان ترجمة في تلخيص معجم الالقاب لم ينتبه لها الاستاذ الجليل[197] ، واذ كانت ولادته سنة (٥٦٠)[198] يستبعد منه أن يكتب الى الخليفة الناصرلدين الله تلك الرقعة الفريدة وعمره « سبع عشر سنة » ، ويدخل في حدود الامكان ان تنسب الى والده « جمال الدين أبي القاسم يحيى بن فضلان » المذكور ، وأيّاً كان الامر لا يصح أبدا ان تكون الرسالة مرسلا بها الى الخليفة الظاهر بأمر الله ولا الى المستنصر بالله لأن ابن زطينا كان قد اسلم قبل استخلافهما بكثير ، اللهم الا اذا كان يحيى بن فضلان قد ذكر للخليفة حادثة قديمة وقعت قبل كتبته الرقعة بسنين ، فيجوز بذلك أن تكون من عهد المستنصر

---

(١٩٤) عيون الانباء في طبقات الاطباء « ٢ : ٢٠٣ » .

(١٩٥) المرجع المذكور « ١ : ٢٨٥ » .

(١٩٦) المنتظم « ١٠ : ٢٠٣ » .

(١٩٧) باسم « محيي الدين ابي عبدالله محمد بن يحيى بن الفضل بن هبة الله المعروف بابن فضلان البغدادي قاضي القضاة . « التلخيص ج ٥ الترجمة ٨٦٤ من الميم » .

(١٩٨) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي « ٥ : ٤٤ » .

بالله دون عهد الظاهر بامر الله ، وان أكده الاستاذ الجليل في الصفحة ١٦٢ بلا دليل .

٤٣ ــ وقال في الصفحة ١٨٧ : « يعرف دير المدائن بدير قنّى ولم يبق له من أثر الآن ومن رأي بعض الباحثين انه لا يبعد كثيرا عن موقع الطاق الى الجنوب وهناك عدة تلال ربما قام أحدها على أنقاض الدير المذكور » .

قلت : الصحيح أن دير قنّى غير دير المدائن ، قال الشابشتي في دير قنى : « هذا الدير على ستة عشر فرسخا من بغداد ، منحدرا في الجانب الشرقي ، بينه وبين دجلة ميل ونصف ، وبينه وبين دير العاقول بريد . وهو دير حسن نزه عامر وفيه مائة قلاية لرهبانه والمتبتلين فيه ، لكل راهب قلاية ... » [199] .

ثم ان المصدر الذي صدر عنه الاستاذ الجليل لا يعترف باتحاد دير قنى ودير المدائن لاستحالة ذلك ، فموءلفه عمرو بن متي يقول في ترجمة (يابالاها الثالث) الجاثليق : « ووصل الى بغداد بالاكرام والتبجيل وتجهز وانحدر الى دير المدائن وكان وصوله يوما مشهودا ... » [200] . ويقول في الصفحة ١٠٤ : « وانحدر الى دور قنى وتقبل فيه » [201] .

وقال في الصفحة ١٠٣ في ترجمة الجاثليق ايليا الثاني : « ثم انحدروا الى دير قنىوخرج الكهنة والاسكولانيون من دير ماري السليح واستقبلوه

(١٩٩) الديارات « ص ١٧١ » ، قال ياقوت : « واما الآن فلم يبق من هذا الدير غير سوره وفيه رهبان صعاليك، وكانه خرب بخراب النهروان». (معجم البلدان) .

(٢٠٠) فطاركة كرسي المشرق « عمرو بن متي ص ١٢٤ » ، وقد سماها « بيعة المدائن » كما في الصفحة ١٢ . وذكر ماري بن سليمان انها البيعة الكبرى وانها غير دير قنى « الفطاركة ص ٤ » .

(٢٠١) المرجع المذكور « ص ١٠٤ » .

بالصليب والانجيل والشموع ... ثم قصدوا دير مارجبرائيل بديرالكرسي، وتقبل فيه وعاد بالجموع صاعدا الى بغداد » وكان انحدارهم بعد أن نصبوه فطركا بالمدائن كما ذكر الموءلف ، وكان ذلك سنة ٥٠٤ هـ : وكل أخبار الكتاب وغيره تدل على أن دير قنى هو دير المدائن الذي عنده البيعة العظمى .

فقولنا : ان دير المدائن يعرف بدير قنى هو كقولنا مثلا ان العمارة الحالية تعرف بالكوت الحالية .

٤٤ ـ وجاء في الصفحة ١٧٥ « الجاثليق بابالاها » بالباء المتواليتين وجاء كذلك مكررا في البحث ، والذي حفظناه هو « يبالاها » بالياء المثناة من تحت تليها الباء الموحدة او الالف ، ثم انه « يَبالاها » الثالث دون غيره (٢٠٢) ، وجاء في الصفحة ١٧٣ « مليخا » والصواب « مكيخا » بالكاف كما جاء في كتاب عمرو بن متى «١١٩» وهو مكيخا الثاني ، وأما مكيخا الاول فكان في خلافة المقتدي بأمر الله في القرن الخامس للهجرة تراجع « ص ١٠٢ » منه و « ص ١٣٧ » من كتاب الفطاركة لماري بن سليمان. وأما ما جاء في كتاب الحوادث فسببه أن موءلفه لا يلحق الكاف عصاها فظننتُها لاماً اذ ذاك ، ولا بُدَّ لنا من التصحيح والاخذ بالصحيح .

٤٥ ـ وجاء في الصفحة ١٨١ قوله : « والمرجح أن تنائج التزام المغول للنصارى على هذه الصورة في بغداد والموصل وبعض أقطار الشرق تعدت الى مصر فتنكر الملك الظاهر المعروف بالبندقدار لهم في مسيره الى بلاد الروم وظفره بالمغول في واقعة وقعت هناك بين الفريقين ومع أن سيرة البندقدار كانت حسنة جدا في بلاد الروم في هذه الرحلة ... الا انه نهب النصارى واخذ اموالهم وسبى ذراريهم عند عودته ... » .

قلت : انه « البندقداري » لا « البندقدار » فهو منسوب الى هذا

(٢٠٢) أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لعمرو بن متى « ص ١٢٢ ـ ١٢٥ » .

الاسم ، وصاحبه الامير علاالدين أيدكين البندقدار مملوك الملك الصالح نجم الدين ايوب الايوبي ، وكان سيد بيبرس المذكور ، فقيل لبيبرس البندقداري[٢٠٣]. والظاهر أن الاستاذ الجليل اخذ هذه التسمية من كتاب الحوادث « ص ٣٤٤ ، ٣٥٥ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ » وتاريخ مختصر الدول فانه سمّى بيبرس « البندقدار الصغير » ، قال في حوادث سنة ٦٥٨ : « ولما وصل (قوتوز) قريبا من غزة نهض عليه بيبرس المعروف بالبندقدار الصغير وقتله ... »[٢٠٤] والعمدة في ذلك التواريخ الشامية [٢٠٥] والتواريخ المصرية، ولعل الاستاذ رجح احدى التسميتين على الاخرى، الا انه لم يذكر الثانية « البندقداري » ولانبه على جوازها ، وأنا كنت قد نبهت على ذلك في حواشي كتاب « الحوادث » الا ان نعمان الاعظمي المنفق على طبع الكتاب حذف ذلك مع كثير من الحواشي حتى جدول الخطأ والصواب والاستدراك وذلك بشبهة الاقتصاد في النفقات . وأما القول ان نتائج التزام المغول على تلك الصورة في بغداد والموصل وبعض اقطار الشرق وتعدت الى مصر والشام فتنكر الملك الظاهر البندقداري لهم في مسيره الى بلاد الروم ، فمن الانتجاع البعيد في التاريخ ، لان النصارى في دمشق كانوا قد استطالوا على المسلمين بعد احتلال هولاكو للمدينة وأدخلوا الخمر في الجامع ، فأحقدوا المسلمين وغاظوهم ، قال أبو الفداء في حوادث سنة ٦٥٨ : « وفي خامس عشر شعبان من هذه السنة أخرج التتر من الاعتقال نقيب قلعة دمشق وواليها وضربوا اعناقهما بداريا . واشتهر عند أهل دمشق خروج العساكر من مصر لقتال التتر ، فأوقعوا بالنصارى ، وكانوا قد استطالوا على المسلمين بدق النواقيس وادخال الخمر الى الجامع، فنهبهم المسلمون في سابع عشري رمضان من هذه السنة وأخربوا كنيسة

---

(٢٠٣) السلوك لمعرفة دول الملوك ١ : ٦٣٧ » .

(٢٠٤) تاريخ مختصر الدول « ص ٤٩٢ » .

(٢٠٥) قال ابو الفداء : « وجرد قطر ركن الدين البندقداري » ، المختصر ٣ : ٢١٤ » .

مريم وكانت كنيسة عظيمة »[٢٠٦] . جرى ذلك في دمشق ولم يجر مثله من نصارى بغداد ولا جرى نهب عليهم ، فالاسباب بلدية محلية كما يقولون. وأراد الملك الظاهر ان ينتقم لرعاياه ودينه ، مضافا الى ان النصارى الذين نهب أموالهم كانوا من أعوان التتر ومواطئيهم على العدوان .

٤٦ ـ وقال في الصفحة ١٨٦ وهو يذكر ظفر الامير أبي فراس بن أبي فراس بالعرب الاجاودة المتعرضين ـ كانوا ـ لاذية الحاج سنة : « هذا ما ورد في كتاب الحوادث عن ظفر هذا الامير بعرب الاجاودة[٢٠٧] من المنتفك في ذلك العصر » أراد بالمنتفك المنتفق ، والذي حفظناه أن «الاجاودة» من قبيلة «غزية» لا من المنتفق وغزية من جشم بن معاوية ابن بكر بن هوازن وأن المنتفق من عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة من هوازن ؛ قال القلقشندي في بني عامر بن صعصعة هم اخوة بني المنتفق[٢٠٨] ، فهم قد تشعبوا وانخزل بعضهم عن بعض .

وقال ابن فضل الله العمري : « عرب غزية قال الحمداني (بدرالدين أبو المحاسن يوسف بن أبي المعالي) : هم بطون وافخاذ ولهم مشايخ ... مياههم ... مياه الاجود لينة والثعلبية » ثم قال : « بطن الاجود بن غزّية : آل منيع وآل سنيد وآل سند وآل مناف وآل أبي الحزم وآل علي وآل عقيل وآل مسافر، هؤلاء المشهورون ، من بطون غزية»[٢٠٩]. قلت: وذكر لي نصر بن نرجس المشرقي زيادة اولاد الكافرة وساعدة وبني جميل

---

(٢٠٦) المختصر « ٣ : ٢١٣ » .

(٢٠٧) قال موءلف الحوادث « العرب الاجاودة » وهو الصواب ، وقال الشيخ الجليل « عرب الاجاودة » وليس بصحيح لان قولنا « عرب الاجاودة » يفيد أن فيهم من غير العرب .

(٢٠٨) نهاية الارب في معرفة انساب العرب « بنو عامر » و « بنو المنتفق »، و«بنو الاجود» .

(٢٠٩) ذكر قبلهم « آل دهيج وآل روق وآل رفيع وآل سرية وآل مسعود وآل تميم وآل شمردل » .

وآل أبي مالك » وكان قد قال : « واما مرة ... ويأتيهم من عرب البرية من نذكره ، فمن غزية : غالب وآل أجود والبطنين وساعدة »[٢١٠] .

وخلاصة القول أن « الاجاودة » ليسوا من فرع المنتفق بل من غزية التي عناها الشاعر بقوله :

وهل أنا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية أرشدِ

ومن بني الاجود دهمش بن سند بن أجود الذي ذكره الامير علي بن مقرّب العيوني الشاعر في قوله :

منا الذي ضربت حمر القباب له بالمشهدين وأعطى الامن وانتقما
لو لا عياذ بني الجراح منه به لصاحبت دهمشاً أو ألحقت دَرِما[٢١١]

قال شارح ديوانه : يعني بالمشهدين مشهد علي ــ رضي ــ ومشهد ابنه الحسين ــ رضي ــ . وبنو الجراح هم الامراء المعروفون ببني ربيعة رهط سعد بن فضل ومانع بن حديثة ومسعود بن بريك بن السميط . ودهمش هو دهمش بن سند بن أجود سيد غزية . والذي ضربت له القباب بالمشهدين هو الامير محمد بن أبي الحسين أحمد بن أبي الفضل بن عبدالله العيوني ، وكان من حديثه أن سعيد بن فضل ومانع بن حديثة ومسعود بن بريك أمراء بني ربيعة جمعوا قبائل طيىء وزُبيد والخلط وجميع عرب الشام ، واجتمعت اليهم قوم دهمش بن سند بن أجود وساروا يريدون أرض بني عقيل وهم عامر وعائذ وخفاجة ومن خالطهم من قبائل قيس وربيعة وغيرها . وكان الامير محمد بن أبي الحسين يومئذ قد رأس على قبائل

(٢١٠) مسالك الابصار « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٨٦٨ الورقة ١٠٥ ، ١٢٣ » .

(٢١١) قال في القاموس « ككتف شيباني قتل ولم يدرك بثاره فضرب به المثل او فقد كما فقد القارظ العنزي » . وقال شارح الديوان : درم رجل من العرب قتل فلم يطلب بثاره فقيل : اودى من هرم . اي اهلك منه، فصار يضرب به المثل لمن يقتل ولا يوءخذ له بثار ويذهب هدرا » « ص ٤٦١ » .

العرب وهو اذ ذاك في الاحساء . فسمعت بنو خفاجة وعبادة ومن معهم بتجهيز تلك السرايا ، فبعثوا الى الامير محمد بن أبي الحسين من يخبره بالخبر وهم(٢١٢) على خوف مما فعلوا بطريق مكة من غصب الحاج على ما أرادوه ، فشكا الحاج الى الخليفة الناصر لدين الله ، وقد بعث الخليفة رسولا الى الامير محمد(٢١٣) بن ابي الحسين يخبره بذلك ويحثه على النهوض الى دهمش وقومه والتنكيل بهم والنكاية فيهم على ما فعلوا بالحاج، بحسب ما يقدر عليه فيهم ، واستنهض الامير جميع عرب البحرين وجميع جنوده حتى لحق بالعراق ، وانضمت اليه عربها من (المنتفق) وعبادة وخفاجة حتى استكملت جيوشه ، وسار حتى لقي جموع الامراء من بني ربيعة وطيء وزبيد وعرب الشام ، وكان ذلك بظاهر الكوفة ، فالتقوا واقتتلوا ، فحمل عليهم الامير محمد وحملت عليهم أولاده بحملته وجميع جيوشه فانهزمت جيوش طيىء ومن معها حتى بلغوا رحالهم ، ثم ان الامراء من بني ربيعة أرسلوا الى الامير محمد يناشدونه بالنسب والقرابة ويذكرونه الحمية ، لانهم يقولون ان امراء بني ربيعة من نزار ، فرقّ لهم ، وعطف عليهم، فأجارهم وأجار أهلهم وأموالهم ، ولم يجر دهمشا ، فدخل دهمش مشهد

---

(٢١٢) يعني المتجمهرين ، قال ابن الدبيثي في ترجمة سنجر بن عبدالله التركي الناصري ابي الحارث : « احد مماليك الخدمة الشريفة الامامية ـ خلد الله ملكها ـ تولى امارة الحاج في سنة ٥٨٩ واقطع الحويزة وأضيف اليه خمسمائة فارس ، فحج بالناس هذه السنة وعاد في صفر سنة (٥٩٠) فاعترض الحاج في طريقهم رجل من غزنة يعرف بدهمش وطلب منهم ما قرره عليهم ليجيزهم » فألزم سنجر موسري الحاج بذلك وجمعه له وسلمه اليه .. فأنكر الديوان على سنجر ما فعله وألزم برد ما أخذ من كل واحد ... وعزل سنجر عن امارة الحاج خاصة ... » . « ذيل تاريخ بغداد ؛ نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ لورقة ٧٤ ، ٧٥ » .

(٢١٣) قال الشارح : « كان الخليفة الناصر قد عظمه وشرفه تشريفا جليلا وفرض له في كل سنة من بغداد الفا ومائتي ثوب من عمل مصر اكثرها ابريسم ، وفرض له في البصرة كل سنة الفا وخمسمائة حمل حنطة وشعيرا وارزا وتمرا مدة حياته » . « ص ٤٦٣ » .

علي ـ ك ـ وتحرَّم به وأقام مستجيرا بقبره ، فأقام الامير محمد بن أبي الحسين على دهمش الحُراس بباب المشهد يحفظونه لئلا يهرب، وبعث الى الخليفة الناصر لدين الله رسولا يخبره بذلك ليرى الخليفة فيه رأيه، فأرسل الخليفة الى دهمش رجالا ليقبضوا عليه، فقبضوه ووردوا به مع غلمان الامير محمد بن أبي الفضل الى بغداد ، فاستتابه الناصر لدين الله عن الفساد في الطرق ، وضرر الحاج ، فتاب ، وخلع عليه الخليفة وخلى سبيله » . وقال الشارح بعد ذلك : « وكان الامير محمد بن أبي الحسين العيوني قد جمع قبائل عامر وعائذ وخفاجة وعبادة (والمنتفق) وجميع من كان معه من القبائل حين واقع طيىء ومن كان معهم . ممن قدمنا ، وكان لما أحضرت الغنائم أمر غلمانه بان يركزوا رمحين وقال : لا يجوز أحد منهم الا من بين الرمحين غاديا ورائحا ، ووقف على فرسه ، وصار كل من مرّ به أخذ بما حصل له من المغنم فاذا استحسن شيئا أمر غلمانه بضمه اليه فيضمونه عندهم حتى جازت تلك القبائل كلها من بين الرمحين، ومن لا يجوز من بين الرمحين اخذه أصلا، فجمع من الخيل والابل والخدم والامتعة ما لا يحصى عدده ، وغنَّم من أراد وخيَّب من أراد لانه صار يأخذ من كسب هذا ويعطيه هذا فلا يقدر أحد على انكاره»[214] .

ففي هذه الحرب كانت المنتفق محاربة لبني الاجود ، فكيف تكون الاجود من المنتفق ؟! ومما يدل بوضوح على أن غزّية كانت منفصلة عن المنتفق يومئذ عشيريا وسياسيا ما ذكره الموءلف ابن الجوزي في حوادث سنة ٥١٧ قال : « ثم وصل الخبر بأن [215] دبيسا حين هرب مضى الى غزية فأضافوه وسألهم أن يحالفوه فقالوا : ما يمكننا معاداة الملوك ونحن

---

(٢١٤) شرح ديوان ابن مقرب العيون « ص ٤٦١ ـ ٤٦٤ » .

(٢١٥) هو ابو الاغر دبيس بن صدقة الاسدي صاحب الحلة وقد لقبته بالملك :لـائه ، وترجمته معروفة في كتب التراجم والتواريخ كالوفيات والمنتظم ومرآة الزمان وكامل التواريخ والتاريخ الاتابكي ، وتاريخ حلب ، قتله السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي سنة ٥٢٩ .

بطريق مكة وأنت بعيد النسب منا ، وبنو المنتفق أقرب اليك نسبا ، فمضى اليهم وحالفوهم ... » [٢١٦] .

٤٧ ـ وجاء في حاشية الصفحة (١٩٠) : « اختزل ابن الفوطي كلمة الايلخانية بكلمة (الايليّة) وهـو يستعملها في معجمـه بمعنى الدولـة الايلخانية مثل قوله : كان لا يدخل الى السلاطين الايلية الا من يعرفه[٢١٧]، انظر المعجم ٥ : ٢٣٣ » .

قلت : الصحيح أن ابن الفوطي لم يكن اول مـن اختـزل كلمـة « الايلخانية » بل اختزلها قبله والد العلامة الحلي الحسن بن يوسـف ابن المطهر وهو سديد الدين يوسف فقد قال العلامة في كتابه « كشـف اليقين في فضائل امير الموءمنين » في باب اخباره بالمغيبات : « مـن ذلك اخباره بعمارة وملك بني العباس وذكر أحوالهم وأخذ الملك منهم . رواه والدي ـ رضي ـ وكان ذلك سبب سلامة أهل الكوفة والحلة والمشهدين الشريفين من القتل ، لانه لما وصل السلطان هولاكو الى بغـداد قبـل أن يفتحها هرب أكثر (أهل) الحلة الى البطائح الا القليل فكان من جملـة القليل والدي ـ رضي ـ والسيد مجدالدين بن طاوس والفقيه ابن أبي العز ، فأجمع رأيهم على مكاتبـة السلطان بأنهم مطيعون داخلون تحت (الايليّة) » [٢١٨] . فالايلية قد استعملت منـذ سـنة ٦٥٦ وعمـر ابن الفوطي ايامئذ ١٤ سنة .

٤٨ ـ وذكر في الصفحة ١٩٦ ترجمة السيد جمال الدين أحمد بن علي

---

(٢١٦) المنتظم « ٩ : ٢٤٥ » .

(٢١٧) ثم قال في الصفحة ١٩٥ : « حيث قامت لهم (للمغول) دولة معروفة تسمى الايلخانية وقد تسمى الايلية اختزالا واول من أطلق عليها هذا الاسم المختزل موءرخ العراق ابن الفوطي ، فعل ذلك اكثر من مرة في معجمه » .

(٢١٨) روضات الجنات « ج ٢ ص ٢٣٣ » .

الحسيني العبيدلي الحلي المعروف بابن مهنا ، وذكر أنه من أعلام اواخر المائة السابعة في العراق ومن أجل مشايخ ابن الفوطي وان ابن الفوطي نقل عنه ومن مصنفاته كثيرا في كتابه تلخيص مجمع الآداب ولقبه بالعلامة ، ونقل الاستاذ الجليل أسماء كتبه من تلخيص المعجم ، وقد فات ابن الفوطي اسم كتاب مهم من كتب استاذه ابن مهنا لم يذكره فيما وجد من كتابه التلخيص ولعله ذكره في موضع آخر منه ، قال صلاح الدين الصفدي في ذكر التواريخ الجامعة : « ترجمان الزمان لجمال الدين بن مهنا العلوي » (٢١٩) .

هذا ولم يذكر الشيخ الجليل الا الجانب الممدوح من سيرة السيد ابن مهنا وهذا يجعل الكتاب كتاب تقريظ واطراء ، ولم يذكر سنة وفاته ، قال موءلف غاية الاختصار وهو من مراجع الاستاذ الجليل في آسرة ابن مهنا: « ومنهم أحمد أبو الفضل بن محمد بن مهنا ، كان سيدا فاضلا نسابة مشجرا قليل التحقيق ، رأيت بخطه مشجرا فلما تتبعته وجدت فيه من الاغاليط شيئا كثيرا ، حدثني بهاءالدين علي بن عيسى الاربلي الكاتب ـ رح ـ قال : حكي لي أن المنجم الذي سيّر مولد أحمد بن مهنا قال في جملة ماحكم له به : ويقول شعرا غير جيد » (٢٢٠) .

وقال العلامة شمس الدين الذهبي في وفيات سنة ٦٨٢ : « أحمد بن مهنا العلامة جمال الدين الحسيني العبيدلي، قال ابن الفوطي: عارف بالانساب وفنون الآداب ، أوحد في علمه ، صنف كتاب وزراء الزوراء وكتب عني وكتبت عنه ، مات ببغداد في صفر » (٢٢١) ، وقال ابن عنبة في ذكر بني مهنا السادة : « فمنهم الشيخ العالم النسابة المصنف جمال الدين أحمد

(٢١٩) الوافي بالوفيات « ١ : ٥٠ » .

(٢٢٠) غاية الاختصار « ص ٩٠ ، ٩١ » .

(٢٢١) تاريخ الاسلام « نسخة دار التحف البريطانية بلندن ١٥٤٠ الورقة ١٠ » .

ابن محمد بن مهنا بن الحسن بن محمد بن المسلم بن المهنا المذكور ، صاحب كتاب وزراء[222] الزوراء ، له عقب » [223] .

٤٩ ــ وذكر الاستاذ الجليل في الصفحة المذكورة آن ابن الفوطي سمى لجمال الدين بن مهنا المقدم ذكره كتاب « لطائف المعاني في شعراء زماني » وغيره من موءلفاته ، وليس ذلك بمستقيم ، فان ابن الفوطي عد هذا الكتاب في تآليف شيخه تاج الدين علي بن أنجب المعروف بابن الساعي ، قال مثلاً في ترجمة عميد الدين ابى المظفر منصور بن أحمد الدجيلي المقدم ذكره : « ذكره شيخنا تاج الدين ابو طالب في تاريخه وفي كتاب لطائف المعاني في شعراء زماني ... » [224] . وذكره لـه كـاتب جلبي في كشف الظنون « ع ١٥٥٤ » .

والظاهر أن اسم هذا الكتاب التبس على الاستاذ الجليل باسم كتاب «الطرف الحسان في أعيان الآن » لجمال الدين بن مهنا المذكور ، قال ابن الفوطي في ترجمة كمال الدين أبي علي محمد بن يوسف بن هبة الله ابن البوقي الواسطي الحاجب الكاتب الاديب : « كان من حجاب المناطق ، ذكره شيخنا جمال الدين ابو الفضل بن مهنا في كتاب (الطرف الحسان في أعيان الآن) وانشد له شعرا في صبيّ اسمه عثمان من التركمان...» [225] .

٥٠ ــ وورد في الصفحة ٢٠٣ قوله : « وفي معجمه أي معجم ابن الفوطي ما يدل على أن خبرته في هذا الشأن ــ يعني علم اللغات ــ تناولت معرفة اللهجات المغولية والتركية على اختلافها وتعدّدها (كـذا) ... والامثلة على ذلك غير قليلة في معجمه ، من ذلك ما قاله في ترجمة هزّال

(٢٢٢) في الاصل المطبوع من عمدة الطالب بالهند « وزير » وهو تصحيف لطيف .

(٢٢٣) عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب « ص ٢٩٥ » طبعة بومبي سنة ١٣١٨ هـ .

(٢٢٤) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ١٤٩ من نسختي بخطي » .

(٢٢٥) تلخيص معجم الالقاب « ٥ : الترجمة ٥٧٥ من الميم » .

عراقي يتكلم المغولية وهذا نصه : جمال الدين أبو المحاسن احمد يعرف بان الشديدي ، له نظم حسن وكان يلبس القميص والقباء ... وكان يتكلم المغولية بدون تفخيم الالفاظ من غير معرفة بها » .

ولم يحسن الاستاذ الجليل النقل من الكتاب ، ودونك النص الصحيح: « كمال الدين ابو المحاسن منصور بن أحمد يعرف بابن الشديدي الكوفي الظريف الشاعر ، كان من ظرفاء العصر ، وله نظم حسن وكان يلبس القميص والقباء ، ويحضر في مجالس الصدور الكبار ويتكلم بالمغولية بتفخيم الالفاظ من غير معرفة بها ، ويتمسخر في كلامه ، وقد ذكرته في التاريخ ، وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وستمائة وحضر في مجلس مولانا نصيرالدين[٢٢٦] .

فالنقل الاول قد غير من الترجمة ، فكمال الدين صار فيها « جمال الدين » و « منصور بن احمد » صار فيها « أحمد » و «بتفخيم الالفاظ» صارت « بدون تفخيم الالفاظ » ، وقد سبب ذلك للاستاذ الخطأ في الحكم فقال بعد ذلك : ومعنى هذا القول أن منطق المغول يتميز بتفخيم الالفاظ» . والامر بالعكس ، لأن ابن الفوطي قال « ويتكلم بالمغولية بتفخيم الالفاظ من غير معرفة بها » . فهو قد كان يتكلم بتفخيم وترنيم تغطية لجهله اللغة المغولية ، فتأمل ذلك .

٥١ ــ وجاء في الصفحة ٢٠٦ قوله : « تكرّر ذكر الخاتونية في مجمع الآداب وفي كتاب الحوادث » وقال في الحاشية : « كتاب الحوادث ٢٢٤ والخاتونية كما يظهر من معجم ابن الفوطي محلتان خاتونية داخلة وهي المحلة القديمة وخاتونية خارجة استجدت بعد ذلك ، والظاهر أن بعض محلات بغداد اتسعت في عصور المغول وأضيفت اليها اقسام جديدة » .

قلت : الاستاذ الجليل يكلف نفسه حين يتكلم شيئا على خطط بغداد

(٢٢٦) تلخيص معجم الالقاب « ٥ : الترجمة ٥٦٨ من الكاف » .

الشائكة العويصة فيستنبط أمورا لا وجود لها في الواقع الخططيّ ، فقد ذكر ابن الجوزي في استخلاف المقتدي بأمر الله ابن الذخيرة بن القائم بأمر الله سنة ٤٦٧ أنه في خلافته عـُمر الجانب الشرقي من بغداد ، فعمرت البصلية والقطيعة ... والخاتونيتين ، والمقتدية» (٢٢٧) . فالخاتونية الخارجة لم تستجد بعد ذلك بل عمرت منذ اواخر القرن الخامس للهجرة، وفي سنة ٥٧٧ كانت معمورة أيضا ، أي قبل العصر الذي اشار اليه الاستاذ الجليل ، قال القفطي في ترجمة كمال الدين بن الانباري : « وكان مقيما برباط له بشرقي بغداد في الخاتونية الخارجة » (٢٢٨) . وكانت وفاته سنة ٥٧٧ .

وقال ابن الدبيثي المتوفى سنة ٦٣٧ في احدى التراجم من تاريخه : « محمد بن علي بن هبة الله ابو بكر المقرىء الناسخ ، من أهل واسط سكن بغداد واستوطنها الى حين وفاته ، وكان يوءم بمسجد الخاتونية الخارجة بدرب يعرف بدرب الشيرجي ويقرىء فيه ... » (٢٢٩) .

وقال في ترجمة ابي طاهر شعبان بن بدران بن أبي طاهر بن مضروب المقرىء : « من اهل بادرايا ، سكن بغداد ونزل الخاتونية الخارجة وسمع ببغداد ... » (٢٣٠) .

وكانت الخاتونية الداخلة تسمى « دركاه خاتون أيضا » وقد سكنت فيها خاتون سلجوقية أخرى هي السيد فاطمة بنت السلطان محمد بن ملكشاه زوج الخليفة المقتفي لامر الله قال ابن خلكان في نشرة وفياته

(٢٢٧) المنتظم « ٨ : ٢٩٣ » .

(٢٢٨) انباه الرواة على انباه النحاة: « ٢٧٠ » . وقال ابن الدبيثي في تاريخه انشدني ابو البركات عبدالرحمن بن محمد الانباري من لفظه برباط له بشرقي بغداد في الخاتونية الخارجة ...» . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ١٢٥ » .

(٢٢٩) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢١ الورقة ٩٢ » .

(٢٣٠) المرجع المذكور « ٥٩٢٢ الورقة ٧٩ » .

الاولـــى [٢٣١] :

« تزوج الامام المقتفي لامر الله فاطمة بنت السلطان محمد المذكور، وكان الوكيل في قبول النكاح شرف الدين ابو القاسم علي بن طراد الزينبي وذلك في سنة احدى وثلاثين وخمسمائة وحضر أخوها مسعود العقــد ، ودخلت فاطمة المذكورة الى دار الخلافة للزفــاف ســنة اربــع وثلاثين (وخمسمائة) ويقال انها كانت تقرأ وتكتب ولها التدبير الصائب وسكنت في الموضع المعروف بدركاه خاتون ، وتوفيت في عصمته يوم السبت الثــاني والعشرين من شهر ربيع الآخــر ســنة اثنتين واربعين وخمسمائة ودفنت بالرصافة ــ رحمها الله تعالى ــ » [٢٣٢] . وأعاد ابن خلكان هذا القول في نشرة كتابه الجديدة [٢٣٣] أي الثانية .

وقال محب الدين أبو عبدالله محمد بن محمود المعروف بابن النجار في ترجمــة أبي الحسن علي ابن أنوشتكين الجوهري : « مــن ســاكني دركاه خاتون بباب الحرم من دار الخلافة ، كان يبيع الجوهر ثم كبر وأسن فأنقطع في منزله ... » [٢٣٤] . وذكر أن وفاته كانت في سنة ٥٧٨ .

وظهر لي أن المؤرخ الذي يسمي الخاتونية « دركاه خاتون » كــان لا يحتاج الى تسمية الخاتونية الاخرى بالخاتونية الخارجة ، وهو شأن ابن الساعي [٢٣٥] . واذ كان ابن الفوطي في عصر تسمى فيه اسم «دركاه خاتون»

---

(٢٣١) هذه النشرة هي النسخة الاولى للوفيات ، وتختلف عن الثانية وهي المطبوعة بمصر وايران بعض الاختلاف ، كاحتوائها على تراجم جماعــة من خلفاء بني العباس ومنهم المتوكل على الله ، انتسخ هذه النسخة ونشرها بخطه في المانيا المستشرق الكبير فرديناند وستنفيلد الالمــاني سنة ١٨٣٥ » .

(٢٣٢) الوفيات ، طبعة وستنفيلد « الترجمة ٣ ، ٧ » .

(٢٢٣) الوفيات « ٢ : ١٥٧ ــ ١٥٨ طبعة بلاد العجم » .

(٢٣٤) التاريخ المجدد لمدينة السلام«نسخة المكتبة الظاهرية ، الورقة ١٩١ ».

(٢٣٥) الجامع المختصر « ٩ : ٥٩ ، ١٣٧ » .

وجب على المؤرخ أن يذكر الخاتونية مميزة بالداخلة أو بالخارجة ، في سياق التاريخ . ولما نشرت كتاب الحوادث لم أكن أعلم أن في بغداد محلة تسمى « الخاتونية » وانما كنت أعرف « دركاه خاتون » الوارد ذكرها في الوفيات ، فلذلك ظننتها تصحيف « المأمونية » كما قلت في «ص ٢٢٤» منه ، ثم اطلعت عليها في الجامع المختصر وذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي وتلخيص معجم الالقاب اخيرا .

٥٢ ــ وتكلم في الصفحة ٢١٠ على ابناء نصير الدين الطوسي الثلاثة صدرالدين علي وفخرالدين أحمد وأصيل الدين الحسن ، وأحسن الثناء عليهم وذكر أن السلطان محمود غازان قتل فخر الـدين منهم في سيواس من بلاد الروم يومئذ ، سنة (٧٠٠ هـ) ، [٢٣٦] ولم يذكر سنة وفاة أصيل الدين الحسن ، قال ابن تغري بردي في وفيات سنة ٧١٥ : « وتوفي الشيخ أصيل الدين الحسن ابن الامام العلامة نصير الدين محمد بن محمـد بن الحسن الطوسي البغدادي ، كان عالي الهمة ، كبير القدر ، في دولة غازان، وقدم الشام ورجع معه الى بلاده ، ولما تولى خربندا الملك ووزر تاج الدين علي شاه قرّب أصيل الدين هذا الى خربندا حتى ولاه نيابة السلطنة بغداد ثم عُزل وصودر . وكان كريما رئيسا عارفا بعلم النجوم لكنه لم يبلـغ فيه رتبة أبيه نصير الدين الطوسي ، على أنه كان له نظـر في الادبيـات والاشعار ، وصنف كتبا كثيرة وكان فيه خير وشرّ ، وعدل وجور ، ومات ببغداد » [٢٣٧] . وقال موءلف غاية الاختصار المجهول ، ان صحت تسمية كتابه بهذا الاسم ــ ص ٩ ــ : « ذكر الباعث الـذي حداني على هـذا الكتاب : أنه لما وردت الى مدينة السلام صحبة الحضرة السلطانية ورأيت المولى الوزير الاعظم الصاحب الكبير المعظم ملك افاضل الحكماء ، قدوة أماثل العلماء ، مختار الملوك ، عضد الوزراء ، أصيل الحق والدين ، نصير

---

(٢٣٦) ترجمـه ابن الفوطي فـي معجمـه وذكـر موءلف الحوادث شـيئا من اخباره .

(٢٣٧) النجوم الزاهرة « ٩ : ٢٣٢ » .

الاسلام والمسلمين ، الذي أنشر ميت الفواضل ، ونشر طي الفضائل ، وأقام مراسيم العلوم ، في عصر كسدت فيه سوقها ، وأنهض مقعدات المحاسن بعد ما عجزت عن حمل أجسامها سوقها ، وذبّ عن الاحرار،في زمان هم فيه أقل من القليل ، وملأ أيديهم من حبـائه بأياد واضحة العـزة والتحجيل ، وحقن منوجوههم ما دونه اراقة دمائهم، وحرص عليهم وقدشارفوا زوالها، بقية ذمائهم ، وأفاء عليهم ظل رأفة لا ينقل ، وخفض لهم جنـاح رحمتـه فما فتىء يتفضل عليهم ويتطوّل ، كلما ازداد رفعة وتمكينا ، زاد تواضعا ولينا ، وكلما بلغ من الشرف غاية ، رفع للتواضع راية ...

يا ابن النصير وما الزمان مسالمي ... إلا وأنت على الزمان نصيري
سألوك في علم النجوم لو أنهم ... قد وُفّقوا سألوك في التدبير

العالم الذي جمع أشياخ العلم بين يديه لاقتباس الفوائد ، واقتناص الشوارد ، وشاربه ماطرّ ، وعذارُه ما يقل ولا اخضرّ ، فكـأن القـائل عناه بقوله :

بلغ العلاء بخمس عشر حجـة ... ولداتـه إذ ذاك في أشغال

الذي ما ظلم لأنه أشبه أباه ، فلم يغادر من نهاه شيئاً إلا حواه ... أبو محمد الحسن ابن مولانا الامام الاعظم ، امام العلماء ، وقدوة الفضلاء وسيد الوزراء ، فريد دهره علماً وفضلاً ، وقريع دهـره جلالـة ونبلاً . نصير الحق والدين ، ملاذ الاسلام والمسلمين أبي جعفـر محمـد بن أبي الفضل الطوسي ــ قدس الله روحه ونور ضريحه ــ حضرت مجلسهالارفع الاسمى ، ومثلت بحضرته الجليلة العظمى ، فشنفت مسامعي بمفاوضـات أوعيت منها دُرّا ، ووعيت بيانا كالسحر ان لم يكن سحرا ، فأدتنا شجون الحديث الى الاخبار والانساب ، فأعربت مفاوضته عن علم جم ، وفضـل باهر وفهم ، واطلاع كافل باضطلاع ، ولقد والله ردني(٢٣٨) في اشياء كنت

(٢٣٨) الصواب « رد علي » لأن المردود هـو القول أو الخبـر او الحجـة ، ولا يستعمل «رده» الابمعنى«أعاده» و «أرجعه»، فكيف يكون هومرجوعا معاداً ، فتقدير قوله « رد علي قولي » .

واهما فيها من علم النسب والاخبار ، ولست امدحه بهذا القول :

ألم تر أن السيفَ ينقص قدره   اذاقيل هذا السيف أمضى من العصا

ولكني حكيت الواقع فقال : في اثناء المفاوضة : أريد أن تضع لي كتابا في النسب العلوي ، يشتمل على أنساب بني علي لأقف منه على بيوت العلويين ، فأجبته بالسمع والطاعة ... » .

٥٣ ـ وقال في قتل السلطان غازان لفخر الدين أحمد بن النصير الطوسي كما قدمنا وذلك في الصفحة ٢١٠ بعينها : « وهذا من أكبر الادلة على أن شرّ المغول وغدرهم بأصحابهم ورجال دولتهم غير مأمون فقتل فخر الدين أحمد هذا وهو عميد أسرة عنيت بخدمة الدولة الايلخانية من عصر هولاكو الى أيام غازان » .

قلت : لم يكن فخر الدين أحمد عميد اسرة الطوسي فقد كان أصغر من أخويه صدر الدين علي وأصيل الدين الحسن ، قال ابن الفوطي في ترجمته : « فخر الدين أبو القاسم أحمد بن محمد بن محمد بن الحسن الطوسي محتدا المراغي مولدا الحكيم المتولي الوقوف . كان أصغر أخويه، جميل السيرة، حسن الصورة، كريم الكف، حيي الطرف ، لطيف الاخلاق، حلو العبارة ، اشتغل مع اخوته على مولانا رشيد الدين الرازي ، وكتب على مولانا نجم الدين أحمد بن البواب واشتغل بالعلوم الرياضية ، وقدم العراق في خدمة أرغون ابن السلطان أباقا في شعبان سنة احدى وثمانين (وستمائة) [٢٣٩] ، ولما جلس أرغون على سرير المملكة اجراهم على ما بأيديهم من الفرامين القديمة ،وورد بغداد صحبته الامير أروق في

---

(٢٣٩) لم يذكر موءلف كتاب الحوادث قدومه العراق في تلك السنة ، وهذا موضع حسن للمقابلة بين الموءلفين ، يوضح اختلافهما وتفرد كل منهما بذاتية وشخصية ووجهة .

منتصف شعبان سنة ثلاث وثمانين (وستمائة) [٢٤٠] ، والناس قد قحطوا ، والائمة من خير الوقف وخبزه قد قنطوا ، فأجراهم على أحسن القواعد، وأدرّ أخبازهم ووظائفهم، وعوتب على ذلك فلم يصغ الىمقالهم، وشكرت طريقته وقصده الشعراء فأجزل صلتهم . وقتل بسيواس من بلاد الروم في يوم الاحد حادي عشري ذي الحجة سنة سبعمائة ، ونقل الى مَراغة فدفن عند أخيه » .

ومما قدمت يعلم أن صدر الدين عليا كان عميد الاسرة بعد وفاة أبيه وأن أصيل الدين عميدها بعد وفاة صدر الدين علي ، ومات فخرالدين أحمد قبل موت صدرالدين ، فلم يبلغ أن يكون عميدا ، قال الحسن بن أحمد الاربلي الحكيم المؤرخ : « سافرت الى مَراغة وتفرجت في هذا الرصد ، ومتوليه صدرالدين علي بن الخواجا نصير الدين الطوسي ، وكان شابا فاضلا في التنجيم والشعر بالفارسية ... » [٢٤١] . وهذا تأييد لما قلت من أنّ صدرالدين عليا كان أكبرهم وعميد الاسرة ، وقد ذكرنا أن ابن الفوطي نسخ له كتاب الاحكام سنة ٦٨٠ تلك السنة التي حسبها الاستاذ الجليل سنة ٦٦٨ كما مرّ ، وقد نعته ابن الفوطي بأعظم النعوت قال وقد ذكرنا قوله : « علّقه لخزانة كتب سيدنا ومولانا المخدوم الصاحب المعظم ، صدر الحق والدين ، نصير الاسلام والمسلمين أبي الحسن علي ابن مولانا المعظم نصير الدين أبي جعفر محمد بن محمد الطوسي ـ أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره ـ عبده وخادمه وغرس أياديه وأنعمه عبدالرزاق بن أحمد بن محمد البغدادي بمنزله بالخاتونية الخارجة من

---

(٢٤٠) قال مؤلف الحوادث في أخبار سنة ٦٣٨ ـ ص ٤٤٣ ـ : « ووصل بعد ذلك فخرالدين احمد ابن خواجة نصير الدين الطوسي وقد اعيد أمر الوقوف بالممالك جميعها اليه وحذفت الحصة الديوانية ووفرت على اربابها ، فعين على مجدالدين اسماعيل بن الياس صدرا بالوقوف ... فعين (هذا) على عزالدين محمد بن شمام نائبا عنه فيها » . فتأمل الخبرين والاسلوبين فى التعبير .

(٢٤١) الوافي بالوفيات « ١ : ١٨٢ » .

شرقي مدينة السلام ... » .

والظاهر أن فخر الدين كان فيه شيء من الطيش والتهور ، فقد ذكر ابن الفوطي قدومه بغداد في شعبان سنة ٦٨١ في صحبة الامير أرغون بن أباقا بن هولاكو ، وسكت عن عمله في تلك القدمة ، وعن فعل أرغون ، أما صاحب كتاب الحوادث فقد ذكر أفعال أرغون المنكرة ببغداد ، قال : « وتوجه أرغون الى بغداد فدخلها في شعبان والامير علي جكيبان[٢٤٢] بين يديه ، واستنقذ صفي الدولة بن الجمل (النصراني) كاتب السلة من أصحاب علاء الدين (الجويني) صاحب الديوان وخلصهما مما كانا فيه من الصداع ثم أمر بعمل حساب العراق ، فعمل وتخلف على الضمناء شيء كثير ، فطولبوا به وضويقوا عليه ، وألزم أهل بغداد بالمساعدة ، وأحضر قاضي القضاة عزالدين بن الزنجاني وقرر عليه وعلى العدول عشرة آلاف دينار ، واستوفى ذلك بالعسف وكان كل من اختفى من الناس نهبت داره وبيع ما فيها ، وألزم نواب الاعمال الحلية والواسطية والبصرية وغيرهم بمثل ذلك ثم طولب أهل بغداد بأجرة املاكهم عن ثلاثة شهور فاستوفى من اكثرهم ، ثم تقدم باعفاء الناس كافة ثم عاد أرغون الى خراسان في الربيع »[٢٤٣] .

ولقد شهد فخرالدين أحمد بن النصير الطوسي هذه الافاعيل كلها ؛ وكان يعد من الموافقين عليها بمجرد صحبته لذلك الامير الطاغي الباغي المقيم على دين آبائه ، فلا عجب اذا كان فخر الدين ابن الطوسي عرضة لاساءة الثناء عليه والسعايات المهلكة في ذلك العصر المضطرب الاحوال ، الذي اختلت فيه القيم الاخلاقية ، وأطلقت فيه الوحشية من عقالها ، وكانت التهمة فيه والموت سواءاً .

٥٤ ــ وذكر في الصفحة ٢٣٨ ، ٢٣٩ طائفة من اسماء الكتب التي

---

(٢٤٢) ذكر في حوادث سنة (٦٠٨) ان اصحاب علاء الدين الجويني اعتقلوا الامير علي جكيبان وصفي الدولة بن الجمل كاتب السلة «ص ٤١٧».

(٢٤٣) الحوادث « ص ٤٧٤» .

حوتها خزانة كتب آل طاووس، ذكر منها « كتاب التذييل لصدقة بن الحسن وهو من كتب التاريخ » . قلت والصواب « صدقة بن الحسين » قال ابو الفرج بن الجوزي في وفيات سنة ٥٧٣ : « صدقة بن الحسين بن الحسن أبو الفرج الحداد ، ولد سنة تسع وسبعين واربعمائة ، وكان في صباه قد حفظ القرآن وسمع شيئا من الفقه . وكان له فهم ... » . والمؤرخون مجمعون على أن اسم والده « الحسين » (٢٤٤) .

٥٥ ــ وورد في الصفحة المذكورة « كتاب الوزراء ليحيى بن محمد الصولي » . والصحيح « محمد بن يحيى الصولي » وهذا مما لا يحتاج الى استشهاد لتاريخ من التواريخ لاشتهاره واستفاضته .

٥٦ ــ وقال في الصفحة (٢٤٠) : « وكانت عند آل طاووس نسخة كاملة من معجم الادباء لياقوت ولا يخفى ان هذه الاصول وكثيرا غيرها وصلت الينا ناقصة او مبتورة أو مشوهة مغلوطة ، وعلى هذا تكون خزانة كتب رضي الدين علي بن موسى بن طاووس من أغنى خزائن الكتب العراقية في أواسط المائة السابعة الى أوائل المائة الثامنة ، أضف الى ذلك أن المؤلف(٢٤٥) يتحدث في كتابه هذا عن جملة من خزائن الكتب الكبرى ... ومن أمتعها حديث له عن خزانة علي بن يحيى المنجم البلدي (كذا) البغدادي

(٢٤٤) المنتظم « ١٠ : ٢٧٦ ــ ٢٧٨ . قال ابن الاثير في حوادث سنة ٥٧٣ : «وفيها في ربيع الآخر توفي صدقة بن الحسين الحداد الذي ذيل على تاريخ الزاغوني لبغداد». وقال سبط ابن الجوزي في السنة ٥٧٣: «وفيها توفي صدقة بن الحسين ابو الفتح الناسخ الحنبلي ويعرف بابن الحداد » . « مخ ج ٨ ص ٣٤٤ » وله ترجمة في ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ١ : ٣٣٩ » والشذرات « ٤ : ٢٤٤ » .

(٢٤٥) الظاهر ان الشيخ الجليل يريد موءلف « فرج المهموم » رضي الدين أبا القاسم علي بن موسى ابن طاووس المذكور لان البحث بعنوان « سفر مفيد » يعني به فرج المهموم .

وقد أنشأها في القفص[٢٤٦] يسميها خزانة الحكمة ... » .

قلت : باسترجاحي ما ذكرت في الحاشية راجعت كتاب «فرج المهموم» لتجديد العهد به ، فوجدت موءلفه يقول في الصفحة ١٥٧ : « فقد قال التنوخي في كتاب النشوار المذكور حدثني أبو الحسن بن أبي بكر الازرق قال : كان في نواحي القفص ضيعة نفيسة لعلي بن يحيى المنجم وقصر جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة ... » . فرضي الدين الطاووسي يذكر أنها أي الخزانة في « نواحي القفص » والشيخ الجليل يقول « وقد أنشأها في القفص » كما ذكرت ناقلا عنه ، والصحيح أنها كانت في ناحية من نواحي القفص ، تسمى « كِرْكِين »[٢٤٧] ، وأصل الخبر لياقوت الحموي وقد أشار الاستاذ الى ذلك في الصفحة ٢٤٢ من من كتابه وان كان للرضي بن طاووس نسخة من النشوار في خزانته ، قال ياقوت : « وحدث أبو علي التنوخي في نشواره (قال) حدثني أبو الحسن بن أبي بكر الازرق قال حدثني أبي[٢٤٨] قال : كان بكِرْكِين من نواحي القفص ضيعة نفيسة لعلي بن يحيى المنجم وقصر جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة ، يقصدها الناس من كل بلد ، فيقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم ، والكتب مبذولة في ذلك لهم والضيافة مشتملة عليهم ، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى ... »[٢٤٩] . فهذا كما ترى .

---

(٢٤٦) قال الشيخ في الحاشية : « أجتاز السمعاني في رحلته من الشرق الى العراق بالقفص (كذا) واورد عنها في كتاب الانساب نبذة لطيفة اشتملت على فوائد فاتت ياقوت الحموي كما قال موءلف مراصد الاطلاع ... » .

(٢٤٧) تصحفت على الاستاذ مرغوليوث المستشرق المعروف الى « كركر » فصارت عنده من بلاد الشمال النائية جدا « معجم الادباء ٥ : ٤٦٧ » .

(٢٤٨) جملة « حدثني ابي » سقطت من نقل الرضي الطاووسي في كتابه المذكور .

(٢٤٩) معجم الادباء « ٥ : ٤٦٧ » طبعة مرغوليوث .

٥٧ ــ ونقل الاستاذ الجليل الفوائد التي رآها في نسبة « القفصي » من الانساب خاصة بالقفص وأشرت الى وقوفه عليها في الحاشية ولـكنه أسقط سهوا اسم راو من رواة الخبر الادبي فجعل السمعاني من الراوين عن عاصم بن الحسن الكرخي(٢٥٠) ، قال ناقلا من الانساب : « وكانت أي القفص من متنزهات بغداد اجتزت بها وأنشدني عاصم بن الحسن الكرخي لنفسه: يا صاحبي بالقفص لا صاحبي...». والذي في الانساب « أنشدني أبو سعد ابن الدوري إملاءاً من حفظه ببغداد ، أنشدني عاصم بن الحسن الكرخي ... » .

(٥٨) وقال الاستاذ الجليل في الصفحة ٢٤١ : « وضبط السمعاني كلمة القفص بضم القاف مع أن صاحب المراصد ضبطها بالفتح ، هذا والمعول على كلام السمعاني في جميع ما يكتب عن القفص لانه رآها..».

قلت : ان ما ورد في بعض نسخ المراصد من فتح القاف في «القفص» انما هو من تصحيف النساخ ، ولذلك ترى النسخة المنشورة في القاهرة تذكر ضم القاف مشارا فيها الى فتحها في نسخة اخرى ، وكلمة «الضم» تلتبس بالفتح اذا صغرت الضاد وضخمت الميم . وقد رأيت من ذلك التصحيف كثيرا في المخطوطات السقيمة الخط ، التي كان نساخها من الجهال .

٥٩ ــ وقال الشيخ في الصفحة ٢٤١ بعينها : « ويستفاد من كلام هوءلاء البلدانيين أن موقع القفص فوق دجيل الحالية » . ثم قال في الصفحة ٢٤٢ التي تليها « هذا ما رواه الموءلف من اخبار خزانة الحكمة وصاحبها واذا كانت ناحية القفص ــ وهي تبعد مئات الاميال عن بغداد ــ

(٢٥٠) تنبهت على ذلك لاني كنت اعلم ان ابا سعد بن السمعاني لم يلق ابا الحسن عاصم بن الحسن بن محمد بن عاصم العاصمي الكرخي الاديب الشاعر المحدث المتوفى سنة ٤٨٣ بل روى عنه بالواسطة «مختصر انساب السمعاني بخطي ص ٤١٧ » . وخريدة القصر للعماد الاصفهاني « أصول التاريخ والادب من مجموعاتي ١١٤ ص ١٤ » وغيرهما .

تشتمل على مثل هذه الخزانة فكم خزانة اشتملت عليها بغداد نفسها في العصر المذكور ... » .

قلت : الميل القديم هو أربعة آلاف ذراع بالذراع السوداء التي تساوي «٥٠» سنتمترا على التقريب ، فهو كيلو متران على التقريب أيضا، ومئات الاميال أقلها ثلاثمائة ميل ، ومضاعفها ستمائة ميل وهو عدد الكيلو مترات المساوية لبعد القفص عن بغداد ، على تقدير الشيخ الجليل، وهذه مسافة أطول مما بين الموصل وبغداد ، مع أن القفص كانت تبعد مئات امتار عن أعلى بغداد يومئذ ، قال ابن عبدالحق في المراصد: «القفص: الضمّ والسكون ... وأيضا قرية ببغداد مشهورة فوقها قطربل » ، فتأمل قوله « ببغداد » وقوله « فوقها قطربل » . وكان قد قال « قطربل: بالضمّ ثم السكون وفتح الراء وباء مشدّدة مضمومة ولام ، وقد روي بفتح أوله وثانيه ، قال (ياقوت) : قرية بين بغداد وعكبرا . قلت : بين بغداد والمزرفة ، لان عكبرا (كانت) في الجانب الشرقي وهي في الغربي، وبينهما فراسخ بغداد، واليها ينسب الطسّوج الذي هي فيه، فيقال طسّوج قطربل ، وما فوق الصراة من أسافل سقي دجيل فهو من طسّوج قطربل وهي شمالي بغداد ، يضاف اليها الخمر والحانات وهي الآن (سنة ٧٣٩) خراب » . وعلى هذا أستطيع أن أقول ان «القفص» كانت قرية من ارض الكاظمية ، ألا تراه يقول « بين بغداد والمزرفة » والمزرفة كما في معجم البلدان لياقوت « قرية كبيرة فوق بغداد على دجلة بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ » . يعني خمسة عشر كيلو مترا تقريبا ، وهي اليوم معروفة أرضها داثر عمرانها ، فان كان ما بين بغداد والمزرفة خمسة عشر كيلو مترا ، وكانت قطربل بين بغداد والمزرفة وكانت القفص بين بغداد وقطربل فالمسافة بين بغداد والقفص قصيرة لا تتجاوز خمسة كيلو مترات فكيف تكون المسافة مئات الاميال كما قال الشيخ الجليل أي مئات الكيلو مترات ؟ ! .

٦٠ ــ وقال في الصفحة ٢٤٩ : « أشهر مشاهير بني المنجم : علي بن

يحيى بن أبي منصور ، يحيى بن علي بن يحيى ، هارون بن علي أبو حمد ، أحمد بن هارون ، علي بن هارون ، أسماء لمعت لمعان النجوم ، منذ منتصف المائة الثالثة الى منتصف المائة الخامسة في الدولة العباسية ... » .

قلت : ان أحمدهم المذكور هو «أحمد بن علي بن هارون» لا أحمد ابن هارون ، قال ياقوت في معجم الادباء ١ : ٢٣٢ : « أحمد بن علي ابن هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم أبو الفتح ، أحد من سلك سبيل آبائه في طرق الآداب ... » .

ثم قال ياقوت في ترجمة أبي الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى ابن منصور بن المنجم : وكان لعلي بن هارون ولد يقال له أبو الفتح أحمد ابن علي بن هارون المنجم ، كان أديبا فاضلا الا أني لم أقف له على تصنيف فلم أفرده بترجمة ، والمقصود ذكره ، وقد ذُكر هاهنا روى عنه أبو علي التنوخي في نشواره فأكثر ... » [٢٥١] .

وقد سها ياقوت عن أنه أفرده بترجمة ، فقال ما قال ، وقد أشرنا الى ترجمته ونبهنا على موضعها من معجمه . هذا وقد فات الاستاذ الجليل التنويه « بأبي الحسن أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى بن علي بن يحيى ابن المنجم » قال الخطيب البغدادي : « ذكر أبو عبيدالله المرزباني أنه كان أحد متكلمي المعتزلة ، مقدما فيهم ، وقال : توفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وقد جاوز التسعين » قال الخطيب : « وحدث المرزباني عنه عن أبيه وعميه أحمد وهارون [٢٥٢] » ، وقد ذكر ابن خلكان أن أبا الحسن أحمد بن يحيى هذا تمّم كتاب « الباهر » في أخبار شعراء مخضرمي الدولتين ، وعزم على أن يضيف الى كتاب أبيه سائر الشعراء المحدثين ، فذكر منهم أبا دلامة ووالبة بن الحباب ويحيى بن زياد ومطيع بن إياس وأبا علي البصير ، وقال ابن خلكان : وكان أبو الحسن أحمد المذكور

---

(٢٥١) معجم الادباء « ٥ : ٤٤٥ طبعة مرغليوث » .

(٢٥٢) تاريخ بغداد للخطيب « ٥ : ٢١٥ » .

متملكا فقيها على مذهب أبي جعفر الطبري وله كتب منها كتاب أخبار أهله ونسبهم في الفرس ، وكتاب الاجماع في الفقه على مذهب ابي جعفر الطبري ، وكتاب المدخل الى مذهب الطبري ، ونصرة مذهبه ، وكتاب الاوقات وغير ذلك » [٢٥٣] ، فهو اذن من أشهر مشاهيرهم .

وفات الاستاذ الجليل أيضا ذكر « ابي العباس هبة الله بن محمد ابن يوسف بن المنجم » قال أبو علي التنوخي : « حدثني أبو العباس هبة الله بن محمد بن يوسف المعروف بابن المنجم وهو أحد بني يحيى بن أبي المنصور المنجم صاحب المأمون [٢٥٤] ... ومحل أبي العباس في نفسه أشهر من ان يجهل في العلم والادب وقول الشعر ، والمعرفة بالجدل والفقه وغير ذلك مما يفوق به وقد نادم أبا محمد المهلبي ــ رحمه الله ــ واختص به ونفق عليه سنين كثيرة و (علماء) من بعده من الوزراء وغيرهم من الروءساء وهو أحد بقايا أهله ... » [٢٥٥] .

٦١ ــ وقال الاستاذ الجليل في الصفحة ٢٥٣ وهو يتكلم أيضا على آل المنجم الادباء الفضلاء : « قال عبيدالله بن أبي طاهر : كان علي بن يحيى مشتهرا بالادب مائلا الى أهله ... » . وعلّق الاستاذ على عبيدالله[٢٥٦] ابن أبي طاهر في الحاشية ما هذا نصه : « معجم الادباء لياقوت الحموي ٥ : ٤٥٩ وفي هذا الاسم تحريف والصواب عبيدالله بن طاهر ، حفيد طاهر

---

(٢٥٣) الوفيات « ٢ : ٣٧٩ » طبعة بلاد العجم .

(٢٥٤) قال التنوخي : « ومحل أهله وسلفه وبيته في منادمة الخلفاء والوزراء والامراء مشهور ، وموضعهم من الكلام والنجوم والعلم والادب وقول الشعر وتصنيف الكتب في انواع ذلك معروف ، ومكانهم من المنزلة في خدمة السلطان وعظم النعمة والحال متعالم » . « نشوار المحاضرة ١ : ١١ » .

(٢٥٥) المرجع المذكور « ص ١١ » وقد روى ابو علي التنوخي عن ابي العباس ابن المنجم هذا خبرا آخر في هذا الجزء من النشوار « ص ٦٧ » .

(٥٢٦) سيذكر قريبا انه «عبيدالله بن عبدالله بن طاهر» وهذا من الاختصار.

ابن الحسين الخزاعي أشهر قواد المأمون وأكبر أعوانه ... وكان حفيده عبيدالله بن عبدالله بن طاهر شاعر الطاهريين [٢٥٧] ومحدثهم في عصره ... » .

قلت : انه قد نقل الخبر من معجم الادباء لياقوت الحموي كما أشار اليه في الحاشية ، وقد تأملته عودا كما تأملته قبلاً ، فلم أجد في قول ياقوت « عبيدالله بن أبي طاهر » تحريفا ، فقد حفظتُ هذا الاسم بين اسماء الادباء والموءرخين ، وعبيدالله بن ابي طاهر غير عبيدالله ابن عبدالله الطاهري ، قال محمد بن اسحاق النديم في الكلام على سيرة « ابن أبي طاهر » والد عبيدالله راوي الخبر المذكور : « أخبار أبي طاهر ، وهو أبو الفضل احمد بن أبي طاهر ، واسم أبي طاهر : طيفور ، من أبناء خراسان من أولاد الدولة[٢٥٨]... » وذكر أخباره وتآليفه وهي كثيرة في التاريخ والأدب والشعر والسياسة والقصص وغير ذلك ، ثم قال :

« ابنه عبيد الله ــ يعني عبيد الله بن احمد بن أبي طاهر ــ ويكنى أبا الحسين ، سلك طريقة أبيه في التصنيف والتأليف ، وروايته أقل من رواية أبيه ، فأما الدراية والتأليف فكان أحذق وأمهر ، فمما لأبي الحسين من الكتب مازاده على كتاب أبيه في أخبار بغداد) فان أباه عمل الى آخر ايام المهدي ، وزاد أبو الحسين أخبار المعتمد وأخبار المعتضد وأخبار المكتفي واخبار المقتدر ، ولم يتمه ، وله من الكتب كتاب السكباج وفضائلها ، كتاب المتظرفين والمتظرفات[٢٥٩] » . وقال في موضع آخر

---

(٢٥٧) يعني شاعر اهله لطاهريين واديبهم ومحدثهم ، وهذا التعبير أوضح من ذاك .
راجع قول الاستاذ في الصفحة ٢٥٩ : « اعتز آل المنجم بمدح البحتري لهم ... بل كان يروق لبعضهم ان يقول على ما في ذلك من غلو انه شاعرهم » .

(٢٥٨) الفهرست : « ص ٢٠٩ من الطبعة المصرية » .

(٢٥٩) المرجع المذكور « ص ٢١٠ » .

من الفهرست : « قرأت بخط أبي الحسين عبيد الله بن أحمد بن أبي طاهر : الحسين ابن منصور الحلاج ، وكان رجلا محتالا مشعبذا يتعاطى مذاهب الصوفية[٢٦٠] ...» . وأمعن في ذم الحلاج وذكر شيئا من سيرته الاجتماعية .

وقال الصلاح الصفدي : « عبيد الله بن احمد بن ابي طاهر طيفور أبو الحسين ، توفي سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، وكان أحذق من ابيه ، ومن تصانيفه الذيل على تاريخ أبيه في أخبار بغداد ، كتاب السكباج وفضائله[٢٦١] ، كتاب المستظرفات[٢٦٢] والمستظرفين»[٢٦٣] . وقال ياقوت الحموي في ترجمة أبيه أحمد بن أبي طاهر طيفور : « وأنشد له ابنه عبيدالله في كتابه : وما الشعر الا السيف ينبو وحدّه ...»[٢٦٤] .

وقال الخطيب البغدادي : « عبيدالله بن احمد بن أبي طاهر ، واسم أبي طاهر طيفور ، وكنية عبيدالله (ابو الحسين) ، مروروذي الاصل ، روى عن أبيه كتابه المصنف في اخبار بغداد ، وذكر ملوكها وشرح حوادثها، حدث عن علي بن هارون المنجم و (روى عنه) أبو عمر بن حيويه[٢٦٥] ،

---

(٢٦٠) المرجع المذكور « ص ٢٦٦ » . وقلل ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان في ترجمة اسحاق بن محمد النخعي الاحمر : « وقال عبيد الله بن احمد بن ابي طاهر في كتاب اخبار المعتضد ، حدثني ابو الحسن أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى (ابن المنجم) حدثني ابو بكر محمد بن خلف المعروف بوكيع ... » .

(٢٦١) تقدم « وفضائلها » .

(٢٦٢) تقدم « المتظرفات والمتظرفين » .

(٢٦٣) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ١٩٩ » .

(٢٦٤) معجم الادباء « ١/ ١٥٥ » .

(٢٦٥) زدت ما بين العضادتين لان أبا عمر محمد بن العباس بن حيويه المتوفى سنة ٣٨٢ هو الذي ينبغي ان يروى عنه « تاريخ بغداد -

حدثنا علي بن أبي علي قال قال لنا محمد بن العباس بن حيويه : مات أبو الحسين بن أبي طاهر في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة [٢٦٦] ، وقد روى عنه المرزباني حضورا وبالواسطة كما في الموشح « ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ » وراجع « ص ٢٦٥ » فعبيدالله بن أبي طاهر اختصار « عبيدالله بن أحمد بن ابي طاهر » . وهذا واضح بحمد الله تعالى وتوفيقه ، لا يحتاج الى فضل بيان.

٦٢ ـ ونقل الاستاذ الجليل في الصفحة ٢٧٥ بعض ما ذكره ابن السمعاني في الانساب من سيرة آل المنجم قال : « وفيما كتب السمعاني عن آل المنجم فوائد لا نجدها في كتاب آخر فانه سمى فروعهم من أولاد علي بن هارون وذكر منهم أربعة ، وان كان هذا الفصل لا يخلو من الاختلال والاضطراب كما جاء في نسخة الكتاب [٢٦٧] من قبيل تقديم طبقة متأخرة وبالعكس وهذا نص ما قاله السمعاني في الانساب « المنجم لمن يعرف علم النجوم، وفيهم كثرة ، ومن المحدثين ابو الفتح احمد بن علي من أهل بغداد ، حدث عن أبيه علي بن هارون المنجم ، وروى عنه القاضي ابو القاسم التنوخي ، وفي عبارة الانساب بعد ذلك اضطراب فانها تتحدث عن يحيى بن علي بن أبي منصور منجم المأمون الذي أسلم على يده وكأنه من أولاد أحمد بن علي وهذا خلط لا نعلم منشأه بالضبط والمرجح أنه خلط من الناسخ...» .

= ١٢٣/٣ » وقد وردت الكنية «أبو عمر» في تاريخ الخطيب مرفوعة لا مجرورة ، وفي ذلك دلالة على ذهاب شيء من الجملة ولولا ذلك لجرت .

(٢٦٦) تاريخ بغداد (١٠ : ٣٤٨) .

(٢٦٧) قلت : وقع اختلال ايضا في مادة « المنجم » من كتاب « اللباب في تهذيب الانساب » للموءرخ الشهير عزالدين بن الاثير وهو ناقل لكلام ابن السمعاني في هذه المادة ، قال « وعرف به من المحدثين ابو الفتح احمد بن علي بن هارون بن يحيى بن ابي منصور المنجم ، حدث عن أبيه ... روى عنه القاضي ابو منصور منجم المنصور امير الموءمنين وكان مجوسيا ، واما ابنه يحيى فكان منجم المأمون ونديمه واسلم على يده » .

وهذا القول صحيح فان نسّاخ نسخة الانساب التي طبعت بخطوطهم قد شوهوا من أعلامها وعباراتها ، وسقطت منها عن أيديهم ضروب من الجمل أخلّت بها اخلالا بينا ، وكان الاستاذ الجليل قد نقل في بعض مقالاته الممتعة ما ورد مطبوعا ناقصا في الانساب من الكلام على آل الزينبي العباسي ، فطلبت الى الاديب ناشر المقالة ان ينبه القراء على النقصان[٢٦٨] ، وذلك أني في اثناء اختصاري للانساب ، على حسب ذوقي التاريخي ، شعرت بجملة من ذلك الاخلال واشياء من ذلك النقصان ، فتصحيح ما جاء في الانساب خاصا بآل المنجم يكون على النحو الآتي :

« ... ومن المحدثين ابو الفتح أحمد بن علي بن هارون بن يحيى ابن ابي منصور المنجم . من اهل بغداد حدث عن ابيه علي بن هارون ، روى عنه القاضي ابو القاسم التنوخي ، واما جدّ [٢٦٩] أبيه : يحيى فكان منجم المأمون ونديمه وأسلم على يده ... » وكل ما أصلحنا منه هو زيادة كلمة « جده » ووضع « أبيه » مكان « ابنه » المصحفة تصحيفا مقبولا .

واما اصلاح ما في اللباب فيكون على النحو الآتي : « .. وعرف به من المحدثين ابو الفتح احمد بن علي بن هارون بن يحيى بن أبي منصور المنجم ، من أهل بغداد ، حدث عن أبيه علي بن هارون ، روى عنه القاضي أبو القاسم التنوخي ، وجدّ جده أبو منصور منجم المنصور أمير المؤمنين كان مجوسيا ، وأما ابنه يحيى فكان منجم المأمون ... » .

٦٣ ـ وقال في الصفحة ٢٨٤ عند الكلام على سيرة اسحاق بن ابراهيم الموصلي: « ... مع أن المعنيين بسيرته لم يقولوا أكثر من أنه كتب الحديث، وهذه الجملة لا تعني أنه أصبح في عداد العلماء المنقطعين لهذه الشؤون » .

---

(٢٦٨) راجع « سيرة المرتضى من شعره » في تصدير ديوان المرتضى « ١ : ١٥ » .

(٢٦٩) في الاصل « ابنه » وهي بقية قوله « جد ابيه » بتصحيف ابيه الى « ابنه » .

قلت : الذي ذكره ابو الفرج الاصفهاني في سيرته هو « وقد روى الحديث ولقي أهله مثل مالك بن أنس »[٢٧٠] وجاء في لسان الميزان : « قال أبو الفرج الاصبهاني في ترجمته : روى الحديث ولقي أهله . وروى عنه ابنه حماد ومحمد بن عطية » [٢٧١] فأبو الفرج الاصفهاني يذكر انه روى الحديث ، وابن حجر العسقلاني يقول ان ابنه حمادا ومحمد بن عطية رويا عنه ، وفي كلا القولين تصريح بالرواية عنه لا يعني كتابة الحديث وحدها ولا الوقوف عند الانتساخ ، غير أن الرواية عندهم عامة ، فيجوز أن يكون اسحاق روى الأخبار والحديث معا . ومحمد بن عطية هذا هو العطوي الشاعر ، وقد ذكر الاستاذ الجليل جملة حسنة من أخباره وأدبه ومنها مجادلته لاسحاق بن ابراهيم الموصلي في وجوب الاختصاص الكامل والتخصص التام بالعلم والفن ، لمن يريد حقه ورتبته في المجتمع ، قال الاستاذ : « ناقش العطوي اسحاق في مجلس يحيى بن اكثم وافحمه وزيفه دعواه فيتظلمه وتطلعه الى المنزلةالرفيعة التي يتمتع بها أئمةالفقهوالحديث» .
ولم يذكر الاستاذ ما قاله يحيى بن أكثم بعد هذا النقاش ، فقد قال للعطوي : «لقد وفيت الحجة وفيها ظلم قليل لاسحاق لانه ربما ماثل او زاد على من فضّله عليه وانه ليقل في الزمان نظيره » . فهذا قول قاضي قضاة الامة وفيه طعن في حكم العطوي ، وقد كان اسحاق يستطيع ان يرد عليه بعض قوله الا أنه كان بحضرة من يقوم مقام وزير العدالة في عصرنا ، فكانت اعتراضة وزير العدالة على الحكم أجدى على اسحاق وأوجه في التاريخ والمجتمع وكان العطوي من أهل الجدل كلماتياً[٢٧٢] ، جاء في لسان الميزان:

---

(٢٧٠) الاغاني « ٥ : ٢٦٩ » طبعة دار الكتب المصرية .
(٢٧١) لسان الميزان « ١ : ٣٥٠ » .

(٢٧٢) قال السمعاني في الانساب ونقله موءلف اللباب : « الكلماتي : بفتح اولها واللام والميم وبعد الالف تاء فوقها نقطتان . هذه النسبة الى معرفة الكلام والاصول واشتهر بها ابو الحسن محمد بن سفيان بن محمد بن محمود الاديب الكلماتي ، هكذا ذكره الحاكم ابو عبدالله وكان مناظرا في الفقه والكلام ... ومات بالجوزجان قبل الخمسين والثلاثمائة » .

« محمد بن عطية ابو عبدالرحمن الشاعر وقيل هو ابن عبدالرحمن بن عطية، بصري يعد من متكلمي المعتزلة ، وكان يذهب مذهب الحسين النجار ، اتصل بابن أبي دؤاد فحظى عنده ، وهو حسن الاشعار جيد الاوصاف قال المبرد : كان ظاهر الدمامة والوسخ مقترا عليه ، منهوما بالنبيذ ، وله فيه وفي الصبوح أشعار كثيرة » [٢٧٣] .

وقال الصلاح الصفدي : « محمد بن عبدالرحمن بن آبي عطية . مولى كنانة ، بصري شاعر وهو أحد المتكلمين الحُذاق ، يذهب الى مذهب حسين النجار [٢٧٤] وهو معتزلي ، كان زمن المتوكل ، قال :

فمن حكّمت كأسك فيه فاحكمْ   له باقالة عند العثار

وقال :

فوحق البيان يعضده البر   هان في مأقط ألد الخصام [٢٧٥]
ما رأينا سوى الحبيبة شيئاً   جمع الحُسن كلّه في نظام
وهي تجري مجرى الاصالة في الرأ   ي ومجرى الارواح في الاجسام

وقال :

لم أحاكم صروف دهري الى الاقـ ... داح حتى فقدت أهل السَماح
احمد الله صارت الخمر تأسو   دون اخواني الثقات جراحي [٢٧٦]

وقال الوزير أبو عبيد البكري الاونبي : « هو محمد بن عبدالرحمن ابن أبي عطية مولى بني ليث بن كنانة ، يكنى ابا عبدالرحمن ، من شعراء

---

(٢٧٣) لسان الميزان « ٥ : ٢٨٥ » ، وفي نص اللسان المطبوع بالهند ، وهو الذي نقلنا منه ، تصحيف كثير في هذه الترجمة وغيرها يعد بمئات لا بعشرات .

(٢٧٤) في معجم الشعراء « ص ٤٣٢ » الخباز وهو تصحيف .

(٢٧٥) هذا البيت وما يليه والثالث تدل على ان ناظمهن من المتكلمين حقا .

(٢٧٦) الوافي بالوفيات « ٣ : ٢٢٥ ، ٢٢٦ » .

الدولة العباسية ، بصري المولد والمنشأ » وقال أيضا : « شاعر من شعراء الدولة الهاشمية ، وكان معتزليا قويا في مذهبه ، متقدما في جدله ، وبهذا المذهب اتصل بأحمد بن ابي دؤاد وتقرّب اليه ، وكان مختصاًبه..»[277].

ثم قال : « وأنشد أبو علي (القالي) :

وليس صرير النعش ما تسمعونه ولكنه أصلاب قوم تقصف

هذا الشعر للعطوي أبي عبد الرحمن بن عطية الكناني مولى لهم بصري . قال أبو يعقوب : توفي أحمد بن أبي دؤاد ، فقال العطوي يرثيه من قصيدة ارتجلها وأنشد البيتين [278] »

ثم قال : « ومن أحسن ما خاطب محجوب محتجباً قول العطوي :

اذا أنت لم ترسل وجئت فلم أصل ملأت بعذر منك سمع لبيب
أتيتك مشتاقاً فلم أر حاجباً ولا ناظراً إلا بوجه غضوب
كأني غريم مقتض أو كأنني طلوع رقيب أو صدود حبيب
فعدت وما فلّ الحجاب عزيمتي الى شكر سبط الراحتين أريب
عليّ له الأخلاص ما ردع الهوى أصالة رأي أو وقار مشيب [279]

٦٤ ــ وقال الأستاذ الجليل في ترجمة العطوي المذكور : ويستفاد مما قرأنا من مجموع شعر العطوي أنه كان فقيراً مملقاً والى ذلك مرد انتقاله من البصرة الى بغداد وإقامته في كنف أحمد بن أبي دؤاد موئل المعتزلة

(٢٧٧) سمط اللآلي « ١ : ١٤٠ ، ٨٥٥ » .

(٢٧٨) المرجع المذكور « ١ : ٣٣٩ » .

(٢٧٩) المرجع المذكور «١:٤١٨،٦١٣» ، وللعطوي شعر في العمدة مكرر « ٢ : ٦٥ » وفي بديع ابن المعتز « ص ٥٤ » وكتاب المرقصات « ص ٣٨ » وأمالي الزجاجي« ص ٥٦ » وزهر الآداب « ٣ : ٨٣ » ورسالة الحجاب لابن المدبر «ص ١٠٠» ، ذكر ذلك المحقق عبدالعزيز الراجكوتي ، وهذا من المستدركات أيضا على الاستاذ الجليل .

والاعتزال ، وكان ابن أبي دؤاد بالاضافة[٢٨٠] الى ذلك موءالفاً لأهل الأدب من أي بلد كانوا ... »

قلت : ثبت ذلك بما أثبت الموءرخون في سيرته ، قال الخطيب ، وقد أشار الاستاذ الجليل الى ترجمته في تاريخه : « وكان مقترا عليه ، ظاهر الدمامة والوسخ »، هذا وقول الأستاذ :« ... انتقاله من البصرةالى بغداد واقامته في كنف احمد بن ابي دؤاد » . ومصداق ذلك قول المبرد : « كان المعتصم بالله وأن مقامه بعد الانتقال هو بغداد ، على حين ذكر الاستاذ أنه دخل بغداد أيام المأمون وحضر مجلس يحيى بن اكثم ، ذكره نقلا من معجم الأدباء ، ونقل بعد ذلك مايفيد أن إقامته برهة من عمره كانت بسامرا لا ببغداد كما أراد هو بقوله المذكور آنفاً « انتقاله من البصرة الى بغداد واقامته في كنفه احمد بن ابي دؤاد » . ومصداق ذلك قول المبرد : « كان العطوي لا ينطق بالشعر معنا بالبصرة ، ثم ورد علينا شعره لما صار بسر من راى وكنا نتهاداه » .

٦٥ ــ وقال في الصفحة ٢٩٣ في الكلام على المهلب وأبنائه : « وقد ظفر المهلب بن أبي صفرة أمير خراسان واولاده من بعده في جميع الملاحم التي خاضوا غمارها في الشرق والغرب ، وكانوا قادة جيوش الدولتين الأموية والعباسية .... » وأكثر هذا القول صحيح إلا أن بني المهلب ثاروا على بني أمية آخر الأمر ، فغلبهم بنو أمية في وقعة عقر بابل ، وكانت

(٢٨٠) الصواب « مضافا الى ذلك » ويجوز « اضافة الى ذلك » أما « بالاضافة الى ذلك » فمعناه بالنسبة اليه ، قال أبو حيان التوحيدي في الامتاع ١ : ٢٠٧ « وهذه كلها غليظة بالاضافة الينا وفوق الدقيقة بالاضافة الى اعيانها » ، وقال ابن رشيق في العمدة : « كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالاضافة الى من كان قبله » ، « ج ١ ص ٥٦ » ، وقال ابو الفرج الاصفهاني في الاغاني « ٦ : ١٦٤ » يعني سليم بن سلام الكوفي : « كان يخدم الرشيد فيتفق مع ابن جامع وابراهيم وابنه اسحاق وفليح بن العوراء وحكم الوادي فيكون بالاضافة اليهم كالساقط » ، والشواهد كثيرة اجتزيء منها بهذه الثلاثة (راجع ص ٩ منه » .

هذه الوقعة السبب في دمارهم وتبارهم وقتل عميدهم يزيد بن المهلب ، وأكثر أزوالهم وأبطالهم وأنجادهم وأنجالهم (٢٨١) . قال عز الدين ابن أبي الحديد : « ومن أباة الضيم يزيد بن المهلب ، كان يزيد بن عبد الملك يشنوءه قبل خلافته ، لأسباب ليس هذا موضع ذكرها ، فلما أفضت اليه الخلافة وخلعه يزيد بن المهلب ونزع يده من طاعته وعلم أنه إن ظفر به قتله وناله من الهوان ما القتل دونه فدخل البصرة وملكها ... » . وقص خبر الحرب بينه وبين مسلمة بن عبدالملك والعباس بن الوليد بن عبدالملك ، وقتلهما إياه في عقر بابل سنة ١٠٢ ، وقد قتل معه أخواه محمد بن المهلب ، وحبيب بن المهلب ثم هرب بنو المهلب من العراق خوف استئصال بني أمية لهم : حملوا عيالهم في السفن ولججوا في البحر تلجيجاً ، فبعث اليهم مسلمة بن عبد الملك بعثاً عليه قائد من قواده هو هلال بن أحوز المازني فأدركهم في قندابيل ، فتحاربوا وقاتل آل المهلب يومئذ فقتلوا عن آخرهم (كذا) وهم المفضل بن المهلب وزياد بن المهلب ومروان بن المهلب وعبدالملك بن المهلب ومعاوية بن يزيد بن المهلب والمنهال بن ابي عيينة بن المهلب وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب ، وحملت رؤوسهم الى مسلمة بن عبدالملك ، وفي أذن كل واحد منهم رقعة فيها اسمه ، واستأسر الباقون في الوقعة فحملوا الى يزيد بن عبدالملك بالشام وهم أحد عشر رجلا . فطلب اليه أن يعفو عنهم فلم يجب الى ذلك وأمر بقتلهم فقتلوا صبراً بين يديه ، وبقي منهم صبي صغير فقال لهم : اقتلوني فلست بصغير(٢٨٢) ولا خير في العيش بعد أهلي . فأمر

---

(٢٨١) راجع تاريخ ابي جعفر الطبري في سنة (١٠١ - ١٠٢) ج ٨ ص ١٤٤ - ١٦٠ « من الطبعة المصرية الاولى » ، ووفيات الاعيان « ٢ : ٤١٤ » وكامل المبرد « ٣ : ٢٤٨ من طبعة الدلجموني » . وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد « ١ : ٣٠٣ ، ٣٠٤ » وتاريخ ابن واضح اليعقوبي « ٣ : ٥٢ من طبعة النجف » ، ومروج الذهب « ٣ : ١٣٤ من طبعة دار الرجاء » . والكامل في حوادث سنة ١٠٢ هـ وانساب العرب تأليف سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري « نسخة باريس ٥٠١٩ الورقة ٢٣٠ » .

(٢٨٢) حذفنا من قوله ما لا حاجة بالقارىء اليه .

يزيد بن عبد الملك به فقتل ، وهوءلاء الذين قتلوا صبراً هم المبارك وعبدالله والمغيرة والمفضل والمنجاب بنو يزيد بن المهلب ودريد والحجاج وغسان وشبيب والفضل بن المفضل بن المهلب لصلبه (كذا) . والفضل بن قبيصة ابن المهلب ، ولم يبق بعد هذه الوقعة الثانية لأهل المهلب باقية سوى أبي عيينة بن المهلب وعمرو بن يزيد بن المهلب وعثمان بن الفضل بن المهلب فانهم لحقوا برتبيل ثم أمنوا بعد ذلك[٢٨٣] » .

إذن لايصح أن يقال « أن أولاد المهلب ظفروا في جميع الملاحم التي خاضوا غمارها في الشرق والغرب » . فقد استوءصلوا في هاتين الوقعتين استئصالا فظيعاً وحشياً شنيعاً ، ولا غرو في أن بقايا السيوف منهم انضموا الى بني العباس ونصروهم وآزروهم ، قال أبو العباس المبرد : « وكان يقال : ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلاء وضحى بنو مروان بالمروءة يوم العقر ، فيوم كربلاء يوم الحسين بن علي بن أبي طالب وأصحابه ، ويوم العقر يوم قتل يزيد بن المهلب وأصحابه[٢٨٤] »

وقال الكلبي :« نشأت والناس يقولون : ضحى بنو أمية بالدين يوم كربلاء وبالكرم يوم العقر[٢٨٥] » . ونقل ابن خلكان أيضا في ترجمة كثير عزة قال : « ولما قتل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وجماعة من أهل بيته بعقر بابل ... وكانوا يكثرون الاحسان الى كثير ، فلما بلغه ذلك قال : ماأجلّ الخطب !! ضحى بنو حرب بالدين يوم الطف ، وضحى بنو مروان بالكرم يوم العقر . وأسبلت عيناه بالدموع » .

٦٦ ــ وجاء في الصفحة ٢٩٥ قول يزيد بن محمد المهلبي[٢٨٦] :

(٢٨٣) شرح نهج البلاغة « ١ : ٣٠٣ ، ٣٠٤ » .

(٢٨٤) الكامل في الادب « ٣ : ٢٤٨ » طبعة الدلجموني .

(٢٨٥) الوفيات « ٢ : ٤٢٩ » .

(٢٨٦) نقلا من طبقات الشعراء « ص ١٤٩ » وهي الطبعة التي ساعدت ناشرها على تصحيحها عند طبعها بصورتها الاصلية ، وقد طبعت ثانية بمصر طبعة جيدة ، وقد جاء في الصفحة ٥٩٦ من هذه الطبعة ترجمة لقول ـ

والصقر والكلب أما كنت ذا جلد وإن ضعفت ... والشبك

وقال في التعليق على البياض العارض في هذا البيت : « في الأصل كلمة محرفة غير مفهومة » . وقد صحح الأستاذ عباس إقبال كلمة «فريس» بـ « فريش » وصحح الأستاذ الآخر المحرّف غير المفهوم فصار الشطر « وإن ضعفت فريشي الدبق والشبك » .

٦٧ ــ وقال في الصفحة ٣٠١ « وصف الزوّ ومواكب اللهو : كان المتوكل معنياً جداً بأسباب اللهو والمرح واختيار ندمائه ودعوتهم الى حفلاته بكثير من اللطف والرعاية وقد بلغ من التأنق في ذلك مبلغاً بعيداً حتى أمر بصنع سفينة تحاكي بضخامتها قصراً أو صرحاً مشيداً أطلق عليها اسم الزوّ لتقام فيها حفلات اللهو والأنس وكانت تمخر عباب الماء في دجلة والقاطول ... » ، ثم قال في حاشية الصفحة ٣٠٦ : « الزوّ في أصل اللغة الزوج ضد الفرد يقال جاءا زواً . أي معاً ، وقد أطلقت كلمة الزو على سفينة صنعت للمتوكل ، والغالب أنها سفينة مزدوجة أو مركبة من سفينتين ... » . ونقل قول الزبيدي في التاج وَوَهم الجوهري في اعتداده الزوّ جبلا ثم قال : « ونلاحظ أن حروف الزوّ هي بعينها حروف كلمة الزوج ماعدا الحرف الأخير ، وربما كانت لغة قديمة أو لهجة في الزوج » .

قلت : قد قال ذلك قديماً ياقوت الحموي في معجم البلدان ونص قوله « زوّ بفتح أوله وتشديد ثانيه ، الزو : نوع من السفن عظيم ، وكان المتوكل بنى في واحدة منها قصراً منيفاً ونادم فيه البحتري وله فيه شعر في قصيدة (ألا هل أتاها بالمغيب سلامي) يقول فيه : ولا جبلا كالزو . والزو

= الاستاذ عباس اقبال من الفرنسية الى العربية وهو « واني اشكر صديقي السيد محمدكازفيني (كذا اي القزويني) الذي ساعدني وجعلني استفيد من مكتبته الخاصة وكذلك الدكتور مصطفى جواد احد المؤرخين والعلماء المشهورين ببغداد، وقد ساعدني في عدة مواضع ..» كذا قال .

في اللغة الزوج والتو الفرد ، والزو القــدر ، والزو الذي يقص فيه شعر الضأن والمعز منه زوء المنية بالهمزة ما يحدث من الحوادث المنية » .

فقوله « وكان المتوكل بنى في واحدة منها ... » يدل على أن الزو كانت معروفة قبل المتوكل ، وأن المتوكل لم يطلق هذا الاسم عــلى ذلــك الضرب من السفن بل كان الاسم شائعاً من قبل ، فأما كون الزو معروفــة من قبل فدليله ما جاء في حوادث سنة ١٨٧ هـ في تاريخ الطبري . قال في أخبار الرشيد : « ... فحدثني العباس بن الفضل بن الربيع قال : جلس الرشيد في الــزو في الفرات ... ثم قال للعباس : اخــرج ومُر برفــع التخاتج المطروحة على الزو ، ففعل ذلك...»[٢٨٧] . والدليل أيضا ماورد في حوادث سنة (٢٢٠) فيخلافة المعتصم بالله قال: «ذكر ما فيها من الاحداث. فمن ذلك ما كان من دخول عجيف بالزط بغداد وقهرهم إياه ... وعبأهم في زواريقهم على هيأتهم فيالحرب معهم البوقات حتى دخل بهم بغداد يوم عاشوراء سنة(٢٢٠) والمعتصم بالشماسية في سفينة يقال لها الزو[٢٨٨]...». وماورد في أخبار الحسين بن الضحاك ، يرويه أبو الفرج الاصفهاني بسنده الى إبراهيم بن الحسن بن سهل ، قال : « كنا مع الواثق بالقاطول وهــو يتصيد ، فصاد صيداً حسناً وهو في الزو ، من الاوز والدراج وطير الماء وغير ذلك[٢٨٩] ... » .

وأما الذهاب ولو استرجاحاً الى أن « الزوّ » مأخوذ من الزو الكلمة العربية بمعنى الزوج فغير وارد ، والصحيح أن الزو كلمة صينية وهي اسم لضرب من سفن الصين ، قُلد صنعها في العراق ، قال ابن بطوطة : « ذكر مراكب الصين ،ومراكب الصين ثلاثة أصناف : الكبار منها تسمى الجنوك، واحدها جنك (بجيم معقود مضموم ونون ساكن) والمتوسطة تسمى الزو

(٢٨٧) تاريخ الامم والملوك « ١٠ : ٨٦ من الطبعة المصرية الاولى » .

(٢٨٨) المرجع المذكور ص « ٣٠٦ » .

(٢٨٩) الاغاني « ٧ : ١٥٨ » طبعة دار الكتب المصرية » .

(بفتح الزاي وواو) والصغار يسمى أحدها الككم (بكافين مفتوحين)...
ويتبع كل مركب منها ثلاثة : النصفي والثلثي والربعي ، ولا تصنع هذه المراكب الا بمدينة الزيتون من الصين أو بصين كلاي وهي صين الصين[290] ... » .

٦٨ ــ وقال في الصفحة ٣٠٨ : « فهذا احمد بن أبي طاهر طيفور مصنف تاريخ بغداد وهو من الأخباريين والرواة المعدودين ... »
وكان الاستاذ الجليل قد فرغ من التعريف به في الصفحتين ٢٧٧ ، ٢٧٨ وقد كرّر مثل هذا التكرار في جملة من نكت الكتاب ، وذلك يدل على أنه ألّفه في أوقات مختلفة ، قارب أربعين سنة كما قال في « ص ٣٤ ، ٣١٣ منه » .

٦٩ ــ ونقل الشيخ الجليل في حاشية الصفحة ٣٠٩ خبراً أدبياً من كتاب « الموازنة » للآمدي ، يقول الآمدي : « حكى أبو عبد الله محمد بن داود الجراح في كتابه ... أن ابن أبي طاهر أعلمه أنه أخرج للبحتري ستمائة بيت مسروق ... » . وزاد الاستاذ بعد قوله (في كتابه) ما هذا نصّه « لم يرد في هذه الحكاية اسم كتاب ابن الجراح فلعله غير كتاب الورقة لان كتاب الورقة خال من هذه الرواية » .

قلت : ان قول الآمدي « في كتابه » يشعر بأنه لم يكن يحسب له كتابا ثانيا ، فلابد أن يكون مريدا له وعانيا اياه لا كتاب الشعر والشعراء ولا كتاب الاربعة من كتبه. والمطبوع من كتاب الورقة يدل على أن نسخته ناقصة وذلك لقول الناسخ ــ ص ٥ ــ : « وهذا آخر ما وُجد في النسخة العتيقة ... » ولقول الدكتور عبدالوهاب عزام ناشر الكتاب ــص ١٠ــ: « والظاهر أن في هذه النسخة نقصا ، يدل عليه ما نجده في كتب الادب والتراجم من نصوص منقولة عن كتاب الورقة لا نجدها في النسخة ».

---

(٢٩٠) تحفة النظار في غرائب الامصار « ٢ : ١١٦ طبعة مطبعة التقدم بالقاهرة سنة ١٣٢٢ » .

وذكر من النصوص المفقودة ما ورد في ترجمة ابراهيم بن العباس الصولي في الوفيات ، وما ورد في ديوان أبي نواس من أخبار له منقولة من كتاب الورقه لا أثر لها في المطبوع منها [٢٩١] ، فهذا كما ترى .

٧٠ ــ وقال في الصفحة ٣١٣ : « نشر جزآن من كتاب الاوراق للصولي أحدهما في أخبار الراضي والثاني في اخبار الشعراء ، والمرجح أن قوام الكتاب أكثر من خمسة أجزاء ... » . والصحيح أن ثلاثة اجزاء منه نشرت ، وهي الجزآن اللذان أشار اليهما الاستاذ الجليل والجزء الذي نشر بالقاهرة أيضا سنة ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ [٢٩٢] ، نشره ناشر الجزءين المذكورين الاستاذ ج. هيورث المستشرق ، وفي الثلاثة أوهام وتصحيفات عدة لعلي أنشرها قريبا .

٧١ ــ ومن أغرب ما رأيت في هذا الكتاب الممتع تصحيح الاستاذ الجليل أحيانا التركيب الصحيح بالتركيب الغلط : صحح في الصفحة ٣٢ « ثمان عشرة سنة » وهي تركيب صحيح قريب في الصحة من ثماني عشرة، صححها بثمانية عشر ، وصحح في الصفحة ١٧٥ « خمس عشرة سنة » وهي من التركيب الصحيح بـ « خمسة عشر » .

وصحح الغلط بالغلط في الصفحة ٩٩ : صحح ثمانيــة عشرة ســنة

---

(٢٩١) وجدت انا من التراجم التي ليست في النسخة المطبوعــة وهي مــن الاصل ترجمة « فضل الشاعرة » و «سعيد بن حميد» و « أبي الحسن علي بن ثابت الانصاري » و « عبد الله بن العباس بن عبد المطلب » و « عبيــد الله بن اسحاق المكاري » ، و « محمد بن عمر بن سعيد الحربي » ، ولعلي اجد فرصة فأنشرها من مظانها .

(٢٩٢) ذكر فيه محمد بن السفاح وسليمان بن المنصور وهبة الله بن ابراهيم ابن المهدي وعلية بنت المهدي وعبد الله بن موسى الهادي بن الرشيد وعبدالله بن الامين وهارون بن المعتصم ومحمد بن المتوكل وعبداللــه ابن المعتز وعبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس وعيسى بن موسى ابن محمد بن علي وابو العبر .

«بثمانية عشر» والصواب «ثماني عشرة» على الفصيح و « وثمان عشرة» على غير الفصيح ، وكان قد فعل ذلك في الصفحة (٤٤) • وكان قد قرأ ترجمة علي بن يحيى بن المنجم في معجم الادباء ومن شعره في مدح الفتح ابن خاقان :

قريع الموالي ساد في خمس عشرة   مَوالي بني العباس لم يبق واحدا[٢٩٣]

هذا وقد وقع خطأ في ارقام الفهرس لا يستهان به فضلا عن الخطأ في الاعلام ففي ص ٣٢٣ طبع ابن دريدة البغدادي بدلا من « ابن وريدة » وفي ص ٣٣٠ عبدالعزيز بن الخليفة المعتز بدلا من « عبدالعزيز ابن المستنصر بالله » ، وفي ص ٣٣١ عماد الدين القزويني القاضي بدلا من « ... القضوي » وفي ص ٣٣٤ هبة الله الصوفي نقيب العلويين • بدلا من « نقيب العباسيين » •

٧٢ ـ وجاء في الصفحة ٢٤٢ قول الاستاذ الجليل : « قال في المعجم وهو يترجم لمجدالدين سعد بن ابراهيم المعروف بالنشاشيبي الاربلي الكاتب الشاعر : رتب مشرفا بنهر الملك ، له أشعار » •

قلت الذي حفظناه أنه « أسعد » لا سعد ، وقد رجعت الى مرجع الاستاذ الجليل وهو تلخيص معجم الالقاب فاذا هو «أسعد» ولكنه لما نقله منه تصحّف عليه ، قال ابن الفوطي : « مجد الدين أبو الفَضل (و) أبو سعد أسعد بن ابراهيم بن الحسن يعرف بالنشاشيبي (كذا) الاربلي الكاتب ... » • وقال ابن شاكر الكتبي : « أسعد بن ابراهيم ابن حسن مجد الدين النشابي ... » [٢٩٤] • وقال كمال الدين عمر

---

(٢٩٣) معجم الادباء « ٥ : ٤٧٣ » .

(٢٩٤) فوات الوفيات « ١ : ١٧ طبعة محمد محيي الدين عبدالحميد بالقاهرة» وفيها أوهام كثيرة ، منها انتقال صفحة من ترجمة « احمد البققي » في ص ١٣٤ الى ترجمة ابراهيم بن سليمان بن حمزة ص ٨ وتصحف عليه « البققي » الى « الثقفي » . ومنها « احمد الدوبيثي » في =

ابن العديم الحلبي مؤرخ حلب في كتابه بغيـة الطلب في تاريخ حلـب :
« أسعد بن ابراهيم الاربلي المعروف بالمجد النشابي . شاعر حسن الشعر.
قدم الينا حلب واتصل بخدمة الوزير شمس الدين محمد بن عبدالباقي بن
أبي يعلى ...»[٢٩٥] .

وقال ابن تغري بردي : « أسـعد بن ابراهيم بن حسـن العـلامة
مجد الدين النشابي الاربلي ...» [٢٩٦] .

وعامة المؤرخين الذين ذكروه نسبوه « النشابي » الا ابن الفوطي
أو ناسخ معجمه المطبوع قد سماه « النشاشيبي » وهو نسب غير معروف
في القدماء دون بعض المعاصرين وهو « الاديب الفلسطيني النشاشيبي ».
وقد نسب موءلف كتـاب الحوادث قصيـدة موفق الدين عبدالقاهـر بن
الفوطي الحنبلي ، الدالية التي ذكرت ابياتا منها فيما سـبق مـن هـذه
الملاحظات ، الى المجد النشابيّ هذا [٢٩٧] وهي ليست من بزّه ولا مـن
سوقه ولا من ذوقه .

= (ص ٦٠) والصحيح « احمد الدبيثي » الاديب المشهور ، المترجم فـي
البداية والنهاية وتلخيص معجم الالقاب والشذرات والمذكور في شرح
نهج البلاغة « ٣ : ٤٠ » ومنها « حللو شاة وبنو لاي » يعني القائدين
المغوليين المشهورين « ختلوشاه وبولاي » ، ونقل ترجمـة الشـيخ
صدر الدين الوكيل الى الصفحة ١٠٩ من الجزء الاول مع الاحمدين
مع أن اسمه « محمد » وترجمته في الجزء الثاني . « ص ٤٤٥ » .
وجعل حسام الدين بركة خان في ص ١١٦ « حسام الدين بن كرخان »
وصير « توريز » تورين في ص ١٧٦ ، والجواني في ص ٢٠٤ صيره
« الحراني » ، وتموجين في ص ٢١١ « تمرحين » ؛ واليسق فـي
ص ٢١٢ « النسق » ، وابن الجبـاب في ص ٢٤٤ « ابن الحبـاب »
وسداد بن ابراهيم الجزري صيره « شداد بن ابراهيم »

(٢٩٥) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣٨ "لورقة ١٩"

(٢٩٦) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي « نسـخة الـدار المذكورة ٢٠٦٨
الورقة ١٧٣ » .

(٢٩٧) الحوادث « ٣٢١ » .

٧٣ ـ وقال الأستاذ الجليل في الصفحة ٣١ في الكلام على الخلل الواقع في الجزء الرابع من تلخيص معجم الألقاب والعبث والتلفيق كما سماه هو : « أوقعنا هذا العبث أو التلفيق كما أوقع غيرنا في اوهام لم نفطن اليها الا بعد مضي زمن غير قليل ••• » • وليت الاستاذ الجليل ذكر غيره فردا او جماعة ، لنعرف أخطاءهم ومزالقهم في النقل من هذا الكتاب ، وليته ذكر الاوهام فَصححها كما حاولت آنا خدمة للتاريخ والحقيقة ، فان تصحيحها واجب آدبي مقدس ، وتبعة السكوت عليهما غليظة ، ونرجو منه رجاءا موءكدا بالابتهال ان يذكر في مستقبل الايام الاوهام التي وقع فيها غيره •

٧٤ ـ وقال الشيخ الجليل في الصفحة ١٢ : « علق بخطه ـ يعني ابن الفوطي ـ على ترجمة عميد الدين عبدالمطلب بن علي بن المختار النقيب ، وهو من صدور العراق الذين اتصل بهم ، ما هذا نصه : « وقد ذكرته في التاريخ وتوفي وانا يومئذ في أذربيجان سنة ٧٠٧ • ولم يسم ابن الفوطي كتاب التاريخ الذي ذكره فيه ، ونرجح آنه معجمه الكبير الذي اختصر منه هذا الكتاب » •

قلت : لا أرى وجها لهذا الترجيح ، فالمعجم المفقود الذي أشار اليه لم يسمه هو باسم « التاريخ » كما لم يسمّ تلخيص ذلك المعجم بالتاريخ، وانما التاريخ الذي أراده هو «تاريخ الحوادث» الذي ذكوه في التلخيص غير مرة ، كقوله في ترجمة عزالدين أبي محمد شرفشاه بن محمد بن عبدالرزاق الجعفري الطبرسي الصدر الصاحب : تقلّب في الاعمال الجليلة، وعَبرتْ على رأسه أمور عجيبة ، وقد ذكرتُ ذلك في حوادث التاريخ ••• »[٢٩٨] وقال في ترجمة عزالدين الحسين بن محمد ابن النيار البغدادي : « وعزلني ابن العاقولي عما كان بيدي فتركت الترداد اليهم وذلك سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ، وقد ذكرت ذلك مسوفىً في التاريخ

(٢٩٨) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ٤٩ من نسختي الاولى بخطى » .

والحوادث المرتب على السنين»[٢٩٩] . وقال في ترجمة فلك الدين أبي نصر محمد بن عبدالله المستعصمي الكاتب : « وتوفي في رجب سنة عشر وسبعمائة وله شعر حسن ورسائل واخبار ذكرتُ في التاريخ أكثرها » . وقال في ترجمة كمال الدين منصور بن أحمد ابن الشديدي الكوفي : « وقد ذكرته في التاريخ وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وستمائة ... » [٣٠٠] » وقد قدمنا ذكر هذا الرجل . وقال في ترجمة مجد الملك هبة الله بن محمد بن هبة الله اليزدي : « وجرت له أقاصيص ذكرتها في التاريخ » ، وقال في ترجمة علاءالدين أبي منصور عطا ملك بن محمد الجويني المشهور : وهو الذي أعادني الى مدينة السلام وفَوَّضَ اليّ كتابة التاريخ والحوادث ، وله رسائل واشعار وحكم وامثال يضيق هذا المختصر من ذكرها » [٣٠١] . وقال في ترجمة فخرالدين أبي الفضل أحمد بن الحسن بن محمد الآملي التبريزي : « الصاحب المعظم ، من أكابر تبريز وأعيانها وأماثلها . ولما تسلم الوزير علي شاه الوقف من نواب خواجه اصيل الدين الحسن بن مولانا نصير الدين تقدم بجمع النواب، لعمل الحساب ، وقدم بغداد .. وذكرت ذلك في التاريخ مستوفى ... »[٣٠٢] .

ثم إن المؤرخين يذكرون معجم الألقاب باسمه حين يذكرونه ولم يسمه أحد بمجرد « التاريخ » بل موصوفاً موسوماً بالألقاب ، قال شمس الذهبي في حوادث سنة ٦٨٣ : « محمد بن محمد بن محمد الوزير الكبير شمس الدين أبو المكارم الجويني ، وزير الدولة التتارية والحاكم في المغول ، نفذت أقلامه في الأقاليم ، وله رسائل وأشعار ، وقد ذكره ابن

(٢٩٩) التلخيص « ٤ : ٧ من نسختي المذكورة » .

(٣٠٠) تلخيص معجم الالقاب « ج ٥ في الترجمة ٦٠٠ من الكاف » .

(٣٠١) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ١٦٣ من نسختي بخطي » .

(٣٠٢) التلخيص « ٤ : ٢١٩ » .

الفوطي مستقصىً في معجم الألقاب وقال : قتل بنواحي آبهر بعد آن كتب وصيته بيده ، سمعنا من لفظه قصائد بتبريز ، قتل في رابع شعبان[٣٠٣] » .
وقال في ترجمة أخيه علاء الدين الجويني : « وولي علاء الدين نظر العراق سنة نيف وستين (وستمائة) بعد العماد القزويني فأخذ في عمارة القرى وأسقط عن الفلاحين مغارم كثيرة الى ان تضاعف دخل العراق ، وعمر سوادها ، وحفر نهراً من الفرات مبدؤه من الأنبار ومنتهاه الى مشهد علي ــ رضي ــ فأنشأ عليه مائة وخمسين قرية ، ولقد بالغ بعض الناس وقال : عمر صاحب الديوان بغداد حتى كانت أجود من أيام الخليفة ووجد أهل بغداد به راحة... وكان الرجل الفاضل اذا صنفه كتابا ونسبه اليهما ــ يعني علاء الدين وأخاه شمس الدين ــ تكون جائزته ألف دينار ، وقد صنف شمس الدين معد بن الصيقل الجزري خمسين مقامة وقدمها فأعطي ألف دينار[٣٠٤] ، وكان لهما احسان الى العلماء والصلحاء ، وفيهمـــا اســـلام ولهما نظر في العلوم الأدبية والعقليـــة ، وفي وقتنا هـــذا الامام المؤرخ العلامة أبو الفضل عبد الرزاق بن احمد ابن الفوطي موءرخ عصره ، قد أورد في تاريخه الذي على الألقاب ترجمة علاء الدين مستوفاة ... » ثم قال : نقلا من معجم الألقاب : « كتب لي ــ يعني ابن الفوطـــي نفسه ــ منشورا بولاية كتابة التاريخ بعد شيخنا تاج الدين علي بن أنجب[٣٠٥] » .

ثم ان الشيخ الجليل قـــد كان اعترف بأن من تآليف ابن الفوطي كتاب «الحوادث والتاريخ» وأنه الكتاب الذي طبعته أنا باسم «الحوادث الجامعة » خطأ ، وبهذا الاسم أعني « كتاب الحوادث والتاريخ » عنون

(٣٠٣) تاريخ الاسلام « نسخة دار التحف البريطانية » ١٥٤٠ الورقة ٣٣ .

(٣٠٤) ارجع الى قول الشيخ الفاضل الذي ننقله بعدا : « وخلت غالبا مـــن العلماء والادباء وفقد الموءلفون والمصنفون والباحثون ... » .

(٣٠٥) تاريخ الاسلام « نسخة دار التحف البريطانية ١٥٤٠ الورقة ١٦٨ » .

رأيه الذي قدم به كتاب الحوادث[٣٠٦] ، ولم يذكر هناك أنَّ هذا الكتاب يعني به معجم ابن الفوطي الكبير ، أو الحوادث الجامعة ويستبعد منه بالبداهة أن يسوي بينهما ، فكيف صار الى هذا الرأي الجديد ؟ !

٧٥ ـــ وقال الشيخ الجليل في الصفحة ١٥ : « أدرك ابن الفوطي في حداثته انحلال الدولة العباسية واجتياح المغول للمشرق وفي جملته العراق حتى أصبحت هذه البلاد جزءا صغيرا من مملكة المغول وخلت غالبا من العلماء والادباء وفقد الموءلفون والمصنفون والباحثون وجرى على حملة الفنون والعلوم ما جرى من التقتيل والتشريد » .

قال الاستاذ الجليل ذلك ثم ذكر في أثناء الكتاب ما يخالفه ، قال في الصفحة ١٤٦ : «فالحق ان الجويني ـــ يعني علاءالدين ـــ لم يكن دون القزويني ان لم يتفوق عليه في التوسل بجميع الوسائل الممكنة لبعث حركة عمرانية كبرى في العراق بأسره ، فهو الذي جدد كثيرا من المدارس المتداعية ومنها المستنصرية وهو الذي أنشأ جملة من المدارس ودور الكتب وغير ذلك ، كما أنشأ جملة من الرباطات والملاجيء والمستشفيات[٣٠٧] وأجرى عليها الجرايات وعني بتعمير المشاهد في الغري والحائر ومشهد الكاظمين، وحفر الانهار والترع وأجرى الماء من الفرات الى الكوفة فالمشهد الغروي وهو الذي شجع حركة التأليف والموءلفين وأجزل العطاء والبذل لهم ، ومن هذه الناحية نجد جملة من (أمهات الاسفار والمصنفات في شتى

(٣٠٦) مقدمة كتاب الحوادث « ص ١ » .

(٣٠٧) لم نجد في العراق ولا في بغداد مدرسة واحدة تعرف بمدرسة علاءالدين الجويني ، اما مدرسة زوجته « العصمتية » فهي لزوجته بالبداهة، ولم نجد ببغداد دار كتب عرفت باسم « دار كتب علاءالدين الجويني» ولا رباطا بمشهد الامام علي (ع) ولا مارستانا « مستشفى » باسم «مارستان علاءالدين الجويني» ، بل عمر دار الشفاء بخوزستان كما ذكر ابن الفوطي في سيرته . وقد عمر بركة جامع الكوفة كما ذكر ابن فضل الله العمري ناقلا ، فهل يفيدنا الشيخ الجليل تعريفا بمرجعه التاريخي ؟ .

الموضوعات العلمية والادبية والتاريخية مهداة لخزائنه أو خزائن أهليه وذويه) ولا نظن القزويني عمادالدين[٣٠٨] يستطيع مجاراته في هذه الناحية ففي الوسع ان نقول ان الجويني بزّ جميع وزراء المغول في بعث حركة انشائية كبيرة شملت العراق وفارس وأذربيجان تشهد بذلك المدارس والمكتبات والكتب والمعاهد العلمية » . وهذا لا يحتاج الى فضل ايضاح .

وكان واجبا ان يضاف الى منشآت علاء الدين الجويني الخان الذي كان يستغله وينتفع به وقد بناه في أرض كان المسلمون يرتفقون بها جميعا، قال ابن الفوطي في ترجمة علاء الدين أحمد بن عبيدالله الاصفهاني الاصل البغدادي العدل المحتسب : « وراعى جانب الصاحب علاء الدين وعمر له الخان الذي أسسه بباب الغربة على شاطيء دجلة وظلم الناس الذين كانوا يعملون معه وأوجب له أنه هرب من العراق الى الشام ثم الى الحجاز وتصوف وجاور الحرم الشريف سنة احدى وثمانين وستمائة » [٣٠٩] .

٧٦ ــ وقال في ذكر ملكات ابن الفوطي في الصفحة ١٧ : وكانت له خبرة عملية في الموسيقى ، ومن الادلة على ذلك اشارته الى قصيدة معاصره الاديب المراغي المدعو معين الدين الطنطراني[٣١٠] التي مطلعها :

يا خلي البال قد أق	رحت بالبابال بال
بالنوى زلزلتني وال	عقل في الزلزال زال
يا رشيق القد قد قوّ	ست قدي فاستقم
في الهوى وافرغ فقلـ	بي شاغل الاشغال غال

---

(٣٠٨) قال في الصفحة ١٤٤ في سيرته نقلا من معجم ابن الفوطي : « عمر المساجد والمدارس ورمم الربط والمشاهد واجرى الجرايات من وقوفها للعلماء والفقهاء والصوفية واعاد رونق الاسلام بمدينة السلام وحاز بهذا الفعل الجميل الذي يبقى على جبهات الزمان حسن الاجر والثناء » .

(٣٠٩) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ١٥٥ من نسختي بخطي » .

(٣١٠) هو أبو محمد اسماعيل بن محمد بن اسماعيل المتوفى سنة ٦١٣ « تلخيص معجم الالقاب ج ٥ الترجمة ١٤٠٥ من الميم » .

وقد سماها « القصيدة المرجعة المصنوعة » او كمال يقل في مصطلحات الموسيقى هذا اليوم (القصيدة الملحنة) فهو خبير بالفن المذكور » .

ولا أرى هذا الاستدلال مستقيما بحيث يتخذ دليلا على معرفة ابن الفوطي الموسيقى ، ولم يذكر الاستاذ الجليل اين وجد أن معنى « المرجّعة » هو « الملحّنة » فالمصطلحات ينبغي أن يُذكر مرجعها التاريخي او الفني. وابن الفوطي لم يذكر في الترجمة ان القصيدة مُغنّاة فضلا عن ان يذكر أنها (ملحنة) ، وقوله « مرجعة مصنوعة » يُريد أن فيها صنعة بديعية وجناسا (مردّدا) ، وأن قافيتها (مرجعة) في آخر كل بيتين بعد الاولين. قال رشيد الدين محمد الوطواط البلخي : « التجنيس المكرر ويسمونه أيضا (المردد) او (المزدوج) ويكون بأن يجعل الكاتب أو الشاعر في نهاية الاسجاع او اواخر الابيات لفظين متجانسين ؛ ويجب ان يكون هذان اللفظان متتاليين ، ويجوز ان تكون في صدر اللفظ الأول منهما زيادة ، ومثاله النبيذ بغير النغم غمّ ، وبغير الدسم سُم) . (من طلب شيئا وجدّ وجد) . (من قرع بابا ولجّ ولج) ... ويقول ابو الفتح البستي :

أبا العباس لا تحسب بأني لشيبي عن حُلى الاشعار عار
فلي طبع كسلسال معين زلال من ذرا الاحجار جار
اذا ما أكبت الادوارُ زندا فلي زند على الادوار وار » [311].

هذا وقد راجعت ما عندي من كتاب مسالك الابصار في مبحث الغناء والمغنين ، فلم أجد فيه شيئا يوءيد قول الاستاذ الجليل . وانما وجدت قوله ناقلا : « ... قال صدقة بن محمد الملحن : حضرت القاضي أبا حامد الشهرزوري وقد صنعت لحنا في ابيات البحراني : أيها البارق من وادي سلم ... » [312] ثم قال في ترجمة زين الدين بن الدهان الموصلي :

---

(٣١١) حدائق السحر في دقائق الشعر « ص ٩٨ » .

(٣١٢) مسالك الابصار « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٨٧٠ الورقة ١٥٤ » .

« ومن أصواته ما رواه لي عنه الجمال المشرقي في الراست : يا نار أسود قلبي ... » [٣١٣] . ثم قال في ترجمة صفي الدين الارموي : « وحدثني الجمال المشرقي عنه وذكر عدة أصوات له فمنها في شعر المتنبي : اليوم موعدكم فأين الموعد ... »[٣١٤] . ثم قال « وكانت اكثر اصوات الجمال المشرقي في الاشعار المنظومة بالفارسية » [٣١٥] .

والمعروف في الغناء أن « الترجيع » هو ترديد الصوت في الحلق وهو مأخوذ من « ترجيع المؤذن » قال الفيومي في المصباح المنير : « ورجّع في أذانه بالتثقيل اذا أتى بالشهادتين مرة خفضا ومرّة رفْعا » ومنه قول أبي حيان التوحيدي : « ولا طرب ابن غيلان على ترجيعات بلّور » [٢١٦]. فالترجيع شعبة من شعب الاصوات الاصطلاحية أي الالحان الغنائية وهو معروف في الغناء وليس هو التلحين .

٧٧ ــ وقال الاستاذ الجليل في الصفحة ١٨ : « وقد يبلغ شغفه ــ يعني ابن الفوطي ــ بالتصوّف والمتصوفة حد التهوّس فهو يلهج بذكر الصوفية الفقراء ، وهي نزعة من نزعاته القوية التي نشأت عن وجوده في ديار العجم على الأكثر في ذلك العصر ... » .

قلت : لم تكن ديار العجم مختصة بالتصوف والصوفية والمتصوفين والفقراء منهم ، حتى يقال ان نزعته الصوفية القوية نشأت من وجوده في ديار الاعاجم ، فالتصوف الصق بالمذهب الشافعي والشافعية منه بأي مذهب آخر ، وبغداد كانت في أيام ابن الفوطي من معادن المذهب الشافعي ومراكزه ، وكان فيها من الرُبط « الخانقاهات » والزوايا ما لم يكن

---

(٣١٣) المرجع المذكور « الورقة ١٥٥ » .

(٣١٤) المرجع المذكور « الورقة ١٥٧ » .

(٣١٥) الورقة «١٦٧» .

(٣١٦) الامتاع والموءانسة « ٢ : ١٦٦ » .

مثله في مدينة أخرى ، حتى لقد اخذت جماعة من الحنابلة مذهب التصوف بالمنافسة والمباراة ، لوجود الكثرة الكاثرة من المتصوفة في شافعيي بغداد، وقد أوجد الميلَ الصوفي في ابن الفوطي عوامل عدة لم يكن منها كينونته في ديار العجم خاصة . للسبب الذي قدمت ، فأولها ميل والده الى مذهب الصوفية وايلافه اياه مجالسهم ، وتعويده زياراتهم ؛ قال في ترجمة محيي الدين أبي الفقراء محمد بن عبدالعزيز السكران الخالصي : « الشيخ العارف الزاهد . كان شيخ زمانه ورعا وعبادة ، ومعرفة وزهادة ، والزاوية المنسوبة اليه هي طراز العراق التي اشتهر ذكرها في جميع الآفاق ، أدركت زمانه وتبركتُ بروءيته وتشرفتُ قبيل الوقعة بتقبيل يده ، وكان قد استدعاه الخليفة (المستعصم) لاجل الدعاء مع جماعة من الفقراء ...»[٣١٧] .
فهو قد رأى هذا الصوفيّ الزاهد قبل وقعة بغداد سنة ٦٥٦ أي قبل أن يكون عمره أربع عشرة سنة ، ولا شك في أن ميله اليه وتبركه به كان « بحث وحض » من والده تاج الدين احمد ، قال في ترجمة عماد الدين ابي عبدالله محمد ابن غانم الاصفهاني الكاغدي الواعظ الصوفي : « قدم بغداد شابا وصحب شيخ الشيوخ شهاب الدين (عمر بن عبدالله) السهروردي ، وانتفع به ، وتقدم على أكثر اصحابه ، ولما توفي شهاب الدين انقطع بعده في جامع المنصور[٣١٨] واشتغل بالعبادة والتلاوة ، ثم عني بالوعظ ، ففتح عليه ، وكان في مدرسة أبي النجيب (عبدالقاهر السهروردي) وكان يتكلم على طريقة الصوفية وكان حسن الاستنبا (ط) لمعاني القرآن العزيز (وحضرت مجلسه في خدمة والدي) وله تصانيف حسان ، وكلام عال ، وشعر كثير على طريقتهم ، وتوفي يوم الاحد غرة رجب سنة خمسين وستمائة ؛ ودفن بدرب الدرجة من محلة الخاتونية »[٣١٩] .

---

(٣١٧) تلخيص معجم الالقاب « ج ٥ الترجمة ٨٤٢ » .

(٣١٨) هذا يصور لك انتشار التصوف ببغداد في الموءسسات الدينية حتى المساجد .

(٣١٩) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ١٢٥ من نسختي بخطي » .

فابن الفوطي كان يألف مجالس الصوفية منذ الصبا ، ويقتدي بأبيه لانه كان له هوى في سيرهم ، ولكننا لا نستطيع ان نقول انه كان متصوفا كامل التصوف ، ألا تراه يقول: « وله تصانيفه حسان وكلام عال وشعر كثير على طريقتهم » . ولم يقل « على طريقنا ارباب التصوف » . والظاهر أنه لبس خرقة التصوف من بعض الشيوخ لتمشية أمره وتسهيل معيشته ، قال في ترجمة فخر الدين أبي الفتوح محمد بن أحمد الجعفري التبريزي : « الشيخ المحقق ، قبلة المحققين وبقية المتكلمين ... ذكر أن نسبة خرقته الى والده تاج الدين أبي الفتوح (كذا) ... ونسبة الصحبة الى الخضر ـ ع ـ وكتب لنا الوصية النافعة التي ذكرتها في المشيخة وكتب لي بخطه في جمادى الاولى سنة خمس وسبعين وستمائة (وأمرني أن ألبس الخرقة منه) وكان صادق العزم وكانت وفاته سنة ثمانين وستمائة »[٣٢٠] .

فتأمل قوله « وأمرني ... » فهو كالصوفي المجبر على التصوف . فالعامل الاول في ميله الى التصوف اذن هو نشأته وبيانه ؛ على النحو الذي ذكرت ، والعامل الثاني كونه في شبابه أسيرا فقيرا يترمق العيش في الربط « الخانقاهات » والزوايا ، والمدارس والمساجد ، ولبث كذلك حتى اعتدلت حاله بعض الاعتدال ، وكان ميله الى التصوف سببا في اقباله على الحديث والتاريخ والادب دون مسالك العيش الاخرى ، فذو قرابته ورفيقه قوام الدين ابو الفضل بن عبدالقادر بن محمد الفوطي الحنبلي[٣٢١] مع دراسته ألفية ابن مُعْطٍ وحفظه معه مقامات الحريري وسماعه الاحاديث النبوية في عنفوان شبابه انصرف الى صنعة النجارة ومَهر فيها ، ونُسب اليه أنه كان يكاتب ملوك الشام ، وأرادوا تصديعه ـ على حد قول ابن الفوطي ـ فهرب الى دمشق (والفرار مما لا يطاق من سنن

(٣٢٠) التلخيص المذكور « ٤ : ٢٤٨ » وراجع « ص ٤٤٤ » من هذا الجزء .

(٣٢١) يحسن تذكر قولي آنفا ان الحنابلة كان لهم الفضل البين في تقديم الضحايا لهذا الشأن .

المرسلين) كما قال هو ايضا ومات بدمشق سنةسبع وثمانين وستمائة»[٣٢٢].

والعامل الثالث ولايته شيئا من أملاك الوقوف المحبوسة على المتصوفين ، قال في ترجمة عزالدين الحسين بن علي الخواري التاجر : « نزل بغداد واقام بها وحج الى بيت الله الحرام وهو جميل المعاشرة ، صحيح المعاملة ، مشكور الطريقة ، حصل بيني وبينه معاملة من جهة الوقف وكان يشتري ثمرة[٣٢٣] البستان الديباجي الموقوف على رباط الكاتبة ، ولما ولي ابن العاقولي وكنت قد بعته [٣٢٤] منه واستسلفت ثمنه للزحمات التي كان أصلها تولية ركن الدين العلوي ، فأحسن هذا عزالدين التقاضي — جزاه الله خيرا — » [٣٢٥] .

ومن البديهي أن من الخير لمتولي وقف مؤسسة خيرية صوفية أن يتخلّق بأخلاق الواقف ، أو يميل الى ما يحبه ليكون أحرى من غيره بالولاية وأحق بنيل الرعاية ، وقديما قال الموصي بالتخلّق :

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام فلاح

والعامل الرابع هو كثرة مخالطته للشافعية والشيعة الامامية ، فالمخالطة الاولى سوّغت ان يوّلى وقف سيدة بارة صالحة شافعية هي السيدة شهدة بنت الابري كما ذكرنا قليلا ، مع أنه كان حنبليا ، والمخالطة الثانية خففت حنبلينه ، وذلك بعد التحاقه بنصير الدين الطوسي وأبنائه وغياث الدين عبدالكريم بن طاووس ومن جرى مجراهم من الشيعة الامامية ، قال في ترجمة فخرالدين ابي الفتح علي بن يوسف ابن البوقي الاديب الشافعي : « كتب لي بخطه اوراقا من فوائده ، وتردد اليّ أول ما قدمت العراق

---

(٣٢٢) التلخيص « ٤ : ٣٤٦ من نسختي بخطي » .

(٣٢٣) يعني الثمرة التي هي الثمر فكأنه رجع بالضمير الى الاصل .

(٣٢٤) التلخيص « ٤ : ٥ » . ويعني بالكاتبة « فخر النساء شهدة بنت الابري » وكان رباطها برحبة جامع الخلفاء .

(٣٢٥) التلخيص « ٤ : ٢٤٢ » .

وسكنت في مشهد البُرمة بالجعفرية مع شيخنا غياث الدين عبدالكريم بن طاووس وتوفي سنة سبع وسبعمائة وكنت يومئذ بالحضرة » [٣٢٥] .

٧٨ ــ وقال الشيخ الفاضل في الصفحة ٢١: « ورد في بعض تراجم المعجم (ابن أبي زيادة [٣٢٦] من سادات خراسان ، استوطن تبريز وجاء أبن طاووس لتصحيح نسبه وقدم بغداد سنة ٧٠٧ وكتبت له نسبه [٣٢٧]) فالموءلف ــ يعني ابن الفوطي ــ يحترف كتابة الوثائق والكتب والموءلفات في شتى المواضيع » .

قلت : لم يكن المذكور « أبن أبي زيادة » بالياء بل « ابن زبارة » بالباء الموحدة بعد الزاي ، قال ابن الفوطي : « قطب الدين ابو علي حيدر بن الحسين بن محمد العلوي ، يعرف بابن زبارة ، السوكندي الصوفي من السادات الاكابر ، الاكارم ، أصلهم من خراسان وينسب الى بيت الزبارة من نيسابور ، وسوكند قرية على باب نيسابور ، واستوطن تبريز مع أهله، وجاء الى حضرة النقيب الطاهر رضي الدين علي بن طاوس لتصحيح نسبه ، وسأل النسابة العالم شرف الدين محمد بن عبدالحميد الحسيني ، فوعده بتحصيله ، وقدم بغداد سنة سبع وسبعمائة وكتبت له نسبه » [٣٢٨] .

فتأمل الفرق بين القولين : بين « ابن أبي زيادة » و « ابن زبارة » ، وابن زبارة منسوب الى « زبارة » وهو ، على ما حفظت ، بطن كبير من العلويين منهم أبو علي محمد بن أحمد بن محمد وهو الملقب بزبارة بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب العلوي شيخ العلويين بنيسابور ، بل بخراسان ، سمع الحسين بن

(٣٢٦) وهكذا اثبته الشيخ في فهرست الكتاب « ص ٣٢٣ » .

(٣٢٧) وقال الشيخ الفاضل في الحاشية « يراجع فصل الانساب » ولم ادر ماذا اراد بذلك وما ادريه .

(٣٢٨) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ٣١ » من نسختي بخطي » .

الفضل البجلي وروى عنه ابن أخيه أبو محمد بن ابي الحسين بن زبارة . وتوفي سنة ستين وثلاثمائة بنيسابور »[٣٢٩] ، قال : « وانما لقب محمد بزبارة لانه كان من أهل المدينة ، وكان شجاعا شديد الغضب . وكان اذا غضب يقول جيرانه : قد زبر الاسد . فلقب زبارة » ، وقال ابن مهنا المعروف بابن عنبة : « وأما عبدالله المفقود بن الحسن المكفوف ففيه البيت . ولم يأت لبني الافطس بيت مثلهم ويقال له بنو زبارة لان عقبه يرجع الى أبي احمد زبارة بن محمد الاكبر ... »[٣٣٠] .

٧٩ ــ وقال الشيخ الجليل في الصفحة ٢٢ : « ... كما يُعنى ــ أي ابن الفوطي ــ بسيرة الوراقين والناسخين ، وقد ترجم لاحد فقهاء المستنصرية بأنه كاتب ناسخ قائلا : كتب لنفسه ولغيره جملة من الكتب الدينية والادبية من المطولات والمتوسطات والمختصرات وجمع أشعار تقي الدين المغربي . ثم اثنى على خطه وضبطه وما الى ذلك » . وأحال بقوله هذا على المجلد الرابع من تلخيص معجم الالقاب في الورقة ٣٢ منه كما يأتي ٤/٣٢ . والظاهر أن وهما وقع في ارقام الورقة ، ثم ان الفائدة قد قلصت حتى نقصت بهذا الذكر المبهم وابهام المترجم . والحقيقة ان الفقيه المذكور هو « قوام الدين ابو الفضل علي ابن الامير قتلغ بن عبدالله التركي المحتد البغدادي الحنفي »[٣٣١] قال ابن الفوطي : « من فقهاء الطائفة

---

(٣٢٩) انساب السمعاني في « الزباري » واللباب في تهذيب الانساب .

(٣٣٠) عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب « ص ٣٠٣ طبعة الهند » ، وقد نقلنا من الانساب واللباب آنفا ان زبارة هو محمد بن عبدالله ، ومؤلف العمدة جعله ابنه احمد بن محمد كما ترى .

(٣٣١) سيأتي قول ابن الفوطي « المالكي » ولعله سهو منه . فالتركي مستبعد ان يكون مالكي المذهب ، والصواب ما ذكرته ، قال الذهبي في وفيات سنة ٦٨٤ : « علي بن عبدالعزيز بن علي بن جابر الفقيه الاديب البارع تقي الدين القرشي البغدادي الشاعر المعروف بابن المغربي ... مات ببغداد فيما ورخه ابن الفوطي ... وقد اعتنى الفقيه قوام الدين الحنفي بجمع ديوانه » ، تاريخ الاسلام ، نسخة دار التحف البريطانية ١٥٤٠ الورقة ٣٨ » .

المالكية بالمدرسة المستنصرية ، فقيه فاضل ناسخ ... وله أخلاق حسنة وهو مليح الخط ، صحيح الضبط ، أتحفني بأشعار تقي الدين وغيره ، وكان أقضى القضاة نجم الدين الطشتي التبريزي ، مدة مقامه ببغداد سنة احدى عشرة وسبعمائة قد استنسخه منه وكان يشكره على صحة ضبطه »[٣٣٢].

٨٠ ـ وقال في بيان افتنان ابن الفوطي في الصفحة ٢٣ : « فهو الناسخ الوراق الذي يعنى بالنسخ المختارة من المخطوطات وبأنسابها وتواريخها ومظان وجودها وما الى ذلك ، والأمثلة في كتبه من هذا القبيل كثيرة » . وقال الشيخ الفاضل في الحاشية : « من هذه الامثلة ما جاء في كلامه عن[٣٣٣] أحد المحدثين وهذا نصه : قوام الدين نصر بن موسى الواسطي المحدث ، عنده ديوان عزالدين عبدالحميد بن أبي الحديد بخطه، حدث عنه شيخنا بهاء الدين علي بن عيسى الاربلي ١٣٩/٤ » .

وفي نقل الشيخ الفاضل وهم مبين . فلم يكن ديوان عبدالحميد بن أبي الحديد عند قوام الدين نصر بن موسى الواسطي المحدث بل عند ابن الفوطي نفسه ، وكان بخط قوام الدين ابي الفضل نصر بن تاج الدين أبي نصر محمد الصاحب ابن نصر ابن الصلايا العلوي الحسيني المدائني الكاتب ، قال ابن الفوطي بعد ذكر اسمه ونسبه كما نقلناه هنا : « من البيت المعروف بالرياسة والسيادة ، وأصل بيت الصلايا من المدائن ، تقدم ذكر والده الصاحب مطلقا تاج الدين ، المتولي على اربل وجميع الجبال المحيطة به ، وكان قوام الدين كاتبا سديدا وعندي ديوان عزالدين عبدالحميد بن أبي الحديد بخطه ، وحدثني شيخنا بهاء الدين علي بن عيسى (الاربلي) عنه قال : كان دمث الاخلاق ، قد تربى في النعمة وخفض العيش وكان محبا

---

(٣٣٢) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ٣٤٣ » والترجمة في النسخة المصورة المحفوظة في مكتبة مديرية الآثار هي في الورقة ٤٥٢ منها .

(٣٣٣) كذا ورد ، والصواب « على أحد » ، اما « عن » فتفيد النيابة ، يقال « تكلم الوكيل عن موكله على الدعوى » .

للادب ولم يكن عنده اشتغال طائل وذكر شيئا ..»[٣٣٤] .

واما قوام الدين نصر بن موسى الذي ذكره الشيخ الفاضل فقد قال ابن الفوطي في سيرته : « قوام الدين ابو الفتح نصر بن موسى بن منصور الواسطي المحدث . أورد في تعاليقه : قال أبو حامد بن الشرقي النيسابوري: قيل لي وأنا أكتب الحديث في بلدي : لم لا ترحل الى العراق ؟ فقلت : وما أصنع بالعراق وعندنا من بنادرة[٣٣٥] الحديث ثلاثة محمد بن يحيى الذهلي ، وأبو الازهر احمد بن الازهر ، واحمد بن يوسف السلمي ، فاستغنينا عن أهل العراق »[٣٣٦] .

٨١ ـ وقال الشيخ الفاضل في الصفحة ٢٣ أيضا : « من الامثلة على ذلك ـ على الاشارة الى مميزات النسخ ـ ما جاء في ترجمة مثبتة في معجمه هذا نصّها : قوام الدين محمد بن عزيز بن علي القاضي الرئيس . صنف له أفضل الدين الكاشي الحكيم كتاب مدارج الكمال الى معارج الجلال » . والنصّ في الحقيقة هو « قوام الدين ابو طالب بن عزيز ابن علي القاشي الرئيس ، قرأت بخط مولانا السعيد نصير الدين أبي جعفر الطوسي ـ طاب ثراه ـ على كتاب مدارج الكمال الى معارج الجلال من تصنيف الحكيم الفاضل أفضل الدين الكاشي للصدر الاجل قوام الدين المذكور :

رقِيت بهاتيك المدارج في العُلا	فللّه ربي درّها من مَدارج
وقدّس ربّي روحَ حُرّ أجادها	أعز فتى حيا وأكرم دارج»[٣٣٧]

---

(٣٣٤) التلخيص « ٤ : ٣٥١ من نسختي بخطي وهي في الورقة ٤٦٦ من نسخة مكتبة مديرية الآثار المصورة اي مكتبة المتحف .

(٣٣٥) البنادرة جمع البندار ، قال السمعاني في الانساب : « البنداري ... هذه النسبة الى من يكون مكثرا من شيء يشتري منه من هو أسفل منه ، أو اخف حالا واقل مالا منه ثم يبيع ما يشتري منه من غيره وهذه لفظة عجمية » .

(٣٣٦) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ٣٥١ » .

(٣٣٧) التلخيص « ٤ : ٣٤٧ » .

فأين القاضي من « القاشي » وأين ذلك النصّ من هذا النصّ ؟ .

٨٢ ــ وقال في حاشية الصفحة ٢٣ أيضا : « وقد ــ يعني ابن الفوطي ــ في ترجمة لاحد معارفه ... ما هذا نصّه : كتبت له نسخة من مشيخة شيخنا كمال الدين عبدالعزيز المراغي قاضي سراو ٥/٥٩٢ » . وفي هذه التسمية وهم مبين ، لأنه « كمال الدين احمد بن عبد العزيز ينال » ، قال ابن الفوطي : « كمال الدين ابو محمد أحمد بن عبدالعزيز ينال بن العزيز محمد بن جامع ، نزيل سراو المراغي ، قاضي سراو ... »[٣٣٨] .

فاسم الرجل كمال الدين أحمد بن عبدالعزيز لا عبد العزيز ، ثم ان ابن الفوطي لم يترجمه في اسم « عبدالعزيز » من اب كمال الدين ، فلا وجه لهذا الوهم سوى السهو .

٨٣ ــ وذكر الاستاذ الجليل في الصفحة ٢٥ الطبقات التي عني بذكرها ابن الفوطي في كتبه مضافا الى عنايته بالتاريخ وسير الناس ، على الطريقة المألوفة في كتب المؤرخين وأصحاب السير والطبقات ، فذكر خمس طبقات ، وفاتته طبقة « القراء والمقرئين » و « طبقة المفسرين » والشواهد على ذلك كثيرة ، لا تقتضي اكثر من تقرّي الباحث ألقاب المترجمين اسماً اسماً .

٨٤ ــ ونقل الاستاذ الجليل في حاشية الصفحة ٢٩ ما ورد في كتاب مراصد الاطلاع على الامكنة والبقاع ، من الكلام على « نهر المعلى » من

---

(٣٣٨) التلخيص « ٥ : الترجمة ٢٧٥ من الكاف » ، وذكره في موضع اخر من الجزء الخامس ، قال : « كمال الدين ابو الخير احمد بن عمر بن عبد الله المراغي الصوفي ، ذكره شيخنا كمال الدين احمد بن العزيز المراغي قاضي سراو في مشيخته ... » . وذكره في الجزء الرابع غير مرة ، قال في ترجمة عماد الدين عبد الحميد بن محمد القزويني : ذكره شيخنا كمال الدين احمد بن العزيز المراغي قاضي سراو ... » . وقال في ترجمة علاء الدين ابي علي مؤيد بن عبد الحميد القزويني : « وروى لنا عنه شيخنا كمال الدين احمد بن العزيز المراغي ، في مشيخته ... » .

الانهار التي تخترق شرقي بغداد في ايام بني العباس ومن بعدهم الى ان عفا ودثر ، قال « في مراصد الاطلاع أيضا : نهر المعلى هو اليوم (صدر المائة الثامنة) أعظم وأشهر محلة ببغداد وفيها دار الخلافة ... قلت (والقول لصاحب المراصد) : ... » . فاضافته «الثامنة» لا تصح ، **لأن** القائل الاول هو ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ ، فالصواب «المائة السابعة» أما « المائة الثامنة » فيجوز استعمالها بعد قول موءلف المراصد « قلت » لانه توفي في أثناء النصف الاول من القرن الثامن للهجرة .

٨٥ ــ وقال في الصفحة ٢٩ « شارع السلطان » وهو يعد اسماء مواضع ببغداد وغيرها ، ولم يكن ببغداد شارع اسمه « شارع **السلطان** » **بل كان « سوق السلطان » و « سور سوق السلطان » و « باب السلطان »** وهو الباب المعروف اليوم بباب المعظم قرب وزارة الدفاع .

٨٦ ــ وذكر في الصفحة ٤٩ كتاب « الوافي بالوفيات » للصلاح الصفدي ، **قال** : « ولا تزال جل أجزاء هذا الكتاب مخطوطة وقد طبع **منه جزآن في مطبعة الدولة في الاستانة ... » وهذا خبر قديم ، فقد** طبع من الوافي « أربعة أجزاء » .

٨٧ ــ وذكر الاستاذ الجليل في الصفحة ٥١ ابن شاكر الكتبي مع الموءرخين الذين اطلعوا على بعض كتب ابن الفوطي في التاريخ ، **قال** « سادسا (كذا) **ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات ، ولا شك انه اطلع على بعض مصنفات ابن الفوطي في التاريخ وعوّل عليها في كتابه المذكور »** وقال في الحاشية : **« لابن الفوطي ترجمة حسنة في فوات الوفيات ٣٤٨/١** من طبعة بولاق » ثم قال في حاشية الصفحة ٥٨ : « ... رابعا ابن شاكر الكتبي ، **نقل عبارة موءلف الحوادث الجامعة بعينها عن عدد قتلى واقعة** بغداد وذلك في جزء من كتاب (عيون التواريخ) وتوجد نسخة الاصل **منه بخط الموءلف ابن شاكر الكتبي ، هي نسخة الخزانة التيمورية في** القاهرة ، وليس فيما نقله ابن شاكر اشارة الى اسم الكتاب المنقول منه » .

وعلى هذا القول يكون ابن شاكر الكتبي قد اطلع ، بحسب رأي الاستاذ ، على كتابين لابن الفوطي ، أحدهما تلخيص معجم الالقاب ، والآخر كتاب « الحوادث » المستحيلة عندي نسبته الى ابن الفوطي ، ولا يصح القول الاول فضلا عن الثاني ، لان ابن شاكر الكتبي نقل من « الوافي بالوفيات » كما ثبت بالمقابلة والموازنة ، وكما صرح هو به غير مرة ولانه لم يقل في موضع من كتابه الفوات أو غيره « نقلت من كتاب ابن الفوطي ولا قرأت بخطه » ، ولست أنفي ذلك حبا للنفي ، بل انفيه من حيث الواجب التاريخي ، وأسأل الله تعالى أن يوفق الشيخ الجليل للعثور على دليل يثبت به قوله ، فان الاثبات في مثل هذه الامور أحلى وأحب الى الباحثين من النفي لان النفي نقصان والاثبات زيادة . ثم اني لو أردت التكثر بالشبه لقلت مثلا : فات الاستاذ الجليل من المظان « المنهل الصافي بعد الوافي » لابن تغري بردي ، فقد ذكر مثلا في ترجمة « الحسن ابن علي أبي عبدالله الشهرزوري الفقيه الشافعي » أنه « كان اماما فقيها زاهدا وهو من شيوخ الفرضي ، قال ابن الفوطي : أفتى عدّة سنين وكان يحفظ المهذب لابي اسحاق (الشيرازي) وكان أمياً . توفي سنة اثنتين وثمانين وستمائة » [339] .

وابن تغري بردي في رأيي ، نقل من تاريخ الذهبي ، قال الذهبي في تاريخ وفيات سنة ٦٨٢ : «الحسن بن علي بن عبدالله ابو عبدالله الشهرزوري الفقيه امام علامة زاهد ، عابد قائم على المذهب ، نزل بغداد وسمع ابن قميرة . توفي في القعدة ، وهو من شيوخ الفرضي ، قال الفوطي : أفتى عدة سنين وكان يحفظ المهذب لابي اسحاق ، وكان اميا ، وكان مدرسا بمدرسة فخر الدين بن القاضي . سألته عن مولده فقال : سنة عشر وستمائة تقريبا » .

(٣٣٩) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٨ الورقة ٢٦ » ، ويجوز عندي ايضاً أن ابن تغري بردي اخذ هذه الترجمة من الصفدي وهذا نقلها من تاريخ الاسلام الذهبي .

٨٨ ــ وقال الاستاذ الفاضل في الصفحة ٥٧ : « فان المؤلف في كتاب الحوادث الجامعة جامع أخبار ومدون حوادث فوّض اليه جمعها وتدوينها بأمر علاء الدين الجويني صاحب ديوان الممالك[٣٤٠] فهو مؤرخ الدولة المغولية وأسلوبه في الكتاب يشهد بذلك ... » وقال في الحاشية : « صرّح بذلك في ترجمة الجويني ج ٤ مادة علاء الدين » . قال الاستاذ ذلك لادحاض قول من ينفي أن يكون كتاب « الحوادث » الذي شارفت على طبعه قبل عدة سنين هو « الحوادث الجامعة » تفيا معتمدا على خفاء ذاتية مؤلف هذا الكتاب ، كما ذكرت قبلا .

قلت : لا يعقل ولا يقبل ان يكون مؤرخ الدولة المغولية ، بل مؤرخ علاء الدين نفسه أن يكون غريبا عن علاء الدين ، جاء في الذكر له على النحو الذي نراه في « كتاب الحوادث » ونحن نعلم طريقة المؤلفين في المدح والتعظيم ، والاجلال والتفخيم في تأليفهم كتابا باسم عظيم من العظماء او والٍ من كبار الولاة مثل علاء الدين الجويني ، وفي ذكر ذوي قرابته الدنيا كأخيه شمس الدين الجويني ، فتأمل قول مؤلف الحوادث في الصفحة ٣٣٩ : « فما زالوا على ذلك الى أن ولي الصاحب علاء الدين عطا ملك الجويني العراق فأسقط ذلك عنهم » . فهو لم يقل مثلا : « الصاحب العادل » على أقل مدح ولا « فارع هضبات المجد والشرف ، الحال من المناقب والمفاخر في الرأس وكل كريم في الطرف » ولا قال «استقامت به أمور الخلائق ،واعاد رونق الخلافة » كما قال في ترجمته في تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ١٦٣ » . وهل من الممكن أن يقول مؤرخ علاء الدين في حوادث سنة ٦٥٨ ــ ص ٣٤٣ ــ : « وفيها اتفق علي بهادر شحنة بغداد وعماد الدين القزويني وجماعة من صدور العراق وقصدوا حضرة السلطان ، حيث كان في الشام، ورفعوا على علاء الدين صاحب الديوان اشياء اعتمدها وأثبتوا ما استوعبه

(٣٤٠) لم يكن علاء الدين الجويني « صاحب ديوان الممالك » ، بل صاحب ديوان العراق ، ثم أضيفت اليه عربستان ، اما الممالك ديوان الممالك فهو أخوه « شمس الدين الجويني » .

من الاموال فأعاده معه الى بغداد ليقابل على ذلك ، فلما قوبل وثبت عليه ما نسب اليه ، أنهوا ذلك الى السلطان فأمر بقتله ، فسئل العفو عنه فأمر بحلق لحيته فحلقت ، وكان يجلس في الديوان ويستر وجهه » ؟ .

فلو أن موءرخا أراد أن يحتقر علاء الدين ويحط من قدره ويذمه باسم التاريخ لكفاه هذا القول وشفاه ، فكيف يكون هذا القائل مؤرخ علاء الدين ؟ وهل يقول في ذكر عدو من أعداء علاء الدين الذين سعوا في محاولة هلاكه وهو علي بهادر شحنة بغداد ، وقد سعى علاء الدين في قتله فقتل ـ ص ٣٥٠ ـ : « وكان علي بهادر حسن السياسة ، مظهرا للخير ، يلازم الصلوات في الجمع والتراويح وغيرها »[٣٤١] ، وبهذا نجتزىء عن ذكر غيره لئلا توءدي الدلالة الى الملالة .

٨٩ ـ وذكر في الصفحة (٧٢) قصة « أم عنقود » الجنية الخرافية ، قال : « رواية ثانية للقصة : لقصة أم عنقود رواية ثانية ظفرنا بها في كتاب الحوادث وبينها وبين رواية ابن الاثير في الكامل[٣٤٢] ضرب من الاختلاف فرواية مصنف الحوادث لا تخلو من نكتة وطرافة وقد تميزت بأن سندها رؤيا رأتها امرأة فصدقتها الدهماء ولما شغل الناس بها وتركوا أعمالهم أعلن رجال الديوان أنهم أقاموا أم عنقود من العزاء ، وفيما يلي خلاصة لهذه الرواية : جاء في أخبار سنة ٦٤٦ من كتاب الحوادث ... » .

والصحيح أن القصتين مختلفتان باختلاف أصحابهما وأزمانهما

---

(٣٤١) كان هذا الموءرخ قال في الصفحة ٣٤١ من الكتاب : « فقيل لعلي بهادر شحنة بغداد : أن فرس الوزير على الباب وفي حلقها مشدة وعليها كنبوش ابريسم فقام ومضى وشاهدها فعجب من ذلك ... فبال نائماً على المشدة وامر باخراج الفرس من الدركاه ... » . فتأمل اسلوب موءلف الحوادث في ذكر الاعيان .

(٣٤٢) ذكر الاستاذ ان ابن الاثير ذكرها في الكلام على حوادث سنة ٤٥٦ وقال انها حدثت سنة (٦٠٠ هـ) وقد جمع بين الحكايتين لتشابههما ، واصل الحكاية الاولى مذكور في المنتظم لابن الجوزي « ٨ : ٢٣٥ » .

وأمكنتهما ، صغرا ووساعة ، فالتي ذكرها ابن الاثير استطرادا كانت بالموصل وما ولاها من البلاد الى العراق سنة (٦٠٠) والتي ذكرها موءلف الحوادث كانت سنة ٦٤٦ ببغداد ، الا أن الجنية واحدة وهي « أم عنقود » وهذا على اعتبار العامة أن الجنّ يُعمرون ، وليست الست والاربعون سنة بمستبعدة في طول أعمارهم ، وقد ذكر القصة موءرخ آخر في حوادث سنة ٦٤٥ هـ قال ابن دقماق : « وفيها (سنة ٦٤٥) في جمادى الآخرة عرض للناس أمراض تعقبها أمراض الحلق والخوانيق ومات بهذا من الخلائق ما لا يحصون كثرة ، وفشا بين الناس ان امرأة رأت في منامها أن امرأة خاطبتها من بئر ملاصقة السور بسوق السلطان[٣٤٣] تقول لها : أنا جنية أعرف بأم عنقود وان ابني عنقودا مات ولم يُعزّوني فيه وأنا قد غضبتُ من ذلك وهُوذا أخنق الناس. فأشاعت المرأة هذه الرؤيا وعرّفت الناس البئر ، فقصدوها (كذا) خلق كثير لا سيما النساء ، ونصبوا الخيم هناك ، وصاروا ينوحون على البئر ويقولون ما صورتـه :

أم عنقـود اعذرينـا ... مـات عنقود وما درينا
وعنـد ما درينـا ... فكلنـا قـد جينـا
لا تحردي منـا فتخنقينـا

وما يناسب من هذه الهذيانات ، وشاع ذلك وكثر ، وقصدت تلك البئر من سائر محال بغداد وألقوا فيها المآكل على سبيل الهدية ، والدراهم والثياب ، وعلّق عندها السرج والشموع ، فتكلم العقلاء في ذلك وأهل العلم وأنكروا ذلك على فاعليه ، فتقدم الامر من الديوان الى الشحنة بالمضي الى هناك ومنع النساء من النياحة ، وبسد البئر وطرد من كان هنـاك ، نعوذ بالله من تلاعب الشيطان ، واشاعة مثل هذا الهذيان »[٣٤٤] .

---

(٣٤٣) سوق السلطان هو سوق الميدان الحالي على التقريب .

(٣٤٤) نزهة الانام في تاريخ الاسلام لابراهيم بن محمد بن ايدمر بن دقماق « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٩٣ الورقة ٧١ » ولم يذكر =

والحكايتان متقاربتان الا أن عبارة موءلف الحوادث أحكم وأسلس ، وأدل وأنفس ، وهي من الاسلوب البارع الذي تميز به موءلف الحوادث، وقصَّر عنه ابن الفوطي ، كما هو ظاهر لكل نَيْقد للاساليب الكتابية .

وفذلكة القول أن الحادثة التي ذكرها ابن الاثير من حوادث عصره هي غير الحادثة التي ذكرها موءلف الحوادث وابن دقماق وغيرُهما ، وجرت سنة ٦٤٥ أو سنة ٦٤٦ على قول مشكوك فيه أي بعد وفاة ابن الاثير بخمس عشرة سنة أو ست عشرة سنة ، وعلى ذلك لم يكن انشاد البيتين العاميين في بغداد والموصل معا كما ذكر الاستاذ الجليل في حاشية الصفحة ٧٣ من كتابه بل كان الانشاد في بغداد خاصة .

٩٠ ــ وذكر الاستاذ الجليل في حاشية الصفحة ٧٥ خلاصة سيرة شرف الدين اقبال الشرابي مقدم الجيوش العباسية وقال : « وأرخ صاحب الكتاب ــ يعني موءلف الحوادث ــ وفاته سنة ٦٤٣ ...»(٣٤٥). والصحيح أنه أرخ وفاته بسنة ٦٥٣ .

٩١ ــ وفي أثناء كلامه على السحرة والمشعبذين ذكر في الصفحة ٨٣ أن « أعظم سحرة هذا العصر ــ يعني القرن السابع ــ في العراق والشرق ، **هو الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعروف بقراجة» المقدم ذكره وقال : «اشتهر بأنه شيخ السلطان أي السلطان احمد بن هولاكو الايلخاني ومرشده »** الى أن قال « تجد له ترجمة مفصلة في كتاب الحوادث وأخرى في تلخيص معجم الآداب لابن الفوطي ... ويستفاد من تاريخ ابن الفرات ان هذا الشيخ ذهب الى الشام سفيرا من قبل السلطان فلم يأمنوا شره أو سحره ،

= ابن دقماق مرجعه التاريخي ، وقد ذكر في هذا الجزء حوادث مهمة جرت في العراق ، ووفيات عراقيين اعيان قدماء ، وقد نقلها عن بعض موءرخي العراق ، لانه ادرك القرن الثامن للهجرة ولانه عاش في مصر .

(٣٤٥) احال بذلك على الصفحتين ٣٠٨ و ٣٠٩ من الحوادث ، وهما من صفحات سنة ٦٥٣ .

ولذلك آمروا بسجنه ثم ضاع أثره ولم يوقف له على ذكر بعد ذلك ...».

قلت : ذكر شمس الدين الذهبي . مختصر سيرته في وفيات سنة ٦٨٣ قال : « قرأت بخط قطب الدين ابن الفقيه : حدثني عبدالله الموصلي الصوفي — وكان ممن قدم معه — أن عبدالرحمن كان من مماليك الخليفة المستعصم بالله ، وكان اسمه قراجا ، فلما أخذت بغداد تزهـد وتسمى عبدالرحمن . واتصل بالملك أحمد ، وعظم عنده الى الغاية ، بحيث كان (السلطان) ينزل الى زيارته واذا شاهده ترجل ثم قبّل يده وامتثل جميع ما يشير به . وكـان جميع ما يصدر من الملك من الخير بطريقه . فأشار عليه أن يتفق مع الملك المنصور (قلاوون) وتجتمع كلمتهم ، فندبه لذلك . وسير في خدمته جماعة كثيرة من المغول والاعيان ، فحضر الى دمشق في ذي الحجة سـنة اثنتين وثمانين (وستمائة) ، وأقام بمن معه في دار رضوان ، ورتب لهم من الاقامات مالا مزيد عليه ، وبولغ في خدمتهم وقدم السلطان الى الشام ، فعند وصوله بلغه قتل احمد وتملك أرغون بعده ، فاستحضر الشيخ عبدالرحمن بقلعة دمشق وسمع رسالته ثم أخبره بقتل مرسله ، ثم عاد السلطان الى مصـر . وبقي عبدالرحمن ومن معه معتقلين بالقلعة لكن اختصر اكثر تلك الرواتب وقدّر قدر الكفاية[٣٤٦] ، فلما كان في آخر رمضان توفي عبدالرحمن ودفن بسفح قاسيون وقد نيف على الستين ، وبقي مَن معه على حالهم وتطاول بهم الاعتقال وأهمل جانبهم بالكلية وضاق بهم الحال في المطعم والملبس فعمل النجم يحيى شعرا بعث به الى ملك الامراء ... فلما سمعه أطلق معظمهم وبقي في الاعتقال ثلاثة قيل ان صاحب ماردين أشار بابقائهم فـي أبيات[٣٤٧]. وكان عبدالرحمن مقاصده جميلة وظاهره وباطنه منصـرف الى نصرة الاسلام واجتماع الكلمة وله عدة سفرات الى مصـر والشـام والحجاز ولما قدم في الرسلية كانوا يسيرون به في الليل ، وكان يعرف السحر والسيمياء ، وبهذا انفعل له أحمد ، ورأيت في تاريخ أنه كان روميا مـن

---

(٣٤٦) راجع « ص ٤٤٢ » من هذا الجزء للمناسبة .

(٣٤٧) كذا ورد وسيأتي انه « الاعتقال » كما في الوافي بالوفيات .

فراشي السدّة (العباسية) وأخذ من الدور وقت الكائنة جوهرا نفيسا ..».
وحكى الحكاية المشهورة الى أن قال : « وخضع لــه الملك أحمد ايضـا وحسن اسلامــه »[٣٤٨] .

وعلى هذا لا يصح أن يقال كما يستفاد مــن تاريخ ابن الفــرات ان ان الشيخ عبدالرحمن « لم يأمنوا شرّه وسحره ولذلك أمروا بسجنه ثم ضاع أثره ولم يوقف له على ذكر بعد ذلك » كما نقلنا آنفا .

وقال موفق الدولة فضل الله بن ابي الفخر الصقاعي الكاتب فيما جمعه من التراجم من عشر الستين وستمائة الى آخر سنة خمس وعشرين وسبعمائة:
« الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله ، تلميذ الشيخ موفق الدين الكواشي ، حضر رسولا من جهة الملك أحمد بن هلاوو ملك التتار الى دمشق سـنة اثنتين وثمانين وستمائة في أيام الملك المنصور قلاوون وحضر صحبته قدر مئة وخمسين نفرا ومن جملة أكابرهم شمس الدين بن التيتي[٣٤٩] وزيـر صاحب ماردين ، وأنزلوه بقلعة دمشق ، وأقاموا لهـم بالرواتب الكثيرة ، وكان لعبدالرحمن هذا في تلك البـلاد الشرقيـة صورة كبيرة ، ويركب والجتر على رأسه، وحضر الملك المنصور من مصر سنة ثلاث وثمانين وستمائة وحين وصل الى دمشق ورد عليه الخبر بقتل الملـك أحمـد ، فاستحضر عبدالرحمن ومن كان معه في الرسلية وسمع رسالتهم مرة ومرة اخرى وثالثة الى أن استوعب ما عندهم ثم أعلمهم بموت مرسلهم وأرسل الى عبدالرحمن، يطلب ما عنده لمخدومه من الجواهر والذهب ، فأنكر ولم يعترف بشيء ، فتقدم السلطان الى الامير شمس الدين الأعسر ، وهو يومئذ أستاذ الدار بالصحبة ، بأخذ ما معهم ، فعبر الى عبدالرحمن وأشار بأن قــد رسم الى نقله ومن معه الى مكان آخر » فخرجوا ففتشوهم وأخذوا ما كان معهـم

(٣٤٨) تاريخ الاسلام «نسخة دار التحف البريطانية ١٥٤٠ الورقة ٢٥ ، ٢٦ .

(٣٤٩) راجع تكملة اكمال الاكمال لجمال الدين بن الصابوني «٥٩ ، ٦٠» .

من الجوهر ، وبعد مدة يسيرة من السنة توفي عبدالرحمن المذكور بقلعة دمشق وقبر بمقابر الصوفية ، وقيل انه كان يعرف السيمياء » . وقص الحكاية المشهورة من سيميائه او شعبذته ثم قال : « وبقي في السجن من أتباع الشيخ عبدالرحمن من حضر صحبته من الموصل جماعة ومنهم شخص يعرف بالنجم يحيى ، كتب الى الامير حسام الدين لاجين النائب بدمشق ورقة عن الجماعة المستمرين في الاعتقال :

يا قاطع البيداء يرتقب الغنى   ها قد بلغت مطالب النعماء
هذا المقام المولوي العادل الـ ... عالم مالك ... الامراء
قبل لديه الارض تعظيماً وبلـ ... غه رسائل ساكن الحدباء
واجأر اليه وناده متضرعاً   ومذكرا : يا كاشف الغماء
الله قد أعطاك فضل عناية   عقلا وتبصرة وفرط ذكاء
وجمال تأييد ونور بصيرة   وسياسة مقرونة بحياء
أولى[350] بسجنك أن يحيط ويقتفي[351] صيد الملوك وأفخر العظماء
ما قدر فراش وحداد ونه ... اط وخربندا الى سقاء ؟
خدموا رسولاً ماله[352] علم بما   يخفي وما يبدي من الاشياء
لم يتبعوا الشيخ الرسول ديانة   وطلاب علم وابتغاء دعاء
بل رغبة في نيل ما يتصدق السـ ... لطان من كرم وفضل[353] عطاء
ويؤمّلون فواضلاً تأتيه من   لحم وفاكهة ومن حلواء
حاشاه أن يغشى حماه معشر   قصدوه للاحسان والنعماء[354]

(٣٥٠) تبدا من هذا البيت رواية **تاريخ الاسلام** المخزونة نسخته بدار التحف البريطانية بلندن .

(٣٥١) في تاريخ الاسلام « ويحتوي » .

(٣٥٢) في تاريخ الاسلام « مالهم » وهو المقبول .

(٣٥٣) في تاريخ الاسلام « وفيض » .

(٣٥٤) لم يذكر الذهبي **هذا البيت** في نسخة كتابه المذكورة آنفا .

نفروا من الكفار والتجؤوا الـى الاسـلام واتبعـوا سبيل نجـاد

فيقابلون[355] بطول سَجْن دائم ... وتحسّر ومجاعـة وعنـاء !!

أخبارهـم مقطوعـة فكأنهـم ... مَوتى وهم في صورة الاحياء

ان الـذي منهم تولـى كبره ... ولّى وزال توهمُ الغوغاء[356]

واذا قطعت الرأس من بشر فلا ... تحفل بما يبقى مـن الاعضـاء

هلا مننت عليهـم بسـراحهم ... يجزيك رب العرش خيرجزاء[357]

والله يعلـم بالسـرائر طالمـا ... أخذ البريء بتهمـة الاعـداء

فوقف حسام الدين على الورقة وطالع بأمرهم وأطلقهم ، وكانت وفاة عبدالرحمن في سنة ثلاث وثمانين وستمائة » [358] . وقال الصلاح الصفدي: « عبدالرحمن الشيخ ، رسول الملك أحمد بن هولاكو ، كان من مماليـك الخليفة المستعصم[359] ، وكان اسمه قراجا ، فلما أخذت بغداد تزهـد واتصل بالملك أحمد وعظم عنده الى أن كان ينزل الى زيارته ، واذا شاهده ترجل وقبل يده وامتثل جميع ما يأمره به ، فأشار عليه ان يتفق مع الملك المنصور فندبه لذلك وسير معه في خدمته جماعة كثيرة ، من المغل ، فحضر الى دمشق في ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وستمائة ، وأقام بمن معـه في دار رضوان ، ورتب لهم من الاقامات ما لامزيد له عليه ، وقدم السلطان الشام فمنذ وصوله بلغه قتل أحمـد وتملك أرغون فاسـتحضر الشـيخ عبدالرحمن ليلا بالقلعة وسمع رسالته ثم اخبره بقتل مرسله ، وعاد السلطان الى مصر ، وبقي عبدالرحمن ومن معه معتقلين بالقلعة ، واختصر أكثر تلك

---

(٣٥٥) في تاريخ الاسلام « أيقابلون » .

(٣٥٦) فيه بدلا منه « ان كان خيرا قد مضى او كان شرا ... قـد أمنت عواقب الاسواء » .

(٣٥٧) بهذا البيت انتهى اختيار الذهبي في نسخة كتابه المقدم ذكرها .

(٣٥٨) تالي كتاب وفيات الاعيان « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦١ الورقة ٥٠ ، ٥١ » .

(٣٥٩) تأمل متابعة الصفدي للذهبي في الترجمة ، على نحو ما ذكرناه سابقا ..

الرواتب ، فلما كان في آخر شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وستمائة توفي الشيخ عبدالرحمن ودفن بسفح قاسيون وقد نيفه على الستين ، وبقي من معه على حالهم ، وتطاول بهم الاعتقال، وضاق بهم الحال في المطعم والملبس. فنظم الشيخ يحيى شعرا وبعث به الى ملك الامراء حسام الدين لاجين » . وذكر الشعر ثم قال : « فلما وقف عليها أطلق اكثرهم وبقي منهم ثلاثة . قيل ان صاحب ماردين اشار بابقائهم في الاعتقال ، وكانت مقاصد الشيخ عبدالرحمن جيدة ، وظاهره وباطنه منصرف الى نصرة الاسلام واجتماع الكلمة ، وله سفرات عديدة الى مصر والشام والحجاز ؛ ولما قدم في الرسلية كانوا يسيرون به في الليل وينزلون في النهار وقال الشيخ شمس الدين (الذهبي) : وكان يعرف السحر والكيمياء ، رأيت في تاريخ أنه كان روميا من فراشي السُدّة ، وأخذ من الدور وقت الكائنة جوهرا نفيسا وأسر فسلم الجوهر ثم صار من فراشي القان (ملك التتار) ثم تزهد وتنمس وأظهر الجوهر وصار الى الموصل واتصل بعزالدين أيبك أحد نواب القان ، وكان متهوسا بالكيمياء فربطه وصار معه الى أبغا ...» (٣٦٠) وقص خبره المشهور .

وقال المفضل بن ابي الفضائل في حوادث ٦٨٢ : « وصل الشيخ عبدالرحمن (يعني الى بلاد الشام) ومعه جمع كثير ، رسولا من عند السلطان أحمد أغا ، وكان وصوله الى دمشق ليلة الثلاثاء ثاني عشري ذي الحجة ، فأنزلوهم بقلعة دمشق ، وأطلق له في كل يوم آلف درهم نقرة، وكان في صحبته مائة وخمسون نفرا ، وحضر في خدمته ابن التيتيّ وزير صاحب ماردين . وكان هذا الشيخ عبدالرحمن عند السلطان أحمد أغا صورة كبيرة ، وكان يركب في سائر بلاد التتار بالجتر على رأسه وسيّر (رسالة) يقول : ما أدخل الى بلادكم وأمشي الا بالنهار والجتر على رأسي. فلما وصل الى الفرات سيروا اليه من حلب آقوش الفارسي في عسكر حلب

(٣٦٠) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية باريس ٢٠٦٦ الورقة ١٧٦ » .

يتلقونه . فلما عدّى الفرات الى ناحيتهم ساروا به في الليل ، فأراد الرجوع فلم يمكنوه وأغلظوا عليه القول ولم يمكنوه من رفع الجتر [٣٦١]، واقام الى سنة ثلاث وثمانين (وستمائة) وسيأتي ذكره ان شاء الله » [٣٦٢] .

وقال شافع بن علي الكناني في أخبار سنة ٦٨٢ وهو يمثل وجهة التاريخ السياسي : « قد سبق ذكر هذا الشيخ عبدالرحمن وانه قدوة الملك احمد ومشيره وأنه هو المشير عليه بالاسلام خديعة ومكرا حتى يطمئن الى هذه الجهة ويكتفي أمر السلطان ، ويتفرغ لقتال قومه وأقاربه واخوته وولد أخيه أرغون ، وتحكم هذا الشيخ عبدالرحمن في البلاد وتحدث في الاوقاف جميعها في العجم وبلاد العراق والشرق والروم وجُبيت اليه ، وأظهر للمغل أشياء أخذ عقولها بها ، وهو موصلي ويقال ان أصله مملوك ، ويعرف بعبدالرحمن النجار ، وما بقي من لا أطاعه [٣٦٣] وصار الملك أحمد وعشيرته من المغل يقفون بين يديه ، ويستمعون اشارته ، وأطاعه كل من في بغداد والعراق وخرق عقولهم بأنواع من النارنجيات (كذا أي النيرنجيات)، واستولى على عقولهم ، وأفهم الملك أحمد أنه يُصلح له مولانا السلطان، واعتقد أن أموره تتم عند مولانا السلطان كما تمت هناك وأنه سيحضر فتكون له صورة في البلاد وعظمة واسم ، وتجتمع اليه الناس ، وكان الامر بخلاف ذلك ، وذلك أنه لما بلغ مولانا السلطان خروجه من الاردو وصارت أخباره تصل الى مولانا السلطان منزلة فمنزلة ومرحلة فمرحلة ، فوصل الى ماردين في الرابع من شهر ربيع الآخر ، ثم وصل الى البيرة المحروسة ،وصحبته من أكابر المغل صَمداغو ومعه جماعة من كتاب وفقهاء وفقراء ومغل لخدمته ، يحملون جترا يُرفع على رأسه ، وسلاحدارية وأرباب

(٣٦١) راجع الصفحة ٤٤٤ ، ٤٤٥ من هذا الجزء لمعرفة السبب في هذه السياسة والمخاشنة .

(٣٦٢) النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٤٥٢٥ الورقة ٦٧» .

(٣٦٣) اي من لم يطعه ، وهذا من تعابير ذلك العصر .

سلاح ، وغير ذلك من غلمان وحواشٍ وأرباب أشغال وذوي خدمة عالم كثير ، وكان مولانا السلطان قد سيّر بازالة هذه النواميس وازالة زخم العجم الذي يقصدون اقامته في بلاد مولانا السلطان ، فلما ركبوا من البيرة المحروسة تلقاهم الامير جمال الدين أقش الفارسي أحد الامراء بحلب المحروسة فمنعهم من حمل الجتر والسلاح وركوب المغل خلفه ، وركّبهم في الليل من غير رهج ولا اعلام أحد بأمرهم ، وساق بهم منكباً عن الطريق المسلوكة ، فعزّ عليهم ذلك وانزعجوا ، فما التفت اليهم جمال الدين أقش الفارسي ولا شال بهم رأسا ، وقرر أن أحدا من المجردين معه لا يكلمهم ولا يحدثهم ولا يساوقهم ولا يملأ منهم عيناً ولا نظرا ، ووصل بهم الى حلب في سادسِ عشْري شوال من هذه السنة ، وأخفى امرهم حتى لم يعلم بهم أحد ولم يجسر أحد أن يكلمهم ولا يتحدث في آمرهم ، ثم آخرجوا من حلب في الليل وعُدل بهم عن الطرقات المسلوكة وصاروا يسوقون جملة ، والمجردون بعيدون منهم بحيث لا يسمعون كلامهم ، وهم ينزعجون ويحردون ، ولا يلتفت أحد عليهم ، حتى وصلوا الى دمشق ، كما ذكرنا، فدخل بهم في الليل الى القلعة وأنزلوا في دار رضوان ، وكثرت الاقامات عليهم من كل شيء من سائر الاصناف ، وجرى الامر على أنأحدا لا يكلمهم ولا يتحدث معهم بشيء ، بل يسمع ما يقولون ، ولا يرد عليهم جوابا ، وجُعل غلمانهم وحواشيهم وارباب الخدم ناحية في أماكن محفوظة ، واقيمت لخيلهم ودوابهم غلمان يدورون بها ويخدمونها ، وحفظت عُددها وآلاتها ، واستمر حالهم الى حيث حضور مولانا السلطان الى الشام على ما سنذكر » ، ثم قال في أخبار سنة ٦٨٣ : « ذكر خروج مولانا السلطان في هذه السنة الى الشام المحروس ... فلما وصل الى غزة وردت الاخبار بأن الملك أحمد مات ، وقوم يقولون أسر وان أرغون اتفق مع جماعة من المغل على امساك أحمد وخلعه من الملك وان فرقة تقدير اربعة آلاف فارس حضرت مقفزة من التتار طالبين الشام ... فدخل السلطان دمشق المحروسة في تاريخ يوم السبت في جمادى الآخرة ... وكان في ابتدائه

احضار رسل احمد وهم الشيخ عبدالرحمن وصمداغو ، فأحضرهم ، وقد صح عند مولانا السلطان موت الملك أحمد مُرسلهم هذا ولم يعلموا به ولا وصلهم خبر عنه ، وبقي كل من يحضر[٣٦٤] يمسك ويُحضر الى ابواب مولانا السلطان ، وهم يعلمون ، وتوءخذ الكتب وتقرأ ، وهم لا يفهمون ، وجلس مولانا السلطان في الليل وأوقدت الشموع الكثيرة ولم يبق حول مولانا غير خواص مماليكه لا غير ، وهم في أحسن زي وأكمل صورة ومولانا السلطان قد بهر جلاله ، وكان يأخذ العقول جماله ... فلما دخل الشيخ عبدالرحمن اعتقد أن ذلك المقام لا يهول ، وأنه يستخف عقولا مثل تلك العقول ، فدخل بزي الفقراء ، فرُسم له بتقبيل الارض ، فأبى كبرا منه وزهوا ، فأهوى به الى الارض حتى كادت اعضاؤه تتفسخ عضوا عضوا ، وفُعل ذلك طرقا عدة ، والعين اليه من مولانا السلطان غير ممتدة، وكذلك فعل بصمداغو . وبشمس الدين ابن الصاحب ، الواصل معهم ، ولما حضروا سمع مولانا السلطان كلامهم ، وأخذ الكتاب الوارد من الملك أحمد على يد الشيخ عبدالرحمن ، وقاموا من بين يدي مولانا السلطان ، فسير لهم الخلع الفاخرة مرارا وتفقدهم ، وأعلمهم بعد ذلك بموت السلطان أحمد ثم أحضرهم مرة أخرى ، وكان الشيخ عبدالرحمن قد أحضر هدية قبلت ، واستقروا على حالهم في الاحسانات والاقامات الواسعة والمعاملة بالجميل ، ونسخة الكتاب المسيّر على يد الشيخ عبدالرحمن وصمداغو:
بسم الله الرحمن الرحيم ، بقوة الله تعالى وباقبال قا آن فرمان أحمد الى سلطان مصر ... »[٣٦٥] .

---

(٣٦٤) يعني من جهة الدولة الايلخانية الى بلاد الشام لاتمام السفارة واكمال اللوازم والحاجات .

(٣٦٥) تشريف الايام والعصور بسيرة الملك المنصور وهو كما ارى من تأليف شافع ابن علي بن عباس بن اسماعيل الكناني العسقلاني «٦٥٩ — ٧٣٠ » قال الصفدي : « وذكر لي تصانيفه ... وهي ديوان شعره ... وسيرة الملك المنصور قلاوون ... » . « نكت الهميان ص ١٦٤ » وقال ابن حجر في الدرر الكامنة — ٢ : ١٨٤ : « وله من التصانيف =

فالامر على ما ترى ثم ان ابن الفوطي قد ذكر في تلخيص معجم الالقاب ان الشيخ عبدالرحمن توفي بدمشق في شوال سنة ثلاث وثمانين وستمائة (٣١٦)، فلا يلتفت الى ابن الفرات ولا يعاج على قوله في ذلك .

٩٢ ـ وجاء في الصفحة ٩١ قول الاستاذ الجليل : « جاء في أخبار سنة ٦٤١ ما يأتي : خرجت والدة الخليفة المستعصم بالله منحدرة في شبارة الخليفة الى درزكان متوجهة الى الحج » . وقال في الحاشية يعني درزكان : « هي قرية كبيرة على دجلة تحت بغداد في الجانب الغربي ، ذكرها ياقوت في معجم البلدان » . وكرر الخبر في الصفحة ١٠٣ قال : « في رحلة الخليفة : ورد في أخبار سنة ٦٤١ ذكر خروج المستعصم لوداع والدته وهي متوجهة الى الحج منحدرة في شبارة الخليفة الىدرزيجان وخرج الخليفةلوداعها..» وقال يعني درزيجان : « قرية كبيرة كانت على دجلة تحت بغداد في الجانب الغربي : ذكرت في معجم البلدان لياقوت » .

ولم يذكر الاستاذ الفاضل « درزكان » في فهرس اسماء البلدان ، والمعروف في الكتب العربية « درزيجان » لا درزكان ، كما أنها وردت كذلك في كتاب الحوادث « ص ١٨٧ » وقال ياقوت الحموي : « درزيجان(٣٦٧) بفتح أوله وسكون ثانيه وزاي مكسورة وياء مثناة من تحت وجيم وآخره نون : قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربي ، منها كان والد أبي

= ديوان شعره ... وسيرة الناصر وسيرة المنصور وسيرة الاشرف » نسخة دار الكتب الاهلية بباريس وهي خلو من اسم المؤلف ١٧٠٤ الورقة ٩٧ ، ١٣٢ » .

(٣٦٦) التلخيص « ج ٥ الترجمة ٢٠٤ من الكاف ».

(٣٦٧) من غلط الصفدي قوله في ترجمة « وشاح بن جواد بن احمد بن الحسن بن جواد أبي طاهر الدرزبجاني الضرير المقرىء المتوفي سنة (٥٨٠) » : « من اهل قرية دازربجان بالدال المهملة والالف والزاي والراء والباء الموحدة والجيم والالف والنون وهي بين المدائن وبغداد » .

بكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي ، وكان أبوه يخطب بها ، ورأيتها أنا . وقال حمزة : كانت درزيجان احدى المدن السبع التي كانت للاكاسرة وبها سميت المدائن (المدائن) وأصلها درزيندان فعرّبت على درزيجان» .

فكيف انقلبت درزيجان الى « درزكان » ؟ ولم يرجع القائل الفاضل الى غير معجم البلدان ؟ .

٩٣ ـ وقال الشيخ الجليل في الصفحة ٩٢ في الكلام على نقل الجنائز : « وأوصى عزالدين علي بن علجة وكان من كبار المتصرفين ، توفي سنة ٦٨٨ ، أن يدفن تحت اقدام سلمان الفارسي » . وعلق على اسم الموصي بحاشية طويلة في سير أهل « آل علجة » الاعيان المشهورين ، أولها قوله : « يكثر آل علجة في كتاب الحوادث وفي معجم ابن الفوطي ، وفيهم جماعة من أصحابه وخلطائه .. » أي أصحاب ابن الفوطي .

ولم يذكر الشيخ مرجع خبر الرجل الذي أوصى وسماه « عزالدين ابن علي بن علجة » فأن ابن الفوطي ترجم عزالدين بن علّجة ولم يذكر ما ذكره الشيخ في قوله ، قال ابن الفوطي : « عز الدين أبو الفضل الحسن ابن موءيد الدين محمد بن أسعد بن علّجة السامي الاصفهاني ، نزيل بغداد ، الرئيس المعظم ، له نسب في بني سامة بن لؤي بن غالب ، وكان أجداده قد انتقلوا من فارس الى أصفهان ، ومن هناك انتقلوا الى بغداد وتنقلوا في المناصب والمراتب (وعزالدين الحسن ذو) الفضائل الباهرة ، والاخلاق الطاهرة ، والمناقب الزاهرة ، غذي بلبان الرياسة والسيادة ، كان جميل الهيأة ، ظاهر الهيبة ، طيب المفاكهة ، حسن (المحاضرة) ، لم يزل والده في جد صاعد الى أن انقضت الدولة العباسية ، ولما استولى هولاكو على العراق خرج اليه فأعطاه الفرامين ، وخلصوا بأهلهم أجمعين[٣٦٨] ، وسنذكر أولاده الاكابر على ترتيب الكتاب » .

---

(٣٦٨) قال موءلف الحوادث في خبر استيلاء هولاكو على بغداد سنة ٦٥٦ ـ ٣٢٩ ـ : « وكان ببغداد جماعة من التجار الذين يسافرون =

واد لم يكن هذا الرجل هو الذي ذكره الاستاذ الجليل أيقنت انه قد أساء قراءة الاسم . وعلمت أنه رأى عز الدين أبا محمد علي بن محمد ابن منصور بن عفيجة ، فظنه « ابن علجة » واتساع الافق في معرفة التراجم واجب في مثل هذه المباحث ، قال ابن الفوطي : « عزالدين أبو محمد علي بن محمد بن أبي البدر منصور بن عفيجة البغدادي الكاتب أمين الديوان ، من بيت معروف بالصحة والامانة ، والكفاية والرعاية والرياسة والكتابة ، سمع جميع مسند عبد بن حميد الكيشي . ولما قدمت بغداد ترددت الى خدمته . وكتب لي الاجازه وأمرني أن اكتب عنه في اجازات طلاب العلم سنة ثمانين وستمائة ، وقد ولي الاعمال الجليلة وكتابة الديوان ، وخدم بعد الواقعة ناظرا في أوقاف الحرم الشريف واشراف البلاد (الحلية) ... وحسنت سيرته في جميع أعماله ، وأحب الانقطاع فاستعفى من الخدمة ، وكانت وفاته ليلة الاثنين رابع عشري ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وستمائة وأوصى ان لا يُصلّى[٣٦٦] ... شاطئ دجلة بباب كلواذا : فيدفن تحت قدمه »[٣٧٠] .

وجاء في كتاب الحوادث في أخبار سنة ٦٨٨ : « وفيها توفي عزالدين علي بن عفيجة[٣٧١] ودفن تحت أقدام سلمان الفارسي وكان من أكابر المتصرفين ببغداد »[٣٧٢] . وقال شمس الدين الذهبي في وفيات سنة ٦٨٨ : « علي بن محمد بن منصور بن عفيجة عزالدين البغدادي .

= الى خراسان وغيرها قد تعلقوا من قبل على امراء المغول وكتب لهم فرامين ، فلما فتحت بغداد خرجوا الى الامراء وعادوا ومعهم من يحرس بيوتهم والتجأ اليهم جماعة من جيرانهم فسلموا » .

(٣٦٩) ذهبت من هذا الموضع عدة كلمات سيأتي ذكرها عن المنتخب .

(٣٧٠) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ٢٦ من نسختي بخطي » .

(٣٧١) ورد في المطبوع « عصحة » ولم اهتد يومئذ الى صحته .

(٣٧٢) كتاب الحوادث « ص ٤٦٠ ، ٤٦١ » .

سمع مسند عبد بن حميد من ابن بهروز وحدث ، مات في ربيع الآخر عن ست وستين ، أجاز للبرزالي »[٣٧٣] . وقال ابن رافع : « علي بن محمد ابن أبي البدر منصور بن أبي منصور البغدادي أبو الحسن بن أبي عبدالله الحنبلي الملقب عزالدين المعروف بابن عفيجة[٣٧٤] ، سمع من أبي بكر محمد بن مسعود بن بهروز المتطبب[٣٧٥] مسند عبد ، وحدّث . سمع منه أبو عبدالله محمد بن شامة وابو الفضل عبدالاحد بن سعدالله بن نجيح الحراني . قال ابن الفوطي ، ومن خطه نقلت : سمع منه جماعة من الطلبة والغرباء . وكان قد أمرني أن أكتب عنه في الاجازات ، وكان قد آثر الانقطاع . وكان قبل ذلك من أكابر الكتاب وأعيان المتصرفين ، خدم في الاعمال الحليّة ، سألته عن مولده فذكر أنه سنة ٦٢٢ وقال غيره في سنة (٦٢٠) . وتوفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٨٨ وأوصى أن لا يصلى عليه في الجامع . وأن يصلى عليه بباب سور كلواذا. وأوصى أن يدفن تحت قبة سلمان الفارسي، وأوصى أن لا يشخص قبره . فتولى أمره ودفنه العدل مكين الدين أبو القاسم عبدالحميد بن الزجاج ولم أره في تاريخ شيخنا الذهبي[٣٧٦] وأبي محمد البرزالي »[٣٧٧] .

ومما قدمتُ من القول وما نقلت من السِّير يُعلم أن الاستاذ الشبيبي الجليل نقل الخبر من كتاب « الحوادث » المقدم ذكره مرارا ، وانه ظن أنّ « عزالدين علي بن عُفيجة » هو عزالدين ابن عَلَّجة ، فأسند اليه مختصر سيرته ووقع في وهم وجب عليّ تصحيحه .

(٣٧٣) تاريخ الاسلام « نسخة دار التحف البريطانية ١٥٤٠ الورقة ٨٥ » .

(٣٧٤) ورد في مرجع هذه الترجمة وهو منتخب المختار – ص ١٥٢ – « ابن عسفيجة » ، والوجه ما ذكرناه .

(٣٧٥) في المطبوع « المنتجب » .

(٣٧٦) هذا وهم منه فقد نقلنا مختصر سيرته من تاريخ الاسلام للذهبي .

(٣٧٧) منتخب المختار « ص ١٥٢ ، ١٥٣ » .

٩٤ ــ وجاء في الصفحة ٩٣ في ذكره من دفن في المشهد الغروي قوله : « وغياث الدين عبدالكريم بن طاووس المتوفى سنة ٦٧٣ وجماعة من أسرته » . قلت : الذي حفظته أنه توفي سنة ٦٩٣ وقد راجعت تلخيص معجم الالقاب ، لان ابن الفوطي كان من خلطائه وتلامذته . قال : « غياث الدين أبو المظفر عبدالكريم بن جمال الدين أحمد بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني الفقيه العلامة النسابة ، كان جليل القدر ، نبيل الذكر، حافظا لكتاب الله المجيد ، لم أر في مشايخي أحفظ منه للسير والاحاديث ، والاخبار والحكايات والاشعار ، جمع وصنف وشجّر [٣٧٨] وألف . وكان يشارك الناس في علومهم ، وكانت داره مجمع الائمة والاشراف ، وكان الاكابر والولاة والكتاب يستضيئون بأنواره ورأيه . وكتبتُ لخزانته كتاب (الدر النظيم في ذكر من تسمى بعبدالكريم) وسألته عن مولده ، فذكر أنه ولد في شعبان سنة ثمان واربعين وستمائة ، وتوفي في يوم سادس عشري شوال سنة ثلاث وتسعين وستمائة . وحُمل الى مشهد الامام علي ــ ع ــ ودفن عند أهله » .[٣٧٩] وجاء في حوادث سنة ٦٩٣ من كتاب «الحوادث » ــ ص ٤٨٠ ــ « وتوفي النقيب غياث الدين عبدالكريم بن طاووس في مشهد موسى بن جعفر ، وحمل الى جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ــ ع ــ » .

٩٥ ــ وقال الاستاذ الفاضل في الصفحة المذكورة أعني ٩٣ : « وفي سنة ٦٧٦ توفي الملك عزالدين ابن جعفر النيسابوري ، ودفن في المشهد المذكور وعفيف الدين الفارقي الاديب المصري[٣٨٠] . قال ابن الدبيثي:

---

(٣٧٨) شجر تشجيرا اي كتب الانساب على هيأة الشجر .

(٣٧٩) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ١٩٢ من نسختي بخطي » .

(٣٨٠) الصواب « المقرىء » اي الذي يقرىء الناس القرآن الكريم بالقراءات المروية ، قال ابن الفوطي : « عفيف الدين ابو عبدالله محمد بن قريش ابن مسلم الاسدي الفارقي المقرىء الاديب ، كان حسن السيرة ... ». « تلخيص معجم الالقاب ٤ : ٩٦ من نسختي بخطي » .

دفن في النجف » . فعطف عفيف الدين هنا على عزالدين يوهم القارىء أنه توفي في سنة وفاة عزالدين ، مع أنه توفي سنة « ٦٢٨ » كما في تلخيص معجم الالقاب ، ثم ان عز الدين النيسابوري لم تكن وفاته سنة ٦٧٦ بل كانت سنة ٦٧٢ ، قال ابن الفوطي : « عزالدين أبو المظفر عبدالعزيز بن جعفر بن الحسين النيسابوري ، الملك ، صاحب البصرة له نسب في آل الاشتر النخعي ، ذكره لي شيخنا أبو الفضل بن المهنا الحسيني وكتب لي بخطه ، قال : ولد المذكور سنة ٦٢٦ وسافر حتى عُدّ من الرجال الصدور، فتعلق ببيت الاوشادي والامير[٣٨١] سنقر بن بتيكجي ، ولما فتحت العراق لجأ الى الصاحبين علاء الدين وشمس الدين ؛ ورتب شحنة بواسط وفوضت اليه البصرة ونواحيها . وكان له الاحسان الى العلويين ، وصنف له شيخنا كتاب (المدائح الغَريزية والمنائح العزيزية) . وقدم علينا مراغة، ورأيته وتوفي في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، ولنجم الدين عبدالسلام (ابن الكبوش) فيه مدائح كثيرة لما استقر ملكه بالبصرة ، ومن شعره في مدح الصاحب علاء الدين عطا (ملك) :

عطا ملك (عطاؤك ملك مصر)[٣٨٢] وبعض عبيد دولتك العزيز
تجازي كل ذي ذنب بعفوٍ ومثلك من يجازي (أو يجيز)[٣٨٣]

ورثاه شيخنا عبدالسلام بقصيدته الغراء التي أولها :

(لم أبك) حتى بكى لك الكرم (والسيف يوم القراع والقَلمُ)

وقال موءلف الحوادث في أخبار سنة ٦٧٢ : « وفي منتصف ذي القعدة توفي الملك عزالدين عبدالعزيز بن جعفر النيسابوري ببغداد ؛ وكان

---

(٣٨١) خط الاصل غامض هنا .

(٣٨٢) التمة من التاريخ الفخري « ص ١٢ من الطبعة المصرية » .

(٣٨٣) التتمة من كتاب الحوادث « ص ٣٧٨ » .

سخيا[٣٨٤] جوادا مُواصلاً لكل من يسترفده واشتهر ذكره في البلاد بالكرم . تولى شحنكية واسط والبصرة ، وكان حسن السيرة ، عظيم الناموس ، ودفن في مشهد علي ـ ع ـ ورثاه الشعراء بأشعار كثيرة منها ابن الكبوش البصري من قصيدة هذا منها :

لم أبكِ حتى بكى لك الكرمُ والسيف يوم القراع والقلم[٣٨٥]

وذكر بيوت المرثية التي أختارها وهي اثنان وثلاثون بيتا .

٩٦ ـ وذكر الاستاذ الجليل في الصفحة المذكورة « عفيف الدين الفارقي المقرىء » المذكور آنفا ، فيمن نقلت جنازاتهم أو جثثهم الى مشهد الامام عليّ ـ ع ـ مع أن عفيف الدين الفارقي مات في النجف بعينه ، ولم ينقل جثمانه من موضع آخر اليه ، قال ابن الفوطيّ : « عفيف الدين أبو عبدالله محمد بن قريش بن مسلم الاسدي الفارقي المقرىء الاديب . كان حسن السيرة ، ذكره الدبيثي[٣٨٦] وقال : ولد بحصن كيفا ، وتفقه ببغداد على فخر الدين النوقاني ، ودخل واسط لاجل القراءة ثم استوطن الموصل وحج ، فلما رجع مات بالنجف سنة ثمان وعشرين وستمائة ، ودُفن بمشهد الامام علي[٣٨٧] » .

٩٧ ـ وجاء في حاشية الصفحة ٩٤ « لفخر الدين بن المبارك المخرمي صاحب الديوان في أيام المستنصر العباسي ذكر كثير في تاريخ هذه الفترة ، قال مصنف كتاب الحوادث : هو فخر الدين أبو سعيد بن المبارك بن

---

(٣٨٤) جاء في المطبوع من كتاب الحوادث ـ ص ٣٧٧ ـ « شيخا » وهو من غلط الطبع .

(٣٨٥) كتاب الحوادث « ٣٧٧ ـ ٣٨٠ » .

(٣٨٦) لم أجده في ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢١ » والظاهر انه ذكره في « ذيل تاريخ واسط » له أيضا .

(٣٨٧) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ٦٩ من نسختي بخطي » .

عز الدين أبي زكريا يحيى بن المبارك ... » .

والصحيح أنه « المبارك » لا « ابن المبارك » و « آبو سعد » لا « أبو سعيد » هكذا ورد اسمه في كتاب الحوادث « ص ١١١ ، ١٣٩ ، ١٥١ ، ١٥٧ ، ٣٥٦ ... » وقال ابن الفوطي في ترجمته : « فخر الدين ابو سعد المبارك بن يحيى المخرمي البغدادي ، صاحب الديوان وشيخ رباط الحريم ، كان من أرباب البيوتات وأهل المناصب والمراتب الدينية والديوانيّة ، قال تاج الدين علي بن أنجب في تاريخه : وفي المحرم سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ولي فخر الدين النظر بدار التشريفات ، ووكالة باب طراد ، ونقل الى صدرية المخزن ثم الى صدرية ديوان الزمام ثم عُزل ووكل به سنة ثلاث واربعين ، وفي هذه الدولة عرض عليه الخدم الديوانية فأبى الا آن يخدم الالهية الربانية ، وانتقل الى رباط الحريم ، وأقام به ، وكتب بيده عدة مصاحف وربعات وقفها على المشاهد ، فكان على ذلك الى أن توفي يوم الاربعاء أول جمادى الآخرة سنة اربع وستين وستمائة ودفن بمقبرة الامام احمد بن حنبل » (٣٨٨) . فهذا هذا كما قال أبو حيان التوحيدي .

٩٨ ـ وأسند في الصفحة المذكورة الى موءلف الحوادث أنه عرّفه بيت المخرمي بقوله : « بيت معروف بالرزانة والامانة والعدالة والكتابة والتصرف والولاية » ، والذي في كتاب الحوادث (ص ١٣٨) « الرواية والدراية والقضاء والعدالة والتناية والتصرف والولاية » . ونقل الاستاذ من كتاب الحوادث ، على حسب قراءته ، أن فخر الدين بن المخرمي « خدم الخلفاء عدة خدمات آخرها صاحب ديوان الممالك والصواب ديوان العراق» ، أما منصب «ديوان الممالك» فهو من مناصب الدولة الايلخانية ، ولم يتولّه قط .

٩٩ ـ وذكر الاستاذ الجليل في الصفحة ١٠١ رسالة الملك العادل أبي بكر بن أيوب الى الخليفة الناصر لدين الله سنة ٦٠٤ على يد استاذ داره

(٣٨٨) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ٢٤٧ من نسختي بخطي » .

« الامير دكز العادلي » وقاضي العسكر خليل المصمودي . وذكره أيضا في الفهرس بصورة « دكز » ، والذي في السلوك للمقريزي « ١ : ١٦٧ » وهو مرجع الاستاذ الشبيبي في هذا الخبر « ألدكز » . والهمزة واللام أصليّتان . وبهذه الصورة ورد في الجامع المختصر « ٩ : ٢٥٩ » وهو الصحيح .

١٠٠ ــ وقال في الصفحة ١٠٣ : « جاء في أخبار سنة ٦٣٨ من هذا الكتاب[٣٨٩] ما يأتي : وصل رسول من بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ومعه (قائد[٣٩٠]) وجماعة من رماة البندق . شهدوا ان الامير ابراهيم ولد بدر الدين رماه بالبندق و (كتب) بذلك الى الخليفة ــ يعني المستنصر ــ فقبل وعلّق بباب البدرية ونثر عليه ألفا دينار وخلع على الواصلين معه ». والصواب أنه « طائر » لا قائد . و « انتسب الى الخليفة » لا كتب اليه . وذلك أن نظام الفتوة لا يجيز أن يتفتى الرامي أي يكون تابعا لرئيس الفتيان الا بعد اصابته بالبندق طائرا من الطيور المذكورة في الحاشية . بالشروط المقرّرة على الفتيان في الرمي ، ومعنى « تفتى الرامي » هو أن يكون تابعا لرئيس الفتيان الرماة ، وهو اذ ذاك الخليفة المستنصر بالله وهذا معنى قوله « وانتسب في ذلك الى الخليفة فقبل » .

وقد ألف الشيخ العالم محمد بن اسماعيل بن البقال المعروف بابن ودعة الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٥٨٨ رسالة في أحكام رمي الطير الجليل وصيده ، وقد جعلها باسم الخليفة الناصر لدين الله مجدد الفتوة ومقرر أحكام الرمي ، وسمى الرسالة « المقترح في المصطلح » وجعل مراتب الرسالة على النحو الآتي « كيفية دخول الرماية ، فيما يكمل به الرامي : في القدمة

(٣٨٩) عني كتاب الحوادث .

(٣٩٠) الصواب طائر كما جاء في الحوادث « ص ١٤٣ » ، وهذا الطائر ينبغي ان يكون من طير الواجب المعروف بالطير الجليل ، وهو التم والمرزم والكركي والاوز والانيسة والحبارى والسبيطر « اللقلق » والنسر واللغلغ والكي « البجع » والعقاب والعناز والصوغ والغرنوق .

وحكمها . فيما يتحقق بصرعه الفضيلة . في الشهادات . في التحكيم ، في المراهنات، في المقاولة ، في التحريم، في التكذيب والاهدار». قال ابن ودعة: « وهذا الفن وضع لتهذيب الاخلاق وتزكية النفوس . وتكميل المروءة . وعلى هذا حرم على الرامي أخذ العوض من طير صرعه ، لاشعاره بالدناءة ، واخلاله بالمروءة . اذ لم يكن موضوعا للاكتساب » ثم قال :

« الامر الثاني : الرماية ، والنظر يتعلق بصيغتها ومعناها وحكمها . أما الصيغة فهي قول الرامي عقيب سؤالهم اياه عمن اختاره استاذا : رميت لفلان ... وأما معنى الرماية فهو الانتساب الى من يصلح في نظره للتقديم عليه كالتلميذ مع الاستاذ ، يأخذ عنه آداب فنه ، ويتعرف منه أحكامه ، والاحسن ان يكون جامعا لصفات الكمال ليتخلق بأخلاقه ويتأدب بآدابه . فعلى هذا لو قال : انتسب فلان الى فلان في البندق ، أو جعلته أستاذي ، وما أشبهه جاز . وتجب تسميته ان كان غائبا ، والاشارة اليه ان كان حاضرا ... » (٣٩١) .

١٠١ ــ وقال في الصفحة ١١١ وهو يصف كتاب « الحوادث » الذي سمياه غلطا « الحوادث الجامعة » اتباعا لقول الباحث المحقق يعقوب السركيسي المتوفى في آخر سنة ١٩٥٩: «هذا ومن شواهد سقم هذه النسخة أن الاخبار المتعلقة باستيزار مؤيد الدين بن العلقمي نقلت من محلها وهو حوادث سنة ٦٤٣ ووضعت غلطا في حوادث سنة ٦٥٣ مؤخرة عشر سنوات. وهو تلفيق غريب يدل على تشويش النسخة من قبل(٣٩٢) مجلدها أو غيره» وكرر ذلك في الصفحة ١١٣ قال : « وقد سقط من الكتاب الفصل الذي عقده المؤلف لترجمة ابن العلقمي الوزير ولم يبق الا العنوان غير أننا نجد وصف الاحتفال باستيزار ابن العلقمي مدرجا في حوادث سنة ٦٥٣ بدلا من

---

(٣٩١) المقترح في المصطلح.. نسخة دار الكتب الوطنية٤٦٣٩ الورقة٦ــ١٤».

(٣٩٢) الصواب « يدل على تشويش مجلد النسخة لها » أو « اياها » ، لان « من قبل » يستلزم النيابة ، كقولهم « كان قاضي بغداد من قبل الخليفة فلان » .

٦٤٣ وهو وصف شائق او يجب ان يلحق بحوادث سنة ٦٤٣ » .

وقد كنت ذكرت في حاشية سابقة أني انا الذي انتبه الى هذا التشويش في هذا الكتاب . وقد نبهت عليه في الصفحة ٢٧٩ منه ولم يقف عليه احد قبلي ، فجاء الاستاذ الشبيبي الجليل فأشار الى ذلك على النحو الذي ذكرته من كتابه ، ولو قد كان وقف عليه قبلي لم أستدرك هذا الاستدراك . والدليل على أنه اتبع تنبيهي هو أنه وقع في وهم وهمته أنا نفسي وذلك أني قدرت أن الحوادث المنقولة من موضعها هي حوادث سنة ٦٤٣[٣٩٣] والصواب أنها حوادث سنة «٦٤٢» . فاستيزار موءيدالدين العلقمي « ص ٢٧٩ » كان في سنة ٦٤٢ لا في سنة ٦٤٣ . وأيا كان التاريخ فقد نبهت على الخلل الواقع في الكتاب فقلت في الصفحة ٢٧٩ : «تتمة أخبار سنة ٦٤٣ » . وقال أبو الحسن الخزرجي في أخبار هذه السنة : « وفي يوم الثامن (كذا) من شهر ربيع الاول استوزر الخليفة آبا طالب موءيد الدين محمد بن أحمد بن محمد العلقمي وركب في جمع عظيم من حاشيته وغيرهم الى دار الوزارة ، وجلس في الايوان ، وكان قبل ذلك استاذ الدار فأقر الخليفة عوضه في استاذية الدار محيي الدين يوسف بن عبدالرحمن بن الجوزي في يوم التاسع (كذا) من الشهر المذكور»[٣٩٤] .

وقال ابن دقماق في حوادث سنة ٦٤٢ : « وفيها ولي وزارة العراق بعد ابن الناقد الوزير موءيد الدين بن العلقمي الرافضي ... »[٣٩٥] وقال سبط ابن الجوزي في حوادث سنة ٦٤٢ : « وفيها توفي شهاب الدين أحمد بن الناقد وزير (المستعصم بالله واعتقل) أولاده وصودروا

---

(٣٩٣) اكد الشيخ هذا التاريخ في الصفحة ١٠٤ فقد قال فيها : « استيزار ابن العلقمي ، جاء في اخبار سنة ٦٤٣ .. » .

(٣٩٤) العسجد المسبوك « نسخة المجمع العلمي العراقي ، الورقة ١٦٤» .

(٣٩٥) نزهة الانام في تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٩٧ الورقة ٥٨ » .

واستؤصلوا وذهب جاههم ، وأقاموا مدة الى أن ولي المستنصر[٣٩٦] ، فاستوزر محمدا ولقبه موءيد الدين ، وكان رجلا فاضلا صالحا عفيفا دينا قارئا للقرآن »[٣٩٧] . وقال ابن كثير في حوادث سنة ٦٤٢ :

« وفيها استوزر الخليفة المستعصم بالله موءيد الدين ابا طالب محمد ابن أحمد بن علي بن محمد بن العلقمي المسرف على نفسه وعلى أهل بغداد ... » . نقلته من « نسخة دار الكتب الاهلية بباريس ١٥١٦ من الورقة (٥٤) وهذه النسخة أصح من المطبوعة .

وجاء في الصفحة ٢٨٢ من كتاب الحوادث أن محيي الدين يوسف بن عبدالرحمن بن الجوزي المذكور آنفا تولى أستاذية الدار سنة ٦٤٣ مع أن ولايته كانت سنة ٦٤٢ كما ذكرنا ونقلنا قبلا ، وهكذا القول في أكثر الاخبار التي ظننتها أنا من حوادث سنة ٦٤٣ فقلدني فيها الاستاذ الشبيبي الجليل ولذلك لم يشر الى غلطي ، بل وقف عند وقوفي ، واحتطب بحبلي في هذا الامر ، ومما يوءيد أن الحوادث المشار اليها هي من سنة ٦٤٣ وفاة الوزير نصير الدين ابي الازهر احمد بن الناقد[٣٩٨] مع انه قد أدخلت سيرته في حوادث سنة ٦٤٣ « ص ٢٩١ » . قال ابن دقماق في حوادث سنة ٦٤٢ : « وفيها مات الوزير نصير الدين أبو الازهر أحمد بن محمد بن علي بن الناقد ، أحد أولاد التجار المشاهير ، وذوي الثروة واليسار ، مولده في ليلة الجمعة حادي عشري شوال سنة احدى وسبعين وخمسمائة ، ونشأ في رياض الاشتغال بالكتابة ، ففوض اليه نظر أوقاف والدة الامام الناصر (زمرد خاتون) في سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وبقي مدة ثم صرف ثم استقر

---

(٣٩٦) كذا ورد في مختصر الجزء الثامن « ٨ : ٧٤٧ طبعة الهند » وهو وهم مبين ، وفي الخبر عبث ظاهر .

(٣٩٧) مختصرة المرآة « ٨ : ٧٤٧ » .

(٣٩٨) كنت احسب ان الصحيح في وفاته هو انها كانت سنة ٦٤٣ كما ذكرت في حاشية الصفحة ٢٧٩ من الحوادث ، والصواب انها وقعت سنة ٦٤٢ باجماع الموءرخين الذين ذكروا وفاته .

في وكالة الامام الظاهر ثم لما تولى الامام المستنصر ولاه أستاذية الدار بعد وفاة عضد الدين أبي نصر المبارك بن الضحاك في محرم سنة سبع وعشرين وستمائة ، فقام بأمور الخدمة أحسن قيام ثم ولي الوزارة في سابع عشر شوال سنة تسع وعشرين وستمائة وعرض له آلم في مفاصله بعد خمس سنين من ولايته امتنع عن القيام والحركة ، ولم يزل مبجلا مكرما الى حين وفاته في ليلة الجمعة سادس ربيع الاول . فتقدم الى كبار الدولة وأعيان الامراء والقضاة ومشايخ الصوفية بالحضور الى جامع القصر ثم غسل الوزير المذكور ، وتولى غسله المدرس بالنظامية نجم الدين عبدالله البادرائي ثم حمل تابوته مغشى[٣٩٩] وبين يديه القراء والحجاب والنواب والكتاب والدوادارية ثم صلى عليه أبو طالب الحسين بن المهتدي نقيب النقباء ثم حملت الجنازة وأدخلت باب الغربة المستجدة وجعلت في شبارة وشيعها كافة أرباب الدولة والصدور ، وأستاذالدار موءيد الدين العلقمي ودفن بتربته بالمشهد الكاظمي ، وكان أديبا فاضلا ، مترسلا ، للرعايا حافظا وللعلماء رافعا ، وكان صالحا عفيفا متواضعا ، قارئا للقرآن (رح)»[٤٠٠].

وقال الخزرجي في حوادث سنة ٦٤٢ : « وفيها توفي الوزير الكبير ملك العراقين أبو الازهر نصير الدين أحمد بن محمد بن علي بن أحمد الناقد البغدادي ، وكان مولده في الحادي عشر من شهر شوال سنة احدى وسبعين وخمسمائة ، وهو من أولاد التجار ، نشأ في الثروة والحشمة ،

(٣٩٩) كان نصيرالدين الناقد وغيره من الناقدين شافعية ، وفي سنة ٦٤٦ توفي جمال الدين ابو الحسن علي بن يحيى بن المخرمي من المخرميين الحنابلة المشهورين ، وكان قد اوصى أن يدفن في تل قريب من مشهد الحسين — ع — وأن يكون تابوته مكشوفا ليس عليه غطاء ولا ثوب وان لا يقرأ بين يديه قراء بالالحان والتحزين بل قراء فقراء يقرؤون بالتلاوة المعهودة وان يسبح جماعة ويهللوا ويحمدوا الله تعالي « الحوادث ص ٢٣٧ » .

(٤٠٠) نزهة الانام في تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب الوطنية في باريس ١٩٥٧ الورقة ٥٩ » .

وحفظ القرآن الكريم واعتنى بالخط وتجويده ، وحصل طرفا صالحا من الادب ، نحوا ولغة ، وكان يقول الشعر ، واشتغل بعلم الانشاء والرسائل، وكان مواظبا على تلاوة القرآن ، لا سيما في ليالي الجمع ، وكان له رأي صائب ، ودين وافر ، مليح الانشاء ، حسن النظم ، حفظة للاشعار والنكت والاخبار ، حسن الخط ، مهيب الشكل ، عفيف النفس ، وقورا ورعا ، توفي في سادس شهر ربيع الاول من السنة المذكورة ، ونفّذ جهازه من المخزن وفيه مائة وخمسون ظرفا من ماء الورد ، وأخرج عنه صدقة من البقر تسعون رأسا ، ومن الخبز خمسة عشر ألف رطل ، ومن التمر مائة وخمسون قوصرة ، وشيع جنازته كافة أرباب الدولة وذوو المناصب وأرباب الدولة » ثم قال : « ولما فتحت تركة الوزير نصير الدين أحمد بن الناقد وجد فيها صندوق آبنوس فيه نيف وتسعون ألف دينار ، وفيه رقعة يذكر فيها (أن ذلك من فواضل معيشته وما أنعم عليه به في الايام المستنصرية والمستعصمية وأن ذلك حق من حقوق بيت المال للمسلمين لا تستحق ورثته منه شيئا) فحمل الى دار التشريفات وأنعم على ورثته وأجريت لهم جرايات على المخزن » (٤٠١) .

وقال ابن كثير في وفيات سنة ٦٤٢ ، « الوزير نصير الدين أبو الازهر أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن الناقد البغدادي وزير المستعصم وأبيه المستنصر ، كان من أبناء التجار ثم توصل الى أن صار وزيرا ... » (٤٠٢).

وترجمه ترجمة حسنة صفي الدين ابن الطقطقي في كتابه الفخري «ص٢٤٣» وقال : مات نصير الدين في سنة اثنتين واربعين وستمائة في خلافة المستعصم » .

١٠٢ ــ وتكلم الاستاذ الجليل في الصفحات ١١١ ــ ١١٣ على الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد بن العلقمي ، ولم يتطرق الى التهمة التي

(٤٠١) العسجد المسبوك « نسخة المجمع العلمي المصورة ، الورقة ١٦٤ » .

(٤٠٢) البداية والنهاية «نسخة دار الكتب الاهليةبباريس ١٥١٦ الورقة ٥٣».

ألصقها به مؤرخو مصر ومؤرخو الشام والعوام من القدماء وهي مخامرته على الدولة العباسية ومؤامرته بها ، لاسقاطها ، بل أشار الى اختلاف الآراء فيه عموما ، وقد ظهرت أمارات تلك التهمة الباطلة ببغداد منذ اختلافه مع مجاهد الدين أيبك الجركسي مقدم الجيوش العباسية سنة ٦٥٣ ، ذلك القائد الفَشِل ، وهذه التهمة تستأهل أن يؤلف فيها كتاب . وقد ترجم أبو الحسن الخزرجي هذا الوزير ، كما ترجمه مؤلف كتاب الحوادث وشمس الدين الذهبي في تاريخه والصفدي في الوافي وابن شاكر الكتبي في الفوات ، ومحمد باقر الخوانساري في الروضات وغيرهم ، غير ان ترجمة الخزرجي له لم تنشر قال في أخبار سنة ٦٥٦ : « وفي هذه السنة توفي الوزير مؤيد الدين محمد بن محمد (كذا) ابن العلقمي البغدادي الرافضي ، وكان عالما فاضلا ، أديبا ، حسن المحاضرة دمث الاخلاق ، كريم الطباع ، خير النفس ، كارها للظلم ، خبيرا بتدبير الملك، لم يباشر قلع بيت، ولا استئصال مالٍ ، اشتغل بالنحو وعلم الادب في شبيبته بالحلة[٤٠٣] على عميد الرؤساء ابن أيوب ثم قدم بغداد وقرأ على أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري ثم انضم الى خاله استاذ دار الخلافة عضد الدين أبي نصر المبارك بن الضحاك (الاسدي) ، وكان شيخ الدولة ، فضلا وعلما ، ورياسة وتجربة. فتخلق بأخلاقه ، وتأدب بآدابه ، واستنابه في ديوان الابنية ، وأشغله بعلم الانشاء ، الى أن توفي خاله ، فانقطع ولزم داره ، واستمر شمس الدين[٤٠٤] أبو الازهر أحمد بن الناقد أستاذا للدار ، فاستدعى مؤيد الدين الى دار التشريفات وأمره بالتردد اليها في كل يوم ، ومشاركة النواب بها ، فلما نقل استاذ الدار أحمد بن الناقد الى الوزارة نقل مؤيد الدين الى

---

(٤٠٣) كان اسديا والحلة معدن بني اسد والاكراد الجاوانيين الذين استعربوا منذ مئات سنين .

(٤٠٤) كان هذا قبل ان يكون ابن الناقد وزيرا ، فلما استوزره المستنصر بدل لقبه وجعله «نصير الدين» وكان تبديل اللقب عند رفع الرتبة من رسوم الدولة العباسية في اواخر ايامها . وهو مألوف في الدول العصرية ايضا .

أستاذية الدار ، فكان على ذلك الى أن توفي الوزير أحمد بن الناقد ، فانتقل موءيد الدين الى الوزارة ولم يزل على ذلك الى ان أنقضت الدولة العباسية واقر في الدولة التترية على الوزارة ، وكابد شدة وتغيرت أحواله ولم يتم له ما أراد ولم يظن أن التتر يبذلون السيف مطلقا ، فانه راح تحت السيف الرافضة والسنة وأمم لا يحصون وذاق الهوان والذل من التتر ، وذلك ــ يعني موته ــ في أول شهر جمادى الآخرة من السنة المذكورة »[٤٠٥] .

١٠٣ ــ وقال في الصفحة ١١٣ : « وقد فاتنا بسقوط هذا الفصل[٤٠٦] فوائد ثمينة فلا شك أنه اشتمل على رأي الموءلف في هذا الوزير الذي تضاربت آراء الموءرخين والباحثين في سيرته ، والغالب أن موءلف كتاب الحوادث من أحسن الموءرخين رأياً بابن العلقمي الوزير » .

قلت : نقلنا سابقا قول الاستاذ الفاضل : « غير أننا نجد وصف الاحتفال باستيزار ابن العلقمي مدرجا في حوادث سنة ٦٥٣ بدلا من ٦٤٣ وهو وصف شائق ... » . وهذا يعني أنه لم يسقط من فصله شيء ، ولا فاتت فوائد ثمينة . أما رأي موءلف الحوادث في ابن العلقمي فكان الاستاذ قد نقله في الصفحتين السابقتين للصفحة ١١٣ مع تمهيد وايضاح قال : « وفي هذا الصدد نقول : أثنى موءلف الحوادث الجامعة ثناءاً بالغا على موءيد الدين ابن العلقمي ونوه بذكره حياً وميتا وعقد له فصلا في أخبار سنة ٦٥٦ عنوانه (ذكر من توفى من الاعيان بعد الواقعة) قال فيه : توفى الوزير موءيد الدين محمد ابن العلقمي في جمادى الآخرة ببغداد وعمره ثلاث وستون سنة ، كان عالما فاضلا أديبا ، يحب العلماء ويسدي اليهم المعروف » . اذن لا سقط فصل الوزير ولا أعوزنا رأي

(٤٠٥) العسجد المسبوك « نسخة المجمع العلمي المصورة ، الورقة ١٩٣ » .

(٤٠٦) يعني الفصل الذي عقده الموءلف لترجمة ابن العلقمي ولم يبق منه الا العنوان ، كما قال ــ حفظه الله ــ .

موءلف الحوادث في الوزير ؟ .

١٠٤ ـ وقال الاستاذ الجليل في الصفحة ١١٣ أيضا : « ومما يدل على العبث بنسخة الاصل ـ يعني كتاب الحوادث ـ ما قاله المؤلف في وقائع سنة ٦٤٥ وهذا نصه : فيها أنفذ الخليفة الى الوزير ابن العلقمي دواة فضة مذهبة في جونة ، فخلع عليه ونظم الشعراء في ذلك ، هذا نصّ ما جاء في الكتاب ، ونجد بعد ذلك أبياتا في الرثاء لا علاقة لها بهذه الوقعة .. » .

وقد أصاب الاستاذ الجليل في هذا القول ، فالابيات لا صلة لها بالخبر المذكور ، والصواب أن الخبر من أخبار سنة ٦٤٦ لا سنة ٦٤٥ كما جاء في كتاب « الحوادث » المشوّش الذي طبعته قديما . يدل على ذلك أن أبا الحسن الخزرجي ذكر ذلك الخبر في تاريخه قال في حوادث سنة ٦٤٦ : وفي شهر ربيع الاول أنعم على الوزير أبي طالب محمد بن العلقمي بدواة فضة مذهبة مدورة مثمنة بديعة الصنعة. جميلة الوضع، فقال بعض الشعراء:

زاد امام العصر ديوانــه	زيـادة فيها تقر العيون
وانها نون كذا قد أتى الـ ...	قرآن اذ أقسم فيه بنون
وجوده يقضـي بتكميلها	بالقلم الجاري وما يسطرون
حتى يقول الناس في فضلـه	«لمثل هذا يعمل العاملون»[٤٠٧].

١٠٥ ـ وقال الاستاذ الجليل في الصفحة المذكورة : « والارجح أن الابيات المثبتة[٤٠٨] من جملةقصيدة لابن أبن الحديد فيرثاء استاذ له توفي سنة ٦٤٦ ... » . وقال في الحاشية : « والقصيدة لموفق الدين بن أبي

---

(٤٠٧) العسجد المسبوك « نسخة المجمع العلمي العراقي المصورة ، الورقة ١٧٣ » .

(٤٠٨) يعني الابيات المثبتة في كتاب الحوادث بعد خبر اهداء الدواة الفضة المذهبة « ص ٢١٩ » .

الحديد في رثاء عضد الدين المبارك بن رئيس الرؤساء[٤٠٩] ، أثنى عليه صاحب الحوادث الجامعة (كذا) وله ترجمة في معجم الادباء ٦/٢٣٢ والكامل ١٢/١١٨ » .

وقد أصاب الاستاذ الجليل شاكلة الصواب في نسبة الابيات ولكنه أخذ حاشية لي كنت نشرتها في التعليق على اسم المتوفى المرثي المذكور في كتاب الحوادث « ص ٢٢٧ » ، وقد استوعب الحاشية وزاد عليها قوله: « وله ترجمة » قبل « معجم الادباء والكامل » ، مع أنه لم ترد له ترجمة في معجم الادباء ٦/٢٣٢ بل استطرد موءلفه الى ذكره ، وذكره ابن الاثير في حوادث سنة ٦٠٥ . ولم أقل أنا ان ياقوتا وابن الاثير ترجماه ، بل قلت :

« في ٦/٢٣٢ من معجم الادباء : عضد الدولة ابو الفتوح ابن الوزير عضد الدين بن رئيس الرؤساء ، وفي الكامل ١٢/١١٨ أبو الفتوح المبارك ابن الوزير عضد الدين وهو الصواب » . هذا ما علقته على اسم الرجل المترجم المذكور ، أما الوارد في معجم الادباء خاصا به على سبيل الاستطراد فهو قول ياقوت : « وكان قد فوض الى عضد الدولة أبي الفتوح ابن الوزير عضد الدين بن رئيس الرؤساء أمر المخزن المعمور والاعمال التي كانت مفوضة قبله الى ابن ناصر ... » . وذكر ذلك في ترجمة أبي بكر المبارك ابن المبارك بن سعيد ابن الدهان فلم تكن للمبارك ابن رئيس الرؤساء ترجمة . وقد نسي الاستاذ أن لعضد الدين المبارك بن رئيس الرؤساء ترجمة في تلخيص معجم الالقاب وأنه أيضا مذكور في الجامع المختصر « ٩ : ٢٦٤ ، ٢٦٥ » ، قال ابن الفوطي : « عضد الدين أبو الفتوح المبارك[٤١٠] ابن الوزير عضد الدين محمد بن عبدالله بن المظفر بن رئيس

---

(٤٠٩) جاء في الصفحة ٢٢٧ من كتاب الحوادث « عضد الدين ابو الفتوح المبارك بن رئيس الروءساء ابن المنسلة » وابن المنسلة . من خطأ الطبع ، والاصل « ابن المسلمة » .

(٤١٠) يحسن ان يقابلَ بين هذه الترجمة وترجمته في كتاب الحوادث فبينهما بون شاسع يدل على أن موءلف الحوادث هو غير ابن الفوطي .

الرؤساء البغدادي صاحب المخزن ، من بيت الوزارة والرئاسة والتقدم ، وكان مع اشتغاله بأمور الدنيا والتصرفات السلطانية ، له اليد الطولى في الهندسة والرياضيات ، وقد سمع في صباه من يحيى بن ثابت بن بندار وطبقته ، وتولى في أيام الناصر صدرية المخزن ثم عزل سنة ست وعشرين وستمائة (كذا) ، ولما عزل لزم بيته مشتملا بنفسه ، وعمل داره المجاورة لجامع فخر الدولة بالجانب الغربي رباطا للصوفية، وله أشعار حسنة ورسائل مدونة ، مولده في رجب سنة ستين وخمسمائة ؛ توفي في ذي القعدة سنة خمس[٤١١] واربعين وستمائة »[٤١٢] .

وكون وفاته في سنة ٦٤٥ كما في تلخيص معجم الالقاب ، وهو الصحيح ، وورودها في أخبار سنة ٦٤٦ كما في كتاب الحوادث الذي طبعته، يدلاننا على أن طائفة من أخبار سنة ٦٤٥ نقلت باختلال التجليد في كتاب الحوادث الى سنة ٦٤٦ ، ومن ذلك وفاة السيدة هاجر والدة الخليفة المستعصم بالله ووفاة هبة الله بن الحسن ابن الدوامي ، فقد كانتا في سنة ٦٤٥ كما جاء في تاريخ الخزرجي « الورقة ١٧٢ ، ١٧٣ » ؛ وفي التاريخ أدلة أخرى على ذلك لا يمكن أحدا ادحاضها .

١٠٦ ــ وقال في حاشية الصفحة ١١٥ وهو يبرهن على أن كتاب الحوادث المطبوع هو « الحوادث الجامعة » : « وبهذا الصدد دارت مراسلة بيني وبين صاحب هذه النسخة وجاء في رسالتي اليه : تلقيت رسالتكم ... ومعها جزء مغفل في التاريخ وقد استطلعتم رأيي في مؤلف هذا الكتاب أولاً ورغبتم بتعريف[٤١٣] ابن الفوطي ثانيا ، ومن رأيي ــ وقد تصفحت

(٤١١) جاء في الحوادث انه توفي سنة ٦٤٦ والصحيح قول ابن الفوطي ، ويؤيده ما جاء في تاريخ الخزرجي العسجد المسبوك «الورقة ١٧٢». وهذا الاختلاف معزو الى اختلال التجليد في نسخة الحوادث .

(٤١٢) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ٥٥ من نسختي بخطي » .

(٤١٣) جاء في مختار الصحاح « رغب فيه : اراده وبابه طرب ورغبه أيضا ».

الكتاب ــ أنه كتاب الحوادث الجامعة لمؤلفه عبدالرزاق بن أحمد الفوطي البغدادي...». وأحال الاستاذ بذلك على مقدمة كتاب الحوادث المطبوع.
ومن يتأمل تلك المقدمة يجد تباينا بين قوليه ، فقد قال في المقدمة : « ومن رأيي ــ وقد تصفحت الكتاب ــ أنه كتاب الحوادث والتاريخ لمؤلفه العلامة عبدالرزاق بن أحمد الفوطي ... » ، ثم قال : « ومما يحز في النفس ألماً أن يمنى تاريخ العرب والاسلام وتاريخ بغداد والعراق خاصة بفقدان معظم آثار ابن الفوطي ومن جملتها أكثر أجزاء كتاب الحوادث على التاريخ...».
وقد انقلب كتاب الحوادث والتاريخ أو الحوادث على التاريخ الى «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة » ، وصارت الاجزاء جزءاً واحداً، وقد قدمت الكلام على كتاب «الحوادث والتاريخ» في ملحوظة سابقة وهو غير الحوادث الجامعة بالتحقيق والتأكيد .

١٠٧ ــ واستدل الاستاذ الفاضل في كتابه « ص ١١٥ ــ ١٦٨ » بأدلة عامة من أقوال المؤرخين على دعواه أن كتاب الحوادث المطبوع هو كتاب « الحوادث الجامعة » ومنها ان موءلف تلخيص معجم الالقاب وموءلف كتاب الحوادث عُنيا بذكر أصحاب الكتب ومكتباتهم ، وذكر من الامثلة على ذلك قول موءلف الحوادث في ترجمة القفطي ــ ص ٢٣٨ ــ: « كان محباً للكتب جمع منها ما لم يجمعه أحد من أبناء جنسه لانه غالى في أثمانها ... » ، ولو صح لقول الاستاذ الجليل وجه في هذا الاستدلال لكان ابن الفوطي قد ذكر القفطي في تلخيص معجم الالقاب في لقب « القاضي الاكرم » فقد قال موءلف الحوادث في حوادث سنة ٦٤٦ : « وفيها توفي ابو الحسن علي[٤١٤] بن يوسف القفطي المعروف بالقاضي

(٤١٤) قال الخزرجي في حوادث سنة ٦٤٦ : « وفي هذه السنة مات الوزير ابو الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم بن عبدالواحد بن موسى بن محمد بن اسحاق القفطي المعروف بالقاضي الاكرم ، وزير حلب، وكان احد الكتاب المشهورين ، قال الحافظ ابو عبدالله (محمد بن النجار) البغدادي : كان جم الفضائل ، عظيم القدر، سخي الكف، طلق الوجه، حلو الشمائل ، مشاركا لارباب كل علم في علمهم في النحو =

الاكـــرم ... » وترى في الحاشية أن لقبه « القاضي الاكرم » كان مشهورا بين الناس ، ولقبه به ياقوت الحموي في معجم الادباء : « ٥ : ٤٧٧ » فكيف أذن أغفل ابن الفوطي لقب هذا الرجل ان صحّ أنــه ذكــره في كتـــــاب « الحوادث الجامعة » المزعوم أنه هو هذا المطبوع ؟! .

مؤلف كتـــاب الحوادث

١٠٨ ـــ وقال في الصفحة ١١٧ في رد احتجاج من احتج بامكان اعتماد مؤلف « الحوادث » على تصانيف ابن الفوطي في التاريخ من قبيل معجمه المسمى « مجمع الآداب » وملخصه وغير ذلك من تصانيفه ، وكونه مــن المؤرخين المتأخرين قليلا عن عصر ابن الفوطي الناقلين عنه ، على أن هــذا وما ضاهاه من الاقوال ضرب من الظنون والاحتمالات » .

وفي هذا صواب من القول ، غير أننا نعتمد في تأييده على أن مؤلف الحوادثهو غير ابن الفوطي وانه لم يعتمد على كتاب من كتب ابن الفوطي كائناً ما كان ، فقد ذكر مؤلف الحوادث في كتابه أنه نقل مــن تاريخ تاج الدين علي بن أنجب المعروف بابن الساعي « ص ٢٥١ ، ٢٦٠ » ومن تاريخ ظهيرالدين علي بن محمد الكازروني المتوفى سنة ٦٩٨ «ص ٤٩٧» وهما مؤرخان بغداديان ، توفيا ببغداد ، ثم ان نقله مــن تاريخ الكازروني(٤١٥) يدل على أنه ألف كتابه بعد سنة ٦٩٧ ، واذ كانت نهاية تاريخه ســـنة

= والفقه واللغة والحديث وعلم القــرآن والاصــول والمنطــق والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل وله من التصانيف ... وكــان جماعا للعلوم ، محبا للكتب جمع منها ما لم يجمعه أحد من ابنـــاء جنسـه ... » ، « العسجد المسبوك الورقة ١٧٤ من النسخة المذكورة» ومعلوم أن وفاته لم تنقل من تاريخ ابن النجار لان وفاته كانت قبـــل وفاتـــــه .

(٤١٥) قال كاتب جلبي في كشف الظنون : « روضـــة الاريب فـــي التـــاريخ اى تاريخ بغداد للشيخ ظهير الدين علي بن محمد الكازروني المتوفى سنة تسع وتسعين وستمائة وهي في سبعة وعشرين سفرا » .

« ٧٠٠ هـ » علم أنه كان حياً في تلك السنة ، وأنه لم ينقل من كتب ابن الفوطي لأن ابن الفوطي توفي سنة ٧٢٣ كما هو معلوم، فالنقل من كتبه يكون ممكناً بعد هذه السنة ، كما جرت به العادة ، وبذلك يستحيل نقل مؤلف الحوادث من تواريخ ابن الفوطي ، فحجة القائل بالنقل داحضة ، ومن الادلة على كون مؤلف الحوادث ببغداد أو في العراق سنة (٧٠٠) قوله في حوادث سنة ٦٩٧ : « وفيها عزل الامير تاولدار شحنة بغداد ، وسبب ذلك أن نائبه رستم أساء السيرة وتعدّى الحد في الشنقصة[٤١٦] وانواع التأويلات ، واعتمد ما أوجب قتله ، وعزل تاولدار ورُتب عوضه الامير أذينا ، فمهد العراق بحسن سيرته ، وعظم سطوته ، وشدة وزعته ، ولا تأخذه في المفسدين لومة لائم ، فالناس في أيامه آمنون على نفوسهم وأموالهم في البلاد والنواحي والطرق »[٤١٧] .

فتأمل قوله « ولا تأخذه في المفسدين لومة لائم فالناس في أيامه آمنون ... » فانه لم يقل « كانوا آمنين » ولا « كان لا تأخذه في المفسدين لومة لائم » ، وهذا يدل على أنه كان على الشحنكية أيام تأليف كتاب الحوادث ، قال ابن حجر : « آدينه الططري ــ يعني التتري ــ شحنة بغداد من قبل التتار ، كان عادلاً صارما ، ولي بغداد فمهدها من المفسدين وقمع من بها من المعتدين وخفف ظلما كثيرا وحمدت سيرته الى أن مات في

(٤١٦) قال الفيروز ابادي في القاموس : « الشنقصة : الاستقصاء ، مولدة ، والشناقصة : ضرب من الجند الواحد شنقاصي بالكسر » ويراد بالشنقصة جباية المال بالاحتيال وهي استقصاء جائر ، ولعل للشناقصة من الجند صلة بالشنقصة ، وقد وردت في اخبار سنة ٤٧٣ « المنتظم ٨ : ٣٢٧ » ، ولا يصح ان يقال انها « عراقية مولدة في عصر المغول اي انها ليست من المولد القديم ، شاعت في لهجة المئة السابعة بمعنى الدس والمكر او التصدي للضرر (كذا) وعمل السوء » كما جاء في رسالة « أصول الفاظ اللهجة العراقية ص ٦٦ ، ٦٧ » ، فقد عرفت قبل المائة السادسة بسنين كثيرة وذكرت في القاموس .

(٤٣٧) كتاب الحوادث « ص ٤٩٦ » .

أوائل سنة ٧٠٩ بناحية الكوفة وكان دينا حسن الاسلام ، يمشي الى صلاة الجمعة »[٤١٨] .

وقال ابن الفوطي : « عزالدين أبو الفضل محمد بن علي بن محمد ابن هبة الله ، يعرف بابن الوكيل البغدادي الكاتب ... كتب بين يدي الامير العادل آذينة أحمد في الانشاء وله خط حسن وترسل مليح ، وتصرّف جميل وينظم الشعر الجيد في المعاني ويجيد الضرب بالعود »[٤١٩] .

وكان آذينة هذا من المؤيدين لأخوال صفي‌الدين عبدالعزيز الحلي الشاعر على خصومهم من آل أبي الفضل العلويين ، قال ابن مهنا المعروف بابن عنبة في اخبار السيد زين الدين هبة الله العلوي الحلي النقيب : « أما زين الدين هبة الله فتولى النقابة الطاهرية وصدارة البلاد الفراتية وغيرها ، وقتل بظاهر بغداد سنة احدى وسبعمائة ، قتله بنو محاسن بدم صفي الدين بن محاسن ، وكان السيد (زين الدين) قد أمر به فرُفس فمات . وقتلوه قتلة شنيعة ، ورخص لهم في ذلك آذينة حاكم بغداد »[٤٢٠] .

ومن الاخبار التي تشعر بمعاصرة مؤلف الحوادث لقسم من الحوادث قوله في حوادث سنة ٦٩٦ : « وفيها أمر السلطان غازان بقتل صدر الدين حمد بن عبدالرزاق الخالدي صاحب ديوان الممالك ، لما ظهر من سوء حركاته ، وكان غير محمود السيرة ، ظالما ، أظهر الچاو وقسر الناس على المعاملة به فأضرّ بهم وبطلت معايشهم وتعطلت أمورهم الى أن لطف الله تعالى وألهم السلطان ابطاله ... »[٤٢١] . فقوله « الى أن لطف الله

---

(٤١٨) الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة « ١ : ٣٤٧ » .

(٤١٩) التلخيص « ٤ : ٣٦ » .

(٤٢٠) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب « ص ٢٧٤» من طبعة النجف .

(٤٢١) الحوادث « ص ٤٩٥ » .

تعالى وألهم السلطان » لا يقوله فيما رأى الا موءرخ معاصر لـه هوى في الدولة الايلخانية وسلطانها •

ومنها قوله في حوادث سنة ٦٨٨ بذكر قتل مجدالدين اسـاعيل[٤٢٢] ابن الياس البغدادي الصاحب والد العالم الطبيب يوسف بن اسماعيل بن الياس ابن الكتبي مؤلف كتاب « ما لا يسع الطبيب جهله[٤٢٣] » في الادوية المفردة : « وقتل مجد الدين في يوم الاربعاء ثاني عشري الشهر (جمادى الآخرة) تحت الدار الشاطئية ، وسلست جثته الى اولاده ، وكان قتله آخر النهار وهو صائم ، فطلب ماءاً فلما أتى به نظر الى الشمس وقـد قـرب غروبها فلم يشربه• وقال للسياف: اضرب ضربة واحدة، فقال له: نعم• وكان رحمه الله من محاسن الزمان ، عالما فاضـلا اديبـا جوادا سـخيا كريمـا، يكتب خطا جيدا ويقول الشعر •••»[٤٢٤] • فقوله : « كان من محاسـن الزمان » يدل على أنه كان معاصرا له ، عائشا في زمانه المزيّن بمحاسنه ، وان كان ذلك الزمان على ما كان في الحقيقة ، ولو كان غير معاصر له لوجب

---

(٤٢٢) ترجمه ابن الفوطي في تلخيص معجم الالقاب في لقب مجدالدين « ٥ : الترجمة ٢٠٥ من الميم » وترجمه الذهبي في تاريخ الاسلام نقلا مـن تاريخ ابن الفوطي وترجمه الدكتور أحمد عيسى في معجم الاطبـاء الذي جعله ذيل عيون الانباء نقلا من تاريخ الذهبي وشوه ترجمتـه بالتصحيف . قال الذهبي في وفيات سنة ٦٨٨ : اسماعيل بن اليـاس الصاحب المعظم مجدالدين الكتبي . قال ابن الفوطي : قتل في جمادى الآخرة بالدار الشاطئية ، ذكر انه كان يومئذ صائما ، وكان من افاضل الاعيان ، مليح الخط ، قد قرأ في الطب والهندسة والادب ، وولي الاعمال الجليلة ، وكان جميل الجملة والتفصيل». «نسخة دار التحف البريطانية ١٥٤٠ الورقة ٧٦ » .

(٤٢٣) منه نسخة في خزانة كتب الاوقاف ببغداد ارقامها في التسـجيل الجديد « ٣٠٠٢ » كما في الكشاف عن مخطوطات خزانة كتب الاوقاف « ص ٢١٧ » وهي كاملة ، وفي خزائن الكتب في قسم من دول أوربة نسخ منه ناقصة .

(٤٢٤) الحوادث « ص ٤٥٨ » .

عليه ان يقول « كان من محاسن زمانه » ، ويا عجبا من هؤلاء ذوي السير المتناقضة ، يتهالكون على المناصب وهم من المستهترين بالعبادة الى حد الصيام في شهر جمادى الآخرة •

ومنها قوله في حوادث سنة ٦٩٦ في أخبار السلطان غازان (ص ٤٩٢): «وفيها في المحرم سار السلطان غازان يريد العراق ••• ثم توجه الى بغداد بجيوش كثيرة وشمل الناس بالعدل والاحسان ، ولم يتعرض أحد من العسكر لأهل السواد بما جرت به العادة من رعى الزروع ، وغير ذلك وكانت[٤٢٥] الرعية تسير بينهم ومعهم الاشياء المجلوبة للبيع ، فلا يأخذ أحد منهم شيئا الا ابتياعا باللطف واللين ، ورأى الناس من العدل ما أوجب زيادة دعائهم لدوام دولته ، فلما دخل بغداد لم ينزل في دار الا بأجرة وما أزعج أحد من منزله ثم انه دخل المدرسة المستنصرية من الدار المجاورة لها وكان يسكن بها نظام الدين محمود شيخ المشايخ ••• » • ثم قال: « وتألم الناس من الزامهم بالخراج ذهبا أحمر ، وكان جمال الدين الدستجرداني قد استوفاه منهم في السنة الماضية كذلك ••• فأمر السلطان باجرائهم على عاداتهم منذ فتحت بغداد ، فتوفر عليهم شيء كثير من التفاوت فزادت أدعيتهم » •

ويلوح لي أن هذا الاسلوب من اقتصاص الخبر لا يأتيه الا معاصر للسلطان غازان المذكور ، وذلك بيّن جدا في قوله: وزيادة دعائهم لدوام دولته • وقد انتهى هذا الجزء من تاريخه في أثناء دولته ، في سنة (٧٠٠) كما ذكرنا من قبل •

ومن المعلوم أن ابن الفوطي رجع الى بغداد من مراغة سنة ٦٧٩

---

(٤٢٥) من هنا الى قوله : ثم انه ... اسقط من النسخة المطبوعة ، اسقطه ناسخ خبيث في اثناء النسخ .

كما صَرَّح هو به غير مرة في تلخيص معجم الالقاب[٤٢٦] ، وهذا يوجب أن يكون مطلعا على حوادث بغداد من كثب ، وملتزما جانب الصاحب علاء الدين الجويني ، وهو الذي أعاده الى العراق ووكل اليه كتابة التاريخ ، كما نقلنا من قبل ، وقد جاء في الحوادث لسنة (٦٨٠) قول مؤلفه: « وقبض السلطان (أباقا خان) على علاء الدين صاحب الديوان وأصحابه ونوابه وأتباعه وسلم الى الصاحب مجد الملك فاستوفى منه أموالا كثيرة ... »[٤٢٧] فتأمل قوله كيف جرّد علاء الدين من لقب « الصاحب » الذي هو به أجدر وعليه أشهر ، وألحقه بمجد الملك عَدّوه الازرق ؟ أيجوز أن يكون هذا ابن الفوطي ؟

وجاء في حوادث سنة ٦٨١ قول مؤلفه : « وفيها سقط بعض الفقهاء بالمدرسة المستنصرية من غُرفة[٤٢٨] الى صحن المدرسة فمات من يومه[٤٢٩] . ولو كان الكاتب ابن الفوطي لذكر اسم الفقيه ، ويُراد به طالب الفقه يومئذ ، ذلك لأن ابن الفوطي كان قريبا جدا من موضع الحادثة فلا تفوته معرفة اسم الفقيه ، على أن هذا غير لازم له .

وذكر مؤلف الحوادث في السنة المذكورة أنه « فيها فُقد الشيخ الظهير أحمد بن عبدالقادر الجيلي الحنبلي من مدرسة جده ... فوجد في سنة ست وثمانين (وستمائة) في بئر داره التي في مدرسة جده وعرف بخاتم كان في يده ، حكى بعض أصحابه أنه رآه في المنام بعد فقده

---

(٤٢٦) كقوله في ترجمة احمد بن علي بن محمود العقرقوفي الصدر: «وحصلت بيني وبينه مودة موكدة ايام قدمت من مراغة سنة تسع وسبعين وستمائة » . « ٤ : ٢٢٣ » وكذلك ما في ترجمة منتجب الدين عثمان.

(٤٢٧) الحوادث « ص ٤١٥ ، ٤١٦ » .

(٤٢٨) الغرفة هي بيت يكون على سطح الطبقة الاولى من البنيان فما فوقها، ومن الخطأ الشائع تسمية « الحجرة » بالغرفة .

(٤٢٩) الحوادث « ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ » .

بثلاثة أيام فسأله عن حاله فقال له : يضرب المثل بمن يديه تحت الرحى فكيف بمن قد حصل كله تحت الرحى » [٤٣٠] وهذا المنام على حسبان أن صحته ممكنة لا يذكره مؤرخ حنبلي كابن الفوطي على شيخ حنبلي من آل عبدالقادر الجيلي هو الشيخ ظهير الدين المذكور ، ثم انه لو كان القائل ابن الفوطي لقال « حدثني فلان من أصحابه ... » او « حكى لي ... » ، ولو كان ابن الفوطي لكان يؤرخ السنين بالترتيب ولم يذكر رجل فُقد سنة ٦٨١ : « فوُجد في سنة ست وثمانين وستمائة في بئر داره ... » ، فهذا يدل على أن المؤرخ كان ينقل من كتب التاريخ ويلم أطراف الاخبار والتراجم بدراية وبراعة ، ومثل هذا قوله في أخبار السنة المذكورة ٦٨١ : « وفيها أبطلت الفلوس النحاس وضرب عوضا عنها فلوس فضة وجعلت كل أثنى عشر فلسا بدرهم وسميت (دناكش) ثم أبطلت في سنة ثلاث وثمانين ، وأعيدت الفلوس المسّ وتعامل الناسُ بها ، كل ثلاثين فلسا بدرهم » .

وجاء في اخبار سنة ٦٨٦ قول موءلف الحوادث : « ووقع بنيسان برد كثير أتلف الزروع في اعمال بغداد ، قال الشيخ ظهير الدين الكازروني في تاريخه : حكي لي قاضي طريق خراسان أن جماعة شهدُوا عنده أنهم رأوا في ناحية الخوزّية من أعمال براز الروز برداً كبارا فيه بردة طويلة عظيمة كالرجل النائم ، والله اعلم » [٤٣١] فلو كان الموءرخ ابن الفوطي لوصل اليه الخبر ولم يحتج الى تاريخ ظهير الدين ، ولم ينتظر وفاة ظهير الدين أي من سنة ٦٨٦ الى سنة ٦٩٧ حتى يسجل هذا الخبر .

ومن الدلائل على أن المؤلف كان ينقل من التواريخ الى ما بعد سنة ٦٩٤ وسنة ٦٩٨ المقدم ذكرها قوله في أخبار فخر الدين مظفر بن الطراح في هذه السنة : « وله أشعار كثيرة مدح بها الصاحب علاء الدين

---

(٤٣٠) الحوادث « ٤٢٥ ، ٤٢٦ » .

(٤٣١) الحوادث « ص ٤٥٣ » .

ابن الجويني وأخاه شمس الدين وآخر ما قاله وهو في السجن بدار النيابة ببغداد قبل أن يقتل بأيام ، ووُجدتْ بخطه :

القول فيما مضى من عمرنا هدرُ فدعه واصبر لما يأتي به القدرُ»[٤٣٢]

فقوله « ووُجدَت » يعني به القصيدة ، ولو كان المؤرخ ابن الفوطي لاستطاع الحصول عليها بلا واسطة يُبنى الفعل للمجهول من أجلها ، هذا ومن العجيب ان ينتهي هذا التاريخ بسنة سبعمائة ولا نجد له خاتمة يختمه بها المؤلف ، كما جرت به عادة الموءلفين قاطبة ، أفمات فجأة ؟ أم عاقه عن التسجيل عائق ؟ أم هذا جزء من تاريخه ؟ انه كان من الحاجة بحيث ألزق على أخبار من أخباره ورقات فكتب فيها غيرها كما رأيناه في نسخة الاصل المحفوظة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

واذ نفينا أن يكون كتاب « الحوادث » هذا المطبوع ، من تأليف ابن الفوطي ، ينبغي لنا أن نولي الوجه مُعاصريه من موءرخي العراق ، وقد ذكر هو منهم جماعة ، يجوز نسبة كتاب الحوادث الى غير واحد منهم فأولهم فخر الدين أبو الفضل محمد بن مجدالدين علي بن أبي الميامن بن أمسينا الواسطي الصدر الكاتب ، قال ابن الفوطي بعد ذكره لقبه واسمه على النحو الذي ذكرته : « قدم مدينة السلام وحصل لي به أنس واجتماع وهو صدر فاضل ، من بيت الرئاسة والتقدم وكان عارفا بالحساب والضبط في الكتابة والخط ، والتقط فوائد تاريخ شيخنا تاج الدين أبي طالب (علي بن أنجب ابن الساعي) وهو عالم بالحوادث والتواريخ . سألته عن مولده فذكر أنه ولد في شوال سنة اثنتين وأربعين وستمائة »[٤٣٣].

وقد ذكره ابن الفوطي أيضا في ترجمة والده مجدالدين أبي الحسن

---

(٤٣٢) الحوادث « ص ٤٨٥ » .

(٤٣٣) تلخيص معجم الالقاب « ٤ : ٢٦٦ من نسختي بخطي » .

علي بن أبي الميامن بن أمسينا الواسطي الكاتب وبعد أن ذكر : نقلا من تاريخ ابن الساعي ، أن والده رتّب مشرفا بدار التشريفات العباسية ثم وكيلا بباب الحجرة العباسية ثم ناظرا في طبق الافطار الرمضاني العباسي قال : ذكر لي ولده فخر الدين محمد قال : توفي والدي سنة احدى وثمانين ببغداد » [٤٣٤] . وذكره في ترجمة رجل آخر من بني أمسينا قال : « عميد الدين ابو الثناء محمود بن احمد بن أمسينا الواسطي ، ناظر واسط ، كان من الصدور الاكابر ، ولي الولايات الجليلة : حدثني عنه نسيبه الصدر الرئيس فخر الدين محمد بن أمسينا سنة تسعين وستمائة ... » [٤٣٥] .

ولقائل أن يردّ عليّ قولي هذا بأنه لو كان موءلف كتاب الحوادث فخر الدين محمد بن أمسينا ما جاء ذكر والده في كتابه بغير اشارة الى ابوّة ولا الى قرابة[٤٣٦] ، فقد جاء في أخبار سنة ٦٣٥ من كتاب الحوادث: قوله «وفي شعبان رتب شمس الدين عبدالعزيز بن محمد بن خليد مشرفا بدار التشريفات نقلا من الكتابة بها ، ورتب مجدالدين علي بن ابي الميامن بن أمسينا الواسطي كاتبا بها » [٤٣٧] ، ولو كان هو موءلفه لذكر وفاة والده سنة ٦٨١ مع أنه ذكر وفاة غيره ممن هم دونه شهرة ومقاما ؛ وبهذا الاعتراض يهن الافتراض .

ومن الموءرخين الذين يجوز أن ينسب اليهم كتاب « الحوادث » المطبوع « محب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي

(٤٣٤) التلخيص « ٥ : الترجمة ٣٩٩ من الميم » .

(٤٣٥) التلخيص « ٤ : ١٤٨ » .

(٤٣٦) ومن الادلة على نفي أن يكون ابن الفوطي موءلفا لهذا الكتاب ذكره الموفق عبدالقاهر بن الفوطي بغير اشارة الى قرابته منه « ص ٣٨ » وعدم ذكره في الشهداء الذين قتلوا صبرا بأيدي المغول ، كما نقلت قبلا .

(٤٣٧) الحوادث « ص ١٠٣ » .

العلوي الكَرَجيّ ثم البغدادي المقرىء ، قال ابن الفوطي بعد ذكر لقبه واسمه على الصورة المقدم ذكرها : « من العلماء الثقات ، والحفاظ الاثبات ، قرأ القرآن الكريم على والده ، وكان كثير التلاوة ، عارفا بالتفسير والقراءات ... وكان كثير المطالعة عارفا باللغة ، ورتّب شيخ دار القرآن المعروفة بالبشيرية(٤٣٨) ، على ساحل دجلة بالجانب الغربي واشتغل عليه جماعة من الاعيان . سألته عن نسبه فذكر انه ينتمي الى الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وسألته عن مولده فذكر أنه ولد في العاشر من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وستمائة ؛ وصنف تاريخا على السنين، وتوفي في صفر سنة احدى وعشرين وسبعمائة، وكان قد صلى (فوجب)(٤٣٩) ولم يعلم بموته غير زوجته ودفن بباب حرب » (٤٣٩) .

وكتاب الحوادث منطبق على التاريخ الذي ألفه هذا الفاضل اللغوي المقرىء ، ويكون عزوه اليه راجحا على غيره من العزو ، وأمارات ميل الموءلف الى العلويين واضحة جدا ، ومع ذلك فالجزم في هذا الامر غير ممكن لي ، وانما قلت ذلك على سبيل الاسترجاح بعد نفيي أن يكون كتاب الحوادث من تأليف ابن الفوطي نفيا باتا ، بما قدمت في هذه المقالة وما أخرت فيها .

---

(٤٣٨) جاء في حوادث سنة ٦٥٢ من كتاب الحوادث ـ ص ٢٧٥ ـ : وفي سلخ شعبان فتحت دار القرآن التي أمرت بعمارتها والدة الامير ابى نصر محمد الخليفة المستعصم المعروفة بباب بشير التي بنت المدرسة البشيرية ، وهذه الدار على شاطىء دجلة بغربي بغداد »، وتفصيل تاريخها مذكور في العسجد المسبوك « الورقة ١٨٤ » . ولعلها كانت في أرض المستشفى العتيق فوق مسجد قمرية العتيق المعروف بهذا الاسم الى اليوم .

(٤٣٩) استرجحت هذا الفعل ، وهو من قولهم : « وجب الرجل اذا سقط ومات » كما في الصحاح .

وبهذا اجتزىء من الكلام على هذا الجزء النفيس من كتاب «موءرخ العراق ابن الفوطي » وهو بمثابة فضل الزينة للجميل ، وزيادة التوقير للجليل ، وقد اتبعت طريقة موءلفه في الاستطراد حذر الاملال ، واجبت عما تعرّض لي به موءلفه العلامة النبيل ، وان لم يصرّح باسمي ، كما جاء في الصفحات ٢٨ ، ٢٩ ، ١١٢ ، ١١٨ من كتابه ، وأشكر له عنايته بدراسة كتاب الحوادث ، وتنبيهه على بعض الخلل الذي وقع في «ص ٢١٩» واصابته للصواب في اصلاحه « ص ١١٣ » ، وقد حداني افضاله على مطبوعي الذي طبعته سنة ١٣٥١ = ١٩٣٢ على أن أفضل، بحسب جهدي ، على مطبوعه هذا الذي طبعه سنة ١٣٧٨ = ١٩٥٨، وما أحسن هذا التهادي ! وما أجمل أن يستديمه البادي ! والله تعالى الموفق للصواب ، الهادي الى الرشد والسداد .

الفهـــارس

١ ـ الألفاظ والمصطلحات المشروحة

٢ ـ الاعلام الجغرافية

٣ ـ الكتب والرسائل والمجلات

٤ ـ الشعوب والدول والقبائل والطوا ئف الدينية

٥ ـ الاشـخاص

(١)

الالفاظ والمصطلحات المشروحة

(٢)
الاعـــلام الجغرافية

(٣)

الكتب والرسائل والمجلات

(٤)

الشعوب والدول والقبائل والطوائف

(٥)
الاشــخاص

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٩٢١ لسنة ١٩٧٥

مطبعة الشعب ـ بغداد

المحتـــوى

تصـــويب

الصفحة	السطر	الخطـــا	الصـــواب
٤٩	٧	احمـــد	احمد بن
٦٧	٢	ابن	ابن عبد
٦٧	٢٣	رحة	رحبـة
٨٢	٢٣	الايام	الانام
٨٥	١٤	ــــ	هذا السطر ياتي بعد السطر (١٢)
١٠٤	٢٣	بـدر	بـدار
١٠٩	١٦	الطبرسي	الطبرس
١٢٢	١٠	مـن	بن
١٢٥	٢٥	استرجع	استرجح
١٢٨	١٠	البصيلـة	البصلية
١٣٥	٤	اعمـام	اعـدام
١٤٦	١٤	الحسن	الحسين
١٦٢	٦	المضيئة	المضيـة
١٨٦	٢٢	اسـرع	اسـراع
١٩١	٢٤	الكبري	العكبري
٢٠٨	١٢	شرح مقدمقابن بابشاذ	تحذف هذه العبارة
٢١١	٢	قاضـي	ابن قاضي
٢١٣	١٨	الجوبني	الجويني
٢١٣	٢٣	المضيئة	المضيـة
٢١٥	٤	يلاقوت	ياقـوت
٢٢١	٢٥	المصطلح فى المقترح	المقترح فى المصطلح
٢٢٨	١٣	الحسين	الحسن
٢٤٣	٦	تكـوار	تكـدار
٢٤٦	١٠	امـر	امـين
٢٩٤	١	الصبقاعي	الصقاعي
٢٩٥	١٩	هشام	ابن هشام

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٦٩	٢١	ذكر	ذكره
٣٩٥	الاخير	النديم	ابن النديم
٤١٥	—	—	يحذف السطر الاول من الهامش(١) وتكتب هذه العبارة فى مكانه : هذه تسمية مختصرة دالة واسمه الكامل « تلخيص مجمع
٤٢٩	٢٢	بيبرز	يبرز (فى موضعين من السطر)
٤٣٨	١٧	وسماء	وسماه
٤٤٧	١٦و١٧و١٨ و١٩و٢٠		تحذف جميع هذه السطور
٤٥٧	٢٦	اسينا	امسينا
٤٧٤	١١	مشهد	ومشهد
٤٩٣	٩	علاء الدين	علاء الدين معا
٥٠٢	١٥	ابا	ابن
٥٠٦	١٦	دور	دير
٥٠٨	٢٥	قطر	قطز
٥١٠	١٥	سعيد	سعد
٥١١	٢٠	غزنة	غزية
٥٥٧	هامش ٢٣	الطاب	الطالب
٥٦٢	١٢	الصافى	الصافى والمستوفى

الجمهورية العراقية

وزارة الاعلام

بغـــداد

دار الحرية للطباعة / بغداد

١٩٧٥م - ١٣٩٥هـ

السعر ٥٠٠ فلس